*(فهرست الجزء الاول من كتاب مطالع البدور في منازل السرور تأليف الشيخ الاديب والفاضل الاريب علاء الدين على ابن عبد الله البهائي الغزولي) *

صحيفة

٨ الباب الاول في تخير المكان المتخذ للبنيان
١٠ الباب الثاني في احكام وضعه وسعة بنائه و بقاء الشرف والذكر ببقائه
١٢ الباب الثالث في اختيار الجار والصبر على اذاه وحسن الجوار
١٦ الباب الرابع في الباب
٢٢ الباب الخامس في ذم الحجاب
٢٠ الباب السادس في الخدم والدهليز
٣٠ الباب السابع في البركة والفوارة والدوا
٤٠ الباب الثامن في الباذهنج وترتيبه
٤٠ الباب التاسع في النسيم ولطائفه
٥٠ الباب العاشر في الفرش
٦١ الباب الحادي عشر في الا
٦٠ الباب الثاني عشر في الطيـ
٧٠ الباب الثالث عشر في ا
٨١ الباب الرابع عشر في
٩٢ الباب الخامس عشـ
١١١ الباب السادس ع
١٢٠ الباب السابع ع
١٣١ الباب الثامن ع
١٣٠ الفصل الاول
١٤٠ الفصل الثاني
١٤١ الفصل ا

صحيفه

١٥٠ الفصل الرابع فى استهدائها واستدعاء الاخوان
١٥٦ الفصل الخامس فى من وصفها من الشعراء الاعيان
١٧٥ الباب التاسع عشر فى الصاحب والنديم
١٨٧ الباب العشرون فى مسامرة أهل النعيم
٢١٤ الباب الحادى والعشرون فى الشعراء المجيدين وهو مقدمة وتتمة
٢٢٩ الباب الثانى والعشرون فى الحذاق المطربين
٢٣٢ فصل فيما ينبغى أن يكون المغنى جميل الخلق صافى الخلق الخ
٢٣٣ فصل فيما ورد للفضلاء فى مدحهم
٢٣٦ فصل فيما ورد فى ذم الغناء
الباب الثالث والعشرون فى الغلمان
الرابع والعشرون فى الجوارى ذوات الالحان
اة بكتابة المتظرفات منهن على آلاتهن
الجوارى وغيرهن
ن فى الباه
حسن تناسب أعضائها والداعى الرجل

ت

(الجزء الاول)

من مطالع البدور في منازل السرور
تأليف الشيخ الاديب والفاضل
الاريب علاء الدين على
ابن عبد الله البهائي
الغزولي عفى
الله عنه
آمين

(طبع بمطبعة ادارة الوطن)

(الطبعة الاولى سنة ١٢٩٩)

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(الحمد لله) الذى جعل قلوب البلغاء افلاكا لمطالع البدور * وأسكنها من فسيح صدورهم فى منازل السرور * وأطلعها من درج الفصاحة الى بديع الطباق وأحلها منازل سعد سنية الاشراق * يظل تحت جناح شرفها كل منشد وقائل * لك يا منازل فى القلوب منازل *(أحمده) حمد من تخير لعمله الصالح دارا أسس بنيانها على تقوى * وجعل بابها مدخلا الى جنة المأوى * فأضحت مباركة العتبة لمن أمها بمدمس حثيث * وروى حديث فضلها المسند فأكرم بدار الحديث *(وأشهد) أن لا اله الا الله وحده لاشريك له شهادة هى عدتنا فى هذه الدار * وعمدتنا فى دار المقام *(وأشهد) أن محمدا عبده ورسوله قائدنا الى دار السلام * الكافى لمن يخافه ويرجوه * الهادى الى طباق السعادة يوم تبيض وجوه وتسود وجوه * صلى الله عليه وعلى آله ما رفعت أركان * وشيد بنيان

(أما بعد) فهذا كتاب مجموعه لفريق أهل الادب مفيد * وتذكرة فيها ذكرى لمن كان له قلب أو ألقى السمع وهو شهيد * جاء فى تأليفه الشريف علوى النسب وتاريخا أدبيا لو جمعه الذهبي لكتبه بماء الذهب * ما وصل الى حلاوة تأليفه ابن خلكان * ولا يتظاهر مع وجوده بوجه فى مرآة الزمان * فياله من مجموع أقسم بثانى اثنين انه تفرد * وهامت به كتب الادب وأمست عارية من الجلد وما عسى ان تجلد * لقد أصبح من حسان المعانى بحور مقصورات فى خيام الطروس معدودا وأوتى من كنوز الادب وأنبائه مالا ممدودا * و بنين شهودا * صرفت الذهن الى ترصيفه واستعنت بالناقد البصير عند الصرف * و بالصانع القدير عند الرصف * وأعربت بناء عن وصف دار ملك جاء فى حسنه زائدا لوصف * فأقسم من وصف هذه الدار بالبيت المعمور انها نزهة الناظر والسامع * واتلو على بيت حاسدها ان عذاب ربك لواقع * مامرّ الادباء على أبوابها الا سلموا سلام الخاشعين عسى ان يقال لهم ادخلوها بسلام آمنين

وانى وان لم أستطع خلوة بكم * أمرّ على أبوابكم فأسلم

فتح على من وصفها بخمسين بابا فسبحان الفتاح * ولكن جعلت سواد نقسها وبياض طرسها نزهتى فى الليل والصباح * وجاورتها بأوصاف علت بحسن طباقها البديعة على بيوت الاشعار * فاستحقيت التمتع بها دون الشعراء لان جار الدار أحق بدار الجار * وتالله لقد أحجم الفضلاء عن وصف هذه الدار المباركة أعتابها وكيف اذا جاؤها وفتحت أبوابها * وأمست قلوب معانيها المختلفة بأنواع البدائع تتألف * وهى تتلو على بيت حاسدها لو أنفقت ما فى الارض جميعا ما ألفت بين قلوبهم ولكن الله ألف * كم طرق بابها بوصف فأتيت بالدقة الادبية من الافتتاح * وأبديت ما لو ناظره ابن سكرة لعسر ذلك عليه ولو أتى بالمفتاح وان دخلت الى وصف الدهليز من بابه فما تركت لاحد فيه مدخل * أو الى البادهنج نقلت حديث الهوى صحيحا وان كان معلل * أو الى وصف الخدام استعبدت حر الكلام * وأظهرت قوة العزائم فى الاستخدام * وان ترويت فى البركة رفعت لها من الوصف راية فوق قناتها * أو فى النوفرة الغضة حققتها من زهور البديع بخضراتها * كم مهرت فى الفرش لوصف المساند وهم على الارائك يتظرون * ودرت الى وصف الدواليب وهالات بدورها ونجوم نثرتها

وكل في فلك يسبحون * وكم سجعت في وصف الطيور المسموعة بما يغني عن سجع المطوق وألحان السواجع * وهذبت النفس في وصف الشطرنج فعقدلي الدست من حسن فرزنتي من غير مانع * وروحت الخاطر لوصف المروحة فهب لي نسيم القبول من غير تعب * واقتبست من شعل الذهن وصف الشمعة والفانوس ولم أقل لاهيب الفكر تبت يدا أبي لهب * وأطلقت عنان الذهن القادح في وصف السراج * فكنت فارس القبيلة * وأتيت بما يفحم السراج * ولو طول لسانه لقيل له لا تسكن طويل الفتيله * وحدقت في البساتين ووصف غصونها وزرد خمائلها * فهمت الى بان الحمى وزرود * وتنزلت في رياحينها وورودها بما أخجل زهر الآداب وشوق الى العوارض والخدود * وتمسكت بالغوالي من المعاني المعشوقة في وصف الطيب فاطربت حتى قال أهل العود طيب وملت الى صرف الذهن في وصف الراح فمازجته من الشعر الذي يقطر ماء الحسن منه بصيب * ووصفت الاواني * حتى قالت الكاسات جانا دورو فهقهت فرحة ثغور القناني * وحليت ساذجها بذهب الوصف حتى قالت أنا ذهبية عصري وأواني * وجرحت العدو في وصف النديم * والصديق الحميم * وألفت في وصف الشعراء قصصا تركت الحسود لما عبس وتولى عنها في ألف لام ميم * وأتيت في وصف الفضلاء بنظم ونثر يحير الفاضل * وأرقصت طربا في وصف المطربين وما خرجت عما هو في السمع داخل * واسترقيت في وصف الجواري والغلمان كل حر من المعاني دقيق * وجئت بما لو سمعه ابن نباتة لصار له عبدا بسوق الرقيق * ووصفت الباه بما يحرك الشهوات * وأتيت بما هو أوضح من الصبح ولكن لم يكن قاطع اللذات * ودخلت الى الحمام بقلب وانشراح صدر فأبديت ما لو شاهده الحمامي لقال ما أنا قبالة هذا التشبيه * ومن هنا عرفت حر الاشياء وباردها وأخذت المأمن مجاريه * وأضرمت الفكر في وصف النار فأتيت من الأدب بجذوة قطعت عندها الالسن الجرية * وأفحمت كل ذهن وقاد وأخمدت الافكار اللهبية * وقعدلي الدست في الطباخ فاتيت في وصف القدور بما طاب وعلى سوقه استوى * وقلت للافكار الاهي بحملك فأتت بما ترك قلوب الاعداء خواء فقاعها غير الاستوا * وتصيدت من وصف الاسماك ما غصت حلقه من الشعر الى أقصى الجر * وأتيت بما حير

الثورانى والجزارفى وصف الجزور * ولم أدخل الى السفرة بجبن بل مددتها بما
يليق بعقلى * وتركت البقول تقول لمن لاعنده رشاد وهو غير حاذق ما أنت من
خل بقلى * ومددت الخوان بمائدة من المعانى صيرت الشعراء عند وصفها فرقان
وتنوعت فى الاطعمة الشهية بألوان وتفقهت فى الوصف لما دخلت الى باب المياه
وقات وقد جرى جواد الفكر فى وصف الماء سبحان من أجراه * وأتيت فى وصف
الحلوى بما لو ذاقه ابن الحلاوى لشبك عليه وعقد الخناصر * وفى وصف
المشروب بما أصبح كل ظام من أهل الذوق الى مورده العذب صادر * وتركت
الضد فى بيت الخلا حائرا يبحث فى باب الطهاره * وكم طلب ان يستعيرله وصفا
فلم يطق وشابت ذقنه فى باب الاستعاره * وعالجت وصف الاطباء وأعطيت
الذهن دستورا فاتى بما هو من القانون أطرب * وان يجد ذلك جمار ضعيف
الذهن فمفردات ابن البيطار له أوجب * وأتيت فى وصف الوزراء بما لو ناظره
الغير لقالوا عنه كلا لاوزر وباشرت وصف الحساب فأتيت بما لو شاهده
ابن الصاحب رجع عن دوانه وعلم انى صاحب النظر واصطبحت بخمرة
الانشاء فى رياض الوصف فأتيت بما أشار اليه بأصبعه زهر المنثور * وطرقت
بابه ففتح على ودخلت من غير دستور * وأتحفت الاسماع من الهدايا بكل هدية
صالحة لطيفة * وجلبت من معادن الأدب فى وصف الجواهر ما لو سمعه صاحب
العقد نسى نظامه وتأليفه * وسننت الفكر فى وصف السلاح فجرت الحد وكنت
فارس الكلام * وتغزلت فى حواجب القسى واصداغ السيوف وقامات
الخطى واهداب السهام * ووصفت الكتب وأبوابها بكل قرينة صالحة
وأسكنتها فى أجمل بيت * وأتيت فى وصفها بما لو ناظره الغير لغلقت الابواب وقالت
هيت * وركضت بشدة الحزم الى وصف الخيل فلم الحق فى ذلك المضمار * وأتيت
فى وصف الدواب بما لم يقع عليه حافر ولا يلحق له غبار * وقنصت فى وصف
المصائد ظباء البديع فانفرت * وحشرت وصف الوحوش فى حضائرها وناهيك
اذا الوحوش حشرت * وصدحت فى وصف الحمائم بما هيج البلابل حين علا
أوراقه * وأصبح طائر قلب الضد واقعا دونه ولو طار نحوه بطاقه * وأطلت فى وصف
القصور فأتيت بكل بيت لم يكن له فى علو طباقه مطابق * وأتيت فى وصف
الحصون المنيعة بما عوذته بالسماء ذات البروج من الطارق * وشوقت الى الاوطان

فأتيت في وصف علائم المنازل بأبيات * اذا رآها المشوق الى أوطانه قال هي المنازل لي فيها علامات * ودخلت الى الجنة ففزت بأوصاف تركت الاعداء في نار الحسد يتقلبون * وتلى عليهم لا يستوي أصحاب النار وأصحاب الجنة أصحاب الجنة هم الفائزون * واستوعبت هذه الاوصاف التي بعد مرامها وأمست عينا يشرب بها المقربون وهنا يحسن الالتفات فنقول والله المستعان على ما تصفون * وهذا أوان ايراد الابواب المذكوره * وشرح المحاسن المأثوره * وبالله التوفيق والاعانة * في لطف الانابة وحسن الابانة * لارب غيره ولا خير الا خيره وهو حسبنا ونعم الوكيل (الباب الاول) في تخير المكان المتخذ للبنيان (الثاني) في أحكام وضعه وسعة بنائه و بقاء الشرف والذكر ببقائه (الثالث) في اختيار الجار والصبر على أذاه وحسن الجوار (الرابع) في الباب (الخامس) في ذم الحجاب (السادس) في الخدم والدهاليز (السابع) في البركة والفوارة والدواليب وما فيهن من كلام وجيز (الثامن) في البادهنج وترتيبه (التاسع) في النسيم ولطافة هبوبه (العاشر) في الفرش والمساند والأرائك (الحادي عشر) في الاراييح اللذيذة والمروحة وما شاكل ذلك (الثاني عشر) في الطيور المسموعة (الثالث عشر) في الشطرنج والنرد وما فيهما من محاسن مجموعه (الرابع عشر) في الشمعة والفانوس (الخامس عشر) في الخضرات والرياحين (السادس عشر) في الروضات والبساتين (السابع عشر) في آنية الراح (الثامن عشر) فيما يستجلب بها من الافراح (التاسع عشر) في الصاحب والنديم (العشرون) في مسامرة أهل النعيم (الحادي والعشرون) في الشعراء المجيدين (الثاني والعشرون) في الحذاق المطربين (الثالث والعشرون) في الغلمان الحسان (الرابع والعشرون) في الجواري ذوات الالحان (الخامس والعشرون) في الباه (السادس والعشرون) في الحمام وما عزاه عزاه (السابع والعشرون) في النار والطباخ والقدور (الثامن والعشرون) في الاسماك واللحوم والجزور (التاسع والعشرون) في السفرة والبقول (الثلاثون) في الخوان والمائدة وما فيهما من كلام مقبول (الحادي والثلاثون) في الوكيرة والاطعمة المشتهاه (الثاني والثلاثون) في الماء وما جرى مجراه (الثالث والثلاثون) في الحلوى والمشروب (الرابع والثلاثون) في بيت الخلا المطلوب (الخامس والثلاثون) في نبلاء الاطباء (السادس والثلاثون)

فى الحساب والوزراء (السابع والثلاثون) فى كتاب الانشاء وهو فصلان (الثامن والثلاثون) فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان (التاسع والثلاثون) فى خواص الاحجار وكائنها فى المعادن (الاربعون) فى خزائن السلاح والمكائن (الحادى والاربعون) فى الكتب وجمعها (الثانى والاربعون) فى الخيل والدواب ونفعها (الثالث والاربعون) فى مصائد الملوك الجليلة المقدار (الرابع والاربعون) فى حضائر الوحوش المتخذة لنزهة الابصار (الخامس والاربعون) فى الاسد والزرافة والفيل (السادس والاربعون) فى الحمام وما فيه من قيل (السابع والاربعون) فى الحصون والقصور والآثار (الثامن والاربعون) فى الحنين الى الاوطان وما فيه من رائق الاشعار (التاسع والاربعون) فى دار سكنت بها كثيرة الحشرات (الخمسون) فى جنات النعيم وما فيها من غرفات و بتمامه تمت الابواب

(والمقصود) من الواقف على كتابنا هذا الاقصار عن تتبع خطائنا والصفح عما يقف عليه عن اغفالنا والتجاوز عما ينتهى اليه من اهمالنا وان أداه التصفح الى صواب نشره والى خطاء ستره فقد كان يقال من ألف كتابا فقد استشرف فان أصاب فقد استهدف وان أخطأ فقد استقذف وكان يقال لايزال الرجل فى فسحة من عقله مالم يقل شعرا أو يضع كتابا وكان يقال اختيار الرجل وافد عقله ويقال دل على عاقل اختياره وقيل لبعض العلماء اختيار الرجل قطعة من عقله قال بل مبلغ عقله وقال الخليل بن أحمد لايحسن الاختيار الا من يعلم مايحتاج اليه من الكلام وقال الشعبى العلم كثير والعمر قليل فخذوا من العلم أرواحه يعنى عيونه ودعوا ظروفه وقال ابن عباس رضى الله عنه العلم أكثر من ان يحصر فخذوا من كل شئ أحسنه ونحن نستعين الله على كل حاسد ولله در القائل

لمن أبوح بشعرى حين أنظمه * أم من أخص بمن فيه من الزبد
اما جهول فلا يدرى مواقعه * أو فاضل فهو لايخلو من الحسد

على ان الانصاف من شيم الاشراف وهذا أوان الشروع فى ايراد ما قصدناه والامر الذى نحوناه وبالله المستعان

(الباب الاول فى تخير المكان المتخذ للبنيان)

قال ارسطا ليس أول الصناعات الضرورية الصيد ثم البناء ثم الفلاحة وذلك لوان رجلا سقط فى فلاة لا أنيس بها ولا زرع لم يكن همه الا حفظ قوام نفسه بالغذاء فليس يفكر الا فيما يصيده فاذا اصادوا اغتذا فليس يفكر بعد ذلك الا فيما يسكن فيه وهو البناء فاذا تم له ذلك فكر حينئذ فيما يزرعه ويغرسه وقال ابراهيم بن اسحق المصعبي بناء الملوك العمارة ولا يحسن بهم التجارة وقال ابن كلدة جميع خصال الدار المستحسنة ان تكون على طريق نافذ وماؤها يخرج منها وليس عليها مشترف وحدودها لها وتكون بين الماء والسوق ويصلح فناؤها لحط الرحال وبل الطين ووقوف الدواب وان كان لها بابان فذلك أمثل وينبغى ان يكون أيضا فى طرف البلد لان الاطراف منازل الاشراف وقال البحترى توفى سنة أربع وثمانين ومائتين

عجب الناس لاعتزالى وفى الاطـ ـراف تلفى منازل الاشراف
وقعودى عن التلفت والار * ض لمثلى رحيبة الاكناف
ليس عن ثروة بلغت مداها * غير انى امرؤ كفانى كفافى

(قيل) وانما كانت الاطراف منازل الاشراف لانهم يتناولون ما يريدونه بالقدرة ويصل اليهم من يريدهم بالحاجة اليهم وقيل لرجل فى اى موضع من القرآن الاطراف منازل الاشراف فقال قوله تعالى وجاء من أقصى المدينة رجل يسعى قال ياقوم اتبعوا المرسلين فهنا أشرفهم وكان ينزل أقصى المدينة وقيل ليس فى الارض بخيل ولا جواد اذا ابتاع دارا الابنى فيها شيأ وهدم شيأ وان قل لان حاجته ومنافعه ومرافق المالك الاول لا يستويان قال الجاحظ رأيت بخلاء فى نهاية البخل يسرفون فى الانفاق على البنيان وقال الحكماء لذة الطعام والشراب ساعة ولذة النوم يوم ولذة المرأة شهر ولذة البنيان دهر كلما نظرت اليه تجددت لذته فى قلبك وحسنه فى عينك وقال ناصر بنى أمية فى مبانيه العظيمة بمدينة الزهراء بالاندلس

همم الملوك اذا أرادوا ذكرها * من بعدهم فبألسن البنيان
ان البناء اذا تعاظم شأنه * أضحى يدل على عظيم الشان

ولما دخل الرشيد الى منبج قال لعبد الملك بن صالح الهاشمي وكان لسان بنى العباس هذا البلد منزلك فقال يا امير المؤمنين هو لك ولى بك قال كيف منازلك به قال دون منازل أهلى وفوق منازل غيرهم قال كيف صفة مدينتك قال عذبة الماء طيبة الهواء قليلة الادواء قال كيف ليلها قال سحر كله وهى تربة حمراء وسنبلة صفراء وشجرة خضراء وفياف فيح بين قيصوم وشيح فقال الرشيد والله هذا الكلام أحسن منها ولما بنى عيسى بن جعفر قصره بالرصافة دخل اليه عبد الصمد فقال بنيت أجل بناء بأطيب فناء وأوسع فضاء على أحسن بهاء بين صحار وحيتان وضباء فقال كلامك أحسن من بنائها وكان ابن جعفر بن سليمان الهاشمي يقول العراق عين الدنيا والبصرة عين العراق والمربد عين البصرة ودارى عين المربد وقال بعض أهل التجربة اذا ابتنى أحدكم دارا فليترك فى واجهتها ثلمة تقيها شر عين الكمال (قلت) ولا بأس بايراد نبذة مما يتعلق بكرى الدار فمن ذلك ما حكى ان رجلا دخل حجرة يكتريها فقال أين المطبخ فقيل له فى الجيران من يطبخ لك ويكفيك المؤنة قال فأين الخبز فقيل اذا اختمر العجين خبز والك أيضا قال فبيت الخلاء فقيل بالقرب خربة تقضى فيها الحاجة قال فالسطح فقيل على الباب ساحة يطيب فيها النوم فى الصيف قال فأنا فى دار وما أعلم بروحى فاستقر على ما أنا فيه وأربح الاجرة وقال الحكيم بن سعد قال لى مالك بن مرثد يا صف لى معايش أهل البصرة فقلت قوم منهم لهم فضول منازل يكرونها وقوم لهم ارقاء يستعملونها وقوم لهم رؤوس أموال يغدون الى أسواقهم فيأكلون فضولها وقوم لهم نخيل يأكلون ثمارها فقال من كان معاشه من كرى فلئام الناس ومن استعمل الارقاء فكلاب الناس والذين يغدون الى أسواقهم فذئاب الناس ولكن أصحاب النخل وقال بعضهم

قد رضينا من الزمان بقوت ... وثبوت ومسكن لازياده
ورضينا من الاله بما يرضى ومن غيره تركا الاراده
غير انا نروم خاتمة الخير فان يسرت فتلك السعاده

(لطيفة) ذكرها الحريرى فى كتابه الموسوم بتوشيح البيان ان أحمد بن المعذل كان يجد بأخيه عبد الصمد وجدا شديدا على تباين طريقتهما لان أحمد كان

صوّاماقواما وكان عبدالصمدسكيراخميرا وكانا يسكنان داراواحدة ينزل أحمدفي غرفة أعلاها وعبدالصمدأسفلها فدعاعبدالصمد ذات ليلة جماعة من ندمائه وأخذفي القصف واللذات والعزف حتى منعوا أحمدالورد ونغصوا عليه التهجد فاطلع عليهم وقال أفأمن الذين مكروا السيآت ان يخسف الله بهم الارض فرفع عبدالصمدرأسه وقال وما كان الله ليعذبهم وأنت فيهم (قلت) وعلى ذكرالغرفة فالطف ماذكره علاء الدين الوداعي في تذكرته قال رأيت مكتوباعلى غرفة يصعدمنها الى سطح قبة الصخرة المقدسة قوله تعالى أولئك يجزون الغرفة بماصبروا ويلقون فيهاتحية وسلاما فعجبت من اتفاقها وكأني لم أسمعها ورأيت أيضا في طاقة زجاج بقبرطالوت عليه السلام بسفح قاسيون قوله تعالى الله نورالسموات والارض وهذامن عجيب مايكتب على طاقة زجاج (نادرة) كان بعضهم في دار بكرى فقال لصاحبها اعمرلي السقف فانه يفرقع اذامشينا عليه فقال لا بأس عليك فانه يسبح الله فقال أخشى ان تدركه الرقة فيسجد وطلب بعضهم دارالكرى فدلوه على دارفدخل غيرها فوجدواحدا ينيك أمرد فاستحى وقال هل عندكم دار للكرى فقال له ماأحمقك نحن من الضيق بعضنا على بعض (كان) بعض النحويين له مال كثير وليس له سكن يأوى اليه فقيل له ابن بيتا فقال والله لا بنيت مااتفق النحويون على اعرابه ومماقاله (المرحوم القاضي) فتح الدين بن الشهيد الذي كان مولده بالرملة سنة ثمان وعشرين وسبعمائة وقدتوفي مقتولا بالقاهرة سنة ثلاث وتسعين وسبعمائة وكتبه على عمارة له

بنيت على وقف المكارم والعلى * فلاتفتح أبوابي بصدري للضم
سناالملك يبدو في موشح زينتي * ومن أجل ذادارالطرازعلى كمي

ومما كتبه على الرفرف قوله

رفعت كماشاالترفه رفرفا * أزين مبانى بل أزين مباحي
فلابدع ان الناس يهوون بهجتي * ويمشون في ظلي وتحت جناحي

(الباب الثاني في أحكام وضعه وسعة بنائه وبقاء الشرف والذكر ببقائه)

وروى ان عمر بن الخطاب رضى الله عنه لما بلغه ان سعدا وأصحابه بنوا بالمدر كتب أكره لكم البنيان بالمدر فاما اذا فعلتم فعرضوا الحيطان وأطيلوا السمك وقاربوا بين الخشب ولما بنى معاوية داره بدمشق باللبن دخلها وفد الروم فقالوا اما أحسن ما بناها للعصافير فهدمها وبناها بالحجر ورأى بعضهم رجلا قد بنى حائطا بالحجر وهو يبيضه فقال هذا يستر الذهب بالفضة (وحكى) ان يحيى بن خالد كان جالسا للقصص فرفعت اليه قصة متظلم من بعض عماله فقربه وسأله عن ظلامته فقال له ان عاملك فلانا ظلمنى وأخذ مالى واغتصب ضيعتى وهدم شرفى فقال له فهمت جميع ماذكرته الا قولك هدم شرفى فما معناه فقال له أنا من ابناء فارس كانت لى ضيعة وبالقرب منها قصر على الطريق فيه سقاية ينزلها الناس ويسقون منها ويذكرون بانيها ويترحمون عليه فغصبنى الضيعة وهدم القصر فأمر يحيى بالكتب الى العامل ان ترد عليه ضيعته وجميع ما أخذته منه وتبنى القصر حتى ترده على هيئته كما كان وقال لبنيه ابنوا فان الذكر والشرف باقيان ببقاء البنيان وقيل لابى الدهمان أين دارك فقال اذا دخلت سكة بنى العنبر فالدار التى تدل على شرف أهلها دارى وعلى ذكر السؤال عما أحسن ما ذكره ابن رشيق فى الانموذج ان عبد الرحمن بن محمد الفراسى جلس مع بعض شيوخ تونس وكان الشيخ نهاية فى المجون فاجتاز بهم رجل يسأل عن دار ابن عبدون فأقبل الشيخ عليه فقال هى فى تلك الرابعة حيث يقوم ايرك فقال الفراسى لأنظمنه فما رأيت مثل هذا المعنى وأنشد من وقته

ان شئت ان تعرف عن صحة * دارى التى تعزى لعبدونه
فامش فان أيرك أبصرته * قام فان الباب من دونه

وقد عكس الشيخ صلاح الدين الصفدى (ومولده سنة أربع وتسعين وستمائة ووفاته سنة أربع وستين وسبعمائة) هذا المعنى فقال

أقول لمن يسائل عن محلى * تقدم وامش من خلف السوارى
ومر خيثما تلقى حكاكا * بسرمك لاتعد فثم دارى

(رجع) خرج الخطيب الحافظ أبو بكر فى تاريخه قال لما بنى المهدى قصره بالرصافة دخل يطوف فيه ومعه أبو البحترى وهب بن وهب فقال له

هل تروى فى هذا شيأ قال نعم حدثنى جعفر بن محمد عن ابيه ان رسول الله صلى الله عليه وسلم قال خير محونكم ماسافرت فيه أبصاركم وقال المأمون يوما لجلسائه أتدرون من أهنى الناس عيشا فقالوا أمير المؤمنين فقال لا قالوا فأمير المؤمنين أعلم فقال أهنى الناس عيشا رجل له دار قوراء وامرأة حسناء وكفاف من العيش لا يعرفنا ولا نعرفه قال سلمة الاحمر دخلت على الرشيد فى قصره الذى بناه فقلت

أما بيوتك فى الدنيا فواسعة * فليت قبرك بعد الموت يتسع

فجعل يبكى وقيل ان خالد بن الوليد رضى الله عنه شكى الى النبى صلى الله عليه وسلم ضيق مسكنه فقال ارفع البناء وسل الله السعة وقال يحيى بن خالد لابنه جعفر وقد هم ببناء دار استوسع فان الهمة فى السعة سئل بعضهم ما الغنى فقال سعة البيوت ودوام القوت وقال بعضهم طيب المساكن بثلاثة سعة الصحن وتوير الماء وشئ من الخضرة (يحيى بن خالد) الدنيا ثمانية الطعام الطيب والماء البارد والثوب اللين والفراش الوطى والدار الواسعة والمرأة الموافقة والخادم الفاره والقدرة على الاخوان بالاحسان وكان يقال جنة الرجل داره وذكر الاحنف الدور فقال ليكن أول ما يشترى وآخر ما يباع وقال يحيى ابن خالد لابنه جعفر دارك قميصك فوسعه كيف شئت وقيل لبعضهم ما السرور فقال دار قوراء وامرأة حسناء وفرس مرتبط بالفناء وينشد

ومن المروة للفتى * ماعاش دار فاخره
فاقنع من الدنيا بها * واعمل لدار الآخره

(وكان يقال) دار الرجل عيشه قال السلامى فى كتابه تحف العرف الدور للناس كالاعشة للطير والاوجرة للوحش والجحرة للحشرات فدار الرجل جمال نفسه وموضع أمنه ومسكن قلبه ومجمع أهله ومحرز ملكه ومأنس ضيفه وملتقى صديقه وعدوه ولا شئ أصعب على الناس من الخروج من ديارهم وقد قرن الله سبحانه وتعالى الخروج منها بالقتل حيث قال ولو انا كتبنا عليهم أن اقتلوا أنفسكم أو اخرجوا من دياركم ما فعلوه الا قليل منهم وقال بعض الاشراف لابنه يا بنى احسن أثرك فى هذه الدنيا بالبناء الحسن واسمع قول الشاعر

ليس الفتى بالذى لا يستضاء به * ولا يكون له فى الارض آثار

ولا تنس قول الآخر

ان آثارنا تدل علينا * فانظروا بعدنا الى الآثار

ومن أحسن ما قيل فى بناء الملوك قول على بن الجهم المتوفى سنة تسع وأربعين ومائتين

ومازلت أسمع ان الملو * ك تبنى على قدر اخطارها
فلما رأيت بناء الاما * م رأيت الخلافة فى دارها

حكى ان أبا العيناء دخل على المتوكل فى قصره فقال له كيف ترى دارنا هذه فقال الناس بنوا دورهم فى الدنيا وأنت بنيت الدنيا فى دارك أخذه اليزيدى فقال

لما بنا الناس فى دنياك دورهم * بنيت فى دارك الغراء دنياها
فلو رضيت مكان البسط أعيننا * لم يبق عين لقا الا افترشناها

(الباب الثالث فى اختيار الجار والصبر على أذاه وحسن الجوار)

وقيل الجار قبل الدار والرفيق قبل الطريق وقيل لبعضهم أين مثلك فى القرآن الجار قبل الدار فقال قوله تعالى رب ابن لى عندك بيتا فى الجنة وقال صلى الله عليه وسلم من اشراط الساعة سوء الجار نعوذ بالله من ثلاث هن الفواقر امام السوء ان أحسنت لم يشكر وان أسأت لم يغفر ومن جار السوء ان رأى حسنا ستره وان رأى قبيحا أذاعه ومن سوء امرأة ان غبت عنها خانتك وان دخلت عليها لسنتك (حكى) أبو السعادات بن الشجرى (مولده سنة خمسين وأربعمائة ووفاته سنة اثنين وأربعين وخمسمائة) فى شرح الحماسة ان العباس بن الفرج الرياشى قال وفد زياد الاعجم على حبيب بن المهلب وهو بخراسان فبينما هما يشربان ذات عشية اذ سمع زياد صوت حمامة تغنى على شجرة فى دار حبيب فقال

تغنى أنت فى ذممى وعهدى * بأن لا يذعروك ولا تضارى
اذا غنيتنى وشربت كأسا * ذكرت أحبتى وذكرت دارى
وأما يقتلوك طلبت ثارا * لانك فى حماى وفى جوارى

فاخذ حبيب سهما فرماها فأنفذها فقال زياد قتلت جاري بيني وبينك المهلب فاختصما اليه فقال المهلب أبو امامة لا يروع جاره وقد ألزمتك العقل ألف دينار فدفعها اليه من يومه ولما بنى كسرى ايوانه كانت بجواره دويرة لعجوز لا يكمل تربيع الايوان الا بها فدفع لها جملة من المال فقالت لا أبيع جوار الملك علشها ذهبا ولا اخرج عن جواره طائعة فان غصبني اياها فهو قادر على ذلك فأعلم كسرى بذلك فقال تترك ويبنى الايوان فقيل لا يجيء مستحكم التربيع فقال بني على ما اتفق وكان فيه عوج فكان بعد ذلك يقال له ما أحسن بناء هذا الايوان لولا هذا العوج فيقول بهذا العوج تم حسنه (قلت) وعلى ذكر الايوان ما أحسن ما أنشدني من لفظه لنفسه أجازه الشيخ عز الدين على ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلي رحمه الله تعالى أحجية كتب بها الى القاضي صلاح الدين الصفدي تغمده الله بالرحمة

يا من له الطول في المعالي * وبالمعاني لنا يبصر
اني كما قات في سؤالي * ما مثل قولي نعم مقصر

(رجع) وكان لابن المقفع بجنب داره دار وكان يستامها من صاحبها وهو يمتنع من بيعها فاتفق انه ركبه دين فاحتاج الى بيعها فعرضت عليه فسأل عن سبب بيعه اياها بعد غبطته بها فأخبره بقصته فقال ما قمت اذا بحرمة الجار ان اشتريتها وقد باعها معدما فحمل اليه ثمن الدار وقال بق دارك عليك بارك الله لك فيها وردّ هذا في دينك وقال الاصمعي رأى بعضهم عدي بن حاتم الطائي يفت للنمل خبزا بفناء داره فقال له يا أبا طريف ما تصنع فقال جارات ولهن حرمة قلت وعلى ذكر حاتم الطائي ذكرت ما أنشدنيه سيدي الجناب المجدي فضل الله بن المرحوم الصاحب الفاضل فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس سلمه الله تعالى قال أنشدني والدي من لفظه قال أنشدني صاحبنا الشيخ شمس الدين الواسطي (توفي المذكور قريبا من سنة ثمانين وسبعمائه) لنفسه مواليا

مامت حتى جفاني كل من في الحيّ * وملني وقلاني كل من لو شيّ
وأنت ما في العجم والعرب مثلك حيّ * يا من طري بالمكارم ذكر حاتم طيّ

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس من قصيدة (وتوفي تغمده الله بالرحمة سنة أربع وتسعين وسبعمائة) وذلك

بمنزله بقنطرة قداذار بتاريخ عاشر صفر من شهور عام ثلاث وتسعين وسبعمائة

وكم طربت لما أبدته من ملح * يصبو له كل ذى عقل وآراء
وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى * فكنت فى كل حال منهما الطائى

(رجع) الى ما كنا بصدده وقال محمد بن عبد الرحمن الزهرى كانت بينى وبين أبى العباس ثعلب مودة أكيدة وكنت أستشيره فى أمورى فجئت يوما أشاوره فى الانتقال من دار الى أخرى لتأذى بها بالجوار فقال يا أبا محمد العرب تقول صبرك على أذى من تعرفه خير لك من استحداث مالا تعرفه (من غريب الاتفاق) ان بشار بن برد كان قد حلف انه لا يجاور حماد عجرد ولا يظله واياه سقف بيت ولا مسجد وانه يهجوه بألف قصيدة فاتفق ان مات حماد فى قرية من سواد البصرة وعرضت لبشار هناك حاجة فمات فيها ودفن الى جانب حماد عجرد (وقريب) من هذه الحكاية ما حكى ان روحا بن حاتم بن قبيصة بن المهلب كان واليا على السند وأخوه يزيد واليا على أفريقية فتوفى بها فى سنة سبعين ومائة بالقيروان فقال أهل المدينة أدنى أفريقية ما أبعد ما يكون بين قبرى هذين الاخوين فان أخاه بالسند وهذا هنا فاتفق ان الرشيد عزل روحا عن السند وسيره الى موضع أخيه يزيد فدخل الى أفريقية فلم يزل واليها الى ان مات ودفن مع أخيه فى قبر واحد فعجب الناس من غريب هذا الاتفاق (عود) وكان لأبى حنيفة جار اسكاف بالكوفة يعمل نهاره أجمع فاذا جن الليل رجع الى منزله بلحم أو سمك فيطبخ اللحم أو يشوى السمك فاذا دب فيه السكر أنشد

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فلا يزال يشرب ويردد البيت الى ان يغلبه السكر وينام وكان أبو حنيفة يصلى الليل كله ويسمع جلبته وانشاده ففقد صوته ليال فسأل عنه فقيل أخذه العسس منذ ثلاثة أيام وهو محبوس فصلى صلاة الفجر وركب بغلته ومشى واستأذن على الامير فقال ائذنوا له وأقبلوا به راكبا حتى يطأ البساط ففعل ذلك به فوسع له الامير فى مجلسه وقال له ما حاجتك فقال لى جار اسكاف أخذه العسس منذ ثلاث ليال فتأمر بتخليته فقال نعم وكل من أخذ تلك الليلة الى يومنا هذا ثم أمر بتخليته وتخليتهم أجمعين فركب أبو حنيفة رحمه الله تعالى وتبعه جاره الاسكاف فلما وصل الى داره قال له أبو حنيفة أترانا أضعناك قال لا بل حفظت

ورعيت جزاك الله خيرا عن محبة الجوار ورعاية الحق ولله على ان لا أشرب خمرا أبدا فتاب ولم يعد الى ما كان عليه (قلت) وقد ضمن هذا البيت الشيخ برهان الدين القيراطى تضمينا حسنا (ومولده سنة ست وعشرين وسبعمائة ووفاته سنة احدى وثمانين وسبعمائة)

فقال دعانى منيتى لكريهة راح * ورشف الثغر منه عقيب سكر

فقلت له دعوت فتى يرجى * ليوم كريهة وسداد ثغر

(ونقلت) من المستجاد فى فعلات الاجواد عرض محمد بن الجهم داره بخمسين ألف درهم فلما حضروا ليشتروا قال بكم تشترون جوار سعيد بن العاص وكان بجواره فقالوا وان الجوار ليباع فقال وكيف لا يباع و يفرد بثمن وهو جوار من اذا سألته أعطاك وان سكت ابتداك وان أسأت أحسن فبلغ ذلك سعيدا فوجه اليه بمائة ألف درهم وقال امسك عليك دارك وعلى ذكر الجار فما أحسن قول الشيخ جمال الدين بن نباتة (ومولده سنة ست وثمانين وستمائة ووفاته سنة ثمان وستين وسبعمائة)

بروحى جيرة أبقوا دموعى * وقد رحلوا بقلبى واصطبارى

كأنا للمجاورة اقتسمنا * فقلبى جارهم والدمع جارى

وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب (ومولده سنة ست عشرة وسبعمائة ووفاته سنة ثمان وثمانين وسبعمائة) وقد انتقل النيل السعيد من بر مصر الى البر الغربى شط الجيزة

يا أيها السلطان ان النيل عن * مصرنا قل بعد طول جوار

فاحفظ لنا جريانه وجواره * فالله قد أوصى بحفظ الجار

وأنشدنى سيدى وأخى الجناب المجدى فضل الله بن مكانس أبقاه الله تعالى من موشحة لنفسه

أجريت ما بين دموعى الغزار * مثل البحار * ولم يدع لى طول دهرى قرار
هجر حبيبى وهو منى قريب * مع الرقيب * قد صيرانى بين قومى غريب
دأبى النحيب * فآه من جورك ياذا الحبيب * على الكئيب
وما احتيالى فى قرب الديار * ونائى المزار * هو على الحالين يا قلب جار

(رجع) الى ما كنا فيه كان ابو سفيان اذا نزل به جار قال له ياهذا انك قد اخترتنى

جارا واشترت داري دارا فبناية يدك على دونك وان جنيت عليك يدفاحتكم حكم الصبي على أهله (وذكر ابن الجوزى) فى كتاب الاذكيا قال رجل يارسول الله ان لى جارا يؤذينى قال انطلق وأخرج متاعك الى الطريق فانطلق فأخرج متاعه فاجتمع الناس اليه فقالوا ماشأنك قال لى جار يؤذينى فجعلوا يقولون اللهم العنه اللهم اخزه اللهم اخرجه فبلغه ذلك فأتاه فقال ارجع الى بيتك فوالله لا أوذيك بعدها وهذه من الحيل التى أباحها الشرع الحديث رواه الامام أحمد فى مسنده (وورد) ان أبا مسلم الخراسانى صاحب الدعوة عرض عليه فرس سابق فقال لاصحابه لما يصلح هذا الفرس فقالوا اليوم الحرب فقال كلا ولكن ليهرب عليه من جار السوء وروى عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال ثلاث كنّ فى الجاهلية الاسلام أولى بها كان الرجل منهم اذا نزل به ضيف سعى له أهل البيت كبيرهم وصغيرهم حتى ينقلب وهو راض وكان الرجل منهم اذا طال ثواء امرأته معه كره طلاقها الثلاثة لئلا تذل بعده وكان الرجل اذا جنى جاره جريمة باع فيها ولو ولده حتى ينقذ جاره

(الباب الرابع فى الباب)

الباب يجمع على أبواب وقد قالوا فيه أبوبة للازدواج وقيل أبواب مبوّبة كما قيل أصناف مصنفة ولبعضهم فيما يكتب عليه

لذ بذا الباب كلما * خفت ضيق المناهج
فهو باب مجرب * لقضاء الحوائج

وأنشد الاصمعى فى أبيات المعانى قول بعض العرب

وذى رجلين لا يمشى عليها * ولكن فى القيام له صلاح
فندفعه اذا احتجنا اليه * ونجذبه اذا حان الرواح

(وقال الحاجرى) فى باب بمصراعين (توفى المذكور سنة ثمان وثمانين وثلثمائة)

عجبت لمحرومين من كل لذة * يبيتان طول الليل يعتنقان
اذا أمسيا كانا على الناس مرصدا * وعند طلوع الفجر يفترقان

وقال الشيخ شمس الدين بن دانيال (توفى سنة عشر وسبعمائة)

قيل للوزير محمد بن محمد * يامن هو المسك الذكى لمن درج
أنت الذى دار السعادة داره * طول الزمان وبابه باب الفرج

وقال الشيخ (جمال الدين) بن نباتة

بشر أمير المعالى باتصال هنا * يحفه السعد من أقصى جوانبه
واكتب على بابه الغربى معتمدا * عز يدوم واقبال لصاحبه

وقال

أيا دار دار اليمن من كل وجهة * عليك ولازال الهنا لك يجلب
ولاعدم القصاد بابك انه * لنجح الرجا باب صحيح مجرب

(قلت) قوله صحيح على غير طائل وصاحب الذوق السليم يشهد والمعنى بة

(وقال)

يازائرى قاضى القضاة لينكم * ماصح التجريب من أبوابه
أقسمت ماالمجد المكرم للغنى * الا الذى تغشون من أعتابه

وقال ياما لكا تقصر عن وصفه * بدائع الشاعر والكاتب
فى بابك العلم وفيض الندى * فلا خلا بابك من طالب

وقال (ناصر الدين) ابن النقيب فى المجون (توفى سنة سبع وثمانين وستمائة)

قال لى الخارج صف لى * مثل ما أعرف وصفك
أين باب الخرق قل لى * قلت باب الخرق خلفك

وعلى ذكر باب الخرق فلا بأس بايراد نبذة مما قيل فى باب زويلة فمن ذلك قو
ابراهيم المعمار (توفى سنة تسع وأربعين وسبعمائة)

زويلة بابك هذا سفيه * يشرب ماء الحرج هرا بفيه
ولم يزل يألف سفك الدما * وكل ما يقطعه الشرع فيه

وله فيه

حاذر زويلة ان مررت ببابها * وطعامها كن آيسا من خيره
فوسط القتلا يقول به انظروا * من لم يمت بالسيف مات بغيره

وقال شهاب الدين بن أبى حجلة (مولده سنة خمس وعشرين وسبعمائة ووفا
سنة ست وسبعين وسبعمائة)

اذا وعدت حراميا بسفك دما * فى الحال علق من وعدى بعرقوب

وقال الشيخ شمس الدين الضفدع فيما يكتب على الباب (مولده سنة ثلاث وتسعين وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وسبعمائة)

من ذا الذى ينكر فضلى وقد * فزت من الحسن بمعنى غريب
عندى لمن يخذله دهره * نصر من الله وفتح قريب

وقال ابراهيم المعمار

يامن بباب علاه * العيش للناس طابا
أرسلت مدحى غلاما * اليك يخدم بابا

وما أطرف قول من قال وان كان غير ما نحن فيه لاتحسبه لك وحدك ان كنت راقدا تنبه كما فتحت الطاقة غيرك يسد الباب وقال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فيه (مولده سنة عشرين وستمائة ووفاته سنة اثنين وتسعين وستمائة)

أى شئ تراه فى الدور والكتب مجازا هذا وذاك محقق
يحفظ المال والحريم ولولاه حفيظا لكان ذلك يسرق
هو زوج وتارة هو فرد * وهو فى أكثر الاحايين يطرق
وطليق فى نشأتيه ولكن * بحديد من بعد ذلك يوثق
وثلاثا تراه فى الخط لكن * هو اثنان كله ان يفرق
وتراه للحشو ينسب حينا * وهو مع ذاك لايرى يتزندق
وهو فى القلب يستوى وتراه * بان تصحيفه لمن يترمق
فأجبنى عنه بقيت مطاعا * لست فى حلبة الفضائل تسبق

(كتب) الشيخ شرف الدين عبد العزيز الحموى المعروف بشيخ الشيوخ الى والده ملغزا (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة احدى وستين وستمائة)

ماواقف فى المخرج * يذهب طورا ويجى
لست تخاف شره * مالم يكن بمرتج

فكتب اليه والده الجواب ذهاب ومجىء ونخوف وهذا باب خصومة والسلام (وكتب) الاديب نصر الدين الحمامى الى السراج الوراق وكان السراج يسكن

بالروضة (مولده سنة خمس وعشرة وستمائة وتوفى سنة خمس وتسعين وستمائة)

كم قد أردد للباب الكريم لكى * أبل شوقى وأحيى ميت أشعارى
وأنثنى خائبا فيما أؤمله * وأنت فى روضة والقلب فى نار

فكتب الجواب اليه

الآن نزهتنى فى روضة عبقت * أنفاسها بين أزهار وأثمار
أسكرتنى بشذاها فانثنيت بها * وكل بيت أراه بيت خمار
ولا تغالط فن فيناالمزاج ومن * أولى بأن قال ان القلب فى نار

(وقال) الصاحب جمال الدين بن مطروح من قصيدة يمدح بها الملك الاشرف مظفر الدين موسى (ولد ابن مطروح سنة اثنين وتسعين وخمسمائة وتوفى سنة تسع وأربعين وستمائة)

ما كان أشوقنى للثم بنانه * ولقد ظفرت بلثمها فليهننى
ودخلت من أبوابه فى جنة * ياليت قومى يعلمون بأننى

(وقال) علاء الدين الوداعى (مولده سنة أربعين وستمائة وتوفى سنة ست عشرة وسبعمائة)

من أم بابك لم تبرح جوارحه * تروى أحاديث ما أوليت من منن
فالعين عن قرة والكف عن صلة * والقلب عن جابر والسمع عن حسن

(قلت) أما قرة فهو قرة بن خالد السدوسى وهو ثقة روى عن الحسن وابن سيرين وليس بتابعى وأما صلة فهو صلة بن أشيم العدوى كان من عباد التابعين وهو زوج معاذة العدوية وهى تروى عن عائشة رضى الله عنها وأما جابر فهو جابر بن عبد الله كان صاحب رسول الله صلى الله عليه وسلم وليس هو جابر الجعفى لان جابر الجعفى ضعيف وهو تابعى وانما ضعفوه لانه كان يؤمن بالرجعة وأما حسن فهو حسن البصرى كان تابعيا كبيرا رأى من أصحاب النبى صلى الله عليه وسلم نحو ثلثمائة رجل ولقد أجاد علاء الدين فى استعمال هؤلاء الرجال فى أوصاف الممدوح ودل على جودة اطلاعه على أسماء رجال الحديث رحمه الله تعالى وأنشدنى سيدى وأخى تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى سلمه الله تعالى لنفسه الكريمة اجازة من قصيدة

قصدت باب الحبيب والرقبا * على من خيفة القلاصقة

قالوا فما تبتغى فقلت لهم * حتى تخاصت أبتغى صدقه

والشئ يذكر بلوازمه ما ألطف وأبلغ ماذكره ذوالوزارتين لسان الدين بن الخطيب الاندلسى فى ترجمة شهاب الدين بن رضوان الغرناطى أبوجعفر فى تاريخه بالاحاطة (وذكران وفاته سنة ثلاث وستين وسبعمائة)

يامن احتار فؤادى مسكنا * بابه العين التى ترمقه

فتح الباب سهادى بعدكم * فابعثوا طيفكم يغلقه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة نثرا أى والله تخلى الشباب وخدآب الذهن اللهاب وخلا الفكر الحائم من صوب والفهم الخادم من صواب واقصر عن نظمه ونثره من كانت له فى الانشاء نشأة وكانت له فى الشعر أسباب وغض بصر القريحه وتقاص ذيلها فما يرفع لها ولا تجر اهداب واختبي لسان المنشئ المنشد عجزا واغلق عليه من شفتيه مصراعى الباب وقال القاضى الفاضل نثرا (مولده سنة أربع وعشرين وخمسمائة ووفاته سنة ست وتسعين وخمسمائة) لازالت الملوك ببابه وقوفا والاقدار له سيوفا والخلق له فى دار الدنيا ضيوفا ودين دين الحق تعلمه الناس انه اذا جردته قاضبه سيوفا سيوفى ومن نثره كل لفظة موصولة بأنه وفى كل قلب من حزنه نار وفى كل دار من فضله جنة فروح الله تلك الروح وفتح لها أبواب الجنة فهى آخر ماترجوه من الفتوح من رسالة كتبها المرحوم العلامة فتح الدين بن الشهيد الى بعض أصحابه وقد طرق عليه الباب فوجده مقفلا فما هو الا ان قبلت العتبة فأعتبت وتأدت فريضة الخدمة لما وقفت وتأدبت وأطلت قرع حلقة الباب فقال الصدى ضربت فى حديد بارد وجئت وقد استقل ركاب المسود والسائد فاذكر حاجتك أبلغ عنك ماتقول وأسبق يرجع الجواب اليك الرسول قلت عجب براهم بالقلب ان عاقب الحوايج والجوانح ورحت وقلت ان جئت بجواب فسل عن سايح بن رايح وعدت أمشى بخفى حنين

وأصغى الى صوت الصدى عند ذكركم * فأطرب للمغنى وأهتف بالدار

وأسعى بها دارا على مروة الصفا * أطوف بها سبعا ولم أقض أوطارى

وماذا يفى التطواف فى دارة الحمى * اذا لم يكن فى دارة الحى أقمارى

وترددت حتى كادت دموعى للطرق بالعقيق تروى وعبرت أنفاسى النار فى الدار

وصاحت الحريق (وللقاضي الفاضل) يصف الستائر من قصيدة أولها

يا طالب الجود يمم كعبة الكرم * وقل سلام لها عن كعبة الحرم
كأن استاره روض سمحت له * سماء بشرك هذا المخرق الشيم
غيم يزر على شمس وفي يده * غمامة لقيته كاشف الغمم
سحب تعود منه فيض انمله * والسحب ان سيرت دلت على الديم
لولم تكن سحبا ما كان ذيلها * برقا يشام اذا ما البرق لم يشم
بيض كعرضك في طول كطولك في * لمع كنشرك في سلك حكى كلم
فكنت كالشمس في ثوب النهار بها * لا كالبدور بأثواب من الظلم
أظهرت عدلك فيها فهي معجزة * فالاسد ما وثبت والريم لم يرم
فرب سانحة فيه وسارحة * فاعجب اضدين في حرمن الكرم
تهم بالصيد آمالي اذا نظرت * فيها فاذكر منع الصيد في الحرم
كأن أحداقنا ترعى الحدائق من * جنات عدن وعدل دائم قدم
أقاح روض كأن الورد فروزه * فيا لجريه ما كف بالضرم
والطير في شجرات الرقم عاكفة * وندت عنهن في التغريد بالنغم
ان لم يكن ثمرفيها ففي يده * ثمار جود زهت في روضة الشيم
يود ما مثلوه فيه من صور * لو انها استخدمت في جملة الخدم
تلك الستور عجاج والنجوم لها * عرى وايدي الظبا فروزتها بدم
أظن بابك خدا غرت من قبل * عليه حتى منعت اللثم باللثم
اذا رأيت بها الاعلام مشرقة * رأيت أشهر من نار على علم
مثل السراب ووقت القيظ بيضها * لكن وردت بعيني حين هم في

(وللولي السيد) شمس الدين القاسم ابن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي ونقلته من خط الوداعي

ومشعل قام في خشوع * كراهب شق عنه جيبا
قد فني الجسم منه سقما * واشتعل الرأس منه شيبا

(وورد) على سيدنا ومولانا المرحوم القاضي أمين الدين محمد الانصاري (المتوفى أواخر سنة ثمان مائة وأخبرني ان مولده سنة احدى وخمسين وسبعمائة) صاحب ديوان الانشاء الشريفة بالشام المحروسة كتاب من سيدنا ومولانا أوحد العصر

القاضى بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى (الذى مولده فى سنة ثلاث وستين وسبعمائة) أنفذ الله أحكامه وذلك من مكة المشرفة بتاريخ التاسع والعشرين من شهر الله المحرم سنة احدى وثمانمائة جاء منه وينهى انه سطرها بمنى وقد سالت باعناق البدن الاباطح ووقفت الجزر تؤمل سعد الاخبية فما طلع لها غير سعد الذابح وقد برد الصدر المحرور برمى الجمار وقرت العيون برؤية تلك الآثار وقرع المملوك باب الرحمة عند وصوله الى البيت الشريف وقال للزمن تنكر ما شئت فقد حصل التعريف (وذكر صاحب المباهج) ان ستر ايوان كسرى أحرق لما ملك المسلمون المدائن فأخرج منه ألف ألف مثقال ذهبا وقيل مائة ألف مثقال (وطرق) رجل على عمرو بن عبيد الباب فقال من هذا فقال انا قال لست أعرف أحدا من اخواننا اسمه أنا وأخرج البخارى من طريق جابر رضى الله عنه قال استأذنت على النبىّ صلى الله عليه وسلم فقال من هذا فقلت أنا فقال أنا أنا كأنه كرهه (وأنشدنى الشيخ) شمس الدين الجرائحى لنفسه فيما يكتب على ستر

أنا الستر المجمل بالسنا والعز والنصر
فالذى ان تجد ضيما * وقل يا مجمل الستر

(الباب الخامس فى ذم الحجاب)

(خالد بن عبد الله القسرى) كان يقول لحاجبه اذا جلست فلا تحجبن على أحد فانما الوالى يحتجب لثلاث شر يكره ان يطلع عليه غيره أو ريبة يخاف انتشارها أو بخل يكره معه ان يسأل شيأ ووقف رجل على باب أبى دلف فأقام به حينا لا يصل به فتلطف فى رقعة أوصلها اليه وكتب فيها

اذا كان الكريم له حجاب * فما فضل الكريم على اللئيم

فأجابه

اذا كان الكريم قليل مال * ولم يعذر تعلل بالحجاب
وأبواب الملوك محجبات * ولا تستكثرن حجاب باب

(وقال علاء الدين) الوداعى يعتذر الى بعض أصحابه

[illegible]

فأنت قلبي ولا عجيب * اذا غدا القلب في حجاب

(وقال) زين الدين بن الوردي (توفي سنة خمسين وسبعمائة) يلوم نفسه على زيارة أقوام

مذ زرتهم محبة وودا * ألفيتهم مغلقين بابا
سعي الى بابهم جنون * مني فاستأهل الحجابا

(وقال بعض الحكماء) لبعض الملوك لا تمكن الناس من كثرة رؤيتهم لك فان ابرأ الناس على الاسد أكثرهم له رؤية وقال آخر كثرة الاذن مجلبة الابتذال وهيبة الملوك في الاحتجاب وكان يقال المبذول مملوك والممنوع متبوع ولله در ابن المعتز وما أحسن قوله

كما يخلق الثوب الجديد ابتذاله * كذا تخلق المرء العيون اللوامح

(وقيل) لبعض الحجاب متى تفرغ ولا يتك فقال متى حضر طعام مخدومي وأين هذا من قول القائل

جزت على باب صديق لنا * وبابه من دونه مقفل
وحول تلك الدار غلمانه * قد أحدقوا بالباب واستكملوا
فقلت ما يصنع مولاكم * قالوا سمعنا انه يأكل
قلت فما يفتح مولاكم * قالوا بلى رأس الذي يدخل

(وقيل لبعضهم) هل تغديت عند فلان قال لا ولكني مررت ببابه وهو يتغدى قال فكيف علمت قال رأيت غلمانه بأيديهم قسي البندق يرمون الطير في الهوى وقال بعضهم

رأيت أبا زرارة قال يوما * لحاجبه وفي يده الحسام
لئن وضع الخوان ولاح شخص * لأختطفن رأسك والسلام
فقال سوى أبيك فذاك شيخ * بغيض ليس يردعه الكلام
فقال وقام من حنق اليه * بقدم يزد فيه القيام
أبي وأبو أبي والكلب عندي * بمنزلة اذا حضر الطعام
اذا حضر الطعام فلا حقوق * على لوالدي ولا ذمام
فما في الارض أقبح من خوان * عليه الخبز يحضره الزحام

وما أحسن قول القاضي الفاضل

بتنا على حال يسر الهوى * وربما لا يمكن الشرح
بوابنا الليل فقلنا له * ان غبت عنا هجم الصبح

وله في بواب يلقب بالبحري

وهب ان هذا الباب للرزق قبلة * فها أنا وقد وليته دونكم ظهري
وهب انه البحر الذي يخرج الغنى * فكل خرا في الشط في لحية البحري

وقال كمال الدين بن النبيه (توفي سنة تسع عشرة وستمائة) لما سمع قول الفاضل

قلت لليل اذ حباني حبيبا * بفناء سبي النهى وعقارا
انت يا ليل حاجبي فامنع الصبح وكن أنت يا دجى بردارا

وقال ناصر الدين بن النقيب

ماذا على بواب داركم الذي * لا اذن يعطينا ولا يستأذن
لوردنا ردا جميلا عنكم * اوكان يدفع بالتي هي أحسن

(وللشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة في غير المعنى

يارب ان النيل زاد زيادة * أدت الى هدم وفرط تشتت
ماضره لو جا على عاداته * في دفعة أو كان يدفع بالتي

(وأنشدني) الشيخ العلامة عز الدين الموصلي لنفسه (المتوفى سنة تسع وثمانين وسبعمائة وأخبرني ان مولده سنة أربع وعشرين وسبعمائة)

قد سلونا عن الحبيب بجود * ذات وجه به الجمال تفنن
ورجعنا عن التهتك فيه * ودفعناه بالتي هي أحسن

(رجع) الى ما كان فيه قال الناشئ الاصغر (المتوفى سنة ست وستين وثلثمائة)

ليس الحجاب بآية لة الاشراف * ان الحجاب مجانب الانصاف
ولقل ما يأتي فيحجب مرة * فتعود ثانية بقلب صاف

(وقال) أبو الحسين الجزار (ومولده سنة احدى وستمائة ووفاته سنة اثنين وسبعين وستمائة)

أمولاي ما من طباعي الخروج * ولكن تعلمته من خمولي
وصرت لذلك أروم الغنى * فيخرجني الضرب عند الدخول

(والم بهذا) الاديب شمس الدين الصفدع فقال

وافالى خدمته العبد كى * يحظى بتقبيل يد أوقبول
واستأذن الخادم فى قربه * منكم لان العبد ستريحول
فكاد ان يخرجه الضرب عن * غناك بالايقاع قبل الدخول
أوحى اليه منه قولا فما * بلغ عنه مايقول الرسول

(وقلت) من خطا المرحوم فخر الدين بن مكانس للجمال ابن عبد الغنى

أتيت الى بابك ياسيدى * أهنيك بالعيد مع من يهنى
فأخرجت من بعد ذاك الدخول * وقدجئت يعنى مدلا بأنى
مغن ويخرج بعد الدخول * وتأبى الطباع خروج المغنى

(حكى) عن أبى الحسين الجزار انه جاء الى باب الصاحب زين الدين بن الزبير فأذن للناس كلهم ولم يؤذن له فكتب فى ورقة

الناس قد دخلوا كالايراجهم * والعبد مثل الخصى ملقى على الباب

فلما قرأها ابن الزبير قال لحاجبه اخرج الى الباب وناديا خصى ادخل فلما سمع أبو الحسين قول الحاجب يا خصى ادخل فقال هذا دليل على السعة وهذا جميعه مأخوذ من قول الآخر

أيدخل من يشاء بغير اذن * وكلهم كسيرا وعوير
وأبقى من وراء الباب حتى * كانى خصيه وسواى اير

(وقال بعض الشعراء) وقد منعه بواب اسمه بصاقة من الدخول

يامن سما فى المكرما * ت وفاق أرباب الممالك
أعجب لامر بصاقة * منع الدخول لباب خالك
وهو المعين على الدخو * ل اذا تعسرت المسالك

(وقال بعضهم)

ولى صاحب زرته للسلام * فقابلنى بالحجاب الصراح
وقالوا تغيب عن داره * لخوف غريم ملح وقاح
ولو كان عن داره غائبا * لادخلنى أهله للنكاح

(وقال آخر)

وكل خفيف الشأن يسعى مشمرا * اذافتح البواب بابك أصبعا
ونحن الجلوس الماكثون توقرا * حياء الى ان يفتح الباب أجمعا

(وأنشدني) صاحب الامالي

كم من فتى تحمد أخلاقه * ويسكن العارفون في ذمته
قد أكثر الحاجب أعداؤه * وأحقد الناس على نعمته

(حكى) أبو السعادات بن الشجري في شرح الحماسة ان أنس بن زنيم المدلي وفد على عمرو بن عبد الله بن التيمي في جماعة من الشعراء فصده الحاجب عن الدخول وأذن لغيره من الشعراء فلما طال حجابه كتب اليه أبياتا منها

لقد كنت أسعى في هواك وأبتغى * رضاك وأعصى أسرتي والادانيا
حفاظا وامسا كالما كان بيننا * لتجزيني يوما فما كنت جازيا
أراني اذا ماشمت منك سحابة * لتمطرني عادت عجاجا وسافيا
أأقصى ويدني من يقصر رأيه * ومن ليس يغني عنك مثل غنائيا

فلما قرأ الابيات عنف حاجبه ثم أذن له وقال له ويحك ماهذا قال فعل حاجبك وطول مقامي وانت تعطي من أقبل وأدبر فقال ياهذا أشهدت معي موذاة هجر قال لا قال ألك من يد تضربني بها أو تستحق بها علي ما طلبت قال نعم كنت أجلس بين يديك وأسمع حديثك فانشر محاسنه واطوي مساويه فقال وأبيك ان في هذا لما يشكر كم أقمت بالباب قال أربعين يوما فأمر له بأربعين ألف درهم

(ولشهاب الدين) ابن أبي حجلة

الا قل لشمس الدين صاحب العبسي * أتينا مرارا نحو بابك بالامس
فان حجبتك الجدر عنا فربما * رأينا جلابيب السحاب على الشمس

وقال شرف الدين بن عنين (مولده سنة تسع وأربعين وخمسمائة ووفاته سنة ثلاثين وستمائة)

أين غلمانك المطيفون بالبغـلة والرافعون للاثواب
ردك الدهر كالنداء على النـل بلا حاجب ولا بواب

وعلى ذكر الحاجب فما أحسن قول القائل في مليح قلندري

بدا لي في حلق الحواجب فتنه * فقلت لعقل ذاهل فيه ذاهب
حبيبي بحق الله قل لي ما الذي * دعاك الى هذا فقال مجاوبي
وعدت بوصل العاشقين تعطفا * فلم يثقوا فاسترهنوا قوس حاجبي

(وقال) السراج الوراق فيه

عشقت من ريقته قرقف * وماله اذذاك من شارب
قلندريا حلقوا حاجبا * منه كنوز الخط من كاتب
سلطان حسن زاد في عدله * فاختار ان يبقى بلا حاجب

(وقف) بعض المطابيع على باب بعض الامراء والطعام قد حضر فخرج حاجب الامير الى الباب فقال أيها المطبوع ألك حاجة قال نعم قال ماهى فقال له اذا دخلت فاقرئ خبز الامير السلام وما أظرف في ذم الحاجب قول السراج الوراق

لاذقت ذل حجاب * ولا وقوفا بباب
فقد حنقت وقدقا * م شارب البواب
ورحت أجرى وصحفـ * ـت موضعين لمابى

(وقال زين بن الوردى)

يقول لى بوابه اذرأى * بالباب منى وقفة الحائر
له محاريم بها شغله * قلت محاريم بلا آخر

(وقال السراج الوراق) مضمنا

وقطب عند دخولى اليه * فتم له القبح معنى وصوره
ولولا الضرورة ما زرته * على الرغم منى وعند الضروره

(وقال جمال الدين) ابن نباتة

حجبتنى فازددت عندى علا * برغم من أقبل كالعاتب
وقلت لا أعدم من سيدى * من كان عينى فغدا حاجبى

(وقال) محمد بن العفيف (ومولده سنة اثنين وستين وستمائة ووفاته سنة سبع وثمانين وستمائة)

ولقد وقفت ضحى ببابك أرتجى * باللثم للعتبات حق الواجب
وأتيت أطلب زورة أحظى بها * فرددت يا عينى هناك بحاجبى

(وقال الشهاب) فتيان الشاغورى (ومولده سنة ثلاث وخمسمائة ووفاته سنة خمس عشرة وستمائة)

وافيت تهنئة الوزير فلم أجد * لى فى الدخول ببابه من مسعد
لم أحظ الا بالقيام ان أتى * فحصلت منك على المقيم المقعد

(وهم جماعة) من الطفيلية ولهم فقال رئيسهم اللهم لا تجعل البواب لكازا فى

الصدور دفاعا في الظهور طراحا للقلانس هب لنا رأفته ورحمته وبشره وسهل علينا اذنه فلما دخلوا تلقاهم المضيف فقال الرئيس عزة مباركة موصول بها الخصب معدوم بها الجدب فلما جلسوا على الخوان قال جعلك الله كعصى موسى وخوان ابراهيم ومائدة عيسى في البركة ثم قال لاصحابه افتحوا أفواهكم واقيموا أعناقكم وابسطوا الاكف وأجيدوا اللقم ولا تمضغوا مضغ المتعللين الشباع المتخمين واذكروا سوء المنقلب وخيبة المضطرب خذوا على اسم الله تعالى (وقال زين الدين) بن الوردي

ماذا تقولون في محب * عن غير أبوابكم تخلا
وجاءكم زائرا عفيفا * عن مالكم هل يجوز أم لا

(وقال جمال الدين) بن نباتة

مايقول المقام أيده الـ ـله ولازال للسعود يحوز
في ولي ببابكم ترك الخلـ ـق ووافى يجوز أم لا يجوز

(كان) الشيخ عز الدين بن عبد السلام اذا قرأ عليه الطالب وانتهى يقول اقرأ من الباب الذي تليه ولو سطرا فاني لا أحب الوقوف على الابواب

وللنصير (الحمامي) بيتان كتبهما الى السراج الوراق على يد غلام يدعى ابراهيم وهما

عبدك ابراهيم وافى بها * وفيها معنى لمن يعقل
وهو على الباب ومقصوده * وفيك فهم انه يدخل

(الباب السادس في الخدم والدهليز)

كان يقال ان الخصيان ملكة بني آدم وقيل لابي العيناء لم اتخذت غلامين اسودين خصيين قال لئلا أتهم بهما ولا يتهماني وعرض على بعض الملوك غلام صبي خصي فقال هذا يصلح للفراش وللهراش وكان بعضهم يتخذ الخدام الخصيان ويختار منهم البيض الحسان فقيل له في ذلك فقال لانهم بالنهار فوارس وبالليل عرائس (وفيهم يقول)

ونساء لمستريح مقيم * ورجال ان كانت الاسفار

(وفيهم) يقول محمد الخليع القاهري

مبرؤن من الشعر الكريه ومن * حمل الايور واخراج المثانين
وهم نساء اذا حاولت خلوتهم * وهم رجال لدى الهيجاء يحموني

(وما أحسن) قول الصابي في غلام اسود (مولده سنة عشرين وثلثمائة ووفاته سنة ثمانين وثلثمائة)

لك وجه كأن يمناي خطته * بلفظ عمله آمالي
فيه معنى من البدور ولكن * نفضت صبغها عليه الليالي

وقال (الزين بن جبريل) المصري

وخادم قد حباه القلب حبته * حباه وكسته صبغها المقل
كأنما هو في خد الجمال لمن * يراه خال وفي أجفانه كحل

(وقال ابن الجوزي) في كتاب الاذكياء قال أبو أحمد عبد الله بن عمر الحارثي اجتزت ببغداد وأنا أحدث مع جماعة من مجان اصحاب الحديث واذا بخادم خصي جالس على الطريق وبين أيديه أدوية ومكاحل ومباضع وعلى رأسه مظلة خوص فسألت عنه فقيل طبيب حاذق وهو من عجائب بغداد فتقدم اليه شخص من الجماعة وتغاشى وتماوت وتمارض وقال يا أستاذ يا أستاذ فعات فقال أي شئ بك ايش أصابك قولي لاشفاك الله فقال أجد ظلمة في احشائي ومغصا في أطراف شعري وما آكله اليوم يصبح غدا مثل الجيفة فصف لي دواء فقال وكأنه أعد الجواب أما ما تجده من المغص في أطراف شعرك فاحلق لحيتك ورأسك جميعا وأما ظلمة احشائك فعلق على باب حجرك قنديلا وأما الثالث فكل خراك

(ولابراهيم) المعمار في خادم هندي

تملك قلبي خادم قد هويته * من الهند معسول اللمى أهيف القد
أقول لصحبي حين رنوا بلحظه * خذوا حذركم قد سل صارمه الهندي

(وقال)

وخادم يعلو على عشاقه * برتبة من الجمال نالها
واسمه وهو الحبيب محسن * وكم دموع في الهوى أسالها

(ولقد) أجاد من قال

ان لمت ليلا نجوم السما * بيضا على أدهم مرخي الازار
فأوجب العكس مثالا لها * في الارض يا سود نجوم النهار

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان من أوحش ما يكون فاتفق ان أجرى عنده ذكر مفن جميل فقال بلغني ان فاسه أسود فقال له بعض الحاضرين والله يا مولانا فلسه خير من دينارك فاخجله

(ومن ظريف) ألقاب الخدام ما لقبه سيدي المقر الجمدى فضل الله بن مكانس أحسن الله له العاقبة لخدمه وهم اشراق الدين هلال ونظام الدين لؤلؤ وسيف الدين فولاذ (وأنشدني) من لفظه لنفسه اجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبي بكر بن عمر المخزومي المالكي أدام الله ايامه ونقلتها من خطه

علقته خادما لطيفا * لم اصغ فيه الى الملامه

اليه قلبي انثنى وطرفي * مذلاح بين الانام شامه

(وللشيخ) جمال الدين بن نباتة في خادم اسمه كافور

يا لائمي في خادم لي سيد * تسما القدود زدت السلو نفورا

ولقد أدرت على المسامع قهوة * في الحب كان مزاجها كافورا

(ابراهيم) المعمار

وخادم قبلت مشروطه * في خده لكن رأيت العجب

من ناعم حلو فناديته * ما أنت يا مشروط الارطاب

(وقال) ابن نباتة أيضا

بروحي مشروط على الخد أسمر * دنا ووفا بعد التجنب والسخط

وقال على اللثم اشترطنا فلاترد * فقبلته ألفا على ذلك الشرط

(وقال)

أرى لصواب يا ابرى صفات * تحث على الخلاعة والتصابي

فبادره فأنت به خبير * ومثلك لا يدل على صواب

وقال (صلاح الدين) الصفدي فيه

اذا ما قام ابرك في الدياجي * وعندك من تحب فلا تحابي

وقم نحو الفراشي واعتنقه * ومثلك لا يدل على صواب

وقال (الشيخ زين الدين) بن الوردي

أأخشى من الاعداء والله ناصري * وخدام حظ ان دعوت أطاعا

فقلبي مسرور وسعدي مقبل * وحزبي نصر والمقال صواب
(قلت) واذا ذكرنا ماورد في مدحهم فلا بأس بايراد نبذة من غيره (قال) الجاحظ (توفي سنة خمس وخمسين ومائتين وقد نيف على التسعين سنة) ضيق الصدور وشدة النفور وطول الاعمار وقلة الاصطبار وكبر الاقدام واضطراب الاجسام وانكار الحرمه وقلة الرحمه وسرعة الدمعه وابتغاء الدعه وطين المعده ولطف القياده واسترخاء السرح وقلة الجرح وسوء الخلق وكثرة الحرق وشدة الحسد وانقطاع الولد والمشي بالنمائم والنظر الى المحارم وتربية البغول والبغض للفحول خلاف النساء والرجال لا يجوز به الاستدلال مهلوس عبوس غايته طرسوس مؤاجر في صغره قواد في كبره ان ركب ركض وان مشى مرض مختلف الرأي والعقل متخلق باخلاق البغل ان لا يته حج وان خاشنته رمح وان أجعته طمح وان أشبعته سلح يبول في فراشه اذا عمل النبيذ في مشاشه ان جحد كفر وان قدر قهر مختون على غير ملة حاذق بالهريسة والاخلة ان غضب بكى وان رضي شكى وان هزل انطوى وان سمن التوى معدن للطائر ألوف للجائر ان ائتمنته خانك وان أكرمته هانك وان أهنته أكرمك وان أغضبته شتمك صاحب سوارات وجلاهق وحمام وبنادق حاص دجاج وفراريج وطير ماورداريج ان أمسكته نمرت وان بعته ربحت وان طردته وقفت وان قتلته أجرت صالحهم مأبون وطالحهم ملعون شره عتيد وخيره بعيد معروف موصوف بالجلف مسترخي البدن طويل الحزن بين الموق بادي العروق بأتي العرقوب كثير العيوب طويل الذراع كثير النخاع مسلوب زينة اللحى محروم لذة النساء يتزوج بالابكار ويهتك الأستار يابس المصانع عاري الاشاجع شديد النفاق قليل الانصاف بين الافاق كثير البقباق شره عند الطعام سفيه على الاقوام فقير ذومال وحيد ذوعيال شرس حسود حرون جحود بعيد من الحياء بارد اللقاء يتلقاك بالبكاء ان قلت نعم قال لا أو قلت لا قال بلى ان منع فن حق وان أعطى فن حرق جرى جبان طويل الاحزان مظلوم القامة خالي المعرفة أقلف مختون خائن مأبون ترضيه اللقمه ويجمع بالطعمه أكثر الناس عله وأفوده في القلبه واحذفه

بالاجازه واعرفه لجاره واعمله لزماره وانحته لصايد الفار وأبيعه للتكالك وأصيده للسمك اذا أمن ملعقته غرزها فى منطقته مأواه الدهليز وخبزه على الافريز لهج بالقمار عليه سوء الدمار من قلة مروأته يدخل الفحل على امرأته ويجمع لها بكده وينفقه على ضده لا يدله فيها من شريك فهو مغرم وغيره ينيك يستر عورته عن الانام ويبدى سوأته للطعام يقطع الصلاة ويمنع الزكاة بيعه الزمارات ونعته فى الصورات يأكل بشدقين وينفق بيدين فضله محبوس ودعاؤه منكوس (وقال) الجاحظ أيضا كان من ظريف ما يقص القاضى عبد الاعلى قوله فى الخصى اذا قطعت خصيته قويت شهوته وسخنت معدته ولانت جلدته وانجردت شعرته وكثرت غلته واتسعت فقحته وغزرت دمعته (وقال) غيره من جبز به ذهب لبه وفى ذلك قول أبى الطيب المتنبى (ومولده سنة ثلاث وثلثمائة ووفاته سنة أربع وخمسين وثلثمائة)

وقد كنت أحسب قطع الخصى * بأن الرؤس مقر النهى

فلما نظرت الى عقله * وجدت النهى كلها فى الخصى

ونقلت من خط الوزير العلامة المفنن فخر الدين بن مكانس سامحه الله تعالى أنه قال سافرت مرة سنة احدى وستين وسبعمائة مع الصاحب فخر الدين بن قروينة رحمه الله تعالى الى دمشق المحروسة عندما تولى نظر ممالكها ووالدى رحمه الله استيفاءها وكان له دوادار يسمى صبيح ويلقب جودر من عتقا جده الوزير أمين الدين بن الغنائم وكان كثير النوادر لطيف الدقات فاتفق ان جمال الدين ابن الرهاوى موقع الوزارة ركب يوما فتقنطر به الفرس وداسه على رأس احليله فحمل الى داره وأقام أياما الى ان عوفى وحضر مجلس الوزارة وهو غاص بالناس فقال له الصاحب فخر الدين ما سبب تأخيرك قال له تقنطر بى الفرس وداس رأس احليلى فكدت أموت والآن فقد لطف الله تعالى وحصل البرء والشفاء فقال له صبيح جودر الحمد لله على سلامة الخصى فانقلب الناس ضحكا وخجل ابن الرهاوى وانصرف (عود) الى ما كان فيه وصف الجاز رجلا بالرعونة فقال هو كالخصى يفتخر بزب مولاه (قال) كشاجم فى خادم اسود جائر

يا مشبها فى فعله لونه * لم تعدما أوجبت للقسمه

فعالك من لونك مستخرج * والظلم مشتق من الظلمه

(وقال) آخر وأجاد

جزوا هذا كرهبحق واجب * اذ عندهم علم بخسة أصله
لوأنهم تركوه يبقى سالما * ملأ البلاد أراذلا من نسله

(وقال) بعضهم وأصاب

ان عاينت عيناك ظبيا سانحا * مع خادم يرعاه وهو شرود
فاقنصه لطفا بالزمام ولاتخف * منه نفورا فالزمام يقود

(نادرة) قيل ان بعض أولاد الملوك كان يعشق خادما يسمى دينارا وكان أوحش ما يكون فاتفق ان أجرى عنده ذكرمغن جميل فقال بلغني ان فلسه أسود فقال بعض الحاضرين والله يامولانا ان فلسه خيرمن دينارك فأخجله (نادرة) قيل ان بعض الرؤساء كان له خادم وعبد فدخل يوما وجد العبد فوق الخادم فضربه وخرج فرأى بعض أصدقائه فسأله عن غيظه فقال هذا العبد النجس فعل بالخويدم الصغيرفقال له مولانا السيد الكبيرفخجل منه وأخرجها في مجانه (وما أظرف) من قال مواليا

ستي الكبيره لها الخدام والحشمه * تحلف على النيك بالمصحف وبالختمه
جاها الطواشي أغشت لونال من كله * راحت بين القواقيسة على فرمه

(وقال) ابراهيم المعمار

وان من الخدام من ليس ترتجى * مكارمه فالبعد منهم غنائم
فلاتلك ممن يتهمهم لحشمة * فليس لهم بين الرجال محاشم

(أهدى) بعض عمال مروان بن محمد الجعدي الاموى لمروان عبدا أسود فقال لكاتبه عبد الحميد اكتب الى هذا العامل كتابا مختصرا وذمه على مافعل فكتب اليه لووجدت لونا أشر من السواد وعددا أقل من الواحد لاهديته والسلام (ومن أحسن) ماورد في ذم السواد لايحرم فيه محرم ولايكفن فيه ولاتجلى فيه عروس (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

كان لى عبد يسمى فرجا * نصب الغير عليه الشبكا
فأنا الآن كما تعرفني * ليس عندي فرج الا البكا

(القول) في الدهليز بكسر الدال فارسي معرب والجمع الدهاليز وهو بين الباب

والدار وأحسن مافيه

ودهليز دار فيه للعين بهجة * وللنفس فيه للذاذة أوطار
اذا احل لم يعتبر ما وراءه * توهمه من حسنه انه الدار

(وقال) يحيى بن خالد ينبغي للانسان ان يتأنق في دهليزه لانه وجه الدار ومنزل الضيف ومجلس الصديق حتى يؤذن له وموضع المعلم ومقيل الخدم ومنتهى حد المستأذن (وقال) بعضهم اذا كمل للانسان في داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال بما فاته منها وذكر من جملتها الدهليز (وللشيخ) برهان الدين القيراطي فيه

أكرم بدهليز سما * فاذا الكواكب من رفاقه
دهليز مولى سعده * مازال يخدم في وطاقه

(قلت) من كان له عبد واسمه سعد ففي غاية الحسن (وقال) الشيخ شهاب الدين ابن أبي حجلة بيتين وفيهما مافيهما

دار ببدر الدين أشرق نورها * فبياضها من نوره مجبول
دهليزها حلو البنا يبدو لنا * طعمية في بابه ودخول

---

*(الباب السابع في البركة والفوارة والدواليب
ومافيهن من كلام وجيز)*

البركة هي الموضع المبني لاجتماع الماء ويسمى أيضا الصهريج بكسر الصاد وهو اسم مشتق لها من الصهروج الذي تبنى به والصهروج الكلس نفسه يقال بركة مصهرجة اذا كانت مبنية بالصهروج وقال الجوهري البركة كالحوض والجمع البرك و يقال سميت بذلك لاقامة الماء فيها (حكى) الاديب أبو الربيع سليمان بن اسمعيل بن أبي الليث المسيحي قال جمعنا مجلس أنس مع الاديب أبي اسحاق ابراهيم بن أبي الثناء المسيحي بالفيوم وكنا في بستان فيه بركة عليها فوارة من الماء فتجاذبنا اهداب وصفها (فقال أبو اسحاق)

بركة تصعد الانابيب منها * يقعد الماء فوقها ويقوم
فلذا أطلعت فواقع تبدو * كالقوارير من زجاج تعوم
وكأن السماء صفحتها الزر * قاء والياسمين فيها نجوم

(قال وقلت أنا)

وبركة تذهل العقول لها * تحار في حسن وصفها الفكر
كأنها مقلة محدقة * عبرا من الوجد نالها السهر
تبكي وما فارقت لها وطنا * يوما ولا فات أهلها وطر
تخال أنبوبها لعقته * والماء يعلو به وينحدر
كصولجان فضة سبكت * فواقع الماء تحتها أكر

(قال) الشيخ صفي الدين الحلي (وتوفي سنة خمسين وسبعمائة)

والريح تجري رخاء فوق بحرتها * وماؤها مطلق في زي مأسور
قد جمعت جمع تصحيح جوانبها * والماء يجمع فيها جمع تكسير

(ولقد) أجاد ابن طباطبا في قوله (ومولده سنة ست وثمانين ومائتين ووفاته سنة ثمان وأربعين وثلثمائة)

كم ليلة ساهرت أنجمها التي * عرصات أرض ماؤها كسمائها
قد سيرت فيها النجوم كأنما * فلك السماء يدور في ارجائها
أحسن بها بحرا اذا التبس الدجى * كانت نجوم الليل من حصبائها
ترنو الى الجوزاء وهي غريقة * تبغي النجاة ولات حين نجاتها
تطفو وترسب في اصطفاق مياهها * لا مستعان لها سوى أغثائها
والبدر يخفق وسطها فكأنه * قلب لها قد ريع في احشائها

(ولامزيد) في الحسن على قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي يصف دوحة واسود اترى بالماء (توفي المذكور سنة تسع وعشرين وخمسمائة)

وضراغم سكنت عرين رياسة * تركت خرير الماء فيه زئيرا
فكأنما غشى النضار جسومها * وأذاب في أفواهها البلورا
أسد كأن سكونها متحرك * في النفس لو وجدت هناك مثيرا
وتذكرت فتكاتها فكأنما * أقعت على أذنابها للثورى
وتخالها والشمس تجلو لونها * نارا وألسنها اللواحس نورا
فكأنما سلت سيوف جداول * ذابت بلا نار فعدن غديرا
وكأنما نسج النسيم لمائه * درعا فقدر سرده تقديرا
وبديعة الثمرات تعبر نحوها * عيناك بحر عجائب مسجورا
شجرية ذهبية نزعت الى * سحر يؤثر في النهى تأثيرا

قد صوّحت أغصانها فكأنما * قبضت بهن من الفضاء طيورا
وكأنما يأبى لوقع طيرها * ان تستقل بنهضها وتطيرا
من كل واقفة ترى منقارها * ماء كسلسال اللجين غزيرا
خرس يقال من الفصاح فان شدت * جعلت تغرد بالمياه صفيرا
وكأنما في كل غصن فضة * لانت فأرسل خيطها مجرورا
وتريك في الصهريج موقع قطرها * فوق الزبرجد لؤلؤا منثورا

(وقال القاضي) شهاب الدين بن فضل الله (مولده سنة سبعمائة ووفاته سنة تسع وأربعين وسبعمائة) في ترجمة مجير الدين بن تميم (ووفاته سنة احدى وثمانين وستمائة) وحكى انه جلس على بحيرة أشرقت سماؤها وطاف بكعبة المجلس ماؤها والشمس قد توسطت الظهيره وأرخت ذوائب أشعتها الظفيره والمجة قد نصبت في كل ناحية حباله وتناومت عينها فما رأت من الشيء الاخياله والماء قد لبس من شعاع الشمس الغلاله وغابت سباع البركة فلعبت الغزاله (فقال)

ولما احتمت منا الغزالة بالسما * وعز علي قناصها أن ينالها
نصبنا شباك الماء في الارض حيلة * عليها فلم نقدر فصدنا خيالها

(وذكر) هذه الترجمة في كتابه مسالك الامصار من كلام علي بن ظافر العسقلاني قال جلسنا على بركة ألقى عليها ورد أحمر ملاء بكثرة نجومه فسحة سمائها وصبغ بحمرة شعاعه صفحة مائها واهدى زمرده الى مقلتها الزرقاء فصح سرورنا بدائها (وقال) المذكور في كتابه بدائع البداية أخبرني القاضي الاعز بن المؤيد رحمهما الله تعالى قال اجتمعت مع جماعة من ادباء الاسكندرية في بستان لبعض اهلها فالنا روضا تثنت قامات أشجاره وتغنت قيان أطياره وبين أيدينا بركة ماء كجو سماء فنثر عليه بعض الحاضرين ياسمينا زان سماءها بزواهر منيره واهدى الى لجتها جواهر نثيره فتعاطينا القول في تشبيهه وأطرق كل منا لتحريك خاطره وتنبيهه ثم أظهرنا ما حررنا ونشرنا ما حبرنا (فانشد) عباس بن ظافر هـ

نثر الياسمين لما جنوه * عبثا فاستقر فوق المياه
فحسبنا زهر الكواكب تحكي * زهر الارض في أديم السماء

(قال والذي صنعته أنا)

نثروا الياسمين في صفحة الماء * فخلنا النجوم وسط المياه

فكأن السماء في باطن الار * ض أو الدر طافٍ فوق الماء

(وقال مجير الدين) بن تميم في مليح يشرب من بركة

أفدي الذي أهوى بفيه شاربا * من بركة رقت وطاب مشرعا
أبدت لعيني وجهه وخياله * فأرتني القمرين في وقت معا

(نادرة) اكترى نحوي حمالا ليحمل له زيرا فلما وصل الى البيت وفيه بركة قال له النحوي اقفز فقفز فوقع فانكسر الزير فقال ما هذا قال جانب البركة ساكن والنون في اقفز ساكنة فتحرك الزير بينهما بالكسر فقال أحسنت ما أنت الا عالم بيض الله وجهك (وقال الشريف العقيلي)

وبركة قد أفادنا عجبا * ماماج من مائها وما انسكبا
من حول فوارة مركبة * قد انحنى ظهر مائها تعبا

(وقال شمس الدين الطيبي) أحمد بن أبي المحاسن (مولده ببخارى سنة تسع وأربعين وستمائة ووفاته سنة سبع عشرة وسبعمائة بطرابلس)

النهر وافى شاهرا سيفه * ولمه يختلس الاعينا
فخافت البركة من خوفه * وارتعدت وادّرعت جوشنا

(وقال مجير الدين ابن تميم مضمنا)

لو كنت اذ أبصرتها فوارة * للشمس في أمواجها لألاء
رأيت أعجب ما يرى من بركة * سال النضار بها وقام الماء

(وله مضمنا)

لقد نزهت عيني انابيب بركة * تقابلني أمواجها بالعجائب
انابيب زادت في علو كأنما * تحاول ثارا عند بعض الكواكب

(وله)

يا حسن نوفرة بدت في بركة * أبدا بفيض الماء فيها دينا
ما ان بدت الا وظلت مفكرا * في قد نوفر راح يثبت حسنا

(وقال الوجيه المناوي)

فوارة تشبه في شكلها * سبيكة من فضة خالصه
تلهيك بالحسن فقد أصبحت * جارية ملهية راقصه

(وقد) عكس بعضهم هذا فقال

وقينة ملهية قد غدت * تستوقف السامع والرائى
جارية راقصة أشبهت * فى وصفها فوارة الماء

(وقال) ابن حجاج (توفى سنة احدى وتسعين وثلثمائة)

صنعت فى دارك فوارة * أغرقت فى الارض بها الانجما
فاض على نجم السهى ماؤها * فاصبحت أرضك تسقى السما

(وقال ابن تميم) فى بركة بشاذروان

الارب يوم قد تقضى ببركة * أقمت بها فيما نوى متحيرا
بعينى رأيت الماء فيها وقد جرى * على راسه من شاهق فتكسرا

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطى)

مذهب شاذر واننا العالى المقام والرتب
نال الغنى الماء به * حين مشى على الذهب

(وقال فيه)

لحسن شاذروانها * كل القلوب تعشق
من أجل ذا الماء له * قلب به معلق

(ومن كلام) سيدى تقى الدين ابى بكر بن حجة فى الفوارة كأنها سنان تطعن فى صدر الظما أو شجرة كدنا انها طوبى لما ظهرت وأصلها ثابت وفرعها فى السما أو معترف بندا الماء وقد أفاض عليه عطاياه فيضا فرفع له لاجل ذلك فوق قناته راية بيضا أو عمود وفاء أشارت الناس اليه بالاصابع أو ملك طالب السماء بودائع حتى قلنا ان اكليل الجوزاء له من جملة الودائع أو أبيض طائر علا حتى قلنا انه يلتقط حباب النجوم الثواقب أو شجاع ذو همة عالية تحاول ثارا عند بعض الكواكب (وقال شهاب الدين بن أبى حجلة)

وشاذروان ماء بات يجرى * كعين الصب روّع يوم بين
اذا ما قيل جد بالماء سمعا * يقول نعم على رأسى وعينى

(وقال) شيخنا الشيخ زين الدين بن العجمى (توفى سنة خمس وتسعين وسبعمائة)

تسلسل مائى وهو لا شك مطلق * وصح حقيقتا حين قالوا تكسرا
وفى قلب مائى للقلوب مسرة * وقالوا سيجرى بالمنا وكذا جرا

(قلت) وقد تصرفت الفضلاء متأخروا العصر فى هذه اللفظة أعنى وكذا جرى

تصرفات حسنة فمنهم القاضى صلاح الدين الصفدى (فقال)

أملت ان تتعطفوا بوصالكم * فرأيت من هجرانكم مالا يرى
وعلمت يوم فراقكم لابد أن * يجرى له دمعى دما وكذا جرى

ومنهم الشيخ عز الدين الموصلى (فقال)

رب نسيم قد سرى * يحدو سحابا ماطرا
أذياله بليلة * تخبرنا بما جرى

وقال أيضا

حديث عذار الحب فى خده جرى * كمسك على الورد الجنى تسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرى

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطى)

لم يبك حين بكيت من * هجرانه متحسرا
لكن حكا لك خده الـ * ـمصقول صورة ما جرى

وقال

كابرت عذل صبوتى * فى الدمع حين تحدرا
قالوا بكيت صبابة * فأجبت هذا ما جرى

(وأنشدنى) سيدى وأخى تقى الدين أبى بكر بن حجة أبقاه الله تعالى لبعض المغاربة

وتحدث الماء الزلال مع الحصا * فجرى النسيم عليه يسمع ما جرى
فكأن فوق الماء شيأ ظاهرا * وكأن تحت الماء درا مضمرا

(رجوع الى ما كنا فيه) قال ابن ظافر العسقلانى فى كتابه بدائع البدائه مررنا فى بعض العشايا على بعض البساتين المجاورة لبحر النيل فرأينا بئرا عليها دولابان متحاذيان قد دارت أفلاكهما بنجوم القوادس ولعبت بقلوب ناظريهما لعب الامانى بالمفاليس وهما يئنان أنين أهل الاشواق ويفيضان دمعا أغزر من دموع العشاق والروض قد جلا للأعين زبرجده والاصيل قد راق حسنه فنثر عليه عسجده والزهر قد نظم جواهره فى أجياد الغصون والسواقى قد أذلت من سلاسل فضتها كل مصون والنبت قد اخضر شاربه وعارضه وطرف النسيم قد ركضه فى ميادين الزهر راكضه وحباب الماء قد علاه من الطل الما

وحيات الجارى حائرة تخاف ان يدركها من زمرد البنان العى والبرق قد صقل صيقل النسيم درعه وزعفران العشى قد ألقى فى ذيل السماء ردمه فاستحوذ علينا ذلك الموضع استحواذا وملأ أبصارنا وقلوبنا التذاذا وملنا الى الدولابين شاكين أرمزاحين شجت قيان الطير بألحانها أم شدت على عيدانها أم ذكرا أيام تمساوطابا وكانا اغصانا رطابا فنفيا الذيذ الهجوع ورجعا النوح وأفاضا الدموع طلبا للرجوع (وقال مجير الدين بن تميم مضمنا)

ودولاب روض كان من قبل أغصنا * تميس فلما فرقتها يد الدهر
تذكر عهدا بالرياض فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى

(وقال)

تأمل تر الدولاب والنهر اذ جرى * ودمعهما بين الرياض غزير
كأن النسيم الرطب قد ضاع منهما * فأصبح ذا يجرى وذاك يدور

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبى (توفى سنة ثمانين وستمائة)

وروضة دولابها * الى الغصون قد شكا
من حين ضاع زهرها * دار عليه وبكى

(واستعمل) هذا المعنى صلاح الدين الصفدى فى غير الدولاب فقال

أضحى يقول عذاره * هل فيكم لى عاذر
الورد ضاع بخده * وأنا عليه دائر

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن محمد بن نباتة

أعجب لها ناعورة قلبها * للماء مذ شى العيش والعشب
تعبانة الجسم ولكنها * كما ترى طيبة القلب

(وقال) سعد الدين بن عربى (ومولده سنة ست وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة اثنين وستمائة)

شاهدت دولابا له أدمع * تكلفت للروض بالرىّ
فأعجب له من فلك دائر * ما فيه برج غير مائىّ

(ولآخر)

أبدى لنا الدولاب قولا معجبا * لما رآنا قادمين اليه
انى من العجب العجيب كما ترى * قلبى معى وأنا أدور عليه

(قال) أبو حنيفة الدينوري الدولاب بضم الدال وفتحها كذا سمعته من فصحاء العرب (ولآخر)

لله أزهار دوحات يضحكها * صوت الغمام بدمع منه منسفك
حكت نجوم السما أزهارها فكذا * أضحى يدور بها الدولاب كالفلك

(وقال) ابن نباتة

وناعورة قالت وقد ضاع قلبها * وأضلعها كادت تعد من السقم
أدور على قلبي فاني فقدته * وأما دموعي فهي تجري على جسمي

(ولآخر)

وذات شجو أسالت * مدامعا لم تصنها
تبكي بفرط دموع * وتضحك الروض منها

(ولآخر)

أشبه ما بين الفراديس صوتها * ومن كل وجه ماؤها يتحدر
بارملة ضمت اليها بناتها * تنوح بشجو والمدامع تقطر

(ولآخر)

وناعورة قد ضاعفت بنواحها * نواحي وأجرت مقلتاي دموعها
وقد ضعفت مما تأن فقد غدت * من الضعف والشكوى تعد ضلوعها

(سأل) الشيخ نجم الدين القحفيري جماعة من الطلبة المشتغلة عليه عن قول الشاعر (ومولده سنة ثمان وستين وستمائة ووفاته سنة أربع وأربعين وسبعمائة)

يا أيها الحبر الذي * علم العروض به امتزج
أبن لنا دايرة * فيها بسيط وهزج

ففكر بعض الطلبة فيه ساعة طويلة ثم قال هذا في الساقية لانه أراد بالبسيط الماء وبالهزج صوت الساقية حال دورانها فقال له الشيخ الا أنك درت فيها زمانا حتى ظهرت لك وهذا الكلام في غاية الظرافة من الشيخ رحمه الله تعالى (وقال ابن تميم)

وناعورة قد ألبستها حبالها * من الشمس ثوبا فوق أوراقها الخضر
كطاوس بستان يدور ويجتلي * وينفض عن أرياشه بلل القطر

(وله)

أبدت لنا بالعذر ناعورة * أدمعها فى غاية السكب
تقول لما غاب قلبي وقد * ضعفت بالنوح وبالندب
صيرت جسمي كله أعينا * تدور فى الماء على قلبي

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

ناعورة مذعورة * للبين تشكى حائره
الماء فوق كتفها * وهى عليه دائره

(وله)

حالة الدولاب دلت * انه فى فرط حزن
كان يسقى ويغنى * صار يسقى ويغنى

(وقال) مؤلف الكتاب من مرثيته التى رثى بها دمشق وغيرها عند حلول الواقعه المشهورة من التتار

أعروسنا لك أسوة بحماتنا * فى ذا المصاب فأنتما اختان
غابت بدور الحسن عن هالاتها * فاستبدلت من عزها بهوان
ناحت نواعير الرياض لفقدهم * فكأنها الافلاك فى الدوران

(وقال ابن تميم)

أيا حسنها من روضة ضاع نشرها * فنادت عليه فى الرياض طيور
ودولابها كادت تذوب ضلوعه * لكثرة مايبكى بها ويدور

(وقال جمال الدين بن نباته)

وناعورة قسمت حسنها * على واصف وعلى سامع
وقد ضاع نشر الربا فاغتدت * تدور وتبكى على الضائع

وقال مؤلفه ارتجالا جسيما اقترح عليه والحالة كذا

كأن الجداول هو صفاه * ونور البدر يشرق والسواقى
دموعى ثم وجهك يا حبيبي * وقلبي اذ شكا ألم الفراق

(قلت) ومن المداعبات اللطيفة ما كتب به المرحوم القاضى فخر الدين بن مكانس الى الشيخ بدر الدين البشتكى سامحه الله تعالى (مولده سنة ثمان وأربعين وسبعمائة) وقد دار فى ساقية الهمائل وهو

دورة البدر فى سواقى الهمائل * تركت أدمع العيون هوامل
آه من للرياض نور أديب * مظهر من كلامه سحر بابل
فاق سعيا على بنى عجل فى الجـ ـود وأغنى عن الولى الهاطل
زاد علما على أبى نواس لكن * قال بالدور ماؤه والسلاسل
قد أعاد الجناس حسن نواز * وأتته تورية فهو كامل
يا سعيدا أثرى من النظم والنثـ ـر فأنسى الورى زمان الفاضل
قد سقيت الرياض يا شيخ بالدو رفهاغصنها من السكر مائل
لم تدع من نباتة لم تجددها * انها بالثنا عليك تواصل
وابن قادوس كان طالع فى نحد * مثلك اليوم بالاوامر نازل
وغدا بالظلال كل أديب * فى هجير الرمضاء بفضلك قائل
ويروحى عيون نرجس روض * يغزل الحسن بالندا ويغازل
أنت شنفتها بشعرك زهرا * وبعثت المياه فيها خلاخل
كم غصون أينعتها فعلها * هاج للطير والمحب بلابل
أنت فى الحالتين تصرف الاحـ ـرف أو كيمياء ذهنك واصل
أنت لولم تكن بحار علوم * ماجرت فى الرياض منك جداول
كنت عندى أجل قدرا وقدر * ت من النور للوجود الحاصل
وغدا قس بين لفظك والرو * ض على الحالتين عندك باقل
أنت يا بدر فقت بدر الدياجى * فلهذا تبدو وذلك آفل
يا خليلا أشبه الشجو ان لم * يك عنى كدمع عينى سائل
والأديب المحب يشكو هواه * للأديب المحب عند النوازل
أنا مغرى بحب أحور المى * نافتى يزرى بغصن الحمائل
من بنى الترك قده اللدن واللحـ ـظ كلا الفاتنين أصبح ذابل
أعين الزهر والغصون تراها * شاخصات اذا مشى وموائل
لاتقل بى الاعراب تحكم حسنا * ماترى للاعراب هذى العوامل
ماس عجبا وقصده يقتل الخلـ ـق ولا لا ولد لا ل دلائل
لاتلم فى عذاره هتك شيبى * أنا قد بعت آجلى بالعاجل
ولعمرى أنت الذكى ولكن * أنت والله عن غرامى غافل

ولئن كنت عاقلا انني من * صبوتي في الهوى عن العقل عاقل
هاك حالي شرحته فاغنني * ان تكن يا أخي لمعنى حامل
واطرح عتبها فعيش المحبين * محبون والعيش كالظل زائل
دمت يا جامع المحاسن والشمل ولا زال غيث فضلك شامل
أنت بدر أم انت شمس فانا * قد رأيناك غرة في الاصائل
وكفيت الحرار باشرف القو * م ومن جوده ينمى ابن باخل

(الباب الثامن في الباذهنج وترتيبه)

(قال) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر في باذهنج مطل على البحر

أنا نعمي من ابتهج * انعش الروح والمهج
وعن البحر يا نسيم حدث ولا حرج

وقال ابن سناء الملك (توفي سنة ثمان وستمائة)

وباذهنج علا علاه * لكنه قد هوى هواه
دام عليك النسيم فيه * كأنه يطلب الشفاه

(وقال) أبو الحسن عبد الكريم الانصاري

ونفحة باذهنج أسكرتنا * وجدت بروحها برد النعيم
أتينا من أنيق الشكل سمح * تراه مثل راووق النديم
صفا وجرى الهوى فيه رقيقا * فسميناه راووق النسيم

(ومما) يحسن ان ينشد على لسان الباذهنج قول بعض العرب

اذا الريح من نحو الحبيب تنسمت * وجدت لرياها على كبدي بردا
واني بتهباب النسيم موكل * طروب وبعض القوم يحسبني جادا

(وللشيخ) برهان الدين القيراطي

يا طيب نفحة باذهنج لم يزل * بهوائه لنفوسنا تنفيس
مغرى بجذب الريح من آفاقها * فكأنه للريح مغناطيس

(وللشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة

وباذهنج لاخلت * ديارنا من أنسه
كأنه مقيم * باقي الهوى بنفسه

(وله)

وباذهنج غدا في الجو منتظر * من فوق منظره تبدو على سنن
فانظر فقد تلك يا محبوب رفعته * واستنشق الريح من تلقاه يا سكني

(وله) يا باذهنجي كم كذا * تعلو على بان الحمى
أبديت حقا زائدا * رفعت رأسك للسما

(وله مضمنا)

ودار حكت قصر السموأل فاغتدت * تباهي ببنيان لها وتقول
أرى باذهنجي في الهواء ارتفاعه * يعز على من رامه ويطول

(وله مضمنا)

يا باذهنجي أما ترثى لذي حرق * يبدي لهيب الجوى مذ بات يخفيها
عودتنا صدقات من لطيف هوى * فامنن على بريح منك يجريها

(وله مضمنا)

يا باذهنجي لا برحت من الهوى * مثلي على حب الديار مولها
داري بحبك دائما مشغوفة * خلقت هواك كما خلقت هوى لها

(وله)

وباذهنج تراه * كغصن بان ترنح * يهتز عند العطايا * لانه يترنح

(وله ملغزا فيه)

وذي جناح طوله * أضعاف ما في العرض
ما جار في شرع الهوى * وحكمه اذ يقضى
ولم يطر مع كونه * بين السما والأرض

(وقال أبو الفتح) بن قادوس يهجوه

لك باذهنج قلب صب له * نفس بصاعد لوعة الحرق
مات النسيم به فأجمعنا * نبكي عليه بأدمع العرق

(ولصدر الدين) بن عبد الحق (توفي تقريبا سنة ثمانين وسبعمائة)

في الباذهنج لا تنم * فما لرضاه دوى
لا يأمن الشخص الذي * يسرق في الليل الهوى

(ولشهاب الدين بن أبي حجلة)

وباذهنج ريحــه * تضرم نيران الجوى
مدحتــه جهلا به * فراح مدحى فى الهوى

(وله مضمنا فيه)

هجا الشعراء جهلا باذهنجى * لان نسيمه أبدا عليـل
فقال الباذهنج وقد هجوه * اذا صح الهوى دعهم يقولوا

(وقال) شهاب الدين الحنبلى المالكى (توفى سنة أربع وستين وستمائة)

و باذهنج اذا سوالمصـيف أتى * أهدى النسيم وقد رقت حواشيه
مصغ الى الجو ما نابا جاء نافـة * الاونم عليـه فهو واشـيه

(وأكثر الناس) ولوعا بالباذهنج القاضى الفاضـل فانه قال من رسالة انى من قوله فانه قال من مدة سنتين وما قاربهما وهى المدة من تاريخها فرح بهجرة وكرى وعلوسر رسالة الخ هـذا شعرى قد نظمت مائتين وخمسين ألف بيت من الشعر بشهادة عيانها وحضور ما رأيناه بالاصـل دواتها مثـل قولى فى باذهنج شديد الحرور كأنما يتنفس نفس مصدور مايناهز فليحرر اه ألف بيت كل مقطوع منها يخرع العقول اختراعه ويعق المحاسن بديـع ابتداعه ومثل قولى فى رجل طويل الآذان كأنهما فى رأسه خفان أوقد عجل له منهما نعلان ما يقارب ألف بيت تجاوزت بهما وأوريت وما دخلت منها الشاعر الى بيت ومثل قولى فى رثاء الوطن الذى درجت من وكره وخرجت فلم أخرج عن ذكره مايناهز عشرة آلاف بيت ومثل قولى

فى مدائح مخصوصه * واهاجى مخصوصه

(وللشيخ) برهان الدين القيراطى ملغزا فيه

أهواءنا المختلفه * قد أصبحت مؤتلفه
فى شامخ بأنفـه * على العوالى أنفـه
وذى جناح لم يطر * وكل طـيرالفـه
جناحه طول المدا * يبدى علينا رفرفه
كم من كئيب عاشق * اهدى له مشرفه
ولا يزال مرسـلا * لنحوه ملطفـه
فى الريح ضاع قول من * عـلى هواه عنفـه
عليله الصحيح كم * شـفى فلو بادنفـه

وروحه لطيفة * وذاته مشرفه
من قبلة الدين أرى * حب الهوى قد صرفه
ولم يكن مع الهوى * أعطافه منعطفه
هواه تحت طوعه * كيف يشاء صرفه
كم عمت غمامة * هامته المنكشفه
مازال غير ساكن * ساكنه مذ ألفه
وكلما لاح له * من الهواء التقفه
في الوليد ذاته * بذاته مؤتلفه
سكانها سميها * في الغرب بدى حيفه
فيه تشي عصبة * قد أصبحت مصيفه
ببدر ذو الرشد ولا * ينسبه الى السفه
جمدت مع تبذيره * وبذله تصرفه
وكل ما أسرف في * بلدشكرنا أسرفه
ونصفه مع جبل * ملك سطاه متلفه
تصحيف ثلثه جلت * فض حديثه الشفه
وثلثه حرفان بل * حرف فدع من حرفه
أنفاسه كم أودعت * محاسنا مستاطفه
كم رفعت من غصن * ذي قامة مهفهفه
معتلة هو الصحيح عند من قد عرفه
وعرفه يعرفه * بالطيب حل عرفه
وثوبه الابيض لا * يزال يبدي سالفه
آخره مصنف * لعالم قد صنفه
وبيت سلطان غدا * يصون فيه تحفه
يكني بمدني لفظه * عصابة مستنكفه
وبدء أرى السما * والارض والماء بألفه
فاكشف معمى قلبه * فثلكم من كشفه
نهار ذهنكم محى * من الظلام سدفه

يجرى لحل المشكلا * ت لم يخف توقفه
وبحركم دروما * صادفت فيه صدفه
وللرقاب قلدت * هاتك المؤلفه
كل البرايا نكرة * وأنت فيهم معرفه
وخذ عروسا شنفت * مدحليت مشنفه
زهير لو بان له * زهر جلاها قاطفه
أغشى سناه طرفها * اذ لاح طرف طرفه
حديقة حاسدها * يرعد مثل السعفه

(الباب التاسع فى النسيم ولطافة هبوبه)

وانما ذكرت النسيم لانه من لوازم البادهنج والنسيم الريح الطيبة ونسيم الريح أولها حين تقبل بلين قبل ان تشتد (ومنه) الحديث بعثت فى نسيم الساعة أى حين ابتدأت وأقبلت وما أحسن قول بعضهم *نسيم الريح نسيب الروح (قال) أبوزكريا يحيى بن على الخطيب التبريزى الرياح المعروفة أربع (الصبا) وهى تسلى عن الكروب (والجنوب) وهى تجمع السحاب (والشمال) وهى تعصره وتفرقه (والدبور) وهى تهدم البنيان وتقلع الشجر وهى المذكورة فى القرآن الريح العقيم وريح عاصف وريح صرصر وكل موضع جرى فيه ذكر الريح فالمراد بها الدبور والمراد بها العقوبة وكل موضع جرى فيه ذكر الرياح فى القرآن فانه مرجع الى الثلاثة التى تقدم ذكرها فيراد به الرحمة (وقيل) الرياح ثمان أربع من الجهات الاربع وأربع تسمى النكب لميلها وتنكبها عن الجهات الاربع فالشمال من ناحية الشام وذلك عن يمينك اذا استقبلت قبلة العراق فهبوبها من تحت بنات نعش ويقابلها الجنوب وهى باردة يابسة صافية من الكدر تشد الاعضاء وتسد المسام وتحصر الحرارة فى الباطن فيهضم الغذاء وتصفو بها كدورة الروح الحيوانى الذى فى القلب من الابخرة الدخانية وتديم الصحة وتقوى حواس الدماغ وذلك ان وصلت الى الجسم باعتدال وهى قليلة الهبوب ليلا ولذلك تقول العرب فى أحاديثها ان الجنوب قالت للشمال ان لى عليك فضلا لانى أسرى وأنت لا تسرى فقالت الشمال

ان المحرة لا تسري وكان للمتوكل بيت مال يسميه بيت مال الشمال فكلما هبت شمالا تصدق بألف درهم وسمع عمر بن الخطاب رضي الله عنه (قول) سحيم عبد بني الحسحاس

وهبت شمالا آخر الليل سحرة * ولا ثوب الا درعها وردائيا
فما زال بردي طيبا من ثيابها * الى الحول حتى انهج البرد باليا

فقال عمر أنك مقتول فاتهم بعد ذلك بامرأة فقتل (قال) أبو نواس (توفي سنة ثمان وتسعين ومائة) وفيه ثلاث روايات

هبت لنا ريح شامية * متت الى القلب بأسباب
أدت رسالات الهوى بيننا * عرفتها من بين أصحابي

(يحكى) ان الصاحب بن عباد رحمه الله تعالى (مولده سنة ست وعشرين وثلثمائة ووفاته سنة خمس وثمانين وثلثمائة) كان اذا سمع هذين البيتين ترنح لهما (قال) الشيخ شرف الدين أحمد بن يوسف القيسي حدثني من دخل سجستان وكرمان ان جميع ارحائهم ودواليهم تدور بريح الشمال قد جعلت منصوبة تلقائها وان هذه الريح تجري عندهم على الدوام صيفا وشتاء وهي في الصيف أكثر وأدوم وربما سكنت في اليوم والليلة مرة أو مرات فيسكن كل رحى ودولاب بذلك الاقليم ثم يتحرك فيتحرك وذكر ان هذه الدواليب المنصوبة بها اثنا عشر ألفا وتنقطع بانقطاعها قال والخصب والقحط في بلادهم معتبر بكثرة جريان ريح الشمال وقلته قال ولهم في الارحاء منافس تغلق وتفتح ليقل ويكثر وذلك انها اذا كانت قوية أحرق الدقيق فيخرج به اسود وربما حمي الرحاء فانفلق فهم يحتاطون لذلك بما ذكرناه والصبا تأتي من مطلع الشمس وهي القبول والدبور يقابلها وهي معتدلة ولاسيما ان هبت قبل طلوع الشمس في زمان الربيع وهي لطيفة صافية تذكي الاذهان وتبسط الأخلاق لاسيما ان مرت بمروج أزهار نافعة فانها تحمل قواها الى القلب والدماغ والى نفعها أشار الشاعر

وصبا أتت من قاسيون فسكنت * بهبوبها وصب الفؤاد البالي
خاضت مياه النيرين عشية * وأتتك وهي بليلة الاذيال

(وقال سيف الدين) المشد (ومولده سنة اثنين وستمائة وتوفي سنة خمس وخمسين

وستمائة)

مسكية الأنفاس تعلى الصبا * عنها حديثا قط لم يعلل
جنت لما ان سرى عرفها * وما ترى من جن بالمندل

(وقال) مجير الدين الخياط (ومولده سنة خمسين وأربعمائة ووفاته سنة أربع وعشرين وخمسمائة)

يا نسيم الصبا الولوع بوجدى * حبذا أنت لو مررت بهند
ولقد رابنى شذاك فبالله متى عهده باطلال نجد

(قال المهيار) الديلمى وتلطف (توفى سنة ثمان وعشرين وأربعمائة)

حملوا ريح الصبا نشركم * قبل ان تحمل شيحا وخزاما
وابعثوا لى فى الدجى طيفكم * ان أذنتم لجفونى ان تناما

(وروى) المرزبان باسناده ان المجنون خرج مع أصحاب له ليمتار من وادى القرى فمر بجبلى نعمان فقالوا ان هذين جبلا نعمان وقد كانت ليلى تنزلهما قال فأى ريح تجرى من نحو أرضها الى هذا المكان فقالوا الصبا فقال والله لا أبرح حتى تهب الصبا فأقام فى ناحية من الجبل ومضوا فامتاروا لهم وله ثم أتوه فحبسهم حتى اذا هبت الصبا رحل معهم وفى ذلك يقول

أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها
أجد بردها أو تشف منى حرارة * على كبد لم يبق الا صميمها
فان الصبا ريح متى ما تنسمت * على نفس مهموم تجلت همومها

(وضمن البيت الاول) الشيخ صفى الدين الحلى فى مليح اسمه نعمان فقال

أقول وقد عانقت نعمان ليلة * بنور محياه أنار ادعها
وقد أرسلت اياه نحوى فسوة * بروح كرب المستهام شميمها
أيا جبلى نعمان بالله خليا * نسيم الصبا يخلص الى نسيمها

(أقول) وعلى ذكر نعمان والكناية عنه فما ألطف ما ذكره الشيخ بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلى فى كتابه روضة الجليس ونزهة الانيس وهو ان بعض الرؤساء قال أخبرنى بعض الاصحاب قال كنت يوما جالسا عند صديق لى بالموصل اذ جاءه كتاب من بغداد من صديقة له فيه تشوق وفيه هذا البيت عتاب وهو

تناسيتم العهد القديم كأننا * على جبلى نعمان لم نتجمعا

فأخذ يستحسن هذا البيت ويهتز له فقلت له بالله عليك يا فلان أسألك شيأ ولا تخفه عنى قال سل قلت هذى معشوقتك صاحبة هذا الكتاب هل كنت تأتيها من وراء الدار فقال أى والله ومن أين علمت ذلك قلت من هذا البيت لانها ذكرتك فيه بجبلى نعمان وجبلى نعمان كناية عند الظرفاء من الناس عن جانبى كفل المليحة والمليح فقال والله ما أدركت من هذا البيت الذى أدركت (وكان) لبيد بن ربيعة العامرى آلى فى الجاهلية ان لاتهب صبا الا نحر وأطعم الناس حتى تسكن والزم نفسه ذلك فى الاسلام فلما كانت أيام عثمان جعل دوان لبيد بالكوفة وخطب الوليد بن عقبة الناس بها فى يوم صبا فقال معاشر الناس ان أخاكم لبيدا آلى فى الجاهلية الاتهب صبا الا أطعم الناس حتى تسكن وقد ألزم نفسه ذلك فى الاسلام وهذا اليوم من أيامه فأعينوه وأنا أول من يعينه ونزل فبعث اليه مائة بكرة وكتب اليه يقول

أرى الجزار يشحذ شفرتيه * اذا هبت رياح أبى عقيل

أشم الانف أصيد عامرى * طويل الباع كالسيف الصقيل

وفى الجعفرى بما عليه * على العلات والمال القليل

(فلما) أتاه الشعر قال لابنته يا بنية أجيبيه فقالت

اذا هبت رياح ابى عقيل * دعونا عند هبتها الوليدا

أشم الانف أصيد عبشميا * أعان على مروته لبيدا

بأمثال الهضاب كأن ركبا * عليها من بنى حام قعودا

أباوهب جزاك الله خيرا * نحرناها وأطعمنا الثريدا

فعد ان الكريم له معاد * وظنى يا ابن أروى ان تعودا

(فقال) أبوها أحسنت لولا انك استطعمتيه (ولبيد هذا صحابى قدم على النبى صلى الله عليه وسلم مع قومه بنى جعفر بن كلاب وهو صاحب احدى القصائد المعلقات التى أولها)

عفت الديار محلها فمقامها * وانما أمر ابنته ان تجيب الوليد

لانه لم يقل شعرا منذ أسلم وقال بعضهم لم يقل فى الاسلام الا قوله

الحمد لله اذ لم يأتنى أجلى * حتى اكتسيت من الاسلام سربالا

وقيل هذا البيت لغيره وهو أصح وقيل هذا البيت الذى قاله فى الاسلام بيت عجزه * والمرء يصلحه القرين الصالح * وقال له عمر رضى الله عنه يوما يا أبا عقيل أنشدنى شيأ من شعرك فقال ما كنت لأقول شعرا بعد ان علمنى الله البقرة وآل عمران فزاده فى عطائه خمس مائة وكان ألفين وقالت عائشة رضى الله عنها رويت من شعر لبيد اثنى عشر ألف بيت وقالت أيضا رحم الله لبيدا (حيث قال)

ذهب الذين يعاش فى أكنافهم * وبقيت فى خلف كجلد الاجرب

(قلت) كيف لو أدرك زماننا (وكان) لابن الجوزى رحمه الله تعالى زوجة اسمها نسيم الصبا فاتفق انه طلقها فحصل له بعد ذلك ندم وهيام أشرف به على العدم فحضرت فى بعض الايام مجلس وعظه فحين رآها عرفها فاتفق انه جاء امرأتان وجلستا امامه فحجبتاها عنه فانشد فى الحال * أيا جبلى نعمان بالله خليا وهذا من جملة لطائفه وظرائفه ومنها انه أنشد فى بعض مجالس وعظه

أصبحت ألطف من مر النسيم سرى * على الرياض يكاد الوهم يؤلمنى
من كل معنى لطيف أجتنى قدحا * وكل ناطقة فى الكون تطربنى

فقام اليه انسان وقال فان كان الناطق حمارا فقال أقول له يا حمارا اسكت

(وقال) صلاح الدين الصفدى

صدق خلى نسمات الصبا * فيما روت عنكم وما شك
قال لأخبر منها بما * جاءت به قلنا ولا أذكى

(وقال جمال الدين بن نباتة)

يداوى أسا العشاق من نحو أرضكم * نسيم صبا أضحى عليه قبول
بروحى من ذاك النسيم اذا سرى * طبيب يداوى الناس وهو عليل

(وقال) شهاب الحاجبى (توفى قريبا من سنة سبعين وسبعمائة)

لاتبعثوا غير الصبا بتحية * ماطاب فى سمعى حديث سواها
حفظت أحاديث الهوى وتضوعت * نشرا فيا لله ما أذكاها

(وقال بدر الدين) بن الصاحب

أسكرتم ريح الصبا بالشذا * حتى أذاعت سرنا بالبطاح
لا تمتنعوا ان اذاعت هوى * فما على السكرى بهذا جناح

(وقال) بدر الدين حسن العربى (ومولده سنة ست وسبعمائة ووفاته سنة

خمس وخمسين وسبعمائة)
سرت من بعيد الدار لى نسمة الصبا * فقد أصبحت حسرى من السير طالعه
ومن عرق مبلولة الجيب بالندا * ومن تعب أنفاسها متتابعه
(ولما أنشدتهما) السيد القاضى صدر الدين بن الآدمى فسح الله فى أجله (مولده سنة ثمان وستين وسبعمائة) قال لو قال الشيخ بدر الدين فقد أصبحت معتلة وهى ظالعة لكان أحسن من قوله حسرى (ولعمرى صدق فيما قاله) وما ألطف القاضى أمين الدين عثمان بن عطايا فى قوله

أنا اهوى غصن النقا وهو لاه * وفؤادى بحبه فى التيه
يا نسيم الصبا ترفق عليه * وتلطف به ولا تؤذيه
وتحمل رسالة ليس الا * كأمين فى حملها ارتضيه
واذا لم يكن رسولى نسيم * نحو غصن النقا فمن يثنيه

(وللشيخ) شمس الدين الواسطى من متأخرى شعراء الديار المصرية من موشحه

نسائم الاسحار * ينشرها الفواح * تحرك الاغصان * لانها أرواح
فقم بنا نسعى * لمربع يانع * للماء والمرعى * فيه غدا جامع
قد أطرب السمعا * تغريد السواجع
كانغام أوتار * غناه فى الادواح * ضرب من العيدان * لمن غدا أو راح

(ولمؤلف الكتاب) لطف الله به

ان هبت الارواح من نحوهم * فانتعشت الاشباح من راحها
لا تعتبونا فى الهوى واسكتوا * أشباحنا حنت لارواحها

ولم أر أحدا وصف الريح غير الاديب أبى القاسم أسعد بن على الكاتب المترسل (فى قوله) كأن شكل الهلال قرط * أو عطفة النون أو قلامه
كأن لون الهواء ماء * أو سندس رق أو غمامه

(حكى ان نور الدين) على بن سعيد المغربى صاحب المرقص والمطرب مر مع جماعة من الادباء المصريين ومنهم أبو الحسين الجزار فروا فى طريقهم علج نائم تحت شجرة وقد هب الهوى فكشف ثيابه عنه فقال ابو الحسين الجزار تقولوا ينظم كل واحد منا فى هذا شيأ قال فما لبث ان قال نور الدين

الريح أقود ما يكون لانها * تبدى خبايا الردف والأعكان

وتميل بالاغصان عندهبوبها * حتى تقبل أوجه الغدران
وكذلك العشاق يتخذونها * رسلا الى الاحباب والأوطان

(فقال) أبوالحسين ما بقى أحد منا يأتى بمثل هذا سيروا بنا * وقال النور الاسعردى (ووفاته سنة ست وخمسين وستمائة)

تميل الريح بالأغصان لطفا * كما مالت بشارببها العقار
وتجمع بينها من بعد بعد * واوراق الغصون لها المزار
وتخفق غيرة عند التلاقى * فهل أبصرت قود ايغار

(وما احسن قوله) وان كان فى غيرما نحن فيه

اهدى سقام جفونه * جسمى وأعدمنى الكرا
حتى اعتللت بسرعة * مثل النسيم اذا سرى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ العلامة عزالدين أبي الخير على ابن الشيخ بهاء الدين الحسين الموصلى تغمده الله بالرحمة

رب نسيم قد سرى * يحدو سحابا ممطرا
أذباله بليلة * تخبرنا بما جرى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه سيدى الشيخ وأخى تقى الدين أبي بكر بن حجة الحموى فسح الله فى أجله من قصيدة نبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم
وضاع شذا كم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم
ولما روى أخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاه الهوى يتبسم

(وقال) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر

شكر النسمة أرضهم * كم بلغت عنى تحيه
كم قد أطالت بل أطا * بت فى رسائلها الزكيه
لاغروان حفظت أحا * ديث الهوى فهى الذكيه

(ومن) هنا أخذ صلاح الدين الصفدى قوله وهو حسن عندى

ياطيب نشر هب لى من أرضكم * فأثار كامن لوعتى وشكى
اهدى تحيتكم وأشبه لطفكم * وروى شذا كم ان ذا لشرد كى

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة يخاطب الصلاح الدين

ان ابن ايبك لم تزل سرقاته * تأتى بكل قبيحة وقبيح
نسب المعانى فى النسيم لنفسه * جهلا وراح كلامه فى الريح

(وكان) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى يحب مغنيا اسمه النسيم وله فيه عدة مقاطيع وقد ذكر بعضها الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة من رقعة كتبها الى القاضى علاء الدين بن فضل الله فى منزلة الاهرام قال وقد كان تقدم من انعامه ثوب صوف أحمر * ونصفه فى يوم ماطر ونسأل الله تعالى ان لا يخلى ذوى العارض الممطر من جاه مولانا العريض وحلل انعامه التى هى كالدنانير الحمر والدراهم البيض ونصف مبيته فى هذه المنزلة التى أصبحت كليلة القدر عندى ذات أنديه وخيامها التى ودلو كان طالعها باسعد الاخبية وبردها اليابس الذى لم يترك منه رطبا سوى لسانه بصالح الادعيه هذا والهرم يضرب حتى اللحية بالشيب وأبو الهول الى جانبه يرجم حين يرجع بالغيب فان شبت من هوله فالهرم امامى وان قررت من نسيمه فهوى ناقتى خافى وقدامى

هوى تذرف العينان منه وانما * هوى كل نفس حيث حل حبيبها

فلو حكيه على القاضى محيى الدين بن عبد الله الظاهر رحمه الله تعالى وقد حى بهبو به الوطيس لاشتغل بنفسه ولترك محبوبه النسيم فى الريح المريس وذلك بعد ان قال فيه

ان كانت العشاق من أشواقهم * جعلوا النسيم الى الحبيب رسولا
فأنا الذى أتلو لهم يا ليتنى * كنت اتخذت مع الرسول سبيلا

(فقلت) كأنى حاضر اخاطبه

ان كنت فى عشق النسيم متيما * وزعمت ان هواه ليس بمتلف
فأنا أقول لمن تحرش بالهوى * عرضت نفسك للبلاء فاستهدف

(وقال القاضى محيى الدين) بن عبد الظاهر فيمن اسمه نسيم

يا من غدا لى من عدا * صف هجره الريح العقيم
أترى يطيب لى الهوى * ويقال لى رق النسيم

فقلت له مجاوبا

بالله ان رق النسيم وأخمدت * نار توججها يد التبريح

تقل فؤادك حيث شئت من الهوى * ودع العذول وقوله فى الريح
(قلت) وعلى ذكر الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى رسالته المذكورة فى ليلة من جمادى ذات أندية (ذكرت) ماقاله الشيخ المحدث الرحلة فتح الدين محمد بن محمد بن محمد بن سيد الناس رحمه الله تعالى قال كان القاضى فخر الدين بن نعمان والقاضى تاج الدين أحمد بن الأثير (توفى تاج الدين سنة سبعين وستمائة) صحبة السلطان على تل العجول ولفخر الدين مملوك اسمه الطنبا فاتفق انه دعى للملوكه المذكور بالطنبا فقال له نعم ولم يأته وتكرر طلبه له وهو يقول نعم ولم يأته وكانت ليلة مظلمة مطيرة فأخرج فخر الدين رأسه من الخيمة وقال تقول نعم ولم أرك (فقال تاج الدين)

فى ليلة من جمادى ذات أندية * لايبصر الكلب فى ارجائها الطنبا

(وقال بعض العشاق)

ألا يانسيم الريح مالك كلما * تدانيت منا زاد نشرك طيبا
أظن سليمى خبرت بسقامنا * فاعطتك رياها فجئت طبيبا

(وكان) أبو الفرج الوأواء محمد بن أحمد الدمشقى من حسنات الشام وصناعة الكلام وكان مبدأه مناديا بدار البطيخ بدمشق قال قال ابن حمدون كان الفتح بن خاقان يأنس بى ويطلعنى على الخاص من أموره فقال مرة يا أبا عبد الله لما دخلت البارحة الى منزلى استقبلتنى جارية من جوارى فلم أتمالك دون أن قبلتها فوجدت بين شفتيها هوى لورقد المخمور فيه لصحا فكان ذلك مما يستملح ويستظرف من الفتح بن خاقان فسمع الوأواء ذلك (فقال)

سقى الله ليلا طاب اذ زاد طرفه * فأفنيته حتى الصباح عناقا
بطيب نسيم منه يستجلب الكرى * فلو رقد المخمور فيه أفاقا

(وقال علاء الدين الجوينى) صاحب الديوان دوبيت

لله مبيتنا بضوء القمر * والحب نديمنا وصوت الوتر
قد فرق بيننا نسيم سحرا * ماأبرد ماجاء نسيم السحر

(وما ألطف) ماقال سيدى تقى الدين بن حجة أبقاه الله تعالى من موشحة امتدح بها سيدنا ومولانا الامام العلامة المفنن قاضى القضاة أبى الحسن علاء الدين الشهير بالقصا الحاكم بمدينة حماه المحروسة أسبغ الله عليه ظلاله مضمنا

بالله يابرقان أومضت فى الثغر * وحارس اللحظ فى شغل من الخبر
قف بالثنيات واذكرنى اذا عذبت * منهلات عذيب الثغر فى السحر
وارسل عليل النسيم خلفى * معترفا بالشذا ومشفق
ولا تقل انه المعتل فى شغل * فربما صحت الاجساد بالعلل

(وللقاضى الفاضل)

يا لمعة البرق بل يا هبة الريح * روحى بجسمى الى من عنده روحى
خذى لهم من دموعى عنبراعبقا * وأوقديه بنار من تباريحى
ناشدتك الله الا كنت مخبرة * عنى بأنهم ذكرى وتسبيحى

(وذكر الوهرانى) فى أول منامه هذه الابيات ولم أدرهى له أم لغيره (توفى سنة خمس وسبعين وخمسمائة)

أيا نفحة أهدت الى تحية * ينم عليها العرف من أم سالم
مشت فى اراك الواديين فنبهت * به كل نشوان المعاطف ناعم
ألا انما أحكى بدمعى ولوعتى * بكاء الغوانى وانتحاب الحمائم

(حكى عن الاصمعى) أنه قال كانت امرأة من العرب تأتى بصبية لها قبل الصبح فتقف على تل عال هناك وتقول أى بنى خذوا صفو هذا النسيم قبل ان تكدره الخلائق بأنفاسها (ولمؤلف الكتاب) لطف الله به من قصيدة

ألا يا نسمة الريح * وفى أيديك تبريحى
فنى أسألك عن قلبى * وان شئت أقل روحى

(الباب العاشر فى الفرش والمساند والأرائك)

ذكر القاضى الرشيد أبو الحسين أحمد بن القاضى الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والطرف والهدايا والتحف انه لما عزم المتوكل على اعذار المعتز أمر الفتح ابن خاقان بالتأهب لذلك وان يلتمس فى خزائن الفراش بساطا للايوان فى طوله وعرضه وكان طوله مائة ذراع وعرضه خمسين ذراعا فلم يوجد الا فى ما مضى من بنى أمية فانه وجد فى أمتعة هشام بن عبد الملك على طول الايوان وعرضه وكان بساطا لم ير لاحد مثله ابريسمى مذهب مقزز مبطن فلما رآه المتوكل استحسنه و بسطه فى الايوان بعد أن قوم فى أوسط التقويم بعشرة آلاف دينار ونصب

الخليفة فى صدر الايوان سرير ومدّ بين يديه أربعة آلاف مرفع ذهب مرصعة بالجوهر فيها تماثيل العنبر والمسك والكافور المعمول على مثل الصور منها ماهو مرصع بالجوهر مفردا ومنه ماعليه ذهب وجوهر وجعلت بساطا ممدودا وقعد المتوكل والناس جلوس وهو على سريره وحضرت القواد والامرء والندماء وأصحاب المراتب وجلسوا على مراتبهم ووضعت بين أيديهم من الجانبين للسماط فرجة وجاء الفراشون بزمل غشيت بأدم مملوء دنانير ودراهم نصفين وصب فى تلك الفرجة حتى ارتفعت وقام الغلمان دونها وأمر الناس بالشرب وأن ينتقل كل من يشرب من تلك الدنانير والدراهم ثلاث حفنات بقدر ما حملت يداه وكلما فرغ صب فيه من الزمل حتى يرد الى حالته ووقف غلمان فى آخر المجلس فصاحوا ان أمير المؤمنين أمر أن يأخذ من شاء ماشاء فمدّوا أيديهم الى المال وأخذوه وكان اذا أثقل الواحد مافى كمه ناوله الى غلمانه ثم يعود الى مجلسه وخلع على من حضر ثلاث خلع حسان على مراتبهم وأقاموا الى أن صليت العصر والمغرب وحملوا عند انصرافهم على الخيل والمهارى وأعتق المتوكل عن المعتز ألف عبد وأمر لكل واحد منهم بمائة درهم وثلاثة أثواب وكان فى صحن الدار بين يدى الايوان أربعمائة مكبة عليها أنواع الثياب وبين أيديهم مكبة فيها أنواع الفاكهة وتقدم الى صاحب الباب ان ينثروا على خدام الدار والحاشية ما كان أعدلهم وهو ألف ألف درهم فلم يقدر أحد على التقاط شئ فأخذ الفتح درهما فاكب الجماعة على المال فنهبوه وكانت قبيحة أم المعتز بالله قد تقدمت بضرب دراهم عليها مكتوب بركة من الله واعذار أبى عبد الله فضرب ألف ألف درهم نثرت على وجوه الغلمان والشاكرية وقهرمانات الدار والخدام والخاصة من الصبيان والسودان (وسأل) أبو العباس الصولى حرملة المزنى كم وصل اليك من اعذار المعتز فقال صار الى أن وضع الطعام نيفا وثمانين ألف دينار سوى الصاغات والخواتيم والجواهر وحضر المجلس محمد المنتصر وأبو احمد وأبو سليمان ابنا الرشيد وأحمد وأبو العباس ابنا المعتصم وموسى بن المأمون وأبناء حمدون النديم وأحمد بن أبى بن روبيم والحسين بن الضحاك وعلى بن الجهم وعلى بن يحيى المنجم وأخوه أحمد ومن المغنيين عمرو بن بانة وأحمد بن أبى العلاء والحفصى بن المكى وسلك الرازى وثمرة وسلمان

الطبال والمسدود وأبو حشيشة بن الفضل وصالح الدفاف وزنام الزامر وتفاح الزامر ومن المغنيات عريب وبدعة جاريتها وشراب وجواريها وندمان ونغم وفضلة وتركية وقديرة ورائث وعرفان قال وأقام المتوكل بالقصر ثلاثة أيام ثم صعد الى قصره الجعفرى وتقدم الى ابراهيم بن العباس بعمل حساب ما انفق فاشتمل على ستة وثمانين ألف ألف دينار وفضل بعد القسم عن الناس وانواع الخمس مما فى المدائن بساط كسرى أنفذه الى عمر بن الخطاب رضى الله عنه فقسمه بين الناس فأصاب على قطعة منها بعشرين ألف دينار وما كانت بأجود القطع وكانت الفرس تسميه القطف وكان طوله ستين ذراعا فى عرض ستين حرير فيه طرق كالصور وفيه فصوص كالانهار وخلال ذلك فى الافريز وفى حافاته كالارض المزروعة المقبلة بالنبات فى أوان الربيع فى قضبان الذهب والفضة ونواره كالجواهر واشباه ذلك وشبه فصوص ورسمه بالجواهر وزخرفته بحرير وذهب وكانوا يدخرونه للشتاء اذا ذهبت الرياحين وأرادوا الشرب شربوا عليه فكأنهم فى رياض وكان أفضل مال أصيب بالقادسية وكانت قيمته ستة وثلاثين ألف ألف دينار (ووجد) لام المعتز بالله ثلاث دواويج كانت تستعملهن فقوم الدواج بأكثر من ألف دينار ووجد لها جلود السمور فتحلق ما عليها من الوبر وترمى الجلود فاذا اجتمع من ذلك ما يكفى الدواج تنثر فيه مع فتت من المسك والعنبر وتجعله بين البطانة والظهارة عوضا عن القطن (وقال) القاضى الفاضل

بساط يرى التيجان تهوى للثمه * فما هو الا قبلة أو مقبل
اذا نشرت من نقشه لك روضة * بدا فوقها من كفه لك جدول
وأفضل أجزاء الجسوم رؤسها * وأرجلها فى وطئ بسطك أفضل

(دخل) محمد بن عمران على المأمون ذات ليلة فجعل يأمره وينهاه ثم دعا له بمتكاء فقال أعيذك بالله يا أمير المؤمنين ما كنت لا تكئ فى مجالسك فقال له ان على قلبك من بدنك ثقلا ومؤونة فأردنا ان يستريح بدنك ليفرغ لنا قلبك (وقال محيى الدين بن عبد الظاهر) ملغزا فى شربية

وهندية موطوءة غيرانها * اذا افترشت أغرتك بالبيض والسمر
تعانق من أعطافها خيزرانة * وتلمح من أزرارها طالع البدر

وأعجب من ذا انها اذ تقيسها * تفوتك طولا وهي تعزى الى شبر

(وأنشدني من لفظه) لنفسه الشيخ الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الجرائحي سلمه الله تعالى (مولده سنة خمس وثلاثين وسبعمائة)

يقول محدثي لما اصطحبنا * ووسدني حبيب القلب زنده
قصدتم عند طيب الوصل هجري * خذوني تحت رأسكم ومخده

(وأنشدني لنفسه أيضا)

بشحابه تطرزت * قالت بلفظ موجز
على الحرير قدمها * قدري والمطرز

(وقال) الشاعر الظريف محمد بن العفيف

بساط يملأ الابصار نورا * ويهدى للقلوب به سرورا
ويشرح حين يبسط كل صدر * وخير البسط ما أرضى الصدورا

(وقال ظافر الحداد) فيما يكتب على كرسى

نزه لحاظك في غريب بدائعي * وعجيب تشبيهي وحكمة صانعي
فكأنني كما محب شبكت * يوم الوداع أصابعا بأصابع

(وذكر القاضي الرشيد) بن الزبير في كتابه العجائب والطرف قال الفضل بن الربيع لما ولي محمد الامين الخلافة في سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني أن أحصي ما في الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة فاجتمعت كتاب الخزائن وأقاموا أربعة أشهر يحصون فأشرفت على ما لم أتوهم أن خزائن الخلافة تحويه ثم أمرهم أن يعملوا لكل صنف جملة فكان في خزائن الكسوة أربعة آلاف جبة منسوجة بالذهب وعشرة آلاف قميص وغلالة وعشرة آلاف خف وألف سراويل وكثير من أصناف الثياب وأربعة آلاف عمامة وألف طيلسان وخمسة آلاف منديل من أصناف المناديل وخمسمائة قطيفة خز ومائة ألف وسادة ومخدة خز وألف بساط ملون وألف مخدة ميساني وألف وسادة ميساني وألف بساط طبرستاني وألف وسادة ديباج وألف وسادة خز مرقوم وألف ستر حرير ساذج وثلثمائة ستر مرقوم وخمسمائة بساط طبري وألف وسادة طبري وألف مرفقة وألف مخدة طبري ومن الآنية ألف طست ذهب وألف ابريق ذهب وثلثمائة كانون فضة وذهب وألف

نورشمع ذهب والف قطعة نحاس من سائر الاصناف والف منطقة ذهب ثم ذكر السلاح وأصنافه وقد ذكرته في بابه

(الباب الحادي عشر في الروايح الطيبة والمروحة وماشا كل ذلك)

(قال انس بن مالك) رضي الله عنه دخل علينا النبي صلى الله عليه وسلم فنام عندنا فعرق وجاءت أمي بقارورة فجعلت تسلت فيها العرق فاستيقظ فقال يا أم سليم ماهذا الذي تفعلين قالت عرقك نجعله في طيبنا وهو من أطيب الطيب وما أحق هذا الطيب بقول القائل وهو الشيخ (عزالدين الموصلي)

تنشق مسك اصداغي حلالا * فهذا الطيب من عرق الجبين

(وقال عمر بن الخطاب) رضي الله عنه لو كنت تاجرا مااخترت غير المسك ان فاتني ربحه لم يفتني ريحه (أهدى) عبد الله بن جعفر لمعوية قارورة من الغالية فسأله كم أنفق عليها فذكر مالا كثيرا فقال هذه غالية فسميت بذلك (وما أحسن) قول أبي بكر الخوارزمي (توفي سنه ثلاث وثمانين وثلثمائة)

وطيب لايحل بكل طيب * يحيينا بأنفاس الحبيب

متى تشممه أنف حن قلب * كأن الانف جاسوس القلوب

(وكان) يوزن بين يدي عمر بن عبد العزيز رضي الله مسك للمسلمين فيأخذ بانفه لئلا يصيب الرائحة ويقول وهل ينتفع الابريحه وقال جعفر بن سليمان الهاشمي في الطيب أربع خصال لذة ومروءة ومنفعة وسنة ولما دخل عمر بن عبد العزيز بفاطمة بنت عبد الملك بن مروان ابنة عمه أوقد في مسارجها تلك الليلة الغالية فقوم ثمن ذلك فبلغ عشرين ألف دينار (نادرة) تبخر بعض الامراء وعنده مزيد فقرطت منه ريحة خفيفة وأراد ان يدري هل فطن لها مزيد فقال ما أطيب هذه المثلثة فقال نعم الا أنك ربعتها (سئل) جالينوس عن منافع الطيب فقال المسك يقوي القلب والعنبر يقوي الدماغ والكافور يصلح الرئة والعود يقوي المعدة والغالية تحلل الزكام والمثلث ينشف العرق (وقال ضياء الدين المناوي) في المسك

المسك انفس طيب * مثل الشباب وزينه

ان كان للطيب عين * فالمسك انسان عينه

(وله فى العود)

المندلى كريم * سقياله ولغرسه
لما أراد رينا * للهند نسبة جنسه
غدا على النار ملقى * يجود فيها بنفسه

(وقال الشيخ زين الدين ابن الوردى)

تجادلنا أماء الزهر أذكى * أم الخلاف أم ورد القطاف
وعقبى ذلك الجدل اصطلحنا * وقد حصل الوفاق على الخلاف

ولبعضهم فى مجمرة

عطرت مجلسى بنية طيب * اعربوا شكلها بحسن الجوارى
واذا اعتل للنسيم بخار * اسندوا نحوها صحيح البخارى

وللشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة فيها

ومجمرة تحكى المتيم فى الهوى * تبوح بما تلقاه من شدة الكرب
تقول وقد نمت بعرف بخورها * أأكتم ما ألقاه والنار فى قلبى

(ولمؤلفه) لطف الله به وان كان غير مقصود لنا

مذ باع نى بالآس لا * بالبان من اعطافه
حكموا بصحة بيعه * مع علمهم بخلافه

(وله)

سرحت مشطى سائلا * تصحيف قولى غاليه
ان لم تجد برخيصها * فالنار منها غاليه

(وقال الشيخ) جلال الدين بن خطيب داريا

حكيت فى اللطف نسج العنكبوت على * انى ظهرت لكم من جوهر قاسى
يكاد أن لا يرانى غير ذى نظر * من اللطافة الاطيب أنفاسى

(صفة غالية طيبة لذيذة) يؤخذ مسك جيد جزء وعنبر ربع جزء ومسك جزآن وسنبل الطيب جزء يسحق الجميع ناعما ويعجن بدهن بان ويرفع ويستعمل (صفة ند) له فى تفريح القلب أمر عجيب وفعل بالغ غريب يؤخذ عنبر جيد فيوضع فى اناء مسطح من نحاس على نار ويصب عليه شئ يسير من ماء ورد ويترك الى ان يلين ويدعك ويعلق به وزنه مسك جيد ومثل نصف وزنه عودا مسحوقا

ويدعك دعكا جيدا ويبسط على رخامة ويقطع قطعا ويبخر به فانه عجيب في تقوية القلب والقوة واحداث التفريح (صفة ذريرة) منسوبة الى جعفر البرمكي وكان كثير التبخير بها في أكثر ساعات نهاره وليله يؤخذ سليخة وقرنفل وفاغرة من كل واحد جزء وسنبل الطيب وقسط مر وصندل مقاصيري وعود وكبابة وقاقلة من كل واحد نصف جزء وزعفران ربع جزء يدق الجميع ناعما ويوضع في اناء من صيني ويسقى بماء الورد وماء القرنفل والنمام وماء الآس كل يوم مدة ثلاثة ايام ثم يترك الى أن يجف ويسحق ناعما ويضاف اليه كافور ومسك ويتبخر به نقلت هذه الصفحة من كتاب مفرح النفس تأليف الحكيم الفاضل بدر الدين مظفر بن قاضي بعلبك الذي ألفه للامير الفاضل سيف الدين عمر ابن قزل المشد تغمده الله بالرحمة

(القول في المروحة) وهي ثلاثة انواع مروحة الخيش ومروحة الادم ومروحة الخوص ومن احسن ما سمع فيها قول عرقلة

ومحبوبة في القيض لم تخل من يد * وفي القر يسلوها اكف الحبائب
اذا ما الهوى المقصور هيج عاشقا * اتت بالهوى الممدود من كل جانب

(وقال ابن معقل)

ومروحة اهدت الى النفس روحها * لدى القيض مثبوتا باهدا ريحها
روينا عن الريح الشمال حديثها * على ضعفه مستخرجا من صحيحها

(وقال نور الدين) على بن صاحب تكريت ولله دره

ياسائلي عن نسيم طي مروحة * أهدت سرورا بترجيع وترويح
أما ترى الخوص أهدى من مراوحه * ما أودعته قديم نسمة الريح

(قلت) وعلى ذكر الخوص فما احسن ماقاله الشيخ برهان الدين القيراطي في وصف النوق

صاح هذي قباب طيبة لاحت * وفؤادي على اللقا حريص
وتبدت نخيلها للطايا * فعيون المطي للنخل خوص

(قال) أبو الفوارس سوار بن اسرائيل الدمشقي (مولد ابن اسرائيل سنة ثلاث وستمائة ووفاته سنة تسع وسبعين وستمائة) كنت عند صلاح الدين يوسف بن أيوب فحضر اليه رسول صاحب المدينة على ساكنها أفضل الصلاة والسلام ومعه

قود وهدايا فلما جلس أخرج من كمه مروحة بيضاء عليها سطران من نساجة السعف الاحمر وقال الشريف يخدم السلطان وقال خذ هذه المروحة فما رأيت أنت ولا أبوك ولا جدك مثلها فاستشاط السلطان صلاح الدين غضبا فقال الرسول لا تعجل بالغضب قبل تأملها وكان صلاح الدين ما كان حليما فاذا فيها مكتوب

م القود الخيل أو التي تقاد بمقاودها كما في القاموس اه

أنا من نخلة تجاور قبرا * ساد من فيه سائر الناس طرا
شملتني سعادة القبر حتى * صرت في راحة ابن أيوب أقرا

قوله أقرى هكذا وجد في الاصل اه

واذا هي من خوص النخل الذي في مسجد رسول الله صلى الله عليه وسلم فقبلها صلاح الدين ووضعها على وجهه وقال بعضهم فيها

انني أجلب الريا * ح وبي يذهب الخجل
وحباب اذا الحبيـ * ـب ثنى الرأس للقبل

(وأما مروحة الاديم) فانها على نوعين أحدهما مستديرة الا موضع النصاب لا غير والأخرى مستديرة ثم يقطع ربع دائرتها التي تلي الوجه وفيها يقول ابن خروف

ومروحة اذا ما تأملتها * ترى فلكا دائرا باليد
وتطوى وتنشر من حسنها * فتشبه فنزعة الهدهد

قوله ومروحة الخ لا يخفى ما في هذين البيتين من الكسر اه

(وأما) مروحة الخيش فقد ذكرها الحريري في المقامات حيث قال اسمعوا وقيتم الطيش ومليتم العيش (وانشد) ملغزا في مروحة الخيش

وجارية في سيرها مشمعلة * ولكن على أثر القفول قفولها
لها سائق من جنسها يستحثها * على أنه في الاحتثاث رسيلها
ترى في أوان القيض تنطق بالندا * ويبدو اذا ولى المصيف نحولها

م ح

(قال الشريشي) في شرح المقامات هذه المروحة تكون شبيه الشراع للسفينة وتعلق في سقف ويشد بها حبل تدير به مشيها وتبل بالماء وترش بماء الورد فاذا أراد الرجل في القائلة ان ينام جذبها بحبلها فتذهب بطول البيت وتجيء فيهب على الرجل منها نسيم بارد طيب الريح فيذهب عنه أذى الحر ويستطيب وهي فوقه ذاهبة وجائية ولذلك سماها جارية ومشمعلة سريعة الذهاب وقفولها رجوعها والسائق الشريط الذي يسوقها اذا جذبت به يستحثها يستعجلها

ومن جنسها أى هو من كان مثالها رسيلها أى يرسل معه الزاوية البيت وترجع معها أوان القيض وقت الصيف وتنطف تقطر وفحولها يبسها انتهى كلام الشريشى قال الشيخ شهاب الدين بن ابى حجلة وهذه المروحة محدثة فى زمن بنى العباس وكان سبب حدوثها أن هرون الرشيد دخل يوما على أخته علية بنت المهدى فى قيض شديد فألفاها قد صبغت ثيابا من زعفران وصندل ونشرتها على الحبال لتجف فجلس هرون قريبا من الثياب المنشورة فجعلت الريح تمر على الثياب فتحمل منها ريحا بليلة عطرة فوجد لذلك راحة من الحر واستطابه فأمر ان يصنع له فى مجلسه مثله على الوجه المشروح فى كلام الشريشى فاشتهرت واستعملها الناس ومن ملح ألغاز الصاحب بن عباد فيها قوله لابى العباس الحرث فى يوم قيض ما يقول الشيخ فى قلبه فلم يفهم عنه اراد فى قلب الشيخ وهو خيش (وقال السرى الرفاء)

وخيش كما انجرت ذيول غلائل * مصندلة تختال فيها الكواعب
وقد أطلعت فيها الشمائل وانثنت * مقبلة فى جانبيها الجنائب

(الباب الثانى عشر فى الطيور المسمعة)

(القول على الببغا) وهو طائر هندى وحبشى دمث الخلق ثاقب الفهم له قوة على حكاية الاصوات وتلقى التلقين تتخذه الملوك فى منازلهم لينم بما يقع فيها من الاخبار وفى لونه الاغبر والاخضر والاسود والاحمر والاصفر والابيض وقد أهديت لمعز الدولة هدية من اليمن فيها ببغا بيضاء سوداء المنقار والرجلين وعلى رأسها ذؤابة فستقية وكل هذه الالوان معدومة خلا الاخضر وفى طبع هذا الطائر ان يتناول طعامه برجله كما يتناول الانسان الشئ بيده وله منقار معقف يكسر به الصلب وينقب به ما يعسر نقبه يتزاوج ويتعاشق ويسكن الذكر الى انثاه وله عفة فى مأكله ومشربه ومنكحه ليس بشره ولا أشر وهو بمثابة الانسان الظريف والناس يحتالون على تعليمه بان ينصب له تجاهه مرآة بحيث يرى خياله فيها ويتكلم الانسان من ورائها فيتوهم أن خياله فى المرآة وهو المتكلم فيأخذ نفسه بحكاية ما يسمعه من صوت الانسان (الوصف) كتب أبو اسحق الصابى الى أبى الفرج الببغاء أبياتا فى الببغاء منها (توفى الببغاء

سنة ثمان وتسعين وثلثمائة)

زارتك من بلادها البعيده * واستوطنت عندك كالقعيده
ضيف قراه الجوزا والارز * والضيف فى أبياتنا يعز
تراه فى منقاره الخلوقى * كلؤلؤ نقط بالعقيق
ينظر من عينين كالفصين * فى النور والظلمة بصاصين
يميس فى حلته الخضراء * مثل الفتاة الغادة العذراء
خريدة خدورها الاقفاص * ليس لها من حبسها خلاص

فأجابه بأبيات منها

وحسن منقار أشم قان * كأنما صيغ من المرجان
صيرها افرادها فى الجنس * بنطقها من فصحاء الانس
يحكى الذى تسمعه بلا كذب * من غير تغيير لجد أولعب
ذات غشا تحسبه ياقوتا * لاترتضى غير الارز قوتا
كأنما الحبة فى منقارها * حبابة تطفو على عقارها
أقدامها بيأسها الشديد * أوقعها فى قفص حديد

وهذه المذكورة تسمى فى هذه البلاد الدرة ومن ظريف ماسمعته فيها قول الشيخ الامام العالم النحوى المفتى زين الدين عمر بن المظفر أبى الفوارس الشهير بابن الوردى رحمه الله تعالى فبينما الطاوس مصغ الى الياسمين وهو على ماساقه الذنب على ساقه حزين واذا بدرة خضراء لا بل درة عذراء تقول أف لطاوس الطير من طاوس القراء أيها الطاوس الطريد المعكوس الشريد شغلك ظاهر الثياب عن باطن العيوب ان الله لا ينظر الى الثياب ولكن ينظر الى القلوب هلا شغلت عداوات أمراضك عن بساتينك وغياضك ولم لا أفنيت عن ماموسك وعجبك ليغفر لك الله ماتقدم من ذنبك شاركت آدم فى الخروج من الجنة والاسف عليها فشاركه فى التوبة والاستغفار والعودة اليها على أن آدم خرج من الجنة فهو الزرع فى الاولى ما يحصده فى الاخرى وأما أنا أيها الطاوس فانى رأيت نفوس البشر أشرف النفوس كرمهم الرب وفضلهم وخلق الموجودات لهم فشاركتهم نطقا ورزقا ونادمتهم ونديم السعداء لا يشقى فسبحان من بيده الخير المؤلف بين البشر والطير ومن أعجب أحوالى ان الصمت

محمود أفعالى لانى طائر ضعيف ولا قاس على البشر فى التكليف

غائب فى القلب حاضر * كاسر للصب جابر
أنا من خوف جفاه * واقع والقلب طائر
أنا بالمحبوب فخرى * فانتصب يامن يفاخر
أنا من جودة فكرى * عرفت باسمى الجواهر
ها أنا الدرة فاعرف * قيمتى ان كنت تاجر

(القول على القمرى) سمى بذلك لبياضه وحكاية صوته وهو يضحك كما يضحك الانسان ومن طبعه انه شديد المودة والرحمة أما مودته فانه يفرخ على فنن من أفنان شجرة كلها اعشاش لابناء جنسه يصاحبها كل يوم ولا يعتزل اعتزال الغراب وأما رحمته فانه يربى ولده و يعف عن انثاه مادام ولده صغيرا وهو يطاعم انثاه وتطاعمه و يظهر منه عليها وله وفيه من المروءة انه متى تزوج لا يبتغى بانثاه بدلا وله اعتناء بنفسه واعجاب بها ومن عادته انه يعمل عشه فى طرف فنن دائم الاهتزاز احترازا على فرخه لئلا يسعى اليه من الحيوان الماشى ما يقتلها (الوصف) قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر ملغزا فيه

ما معى رأيته * فى عداد الطير * كم له من مترجم * كم له من مشجر
كم له من كاتبة * ظهرت بالتدبر * كم خواف له بدت * لا لتماح المبصر
كله مجسم وان * زال بعض له قرى

(ذكرت) بقوله كم خواف له ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خطه المعز الاشرف المرحوم أوحد الدهر ونخبة العصر القاضى أمين الدين محمد الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام المحروس من قصيدة امتدح بها المعز الصاحب المرحوم فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس ناظر الدولة الشريفة بالديار المصرية سامحه الله تعالى أولها

جفون من تأرقها دوامى * مدامعها تفيض على الدوام

و يقول فى آخرها

قوادمها يمن ولسن عنه * خواف تحت أجنحة الظلام

(وقال الشيخ برهان الدين القيراطى)

تنفس الصبح فجاءت لنا * من نحوه الانفاس مسكيه

وأطربت في العود قربة * وكيف لا تطرب عوديه

(وأنشدني) سيدي القاضي شهاب الدين بن حجر فسح الله في أجله من لفظه لنفسه بتاريخ ثالث عشر ربيع الاول من شهور عام اثنين وثمانمائة بالقاهرة المحروسة بمنزله عمره الله ببقائه بحارة بهاء الدين

تخيرت رسلا سرنا عندهم خفا * اليكم وتلك الرسل فهي الحمائم

اذا قدمت مني عليكم فيالها * خوافي سر حملتها قوادم

(وأما الفاخت) فهي عراقية وليست بحجازية وفيها فصاحة وحسن صوت وصوتها في الحجازيات يشبه صوت المثلث وفي طبعها تأنس بالناس وتعشش بالدور وهذا الحيوان يعمر وقد ظهر منه ما عاش خمسا وعشرين سنة وما عاش أربعين سنة على ما حكاه أرسطو (الوصف) أنشدني من لفظه لنفسه اجازة أوحد المتكلمين العالم المفنن فريد الدهر المرحوم القاضي أمين الدين الانصاري صاحب ديوان الانشاء الشريف بالشام المحروس ملغزا في فاختة

وما طائر يهوى الرياض تنزها * ويمرح في أفنانها ويغرد

هجاء اسمه خمس حروف تعدها * وخمساه حرف ان تأملت مفرد

وبعدهما تصحيف باقيه ان ترد * بياناله أفحى يبين ويشهد

وفيه أخ ان تهت عنه فأخته * تدل على ما قد عنيت وترشد

(قلت) أنشأت هذا اللغز الظريف التركيب للشيخ العلامة بقية السلف الصالح زين الدين أبي بكر بن عثمان الشهير بابن العجمي بمنزله بمدرسة الكاملية بشارع بين القصرين عند دار تحالي في أوائل سنة خمس وتسعين وسبعمائة فأجاب بهذه الابيات

أيا من له مجد أثيل وسؤدد * غدا دون مرماه سماك وفرقد

تقيد يسار المقترين بيمينه * ويسراه من يمنى الغمامة أجود

سؤالك عن أنثى طروب ولم تزل * على عودها في الروض تشدو وتنشد

وتجذبني بالطوق حين نشيدها * لنحو التصابي لا أطيق أفند

يطير بها نحو النجاح جناحها * فتبلغ ما تختار ثم وتقصد

وفي بطن انثى لم تصور وانما * تصورها من جنسها من يرفد

تذكرني تدركها أم هانئ * فتشرف في نفسي اذا وتمجد

ومذبان منها الطرف أمست بعكسها * تخاف الردى ممن لها يترصد
وان حذفت ثاني الاخير فانه * على الحذف خاف بل يلوح ويشهد
وأولها مع ما يليه وطرفها * لنا فاه بالمعنى الذى منه يقصد
وحرفان منها فرد حرف لناطق * واف لمن للعكس من ذاك يجهد
وتفتح فاها حين يفقد ثالثا * وثالثه يخشاه من يتصيد
فخذه مبينا مغضيا عن اساءتى * فانك للاحسان أهل ومقصد
بقيت بقاء الدهر عزك باذخ * وفى مفرق الجوزاء لواءك يعقد
ولازلت فى الدنيا سعيدا مملكا * وحظك فى الاخرى النعيم المخلد

(وأما الشعين) وهو الذى تسميه العامة اليمام وصوته فى الترنم كصوت الرباب فى الاوتار صوتا محزونا جدا وهى متى اختلطت مع أصواتها غيرها حسنت وأما مفرده فلالان الزار مستحسن مع الغناء وغير مستحسن وحده وفى طبعه انه متى فقد انثاه لم يزل عزبا يأوى الى بعض فراخه حتى يموت وكذلك الانثى اذا فقدت الذكر وفى تركيبه انه اذا سمن سقط ريشه وامتنع من السفاد فهو لذلك لا يشبع نفسه وهو طائر ساكن جدا وقد ألهم انه يحترس من أعدائه بالسوسن يتخذه فى وكره (الوصف) ولنذكر الآن ما وقع للشعراء فى أصواتهن جملة لا تفصيلا فمن ذلك قول الحسام الحاجرى (توفى مقتولا سنة اثنين وثلاثين وستمائة)

١ لم أر ذلك فى كتب اللغة ولعله محرف فى لا أصل له اه

انى لأعذار فى الاراك حمامة الـشادى كذلك تفعل العشاق
حكم الغرام الحاجرى بأسرها * فغدت وفى أعناقها أطواق

(قال القاضى الفاضل)

لو كنت جاوبت الحمائم نائحا * قال الوشاة اذاع سرك بائحا
سر طائر اصدع الفؤاد بسجعه * أتراه غرد صادحا أم صائحا
ياضعف من أمسى الفريسة فى الهوى * وغدا الحمام له هنالك جارحا

(وقال المنازى)

لقد عرض الحمام لنا بسجع * اذا أصغى له ركب تلاحا
شجى قلب الخلى فقيل غنى * وبرح بالشجى فقيل ناحا

(قلت) وبعد هذين أبيات فلا بأس بذكرها وان لم يكن مما نحن فيه

وكم للشوق فى أحشاء صب * اذا اندملت أجدلها جراحا

ضعيف الصبر عنك وان تقاوى * وسكران الفؤاد وان تصاحا
كذاك بنو الهوى سكرى صحاة * كأحداق المهى مرضى صحاحا

(قلت) ولهذه الابيات حكاية غريبة نقلتها من خط الحافظ اليعمورى (ولد سنة ستمائة وتوفى سنة اثنين وسبعين وستمائة) روى أن أبا نصر المنازى المذكور واسمه أحمد بن يوسف دخل على أبى العلاء المعرّى وهو فى الشام فى جماعة من الادباء فأنشده كل واحد من شعره ما تيسر حتى أنشده المنازي أبياتا له فى وصف واد وهى

وقانا لفحة الرمضاء واد * سقاه مضاعف الغيث العميم
نزلنا دوحه فحنا علينا * حنو المرضعات على الفطيم
وأرشفنا على ظماء زلالا * أرق من المدامة للنديم
يصد الشمس أنا واجهتنا * ويحجبها ويأذن للنسيم
تروع حصاه حالية العذارى * فتلمس جانب العقد النظيم

(فقال أبو العلاء) أنت أشعر من بالشام ثم رحل الى بغداد فدخل المنازي عليه فى جماعة من أهلها من الادباء وأبو العلاء لا يعرف منهم أحدا فأنشده كل واحد ما حضره من شعره حتى جاءت نوبة المنازي فأنشده لنفسه الابيات المتقدمة (فقال) أبو العلاء ومن بالعراق اشارة الى قوله من بالشام (توفى المنازى سنة سبع وثلاثين وأربعمائة) وقال الشيخ صفى الدين الحلى

وبشرت بوفاة الليل ساجعة * كأنها فى غدير الصبح قد سبحت
مخضوبة الكف لا تنفك نائحة * كأن افراخها فى كفها ذبحت

(وقال) محيى الدين بن عبد الظاهر

نسب الناس للحمامة حزنا * واراها فى الحزن ليست كذلك
خضبت كفها وطوقت الجيـ * ـد وغنت وما الحزين كذلك

(وقال) جمال الدين محمد بن نباتة

مالى نديم سوى ورقاء ساجعة * من بعد مغتبقى فيكم ومصطبحى
اذا أدار ادكار الوصل لى قدحا * من أحمر الدمع غنانى على قدحى

(وله)

ناحتك من مغنى دمشق حمائم * فى دف أشجار تشوق بلطفها

فاذا أشار لها النديم بلطفه * غنت عليه بجنكها ودفها

(وقال) علاء الدين الوداعي

وفي أسانيد الاراك حافظ * للعهد يروي صبره عن علقمه
وكلما ناحت به حمامة * روى حديث دمعه عن عكرمه

(وقال) بدر الدين يوسف بن لؤلؤ الذهبي

وتنبهت ذات الجناح بسحرة * بالواديين فنبهت أشواقي
ورقاء قد أخذت فنون الحزن عن * يعقوب والالحان عن اسحاق
قامت تطارحني الغرام جهالة * من دون صحبي بالحمى ورفاقي
انا تباريني جوى وصبابة * وكآبة وأسى وفيض مآقي
وأنا الذي أملى الهوى عن خاطري * وهي التي تملي من الاوراق

(وقال) ناصح الدين الارجاني (ولد سنة ستين وأربعمائة وتوفي سنة أربعين وخمسمائة)

من كل أخطب مسكي الاهاب له * في منبر الايك تسجاع وتهدار
خطيب خطب وقد أفنى السواد نه * فمن بقيته في الجيد أزرار

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي رحمه الله تعالى

مذ غنت الورق على عيدانها * كم خلع الجو عليها من ملح
تدرعت صبا وخاضت شفقا * وطوقت أعناقها قوس قزح

(وقال) القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

ذات طوق وذات زيق تغني * فتثني بالوجد من ليس يدري
زيقت ثم كاشفتنا فقلنا * لك زيق وزيق بالقفر
ماتراها قد حدثت خاطر النهـ * ـر بما قد جرى وما منه يجري

(وأنشدني) من لفظه لنفسه سيدي وأخي تقي الدين أبي بكر بن حجة

ناحت مطوقة الرياض وقد رأت * دمعي تلون بعد فرقة حبه
لكن بتلوين الدموع تباخلت * فغدت مطوقة بما بخلت به

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

ناحت حمام البان أم تاهت أسى * لم أدر ما غناؤها من شوقها
عجماء لا تظهر حرفا من شجى * لانها مخنوقة بطوقها

(وقال أيضا)

وذات طوق على الاغصان تذكرني * قوام حسنك في ضمي لمعتنقك
قد سودت مهجتي نوحا فقلت له * سواد قلبي يا ورقاء في عنقك

(وقال) الامير مجير الدين بن تميم

لم أنس قول الورق وهي حبيسة * والعيش منها قد أقام منغصا
قد كنت ألبس أخضرا من أغصن * فلبست منها بعد ذاك مقفصا

(وقال الامير) سيف الدين المشد في قفص

أنا للطائر سجن * اقتني كل مليح
قضب البان ضلوعي * وحمام الايك روحي

(وله على لسان الطائر)

يا غصون البان ماذا * بلغ الاحباب عني
ما شجاهم طول نوحي * ما كفاهم فرط حزني
حبسوني عن مطاري * لا لمعنى ولفن
غير اني كنت مهما * يشرب الراح أغني

(ولمؤلفه) لطف الله به من قصيدة

حمام الايك أسعدني * فاني حاف تبريح
وحزني حزن يعقوب * فأبكي الصب أو نوحي

(وأما الديك) فمما ورد فيه ان النبي صلى الله وسلم قال الديك الابيض صديقي وعدو عدو الله يحرس دار صاحبه وسبع دور حوله وكان يبيته معه وزعم أهل التجربة ان الرجل اذا ذبح الديك الابيض الافرق لم يزل ينكب في أهله وماله (قيل) والفرخ يخلق من البياض والصفرة غذاؤه وقيل ليس في الدنيا أبخل من أهل مرو حتى ان الديك ينزع الحبة من أفواه الدجاج مع ان العادة خلاف ذلك وكأن ماء مرو يقضي ذلك فيسري في جميع حيوانها (كان مروان) ابن أبي حفصة من أبخل الناس مع يساره وما أصابه من الخلفاء لاسيما من بني العباس فانه كان رسمه ان يعطوه لكل بيت يمدحهم به ألف درهم (قال دعبل) كنت عنده في بعض الايام أنا وجماعة فأخذنا في الحديث وطال المجلس حتى أضربه الجوع فدعا بغداء فأتى بصحيفة فيها مرق فيها لحم ديك قد هرم لا تجز فيه السكين

ولا يؤثر فيه ضرس فأخذ قطعة من خبز فسابها جميع المرق وفقد رأس الديك فبقي مطرقا ساعة ثم رفع رأسه الى الغلام فقال له أين الرأس فقال رميت به قال ولم قال لم أظنك تأكله قال ولم ظننت ذلك والله انى لامقت من يرمي برجله فضلا عن رأسه والرأس رئيس وفيه الحواس الخمس ومنه يصيح الديك وفيه عيناه التى يضرب بها المثل فيقال شراب مثل عين الديك ودماغه عجب لوجع الركبة فان كان بلغ من جهلك ان لا تأكله فعندنا من يأكله فانظر أين هو قال والله لا أدرى أين رميت به فقال لكن أنا أدرى أين رميت به فى بطنك وكان أيضا لا يأكل اللحم حتى يجوع فاذا جاع أرسل غلامه فاشترى له رأسا فأكله فقيل له لانراك تأكل الا الرؤوس فى الصيف والشتاء فلم تختار ذلك فقال نعم الرأس أعرف سعره فلا يستطيع الغلام ان يخوننى فيه وليس بلحم يطبخه الغلام فيقدر ان يأكل منه ان مس عينا أو أخذ أذنا وقفت على ذلك وآكل منه ألوانا شتى آكل عينيه لونا وأذنيه لونا ودماغه لونا ولسانه لونا فقد اجتمعت لى فيه مرافق

(نادرة) قال أبو حاتم الاصمعي قدمت بغداد فدخلت مسجدا يحضره جماعة فسألنى بعضهم عن قوله تعالى قوا أنفسكم مايقول للواحد قلت ق قال فالاثنين قلت قيا قال فالجماعة قلت قوا قال فاجمع الثلاثة قلت ق قيا قوا وفى ناحية المسجد جماعة فمضوا الى صاحب الشرطة فقالوا له ان هنا قوما زنادقة يفسرون القرآن على صياح الديك فاشعرنا الا باعوان فأحضرونا بين يديه فأعلمته ماسئلت فعنفنى وأمر بضرب أصحابى عشرة عشرة (وما أحسن) قول بعضهم فيه

قد قلت شعرا مليحا * فسره لى يا مليكى
أكلت ديكا وديكا * وليس لى غير ديك

(وقال) ابن المعتز فيه (مولده سنة سبع وأربعين ومائتين ووفاته سنة ست وتسعين ومائتين)

بشر بالصبح طائر هتفا * مستوقيا للجدار مشترفا
مذكرا بالصبوح صاح بنا * كخاطب فوق منبر وقفا
صفق اما ارتياحة لسنا الصبـــح وأما على الدجى أسفا

(ولله أبو على) ابن رشيق (توفى سنة ثلاث وستين وأربعمائة) حيث مزق عنه جلباب

المادح وتركهم من شمل الذم فى الزى الفاضح فانه قال

قام بلا عقل ولا دين * يخلط تصفيقا بتأذين
فنبه الاحباب من نومهم * ليخرجوا فى غير ما حين
بصرخة تبعث موتى الكرى * قد أذكرت نفخ سرافين
كأنها فى حلقه عضة * أعضه الله بسكين

(وقال الشيخ) زين الدين بن الوردى من رسالة منطق الطير فصاح الديك هاأنا أناديك أنا قد أذنت فأقم الصلاة أنت هذا أوان صف الاقدام ووضع الجباه ومن أحسن قولا ممن دعى الى الله كم أوقظك وبانقضاء الاوقات أعظك فأشفق عليك بصياحى وأرفرف عليك بجناحى أقسم لك الوظائف بلا حساب وأعرف المواقيت بغير الاصطرلاب أنهاكم عن معصية الله بخروج الوقت فلا تعصوه والله يقدر الليل والنهار علم أن لن تحصوه فمن ادعى حسن الصحبة فليؤثر كاثارى ولا يختص من رفاقه بحبه كم منحت أهل الدار اخائى ووليتهم ولائى وهم يذبحون أبنائى ويستحيون نسائى

(الباب الثالث عشر فى الشطرنج والنرد ومافيهما من محاسن مجموعة)

(قال) الشيخ شمس الدين بن خلكان فى تاريخه رأيت خلقا كثيرا يعتقدون ان الصولى هو واضع الشطرنج وهو غلط وانما واضعه صصه بصادين مهملتين أحدهما مكسورة والثانية مشددة مفتوحة وفى لآخرها ساكنة وأردشير بن بابك أول ملوك الفرس الاخيرة هو الذى وضع النرد ولذلك قيل النردشير نسبوه اليه وأردشير لفظ عجمى تفسيره بالعربى دقيق وحليب فأرد دقيق وشير حليب وقيل دقيق وحلاوة وقيل هو بالزاى لا بالراى وضعه مثالا للدنيا وأهلها فرتب الرقعة اثنى عشر بيتا بعدد شهور السنة والمهارك ثلاثين قطعة بعدد أيام الشهر والفصوص مثل الافلاك ورميها مثل تقلبها ودورانها والنقط فيها بعدد الكواكب السيارة كل وجهين منها سبعة الشش ويقابله اليك والبنج ويقابله الجو والجهار ويقابله السا وجعل ما يأتى به اللاعب من النقوش كالقضاء والقدر والجهار تارة له وتارة عليه وهو يصرف المهارك على ما جاءت به النقوش لكنه اذا كان عنده حسن نظر عرف كيف يتأتى

وكيف يحيل على الغالب وقهر خصمه مع الوقوف عندما حكمت به الفصوص ولما تم وضعه واشتهرت افتخرت به الفرس وكان ملك الهند يومئذ بلهيت فوضع له صصه المذكور الشطرنج فقضت حكماء ذلك العصر بتفضيله على النرد ولما عرضه على الملك وأوضح له أمره سأله ان يتمنى عليه عدد تضعيف بيوته قمحا فاستصغر الملك ذلك من همته وأنكر عليه ما قابله من النزر القليل فى ذلك (فقال) له ما أريد غير ذلك فأمر له بذلك فلما حسب أرباب الديوان ذلك قالوا للملك ما عندنا ما يقارب القليل منه فأنكر ذلك فاوضحوه له بالبرهان فاعجبه الامر الثانى أكثر من الاول قال القاضى شمس الدين بن خلكان ولقد كان فى نفسى حزازة من هذه المبالغة حتى اجتمع بى بعض حساب الاسكندرية وذكر لى طريقا بين لى ما ذكروه وأحضر لى ورقة بصحة ذلك وهو انه ضاعف الاعداد الى البيت السادس عشر فاثبت اثنين وثلاثين ألف وسبعمائة وثمانية وستين حبة وقال نجعل هذه الجملة مقدار قدح وقد عبرتها فكان الامر كما ذكروه والعهدة عليه فى هذا النقل ثم ضاعف السابع عشر الى البيت العشرين فكان فيه ويبة ثم انتقل من الويبات الى الاردب ولم يزل يضعفها حتى انتهى فى البيت الاربعين الى مائة الف اردب وأربعة وسبعين الف اردب وسبعمائة اثنين وستين أردبا وثلثى أردب وقال فى هذا المقدار شونة ثم ضاعف الشون الى بيت الخمسين فكانت الجملة الفا وأربعة وعشرين شونة ثم قال هذا المقدار مدينة ثم انه ضاعف الى البيت الرابع والستين وهو آخر الابيات فكانت الجملة ستة عشر ألف مدينة وثلثمائة وأربعا وثمانين مدينة وقال يعلم انه ليس فى الدنيا مدن أكثر من هذا العدد انتهى (قال) أبو عبد الله محمد بن الاكفانى اذا جمع هذا هرما واحدا مكعبا كان طوله ستين ميلا وعرضه كذلك وارتفاعه كذلك بالميل الذى هو أربعة آلاف ذراع بالعمل الذى هو ثلاثة أشبار معتدلة على ان الاردب المصرى مساحته ذراع مكعب وزنه مائتان وأربعون رطلا وكل رطل مائة وأربعة وأربعون درهما والدرهم أربعة وستون حبة من القمح (قال) عمر بن الخطاب رضى الله عنه وقد ذكر عنده الشطرنج انى لأعجب من ذراع فى ذراع يديرها الحكماء منذ وضعت لم يقفوا منها على غاية قيل سبب وضع الشطرنج ان ملوك الهند ما كانوا

يروا القتال فاذا تنازعوا فى كورة أو مملكة تلاعبا بالشطرنج فيأخذها الغالب من غير قتال (ذمها) ذكر الصولى فى كتابه كتاب شعراء مصر أن نوسان الشاعر كان حاذقا بلعب الشطرنج فعابها الحسين الجمل مكائدة له فقال صاحبها أبدا مشغول بهموم يحلف بالله كاذبا و يعتذر مبطلا و يشتم نفسه و يسخط ربه وكل صناعة يجوز المكاثرة فيها غيرها فان صاحبها يغلب فى ساعة فيقضى دعواه وهو لاعب الصائم اذا جاع والعامل اذا عزل والمخمور حتى يفيق والغمايزم خشب خشبا ثم ان الرجل يسأل عن غلامه فيقال له هو يلعب فيضربه ولا يستحى ان يقول قم حتى نلعب وهو يلاعبه وان تقول فى الكاس ما أحذقه وفى الطنبور ما أضربه واذا اعترف عن الشطرنج قلت ما ألعبه فما يقول فى صناعة العبارة عن الكاس أحسن من العبارة عن صاحبها قال الجاحظ سمعت النظام يقول فى الشطرنج غنيان عجزا عن الادب فتلاعبا بالخشب دخل أبو العميس على أبى تمام وهو يلعب بالشطرنج وكان وسخا فقال ما أوسخ هذا الشطرنج فقال أبو تمام واللعب أوسخ (نادرة) حكى ان بعضهم كان اذا لعب الشطرنج ضارب خصمه فوصف لبعض الظرفاء فقال أنا ألتزم اللعب معه وما يحصل بيننا ضراب فلما أتى به ولعبا قال له فى أثناء اللعب شاه استرة فقال ملح والله القرنان أنت والقواد أنت فقال يا أخى ما الذى قلت لك قال قلت استر وهى استر وما يستر الا الجمل والجمل تصحيفه جمل والجمل اسم نجم فى السماء يقارب الجدى والجدى كبش والكبش القرنان والقرنان هو الذى يقود فقال يا أخى ما رأيت من يضارب بتصحيف وتفسير الا أنت (نادرة) سأل بعض الاكابر انسانا فقال تعرف اللعب بالشطرنج فقال لا والله يا مولانا ولكن لى أخ اسمه عز الدولة وهو أخى لامى أكبر منى بسنتين وأكبر بشئ يسير كان قد حصل بينى و بينه خصومة غالظة فسافر من مدة عشرة أعوام وسكن مدينة قوص و بلغنى انه فتح له دكان عطر والى الآن ما ورد على المملوك منه كتاب وهو أيضا ما يعرف يلعب الشطرنج (ومشى) البيدق البريدى مع شاب موسوم بالجمال فقال شمس الدين المنجم الشاعر أراك يا بيدق تفرزن حول هذا النفس فقال له واذا كان ذلك فقال أخشى عليك من ذلك الرخ لا يقطعك من الحاشية ويرميك عن الفرس و يقطع عليك الرقعة ولو كان فى كفيك الفيل يشير بقوله ذلك الرخ الى أحد الاعيان كان

يحب الشاب المذكور (نادرة) بعض الاجناد كان كثيرا يلعب الشطرنج مع مخدومه وكان الجندى خليعا فأعطاه الامير فرسا وقال له لا تفرط فيها قال نعم وبعد ذلك القاه راجلا وهو لابس جوخه قال ويلك أين الفرس فقال ياسيدى ضربني الشاه شاه مات سترت بالفرس وما أحسن قول القاضي الفاضل يصف حصار قلعة وحشا المنجنيق يحاكها واسان حبله يخاصمها والخادم تحت المنجنيق الاسلامي يعرض وجهه للمنجنيق الفرنجي ونقل قطع الستائر نقل قطع الشطرنج جنب التراس بيادق والجنابي رخاخ وجنب القلاع صيد والمنجنيقات فخاخ (وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباتة وظرف

قوله وما أحسن الخ هذا ما وجدناه بالاصل فنقلناه بحروفه اه

أشكو السقام وتشكو مثله امرأتي * فنحن في الفرش والاعضاء ترتج
نفسان والعظم في نطع يجمعنا * كأنما نحن في التمثيل شطرنج

وله ملغزا فيه

وما صامت يمضى ويرجع جائرا * ويقضى على أوصاله الوصل والصد
كأن الاسى آلى عليه اليه * فما فيه الا النفس والعظم والجلد
وأحرفه خمس على ان شطره * ثلاثة أخماس الحروف التي تبدو

(وله فيمن يلعب غائبا)

ولاعب يعرب شطرنجه * عن ذهنه المتقد الصائب
يغيب لكن ذهنه حاكم * ياحبذا من حاكم غائب

(وله)

لله في الشطرنج فكرة لاعب * ان غاب أو حضر اجتنيت حدائقه
شكرته نفس اللعب أو نفس النهى * هاتيك صامتة وهذى ناطقه

(وقال الشيخ) بدر الدين بن الصاحب

تأمل تر الشطرنج كالدهر دولة * نهارا وليلا ثم بؤسا وأنعما
محركها باق ويفنى جميعها * وبعد الفناحى وتبعث أعظما

(قلت) وهذا يشبه قول القاضي الفاضل وقد أخرج له السلطان الملك الناصر صلاح الدين من القصر من يعاني خيال الظل ليفرجه فقام الفاضل فقال له صلاح الدين ان كان حراما فاحضره وكان حديث عهد بخدمته قبل ان يلى السلطنه فما أثرانه يتكدر عليه فقعد الى آخره فلما انقضى ذلك قال له السلطان

كيف رأيت ذلك فقال موعظة عظيمة رأيت دولا تمضي ما كأنها كانت ودولا تأتي ولما طوى الازار طى السجل للكتاب اذا بالمحرك واحد فأخرج هذا الجد في هذا الهزل (وللشيخ) بدر الدين أيضا مضمنا

أميل لشطرنج أهل النهى * وأسلوه من ناقل الباطل
وكم هذبت طبع لعابها * وتأبى الطباع على الناقل

(وقال)

لعبت بالشطرنج في غاية * تقصر الاوصاف عن حدها
ان صاح في الاقران لي بيدق * تموت منه الشاة في جلدها

(وقال) أيضا وكان يلعبها غائبا وله يد طولى فيها

لى في الشطرنج نقل * أتقن الادمان حفظه
ألعب الغائب منها * فأراه طيف يقظه

(وكتب) الى شيخنا العلامة عز الدين الموصلى من حماه المحروسة كتابا وفيه من المجددات قوله مضمنا

جاهل شطرنج ينادي وقد * أمات نفس اللاعب من عكسه
ماتفعل الاعداء في أحمق * مايفعل الجاهل في نفسه

(وقال) جمال الدين ابن نباتة

افديه لاعب شطرنج قد اجتمعت * في شكله من معاني الحسن أشتات
عيناه منصوبة للقلب غالبة * والخد فيه لقتل النفس شامات

(وقال) صلاح الدين الصفدى

ألاعب بالشطرنج بدر ملاحة * محاسنه تزهى على طلعة الشمس
سترت ضناجهدى فلما رأيته * يروم قطاعى خفت منه على نفسى

(وقال) زين الدين بن الوردى

لاعبت بالشطرنج من * أضحى كشمس طالعه
نفسي به ماتت وما * تجدى المقاطعه

(ومن) الاستشهادات اللطيفة ماأنشده الشيخ نور الدين على بن سعد المصرى صاحب المرقص والمطرب وغيره وقد رأى شخصا يلعب الشطرنج ويضرب بالرقعة القطع ضربا عنيفا (فقال)

رفقا بهن فما خلقن حديدا * أوما تراها أعظما وجلودا

(قلت) وهذا البيت أول قصيدة للشريف البياضي في وصف النوق ولقد أجاد نور الدين رحمه الله تعالى وعلى ذكر نور الدين فما أحسن ما كتب به الى القاهرة المحروسة سيدنا ومولانا الفاضل المؤرخ المحدث المفتن شهاب الدين أحمد بن القاضي نور الدين على الشهير بابن حجر (مولده سنة ثلاث وسبعين وسبعمائة) فسح الله في أجله وذلك من بعض متجدداته

مولاى نور الدين صبحك الهنا * بسعادة تبقى لديك سرورها

لا تحتجب عن مقلتى فأنا امرء * ان لم تكن عينى فانك نورها

(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين ابى المحاسن محمد بن ابراهيم الدمشقى أحد فضلاء الديار المصرية وبقية متأخريها سامحه الله تعالى فى القاء العاشر من الشطرنج على قاعدة الحكاية المشهورة ولم أعلم الضابط فى هذه الاعداد جميعها هل هو لغيره وأنسيت ان أسأله

موت عدوى بزين حزمى * وألحق سيفه قتالى (القاء التاسع)

ولما فتنت بلحظ له * عذرت فاخفت من شامت (القاء الثامن)

أبنت ياعز شوقى لعل * تمنى بعطف به راحتى (القاء السابع)

يامليح بت شاكى بثه * ومحى رق ظلوم لشكى (القاء السادس)

ان كان فى صدك قتلى فقد * أنالنى فقد أحبابى (القاء الخامس)

تنكر فى حبه جائرا * فبات وفوه بيت الحرق (القاء الرابع)

وفاتن منظره فتنة * ليس يرى حرف الجفا عاشقه

اللام ألف بحرف واحد قال المنقول من خطه أنشدنى من لفظه لنفسه صاحبنا جلال الدين بن خطيب داريا سامحه الله تعالى فى القاء الثالث

بك يا خير منجد يحجب الغىّ اذ اقبل أى حر قصيد

(وقال) القاضى السعيد بن سنا الملك

ويوم مطير قد ترنم رعده * وصفق لما أحس القطر فى الرقص

ورقعة ماء تحت برد فواقع * وأفق عليه البرق يلعب بالفص

(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ (ولد سنة عشر وسبعمائة وتوفى سنة ست وسبعين وسبعمائة)

لما غدا بدر الدجى لاعبا * بالنرد يا ق الفص مثل الشرك
وفاق فى الحسن وفى لعبه * ناديت بالله ما أقمرك

(وقال) زين الدين بن الوردى

مهفهفان لعبا * بالنرد أنثى وذكر
قالت أنا قمرية * قلت اسكتى فهو قمر

(ولبعضهم) يورى باعداد النرد

ساعدنى جارى على شادن * أعطيته خمسا بمقدار
فما أتى اليك من يكه * الا بهذا البنج والجار

فى القاء الخامس من قطع النرد من نظم الشيخ صلاح الدين الصفدى

لا تبك ان هب ريح نجد * انك يا بئس ما بليت (اللام الف حرفان)

(وله) فى القاء السابع

قد ردشانى بكل شين * عدمت فى ذا صلاح خيرى

(الباب الرابع عشر فى الشمعة والفانوس والسراج)

من رسالة للامام ضياء الدين محمد بن نصر الله الجزرى المعروف بابن الاثير (مولده سنة ثمان وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وثلاثين وستمائة) وكان بين يدى شمعة تم مجلسى بالائتناس وتغنى بوجودها عن كثرة الجلاس وينطق لسان حالها انها أجود صاحبة من مجالسة الناس ولا الاسرار عندها بملفوظه ولا السقطات لديها محفوظه وكانت الريح تلعب بلهبها وتخلف على شعبة بشعبها فطورا تقيمه فتصير أغله وطورا تميله فتصير سلسله وتارة تحوفه فتصير مدهنه وتارة تجعله ذاورقات فيتمثل سوسنه وآونة تنشره فتصير منديلا وآونة تلفه على رأسها فيستدير اكليلا ولقد تأملتها فوجدت نسبتها الى الفص العسلى وقدها قد العسال وبها يضرب المثل للحكيم غير ان لسانها لسان الجهال ومذهبها مذهب الهنود فى احراق نفسها بالنار وهى شبيهة بالعاشق فى انهمال الدمع واستمرار السهر وشدة الاصفرار وكل ذا تجدد لها بعد فراق أخيها ودارها والموت فى فراق الاخ والدار وقد نزع هذا المنزع فى رسالة أخرى (فقال) وذلك ان لها قدا ألفى القوام مشبها فى نحوله واصفراره بحال

المستهام وهى والقلم شيآن فى انها اذا قطع رأسها صحا بعد السقام ومن عجيب شأنها ان روحها تحيى بفناء جسمها وبالارواح تكون حياة الاجسام وقد وصفها قوم بان لها خلقا كريما فى رعاية حقوق الاخوان وان بكاها ليس الا لمفارقة اخيها الذى خرجت معه من بطن ونشأت معه فى مكان وهذا الوصف من الطف أوصافها وهو مما يزيد الاحباب وجدا بأحبابها ويهيج الآلاف شوقا الى آلافها وكانت الريح تلعب بلهبها الذى الخادم فتسلطه هلالا فتارة تبرزه نجما وتارة تبرزه هلالا ولربما سطع طورا كالجلنارة فى تضاعف أوراقها وطورا كالاصابع فى انضمامها وافتراقها وآونة تأخذه فتلقيه على رأسها كالقناع ثم ترفعه عنها حتى تكاد تزاوله بذلك الارتفاع ثم قال بعد ذلك كلاما ليس فيه تشبيه فكما كانت الريح تلعب بالشمعة فتنقلها من مثال الى مثال كذلك الشوق يلعب بالقلب فينقله من حال الى حال وهذا الوصف وان مدبا عه لمعانقة الابداع وأودع اسرار المعانى فى صدور الالفاظ فصانها بالابداع مأخوذ من موضعين احدهما من قصيدة الارجانى والآخر من كلام ابى محمد عبد الله ابن أبى الخصال فانه مذكور فى آخر هذا الباب عند ذكر السراج أما قصيدة الارجانى فهى

نمت باسرار صبح كان يخفيها * وأطلعت قلبها للناس من فيها
قلب لها لم يرعنا وهو مكتمن * الا برقية نار من تراقيها
سفيهة لم يزل طول اللسان لها * فى الحى يجنى عليها ضرب هاديها
غريقة فى دموع وهى تحرقها * انفاسها بدوام من تلظيها
تنفست نفس المهجور اذ ذكرت * عهد الخليط فبات الوجد يبكيها
يخشى عليها الردى مهما ألم بها * نسيم ريح اذا وافى يحييها
بدت كنجم هوى فى اثر عقربة * فى الارض فاشتعلت منها نواصيها
نجم رأى الارض أولى ان يبوئها * من السماء فأمسى طوع أهليها
كأنها غرة قد سال سادخها * فى وجه دهماء يزهيها تجليها
أوضرة خلقت للشمس حاسدة * فكلما حجبت قامت تحاكيها
وحيدة وهى مثل الرمح هازمة * عساكر الليل ان حلت بواديها
ماطنبت قط فى أرض مخيمة * الا وأقمر للابصار داجيها

قوله سادخها لم نر معناه فى القاموس وفيه فى باب الجيم انسدج انكب على وجهه فلعله من هذه المادة اهـ

لها غرائب تبدو من محاسنها * اذا تفكرت يوما فى معانيها
فالوجنة الورد الا فى تناولها * والقامة الغصن الا فى تثنيها
قد أثمرت وردة حمراء طالعة * تجنى على الكف ان أهويت تجنيها
وردتشاك به الايدى اذا قطفت * وما على غصنها شوك يوقيها
صفر غلائلها حمر عمائمها * سود ذوائبها بيض لياليها
كصعدة فى حشا الظلماء طاعنة * تسقى أسافلها ريا أعاليها
وصيفة لست منها قاضيا وطرا * ان أنت لم تكسها تاجا يحليها
صفراء هندية فى اللون ان نعتت * والقد فى اللين ان أتممت تشبيها
ما ان تراك تبيت الليل لاهية * وما بها علة فى الصدر تضنيها
تضى الليالى نورا وهى تقتلها * بئس الجزاء لعمر الله يجزيها
وربما لم يبد للابصار لابسها * يوما ولم يحتجب عنهن عاريها
قدت على قدثوب قد تبطنها * ولم يقدر عليها الثوب كاسيها
غراء فرعاء ما تنفك قالية * تقص لمتها طورا وتفليها
شيباء شعثاء لا تكسى غدائرها * لون الشبيبة الا حين تبليها
فتاة ظلماء ما ينفك ناكلها * سنانها طول طعن أو يشظيها
مفتوحة العين تفنى ليلها سهرا * نعم وافناؤها اياه يفنيها
وربما نال من أطرافها مرض * لم يشف منه بغير القطع شافيها

(وقال القاضى الفاضل)

ولما أراد الليل ينظر وجهه * تقدم ان يذكى له الشمع أعينا
وما هى الا أعين وجفونها * دجاها وانسان السعود نهارنا
رياض دجى فتحن عند وقودها * أزاهر نار تركب الشمع أغصنا
عجبت لروض منه بالنار يزدهى * والازهر منه بالعين يجتنى
فتمكن الدجى والنور فيض دمائها * اذا النار نصل والشموع لها قنا

(وقال فيها)

بكت مثل ما أبكى وفاضت دموعها * ولم تفش أسرارا كفيض دموعى
اشارة مظلوم وعبرة عاشق * ووقفة مأمور ولون مروع
أقامت الى نحر الظلام أسنة * فلم تلقها الا بخلع دروع

وقال أيضا

والشمع فوق البحر تحسب أنه * من لجة قد اطلع المرجان
والماء درع والشموع أسنة * ولها اذا خفق النسيم طعان

وقال محمد بن على الوزير حاجب النعمان

وطفلة كالرمح شاهدتها * سنانها من ذهب قد طبع
دموعها تنهل فى نحرها * ورأسها يحيى اذا ما قطع

وقال آخر وأجاد

اذا مرضت طال منها اللسا   ن ومد المداوى اليها يدا
ويقطع من رأسها الجلنا   ر فيرجع أهليلجا اسودا

(وقال) ابن خفاجة (ومولده سنة خمسين واربعمائة ووفاته سنة ثلاث وثلاثين وخمسمائة)

وصعدة لبست سربال مشتهر * بالحب منغمس فى الدمع والحرق
مازال يطعن صدر الليل يورده‍ا * حتى بدا سائلا منه دم الشفق

وقال آخر وأغرب

وباكية من غير حزن بأدمع * تذوب بها أحشاؤها حين تنهمل
دموعا اذا ردت اليها بكت بها * ولم أر دمعا غيره رد فى المقل

(وقال) سيف الدين المشد

ولم أر مثل شمعتنا عروسا * تجلت فى الدجى ما بين جمع
كأن عقود أدمعها عليها * سلاسل فضة أو قضب طلع

(وقال) محاسن الشوا (مولده سنة اثنين وخمسين وخمسمائة ووفاته سنة خمس وثلاثين وستمائة)

حكتنى وقد أودى بى السقم شمعة * وان كنت صبا دونها متوجعا
ضنا وسهادا واصفرارا وزفرة * وصبرا وصمتا واحتراقا وأدمعا

وقال نور الدين ابن سعيد

ومجلس انس زينته عرائس * تزيدلنا وصلا اذا ما قطعناها
اذا طعنت صدر الظلام برمحها * ترد بسيف الصبح منها فأفناها

الشيخ زين الدين ابن الوردى

مشوقة مثل صدر الرمح عارية * قد توجت بنظير الكوكب السارى
تبكى اذا ضحكت بلا سهافرحا * فالقوم فى جنة والشمع فى نار

(وقال) ابن الجلال وأجاد الى الغاية توفى سنة ست وخمسين وخمسمائة

وصحيحة بيضاء تطلع فى الدجى * صبحا وتشفى الناظرين بدائها
شابت ذوائبها أوان شبابها * واسود مفرقها أوان فنائها
كالعين فى طبقاتها ودموعها * وسوادها وبياضها وضيائها

(مجير الدين ابن تميم) وقد طفئت شمعة بمجلس فزارهم مليح عقيب طفيها

ومخطفة أوقدتها جنح ليلة * وقد زار من أهوى وتم بها انسى
فأطفاتها اذا أشرقت شمس وجهه * ومن سفه ان يوقد الشمع فى الشمس

(وقال ابراهيم المعمار)

لاتنور فى مقامى * شمعة من غير حاجه
قد كفانا طلعة البد * ر ومصباح الزجاجه

ولما أنشدتهما للامير شهاب الدين الحاجى قال لى لم لاقلت

أطفئوا اذا الشمع عنا * مالنا بالشمع حاجه

(فقال ابراهيم) أردت مقامى وهذا فى غاية الظرافه (علاء الدين الوداعى) وقد أهدى شمعه

يامن ببعادهم أسا الدهر الى * والآن فقد أنعم بالقرب على
قد أظلمت الاشواق طرفى فلذا * قدمت اليكم شمعة بين يدى

البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى فى مليح يقط الشمع

وذى قوام أهيف * بين الندامى قد نشط
قام يقط شمعة * فهل رأيت الظبى قط

سيف الدين المشد ملغزا فى طوافه

لينة الاعطاف لا * ينكر فضل قدرها
حياتها فى طيها * وموتها فى نشرها

قوله فى طوافه هكذا فى الاصل فلتفهم

(وقال ناصر الدين بن شافع) فى وصفها (مولده سنة تسع وأربعين وستمائة وتوفى سنة ثلاثين وسبعمائة) وشمعة قد استتم نبتها فى روض الانس حتى نور * ولا نمى بدوحة المفاكهة حتى أزهر * أو مأبنان تبلجها الى طرق الهداية وأشار ودل

على نهج التبصر وكيف لا وهي علم في راسه نار * كأنما هي قلم استمد بماء ليق من ذهب أو صعدة الا أن سنانها ذهب وحسبها كرما ان جادت بنفسها وأعلنت بامتناعها على حمود حسدها سائلها في الجود بامثالها مسؤل ودمعها بالعفو للصفو من سماحتها مطلول تحيتها مواصباحا يتألق بفجرها وتمام بدرها في أوائل شهرها قد جمعت من ماء دمعها ونار توقدها بين نقيضين ومن حسن تأثرها وعين تبصرها بين الاثر والعين (وقال محيي الدين) ابن عبد الظاهر في حين ماشق ربعي الدجى عن ترائبه جيبا ونشر الظلام ظفائره وقد اشتعل رأسه من النجوم شيبا في ضوء شمعة نشرت على الورق رداء الاصيل وأخفت من الدجى سواد جفنه الكحيل وسترت ذوائبه في مصفر أبهج من وجنتي بثينة لولا أنها في صفرة وجه جميل (وكتب) الاديب الفاضل الكامل شرف الدين عيسى ابن حجاج العالية أحد شعراء العصر بالديار المصرية أبقاه الله تعالى الى الوزير العلامة فخر الدين ابن مكانس تغمده الله بالرحمة (يقبل) الارض التي شاقه ترابها المواطئ الفخرية فزاد اعجابا وقال المسك ياليتني كنت ترابا وينهي انه أقبل على المطالعة والباقي من العشر ليال خمس واستهدى بنجوم فوائدها حين قامت الشمعة بوظيفة الشمس واستدعى اعوانا من السهر فتخاذلت عنه اعوانه وخشي من غلبة النوم فتغلب عليه سلطانه ولما أغفى على وجه الكتاب لعبت الشمعة بلسانها وتناولت طرف شاشه بيد نيرانها فهب المملوك وأخمد منها ما تصاعد من الانفاس وقابلها على حرق الشاش بقطع الراس

اني جلست بشمعة موقودة * لاطالع الاسفار للتسبيح
فتناولت شاشي أوائل نارها * وتمكنت منه بمرار يح
من قبل حرق الشاش كنت مطالعا * في الكتب صرت مطالعا في الروح

وقد توسلت بهذه الرسالة المدونة في باب المنظوم والمنثور ومددت يد سؤلي الى طلبي ساشا مقصورا وأرجو ان يجمع لي بين الممدود والمقصور أبقاك الله للاولياء الذين يحبون وجودك ويستمطرون كرمك وجودك (وقال) مجير الدين ابن تميم وقد مر بدار بعض أصحابه ومعه شمعة وقد طفئت فأوقدها من داره

لما أزرتك شمعتي لتنيرها * جاءت تحدث عن سراجك بالعجب
واقتك حاسرة فقبل رأسها * فاعادها تحوى بتاج من ذهب

(حكى) ان مجير الدين الخياط الدمشقي كان يتعشق غلاما من أولاد الجند فشرب في بعض الليالي وسكر فوقع في الطريق فمر الغلام عليه وهو راكب فرآه في الليل مطروحا فوقف عليه بالشمعة ونزل فأقعده ومسح وجهه فسقط من الشمعة نقطة على خده ففتح عينيه فرأى الغلام على رأسه فاستيقظ من سكرته وأنشد مرتجلا

يا محرقا بالنار وجه محبه * مهلا فان مدامعي تطفيه
احرق بها جسدي وكل جوارحي * واحذر على قلبي فانك فيه

(وأما الفانوس) فمن أحسن ما سمعته فيه قول مجير الدين بن تميم

انظر الى الفانوس تلق متيما * ذرفت على فقد الحبيب دموعه
يبدو تلهب قلبه لنحوله * وتعد من تحت القميص ضلوعه

(وقال)

أبدا اعتذارا لنا الفانوس حين بدا * في حالة من هواه ليس ينكرها
رأى الهوى مضرما ما بين أضلعه * نار الجوى فغدا بالثوب يسترها

(وقال الوجيه المناوي)

كأنما الليل وفانوسنا * يجلو دجى الظلمة للحس
لجة بحر قد طما موجه * تسبح فيه كرة الشمس

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة مضمنا

وكأنما الفانوس نجم نير * منع الظلام من الهجوم طلوعه
أو عاشق أجرى الدموع بحرقة * من حر نار قد حوته ضلوعه

(وله مضمنا أيضا)

أنا في الدجى ألقى الهوى وبمهجتي * حرق يذوب بها الفؤاد جميعه
فكأنني في الليل صب مدنف * كتم الهوى فوشت عليه دموعه

(وله فيه مضمنا)

يحكي سنا الفانوس من بعدلنا * برق تألق موهنا لمعانه
فالنار ما اشتملت عليه ضلوعه * والماء ما سمحت به أجفانه

(وله)

أنا فى مقام الناصر السلطان لا * أشكو الى محبوب قلبي مابى
فاصبر كصبرى فى الهوى ولاتنى * متجلد والنار تحت ثيابى

(مجير الدين) ابن تميم تضمين

يقول لها الفانوس لما بدت له * وفى قلبه نار من الغيظ تسعر
خذى بيدى ثم اكشفى الثوب تنظرى * ضنا جسدى لكننى أتستر

وأما السراج وما قيل فيه فمنه قول ابن أبى الخصال

عذرا اليك أعزك الله فانى حططت والنوم معازل والعزم منازل والريح يلعب بالسراج ويصول عليه صولة الحجاج وطورا يسدده سنانا وطورا يحركه لسانا وآونة يطوى جنابه وأخرى ينشره ذؤابه ويقيمه ابرة لهب ويعطفه برة ذهب أو حمة عقرب وتقوسه حاجب فتاة ذات غمرات ويتسلط على سليطه ويزيله عن خليطه ويخلفه نجما ويعده رجما وتسل روحه من ذباله ويعيده الى حاله وربما نصبته اذن جواد ومسخته حدق جراد ومشقته خاطف برق بكف ودق ولثم سناه قنديله والفت على أعطافه منديله فلا حظ منه للعين ولا هداية فى الطرس لليدين (قال) شرف الدين التيفاشى رأيت فيما يرى النائم قائلا يقول لى تحفظ فى السراج والمسرجة فانشدته قول ابن الرومى

وحية فى رأسها درة * تسبح فى بحر قصير المدا
اذا تولت فالعمى حاضر * وان تجلت بان طرق الهدى

(فقال) لى هذا فى الذباله وانا سألتك فى السراج والمسرجة فانشدته قول الصنوبرى

ان سراجا نوره ظلمة * كأنما يوقد فى قلبى
الحب أضناتى فما باله * يفنى وما يشكو جوى الحب

(فقال) هذا فى السراج وأنا سألتك فى السراج والمسرجة فصمت فقال أراك سكت فقلت له ما تحفظ فيهما أنت فانشد

مسرجة تسرج من فوقها * ذبالة فى جوف مصباح
كأنها مسرجة فوقها * تفاحة فى غصن تفاح

فاستيقظت وأنا أحفظهما قال شهاب الدين بن أبي حجلة وهذا التشبيه في المسرجة جيد في مسارج العرب فان مسرجتهم قضيب أملس أشبه شيء بغصن التفاح (قلت) لا يخفى ما في هذين البيتين من الحسن وجودة التركيب في قوله في البيت الاول مسرجة ثم في الثاني كأنها مسرجة وقوله تفاحة في غصن تفاح وما أعرف لهما شبيها الا قول ابن وزير في الحمام حكى ان ابن قزمان الوزير أبي بكر صاحب الازجال المشهورة قام من مجلس أنس فمال على السراج فأطفأه فقال في الحال

يا أهل ذا المجلس السامي سرادقه * ما مات لكنني مالت بي الراح
فان أكن مطفئا مصباح بيتكم * فكل من حل فيكم فيه مصباح

(قال) القاضي كمال الدين بن العديم (مولده سنة ست وثمانين وخمسمائة ووفاته سنة تسع وخمسين وستمائة) في تاريخ حلب ان القاضي شمس الدين بن خلكان الاربلي (مولده سنة ثمان وستمائة ووفاته سنة احدى وثمانين وستمائة) قدم حلب وتفقه على مذهب الشافعي وأنشدني لنفسه ملغزا في السراج

أيها العالم الذي * صار حبرا ممارسا
والذي موضحاته * تجتليها عرائسا
أي شيء ترى الورى * جمعهم منه قابسا
ان في السرب نصفه * حيثما كان كانسا
ثم صحف تمامه * تلق خلا مؤانسا
واحذفن منه ثالثا * تنظرن فيه فارسا
من يصفه عاكسا * يلق في الليل حارسا

(وما أحسن) قول القاضي الفاضل يعتذر عن كتاب كتبه الى بعض أصحابه ليلا كتبها المملوك ليلا وقد عمشت عين السراج وشابت له الدواة وكل خاطر السكين وخرس لسان القلم وضاق صدر الورقة فاذا وقف سيدنا على هذا الكتاب فليقف على بيمارستان وليقل الباذنجان من هذا ولا يقل هذا من الباذنجان (وقال) ابن تميم في سراج يوقد من سراج

أعلمتم يا قوم أن سراجنا * أعمى وفيه فضيلة لا تكتم

يأتي أخوه اليه حاسر رأسه * فيعيده في الحال وهو معمم

(نادرة) اتفق ان أبا الحسين الجزار قام مرة الى بيت الخلاء فناوله السراج الوراق شمعة فقال الجزار ما عادتي أقضي الشغل الا على السراج (وما أظرف) (قول زين الدين ابن الوردي)

لي صاحب واسمه سراج * ما قر لي عنده قرار
لسانه محرق لقلبي * ان لسان السراج نار

ومن أكثر من ذكر السراج الاديب الفاضل الكامل سراج الدين عمر الوراق حتى انه قيل له لولا لقبك راح نصف شعرك فمن ذلك قوله

اذا بحت بالشكوى عتبت معاشرا * بلا راحة في مدحهم أتعبوا ذهني
يريدوني رطب اللسان ومن رأى * سراجا غدا رطب اللسان بلا دهن

(وقوله) يتقاضى زنجبيلا

مولاي بدر الدين أنـت من المكارم تاجها
ولديك بغية كل نفـس آملتك وحاجها
والنور وجهك في الفضا ئل قد أقر سراجها
أنسيت سورة هل أتى * ونسيت كان مزاجها

(وقوله)

أقول في يوم شتاء به * من سحبه ما خلف النيلا
خرجت من بيتي سراجا وقد * عدت بحمد الله قنديلا

(وقوله)

سبق السراج الى امتدا * حك كل من يتقدمه
وسنالك مسرجة لبا * بك والمهابة تلجمه
لكن توقد ذهنه * ما كل شيء يفحمه

(وقوله)

كم قطع الجود من لسان * قلد في نظمه النحورا
وها أنا شاعر سراج * فاقطع لساني أزدك نورا

(وقوله)

بمن اقتدى بالكتاب العزيز * قرا ه لبرى سحا وراطا

فما قال لى أف مذ كان لى * لكونى أبا ولكونى سراجا

(وقوله)

أثنى على الانام انى * لم أهج خلقا ولو هجانى
فقلت لا خير فى سراج * ان لم يكن ذاك فى اللسان

(وقوله)

قلبى لديك وطرفى طال بعدهما * عنى فلى أبدا سهد وتذكار
ولست متهما قول السراج اذا * ماقال من حرق فى قلبى النار

(وقوله)

بكتبك راح لى أملى وقصدى * وفى يدك النجاح لكل راجى
ولولا أنت لم ترفع منارى * ولا عرف الورى قدر السراج

(وقوله) وقد اجتمع ببدر الدين بيلبك وشمس الدين سنقر

لما رأيت البدر والشمس معا * قد انجلت دونهما الدياجى
حقرت نفسى ومضيت هاربا * وقلت ماذا موضع السراج

(وقوله) يمدح ضياء الدين

أمولانا ضياء الدين دم لى * ومش فبقاء مولانا بقائى
فلولا أنت ما أغنيت شيأ * وهل يغنى السراج بلا ضياء

(وقوله)

شعيرتى منذ مدت قد جبت * شخصك عنى وكان مأنوسا
فالحمد لله زادنى شرفا * كنت سراجا فصرت فانوسا

(وقوله)

الهى قد جاوزت سبعين حجة * فشكرا لنعماك التى ليس تنكر
وعمرت فى الاسلام فازددت بهجة * ونورا كذا يبدو السراج المعمر
وعم نور الشيب رأسى وسرنى * وماساءنى ان السراج منور

(وقوله)

طوت الزيارة اذ رأت * عمر الشباب طوى الزياره
ثم انثنت لما انثنى * بعد الصلابة كالحجاره
وبقيت أهرب وهى تسأل جارة من بعد جاره

وتقول ياستى استرحـنا الاسراج ولا منـاره

(وقال فيه) بعض شعراء عصره والسراج عمر عالى المنار يتوقد كاولولم تمسه نار

(حكى) انه جهز غلاما ليبتاع له زيتا طيبا يأ كل به لفتا فأحضره وقلبه على اللفت فوجده زيتا حارا فأنكر على الغلام وأخذه وجاء الى البياع وقال لم تفعل مثل هذا بنا فقال والله يا سيدى مالى ذنب الا انه قال لى اعطنى زيتا للسراج (وحكى) عنه أيضا انه دعى الى زفة فقالوا له صبيحتها أيش كان حالك ياسراج الدين البارحة فقال أيش حال سراج بين ألف مشعل (ومثلها) ماحكاه لى الوزير المرحوم فخر الدين بن مكانس عن صاحبه سراج الدين القوصى انه كان حصل له طلوع فى جسده فتردد اليه المزين فقال أيش حال سراج فيه سبع فتائل (وأنشدنى) لنفسه يداعب المذكور وكان سكندرى الاصل

يا ذا السراج اشترا برى فانت به * أولى وذلك للامر الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ماقام وانتصبا

(وما أحسن قول بعضهم) * ومتى أظلم خطب عمر الله السراجا *

(فصل فى القنديل) قال شمس الدين محمد بن العفيف

صفا باطنى صرفا كما رق ظاهرى * وناجيت فتيانا من الشرب أكؤسا
اذا نهضوا كنت الرفيق لهم اذا * وان جلسوا أمسيت فى الوسط جلاسا

(ولآخر)

وقنديل كان الضوء فيه * سنا وجه الحبيب اذا تجلا
أشار الى الدجى بلسان افعى * فشمر ذيله هربا وولى

(ولآخر)

وشادن مر والقنديل فى يده * مابيننا وظلام الليل معتكر
كأنه فلك والماء فيه سما * والنار شمس به والحامل القمر

(وله)

عجبت لقنديل تضمن قلبه * زلالا ونارا فى دجى الليل تشعل
وأعجب من ذا انه طول عمره * يجن عليه الليل وهو مسلسل

(الباب الخامس عشر في الخضراوات والرياحين)

(الورد) كان المتوكل يقول أنا ملك السلاطين والورد ملك الرياحين فكل منا أولى بصاحبه وكان قد حرم الورد على جميع الناس واستبد به وقال لا يصلح للعامة فكان لا يرى الورد الا في مجلسه وكان أيام الورد لا يلبس الا الثياب المورّدة ويفرش الفرش المورّدة ويورّد جميع الآلات (ورفع) الى المأمون ان حائكا يعمل سنته كلها لا يتعطل في عيد ولا جمعة فاذا ظهر الورد طوى عمله وغرّد بصوت عال

طاب الزمان وجاء الورد فاصطبحوا * مادام للورد أزهار وأنوار

فاذا شرب مع ندمائه غنى

اشرب على الورد من حمراء صافية * شهرا وعشرا وخمسا بعدها عددا

ولا يزال في صبوح وغبوق ما بقيت وردة فاذا انقضى الورد عاد الى عمله وغرد بصوت عال

فان يبقني ربي الى الورد أصطبح * وندمان صدق حائك ونديط

(فقال) المأمون لقد نظر الى الورد بعين جليلة فينبغي ان نعينه على هذه المروءة فأمر ان يدفع له كل سنة عشرة آلاف درهم (وقال) ابراهيم الخواص اذا جاءت أيام الورد أمرضني علمي بكثرة من يعصي الله تعالى فيه جلس روح بن حاتم أمير افريقية يوما في منظرة له ومعه جارية من جواريه فدخل الخادم بقادوس فيه ورد أحمر وأبيض في غير أوان الورد فاستظرفه وسأل الخادم عن أمره فأخبره ان رجلا أتى به هدية فأمر ان يملأ له القادوس دراهم فقالت له الجارية ما أنصفته قال ولم قالت أتى بلونين أحمر وأبيض فلونه له فأمر ان يخلط دنانير ودراهم فخلط ودفع اليه ويقال ان كسرى مر بوردة ساقطة فقال أضاع الله من أضاعك (خواصه) بارد يابس في الدرجة الاولى يابس في آخر الدرجة الثانية نافع لصاحب المرة الصفرا ومن به حرارة حريقة مسكن للصداع المتولد منها ضار لصاحب المزاج البارد مهيج لعطاسه مزعج لدماغه ومرباه بالسكر والعسل ينفع من البلغم وماؤه المصعد منه بارد رطب نافع من سائر أوجاع الدماغ الحادة ومن الاورام الحارة نقلتها من النور المجتبى من رياض الندماء

تأليف الحكيم الفاضل الاديب المعروف بالعنبرى وبابن المهلى ذكره الفاضل المؤرخ موفق الدين بن أبى أصيبعة فى تاريخ الاطباء وأثنى عليه الثناء البالغ وعلى مصنفه المذكور قال وهذا الكتاب رتبه على فصول السنة كل فصل يشتمل على أربعين بابا عديم النظير قليل الوجود *(القول فى استخراجه فى غير أوانه)* قال صاحب المباهج من أحرق السداب فى أصول شجر الورد حتى يرتفع وجه الاحراق الى الشجر فى أى وقت كان من السنة التى تورد شجرة الورد فيه وردت بعد أيام وردا غضا ومتى جمع الرماد التى أحرق وخلط بتراب ونبش أصل الشجرة التى أحرق ذلك فى أصولها وطمر الرماد ثم سقيت الماء فى الوقت وسقيت بعد ذلك على العادة كان ماذكرناه أيضا (الحيلة فى ان يبقى الورد السنة كلها فى الفلاحة الرومية) يؤخذ زر ورد الذى لم يفتح بعد فتملأ به جرة فخار جديدة وتطين رأسها تطيينا محكما لا يتخلله الهواء ويدفن فى الارض فانك تخرج منها الورد متى شئت الى آخر السنة كهيئته حين أدخلته فيها فرش عليه ماء ويترك فى الهواء فانه يفتح وردا طريا كالذى يقطف من شجره (وفى كتاب الخواص) ان الورد الاحمر اذا بخر بالكبريت أبيض واذا بخر نصف الوردة صار نصفها أبيض ونصفها أحمر والورد الاحمر اذا بخر بالنورة المطفية أبيض واذا صب فى الشتاء فى أصول شجر الورد ماء حار عند كل غداة انفطر قبل انفطار الورد (غرائب من هذا النبات) حكى صاحب نشوار المحاضرة انه رأى وردا أصفر واستغرب ذلك وقد رأيناه كثيرا الا انه امتاز بكونه عدورق وردة فكانت ألف ورقة ورأى وردا اسود حالك اللون له رائحة ذكية ورأى بالبصرة وردة نصفها أحمر قانى الحمرة ونصفها الآخر ناصع البياض والورقة التى قد وقع الخط فيها كأنها مقسومة بقلم قال صاحب المباهج وحكى لى بعض أصحابى انه رأى وردا بدمشق له وجهان أحد الوجهين أحمر والآخر أبيض لا يشوب أحدهما شئ من الآخر وأخبرت أن بحلب وردا أحد وجهى الورقة أحمر والآخر أصفر وأما الورد الازرق فقد حكى لى بعض أصحابى ان رجلا أخبره انه رأى اكارا يجرى الى شجرة الورد ماء مخلوطا بالنيل قال فسألته عن ذلك فقال ان الورد يكون أزرق بهذا العمل والظاهر من الاسود انه احتيل عليه كذلك (وذكر) ابن قتيبة ان بالهند شجرا يخرج وردا عليه كتابة تقرأ لا اله الا الله (وحدث) ان منقذ لما عاد من المغرب

وكان قد توجه اليه رسولا من صلاح الدين ان في مراكش وردا كل وردة من الثمانين ورقة الى المائة ورقة (الوصف) والتشبيه قال بعضهم وصدق

للورد عندي محل * ورتبة لا تمل
كل الرياحين جند * وهو الامير الاجل

(وقال) آخر وظرف

كتب الورد الينا * في قراطيس الخدود
يابني اللهو صلوني * قد دنا وقت ورودي

(ولبعضهم) في باكورة ورد

ودونك ياسيدي وردة * يذكرك المسك أنفاسها
كعذراء أبصرها مبصر * فغطت بأكمامها رأسها

(وقال) علي بن الجهم في صبابته

لم يضحك الورد الا حين أعجبه * حسن الرياض وصوت الطائر الغرد
لا عذب الله الا من يعذبه * بجمع بارد أو صاحب نكد

(وفيه لجحظة)

يعز علي بأن يثمك ساقط * أوان تراك نواظر البخلاء

(وقال) محمد بن عفيف التلمساني

قامت حروب الدهر ما * بين الرياض السندسيه
وأتت بأجمعها لتغـــزو روضة الورد الجنيه
لكنها انكسرت لان الورد شوكته قويه

(وتلطف) الشيخ زين الدين ابن الوردي في قوله مورياباسمه

مهفهف القد اذا ماانثنى * قال ولا يخشى من الرد
ماأنت جلي يا كثيب اللوى * ولست يا غصن النقا قدي
لونلت من خديه تقبيلة * تزين الريحان بالورد

(ماأحقه) بقول القائل شاكر نفسه يقرئك السلام (قلت) أحسن من بيته الثاني ماأنشدنيه من افظه لنفسه ونقلته من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس من أبيات

اسمران عاين غصن البان * قال استقم فأنت ذوالوان

يثنيك فى الدوح النسيم الوانى * وليس لى فى قامتى من ثانى

* فلا تقايسنى فلست قدى *

(رجع) وقال أبو الوليد بن الحنان الشاطبى (مولده سنة خمس عشرة وستمائة ووفاته سنة خمس وسبعين وستمائة)

فوق خد الورد دمع * من عيون السحب تذرف
برداء الشمس أضحى * بعد ما سال يجفف

(وقال) برهان الدين القيراطى

ان للروح فى دمشق لأوى * ذا قرار وذا معين وربوه
وبروضاتها بساتين ورد * لى بأزرارها صبابة عروه

(وقال) بعضهم وأصاب

كم وردة تحمى بسيف الورد * طليعة تشرعت من جند
قد ضمها فى الغصن قرص البرد * ضم فم لقبلة من بعد

ومن أحسن ما استعمل أوصاف الورد فى اعتذاره عن الاصغاء الى كلام العذول مجد الدين النسائى الاربلى (مولده سنة اثنين وثمانين وخمسمائة وتوفى فى سنة ست وستمائة) شعر

أصغى الى قول العذول بجملتى * مستفهما عنكم بغير ملالى
لتلقطى زهرات ورد حديثكم * من بين شوك ملامة العذالى

السرى الرفا يصف وردا أبيض قال

بدا أبيض الورد الجنى كأنما * تبسم للناس عسلك وكافورى
كأن اصفرارا منه تحت بياضه * برادة تبر فى مداهن بلورى

ولبعضهم فى الورد الاسود

لله اسود ورد ظل يلحظنا * من الرياض بأحداق اليعافير
كأنما وجنات الريح نقطها * كف الامام بانصاف الدنانير

ولآخر فيه

وورد اسود خلناه لما * تنشق نشره ملك الزمان
مداهن عنبر غض وفيها * بقايا من سحيق الزعفران

وقال مجير الدين بن تميم مضمنا

لم أنس قول الورد حين جنيته * والنار لاستقطاره تتسعرو
ناشدتكم نفسي خذوه وانما * لا تعجلوا في قبض روحي واصبروا

(من رسالة) كتبها الجناب الجدي فضل الله ابن المرحوم فخر الدين عبد الرحمن ابن مكانس الى سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد ابن أبي بكر عمر المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني أسبغ الله عليه ظلاله ملغزا في ورد وكان سيدنا بدر الدين قد كتب اليه قبلها الغزا في قدح فله وكتب اليه هذا اللغز ونقلته من خطه وهو ما عاطل تحلى به المجالس ويتفكه فيه المجالس تحمر وجناته من الشرب وتحمد آثاره في البعد والقرب ان قلبته رأيت تاجا وان تركته على حاله زادك ابتهاجا يعذب بالنار وغيره الجاني ويريك ان بدات أوله برد الاماني يستخرج وهو داخل ويرى دمعه من نار قلبه هاطل لا يبرح به في غبطه ولا تجد فيه مع انهماله نقطه ان حذفت أوله وصرفت باقيه وجدته أمرا بالشراب وان فعلت كذلك في ثانيه رأيت ما بقي يؤكد المحبة بين الاصحاب وور ان حذفت أخيره كمن ورا وغص في بحر الفكر على عكس ثلثيه لتستخرج درا وقد سطره ليحصل له من نظر المخدوم طرفا ويصير له في الالغاز شرفا والمملوك يسأل الصفح والامتنان وبسط العذر في هذا الهذيان فانه لولا المحبة ما أجاب ولا طرق بعد فقد أبيه هذه الابواب ولا عارض بجدوله البحر العباب فان بضاعته في هذا الفن مزجاه وهم أبيه غطى على حجاه والله المسؤل ان يلطف برحمته ويحسن عاقبته في دنياه وآخرته ويمتع مولانا بزناد ذهنه الواري ويطلعه ويبنيه في سماء الفضل حتى يهتدي بالنجوم والدراري بمنه وكرمه (فكتب) الجواب سيدنا بدر الدين (وينهي) ورود الجواب الذي شفى الصدور وروده واللغز الذي نسي بورده بان الجماوز روده فوجده روض بلاغة عدم العائث والعائب وترعرع زهره حيث أمطرته من أنامل المخدوم خمس سحائب وتمسكت أذيال أنفاسه بالرواية عن أبي الطيب وجاد فكر مولانا على خد طرسه بالعارض الصيب فلو شاهده ابن الوردي لاحمر خجلا أو صاحب زهر الآداب لتلون وجلا ثم تأمل حل اللغز فرآه قد كشف المشكل وجلا واعترف بانه لم يمر بذوقه أطيب من ذلك الحل ولا احلا وتحقق ان مولانا أوسعه في مقام الادب بفضله ايناسا وتناول منه قدحا فأعاده

بألفاظه المسكرة كاسا وانتهى المملوك الى اللغز المخدومى فقال

مولاى مجد الدين يامن فضله * يروى وجود كفه يروى الصدا
ألغزت فى اسم عاطل حليته * منك بدر اللفظ أو قطر الندا
ان ورد التحريف فى أبياته * كان لشانيك هلاكا وردا

وقال أيضا

لله لغزك يامولى فضائله * قد عطر الاكوان منها طيب أنفاس
أتى بورد خيالى على قدحى * به وأبهجنى مابين جلاسى
وقد أسى جرح كسرى حين أقبل لى * روحى الفداء لذاك الورد والآسى

فاستجلى المملوك بالتحريف ورده وودلو اقتطف من أغصان حروفه ورده فرده ذل القصور عاريا من ملابس عزه وأنشده قول ابن قلاقس وقد تقلى بنار عجزه

اذا منعتك أشجار المعالى * جناها الغض فاقنع بالشميم

فراج عليه بهرج هذا الرأى الكاسد واقتنع بالشم على رغم أنف الحاسد وعلم ان هذا الورد لا يحسن من غير تلك الخضره وان هذه الفاكهة لا يخرجها الا أغصان أقلام لها بندى الراحة المخدومية بهجة ونضره ومشى نظر المملوك من هذا اللغز فى بساتين الوزير على الحقيقه ورأى منه كل وردة وأحب الوجنات الحمر فصيراهى وردة أم شقيقة وتفكر معجبا بثمار غرسه منشدا لمن كرر النظر فى صفحة طرسه

ان كنت تزعم مافى خده عجب * قم فانظر الورد فى خديه منثورا

فلقد ظفرت من نفسه بأعنبر الورد وعوذته عند تبديل الثلاثة بالواحد الفرد وتأملت بفتور قريحتى نكتة برد الامانى وانعقد لسانى بسحر هذا البيان ونفثات تلك المعانى وتيقنت انه لا يقوى لفهم هذا البرد الا كل حديد النظر ووجدت تصحيف هذه الكلمة يا شمس الفضائل للعقول قمر وعلمت ان الفكر لا يجارى من بديهته من بحار الفضل رويه وان الخاطر الذى هو من ضعفة رعايا الادب لا يقوى على سلطان هذا اللغز لان شوكته قويه وقلت الذهن رد بعضه لتنول شرابا سائغا ورد تصحيفه ليكون فى التعريف بمعناه مبالغا وتمتعت من ورده الوارد بالمشموم ثم تذكرت البعد عن جناب المخدوم فاستقطر البين ماء الورد فى حدقى ولولا المنة فى الصفح عن مقابلة الدر بالسقط

وقرهحه

وغرهجر بهذا الحشف الملتقط وله الفضل فى اجابة المملوك الى ماسأله أولا من الاتحاف بما تيسر من آداب المقر الفخرى الوالد نور الله ضريحه وتعاهد بعهاد الرحمة روحه بمنه وكرمه (ولبعضهم) فى الورد الحجابي

وورده جمعت لونين حلتهما * خدى حبيب وخدى هائم عشقا
تعانقا فبدا واش فراعهما * فاحمر ذا خجلا واصفر ذا فرقا

وظرف من قال كأنه وجنة الحبيب وقد نقطها عاشق بدينار انظر الى هذا وجنة وحبيب ودينار واين هذا من قول ابن الرومى (مولده سنة احدى وعشرين ومائتين ووفاته سنة أربع وثمانين وسبعمائة)

كأنه سرم بغل حين سكرجه * بعد البراز وباقى الروث فى وسطه

(ونقلت) من خط شيخنا شمس الدين محمد ابن محمد بن محمد الشهير بابن سعنديار المذهبي لنفسه

اذا الربيع جيشت أزهاره * فورده ذو الشوكة السلطان

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه ارتجالا الشيخ الاديب الفاضل بقية المتأخرين شمس الدين محمد بن بركة الرئيس فسح الله فى مدته

شاب ورد الرياض من * ورد خديك وانفرك
فله الناس انثنوا * واتقى الورد للكرك

(النرجس) قال أبقراط كل شئ يغذو الجسم والنرجس يغذو العقل وقال جالينوس من كان له رغيف فليجعل نصفه فى النرجس فانه راع الدماغ والدماغ راعى العقل ويروى عن على كرم الله وجهه أنه قال تشمموا النرجس ولو فى اليوم مرة فانه فى القلب داء لا يبرئه الا شم النرجس وقال الحسن بن سهل من أدمن شم النرجس فى الشتاء أمن من البرسام فى الصيف وكان كسرى أنوشروان مغرما بالنرجس ويقول هو ياقوت أصفر بين در أبيض على زمرد أخضر (وقال) انى لاستحى أن أباضع فى مجلس فيه النرجس لانه أشبه شئ بالعيون الناظرة ومن هنا أخذ من قال

غضى جفونك ياعيون النرجس * لعسى أفوز بنظرة من مؤنسى
فالقد تحير اذ أراك شواخصا * ترنو اليه بلواحظ المتفرس
حتى كأنك لن ترى قمر الدجا * بين الاحبة طالعا فى مجلس

(نادرة) تحدث رجل مع خاطبة فى ان تخطب له امرأة يتزوجها فقالت له عندى امرأة كأنها طاقة نرجس فتاقت نفس الرجل اليها فتزوجها فلما زفت اليه وكشف القناع لقى عجوزا مكمشة الوجه بيضاء الشعر دقيقة الساقين صفراء الوجه مخضرة الساقين بالشعر فلم يقربها وعاد باللوم على الخاطبة وقال لها كذبتينى وغررتينى فقالت له ما كذبتك ولا غررتك وانما أنت رجل جاهل قلت لك عندى امرأة كأنها طاقة نرجس فرغبت فيها وما هى طاقة النرجس الا هكذا (خواصه) حار يابس ينفع من سائر أوجاع العصب من برد وكذلك النسرين ويصدع النرجس الرؤس الحارة وفعلهما أقل من فعل الياسمين وينفعان من وجع الارحام من برد ويفتح سدد الدماغ وينفع من الصداع البارد الرطب والسوداوى ودهنه ينفع من أوجاع المفاصل انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب المباهج خاصيته للنفع من الاوجاع الباردة الكائنة فى الرحم أصله يدمل القروح وينفع من أوجاع المفاصل واذا سحق أصله وخلط بدقيق واغتسل به نقى أوساخ البدن والقروح واذا ضمد به فجر الاورام والدملات وهذا الفعل موجود فى أصله وزهره ورائحته مقوية للدماغ مفتحة للسدد طاردة لما فى بطونه من الارياح واذا أديم شمه نفع من الصداع الكائن من بخار البلغم ومن الرطوبة المحتقنة فيما بين أغشية الدماغ وان اتخذمنه شمامة مستديرة فى شكل الرمانة ورش عليها شئ من ماء الورد المسك وبخرت بالند الرفيع أو العود الرطب والزعفران الشعر الطرى أكسبها البخور بذلك نفعا عظيما وان شوى بصله فى النار أو فى الرماد وقشر وسحق فى الهاون وسكب عليه شئ من دهن الخيرى وأغلى بالدهن عليه وضمد به على الخنازير والجراحات العفنة الجاسئة والدماميل الصلبة ألانها وفجرها (وفى كتب الخواص) قال هرمس اذا وضعت طاقات النرجس التى لم تفتح بعد فى ماء البقم حتى تنفتح فيه أبدل من بياض أوراقه حمرة شديدة وبقيت على حالها (الفلاحة) النبطية ان أوفق ما غرس بصل النرجس فى الارض التى أقام الماء فيها عشرة أيام أو عشرين يوما ثم نضب الماء عنها وجف وبقى فيها شئ من النداوة ... فليحفر فى هذه الارض حفائر عمقها قدم أو أقل ويجعل البصلة فيها ويغطى بالتراب ... فوقه التراب كبسا جيدا فاذا ابتدأ يطلع منه

شئ يسير فيسقى سقية خفيفة و يتعاهد كذلك حتى يكمل ورده (ومن) أراد ان يجعل العين منه مضاعفا فيأخذ بصلة سمينة فيشق وسطها و يغرس فيها سن ثوم غير مقشرة و يغرقها فى المصلة و يطمر البصلة فى التراب فانها تحمل نرجسا مضاعفا (غريبة) ذكرها صاحب المباهج من أخذ من بصل النرجس بصلة كبيرة وأحدثها بالمسلة من ذهب خالص ثم غرز البصلة برأس المسلة باليد اليسرى ثم يدور الماسك فى الموضع الذى يريد ان يغرس فيه تلك البصلة خمس دورات وهو يضحك أو يتضاحك ثم يغرسها فى مقطع الدورة الخامسة فان تلك البصلة تحمل نرجسا أحمر مثل الشقيق طيب الريح جدا وصفة غرسه كما يفعل بغيره ومن أراد أن يكون النرجس فى غير أوانه فليحرق السداب مع شئ فى قشور الجوز على منابت أصله فانه يسرع اخراج ورقه (الوصف) وقال ابن الرومى

خجلت خدود الورد من تفضيله * خجلا يورد عليه شاهد
لم يخجل الورد المورد لونه * الا وناحله الفضيلة عاند
للنرجس الفضل المبين وان أبى * آب وحاد عن الطريقة حائد
فصل القضية ان هذا قائد * زهر الربيع وان هذا طارد
شتان بين اثنين هذا موعد * بتصرم الدنيا وهذا واعد
فاذا احتفظت به فامتع صاحبا * بجنابه لو أن حيا خالد
يلهى النديم عن النديم بلحظه * وعلى المدامة والسماع مساعد
اطلب بعيشك فى الملاح سميه * أبدا فانك لا محالة واجد
والورد ان فتشت فى فرداسمه * مافى الملاح له سمى واحد
هذى النجوم هى التى ربتهما * بحيا السحاب كما يربى الوالد
فانظر الى الاخوين من ادناهما * شبها بوالده فذاك الماجد
أين العيون من الخدود نفاسة * ورياسة لولا القياس الفاسد

(وناقضه) أحمد بن يونس الكاتب فقال

يامن يشبه نرجسا بنواظر * دعج تنبه ان فهمك راقد
اين القياس ولم يصح قياسه * بين العيون و بينه متباعد
[illegible] الخدود حكاية * فعلام تجحد فضله يا جاحد

ملك قصير عمره متأهل * لخلوده لو أن حيا خالد
ان قلت ان الورد فرد في اسمه * مافي الملاح له سمي واحد
فالشمس تفرد في اسمها والمشترى * والبدر شرك في اسمه وعطارد
أوقلت ان كونا كيا ربتهما * بحيا السحاب كما يربي الوالد
قلنا أحقهما بطبع أبيه في الـجـدوى هو الزاكي النجيب الراشد
زهر النجوم تروقنا بضيائها * ولها منافع بعد ذا وعوائد
وكذلك الورد الانيق يروقنا * وله فضائل جمة وفوائد
وخليفة ان غاب آب بنفحة * ونسيمه أبدا مقيم راكد
ان كنت تنكر ما ذكرنا بعد ما * وضحت عليه دلائل وشواهد
فانظر الى المصفر لونا منهما * وافطن فما يصفر الا الحاسد

(وقال) سعيد ابن هاشم الخالدي بفضل النوعين

أحب النرجس البلدي ودي * ومالي باجتناب الورد طاقه
كلا الاخوين معشوق وانى * أرى التفضيل بينهما حماقه
هما في عسكر الازهار هذا * مقدمة يسير وذاك ساقه

(وقال أبو العلاء المعري الشروي) يهجو النرجس

انظر الى نرجس تبدت * صبحا لعينيك منه طاقه
واكتب اسامي مشبهيه * بالعين في دفتر الحماقه
كأنه ركبت عليها * صفرة بيض على رقاقه

(وقال) ابن الشبلي البغدادي فيهما

ونرجس قابل في مجلس * وورد غلا في نعته الناعت
فذا يخجل من لحظ ذا * وطرف ذا في وجه ذا باهت

(وقال) منصور الهروي يصفه مع البنفسج

قرن الزمان الى البنفسج نرجسا * متبرجا في حلة الاعجاب
كخدود عشاق غدت ملطومة * نظرت اليها أعين الاحباب

(ولما دخل) الاديب الفاضل المؤرخ الرحال نور الدين علي بن سعيد الى القاهرة المحروسة صنع له أدباؤها صنيعا في بعض منتزهاتها وانتهت بهم الفرجة الى روض نرجس وكان فيهم أبو الحسين الجزار فجعل يدوس النرجس برجليه فقال

ناصر الدين حسن ابن النقيب

يا واطئ النرجس ما تستحى * ان تطئ الاعين بالارجل

فتهافتوا بهذا البيت وراموا اجازته فقال زكى الدين ابن أبى الاصبع

فقال دعنى لم أزل محنقا * على لحاظ الرشاء الا كحل

ثم أبوا أن يجيزه غيره أعنى بن سعيد فقال

قابل جفونا بجفون ولا * تبتذل الارفع بالاسفل

ثم استدعاه ابن سابق الى مجلس على النيل مبسوط بالورد وقد قامت به شمامة نرجس فقال فى ذلك

من فضل النرجس فهو الذى * يرضى بحكم الورد اذ يرأس

أما ترى الورد غدا قاعدا * وقام فى خدمته النرجس

(وقال) مجد الدين ابن مكنون خطيب النيرب وقد أهدى نرجسا

لما تحجبت عن طرفى وارقنى * بعد ولم تحظ عينى منك بالنظر

أرسلت مشبهها من نرجس عطر * كيما أراك باحداق من الزهر

(وقال) صفى الدين الحلى رحمه الله تعالى

أقول وطرف النرجس الغض شاخص * الى وللغمام حولى المام

أيا رب حتى فى الحدائق أعين * علينا وحتى فى الرياحين غمام

وما أحسن قول بدير الجنوى رحمه الله تعالى

وكأن نرجسه المضاعف خائض * فى الماء لف ثيابه فى رأسه

(وأظرف) من قال

يغض من فرط الحياطرفه * ما أحسن الغض من النرجس

ونقلت من خط المرحوم فخر الدين ابن مكانس لنفسه

بعدك شمس الدين يا ماجرى * من أدمع الطل بخد الشقيق

والنرجس الغض غدا شاخصا * فلا تخلى عنه للطريق

زاد على البيتين المتقدمين وأجاد

ليس جلوس الورد فى مجلس * قام به نرجسه يوكس

وانما الورد غدا باسطا * خدا لمشى فوقه النرجس

قول أمين الدين الجوتان توفى سنة ثلاث وستين وستمائة

نفش غض البان أذنابه * وماس عند الصبح زهوا وفاح
وقال هل فى الروض مثلى وقد * تعزى الى غصنى قدود الملاح
فحدق النرجس يهزو به * وقال حقا قلت ذا أم مزاح
بل أنت بالطول ضاعفت يا * مقصوف عجبا بالدعاوى القباح
فقال غصن البان من تيهه * ما هذه الا عيون وقاح

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه ارتجالا لا بحضورى ونحن نتنزه بجزيرة الفيل وقد مررنا بقطعة نرجس نسقى سيدنا المقر المجدى فضل الله ابن مكانس أبقاه الله

وجدول الماء يجرى بين نرجسه * لذى البصائر جرى الطيف فى المقل

وقال القاضى شهاب الدين ابن فضل الله فى كتابه مسالك أبصار فى ترجمة ابن تميم وحكى أنه حضر فى مجلس بعض الاكابر وقد غص المجلس وبهتت فيه عيون النرجس وقعت فيه أصابع المنثور وأعطى فيه أمير الحسن ذؤابة شعره المنشور وطال اعمال الكؤس حتى غمضت الجفون ولم يبق دور الكاس خال من الجنون وأن امنية ابن تميم قد تركه السكر ملقى وخلا خده المصرج محاقا فنهض غير مرة لتقبيله ثم خاف أعين قتيله فقعد بعد اللجاج ورجع رجوع الصادى والماء يجلى عليه فى الزجاج فقال

كيف السبيل لان اقبل خد من * أهوى وقد نامت عيون الحرس
وأصابع المنثور تومى نحونا * حسدا وتغمزنا عيون النرجس

(البنفسج) بارد رطب فيه حرارة يسيرة تحلل بها الاورام وهو ينفع المحرور وينوم نوما معتدلا ويذهب الصداع العارض من المرة الصفراء والدم الحريف وهو وشرابه يسهل المرة الصفراء وينفع للصدر والرئة وكذلك مرباه ينفع من ذات الجنب انتهى كلام ابن المحلى فى النور (وقال) صاحب مباهج الفكر ومناهج العبر البنفسج من الرياحين اللطيفة ومن الخواص الظريفة أن من أراد أن يكون البنفسج على غير سبيل الفلاحة فى المرعة أن يأخذ من السداب البستانى شيأ يكون مقداره فى القلة والكثرة بمقدار البنفسج ويكون السداب لم يصبه الماء البتة بل يقطع من منابته ويجفف حتى يزول التراب المتعلق بعروقه عند قلعه ثم يؤخذ لكل طاقة بنفسج طاقة سداب ويعمد الى أطراف مجارى الماء الى اصول البنفسج فيجعل فيها السداب ويؤخذ من أغصان خشب التين المجففة

شئ ثم يحرق الجميع على مقربة من البنفسج بحيث لا يبلغ لهب النار اليه فانه متى فعل ذلك للبنفسج أهاجه وحمل بعد عشرين يوما من هذا الفعل (ومن عجيب أمره أن الانسان اذا تغوط فى مجارى الماء اليه مات وذبل وكذلك ان خرج منه ريح فى مزرعته وساحته ان كان ابتدأ فى توريده فانه يفسد ولا يكاد يجذب من الماء الذى يسقى به شيأ وأنه اذا دام الضباب عليه يوما أو نحوه ضعف ومتى توالى نقصت زهرته وصغر ورقه وتغيرت رائحته ومن الاشياء المضادة له القصب فانه لا ينجع بقربه ولا ينمو ومن آفاته المهلكة له والمضعفة لقوته لسرعة قبوله للتأثيرات الرديئة أن تقع صاعقة على اربعمائة ذراع منه أو أقل فانه يهلك سريعا والبرد يفسده فسادا لاصلاح معه وكذلك الرعد الشديد المتتابع يضعفه ويوهنه والسمائم أيضا تتلفه والريح الشمال الباردة والمطر الكثير يذهب به لضعف ساقه وماء الابار الثقيل يضعفه وربما أهلكه وكذلك الدخان اذا دام عليه ولا ينبغى أن يماسه فى منبته تراب من قبور أو ما يقرب من القبور فان ذلك يضعفه وان أصابه أهلكه (الوصف) من رسالة لابى العلاء عطاء بن يعقوب يصفه سماوية اللباس مسكية الانفاس واضعة رأسها على ركبها كعاشق مهجور ينطوى على قلب مسجور كبقايا النقس فى بنان الكاعب أو النقش فى أصابع الكاتب أو الكحل فى لحاظ الملاح الفاترات الغانيات القاتلات لازوردية فاقت بزرقتها على اليواقيت كأوائل النار فى أطراف كبريت (وأجاد أبو هلال العسكرى فى قوله رحمه الله تعالى)

ومعذر قال الاله لحسنه * كن فتنة للعالمين فكانه
زعم البنفسج أنه كعذاره * حسنا فسلوا من قفاه لسانه

(وقال آخر وهو الميكال رحمة الله عليه آمين)

يا مهديا لى بنفسجا أرجا * يرتاح صدرى له وينشرح
بشرنى عاجلا مصحفه * بأن ضيق الامور ينفسح

(وأنشدنى الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه رحمه الله تعالى)

بنفسج الروض تاه عجبا * وقال طيبى المجوضمخ
فاقبل البان فى احتفال * والزهر من غيظه تنفخ

(وقال مجير الدين بن تميم)

عاينت ورد الروض يلطم خده * ويقول وهو على البنفسج محنق

لاتقربوه وان تضوع نشره * ما بينكم فهو العدو الازرق

آخر

بنفسجا جمعت أوراقه فحكت * دمعا تشرب كحلا يوم تشتيت

كأنه بين طاقات ضعفن بها * أوائل النار فى أطراف كبريت

(ويعجبنى) قول الراضى بالله وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشئ بالشئ يذكر

قالوا الرحيل فانشبت أظفارها * فى خدها وقد اعتلقن خضابا

فظننت أن بنانها من فضة * قطفت بأرض بنفسج عنابا

حار يابس واذا غمس فى الماء اعتدل وقلت حرارته وشمه ينفع من القوة ويضمد به مدقوقا للسعة العقرب فيسكن وينفع المبرود الدماغ ويضر المحرور انتهى كلام العنبرى (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى كتابه شرح العيون فى شرح رسالة بن زيدون عند ذكر كسرى أنوشروان أنه كان جالسا بالايوان واذا بحية قد دنت من عش حمامة فى بعض شرف الايوان لتأكل فراخها فرمى الحية بسهم أو ببندقة فقتلها وقال هكذا نفعل بعدو من استجار بنا فلما كان بعد أيام جاءت الحمامة بحب فى مناقرها فألقته اليه فأخذه وقال ازرعوه فنبت ريحانا لم يكن يعرفه فقال نعم ما كافأتنا به الحمامة نسأل الله الذى ألهمها أن يلهمنا الاحسان الى رعيته والشكر على نعمته (قلت) وذكر الشيخ جمال الدين ما خص به كسرى من الاشياء الغريبة فلا بأس بايراد نبذة منها اذ كان كتابنا هذا يشتمل على ما آثر فمنها الفيل الابيض لركوبه طوله اثنا عشر ذراعا والقطعة الياقوت المسماة لسان الثور تضئ أكثر من السراج والفلهبذ المغنى واضع العود الخراسانى على اثنى عشر وترا كل من ضرب به جرح الاهو وكان يعمل له كل يوم مع طعامه مهر من الخيل وعناق زرقاء مغذاة بألبان النعاج يذبحان بسكين من ذهب ويسجر التنور بالعود ويسمط ما يسمط بالجمر المقلى ويطلى بالمسك والملح ويعلق فى سفود من ذهب ورياحين من ذهب فاذا برد حل ووضع على خوان من ذهب ويقدم اليه فيأكل أكثره ويتحف بالبقية من

أحب من ندمائه ويكسر التنور ويجدد كل يوم مثله واجتمع على بابه سبعون ملكا وكانت له حكايات حسنة في سيرته أضربت عنها لئلا نخرج عما نحن بصدده (رجع) قال الحسن ابن سهل أربعة من الرياحين تقوى بأربعة من الطيب ليكمل ذكاؤها (الورد) بالمسك (والنرجس) بماء الورد و (البنفسج) بالعنبر (والريحان) بالعبير الوصف قال ابن المعتز

قضيب من الريحان شابه لونه * اذا ما بدا في العين لون الزمرد
فشبهته لما تأملت حسنه * عذارا تدلى في عوارض أمرد

(قلت) وأنشدني الشيخ عز الدين الموصلي من لفظه في مليح معذر

بخد الحب ريحان نضير * لاسطره حروف ليس تقرى
فراعيت النظير وقلت حبي * عذارك أخضر والنفس خضرى

(وقال) مجير الدين بن تميم

ومجلس راق من واش يكدره * ومن رقيب له باللوم ايلام
ما فيه ساع سوى الساقي وليس به * بين الندامى سوى الريحان نمام

(الآس) بارد يابس دهنه يقوي أصول الشعر ويمنع تساقطه ويطيله ويسوده وورقه اليابس ينفع صنان الابط ويطيب رائحة الجسم واذا طبخ وتمضمض بمائه قوى الاسنان واللثة ويمنع من الصداع الحاد وشمه يقوي القلب المحرور ويزيل خفقانه وينفع حبه من الاسهال ويقوي المعدة انتهى كلام العنبري في النور المجتنى (وقال) صاحب المناهج انه يتصرف في أشياء كثيرة عظيمة النفع حبه وورقه وقوته البرودة في الاولى وحبه نافع من الخفقان وضعف القلب وهو بجملته قاطع للاسهال المتولد من الصفراء ومن ابتلع من ورقه من الخمسة الى السبعة ورقات فانه يقوي المعدة وينقي ما فيها ويحلل رياحها وأما حبه فانه لما فيه من الحلاوة والالطافة ينفع للسعال العارض من الحرارة من غير اضرار بالصدر والرئة ولما فيه من العفوصة يقطع نفث الدم وحرقة المثانة وينفع الاسهال المزمن وماؤه اذا غسل به الشعر حصنه وقواه من الانتثار وسد أصله وينفع من الابرية والقروح الرطبة واذا جفف الورق ودق ونخل وجعل على الآباط والافخاذ الندية قطع نداوتها ومنع عرقها وعن ابن عباس رضي الله عنه قال اهبط آدم من الجنة بثلاثة أشياء منها الآسة وهي سيدة

ريحان الدنيا وروى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال والحسين بكائي يديه وردة ان الورد سيد رياحين أهل الجنة ماخلا الآس وهو باليونانية المرسين
(الوصف)

خليلي ما للآس يعبق نشره * اذا هب أنفاس الرياح العواطر
حكى لونه أصداغ ريم معذر * وصورته آذان خيل نوافر

(وما ألطف) ما ألم به الشيخ شمس الدين بن الصائغ في قوله

خط آس العذار في الخد لاما * عرفتني سفاهة اللوام
أنا في كسرة لبعدى عنها * جبرمثلي بالآس أو باللام

وقال آخر فاغرب

أعجب بآس معجب مؤنق * يعجب منه أي اعجاب
كأنما تقطيع أوراقه * ما بيننا أنصل نشاب

(قلت) في البيت الاول عجعجات كثيرة ولكنه أصاب الغرض في الثاني ويمكن أن يقول أعجب بآس أخضر مؤنق (الياسمين) حار يابس في آخر الدرجة الثالثة نافع من الرطوبة والبلغم صالح للمشايخ ومن كان باردا المزاج ومن الصداع العارض من البلغم والمرة السوداء وعفونة البلغم وكثرة شمه تورث الصفار يفعل ذلك في الحار المزاج ودهنه ينفع من أمراض العصب الباردة والخالص من دهنه يرعف انتهى كلام ابن المحلى (وقال) صاحب المباهج في الفلاحة اذا أردت ياسمينا أحمر اللون فانه يشق قصب الياسمين ويخرج ما فيه ويحشى مكانه بالك مسحوقا ويوضع عليه طين ويلف عليه مشاق ويغرس ويتعاهد بالسقي فانه يزهر ياسمينا أحمر والازرق بالنيل والاصفر بالزرنيخ مجرب (الوصف)

ولما خلناها سماء زبرجد * لها أنجم زهر من الزهر الغض
تناولها الجاني من الارض قاعدا * ولم أر من يجني السماء من الارض

آخر في الاصفر منه

كأنما الياسمين حين بدا * يشرق منه جوانب الكثب
عساكر الروم نازلت بلدا * وكل صلبانها من الذهب

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله تعالى

وياسمين قد بدت ازهاره لمن يصف
كمثل ثوب أخضر عليه قطن قد ندف

(الخيري) وهو المنثور حار يابس فى الثانية فيه جلاء وتلطيف وينفع من السدة فى الرأس من البلغم وهو دواء فائق للاورام وخاصة لساطال لبثه وعسر ويجذب المشيمة والاجنة الموتى بأن يشم دهنه وتدلك به الاخصار والمغابن وفم الرحم والخيري ألوان مختلفة أصفر ذهبي وهو أرفعها وخمري وبنفسجي وأكحل وملمع وبياض وغير ذلك من الالوان والابيض هو أردأها والاصفر الذهبي ذكى الرائحة يشم ليلا ونهارا وأما سائر أنواعه سوا الابيض فانها لا يشم لها بالنهار رائحة مادامت الشمس طالعة فاذا غابت ظهر لهذه الالوان رائحة عجيبة عطرة مشاكلة لروائح القرنفل أو روائح ماء القرنفل المصعد بماء الورد ولا تزال روائحها تزداد طيبا الى طلوع الشمس ثم تزول تلك الحمرة والرائحة باقى النهار الى وقت المغيب وأما الابيض فلا يؤدى رائحة فى ليل ولا نهار وهو أقلها نفعا وأردأها وفى أصنافه منفعتها واحدة وقد يتخذ من الاصفر منه والخمري والبنفسجي دهن يربى بالسمسم كما تربى أدهان الازهار فينفع الاورام الباردة ويحللها ولعقد الرقاب والاعصاب المعارضة لها وادمان شمه ينفع من اللقوة والفالج وذوى الامزجة الباردة واذا أخذ من بزر الاصفر مجففا وزن دانقين يسحق مع زهرتين من زهر القرنفل الذكر وأضيف اليهما وزن حبة من مسك أذفر خالص ووزن القرنفل من أنفحة أرنب وسحق الجميع وربت على الصلاية بالبان المدسوس بالمسك واتخذ منه فرزجات وتحملت المرأة فرزجة منها فى ليلة طهرها وواقعها بعلها فانها تحمل باذن الله من تلك المواقعة وذكر جالينوس أن بزر الخيري اذا سحق مع دم هدهد ودهن زنبق واحتملته المرأة وواقعها زوجها حملت وهو من النبات الذى اذا لقطت ورده امرأة حائض فسد وذبل وهلك لخاصية فيه ولا ينبغى أن يعمل أعماله كلها امرأة البتة حائضا كانت أو غير حائض بل الرجال الذين أسنانهم فوق أسنان الصبيان ويطرح بزره الذى يطرحه وهو طاهر نظيف بعيد العهد بملامسة النساء ويعالج جميع أعماله والقمر زائد فى الضوء وان كان متصلا بالسعود جيد المكان فى الفلك كان أجود ومما يوافقه أن يذر فى أصله شئ من دقاق بعر المعز بعد السقى فانه ينفعه

ويزيد في رائحته زيادة بينة وليس يحتاج الى الشمس الحارة لانها تضعفه ولا يكثر عليه الماء اكثارا مفرطا فانه يضره انتهى كلام صاحب المباهج (الوصف)
قال مجير الدين بن تميم

حاذر أصابع من ظلمت فانه * يدعو بقلب في الدجى مكسور
فالورد ما ألقاه في جمر الغضا * الا الدعا بأصابع المنثور

وقال متعصبا للورد

ولم أنس قول الورد لا تركنوا الى * معاهدة المنثور فهو عين

(وقال) متعصباله على النرجس

مذ لاحظ المنثور طرف النرجس المزور قال وقوله لا يدفع
فتح عيونك في سواى لانني * عندى قبالة كل عين أصبع

(وقال)

ومذ قيل للمنثور انى مفضل * على حسنك الورد الجليل عن الشبه
تلوّن من قولى وزاد اصفراره * وفتح كفيه وأومى الى وجهه

وقال ابن حجة

رأيت مع المنثور بعض وقاحة * ولم أدر ما بين الغدير وبينه
تلوّن منه ثم مد أصابعا * الى وجهه عمدا وجر عينه

(وقال)

ومذ قيل للمنثور ان الورد قد * وافى على الازهار وهو أمير
بسمت ثغور الاقحوان مسرة * لقدومه وتلوّن المنثور

(وقال)

لما ادعى المنثور ان الورد لا * يأتى وأن يصلى بنار السعير
ودت ثغور الاقحوان لوانها * كانت تعض أصابع المنثور

وأحسن التصرف الامير شهاب الدين الحاجبي في قوله

ولقد نثرت مدامعي ودمي معا * يوم الوداع وخاطرى مكسور
لا تعجبوا لتلوّن في أدمعى * لا بدع أن يتلوّن المنثور

(الادريون) حاربابس منافعه أن يسحق بالخل و يطلى به داء الثعلب ينبت الشعر فيه و ينفع سائر السموم لاسيما اللدوغ وقال صاحب المباهج ان

شرب من أصله خمسة دراهم مع عسل أو سمن أسهل اسهالا شديدا بلغما وكيموسا بائيا ويشربه أصحاب اليرقان وينبغي أن يضطجع من يشربه في بيت حار ويغطى بثياب كثيرة فانه يسيل منه عرق لونه لون المرة الصفراء والشربة منه ثلاث مثاقيل ونصف بشراب حلوى وبماء العسل وينفع شربه بالطلاء من السم القاتل ولدغ الهوام ومن عجائب خواصه أنه ان دخلت امرأة حامل بيتا فيه اذريون أسقطت وان تحملت به امرأة في فرجها ثم جامعها بعلها حملت وقال ديسقوريدس أصل بخور مريم اذا علق على المرأة منع الحبل واذا خطته المرأة الحامل أسقطت واذا أخذ منها وهي جافة وسحق منها مثقال وسقي بماء فاتر وعسل لمن يجب أن يسهل باطنه فانه يحليه بلغما كثيرا وينقي كلما في صدره من البلغم ويخرج ما في باطنه من الخام وان شربت منه امرأة أسهل حيضها وان احتشت منه صوفة أسهل حيضها وهي تنزل الولد الميت ويشرب منها لعسر البول وعسر الولد ولمن سقي سما أو لدغه شئ من ذوي السموم وهي سليمة مأمونة لا يخاف منها نافعة وهي تنفع لوجع الكبد يسقى منها رطلا وعسلا وبماء فاتر وعسل وهي نافعة من السرطان ومن العقد التي تخرج في الاصابع والسلع يعمل لهم منها مرهم ثم يطلى عليها والاذريون من الاشياء الصابرة على العطش وهي كبيرة وصغيرة ونباتهما سواء فالكبيرة شجرة مريم والصغيرة اذن العجوز وزعم السلف أن الحامل اذا أمسكته بيديها مطبقة احداهما على الاخرى ان الجنين يناله ضرر شديد فان أدامت امساكه واشتمامه أسقطت وان عسرت الولادة على الحامل فلتمسكه بيديها كما وصفنا فانها ترمي الولد سريعا واذا بخر به هرب الفار والوزغ من الموضع الذي بخر فيه وفيه منافع جمة اختصرناها (الوصف) قال الصنوبري

كأن آذريونها من فوق تلك القضب

خيام مسك فوقها سرادق من ذهب

وقال ابن المعتز وأجاد

كأن أذريونها والشمس فيه كاليه * مداهن من ذهب فيها بقايا غاليه

قال ابن حجة في الاذريون

كأن أذريونها ونوره قد أبهجا * وبيض برق لامع في جنح ليل قد دجا

(السوسن) بضم السين لحن والصواب بالفتح وزن جوهر وكوثر ولم يسمع بالضم الا جوذر وهو حار يابس فى أول الدرجة الثانية ينفع من كان بارد المزاج ومن الاوجاع المعارضة فى العصب من البلغم ودهنه نافع من وجع العصب المتولد من البلغم ووجع الرحم والاسمانجونى أقل حرارة وأصل الاسمانجونى يسهل الماء الاصفر الشربة منه مثقال انتهى كلام صاحب النور (الوصف) قال أبو نواس رحمه الله تعالى

سقيا الارض اذا ما نمت نبهنى * على الهدو بها قرع النواقيس
كأن سوسنها فى كل شارقة * على الميادين أذناب الطواويس

قال ابن حجة فى السوسن

بدا سوسن الروض المديح أزرقا * وأصفر يعلو طوله فوق مبيض
كأن الربا أرخت ذيول غلائل * مصبغة والبعض أقصر من بعض

(اللينوفر) وهو أزرق وأصفر وأحمر وأبيض وجميع أصنافه باردة رطبة منوم مخدر للدماغ أقوى فعلا من البنفسج فى التنويم والتبريد وينفع الصدر والرئة فى الامراض الحارة ويزيل الصداع وكثرة شمه تزيل الاحتلام ويقطع شهوة الباه لاسيما ان شرب منه فانه يحمد الى لخاصية فيه لاسيما أصله وبزره وشرابه ودهنه نافعات لامراض الرأس من حرارة انتهى كلام ابن الحلى (الوصف) قال ابن صابر

ياحبذا بركة نيلوفر * قد جمعت من كل فن عجيب
أزرق فى أحمر فى أبيض * كقرصة فى معدن خد الحبيب
كأنه يعشق شمس الضحى * فانظره فى الصبح وعند المغيب
اذا تجلت يتجلى لها * حتى اذا غاب سناها يغيب
يدنو اليها شاخصا طرفه * ولا يخاشى نظرات الرقيب
لا يبتغى وجها سوى وجهها * فهل محب مخلص فى حبيب

(وقال) ابن حمديس

اشرب على بركة نيلوفر * محمرة الاوراق خضراء
كأنما أزهارها أخرجت * ألسنة النار من الماء

(وقال) ابن تميم وأجاد

لينوفر لما نأش ماؤه * ثوبا فتاه على النجوم بثوبه
لحظته أعينها فنكس رأسه * خجلا وغاص من الحيا فى ثوبه

وقال أيضا

غدا اللينوفر المصفر يحكى النجوم فلا يغادرها شبيها
تغوص العين فيه اذا تجلى النهار وفى الظلام يغوص فيها

وقال أيضا

ولينوفر كالزهر شكلا ومنظرا * محاسنه فيها اللواحظ ترتع
وكل نجوم لكن الفرق بينها * تغيب صباحا وهو فى الليل يطلع

وقال ابن حجة

لينوفر الليل مذ أبدى تلونه * أحمر وأزرق من ساسيناوشكا
قلنا له ذاك لون واحد وبه * يسمو وأنت بليد وهو فيه ذكا

(الباب السادس عشر فى الروضات والبساتين)

أجمع جوابوا أقطار الارض على أن متنزهاتها أربعة سغد سمرقند وشعب بوان ونهر الابلة وغوطة دمشق قال أبو بكر الخوارزمى قد رأيتها كلها فكان فضل الغوطة على الثلاث كفضل الاربع على غيرهن كأنها الجنة صورت على وجه الارض فأما السغد فهو نهر تحف به قصور وبساتين وقرى مشتبكة العمائر مقداره اثنى عشر فرسخا فى مثلها وأما شعب بوان فبقعة من نواحى كورة سابور يكون مقدارها فرسخين قد ألحقتها الاشجار ظلالها وجاست الانهار خلالها وهذا الشعب لبوان بن أيرج أفريدون وفيها يقول المتنبى

مغانى الشعب طيبا فى المغانى * بمنزلة الربيع من الزمان
ولكن الفتى العربى فيها * غريب الوجه واليد واللسان
ملاعب جنة لو سار فيها * سليمان لسار بترجمان
غدونا نغض الاغصان فيه * على أعرافها مثل الجمان
فسرت وقد حجبن الشمس عنى * وجئن من الضياء بما كفانى
وألقى الشرق منها فى ثيابى * دنانيرا تفر من البنان

أهاثم يشير اليك منه * باشربة وقفن بلا أوان
وأمواه تصل بها حصاها * صليل الحلي في أيدي الغواني
اذا غنى الحمام الورق فيها * أجابتها الاغاني والقيان
ومن بالشعب أحوج من حمام * اذا غنى وناح الى البيان
وقد يتقارب الوصفان جدا * وموصوفاهما متباعدان
تقول بشعب بوان حصاني * أعن هذا تسير الى الطعان
أبوكم آدم قد سن هذا * وعلمكم مفارقة الجنان

وأما نهر (الابلة) وهو من أعمال البصرة وطوله أربع فراسخ وعلى جانبيه بساتين كأنها بستان واحد قد خط على خط مستقيم وكأن نخله غرس في يوم واحد (وأما الغوطة) وهي من حيز دمشق فانها ناحية يكون طولها ثلاثين ميلا وعرضها خمسة عشر ميلا مشتبكة القرى والضياع لا يكاد أن يقع للشمس على أرضها شعاع للالتفاف أشجارها واكتناف أزهارها وللشعراء في وصفها قصائد كثيرة أضربنا عن ذكرها لتردد الملل فيما نختار منها اذ كلها حسان لو جمعت لحفيت من تسطيرها الاقلام وكلت البنان وقد روى في بعض الاخبار عن كعب الاحبار انه قال غوطة دمشق بستان الله في أرضه (وقال) جمال الدين بن نباتة كتبها المملوك ومنظر الروض قد شاق ودمع الغيث قد رقا ووجه الارض قد راق والغصون المنطقة قد أرسلت أهواء القلوب بالاوراق وحمائمها المترنمة قد جذبت القلوب بالاطواق والورد قد احمر خده الوسيم وفككت أزراره من أجياد القضب أنامل النسيم ونوجت أكفه من أكمامه بأخذ البيعة على الازهار بالتقديم (وقال) مجير الدين بن تميم

كيف السبيل بلثم من أحببته * في روضة للزهر فيها معرك
ما بين منثور وناظر نرجس * مع اقحوان وصفه لا يدرك
هذا يشير بأصبع وعيون ذا * ترنوا الى وثغر هذا يضحك

وقال آخر وحللنا موضع كذا فافترشنا من زهره أحسن بساط واستظللنا من شجره بأوفى رواق وطفقنا نتعاطى شموسا من أكف بدور وجسوم نار في غلائل نور الى أن جرى ذهب الاصيل على لجين الماء ونشبت نار الشفق بفحمة

الظلماء (وقال) الشريف على ابن دفترخوان

ودوحة سكرت أغصانها بصبا * فللهوى فى معانيها اشارات
ماست فنقطها غيث بلؤلؤة * ففوق أوراقها منه جمانات
فهن فى العين هاآت مطمسة * من اللجين وان سالت فجمات

(وقال) على ابن ظافر فى منزل قد انقطفت قدود أشجاره وابسمت ثغور أزهاره وذاب كافور مائه على عنبر طيبه وامتدت بكاسات الجلنار أنامل غصونه والنسيم قد خفت واعتل وسقط رداؤه الخفاق فى الماء فابتل ووهنت قوته حتى ضعف عن السير واشتد مرضه حتى ناحت عليه نوائح الطير (نفر الترك) أندم الجنوى

الروض مقتبل الشبيبة مؤنق * خضل يكاد غضارة يتدفق
نثر الندى فيه لآلى عقده * فالزهر منه متوج وممنطق
وارتاع من مر النسيم به ضحى * فغدت كمائم نوره تتفتق
وسرى شعاع الشمس فيه فالتقى * منها ومنه سنا شموس تشرق
فالغصن مياس القوام كأنه * نشوان يصبح بالنعيم ويغبق
والطير ينطق معربا عن شجوه * فيكاد يفهم عنه ذاك المنطق
غردا يغنى للغصون فينثنى * طربا جيوب الطل منه تشقق
والنهر لما راح وهو مسلسل * لا يستطيع الرقص ظل يصفق
فتمل أيام الربيع فانها * ريحانة الزمن الذى يستنشق

(برهان الدين) القيراطى فى دمشق سمى سهمها على قوس الكواكب وأقبلت من كتائب زهورها فى مواكب وتحرك عودها حين غنت عليه من الورق القيان وطمع يزيدها فقلت وهذا مما يعجب أبا سفيان (وقال) سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى أسبغ الله عليه ظلاله يصفها عند دخوله اليها فى ثامن رمضان المعظم سنة ثمانمائة ونقلتها من خطه فتأملها المملوك فاذا هى جنة ذات ربوة وقرار معين وبلدة تبعث محاسنها الفكر على حسن الوصف وتعين وحسبك بالجامع الفارق بينها وبين سواها والانهار التى اذا ذكرت قل المحل فأجراها واذا سمع حديث الخصب فما أرواها ما أقول الامتزهات مصر عارية من المحاسن وهذه ذات

الكسوة ولا أن النيل احترق الامن الاسف حيث لم يسعده الدهر بالصعود الى تلك الربوة ولا أظنه اخر الاجلا من صفاء أنهارها ولا ناله الكسر الا لتألمه بالانقطاع عن الوصول الى سقى أزهارها فلو رأى العاشق جبهتها لسلا بمصر معشوقه ونسى ظهور جواريه المنجيبة بمقامات غصونها المشوقه ولو تطاولت المجنونة الى المفاخرة لتأخرت الى خلفها متخبلة وأحجمت عن الاقدام حين تحركت لها بدمشق السلسلة وحق لمصر أن لا يجرى حديث المفاخرة فى وهمها وأن تتقى شر المنازعة قبل أن تصاب فى هذه البلدة بسهمها فسقى الله منتزهاتها التى طرب المملوك برؤية حبكها وطالما اهتزت له المعاطف على السماع ورأى بها كل نهر ذاب عنه الجليد فانعقد على حلاوة شكره الاجماع تروع حصاه حالية العذارى فتلمس جانب العقد النظيم (وقال) البدر يوسف بن لؤلؤ الذهبى

هلم يا صاح الى روضة * يجلو بها العانى صدا همه
نسيمها يعثر فى ذيله * وزهرها يضحك فى كمه

(وقال) ابن عمار

يا ليلة بتها فى ظل أكناف النعيم
من فوق أكمام الرياض وتحت أذيال النسيم

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى فى تشبيه القمر من خلال الاغصان

كأنما الاغصان لما انثنت * امام بدر التم فى غيهبه
بنت مليك خلف شباكها * تفرجت منه على موكبه

(وقال) سيدنا بدر الدين محمد بن الدمامينى فى كتابه الذى وضعه على غيث الادب الذى انسجم فى شرح لامية العجم تصنيف الشيخ صلاح الدين الصفدى وسماه كتاب نزول الغيث عند ذكر هذين البيتين (ظاهر هذه العبارة) أن الاغصان شبهت فى حال انثنائها امام البدر فى الدجا ببنت مليك تطل من خلف شباكها للنظر فى موكب أبيها وذلك عن مظان التوجيه بمعزل ومقصوده أن البدر فى حال ظهوره من خلال الاغصان المنثنية على الصفة المذكورة شبه ببنت مليك على تلك الحالة تمثيلا للهيئة الاجتماعية بشبيهها لكن لفظه لا يساعده على هذا المطلوب فانه جعل الاغصان مبتدأ وأخبر عنه بقوله بنت مليك فلم يتم له

المراد وكثيرا ما يقع له في هذا قال يصف خالا على شفة

قد شبه الخال على ثغره * تشبيه من لا عنده شك
كسجة من جوهر تضمنت * حق حقيق قفله مسك

وأين هذا من قول الطغرائي

انظر الى الجنة في ثغره * لا ريب في ذاك ولا شك
أما ترى فيه الرحيق الذي * ختامه من خاله مسك

على أن مقطوع الصفدي الاول مع ما فيه من العيب مأخوذ من قول ابن قرناص

وحديقة غناء ينتظم الندى * بفروعها كالدر في الاسلاك
والبدر يشرق من خلال غصونها * مثل المليح يطل من شباك

وقد عيبت هذا البيت وشتان بين ذاك وبينه فتأمله انتهى كلام الشيخ بدر الدين وقال بعضهم وأحسن

نحن في عبسماء أقلعت بعد الارواء وأقشعت عند الاستغناء والنبت خضل ممطور والنقع ساكن محصور رش جبين النسيم وابتل جناح الهوى وضربت خيمة الغمام واغرورقت مقلة السماء وقام خطيب الرعد ونبض عرق البرق (وقال) ابن الساعاتي (توفي سنة أربع وستمائة بالقاهرة وعمره احدى وخمسون سنة)

ولقد نزلت بروضة عبقية * رتعت نواظرنا بها والانفس
فظللت أعجب حيث يحلف صاحبي * والمسك من نفحاتها يتنفس
ما الدوح الا جوهر والجو الا * عنبر والارض الا سندس
سفرت شقائقها فهم الاقحوا * ن بلثمها فرنا اليها النرجس
فكأن ذا خد وذا ثغر لها * وله وذا أبدا عيون تحرس

بدر الدين بن يوسف بن لؤلؤ الذهبي رحمه الله تعالى

وحديقة مطلولة باكرتها * والشمس ترشف ريق ازهار الربا
يتكسر الماء الزلال على الحصا * واذا غدا بين الرياض تشعبا

(وقال)

باكر الى الروضة نستجلها * فثغرها يا صاح بسام

والنرجس الغض اعتراه الحيا * فغض طرفا فيه أسقام
والغصن فيها ألف قد بدا * والنهر فى أرجائها لام
وبلبل الدوح فصيحا على * الايكة والشحرور تمتام

صفوان بن ادريس (توفى سنة ٩٨ رحمه الله تعالى)

جاد الربا من بانة الجرعاء * نوآن من دمعى وغيم سماء
ياليت شعرى والزمان منقل * والدهر ناسخ شدة برخاء
هل نلتقى فى روضة موشية * خفاقة الاغصان والافياء
وننال فيه من تألفنا ملوما * فيه سخنة أعين الرقباء
فى حيث أطلعت الغصون سوالفا * قد قلدت بلآلئ الانداء
وبدت ثغور الياسمين فقبلت * عنى عذار الآسة المياء
والورد فى شط الخليج كأنه * رمد ألم بمقلة زرقاء
وكأن غض الزهر فى خضر الربا * زهر النجوم تلوح فى الخضراء
وكأنما جاء النسيم مبشرا * للروض يخبره بطول بقاء
فكساه خلعة طيبة ورمى له * بدراهم الازهار رمى سخاء
وكأنما احتقر الصنيع فبادرت * بالعذر عنه نغمة الورقاء
والغصن يرقص فى حلى أوراقه * كالخود فى موشية خضراء
وافتر ثغر الاقحوان بما رأى * طربا وقهقه منه جرى الماء
أفديه من أنس تصرم وانقضى * فكأنه قد كان فى الاغفاء

(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدمامينى هذا اللغز وكتب به الى بعض الفضلاء الثغر المحروس ما قول مولانا أبقاه الله تعالى وضاعف اقباله ووالى فى ذات ينعم بها الجانى وتطرب فى مرابعها الالحان المغنية عن المثالث والمثانى خرساء لاتعرف حديث الادب المأثور وطالما تأملها الكاتب فوجد بها السجع والمنثور عيونها تذبل اذا شربت وأعطافها ترقص اذا طربت طالما تحركت بها السواكن وهاجت البلابل ونهر من سأل عنها فاستعذب نهرها السائل وروى منها عن الزهرى حديث حسن ولم يعز اليها مع ذلك براعة ولا لسن ورمقت الاعين خدودها وودت الانفس على الحالين ورودها استحسنته الخواطر حديث راويها اذا اعتل واستروحت لنفسه

له وكتب الخ
أمل معناه
ـتى تظهر
اسمة

الطيب اذا اختل ان عرف لفظها كان عليا لمحل لا يطرقه محل ولا ينكر تأنيثه فحل يحدث المصرى بحلاوته ويخبر بلفظه وطلاوته قد سهر من قديم تألقه البسطه وجهل السكر على انه مازال يقول بالنقطه يعرف المعشوق وآثاره وينال من المشتهى أمانيه وأوطاره وتوطأ فيحمد حمله الانعال وتقف عنده الجوارى على الارجل فلا تود الانتقال وينشد من شغف بمعانيه ويبعث طرفه لتأمل مغانيه وكتب اذا أرسلت طرفك رائدا لقلبك يوما أتعبتك المناظر والافعلم على جملة يعرفها الطالب ويحسن ارتكاب المهالك لينل ما فيها من المطالب قد فتحت لارباب المقاصد أبوابها ومنحت الافهام الضالة هديها وصوابها وصحت بما اشتملت عليه من العلل ونصحت مع انها أحكمت بالسلامة على الحلل

وقد بسقت منها الفروع وأثمرت * الى أن جنا منها الورى ثمر العليا
وفى وصفها يبدو الطباق فضدها * يموت بها غما وصاحبها يحيى

(الوزير بن عمار)

وليل لنا بالسد بين معاطف * من النهر ينساب انسياب الاراقم
بحيث اتخذنا الروض جارا تزورنا * هداياه فى أيدى الرياح البواسم
تبلغنا أنفاسه فتردها * بأعطر أنفاس وأزكى المباسم
تسير الينا ثم عنا كأنها * حواسد تمشى بيننا بالنمائم

(وقال) القاضى بدر الدين بن الدمامينى لنفسه رحمه الله

يقول مصاحبى والروض زاه * وقد بسط الربيع بساط زهرى
تعال نباكر الروض المفدّا * وقم نسعى الى ورد ونسرى

(وقال) أبو جعفر ابن الشعرى (توفى سنة احدى وثلاثين وستمائة)

ياهل ترى أظرف من يومنا * قلد جيد الافق طوق العقيق
وأنطق الورق بعيدانها * مرقصة كل قضيب وريق
والشمس لا تشرب خمر الندى * فى الروض الا بكؤس الشقيق

وقال بعضهم

فى روضة علم أغصانها * أهل الهوى العذرى كيف العناق
هبت بها ريح الصبا سحرة * فالتفت الاشجار ساق بساق

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلى ونقلتها من خطه رحمه الله تعالى

منابر الدوح فيها الورق قد سجعت * فمالت القضب للالحان واستمعت
وهاجها سحر امر النسيم فخذ * هب القبول الى طيب الصبوح دعت
أبدت فرادى ومثنى من عجائبها * تلك الرياض التى للحسن قد جمعت
بينا ثغور بها الزهر قد ابتسمت * أضحت عيونا بماء الطل قد دمعت
ومذ تلون وجه الروض قابله * نهر به أعين فى صدره دفعت

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل يحيى بن هذيل التجيبى أبو زكريا كذا ذكره العلامة ذو الوزارتين لسان الدين محمد بن الخطيب فى تاريخه الاحاطة بتاريخ غرناطة (وذكران وفاته سنة ثلاث وخمسين وسبعمائة)

نام طفل النبت فى حجر النعامى * لاهتزاز الطل فى مهد الخزاما
وسقى الوسمى أغصان النقا * فهوت تلثم أفواه الندامى
كحل الفجر لهم جفن الدجى * وغدا فى وجنة الصبح لثاما
يحسب البدر محيا ثمل * قد سقته راحة الصبح مداما
حوله الزهر كؤوس قد غدت * مسكة الليل عليهن ختاما

وقال الوزير العلامة فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس تغمده الله بالرحمة يصف شجرة بشاطئ النيل المبارك بالروضة

ياسرحة الشاطئ المنساب كوثره * على اليواقيت فى أشكال حصباء
حلت عليك عزاليها السحاب اذا * نوء الثريا استهلت ذات انواء
فان تبسم فيك النور من جذل * سقاك من كل غيم كل بكاء
رجاك بالوارف المعهود منك فكم * لنا بظلك من اهواء اهوائى
وكم نزلنا مقيلا منك ماحى الهجير * اذ حيث لامرائى لحربائى
يظل من قبل القضفاض فى ظلل * من الغمام يقينا كل ضرائى
ياطيبة بدواء القيض عالمة * أنت الشفاء لدى الرمضا من الداء
لاصوح الدهر منك الزهر وانبجست * عليك كل هتون الودق سوداء
عصابة الشرب أموا روض زاهرة * تعزى لاكرام اخوال وآبائى
خمائل الروض منشاها ومرضعها * ضرع الغيرين من نيل وانوائى
فاستمهدت دوحها الخضل وافترشت * نجم الربا ورقت عرشا على الماء

قوله وكم نزلنا الخ هو كذلك فى الاصل ونقل بحروفه وليحرر اه

قريرة العين بالانواء باردة الـــقلب الذى لم تنله غير سراء

مقيل ندمان بل مغنى حمائم بل * كناس أرام بل أفناء درماء
لها مطارف سجيع فصيفها * ظل يعادل فيه طيب مشتاء
قديمة العهد هزتها الصبا فصبت * فهى العجوز تهادى هدى رهاء
لا يدرك الطرف أقصاها على كاك * حتى تعود له لحظات حولاء
وصوت بلبلها الراقى ذرى غصن * بحلة من دمقس الريش دكاء
كقرع ناقوس ديرى على شرف * مسبح فى سواد الليل دعاء
تحليه عين أجنيت الضلوع على * نار شجوى بها لا حب لمياء
تحكمت بى فلم تجنى أضالعها * على الهواء وأجنتها على الماء
بديعة الحسن قد فاز الجناس لها * من المعانى بأفنان وأفياء
وقام عنها لسان الزهر ينشدنا * للهو كم أرّج ما بين ارجاء
كم صفق الموج من أزهارها طربا * فنقطته ببيضاء وصفراء
وكم طربت لما أبدته من ملح * يصبو له كل ذى عقل وآراء
وجدت بالتبر من مالى ومن أدبى * فكنت فى كل حال منهما الطاء
كأنها من جنان الخلد قد كملت * حسنا وحسبك من خضراء العاء
كأن أغصانها اللدن الرشاق اذا * هصرت أفنانها أعطاف وطفاء

كأن صمغتها الحمرا بقشرتها الـــدكناء قرص على أعكان سمراء

كأنها فوق دعص الموج اذ سفحت * هضابه سفح وادرب أفياء
مالت على النهر اذ جاش الخرير به * كأنها أذن مالت لاصغاء
كأنما النهر مرآة وقد عكفت * عليه تدهش فى حسن ولألائ
ذو شاطئ راق عب القطر فهو على * نهر الابلة يزرى أى ازرائ
كأنه عند تحريك النسيم له * فرند سيف نضته كف جلائ
كأنه شبك من لؤلؤ نظمت * أو جوهر السن أو تخليل رقشائ
كأنه عين يهدى زرقة وصفا * رقراق عين بوجه الارض شهلاء
وكم شدتنا حمامات الاراك على * أغصانها فأرتنا رقص هيفاء
من كل ورقاء فى الافنان صادحة * بين الحدائق فى فيحاء زهراء
ورق تغنت بجيبات رقين على * عيدانها فاله فى مغنا وغناء

يا كرتها في سراة من أصاحبنا * لاينطوون على حقد وشحناء
تداعبوا بمعاني شعرهم فأروا * ود الاحبة في ألفاظ أعداء
من شيخ مجنون في شباب فتى * يقرى المجون بقلب غير نساء
يسعى اليها على جوداء جارية * من ايكها كهلال الافق حدباء
نوحية الصنع ذ الاحكام منشأة * تسير ماسيرت من غير اعياء
سوداء تحكى دنى الماء المصندل شا * مة على شفة كالشهد لعساء
ساجية ألبستها الصانعون لها * من التدابيج مابزهو بصنعاء
غريبة ذات ألوان وأجنحة * لم أدر تعزى لروض أو لعنقاء
لم يستطع شاوها اذ سيرها عنق * عز الجياد على كد وانضاء
كم قد نعمنا بها عيشا بصافية * شمطاء تجلى على الخلاء عذراء
مما تخيرها كسرى وأودعها * رب الخورنق في قوراء جوفاء
راحا اذا ركع الابريق يمزجها * سمعت من صوته تسبيح فأفاء
أم السرور التى أبقى الزمان بها * جزؤ الحياة وقد ألوى بأجزاء
فعاطيتها على طل الندى سحرا * فان ترشافها موتى واحياء
واستجلها بنت مصر تستطيل على * بغداد والموصل الحدبا وسوراء
كم بين من قام معتل النسيم بها * على اعتدال وحدباء وزوراء
من كل خاطى وشادأو وشادية * تشدو لنا بين صوت العود والناء
على الحدائق لا الا كام تنفحنا * ريح البنفسج لا نشر الخزاماء
أما أنا لست نواحا على طلل * ولا خليط ولا نداب أحياء
تركته لاناس كالتيوس غذوا * عن المدام بدر الابل والشاء
يعزون للشعر لكن من جهالتهم * لم يفرقوا بين ايطاء واقواء
من كل ألكن عند البحث منقطع * كأنه واصل والشعر كالزاء

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

أشتاق في وادى دمشق معهدا * كل الجمال الى حماه ينسب
مافيه الاروضة أوجوسق * أوجدول أو بلبل أو ربرب
وكأن ذاك النهر فيه معصم * بيد النسيم منقش ومكتب
واذا تكسر ماؤه أبصرته * في الحال بين رياضه يتشعب

وشدت

وشدت على العيدان ورق أطربت * بغنائها من غاب عنه المطرب
فالورق تشدوا والنسيم مشبب * والنهر يسقى والحدائق تشرب
وضياعها ضاع النسيم بها فكم * أضحى له من بيننا متطلب
وخلت بقلبي من عساله حبه * فيها لارباب الخلاعة ملعب
ولكم طربت على السماع بحنكها * وغدا بروتها اللسان يشبب
فمتى أزور معالما أبوابها * بسماحها كتب الكرام تبوب

(وقال) ابن ظافر فى بدائع البداية اجتمع الوزير أبو بكر ابن القبطرنة والاديب أبو العباس ابن صارة فى يوم جلا ذهب برقه وأذاب ورق ودقه والارض قد ضحكت لتعبيس السماء واهتزت وربت عند نزول الماء فقال ابن صارة

هذى البسيطة كاعب ابرادها * حلل الربيع وحليها النوار

(فقال) ابن القبطرنة

فكأن هذا الجوفيها عاشق * قد شفه التعذيب والاضرار

(فقال) ابن صارة

واذا شكا فالبرق قلب خافق * واذا بكى فدموعه الامطار

(فقال) ابن القبطرنة

من أجل ذلة ذا وعزة هذه * تبكى الغمام وتضحك الازهار

وقال ابن تميم

لو كنت اذا نادمت من أحببته * فى روضة تسبي العقول وتفتن
لرأيتها وعيونها من غيرة * منى تفيض ووجهها يتلون

(وقال) محي الدين بن عبد الظاهر

والاغصان قد اخضر نبات عارضها ودنانير الازهار ودراهمها وقد تهيأت لتسليم قابضها والمنثور وقد نظمت قلائده وصيغت ولائده والحور وقد جاوز السهى بالباشر والسرور قد كشف عن سوقها وقالت لها تلك الغدران بهديرها انه صرح ممرد من قوارير والسوسان وقد لاحظ جفنه الوسنان والورد وقد ورد والبان وقد بان (وقال) الشيخ عز الدين الموصلى ونقلتها من خطه رحمه الله تعالى

وروضة نقشتها الصبا ابر * فأصبحت بين تطريز وتزهير
مثل السوار لها سور أحاط بها * من سلسل هي منه ذات تسوير
أو كالخلاخيل للادواح دار على * سوق لها مطلقا في زي مأسور
تحت الغياض رياض دبجت فبدت * ألوانها ذات تشهير وتشذير
أغصانها الند والاوراق سوسنه * والزهر عرق ياقوتا ببلوري
والزهر بين شعاع الشمس تحسبه * دراهما نثرت بين الدنانير
والظل ثوب اذا مر النسيم به * فالروض ما بين مهتوك ومستور
ونهرها زائد بالخصب يدنينا * كصارم في سبيل الله مشهور

(وقال)

وروض نجم الزهر أصبح معجبا * فحسده من حسنه الانجم الزهر
ومذ أرجف الماء النسيم تدرعت * مزردة الاثواب من خوفها الغدر
فللروض تدبيج بالوان زهره * وللغصن من أوراقه الحلل الخضر
فراح نصيرا من حنان جناسه * على الضحى زهر وعلى الدجى زهر
وأغربت الالحان في الدوح ورقة * فكن قيانا دونها أسبل الستر
وأسفر للاصباح خد مورد * ومن قبله حيى بريحانة الفجر

وقال العفيف التلمساني قدس الله سره

انظر الى الاغصان في حركاتها * الشكرها أم سكرها تتأود
فتقول أرباب البطالة ينثني * وتقول أرباب الحقيقة يسجد

وقال شهاب الدين بن دمرداش (مولده سنة ثمان وثلاثين وستمائة ووفاته سنة ثلاث وعشرين وسبعمائة)

انظر الى الأشجار تلق رؤسها * شابت وطفل ثمارها ما أدركا
وعبيرها قد ضاع من أكمامها * وغدا باذيال الصبا متمسكا

وقال برهان الدين القيراطي من قصيدة

تشوقني الفات الروض مائلة * من النسيم سكارى وهي دالات
ولي من الورق في أوراقها طربا * كأنهن على العيدان قينات

(وقال) الشيخ مجد الدين الارموي (توفي سنة احدى عشرة وسبعمائة)

كم للنسيم على الربا من نعمة * وفضيلة بين الورى لن تجحدا

مازارها وشكت اليه فاقة * الا وهزلها الشمائل بالندى

(وقال) محيى الدين ابن قرناص رحمه الله تعالى

أظن نسيم الروض والزهر قد روى * حديثا ففاحت من شذاها المسالك
وقال دنا فصل الربيع فكله * ثغور لما قال النسيم ضواحك

(وقال) الفاضل علاء الدين على بن ظافر العسقلانى فى كتابه بدائع البداية قال اجتمعت أنا والقاضى الاعز يوما فقلت له أجز

* طار نسيم الروض من وكر الزهر * فقال * وجاء مبلول الجناح بالمطر *

(قلت) الشئ بالشئ يذكر ذكرت بقول العسقلانى ما أنشدنى من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلى محاجيا

يامن له حسن لفظ يثنى عليه المثانى
ما مثل قول المحاجى أحوى الشفاه جفانى

(وذكرت) بلطف هذه الاحجية ما أنشدنيه من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا الفاضل المفنن المحدث المؤرخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ نور الدين على الشهير بابن حجر ابقاه الله محاجيا

يافاضلا هو فى الاحاجى ليس يخلو من ولع
ما مثل قولك للذى يبكى الحبيب اسكت رجع

(وظرف من قال)

وروضة رقصت أغصانها وشدت * أطيارها وتولى سقيها السحب
وظل شحرورها الفريد تحسبه * أسويدا زامرا مزماره ذهب

وقال ابن خفاجة فى نهر تحف به أشجار

قد رق حتى ظن درعا مفرغا * من فضة فى بردة خضراء
وغدت تحف بها الغصون كأنها * هدب تحف بمقلة زرقاء

(وقال) الرصافى فى نهر تحف به شجرة

فاءت عليه مع الظهيرة سرحة * صدئت لفيئها صفيحة مائه
فتراه أزرق فى غلالة سمرة * كالدارع استقلى بظل لوائه

(وقال) نور الدين على بن سعيد

كأنما النهر صفحة كتبت * أسطرها والنسيم ينشئها

لما أبانت عن حسن منظرها * مالت عليه الغصون تقرؤها

(وقال) بعض المغاربة وأجاد الغاية

ومهم الشطين أحكم صقله * كالمشرفي قد اكتسى بفرنده
فمائل الديباج منه جمائل * متعانق فيها البهار بورده
واقد اختفى طرف له في دوحة * كالسيف رد ذبابه في غمده

(وقال) محيي الدين بن عبد الظاهر رحمه الله

وبطحاء في روض بروقك روضها * ولاسيما ان جادغيث مبكر
تلاحظها عين تفيض بأدمع * برقرقها منه هنالك محجر
بها فاض نهر من لجين كأنه * صفائح أضحت بالنجوم تسمر
كأن حصاها اذ بدا فيه أحمر * وأبيض دمع في خدود ينثر
والا فبرد بالظلال مسهم * والا فطرس بالتجعد يسطر
وما لاح في جنبيه نبت وانما * تبدا عذارا منه في الخد أخضر
وكم غازلته للغزالة مقلة * تسارق أوراق الغصون فتنظر
وتبصر منه كل حسن فينبرى * حياء لديه وجهها وهو أصفر
اذا فاخرته الريح وات عليلة * بأذيال كثبان الربى تتعثر
به الفضل يبدو والربيع وكم غدا * به الروض يحيي وهو لاشك جعفر

(وقال) على بن ظافر مررت أنا والقاضي الاعز رحمه الله تعالى بساقية تتلوى تلوى الافعوان * وتخفق خفقان قلب الجبان * والزهر قد نظم بلبتها عقود فوق أثوابها الممسكة والنسيم يكسوها ويسلبها غلائل معركة فقلت * أساقية أم أرقم فرهاربا * (فقال) * أم الريح قد هزت من الماء قاضبا *

(فقلت)

حصا مثل در الثغر أجرى زلاله * رضابا وأبدى نبته النضر شاربا

(فقال)

يوشحها زهر الرياض قلائدا * ويلبسها مر الرياح جلاببا

(وقال) الاديب أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ورشحة رباتها تهابها الصبا * تهادى عطف المترف المتخرر
وقد صقلت من صفحة الماء منصلا * به من شعاع الشمس رونق جوهر

فمن شبك قد حيك حولك مفاضة * ومن سمك قد صيغ صيغة خنجر
وقد نظرت شمس الاصيل الى الربا * بأضعف من طرف المريب وأفتر
ولاح على بلورة من غديره * شعاع شراب للعشية أصفر
وصفرة مسواك الاصيل تروقنى * على لعس من مسقط الشمس أسمر
الى أن توارت بالحجاب مريضة * تلفع فى ثوب من الليل أخضر
وغازلنى جفن من الافق أنجل * يدير من الظلماء مقلة أحور

(ونقلت) من كتاب نزهة الابصار فى نعت الفواكه والثمار تأليف الشيخ الفاضل الكامل محمد بن القاضى المنشئ البليغ ضياء الدين نصر الله بن محمد بن عبد الكريم الموصلى ولم أزل من الازهار فى سؤال وجواب وأنا منصت انصات المتعجب لمغانوات الاعجاب اذ سمعت صوت هاتفة ورقاء على بانة خضراء بلسان فصيح وقلب بفرقة الاحباب جريح وقد أوفت على غصنها الرطيب ومالت وأعلنت بما أسرته من وجد وقالت

اذكرونا ذكرنا عهدكم * رب ذكرى قربت من نزحا
اذكروا صبا اذا غنى بكم * شرب الدمع وعاف القدحا

يا معشر الرياحين التى يزهى حسنها على كل حين لقد جزتم حد الاكثار ولم ينج أحدكم من سقطات العثار هبكم نزهة العيون وزينة الافنان والفنون فهل أنتم الاعشاش أفراخنا ومواضع أوساخنا واعواد خطبائنا وأرائك امرائنا ومهود أبنائنا وستور نسائنا رؤسكم محط أرحلنا وهاماتكم نعال أرجلنا ونحن المسجعون بحمد ربنا المثنون عليه بالالسن الناطقة والافواه العذبة الرائقة فلما سمعت كلام الحمام هممت بالانصراف من حيث أتيت لاخبر بما سمعت ورأيت اذا أقبلت غمامة تمشى لثقلها مشى الرداح ويكاد يلمسها من قام بالراح وما أظلمت الاأضاء البرق فى جوانبها فتمثلت ليلا فى صباح فلم يزل البرق يأخذ فى اذهاب ردائها ويبدو نذيرا لدى أصوات ندائها وهل يلقى على الارض ماحملته فى احشائها ثم قالت باذوات البكاء والنوح المفتخرات على الارائك والدوح ألستم الباكين بغير جوى الشاكين ألم الفراق من غير هوى بكم عرف الشقاق واشتهر ذكره فى الآفاق قلوبكم خاشعة وعيونكم غير دامعة ومنكم عرف

اختلاف الباطن والظاهر وقد أعرب عن ذلك قول الشاعر

وهاتفة في البان تملي غرامها * فتتلو علينا من صبابتها صحفا
ولو صدقت فيما تقول من الاسى * لما لبست طوقا ولا خضبت كفا

(ونقلت) من خط الشيخ شمس الدين محمد بن سمندار الذهبي لنفسه الكريمة (توفي قريبا من سنة خمس وثمانين وسبعمائة) وأنشدني من نظمه

سماع غناء الطير للدوح مرقص * ومن طرب بالزهر منه ينقط

(الباب السابع عشر في آنية الراح)

الشراب في الزجاج أحسن منه في كل جوهر لا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل في اليد ولا يرتفع في السوم وقدور الزجاج أطيب من قدور الحجارة وهي لا تصدئ ولا تندى ولا يتخللها وسخ الغمر وأوساخ الوضر وان اتسخت فالماء وحده لها جلا ومتى غسلت بالماء عادت جديدة ومن كرع فيه بشرب فكأنما يكرع في اناء وماء وهواء وضياء (وما أحسن) رسالة سهل بن هرون يفضل الزجاج على الذهب الزجاج مجلو نوري والذهب متاع سائر والشراب في الزجاج خير منه في كل معدن ولا يفقد معه وجه النديم ولا يثقل اليد ولا يرفع في السوم واسم الذهب يتطير منه ومن لونه مصيره الى اللآم وهو فاتن قاتل لمن أصابه وهو أيضا من مصائد ابليس ولذلك قالوا أهلك الرجال الاحمران والزجاج لا يحمل الوضر وهو أشبه شئ بالماء وصفته عجيبة وهي رسالة طويلة (ومن) أحسن ما قيل في ذمه قول النظام فانه أخرجه في كلمتين بأوجز لفظ وأتم معنى فقال سريع اليه الكسر ولا يقبل الجبر ذكر الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف انه وجد المتورد بن ربيعة يوم القادسية ابريق ذهب عليه ياقوت وزبرجد فلم يدر ما هو فلقيه رجل من الفرس فقال أنا أعطيك فيه عشرة آلاف دينار فعرف قيمته فذهب به الى سعد بن أبي وقاص رضي الله عنه فباعه بمائة ألف دينار (ووجد) للوليد بن يزيد بعد مقتله جفنة بلور كأعظم ما يكون من الجفان قيل انها تسع ثلثمائة رطل ولما وقعت الفتنة بين عازم الدولة رقيب بن علي وبين حاج خراسان بمدينة رسول الله صلى الله عليه وسلم في سنة ثلاث وعشرين وأربعمائة وعازم الدولة يومئذ أمير الموسم ومقدم

القافلة المصرية وكانت الهزيمة على الخراسانيين فنهبت أموالهم وأتى بعض النهابة الى عازم الدولة بزبدية فيروزج تسع وزن رطل شامى كأحسن مايكون من الزبادلا يعلم لها قيمة ودفعها عازم الدولة بعد ذلك الى الظاهر ومن الاشياء النادرة المستظرفة المتجملات فى الملابس والمجالس ماذكره الفقيه الكاتب أبو مروان عبد الملك بن بدرون فى شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون فى قصة جبلة ابن الايهم الغسانى وهو أن جبلة لطم انسانا من الناس فلما أراد الامام عمر اقادته منه فر الى هرقل وتنصر ثم ندم على تنصره فقال

تنصرت الاشراف من أجل لطمة * وما كان فيها لو صبرت لها ضرر
تكنفنى منها اللجاج ونخوه * فبعت لها العين الصحيحة بالعور
فياليت أمى لم تلدنى وليتنى * رجعت الى القول الذى قاله عمر
ويا ليتنى أرعى المخاض بقفرة * وكنت أسيرا فى ربيعة أو مضر
وياليت لى بالشام أدنى معيشة * أجالس قومى ذاهب السمع والبصر

ولما تنصر جبلة ولحق بهرقل صاحب القسطنطينيه أقطعه هرقل الاموال والضياع والرباع وبقى ماشاء الله ثم ان عمر رضى الله عنه بعث الى هرقل رسولا يدعوه الى الاسلام أو الى الجزية فأجاب الى الجزية فلما أراد الرسول الانصراف قال له هرقل ألقيت ابن عمك هذا الذى عندنا يعنى جبلة الذى أتانا راغبا فى ديننا قال مالقيته قال القه ثم ائتنى أعطك جواب كتابك قال الرسول فذهبت الى باب جبلة فاذا عليه من القهارمة والحجاب والبهجة وكثرة الجموع مثل ما على باب هرقل قال الرسول فلم أزل أتلطف فى الاذن حتى أذن لى بالدخول فدخلت عليه فرأيته أصهب اللحية ذا سبال وكان عهدى به اسود اللحية فأنكرت عليه فاذا هو قد دعى بسحالة الذهب فذرها على لحيته حتى عادت سوداء وهو قاعد على سرير من قوارير قوائمه أربعة أسود من ذهب فلما عرفنى رفعنى معه على السرير فجعل يسائلنى عن المسلمين فذكرت له خيرا قلت قد أضعفوا اضعافا على ما تعرف قال وكيف تركت عمر بن الخطاب قلت بخير حال فرأيت الغم فى وجهه لما ذكرت له من سلامة عمر ثم انحدرت عن السرير فقال لم تأبى الكرامة التى أكرمناك بها قلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم

نهى عن هذا قال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك من الدنس ولا تبال على ما قمدت فلما سمعته يقول صلى الله عليه وسلم طمعت فيه فقلت له ويحك يا جبلة ألا تسلم وقد عرفت الاسلام وفضله قال أبعد ما كان منى قلت نعم قد فعل رجل من بنى فزارة أكثر مما فعلت ارتد عن الاسلام فضرب وجوه المسلمين بالسيف ثم رجع الى الاسلام فقبل ذلك منه وخلفته بالمدينة مسلما قال ذرنى من هذا ان كنت تضمن لى ان يزوجني عمر ابنته ويولينى الامر بعده رجعت الاسلام قال فضمنت له التزويج ولم أضمن له الامر قال ثم أومى الى خادم كان على رأسه فذهب مسرعا فاذا خادم قد جاء ومعه خدم يحملون الصناديق فيها الطعام فوضعت ونصبت موائد الذهب وصحاف الفضة وقال لى كل فقبضت يدى وقلت ان رسول الله صلى الله عليه وسلم نهى عن الاكل فى أوانى الذهب والفضة فقال نعم صلى الله عليه وسلم ولكن نق قلبك وكل فيما أحببت قال فأكل فى الذهب وأكلت فى الخلنج ثم جىء بطساس الذهب وأباريق الفضة فغسل يده فى الذهب وغسلت فى الصفر ثم أومى الى خادم بين يديه فمر مسرعا فسمعت حسا فاذا خدم معهم كراسى مرصعة بالجوهر فوضعت عشرة عن يمينه وعشرة عن شماله ثم جاءت الجوارى عليهن تيجان الذهب فقعدن عن يمينه وعن يساره على تلك الكراسى ثم جاءت جارية كأنها الشمس حسناء على رأسها تاج على ذلك التاج طائر لم أر أحسن منه وفى يدها اليمنى جامة فيها مسك فتيت وجامة فى يدها اليسرى فيها ماء ورد فأومت تلك الجارية أو صفرت للطائر الذى على تاجها فطار حتى وقع فى جامة ماء الورد فاضطرب فيه ثم أومأت اليه أو صفرت فوقع على جامة المسك فتمرغ فيه ثم أومأت اليه فطار حتى نزل على تاج رأس جبلة فلم يزل يرفرف حتى نفض ما عليه فى رأسه فضحك جبلة من شدة السرور حتى بدت أنيابه ثم التفت الى الجوارى اللاتى عن يمينه فقال أضحكننا فاندفعن يغنين يخفق عيدانهن

لله در عصابة نادمتهم * يوما بجلق فى الزمان الاول
يسقون من ماء البريص نديمهم * راحا يصفق بالرحيق السلسل
أولاد جفنة حول قبر أبيهم * قبر ابن مارية الكريم المفضل

قال فضحك حتى بدت نواجذه ثم قال أتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان

ابن ثابت شاعر رسول الله صلى الله عليه وسلم ثم أشار الى الجوارى اللاتى عن يساره فقال لهن أبكيننا فاندفعن يغنين يخفقن عيدانهن ويقلن

لمن الدار أقفرت بمعان * بين أهل اليرموك فالجان
ذاك مغنى لآل جفنة فى الدهر * محلى لحادث الازمان

قال فبكى حتى سالت دموعه على لحيته فقال أتدرى من يقول هذا قلت لا قال حسان ثم أنشد الابيات التى أولها تنصرت الاشراف ثم سألنى عن حسان أحى هو قلت نعم فأمر له بكسوة ولى أيضا كذلك وأمر بمال لحسان ونوق موقرة ثم قال لى ان وجدته حيا فادفع الهدية اليه وأقره عنى السلام وان وجدته ميتا فادفعها الى أهله وانحر النوق على قبره فلما أخبرت عمر بخبره وما اشترط على وما ضمنت له قال فهلا ضمنت له الامر فاذا أفاءالله به قضى الله علينا بحكمه ثم جهزنى عمر الى هرقل ثانيا وأمرنى ان أضمن له ما اشترط فلما دخلت القسطنطينية وجدت الناس منصرفين من جنازته قلت ان الشقاء سبق عليه فى أم الكتاب وذكر الحكيم موفق الدين بن أبى أصيبعة فى ترجمة الحكيم سديد الدين بن رقيعة قال ومن شعره وهو مما كتبه على كأس فى وسطه طائر على قبة مجوفة اذا قلب الماء فى الكأس دار الطائر دورانا سريعا وصفر صفيرا ومن وقف بازائه الطائر حكم عليه بالشرب فاذا شربه وترك فيه شيأ من الشراب صفر الطائر وكذلك لو شربه فى مائة مرة حتى شرب جميع ما فيه ولم يبق فيه درهم فان صفيره ينقطع والابيات هى هذه

أنا طائر فى هيئة الززورى * مستحسن التكوين والتصوير
فاشرب على نغمى سلاف مدامة * صرفا تنير حنادس الديجور
صفراء تلمع فى الكؤس كأنها * نار الكليم بدت بأعلى الطور
واذا تخلف فى شرابك درهم * فى الكاس تم به عليك صفيرى

(قلت) كتبت هذه الابيات لغرابة هذا الكأس وأما الشعر فانه ليس بطائل قال الثعالبى فى تحفة الارواح وموائد السرور والافراح انه كان فى الزمن القديم امرأة فى العراق تعمد الى الصينى الابيض فتصير منه الشمشى والاسود والسماقى والاخضر حتى لا يشك ناظر فى انه كان كذلك فى الاصل وما علم أحد من الرجال سواها فى ذلك وأهل الخبرة بهذا النوع اذا وقع فى أيديهم

شئ من عمل هذه المرأة عرفوه (القول فى الكأس المصور) قال أبو نواس

ودار ندامى عطلوها وأدلجوا * بها أثر منهم جديد ودارس
مساحب من جر الزقاق على الثرى * واضغاث ريحان جنى ويابس
تدار علينا الراح فى عسجدية * حبتها بأنواع التصاوير فارس
قرارتها كسرى وفى جنباتها * مها تدريها بالقسى الفوارس
فللراح مازرت عليها جيوبها * وللماء مادارت عليه القلانس

قال الجاحظ وجدنا المعانى تقلب و يؤخذ بعضها من بعض الا هذا المعنى فان الحسين ابتدعه (قلت) وضمن هذه الابيات الاديب أبو الحسين الجزار تضمينا حسنا أجاد فيه الى الغاية وهو

كنت بها فى يوم لهو وهامتى * تمارس من أهواله ما تمارس
وعندى صحاب للمجون ترحلت * عمائمهم عن هامهم والطيالس
فللماء مازرت عليه جيوبهم * وللراح مادارت عليه القلانس
مساحب من جر الزقاق على القفا * واضغاث انطاع جنى ويابس

وقال أيضا

بنينا على كسرى سماء مدامة * مكللة حافاتها بنجوم
فلو رد فى كسرى ابن ساسان روحه * اذا لاصطفانى دون كل نديم

أخذه الناشى فقال

فى كأسها صور تظن لحسنها * عربا برزن من الحجال وغيدا
واذا المزاج اثارها فتقسمت * ذهبا ودرا توءما وفريدا
فكأنهن لبسن ذاك مجاسدا * وجعلن ذا لنحورهن عقودا

وقال ابن المعتز

وساق يجعل المنديل منه * مكان حمائل السيف الطوال
غلالة خده صبغت بورد * ونون الصدغ معجمة بخال
بدا والصبح تحت الليل باد * كطرف أبلق ملقى الجلال
بكأس من زجاج فيه أسد * فرائسهن ألباب الرجال

وقال ابن قلاقس (ومولده سنة اثنين وخمسمائة ووفاته سنة سبع وستين وخمسمائة)

دارت زجاجتها وفي جنباتها * كسرى أنوشروان في ايوانه
فخلعت عن عطفيه حلة قهوة * وشربتها فغدوت في سلطانه

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى

ومشمولة قد هام كسرى بكأسها * فأضحى ينادي وهو فيها مصور
وقفت لشوقي من وراء زجاجة * الى الدار من فرط الصبابة أنظر

(وقال) المرحوم فخر الدين بن مكانس رحمه الله تعالى

اذا ما أديرت في حشا عسجدية * بها كل ذي ملك وتاج تصورا
فحسبك نيلا في السيادة أن ترى * نديمك في الكاسات كسرى وقيصرا

(قلت) والسبب الموجب لتصويرها ما ذكره الفقيه الكاتب أبو مراون عبد الملك ابن بدرون في شرحه لقصيدة الوزير عبد المجيد بن عبدون (وهو) ان سابور بن هرمز الملقب بذي الاكتاف لما رجع من قتال بني تميم قصد الروم والدخول الى القسطنطينية متنكرا فاستشار قومه فحذروه التغرير بنفسه فلم يقبل قولهم وسار متنكرا الى القسطنطينيه فصادف وليمة لقيصر قد اجتمع فيها الخاص والعام فدخل في جملتهم وجلس على بعض موائدهم وقد كان قيصر أمر مصورا أتى عسكر سابور فصوره فلما جاء قيصر بالصور أمر بها فصورت على آنية الشراب من الذهب والفضة وأتى بعض من كان على المائدة التي عليها سابور بكأس فنظر بعض الخدام الى الصورة التي على الكأس وسابور مقابل لها على المائدة فعجب من اتفاق الصورتين وتقارب الشبهين فقام الى الملك فأخبره فمثل بين يديه فسأله عن خبره فقال أنا من أساورة سابور وهربت منه لامر خفته فيه فلم يقبلوا ذلك منه وقدم الى السيف فأقر بنفسه وجعل في جلد بقرة وتمام حكايته الى أن خلص وعاد الى ملكه في كتاب سلوان المطاع في السلوانة الثانية منه وهي حكاية غريبة مشتملة على أنواع من الحكم (وقال) صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى

كؤوس المدام تحت الصفا * فكن لتصاويرها مبطلا
ودعها سواذج من نقشها * فاحسن ماذهبت بالطلا

(وقال) زين الدين بن الوردي رحمه الله تعالى

دع الكاس من نقشها * وصاف بصاف أحب

اذا ذهبت بالطلا * فقد طلبت بالذهب

(وقال) شمس الدين بن العفيف فيما يكتب على كأس

أدور لتقبيل الثنايا ولم أزل * أجود بنفسى للندامى وأنفاسى
وأكسو أكف الشرب ثوبا مذهبا * فمن أجل هذا لقبونى بالكاسى

الشئ بالشئ يذكر قال شهاب الدين بن أبى حجلة مضمنا

ياصاح قد حضر الشراب ومنيتى * وحظيت بعد الهجر بالايناس
وكسى العذار الخد حسنا فاسقنى * واجعل حديثك كله فى الكاس

وقال ابراهيم بن الحاج الغرناطى (ومولده سنة خمس عشرة وسبعمائة رحمه الله تعالى)

يارب كاس لم تشع شموعها * فأعجب لها جسما بغير مزاج
لما رأينا السحر من أشكالها * جهلا نسبناه الى الزجاجى

(وقال) الاديب أبو بكر بن عمير وقد اقترح عليه حسود وصف كأس اسود فقال ارتجالا

سأشكو الى الندمان أمر زجاجة * تردت بلون حالك اللون أسحم
تصب بها شمس المدامة بيننا * فتغرب فى جنح من الليل مظلم
وتجحد أنوار الحميا بلونها * كقلب حسود جاحد يد منعم

(القول فى القدح) قال القاضى شهاب الدين بن فضل الله فى وصفه تكون من جوهر مكنون وتجسد من هواء مظنون واتخذ خدر الآنية العنب وطاف به الساقى فاصبح منه فى راحة وهو فى تعب قهقه عليه الابريق فصدح وطار منه شرار المدام فقيل قدح وكتب سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن أبى المخزومى المالكى الشهير بابن الدمامينى فسح الله فى أجله الى سيدى الجناب المجدى فضل الله بن مكانس أدام الله عزه وذلك فى ربيع الاول سنة خمس وتسعين وسبعمائة وقد تجاسر العبد وتوقع مكارم الاخلاق المخدومية فأهدى هذا اللغز لينعم مولانا بقبوله ويتفضل بحله عند حلوله فقال ما اسم حبيب الى النفوس شبيه بالبدر حليف للشموس ان قلب كان لقلبه من العين مكان من المناسبة وان سقط قلبه مع هذا الفعل كان ضد الاقوال الكاذبة وان صحف بعد العكس أنبأ عن الذكاء وهذا غاية الشرح وان غير ثانيا

علم رب الكلام المحرر انه دال على الطرح حسبناه مع التصحيف آلة للصيد معينة على المكر والكيد ان قلع طرفه كان مزاج باقيه قواما وان عكس كان الطرب بتصحيفه مداما وان زال أوله كان العكس عتابا لمتعاطى اثمه وان صحف اشتاقت الشفاة الى تقبيله ولثمه وربما كان الهزل عن تصحيفه الآخر منافيا لاسمه مباينا فى الحقيقة لحده ورسمه والمملوك يسأل الصفح عن هذا الهذيان والامتنان بالجواب مع شئ من نظم المقر الصاحبى للوالدى وشئ من نثره ليحلى المملوك بعقوده جيد تذكرته ويتأنس بحسنه الغريب فى زمن غربته فكل غريب للغريب نسيب ومدح مولانا أجل من أن يحيطه قلم العبد أو لسانه أو يحصره بيان الاديب أو بنانه ونسأل الله تعالى أن يمتع ببقائه ويعلى درجات ارتقائه بمنه وكرمه فكتب الجواب يقبل الارض التى أطالت بالجفا حرمانه وتداركته بعد اجراء دموعه فعظمت فى الحالتين منها شانه وانتهى الى اللغز الذى يمتع بحله ويشرب بقدحه فابتهل شكرا ومالت أعطافه بالقدح الفارغ سكرا فوجده كما قال حبيب الى النفوس يجتهد فى التوصل بمائه وجاره الى الرؤس يأتيك بالمعنى اللطيف ويقف حذقك من تصحيفه بعد العكس بين تصحيف وتحريف فله من ساعته وقابل شمسه المنيرة بذبالته وكتب قرينه لغزا وخالف نفسه اذ قالت لا تتعبنى فى مجاراة هذا الجواد نزا وقد ذكرته أولا فى باب الرياحين وقال القاضى التنوخى رحمه الله تعالى

وراح من الشمس مخلوقة * بدت لك فى قدح من نهارى
هواء ولكنه جامد * وماء ولكنه غير جارى
اذا ما تأملتها وهى فيه * تاملت نورا محيطا بنارى
فهذا النهاية فى الابيضاض * وهذا النهاية فى الاحمرار
كأن المدير لها باليمين * اذا قام للسقى أو باليسار
تدرع ثوبا من الياسمين * له فرد كم من الجلنار

وقال النضير الحمامى رحمه الله تعالى

أصبحت من أغنى الورى * مستبشرا بالقدح
عندى خمر ذهب * أكتاله بالقدح

وأنشدنى سيدى وأخى تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى لنفسه مضمنا رحمه الله

أرى طير أقداحنا ناقحا * يحوم على عذب ورد القدح
فقلت لذر الحباب اجتهد * ومد الشباك وصد من سنح

وقال ابن تميم

يا حسنه قدح يضئ زجاجه * ليل الهموم اذا ادلهم وعسعسا
أهديته مثل النهار فان حوى * صرف المدام غدا نهارا أشمسا

(الابريق) قال ابن المعتز

وكأن ابريق المدامة بيننا * ظبى على شرف أناب مدلها
لما استحثه السقاة حنى لها * فبكى على قدح النديم وقهقها

وقال ابراهيم بن اسحق الموصلى رحمة الله عليه

كأن أباريق المدام لديهم * ظباء بأعلى الرقتين قيام
وقد شربوا حتى كأن رقابهم * من اللين لم تخلق لهن عظام

صاعد اللغوى

كأن ابريقنا والراح فى فمه * طير تناول ياقوتا بمنقار

السرى الرفاء الموصلى رحمة الله عليه

ابريقنا عاكف على قدح * تخاله الام ترضع الولدا
أو عابدا من بنى المجوس اذا * توهم الكاس سرعة له سجدا

السراج الوراق (توفى سنة احدى عشرة وسبعمائة رحمة الله عليه)

يا حبذا شكل ابريق تميل له * منا القلوب وتصبو نحوه الحدق
يروق لى حين أجلوه ويعجبنى * منه طلاوة ذاك الجسم والعنق
كم قد شربت به ماء الحياة ولن * ينالنى منه لا غص ولا شرق
حتى غدا خجلا مما أقبله * فظل يرشح من أعطافه العرق

(الراووق) الجوبان القواس رحمه الله تعالى

ولما حكى الراووق فى العين شكله * وقد علق العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكأنه * عيون على أيام عهد الصبى تجرى

وقال بدر الدين حسن المعزى رحمه الله

أعجب ما فى مجلس اللهو جرى * من أدمع الراووق لما انسكبت

لم تزل البطة في قهقهة * مابيننا تضحك حتى انقلبت

وقال برهان الدين القيراطي رحمه الله

يا كرت راووقي وبطتي التي * قد قهقهت ودم المدامة سفك
وأضعت مالي فيهما حتى غدا * هذا يصفي لي وهذا يضحك

وقال صدر الدين بن عبد الحق (توفي تقريبا سنة سبعين وسبعمائة)

أسبل الراووق لما صلبا * أدمعا لكن رأينا عجبا
بينما الراووق يبكي بدم * ضحك الابريق حتى انقلبا

وقال سيدي المقر المجدي سلمه الله تعالى وأجاد

قم واصلب الراووق واشف قلبي * منه وبلغني بذاك سؤلي
واسفك دم الزق ونادي هذا * جزاء من يلعب بالعقول

وقال محمد بن العفيف في باطية وأجاد

انا المجالس والجليس أنيسه * أزهى بحسن ناضر للناظر
اصفو فاظهر ما أجن ولم يكن * في باطني شئ يخالف ظاهري

وما ألطف من قال * عجلوا عجلوا بشرب البواطي * فالصواب الصواب نيك الخواطي كان لابي الحرث جسون دنا كان يقول انه لم يفسد فيه نبيذ قط منذ عشرين سنة فأوصى به عند موته للفضل الرقاشي وقال هذا جزاء له فانه كان كلما اجتمعنا على أمر قال قم فابدأ به (الامير صلاح الدين الاربلي) فيما يكتب على طبق تحت أقداح (توفي المذكور سنة سبع وثلاثين وستمائة ومولده سنة اثنين وسبعين وخمسمائة) رحمة الله عليه

من فرحتي بالندامى واجتماعهم * حولي وقربهم مني وايناسي
جعلت صفحة خدي تحت أخمصها * قد غادرته الندامى أسفل الكاس

(الباب الثامن عشر فيما يستجلب بها الافراح وهو خمسة فصول)

(الفصل) الاول في من مدحها من الملوك والرؤسا
(الفصل) الثاني في تدبير استعمالها على رأي الحكماء
(الفصل) الثالث في أداب منتشيها وما يجب على مستعمليها
(الفصل) الرابع في استهدائها واستدعاء الاخوان

(الفصل) الخامس في من وصفها من الشعراء الاعيان
(الفصل) الاول قال كسرى النبيذ صابون الهم (قلت) من هنا قول الشيخ بدر الدين البشتكي

وكنت اذا الحوادث دنستني * فزعت الى المدامة والنديم
لاغسل بالكؤس الهم عني * لان الخمر صابون الهموم

(وقال) أرسطاطاليس الراح كيمياء الفرح (وقال) جالينوس الراح صديق الروح (وقال) آخر الراح درياق سم الهم قال عبد الملك بن صالح الهاشمي ما جشت الدنيا بأظرف من النبيذ وقال الثعالبي لكل شئ سر وسر النبيذ السرور (وقال) الدنيا معشوقة ريقها الراح (وقال) الجاحظ ان النبيذ اذا غشى في عظامك ودب في أجرامك منحك صدق الحسن وفراغ النفس وجعلك رخي البال خلي الذرع قرير العين منشرح الصدر حسن الظن وسد عليك باب الغم وحسم عنك خاطر الهم وقيل لابي حميد الفضل بن وكيل ما تقول في النبيذ المصفى المصفق المروق المعسل المعتق فجعل يتمطق ويقول أخاف الا اشتغل بشكر الله تعالى الكريم على نعمه فيه وكان مطيع بن اياس يقول في النبيذ معنى في الجنة موجود لان الله عزوجل يقول اخبارا عن أهلها الحمد لله الذي اذهب عنا الحزن والنبيذ يذهب الحزن (وقيل) لابي عائشة ان فلانا لا يشرب النبيذ فقال فطلق الدنيا ثلاثا (وقيل) للاعمش مثل ذلك فقال دعوه حتى يقتله القولنج (وقال) يزيد بن المهلب وددت لو ان كأسا بألف دينار وكل منكح في جبهة أسد فلا يشرب الاجواد ولا ينكح الا الشجاع (وقال) عبد الملك للاخطل صف لي الخمر فقال أولها صداع وآخرها خمار قال فما يعجبك منهما قال ان بينهما طربة لا يعادلها ملكك وأنشأ يقول

اذا ما نديمي علني ثم علني * ثلاث زجاجات لهن هدير
خرجت أجر الذيل حتى كأنني * عليك أمير المؤمنين أمير

(وقال) ابقراط الخمرة صديقة الجسم والتفاحة صديقة النفس (نادرة) اجتمع محدث ونصراني في سفينة فصب النصراني من ركوة كانت معه في مشربة وشرب وصب فيها وعرض على المحدث فتناولها من غير فكر ولا مبالاة فقال النصراني جعلت فداك انما هو خمر فقال من أين علمت أنها خمر قال اشتراها

غلامي من يهودي وحلف أنها خمر فشربها بالعجلة وقال النصراني أنت أحمق نحن أصحاب الحديث افتصدق نصرانيا عن غلامه عن يهودي والله ماشربتها الا لضعف الاسناد (وقال) الجاحظ كل شئ من المأكول يكون أوله أطيب من آخره الا النبيذ فان القدح الاول ثقيل والثاني أسهل والثالث أسلس والرابع أسوغ والخامس أعذب والسادس الذي ينتهي الى غاية السرور (حكى) ان عبد الملك بن مروان امتحن اعرابيا من الشعراء فقال صف لي الخمر فاطرق الاعرابي وقال

شموس اذا شجت لدى الماء مرة * لها في عظام الشارب بين دبيب
تريك القذاء من دونها وهي دونه * لوجه أخيها في الوجوه قطوب

(فقال) عبد الملك شربتها يا اخا العرب ووجب عليك الحد فقال ومن أين لك ذلك يا أمير المؤمنين فقال لانك وصفتها بصفتها فقال واني قد رابني من أمير المؤمنين ما رابه بأن يكون أيضا شربها اذ عرف اني وصفتها بصفتها فضحك منه وأحسن جائزة (نادرة) جلد مدني في الشراب وكان طويلا والجلاد قصيرا فقال له تقاصر ابن الملك السوط فقال ويلك الى أكل الفالوذج تدعوني والله لوددت اني أطول من عوج وانك أقصر من يأجوج ومأجوج (كتب) رجل الى ابن قريعة القاضي فتيا (توفي المذكور سنة سبع وستين وثلثمائة ببغداد) ما يقول القاضي أيده الله في رجل سمي ولده مداما وكناه أبو الندامى وسمى ابنته الراح وكناها ام الافراح وسمى عبده الشراب وكناه أبو الاطراب وسمى وليدته القهوة وكناها ام النشوة أينهى عن بطالته أم يؤدب على خلاعته (فكتب) تحت سؤاله لو بعث هذا لابي حنيفة لاقعده خليفة ولعقد له رايه وقاتل من تحتها من خالف رأيه ولو علمنا مكانه لسجنا أركانه فان أتبع هذه الاسماء افعالا وهذه الكنا استعمالا علمنا أنه قد أحيى دولة المجون وأقام لواء ابنة الزرجون فبايعناه وشايعناه وان تكن أسماء سماها ماله بها من سلطان خلعنا طاعته وفرقنا جماعته فنحن الى امام فعال أحوج منا الى امام قوال انظر أيدك الله الى معاني هذا النثر الذي يعجز عنه البديع والمجون الذي لا يلحقه الخليع (وقالت) دنانير جارية البرامكة من أصبح وعنده قنينة ناقصة وزبدية طباهجة بارده وتفاحة معضوضه ولم يصطبح فهو أحمق فاسد المزاج

يحتاج الى العلاج

(الفصل الثاني في تدبير استعمالها على رأي الحكماء)

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسن علي بن أبي الحزم القرشي المتطبب المعروف بابن النفيس تغمده الله برحمته في الجملة الثانية في قواعد الجبر العلمي من الطب في كتابه المشهور المعروف بالموجز عندما ذكر تدبير المشروب ما هذا نصه وخير الشراب ما طاب طعمه وعطرت رائحته وصفى لونه واعتدل قوامه والعلامة الجيدة للشراب الجيد الخالي من الغش أنه اذا ترك المقدار القليل مدة طويلة لم يفسد وبقدر طول المدة تعرف الجودة والرقيق اللطيف أسرع اسكارا وتحللا والغليظ أبطأ اسكارا وتحللا وأدوم خمارا الكنه يسمن وخصوصا الحلو وليكن من تسديده على حذر ويختار للشباب والمحرورين الابيض الممزوج قبل شربه بمدة بكثير الماء وللمشايخ الاصفر القوي القليل المزج فان أرادوا الاغتذاء والسمن فالاحمر ودع الشيخ وما احتمله وجنبه الصبيان وعدّله في الشبان وانما يستعمل الشراب عند انحدار الغذاء من المعدة واما في خلال الاكل أو عقيبه فضار لتنفيذه الغذاء على فجاجته على ان المعتاد به لا ينتفع باستعمال ما يعين على الهضم الا بمقدار ما يقوى على التنفيذ ومادام السرور يتزايد واللون يحسن والبشرة تلين والجلد يربو والحركة نشيطة والذهن سليما فلا تخف من افراط فان أخذ النعاس يغلب والغشيان يقوى والبدن والدماغ يثقل والذهن يتشوش والحركة تسترخي فقد وجب الترك فحينئذ يجب القيء والقيء على قليل منه رديء لانه يغصب من البدن ما ينفعه والشرب بالاقداح الصغار خير من الكبار والتبعيد بين الاقداح ليتهضم الاول قبل ورود الثاني أفضل وينبغي أن يحف مجلس الشراب بالمنظر اللذيذ من الازهار والمحبوبين من الناس والاراييح اللذيذة والسماع المطرب ورفع كل ما يغم ويقبض النفس كالوسخ والصنان واللباس القذر والكمد وبعد غسل البدن والاطراف ولبس المشرف وتسريح الرأس واللحية وتقليم الاظفار وليكن المجلس مشرفا فسيحا بقرب المياه الجارية ومع الظرفاء من الاصدقاء وذلك لان الشراب يحرك قوى النفس ويثير كل الشهوات فاذا لم تجد كل قوة

مطلوبها

طالوبها تأذت وانقبضت فلا تقبل النفس على الشراب كل القبول ولا تتصرف به التصرف الواجب فيقل نفعه وربما فسد فكان شره أكثر من نفعه منافع الشراب منها نفسية ومنها بدنية أما النفسية فلا يمكن ان يساويه فيها غيره وذلك كالسرور وبسط النفس وتفسيح أملها وتشجيعها وازالة البخل والغم والفكر الفاسد وهو أنفع الاشياء لمن يخولها التفريحه المضاد لايحاش السوداء وتحسين الظن وتقوية ذهن قوى الدماغ لان دماغه لا ينفعل عن ابخرة الشراب المسكر بل عن حده اللطيف فيصفو ذهنه صفاء لا يصفو مثله بغيره فلذلك قوى الدماغ لا يسكر بسرعة وبسرعة السكر وبطئه تعلم قوة الدماغ وضعفه وأما البدنية فانها وان أمكن أن تستفاد بغيره من المعاجين والمركبات فذلك يعسر وذلك كتحسين اللون وانارته وتبريقه واشراقه وتقوية الحرارة الغريزة وانعاشها وانضاج الرطوبات وازلاقها وتفتيح المجاري وازالة سددها وتفتيح المسام وتقوية الهضم وتكبير الروح وتلطيفها وانارتها واثارة الدم وتنقيته وانضاج البلغم وتلطيفه وادرار الصفراء وترطيبها وتعديل مزاج السوداء وقمع عادتها وانواجها ونفعه يتعلق بالقوى الطبيعية والحيوانية أكثر من القوى النفسانية وادامته تبلد الذهن وترخي العصب وتورث الرعشة والتشنج وكثيرا ما يموت السكران بالسكتة والصرف محرق للدم مفسد لمزاج الدماغ والكبد والمسطار يخاف منه ذوسنطاريا النفخة واسهاله والسكر المتواتر يوهن قوى الدماغ والعصب ولا بأس به في الشهر مرتين لاراحة قوى الدماغ والفصل والبلد الباردان يحتملان كثرة الشراب وقوته وما أمكن ترك التنقل فهو أولى لكن المحرور قد ينتفع بالتنقل بمثل السفرجل والرمان المز والتفاح والكمثرى والزعرور واقراص الليمون وحماض الاترج وشرابه بل يحتاج الى التنقل بأقراص الكافور كما يفعل بالمدقوقين والمبرودين بجوارش التفاح والخلنجبين والتمر والفستق والمرطوب بالقرطامة وزيتون الماء والفستق واللوز المملوحين والاشياء التي تبطئ بالسكر التنقل باللوز وخصوصا المزمسون لوزة يستعمل قبل الشرب فيمنع السكر وكذلك التنقل ببزر القنبيط المملح وأكل القنبيطية والكرنبية قبل الشراب وكذلك استعمال المدرات والثرايد الدهنية وان أبطأت بالسكر لكنها تمنع كثرة الشرب والمسكرات بسرعة كالتنقل بجوز الطيب

ونفعه في الشراب وكذلك العود والشيلم وورق العنب والزعفران وكل هذه تسكر مفردة وأما البنج واللفاح والشوكران والافيون فتفرط وانما يستعمل لمن يريد أن يعالجه بما لا يحتمله في الصحو ومما يذهب رائحة الشراب الكزبرة اليابسة والرأس ودارصيني العين وأفضل ما يمزج به الشراب الماء وقد يمزج بماء لسان الثور ليزداد تفريحه وهو بذلك يسر سرورا عظيما وقد يمزج بماء الورد فيقوي المعدة والقلب أكثر وقد يمزج بأمراق الفراريج واللحم لمن غشي عليه أو ضعف وضعيف عليه ان لا تطول المدة الى حيث تصل المرقة مفردة والله أعلم انتهى كلام ابن النفيس الحكيم الفاضل المؤيد محمد بن المحلي الشهير بالعنتري في كتابه النور المجتني من رياض الندماء واعلم ان الاكثار من الخمرة يحدث الامراض الباردة الرطبة كالسكتة والفالج واللقوة والخدر والرعشة والاسترخاء والسبات هذا لمن مزاجه مستعد للبرد فأما أصحاب المزاج الحار فانها تولد الحميات الحارة ولاسيما ان وافقها غذاء حار وفصل حار ومزاج صرف والغرض من الخمرة أن يأخذ منها اليسير بعد الطعام بثلاث ساعات ولا بأس باستعمال النشوة والسكر في الشهر مرتين نافع وكذلك القيء كرتين في الشهر ويجب ان لا يؤخذ الغذاء الا وقت الشهوة وبعد الرياضة ومن أراد الاستكثار من الشراب فلا يستكثر من الطعام ومن أراد أن يطول جلوسه على الشراب فلا يستكثر من الرياضة والجماع ولا يمتلئ من الطعام واذا كان الغذاء ظهرا كان الشراب عصرا ويبدأ بالاقداح الصغار أولا وأما أوقات الاجتماع عليها فيكون ذلك والقمر في برج الزهرة أو عطارد متصلا بهما اتصالا مقبولا ويحذر نحوت المشتري ونظره الى القمر والعاقل اذا انقطع الى الخمرة في يوم مذموم كفي شر ذلك اليوم باشتغاله بها الا أنه يجب أن يكون خلوه مع نديم مأمون الجانب عاقلا يكفي شر ذلك اليوم ان شاء الله تعالى ومنه صنعة تفاحة تسكر سريعا اذا شمت يؤخذ زعفران وميعه وحماما ولفاح وقشور أصل اليبروح ينعم سحقه ويعجن بشراب صرف عتيق ويتخذ منه تفاحة منقشة وتشم والحرمل مفردا ومع الشراب يسكر الشارب سكرا مفرطا ومن شرب خمس سعدات أو عشرة مسحوقة لم يسكر يومه ويجب ان لا يفعل ذلك الا صاحب المزاج البارد وأما المحرور فيجعل غذاءه اذا أراد أن لا يسكر بالخل والسماق والحصرم وماء الليمون

بلحوم الدجاج والجداء والخرفان ويمتص ماء الرمان المز وأكل السمك الطرى بالخل والتنقل باللوز الحلو لاسيما ان وافق ذلك سماع مطرب أونديم يجب (وينشد)

الخمرطيبة وليس تمامها * الابطيب خلائق الجلاس

(مايقطع رائحة الشراب من الفم) فمن ذلك سعد وكبابة ودار صينى بالسوية يدق ويستف منه مثقال لاسيما بعد القيء المستقصى وسف الكزبرة والنعناع ومضغ العود الرطب وكذلك السعد وأكل البصل يخفى رائحة الشراب والفوتنج النهرى اذا مضغ قطع رائحته انتهى كلام العنبرى (وقال) التيفاشى فى كتابه سرور النفس بمدارك الحواس الخمس وهو عدة مجلدات انى لما رأيت لهج الخلفاء والملوك وشغف جمهور الامم من العرب والعجم بشرب شراب العنب واختلاف مذاهبهم فى استعماله مع الاتفاق على الميل اليه على تباين نحلهم وملاهم وقد ذكر عن الاحنف بن قيس ان رجلا قال له يا أبا بحر ما ألذ الاشربة فقال له الخمر فقال كيف علمت ولم تذقها قال لانى رأيت من أحلت له لا يصبر عنها ورأيت من حرمت عليه يتخطى البهائم ووجدت جل من يستعمل هذا المشروب لا يفى له خيره بشره ولا يقوم نفعه بضره وذلك لجهله بوجه استعماله فان من المعلوم ان الخمر انما المقصود من شربها منفعتان احداهما للنفس بالتفريح ونفى الهموم والاخرى للبدن بحفظ صحته عليه ونفى الامراض النازلة به وتحقق عند كل من له أدنى مسكة من عقل أنها اذا استعملت على غير ما ينبغى انعكست هاتان المنفعتان مضرتين فصار عوض السرور هما وغما وضجرا وسوء خلق وعوض الصحة مرضا مزمنا أوموتا فجأة حسبما نشرحه الا انه لا يقتصر الامر على عكس هاتين المنفعتين فقط بل يتعدى الى مضار اخرى عظيمة ان سلمت المهجة كذهاب العقل والمال والجاه والذكر الجميل بل لا يقف الامر على ذلك بل يتعدى الضرر الى الاعقاب فان الحكماء أجمعوا قاطبة على أن مدمن الخمر لا ينجب وان أنجب كان الولد أحمق انتهى كلام التيفاشى (ونقلت) من مجموع بخط بعض الافاضل قد ذكر الحكماء والاطباء والعلماء والشعراء والفضلاء والبلغاء من مضار الخمر ومنافعها وبهجة عوار بها وطوالعها فمن ذلك قولهم الخمر يسخن الجسم ويجود الهضم ويرطب الاعضاء ويسكن القيء

والعطش اذا مزجت وتدر البول وتسهل الطبيعة وتسر النفس وتحدث النشاط والطرب والاريحة لاسيما فى الابدان المعتدلة هذا فى أخذ القصد فاذا أكثر منها أحدث ذلك السهر وورم الكبد وقلة شهوة الجماع والغذاء والنسيان والخدر والرعشة والدمع وضعف البصر والحميات واختلاط العقل والتبلد والسكتة والصرع وموت الفجأة لان الخمر تملأ الدماغ فتغمر الحرارة كما يغمر الدهن نار السراج فيطفئها انتهى

(الفصل الثالث فى آداب منتشيها وما يجب على مستعمليها)

ينبغى للمعاشر والنديم المجالس للملوك والرؤساء ان يكون نظيف الكف نقى الظفر متعاهدا التقليم والتخليل بين أصابعه وغسل يده ومضمضة فى أوقات وضوءه ومطعمه طيب المعانى عطر البشرة نظيف الوجه والشارب والانف نقى الجبين مستعملا للسنون وأخذ السعد بالغدوات وتسريح اللحية وتنظيف الثياب وعمامته خاصة لان العين كثيرا ما تقع عليها متعطرا بالبخور والغالية والذرائر على الشعر والثياب وليجلس فى مرتبته بحسن أدب ويكون جاثيا بغير اتكاء ولا متربع ولا عبث بثوب ولا بلحية ولينهض بنهوض الملك ويجلس حيث يشير اليه ويدنو اذا استدناه ويجيبه اذا سأله ولا ينهض عن المائدة أولا ولا يمد يده مبتدئا ولا يلعق أصابعه ويعيدها فى الطعام ولا يغمس أنامله ولا يسرع المضغ ولا يكثر الضحك والكلام ولا يعض اللحم بأسنانه ولا يرد ما عض فى الصحفة ولا يتناول ما بين يدى غيره ولا يكثر اللقم ولا يفتت الخبز ولا يخلل الملح ولا يلتقط الدسم بالخبز ولا يكثر من اغتراف الحبوب والامراق خوفا من أن يسيل على الثياب وينسب الى الشره وسوء الادب ولا يفسخ الدجاج بيده بعنف خوفا من الاندلاق وهو أن يكون تحت جلد الدجاجة أوفى أوراكها دسم فيطير على ثياب من بازائه بل يقطع بالسكين على تواضع ولا يعصر الزيتونة بشدة فربما طارت نواتها فأصابت وجه جليسه ولا يحمل بيده الحلوى بكثرة ولا يدخل الى فيه الطعام الحار ثم يخرجه من فيه ولا ينفخ فيه وفى المرقة ليبرد ولا يكثر شرب الماء ولا يتجشى ظاهرا ولا يتمشمش العظام ولا ينفض المخاخ ولا يعض الفواكه ان حضرت قبل الطعام ولا يمد يده الى قطعة لحم مشهورة ولا بيضة منصورة ولا

صبوة بحبة مشتهاه ولا ما تقع الشهوة عليه ولا ما تسارع النفس اليه ويجب أن يجتنب الخمرة في مجالس الملوك ومن يخاف على عرضه (حكى) ان المتنبي كان يأبى شرب الخمر ويكرهه فألزمه سيف الدولة بن حمدان فشرب ذات ليلة عنده فعربدت منه فارطة بأن قبل غلاما ومازحه ثم ندم لوقته فقام وانصرف وبقي أياما لا يحضر مجلسه فأكثر بطلبه حتى حضر فأمره بالشرب فامتنع وأقسم انه لا يشرب أبدا خمرا وأنشأ يقول

رأيت المدامة غلابة * تهيج للمرء أشواقه
تسيء من المرء تأديبه * ولكن تحسن أخلاقه
وبالامس متّ بها موتة * وهل يشتهي الموت من ذاقه

فعفاه من الشرب واذا ألزم العاقل الشرب في مجالس الملوك فلا يشرب فان غلب لزم الصمت والسكوت وتكلفه الا أن يسأل فيرد جوابا مختصرا (وحكى) أن نصيبا كان يجالس عبد الملك بن مروان ويؤاكله ويجلس قريبا منه فألزمه بالشرب فقال يا أمير المؤمنين لست لك بقرابة ولا لي عليك يد بيضاء ولا أنا ذو حسب ونسب وانما أنا عبد أسود قربني منك أدبي وعقلي فيأبى بك أن تسلبني أدبي وعقلي الذي قربني منك فعجب منه وعفاه (وينبغي) أن لا يشربها أبدا الحمقى والسفهاء والجهال حتى يخرجون في فجورهم وسفههم وتكثر حماقتهم وقال أبو نواس رحمه الله تعالى

والخمر قد يشربها معشر * ليسوا اذا عدوا بأكفائها

وقال آخر

وقد تعرف الجهال من حلمائنا * اذا ما تعاطينا الكؤس تعاطيا
تزيد حماها السفيه سفاهة * وتترك ألباب الرجال كما هيا
وجدت أقل الناس عقلا اذا انتشى * أقلهم عقلا اذا كان صاحيا
عليك دليل من صحبت فلا يكن * جليسك من يحكي اليك المساويا

وقال آخر

على قدر عقل المرء في حال صحوه * يؤثر فيه الخمر في حال سكره
فيأخذ من عقل كثير أقله * ويأتي على العقل اليسير بأسره

قال المأمون الشراب ستر فانظر مع من تهتكه وقال الجازم النبيذ على ثلاثة عشر

نفسا على من فى الخطأ واتكأ على اليمين وأكثر أكل النقل وكسر الزجاج وسرق الريحان وبل ما بين يديه وطلب العشاء وقطع اللذة وحبس أول قدح وأكثر الحديث وامتخط فى منديل الشراب وبات فى موضع لا يحتمل المبيت ولحن المغنى ونقلت من خط الحافظ جمال الدين اليغمورى من مجاميعه المسماة بكنوز الفوائد ومعادن الفرائد ما صورته لما تقلد كسرى أنوشروان مملكته عطف على الصبوح والغبوق فكتب اليه وزيره رقعة يقول فيها ان فى أدمان الملك الشرب ضررا على الرعية والوجه تخفيف ذلك والنظر فى أمور المملكة فوقع على ظهر الرقعة اذا كانت سبلنا آمنة وسيرتنا عادلة والدنيا باستقامتنا عامره وعمالنا بالحق عامله فلم نمنع فرحة عاجله قال أبو سليمان أخطأ كسرى من وجوه أحدها أن الادمان افراط والافراط مذموم وآخر أنه جعل أن أمن السبل وعدل السيرة وعمارة الدنيا والعمل بالحق لم يوكل بها الطرف الساهر ولم يحظ بالعناية التامة ولم يحفظ بالاهتمام الجالب لدوام النظام مع أنه متى كان كذلك دب اليها النقص والنقص باب الانتقاص والانتقاص مزيل للاصل مزعزع للدعامة وآخر أن الزمان أعز من أن يبذل كله للاكل والشرب والتلذذ والتمتع فان فى تكميل النفس الناطقة باكتساب الرشد لها وابعاد ألغى عنها ما يستوعب أضعاف العمر فكيف اذا كان العمر قصيرا وكان ما يدعو اليه الهوى كثيرا وآخر أنه ذهب عليه أن العامة والخاصة اذا وقفت على استهتار الملك باللذات وانهماكه فى طلب الشهوات ازدرته واستهانت به وحذبت عنه بأخلاق الخنازير وأخلاق الحمير (وما) أحسن ما قال الاديب الفاضل أبو عبد الله محمد بن الرفا الرصافى من رصافة قرطبة رحمه الله تعالى وقد مر بروضة نزهة فتذكر جلوسه فيها مع رفقة له كانوا أعزاء على قلبه

سقى نهيلتك الربا بأبهما * كانت ترف بها ريحانة الادب
من فتية نزلوا أعلى أسرتها * عفت محاسنهم الا عن الكتب
محافظين على العليا ورتبها * هزوا السجايا قليلا بابنة العنب
حتى اذا ما قضوا من كأسها وطرا * وضاحكوها الى حد من الطرب
راحوا وراحا وقد زيدت عمائمهم * حلما ودارت على أبهى من الشهب

لا يظهر السكر حالا من ذواتهم * الا اتفاق الصبا في السن العذب

(ونقلت) من خط سيدنا ومولانا الجناب المجدى فضل الله بن المرحوم الصاحب فخر الدين بن مكانس هذه الارجوزة وسماها عمدة الحرفاء وقدوة الظرفاء من نظم والده سامحه الله تعالى

هل من فتى ظريف * معاشر حريف
يسمع من مقالى * مايبهر اللآلى
أمحضه ودّيه * سارية سريه
تسير في الدياجي * كلمعة السراج
بالبسة السراء * جليلة الانباء
ماجنة خليعه * بليغة مطبوعه
رشيقة الالفاظ * تسهل للحفاظ
جادت بها القريحه * في معرض النصيحه
أنا الشفيق الناصح * أنا المجد المازح
أسلك الجماعه * في طرق الخلاعه
اجد للاكياس * عهد أبي نواس
ان تبتغي الكرامه * وتطلب السلامه
أسلك مع الناس الادب * ترمن الدهر العجب
لن لهم الخطابا * واعتمد الآدابا
تحل بها الطلابا * وتسحر الالبابا
البس حلا الخلاعه * واخلع ردا الرقاعه
ولا تطاول بنشب * ولا تفاخر بنسب
المرء ابن اليوم * والعقل زين القوم
ها أروض السياسة * لحائز الرياسة
ان شئت تلقى حسنا * فلا تقل قط أنا
وان أردت لاتهن * اذ اؤتمنت لا تخن
العز في الامانه * والكيس في الفطانه
القصد باب البركه * والخرق داعي الهلكه

لاتغضب الجليسا * لاتسخط الرئيسا
لاتصحب الخسيسا * لاتوحش الانيسا
لاتكثر العتابا * تنفر الاصحابا
فكثرة المعاتبه * تدعو الى المجانبه
وان حللت مجلسا * بين سراة رؤسا
اقصد رضا الجماعه * وكن غلام الطاعه
داريهم باللطف * واحذروبال العنف
لاتلقين كاذبا * لاتهمل الملاعبا
قرب الندامى يلجى * للنردو الشطرنج
واختصر السؤالا * وقلل المقالا
ولا تكن معربدا * ولا بغيضا نكدا
ولاتكن مقداما * تسطو على الندامى
لاتمسك الاقداحا * تنغص الافراحا
لاتقطع الظرافه * لاتشحذ السلافه
لاتحمل الطعاما * والنقل والمداما
فذاك فى الوليمه * شناعة عظيمه
لم يرتضيها آدمى * غير وضيع عادم
وقل من الكلامى * مالاق بالمدامى
كرائق الاشعار * وطيب الاخبار
واترك كلام السفله * والنكتة المبتذله
وقالت الاكياس * اذا أريق الكاس
بادره بالمنديل * فى غاية التعجيل
فتحلة الكرام * سفينة المدام
وان رقدت عندهم * فلا تشا كل عبدهم
فان سلمت مره * فلا تعد بامره
لاتأمنن الثانيه * فان تلك القاضيه
والعربدون احذره عذر * فانه احدى الكبر

فيالها من فضيحه * ومحنة قبيحه
فاعلها لا يكرم * وان دوى لا يرحم
كم أسكن الترابا * ذا قوة ذبابا
وكم فتى من ذره * أصبح مفضى الثقبه
جازوه من جنس العمل * وصار فى الخلق مثل
ليس له من آسى * كمثل بعض الناس
كفته تلك الشهره * ومثله وعبره
اياك والتطفيلا * وشامة الويلا
تبالها من محنة * وثلمة وهجنة
لاتقرب الطاعمه * فانها دلاعمه
ولا تكن مبذولا * ولا تكن ملولا
وان دعاك الاخوه * الى ارتشاف القهوه
فلا تصقع ذقنكا * ولا تزرهم بابنكا
ولا بجار الدار * ولا بشخص طارى
ولا بخل تألفه * ولا صديق تصدفه
ولا تقل لمن نحب * ضيف الكرام يصطحب
فهذه أمثال * غالبها محال
سيرها الاعراب * السادة السغاب
قد وضعوها فى الورى * طرًا بأولاد الخرا
وان حلت مشربه * مع سوقه لا كتبه
فأقلل من المدام * فى مجلس العوام
فكثرة المجون * نوع من الجنون
والامر فيه محتمل * وكل من شاء فعل
وآتوا الامر الرضى * وكل مفعول مضى
فعصبة العوام * ضرب من الانعام
وان صحبت تركى * فاصبر لا كل السكك
هذا اذا تلطفا * ولم يكن فيه جفا

وان يكن ذاعربده * وترغسة منكده
يقوم للجلوس * بالسيف والدبوس
أبشر بقتل القوم * ونحس ذلك اليوم
فاقبل كلامى واعتمد * وصيتى واوص وفد
ولا تخالف تندم * ولا تعزز تقدم
فالشؤم فى اللجاج * والحر لايلاجى
فهاكها وصيه * تصحبها التحيه
يحملها الكرام * اليك والسلام

(الفصل الرابع فى استهدائها واستدعاء الاخوان)

كتب ابن العميد الى بعض أصحابه يستهديه خمرا قد اغتنمت الليلة أطال الله بقاء سيدى ومولاى رقدة عين الدهر وانتهزت فرصة من فرص العمر وانتظمت مع أصحابى كالثريا فان لم تحفظ علينا ما نحن فيه من النظام باهدائى المدام عدنا كبنات نعش والسلام (وقال) جحظة البرمكى يستهدى نبيذا (توفى سنة ست وعشرين وثلثمائة رحمه الله)

قدزارنى اليوم نورعينى * وكان بالامس صدعنى
وليس عندى له نبيذ * وليس يرضى بذاك منى
فدعلينا بنصف دن * بربع دن بثلث دنى
لاتنكرن كدنى وشحتى * فاننى شاعر مغنى
حالان لو خامليكا * اذا لكدى بكل فن

(وكتب) عبد الرحيم بن أحمد القارس نوى الى أخيه الاكبر

بلغ جمال الدين عبد الواحد * صدر الانام الماجد بن الماجد
بردالهوا زاد فى قلبى الهوى * فانعم علىّ بقلب ضد البارد

(وأنشدنى) الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس من لفظه لنفسه

براح ورمان بعثت اليكم * وبسر وتفاح تضوع كالند
كما حليت بكر على الشرب ناهد * مقمعة الاطراف قانية الخد

(الاستدعاء) قال بعضهم

تفضل بحق الكاس والراح والهوى * وترجيل أصداغ غدون على شد
وكن غير مأمور بجواب كابنا * ولا توحشنا بالتعلل والوعد

ولآخر

جعلت فداك قد حضر الطعام * وضجت من تأخرك المدام
فاما جئتنا عجلا والا * أخذنا في اغتيابك والسلام

(وكتب) أحمد بن يوسف الى صديق له هذا يوم رقت حواشيه وبدت تباشير محبور فيه والمرء باخيه كبير وبمساعدته جدير وأنت قطب السرور ونظام لامور فلا تتأخر عنا فنقل ولا تتفرد منا فنذل (وقال) عبيد الله بن طاهر (توفي سنة ثلثمائة)

القدر قد هدرت والدن مبذول * والروض قد رش والريحان مبلول
وقرت العين قد جاءت بزمرها * يصيح في يدها والنائي مشغول
ولا يتم لنا عيش ولا طرب * حتى نراك فانت القصد والمسؤل
وكل عيش بلا راح ومسمعة * ولا نديم ولا أنس فتعليل
يوم التلاق قصير كيف طال لنا * وغيره فيه مع ابعاده طول

وقال آخر نحن في مجلس قد أبت راحته أن تصفو أو نتناولها عنالك وأقسم غناؤه لا طاب ان لم تعه أذناك فاما خدود نارنجه فقد احمرت خجلا لابطائك وأما عيون نرجسه فقد حدقت تأميلا للقائك ونحن لغيبتك كعقد قد ذهبت واسطته وشباب قد اخذت حدته فاذا غابت شمس السماء عنا فلا بد أن تدنو شمس الارض منا فان رأيت أن تحضر لتتصل الواسطة بالعقد وتحصل بقربك في جنة الخلد فكن الينا أسرع من السهم الى مره والماء الى مقره (وقال) الوزير أبو القاسم بن السقاط يومنا أعزك الله يوم نبتت شمسه بقناع الغمام وذهبت طاسه بشعاع المدام ونحن في قطار الوسمي في رداء هدى ومن نضير النوار على نضائد النضار ومن نواسم الزهر في لطائم العطر ومن غرر الندمان بين زهر البستان ومن سقاة الكؤس ومعاطي المدام بين مشرقات الشموس وعواطي الارام فرأيك في مصافحة الاقمار ومنافثة الانوار واجتلاء غرر الظباء الجوارى وانتقاد رب الغناء الحجازى موفقا ان شاء الله تعالى وقال محمد بن أبي محمد بن الفياض كاتب سيف الدولة بن حمدان

وقد أجلتنا ومن وهذا ثالث وأعلمتنا عهد دين وكنت الناكث فهل ابتدعت ما أتيت أو كان لك عليه باعث فيا قسيم روحي ويا نسيم صبوحي ها قد آن الغبوق الا أنه يعز برشف شفتيك وكأس عينيك ووالله لا شربت الا على آس عذارك وورد خديك فابر قسمي ورد الجواب من فلك الى في وقال القاضي السعيد بن سناء الملك وقد انتظمنا انتظام الجمان واجتمعنا على رغم أنف الزمان وعندنا فلان وما أدراك ما فلان تارة ينظر فيملأ علينا البيت سحرا وتارة يبسم فيفوق علينا درا وقال أبو الوليد بن الحبان الشاطبي نحن في روض أغصانه الندماء وغمامته الصهباء فبالله الا ما كنت لروض مجلسنا نسيما ولزهر حديثنا شميما وللجسم روحا وللطيب ريحا وبيننا عذراء زجاجتها خدرها وحبابها ثغرها بل شقيقة حوتها كمامه أو شمس حجبتها غمامه اذا طاف بها معصم الساقي فوردة على غصنها أو شمر بها فقهقهة غمامة على فننها طافت علينا طوفان القمر على منازل الحلول فأنت وحياتك اكليلنا وقد آن حلولها في الاكليل (وقال) بدر الدين بن صاحب وكتب بها الى الصاحب فخر الدين ابن مكانس تغمدهما الله برحمته وسامحنا واياهم بمحمد وآله هل لك بسط الله آمالك وضاعف نعمك ودلالك في عذراء مصونه كالدرة المكنونه فتانة مفتونه كأن على خدها فوق ورده ياسمينه مخدرة تدهش العقول لمجتلاها وتغشي العيون لضوء سناها مظلومة الريق في تشبيهها بالضرب وفي اللثات وفي أنيابها شنب لها من ذاتها طرب يغني عن المزامير بلقيسية الجمال لها صرح ممرد من قوارير ضرة للشمس تلهي زي البدور ليلين ويرطب بها عيش السرور ليلها من حسنها نهار وضوء وجهها لليد لا معصم واسوار عجوز الاسم صبية الاستمتاع بكر تستخف الحليم بكشف القناع تعصبت بالدجى طيبا وتلثمت بالصباح وتلطفت حتى مازجت الارواح كريمة الاصل والفعال حسنة المعاني والخصال أديمها كلما يعتق يغلو ووردها كلما مر يحلو يخلع الوقور في حبها العذار ويطيعها بالسعد فلك اللهو المدار غلة المعاطف تقهقه قهقهة الرعونه كأنما خلقت نشوانة من الطينه تزداد ثغرها طيبا في ساعة السحر وتعرف عينها المخفية بحسن الاثر حديثها السحر الحلال ونتيجتها خلع الدلال أيامها أعياد وأوقاتها أقوات القلوب والاكباد

تطيب عيش الجلاس وتفرك أذن الوسواس من القاصرات الطرف فى كل قصر وهى على الاملاق مليحة ذهبية العصر رومية لها بالكيمياء معرفه مع أنها بادراك المطالب متصفه فتارة تقلب الاحزان أفراحا ومرة تكال لك الذهب أقداحا ندي‌مها حد فى نفسه تخاييل المملكه ويكاد أن يدعى الدنيا من لؤلؤ حباتها شبكه قينة كأنما غنت الفلك فنقطتها بالنجوم قارية تخلقت بعد أن تقمصت بياض الغيوم تجمع شمل الاحباب وتهذب الاخلاق الصعاب لو خالطها حبل لماس أوقابلها جماد لقيل انه كاس أوقات ندمائها مانسبت الى اياس ولقال لسان حالهم وفيها منافع للناس وتلطف حتى كأن راثيها سامع يطيب ويطرب وحتى يكاد يأكل بالضمير ويشرب تغايرت الاستقصاآت على شكلها النورانى وما نفثت فى خلقها الجثمانى الروحانى فلم يجد الطير له فيها مدخلا لكن قنع منها بالتلطيخ تطفلا على أنه وارثها بالتعصيب وقل جدها للام بلا تثريب أنفاسها مسكيه وطبائعها برمكيه ومكارمها خاتميه وانسانها قيصريه بكر بخاتم ربها وهى ترضع أباها من حابها فتعيد الشيخ صبيا والمشغول خليا فكأنها استعارت الارضاع من أمها التى لها الندى كالنجوم عده وتعلمت منها المكارم لما رأت أكفها بالندى ممتده غاية طعم الحياة فى ريقها وضيق الموت فى مباينتها وتطليقها لاتنزل الحوادث ساحتها ولا يعرف التعب من صافح راحتها حمراء تخلع ثوبها على الندمان بل تكاد تطبق عينها على الانسان لا ينهض البليغ بوصفها فالعجز عن ادراك لطفها ادراك لطفها (أخبرنى) الجناب المجدى سلمه الله تعالى أن والده أجاب عن هذه الرساله جوابا معجزا الى الغايه وأن مسودتها عدمت وقال أبو الحسين بن بسام ليستنهض همة نديم (توفى سنة ثلاث وثلثمائة رحمه الله)

الا بادر فلا ثان سوى ما * عهدت الكأس والبدر التمام
ولا يكسل برؤيته ضبابا * يظن به الحديقة والمدام
فان الروض ملتثم الى * ان توافيه فيحط اللثام

(وقال) الشهاب الاعزازى من موشحة أولها (توفى سنة عشر وسبعمائه)

كاس رويه * جلا علينا المديم * أم سنا مصباح

أم شمس حسن * قد توجتها النجوم * في سماء الاقداح

(ومنها)

وأجاد لنا خليـــل * نراه منذ ليالى
غائباعنا * وماء الشمول * لذيذه وهو سالى
أيش منا * قل يارسول * نائبا في ظلالى

(غيره) دوحه فنى زبرجديه * ونم شادورنم * وبقا ياراح
ويوم دجن * وقد دعاك النديم * فأجب ياصاح

(وقال) الحكيم شمس الدين بن دانيال يداعب

شمس الدين قد أبطأت عنا * لامر قل لنا ماذا الجفاء
وقلت اليوم بعد العصر تأتى * وبعد العصر يأتينا الجزاء

(ونقلت) من خط الصاحب المرحوم فخر الدين بن مكانس ما صورته كتبت الى صاحبنا الاديب الفقيه العالم الحافظ الراوية أبي حفص سراج الدين عمر السكندري الشهير بالقوصى استدعيه وفيها بعض مداعبه

الحمد لله المجيب لمن دعاه

ياذا الذى فكره مثل اسمه يقد * فقدت عنا وما من شأنك الفقد
ما اعتذارك عن هذا الصدود وما * هـذا وقد ضمنا بالجيرة البلد
عافاك ربك من داء القطيعة بل * شفاك من كل داء أمره نكد
فيم التوانى وشهر الصوم مقتبل * عن خمرة ضوءها فى الكأس يتقد
وفتيـة مخلصين الود قد جبلوا * على المحبة لا حقد ولا حسد
ان ذاع وصفك فى ناديهم طربوا * أوجال ذكرك فيما بينهم سجدوا
ان لم تشرف بناديهم فما شرفوا * أو لم تنفق لهم آدابهم كسدوا
لم ذا هجرت بنى الآداب فابد لنا * فما اعتذارك لا أهل ولا ولد
قد صرت توحشهم بعدا وان قربوا * وكنت تؤنسهم قربا وان بعدوا
تركت عشرتهم لما رغبت الى * جاه طويل عريض زانه مدد
ماهكذا تفعل الدنيا بصاحبها * فالناس بالناس والاخوان تنتقد
وبعد فاحضر فذنب العبد مغتفر * ولو تطاول من هجرانك الامد
أولا فعصبة فسق كلهم سبق * سود غلاظ شداد مالهم عدد

لهم ابو رقيام طول دهرهم * من حين ادراكهم بالحسين مارقدوا
كأنهم من حديد جعوازبرا * يستوثبون فلا يقواهم الاسد
من كل ابرقعك السحب هامته * يهيج كالبحر اذ يبدو له زبد
عرنفل مكمهر معضب شرس * لظهره جلونات بها عقد
مسكرج الرأس فى عرنينه شمم * معشر الدوم فى حلقومه غدد
تلك الايور تراهم فى شكورهم * كأنهم تحت فسطاط السعاعد
ومن قرى رقعتى هذى وليس يرا * عقيبه حاضرا لم ينه أحد
مولاى انى محب فاتخذ كلمى * نصيحة فعلها الخل يعتمد
بادر لنا فبنو الآداب كلهم * تجمعوا من فجاج الارض واحتشدوا
وأنت أدرى بقوم ان قلوا سلقوا * بألسن ما القتلى حربها قود
فأوعدوك وان لم تأت نحوهم * فكل منحر فى الحال ما يعد
لازلت ترقى على زهر النجوم علا * ما حلت الريح أقوام ومارصد

(وكتب) اليه يداعبه

يوم عليك سعيد * يبدى الهنا ويعيد
يابحر علم خضم * تأتى اليه الوفود
ياناقض الود يامن * شوقى اليه يزيد
ويا رقيق الحواشى * ماذا الجفا والصدود
ياجامع الشمل يامن * بما لديه يجود
قد غيرتك الليالى * والجاه وهو شرود
فكيف تبدى نفارا * منا ونحن عبيد
لم لا تتيه وتعلو * على الورى وتسود
وأنت خلفك قرم * كل قوى شديد
والناس شكوا وقالوا * ماشاب منه الوليد
والشعر فيك توالى * طويله والمديد
أصبحت كالبدر مرآه * وهو القريب البعيد
ياأكثر الناس نحبا * قل لى لماذا العقود
وقد أتى الصوم فالم * بنا فقربك عيد

واغتنم شغاءك واشرب * فقد أتتك السعود
واحضر الينا اداما * وافاك دن النضيد
فعندنا ان تزرنا * ما نشتهي ونريد
راح وظبي وشاد * يشجي الانام وعود
تزوج الماء بالراح * والملاح شهود
وأنت جوهر فضل * به تحلى العقود
لازال عزمك والرأ ي مفلح ورشيد
يستخدم الدهر فيما تقره وتبيد
أيامه خدم وبيض والليالي سود

وقال آخر نحن قوم من شيعة الحزب العتيق قد فرضنا اعنايد الهم بسماع الوتر واقنامن ناصب الغم وعدك المنتظر

(الفصل الخامس في من وصفها من الشعراء الاعيان)

القول في الكرمه الكرم أكرم الشجر جوهرا وأشرفها محتدا وعنصرا منافعها عظيمه وعوائدها جسيمه وثمرها زهي على جميع الثمار طيبا ومنفعه ومواد الشرب فيما يستخرج منه مستجمعه وينبغي أن يختار لها أرض معتدلة رطبه لامفرطة الرخاوة ولاصلبه ولايكثر سقيها فيصير ما يعصر منها رقيقا مائيا ولايفرط في تعطيشها فيكون يابسا ناريا ويتعمد تزبيل أرضها بأخثاء البقر فانها حافظة لما استودعته دون غيرها من الشجر وان لايغرس ما يضادها في أقرب مواضعها ولا يلاصقها الاما يقاربها في طبائعها فيجتنب الدفلي والدلب والخروع ومايشاكلها وتجاور الورد والتفاح واللوز والخوخ وما عاثلها والتفاح أشبهها به (نكتة حسنة) قال أبو مسلم الخراساني صاحب الدعوة لسليمان بن كثير بلغني أنك كنت في مجلس قد جرى بين يديك فيه ذكرى فقلت اللهم سود وجهه واقطع عنقه واسقني من دمه فقال نعم قلته ونحن في كرم الحصرم أما أطرت اليه فاستحسن قوله وعفا عنه لسداد جوابه (القول) على غيرها اجمع العجم والعرب على أن رأس الفاكهة التين والعنب لانهما يهديان الخصب الى الجسوم ونفذوا أنهما غذاء غير مذموم وعقيد

العنب اذا طبخ نفع من بعض الخوانيق وقطع الرطوبات المضرة بالحلوق وقد ورد في الخبر المأثور ما هو عند أصحاب الحديث مشهور وهو كلوا الزبيب فانه يطفئ الغضب ويذهب الوصب ويشد العصب ويرضى عن الرب وأطيب العنب ما اخضر عوده وتسلسل عنقوده وتدفق ماؤه ورق لحاؤه وقل عجمه واستحلاه مستطعمه وأفضل الاشربة ما اتخذ منه وهو الخمر لما فيها من الفضائل ولما انفردت به من شريف الخصائل فالالسنة منبسطة بنشر محاسنها والمدائح مشوقة اليها من أفضل معادنها والنفوس بمحبتها كلفه والقلوب الى ما تجتنيه منها متشوفه من اعتاد شربها لم يصبر عنها ومن لم يذقها ورآها دعاه نسيمها ولونها الى الاخذ بحظ وافر منها وما أحسن قول ابن المعتز فيها

معتقة صاغ المزاج لرأسها * أكاليل در ما لمنظومها سلك

جرت حركات الدهر فوق سكونها * فذابت كذوب التبر أخلصه السبك

وأدرك منها الآخرون بقية * من الروح في جسم أضر به النهك

وقد خفيت من صوفها فكأنها * بقايا يقين كاد يذهبه الشك

وقال القاضي الفاضل رحمة الله عليه

لها من تصفو على الشرب أربع * وواحدة لولا سماحتها تكفى

سرور الى قلب وتبر الى يد * ونور الى عين وعطر الى أنف

ولما رأينا ياسمين حبابها * مددنا يمين القطف قبل فم الرشف

وقال القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

خمرة للشقيق أمست شقيقة * بنت كرم بالمكرمات خليقه

قال قوم من لطفها هي في الكا * س مجاز والكاس قالت حقيقه

كيف تغدو عتيقة لدنان * وهي في قبضة الندامى رقيقه

أنتجت فرحة وجاءت بكاس * صبغت حمرة فنعم العقيقه

هي مخلوقة من الماء فاعجب * كيف نار من مزنة مخلوقه

كم تبدت بها معانى سرور * بسوى الماء لم تكن مطروقه

سلفتنا على العقول وقالت * يتولى الجناب كتب الوثيقه

جعلت همنا شهيدا وشكرا * لعجوز على بنيها شفوقه

كم بكت بالدموع منها الرواويـــق وجاءت جيوبها مشقوقة
أترانى أعصى الهوى فيها ثم أخشى من أن يقول الخليقه

وما أحسن قوله ملغزا فى شمولة وان لم يكن مما نحن فيه لكن الشئ بالشئ يذكر بلوازمه

ومشمولة رقت وراقت فأصبحت
على الشرب تزهى حين تهدى الى الكاس
معتقة ما شمست بعد عصرها * لاثم وكم فيها منافع للناس
ولا عصرت يوما برجل ولا لها * اذا ما أديرت من صعود الى الراس

وقال ديك الجن عبد السلام بن رعبان الحمصى (مولده سنة احدى وستين ومائة وتوفى سنة ست وثلاثين ومائتين)

بها غير معذور فداو خمارها * وصل بعشيات الغبوق ابتكارها
فقم أنت واحثث كأسها غير صاغر * ولا تسق الا خمرها وعقارها
فقام يكاد الكاس تحرق كفه * من الشمس أو من وجنتيه استعارها
ظللنا بأيدينا نتعتع روحها * فيأخذ من أقدامنا الراح ثارها
موردة من كف ظبى كأنما * تناولها من خده فأدارها

(قلت) أحسن ما ضمن هذا العجز الشيخ بدر الدين حسن العربى الشهير بالزعارى

وبى سامرى مربى فى عمامة * قد اكتسبت من وجنتيها احمرارها
موردة دارت بوجه كأنما * تناولها من خده فأدارها

(وقال) مجير الدين بن تميم مضمنا

لو كنت شاهدنا وقد جليت لنا * فى كأسها لما انتشى الندماء
لرأيت أحسن ما يرى بزجاجة * سال النضار بها وقام الماء

(وقال) صدر الدين بن غنوم

قم نفترغ بكر المدامة بكرة * فى روضة حسنت وراقت منظرا
فالراح سيف قاطع الهموما * أو ما تراه بالحباب مجوهرا

(وقال) شرف الدين راجح الحلى

أعجب شئ رأته عينى * ما بين عود وحقق ناى
زحف سرور بجيش هم * وقتل خمر بسيف مائى

(وقال) محيي الدين المغربي حافي رأسه (مولده سنة خمس وثمانين وستمائة وتوفي سنة اثنين وستين وسبعمائة)

لم يتقدر بدر الحساب بكأسها * الا لصيد بلابل الارواح
مزجت فأنجزت الذي وعدت به * من نفخ روح اللهو في الاشباح

وقال الناشئ

صفت وأحداق نورها بزجاجها * فكأنما جعلت اناه اناءها
وتكاد أن مزجت لرقة لونها * تمتاز عند مزاجها من مائها
تزداد من كرم الطباع بقدرما * تؤدي به الازمان من أحزانها

وقال البديع الهمداني قال ابن خلكان (كانت وفاته سنة ثمان وتسعين وثلثمائة مسموما بمدينة هراة)

وفتيان كأقران الثريا * على طرق من العيش الرخيم
بساقيهم من الغزلان أحوى * كأن بطرفه داء الظليم
تنادوا للمدام وعنفوني * وقالوا هالك حظك من نعيم
فقلت أخاف عقباها ولكن * أشيعكم الى باب الجحيم

وقال أبو تمام الطائي (توفي سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة) وفي وفاته ثلاثة أقاويل

عذامة تعدو المنا لكؤوسها * حولا على السراء والضراء
راح اذا ما الراح كن مطيها * كانت مطايا الشوق في الاحشائي
صعبت وراض المزج سيئ خلقها * فتعلمت من حسن خلق الماء
خرقاء تلعب بالعقول حبابها * كتلعب الافعال بالاسماء
وضعيفة فاذا أصابت فرصة * قتلت كذلك قدرة الضعفاء

وقال أبو الحسن علي بن موسى الغرناطي ضمني وأبا يحيى الكاتب مجلس أنس فتذاكرنا ما قيل في معاقرة الشراب في الشيب فأنشدني لنفسه

لاموا على حب الصبا والكاس * لما بدا زهر المشيب براسي
والغصن أحوج ما يكون لشربه * ايان يبدو بالازاهر كاسي

ثم قال هل سمعت في هذا المعنى شيأ غيري فقلت لا ثم أعملت حتى عملت فيه وهو معنى غريب قلت

يلومونني ان شبت في الخمر صالة * وانى اذا وافى المشيب مباحة.

اذا شاب رأس الليل بالفجر قربت * لها كؤس الصهبا من حمرة الشفق

آخر

صب في الكاس عقيق فجرى * وطفا الدر عليه فسبح
نصب الساقي على حافاتها * شبك الفضة فاصطاد الفرح

وقال أبو نواس رحمة الله عليه

يطوف بها ساق أغن يريكها * على مستدار الاذن صدغا معقربا
اذا عب فيها شارب القوم خلته * يقبل في داج من الليل كوكبا

وقال ابن المعتز رحمة الله عليه

قد اظلم الليل يا نديمي * فاقدح لنا النار بالمدام
كأننا والورى رقود * نقبل الشمس في الظلام

وقال ابن حمديس الصقلي رحمة الله عليه

قم هاتها من كف ذات الوشاح * فقد نعى الليل بشير الصباح
من قبل ان ترشف شمس الضحى * ريق الغوادي من ثغور الاقاح

وقال ابن رشيد رحمة الله عليه أيضا

خليلي النفس لاتخلي الزجاجا * اذا بحر الدجى في الجو ماجا
مشعشعة كأن الشمس ألقت * على ايدي السقاة به سراجا
اذا مزجتها اتقد احمرارا * سكبت المشترى فيه مزاجا

وقال ابن حجاج رحمة الله عليه

ويحكم يا كهول أوشيوخ الفسق أويا معاشر الفتيان
اشربوها خمرا معا اقتناها * آل دير القنوت للقربان
بكؤس كأنها ورق النسرين فيها شقائق النعمان
اشربوها وكل اثم عليكم * ان شربتم بالرطل في ميزان
في ليال لو انها دفعتني * وسط ظهرى وقعت في رمضان

وقال ابن سناء الملك

الكاس لم تذنب فكيف هجرتها * أوحشتها من طول ما أنسيتها
لا بل هممت بشربها ورأيتها * ألقت عليك شعاعها فلبستها

وقال وجيه الدين بن الذروي

يفيض على كسرى غلالة قهوة * ويسلبه عمدا لراحة سالب
ونص على دين المجوس لفيها * فشق الدجى عن صدره صبح راهب

وقال القاضى الفاضل رحمه الله

يلوح عليها خجلة اذ أدارها * فمن عرق يبدو الحباب لذى المزج
أتانى بها والصبح من تحت ذيله * كما استل سيف أو كما ابتسم الزنجى
حبيب كأن كأسه من صبابتى * فظاهرها برد يرد على وهجى

وقال أبو نواس رحمة الله عليه

وخمار الحب عليه ليلا * قلائص قد تعبن من السفار
فترجم والكرى فى مقلتيه * كمخمور شكى ألم الخمار
أبن لى كيف صرت الى حريمى * وجفن الليل مكتحل بقار
فقلت له ترفق بى فانى * رأيت الصبح فى خلل الديار
فكان جوابه أن قال كلا * وهل صبح سوى ضوء العقار
وقام الى الدنان فسد فاها * فعاد الليل منسدل الازار

وقال آخر

جلوها على الندمان فاحمر وجهها * بخجلتها عند البروز من الخدر
وألقوا عليها الماء فاصفر لونها * وتحسن عند الملتقى وجل البكر

وقال يزيد بن معاوية

ولى وله اذا الكاسات دارت * رقاصحو ابحل عرى الهموم
محادثة ألذ من الامانى * وأبث جوى أرق من النسيم

وقال البحترى رحمة الله عليه

تخفى الزجاجة لونها فكأنها * فى الكف قائمة بغير اناء
ولها نسيم كالرياض تنفست * فى أوجه الارواح والانداء
وفواقع مثل الدموع تحدرت * فى صحن خد الكاعب الحسناء

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدى ملغزا فى مدام

وماشئ حشاه فيه داء * وأوله وآخره سواء
اذا مازال آخره فجمع * يكون الحد فيه والمضاء
وان أهملت أوله ففعل * له بالرفع والنصب اعتناء

وله

حبذناها مشعشعة تلالا * وثوب الليل فضفاض الذيول
فنحسبها اذا الساقي جلاها * تفتش بالسراج على العقول

ولآخر

أدير بلحيتي البيضاء كأسي * بكيس زائد مني وفطنه
ألم يرني وعفو الله راج * ومن شرهي أصفيها بقطنه

وقال الشيخ يحيي الخباز (توفي سنة سبعين وسبعمائة)

بعيشك هاتها حمراء صرفا * صباحا واطرح قول النصوح
فهذي الشمس قد بزغت بعين * تغامزنا على شرب الصبوح

وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة

مورد الخد أدار الطلا * فقال لي في حبها عاتبي
عن أحمر المشروب ماتنتهي * قلت ولا عن أخضر الشارب

وقال الشيخ صلاح الدين الصفدي

قم هاتها في الظلام صافية * تورث جسمي وقبضتي بسطه
أضحت عليها الافراح دائرة * ياصدق من قال انها نقطه

وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس

للراح بالكيميا شبه فان لها * للقلب والرأس تقطيرا وتصعيد
قالوا هي الشمس اشراقا وقد جهلوا * ماذاك الاشعاع الشمس معقود

وقال بدر الدين بن الصاحب

ياحابس الكاس لاتردها * من بعد حبس الدنان حسره
واغتنم مزاجا له عليها * يورثه الانتظار صفره

وقال من لفظه لنفسه سيدنا القاضي بدر الدين محمد بن الدماميني

قم بنا نركب طر * ف اللهو سبقا للمدام
واثني ياصاح عناني * لاسكميت وللجام

وللشيخ شهاب الدين بن حجر أبقاه الله تعالى لنفسه الكريمة

أطيل الملال لمن لامني * وأملا في الروض كأس الطلا
وأهوى الملاهي وطيب الملا * ذ فهيا أنا منهمك في الملا

ومن الفظه لنفسه الكريمة الجناب المجدى بن مكانس

نزل الطل بكرة * ونوالى تجددا

والندامى تجمعوا * فأجلى كاسى على الندا

وقال شهاب الدين بن أبي حجلة

أمعطل الكاسات عن عشاقها * يكفيك بالتعطيل عيبا عائبا

ذهبت كؤسك بالمدام فقد أرى * للناس فيما يعشقون مذاهبا

فتى سلكت من الهموم مهالكا * صادفت فى فتح الدنان مطالبا

ومتى امتطيت من الكؤس كميتها * أمسيت تمشى فى المسرة راكبا

ومتى طرقت عشىّ أنس ديرها * لم تلق الا راغبا أو راهبا

وقال الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه تغمده الله برحمته

لان شبه الساقى المدام بعسجد * فقد مال بالتشبيه عن صنعة الادب

ولكن رآها جوهرا سمت طلا * فموه لما حلت الكاس بالذهب

(ونقلت) من خط الشيخ بدر الدين الدمشكى لنفسه

وخمار هديا فى الدياجى * بجذوة كأسه وسنا النديم

سألنامنه عن خمر حديثا * فاخبرنا عن العصر القديم

(قلت) وعلى ذكر الحديث قال أبو بكر بن عياش كنت وسفيان الثورى وشريك نمشى بين الحيرة والكوفة فرأينا شيخا أبيض الرأس واللحية حسن السمت فقلنا هذا شيخ جليل قد سمع الحديث ورأى الناس وكان سفيان أطلبنا للحديث وأشدنا بحثا وأعلمنا به وأحفظنا له فتقدم الى الشيخ وسلم عليه ثم قال له أعندك شئ من الحديث فقال له أما الحديث فلا ولكن عندى عتيق سنين قال فنظرنا فاذا الشيخ خمار (نادرة) قيل لخالد بن صفوان أتعلل الحديث قال انما العتيق عل (رجوع) وقال المرحوم فخر الدين بن مكانس

من شرطنا ان أسكرنا الطلا * صرفا تداوينا بشرب الما

نعاف مزج الماء فى كاسها * لا آخذ الله السكارى بما

وقال بدر الدين بن الصاحب

يا أيها العاصر بادر الى * عنقودك الفاخر فى كرمه

اياك ان تتركه ساعة * تربت النحس على أمه

وقال مجير الدين بن تميم

وليلة بت أسقى فى غياهبها * راحا تسل شبابى من يد الهرم

مازلت أشربها حتى نظرت الى * غزالة الصبح ترعى نرجس الظلم

ولما تمثلت فى أوائل سنة خمس وتسعين وسبعمائة بين يدى سيدنا ومولانا أوحد العصر من غير مدافع ولا منازع أقضى القضاة بدر الدين محمد بن أبى بكر المخزومى الشهير بالدمامينى أسبغ الله ظلاله تذاكرنا بين يديه الكريمة الكتب وحسن أسمائها فأخبرنا أنه فى زمن الصبا جمع مقاطيع من الخمريات وسماها مقاطع الشرب تأمل ما ألطف هذه التسمية (القصائد) قال الشيخ العالم المفتن البارع صدر الدين محمد بن المرحل ويعرف فى الشام بابن وكيل بيت المال تغمده الله بالرحمة (مولده سنة خمس وستين وستمائة ووفاته سنة ست عشرة وسبعمائة رحمه تعالى)

ليذهبوا فى ملامى أية ذهبوا * فى الخمر لا فضة تبقى ولا ذهب

لا تأسفن على مال تمزقه * أيدى سقاة الطلا والخرد العرب

والمال أجمل وجه فيه تصرفه * وجه جميل وراح فى الدجى لهب

فما كسوا راحتى من راحها حللا * الا وعروا فؤادى الهم واستلبوا

راح بها راحتى فى راحتى حصلت * فتم عجبى بها وازدادنى العجب

اذ ينبع الدر حلو من مذاقته * والتبر منسبك فى الكاس منسكب

وليست الكيمياء فى غيرها وجدت * وكلما قيل فى أبوابها كذب

قيراط خمر على القنطار من حزن * يعيد ذلك أفراحا وينقلب

عناصر أربع فى الكاس قد جمعت * وفوقها الفلك السيار والشهب

ماء ونار هواء ارضها قدح * وطوقها فلك والانجم الحبب

ما الكاس عندى بأطراف الانامل بل * بالخمس تقبض لا يحلو لها الهرب

شججت بالماء منها الرأس موضحة * فحين أعقلها بالخمس لا عجب

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى لو لم يقل الشيخ صدر الدين من الشعر الا هذا البيت لكان قد أتى بشئ غريب نهاية فى البديع لقد غاص فيه عن المعنى ودق تخيله فيه

وما تركت بها الخمس التى وجبت * وان أراتركها من بعض ما يجب

وان أقطب وجهي حين تبسم لي * فعند بسط الموالي يحسن الادب

هذا البيت أيضا بديع المعنى دقيقه وقد اعتذر عن اقتضابه بأحسن عذر وأوضحه وما أحسن قول بن رشيق

أحب أخي وان أعرضت عنه * وأقل على مسامعه كلامي

ولي في وجهه تقطيب راض * كما قطبت في وجه المدام

وتتمة الابيات

عاطيتها من بنات الترك عاطية * لحاظها الاسود الغاب قد غلبوا

هيفاء جارية للراح ساقية * من فوق ساقية تجري وتنسكب

من وجهها وتثنيها ومقلتها * تخشى الاهلة والقضبان والقضب

يا قلب أردافها مهما مررت بها * قف بي عليها وقل لي هذه الكثب

وان مررت بشعر فوق قامتها * بالله قل لي كيف البان والعذب

تريك وجنتها ما في زجاجتها * لكن مذاقته للريق تنتسب

تحكي الثنايا التي أبدته من حبب * لقد حكيت ولكن فاتك الشنب

(وقال) الشيخ جمال الدين محمد بن محمد بن نباتة المصري

قضى وما قضيت منكم لبانات * متيم عبثت فيه الصبابات

ما فاض من جفنه يوم الرحيل دم * الا وفي قلبه منكم جراحات

أحبابنا كل عضو في محبتكم * كليم وجد فهل للوصل ميقات

غبتم فغابت مسرات النفوس فلا * انتم زعمي ولا تلك المسرات

يا حبذا في الصبا عن حبكم خبر * وفي بروق الغضا منكم اشارات

وحبذا زمن اللهو الذي انقرضت * أوقاته الغر والاعوام ساعات

أيام ما شعر البين المبيت بنا * ولا خلت من مغاني الانس أبيات

حيث المنازل روضات مدبجة * وحيث جاراتها غيد وقينات

وحيث لي بديار اللهو سلطنة * ولي على ثغر من أهوى ولايات

وحيث أسعى لاوطان الصبا مرحا * ولي على حكم من أهوى ولايات

ورب حانة خمار طرقت وما * حانت ولا طرقت للقصف حانات

سبقت قاصدا معناها وكنت فتى * الى المدام له بالسبق عادات

أعشوا الى دير ها الاقصى وقد لمعت * تحت الدجى فكان الدير مشكاة

وأكشف الحجب عنها وهي صافية * لم يبق في دنها الاصبابات
وازحفت على جيش الهموم بها * حتى كأن سناالاكواب رايات
وبث أجلو على الندمان رونقها * حتى لقد أصبحوا من قبل ماباتوا
مصونة السرح ماتت دون غايتها * حاجات قوم وللحاجات أوقات
تجول حول أواويتها أشعتها * كأنما هي للكاسات كاسات
ويصبح الشرب صرعى دون مجلسها * وهي الحياة كأن الشرب أموات
تذكرت عند قوم دوس أرجلهم * فاسترجعت من روش القوم تارات
واستضحكت فلها في كل ناحية * هبات حسن وفي الاناء هبات
كأنها في أكف الطائفين بها * نار تطوف بها في الارض جنيات
من كل أغيد في دينار وجنته * توزعت من قلوب الناس حبات
مبلبل الصدغ طوع الوصل منعطف * كأن اصداغه للعطف واوات
ترنحت وهي في كفيه من طرب * حتى لقد رقصت تلك الزجاجات
وقت أشرب من فيه وخمرته * شربا تشن به في العقل غارات
وينزل اللثم خديه فينشدها * هي المنازل لي فيها علامات

(وقال) الاديب الفاضل الكامل أبو الفتح بن قلاقس السكندري

الحق بنفسج فجري وردتي شفق * كافورة الصبح فتت مسكة الغسق
قم هات جامك شمسا عند مصطبح * وخل كأسك نجما عند مغتبق
واقسم لكل زمان ما يليق به * فان للزند حليا ليس للعنق
هب النسيم وهب الريح فاشتركا * في نفحة من نسيم المندل العبق
واسترقصتني كاسترقاص حاملها * مخضرة الورق في مخضلة الورق
وظلت بالكأس أغنى الناس كلهم * فالخمر من عسجد والكاس من ورق

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل برهان الدين ابراهيم بن عبد الله بن محمد المعروف بالقيراطي رحمة الله عليه

قسما بروضة خده ونباتها * و بآسها المخضر في جنباتها
وبسورة الحسن التي في خده * كتب العذار بخطه أباتها
وبقامة كالغصن الا أنني * لم أجن غير الصد من ثمراتها
لاعززن غصون بان زورت * أعطافه بالقطع من عذباتها

ولاصبحن للـذى متيقظا * مادامت الايام فى غفلاتها
وابا كرن رياض وجنته التى * مازهرة الدنيا سوى زهراتها
كم ليلة نادمت بدر سمائها * والشمس تشرق فى أكف سقاتها
وجرت بنادهم الليالى للصبا * وكؤسنا غرر على جبهاتها
فصرفت دينارى على دينارها * وقضيت أعوامى على ساعاتها
خالفت فى الصهباء كل مقلد * وسعيت مجتهدا الى حاناتها
فتحير الخمار أين دنانها * حتى اهتدى بالطيب من نفحاتها
فشممتها ورأيتها ولمستها * وشربتها وسمعت حسن صفاتها
وتبعت كل مطاوع لايختشى * عند ارتكاب ذنوبه تبعاتها
يأتى الى اللذات من أبوابها * ويحج للصهباء من ميقاتها
عرف المدام بجنسها وبنوعها * وبفصلها وصفاتها وذواتها
ياصاح قد نطق الهزار مؤذنا * أيليق بالاوتار طول سكاتها
فخذ ارتفاع الشمس من أقداحنا * وأقم صلاة اللهو فى أوقاتها
ان كان عندك ياشراب بقية * مما تزال به العقول فهاتها
الخمر من أسمائها والدرمن * تيجانها والمسك من سماتها
واذا العقود من الحباب تنظمت * اياك والتفريط فى حبباتها

(وقال) الصاحب العالم المفتن فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس

خليلى هيا للصبوح وبكرا * وحثا أوانى لهوها تحمد السرا
ولاتركا الليل البهيم اركامدا * ما كمتا أومن الصبح أشقرا
وصيد ابنات الكرم من دنها * فان أوانى راحها عندى القرا
اذا ما أديرت فى حشا عسجدية * بها كل ذى ملك وتاج تصررا
فحسبك نبلا فى السيادة أن ترا * نديمك فى الكاسات كسرى وقيصرا
مدام حوت معنى السرور وأفرطت * فتهاسرى فيها السرور وأثرا
لذلك قد تزهى بوجه مخلق * وحللها ثوب النعيم مزعفرا
اذا صرحتها الريح تحت حبابها * تخال بها فى الكاس سيفا مجوهرا
وبرهانه ذبح الهموم الاترا * على جانبها ذلك الدم أحمرا

(وقال) الاديب الفاضل الكامل فخر الترك أيدمر المحيوى من قصيدة مطوله

تقدمت أواثلها فى باب الروضات والبساتين

وسلافة باكرتها فى فتية * من مثلها خلقا لهم وتخلق
شربت كثافتها الدهور فاترى * فى الكأس الاجذوة تتألق
يسعى بها ساق يهيج به الهوى * وترى سبيل العشق من لا يعشق
تتنادم الالحاظ منه على سنا * خد تكاد العين فيه تغرق
راق العيون غضاضة وغضارة * فهو الجديد ورق فهو معتق
ورنا كلمع الحسام المستضى * ومشى كما اهتز القضيب المورق
وأظلنا فى فرعه وجبينه * ليل تألق فيه صبح مشرق
وكأن مقلته تردد لفظه * لتقولها لاكنها لا تنطق
واذا العيون تجمعت فى وجهه * فاعلم بأن قلوبنا تتفرق

(وقال) الشيخ الفاضل الكامل كمال الدين على بن النبيه

طاب الصبوح لنا فهات الشوهات * واشرب هنيئا يا أخا اللذات
كم ذا التوانى والشباب مطاوع * والدهر سمح والحباب مواتى
قم فاصطبح من شمس كأسك واغتبق
بكواكب طلعت من الكاسات
صفراء صافية توقد بردها * فعجبت للنيران فى الجنات
ينسل من قار الظروف حبابها * والدر مجتلب من الظلمات
وتريك خيط الصبح مفتولا اذا * صبت من الراووق فى الكاسات
عذراء واقعها المزاج أما ترى * مسديل عذرتها بكف سقات
يسعى بها عبل الروادف أهيف * خنث الشمائل شاطر الحركات
يهوى فتسبقه ذوائب شعره * ملتفة كأساود الحيات
يدرى منازل نيران كؤسه * ما بين منصرف وآخر آتى

(وقال) الاديب الفاضل الاوحد امين الدين جوبان القواس

اذا افتر جنح الليل عن مبسم الفجر * ولاح به ثغر من الانجم الزهر
وفاحت لنا من عاتق الروض نكهة * رشفنا بها بردا لرضاب من الخمر
وعهدى بوجه الارض مبتسما فلم * يغرغرمنها الدمع فى مقل القدر
اذا أرجف الماء النسيم لوقعه * كساه شعاع الشمس درعا من التبر

وبحر الرياض الخضر بالزهر مزبد * كأنا به فى فلك مجلسنا نسرى
ومن شهب الكاسات بالنجم نهتدى * اذا ظل سار العقل فى لجة السكر
نصون الحميا بالقنانى وانما * نصون القنانى بالحميا وما ندرى
ولما حكى الراووق فى العين شكله * وقد علق العنقود فى سالف الدهر
تذكر عهدا بالكروم فكله * عيون على أيام عهد الصبا تجرى
عجبت لها والراح تبكى به فلم * تدت بحباب الكاس باسمة الثغر
اذا ما أتانى كأسها غير مترع * تحققت عين الشمس فى هالة البدر
يناولنيها مخطف الخصر أهيف * فلله ذاك الاهيف المخطف الخصر
ينادمنا نظما ونثرا ولفظه * ومبسمه يغنى عن النظم والنثر
فلم يسقنى كأس المدامة دون أن * سقانى بعينيه كؤسا من الخمر
وناجوز ثم انثنى غصن بانة * وعن مهما لما تبسم عن در
وقال وفرط السكر يثنى لسانه * الى غير ما يرضى التقى وهو لا يدرى
ردوا من رضابى ما يعيض عن الطلى * اذا كان وجهى فيه مغنى عن الزهر
ومن كان لا تحوى ذراعاه مئزرى * فدون الذى تحوى أنامله خصرى

(وقال) الشيخ الامام الفاضل البارع صفى الدين عبد العزيز بن سرايا الحلى رحمه الله

أدار التبر فى كأس اللجين * رشا بالراح مخضوب اليدين
وطاف على الصحاب بكاس راح * فطافت مقلتاه بآخرين
رخيم من بنى الاتراك طفل * يجاذب خصره جبلى حنين
يبدل نطقه ضادا بدال * ويشرك عجمة قافا بغين
اذا يجلو الحميا والمحيا * شهدنا الجمع بين النيرين
يطوف على الرفاق من الحميا * ومن خمر الرضاب بمسكرين
وآخر من بنى الاعراب حفت * جيوش الحسن منه بعارضين
الى عينيه تنتسب المنايا * كما انتسب الرماح الى ردين
يلاحظ سوسن الخدين منه * فيبدلها الحياء بوردتين
ومجلسنا الانيق تضىء فيه * أوانى الراح من ورق وعين
فاطلقنا فم الابريق فيه * وبات الزق مغلول اليدين
وشمعتنا شبيه سنان تبر * تركب فى قناة من لجين

وقهوتنا شبيه شواظ نار * توقد في أكف الساقيين
اذا ملئ الزجاج بها وطارت * حواشي نورها في المشرقين
عجبت لبدر كأس صار شمسا * يحف من السقاة بكوكبين

(وله)

بدت لنا الراح في تاج من الحبب * ففرقت حلة الظلماء باللهب
بكر اذا زوجت بالماء أولدها * أطفال در على مهد من الذهب
بعيدة العهد بالمعصار لو نطقت * لحدثتنا بما في سالف الحقب
باكرتها في رفاق قد زهت بهم * قبل السلاف سلاف العلم والادب
بكل متشح بالفضل متزر * كأن في لفظه ضربا من الطرب
بل رب ليل غدا في الاهاب غدت * تضيء فيه كؤس الراح كالشهب
بدلت عقلي صداقا حين بت به * أزوج ابن سحاب بابنة العنب
بتنا بكاساتها صرعى ومطربنا * بعيد ارواحنا من مبدء الطرب
بعث أتانا فلم نعلم لفرحتنا * من نفخة الصور أم من نفخة القضب
بروضة ظل فيها الطل أدمعه * والزهر مبتسم عن ثغره الشنب
بكت عليه أساليب الحيا فغدا * جذلان يرفل في أثوابه القشب
بسط من الروض قد حاكت مطارفها * يدا ربيع وجادتها يد السحب

(وقال) الوأواء الدمشقي رحمة الله عليه

اسقياني ذبيحة الماء في الكا * س وكفا عن شرب ما تسقياني
انني قد آمنت بالامس اذ متـ * ـت بأني أموت بكرة ثاني
قهوة تطرد الهموم اذا ما * سكنت في مواطن الاحزان
نثرت راحة المزاج عليها * حدقا ما تدور في أجفان
فهي تجري من اللطافة في الار * واح مجرى الارواح في الابدان
يتهادى بكأسها من هدايا * ه ظبي من طرائف الاشجان
آنها الرائح الذي راحتا * ه بخضاب الكؤس مخضوبتان
عج بضحك الاقداح في رهج القصـ * ـف اذا ما بكت عليها القناني
واسقني القهوة التي تنبت الور * د اذا ثنيت في خدود الغواني
لا تدغدغ صدر المدام بأيدي المز * ج ما دغدغت صدور المثاني

(وقال) أبو الفتوح بن قلاقس رحمه الله

كم مقلة للشقيق الغض رمداء * انسانها سابح في بحر دمع انداء
وكم ثغور اقاح في مراشفها * رضاب طائفة بالرى وطفاء
فما اعتذارك من عذراء جامحة * لانت كالامس تهما راحة الماء
نضت عليها حسام المزج فامتنعت * بلامة للحباب الجم حصداء
أما ترى الصبح يخفى في دجنته * كأنما هو سقط بين أحشائى
والطير في عذبات الدوح ساجعة * تطابق اللحن بين العود والناء
فحى بالكاس كسرى تحى رمته * بروح راح سرت في جسم سراء
وعد بجزآيات المدامة من * نوافث السحر في أجفان حوراء
فما الفصاحة الاما تكرره * منازل الدن من ترجيع فأفاء
فاعكف على مجلس اللذات مغتنما * فالدهر في حربه تلوين حرباء

(قيل) أتى عبد الملك بن مروان بسكران فقال له ماذا شربت فقال

معتقة كانت قريش تعافها * فلما استحلوا قتل عثمان حلت

فقال مع من فقال

سقوني مع الشعرى بكأس روية * وأخرى مع الجوزاء لما استقلت

قال فما غنيت فقال

سقوني وقالوا لا تغن فلو سقوا * جبال حنين ما سقوني لغنت

فعفى عنه وأطلق سبيله ومن كلام الشيخ برهان الدين القيراطى

يوم أنيق وغيم دقيق * وروض اذا سلسل ماؤه المطلق تهلل وجهه الطليق * فاذا دعى الندامى فيه بالصبوح جاءت قينة في يدها ابريق * واذا نحرت السقاة فيه دماء الزقاق صارت أيامهم كلها أيام تشريق * واذا خاط من الشرب ثياب سروره غار من أرجه المسك الفتيق (قلت) قوله أيام التشريق مأخوذ من قول أبي الحسن الجزار يفتخر

انى لمن معشر سفك الدما لهم دأب * وسل عنهم ان رمت تصديقى
تضىء بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

وقال برهان الدين القيراطى أيضا

زوج الماء براحك * وأجلها بين ملاحك

لاتعطل يوم لهو * من صبوح فى صباحك
واذا خفت افتضاحا * كل عيش فى افتضاحك
أوترى فيها جناحا * فم ودعنى من جناحك
وصل اليوم اغتباقا * من كؤس باصطباحك
صاح هذا وقت راحى * واقتراحى واقتراحك
فاطرح من لام جهلا * فى اطراحى واطراحك

وقال شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة هذه الابيات تحبب فى الحبب وتقلب اكسير راحها لجين الزجاج الى الذهب قد امتزجت بالقلوب امتزاج الماء بالراح ولم يفتح بناها على صاحب مفتاح الافراح * كم رقصت على سماعها الاحبه ونقط الحبيب دينارها من خده وشامته بدينار بقيراط وحبه وقال الشيخ بدر الدين البشتكى أبقاه الله تعالى

أقول كلما والله نظرت الى هذه الابيات * والكلمات الجميلات * أكاد أسكر بلا راح * وأطير من الادب بلا جناح هذه عبارة الشيخ بدر الدين ومن خطه نقلت (قلت) ولو قال بدر الدين وأطير من الادب وأطير من الفرح لكان أحسن فتأمله وأنشد عن لفظه لنفسه سيدنا القاضى المفتى البارع صدر الدين على بن سيدنا ومولانا القاضى أمين الدين بن الآدمى سلمه الله تعالى ونقلتها من خطه

سجع القمرى فى الدوح وغرد * فحسبنا ان فى الروضة معبد
والند فاض على زهر الربا * فسرت بين الندامى نفحة الند
انما الزهر ثغور فتحت * باسمات بجميل المزن تحمد
فاسقنى القهوة حتى انثنى * مثل غصن البان لما يتأود
من يدى ظبى عزيز أهيف * مخطف الخصر رقيق مايس القد
كامل الاوصاف لكن ثغره * ولما ريقه حلو مبرد
جامع الحسن لوصل مانع * طرفه الهندى قد بالغ فى الحد
ضيق العينين اذا ماسمته * قبلة سل من اللحظ مهند
وحمى فاه بلحظ فاتر * فهو تركى على الثغر مجرد
يا له من عجب فى لحظه * سكر العشاق منه وهو عربد

لينت أعطافه الخمرة لى * فأعادت أسد الخليه أغيد
بنت كرم عشقوها زمنا * طال حتى أنه لم يحص بالعد
تسلب العقل من الرأس كما * سلبت قدما من الكرمة باليد
قل لساقينا اذا طاف بها * سحرا بين الندامى يتردد
أترع الكأس واسرع واغتنم * جمع شملى واخش أن يتبدد
ماترى الانجم كانت زهرا * لم يدع ذا الصبح منها غير فرقد
فهى مثلى حين غابت سادتى * عن عيانى بعد جمع صرت مفرد

(قلت) واذ ذكرنا مدحها أيضا وأوسعنا المجال فى ذلك فلا بأس بايراد نبذة من ذمها فى الحديث المرفوع جمع الشر كله فى بيت وجعل مفتاحه الخمر وفى كتاب المبهج الخمر مصباح السرور ولكنه مفتاح الشرور (وقيل) لبعضهم تركت النبيذ وهو رسول السرور الى القلب فقال نعم ولكنه بئس الرسول يبعث الى القلب فيذهب الى الرأس وكان العباس بن على عم المنصور يأخذ الكأس بيده يقول لها أما المال فتتلفين وأما المروءة فتخلفين وأما الدين فتفسدين فيسكر ساعة ثم يقول أما النفس فتسخين وأما القلب فتشجعين وأما الهم فتطردين أفنراك متى تقتلين و يشربها (قيل) لاعرابى لم لاتشرب النبيذ قال لاأشرب مايشرب عقلى (وقيل) لبعضهم لم لاتشرب فقال عقلى لا أقدر على جمعه فكيف أفرقه وماأظرف من قال شعرا

تقول أثوابى لما رأت * شيبى وتكعبى على صدرى
بالله ياشيخ أمانستحى * الى متى تصبغنى بخمرى

وقال آخر

قد هجرت الراح حتى * ليس لى فيها نصيب
وعلى الراووق منى * طول ماعشت صليب

(وقيل) مهر الخمر العقل والدين والدرهم سئل بعض الشيوخ عن الخمر فقال تضييع مال وعقل وزيادة بول وجنون واذ قد ذكرنا الخمر ومنافعها ومضارها ومدحها وذمها فلا بأس بايراد نبذة من المفرحات المركبة نقلتها من كتاب مفرح النفس تأليف الحكيم الفاضل الرئيس بدر الدين مظفر بن القاضى مجد الدين عبد الرحمن قاضى بعلبك ولى رياسة الطب بدمشق (وتوفى سنة تسعمائة

وخمسة وسبعين بدمشق) رحمة الله عليه (صفة) مفرح حار للملوك والكبراء الاوائل كان الخلفاء المتقدمون من بني العباس وغيرهم يستعملونه وله منافع كثيرة يطول شرحها والحاصل أنه يبرئ جميع الامراض السوداوية عاجلا ويفرح تفريحا مفرطا حسنا * خولنجان وزراوند مدحرج وسنبل وسليخة وجعدة وزنجبيل وقاقلة كبار وصغار ودار صيني الصين وقرنفل وزرنب ودرساذ من كل واحد ثلاثة دراهم قفاح الاذخر وغاريقون وحاشا وتربد وقسط حلو وسادج وبسفايج محكوك وحماما من كل واحد خمسة دراهم وورق ذهب وياقوت أحمر رماني وزمرذ من كل واحد مثقال وزعفران مثقالان يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل ماذى ويوضع فى اناء من صيني أو فضة ويرفع ويستعمل الشربة منه مثقالان بشراب تفاح شامي وماء لسان ثور نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح حار للمتوسطين من الناس سعد خمسة دراهم زر ورد منزوع الاقماع عشرة دراهم قرنفل وسنبل الطيب ومصطكى وأسارون وزرنب وزعفران من كل واحد درهمان بسباسة وقاقلة كبار وصغار وجوزبو من كل واحد درهم عود ثلاثة يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل منزوع الرغوة ويرفع ويستعمل الشربة وزن مثقال بشراب تفاح حلو وماء لسان ثور نافع ان شاء الله تعالى

مفرح حار للفقراء وهو شراب الابريسم وله منافع كثيرة منها التفريح المفرط وقوة الاحشاء خصوصا الكبد وينفع من جميع الامراض الباردة ويقوى الانعاظ يؤخذ ابريسم خام ينقع فى الماء أياما عشرة فى قدر من حديد فان لم يتهيأ من حديد فينقع فى الماء المطفى فيه الحديد دفعات كثيرة ويغلى غليانا جيدا ويصفى ويضاف اليه بوزن الماء سكرا وعسلا ويعقد ويرفع ويطيب بشيء من زعفران وخولنجان ومصطكى روح ويستعمل نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح بارد للملوك والكبراء طباشير عشرة دراهم لسان ثور خمسة دراهم زر ورد منزوع الاقماع أربعة دراهم طين أرمني سبعة دراهم شيراملج خمسة عشر درهما خشب صندل أبيض وأحمر وأصفر من كل واحد درهمان زعفران نصف درهم عرق ذهب جيد وفضة من كل واحد مثقال ابريسم محرق على ما وصفنا درهم يدق الجميع ناعما وينخل ويعجن بجلاب قد عقد من

بعسل وسكر بماء الورد وماء التفاح وماء السفرجل وماء الرمان ويحرك ويرفع الشربة ثلاثة دراهم بشراب حماض وتفاح شامي وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح بارد للمتوسطين من الناس يؤخذ اهليلج كابلي وأملج من كل واحد خمسة دراهم وزرورد منزوع الاقماع وخشب صندل أبيض وأصفر وأحمر من كل واحد ثلاثة دراهم وورق فضة مثقالان ولؤلؤ كبار نقي البياض غير مثقوب مثقال يدق الجميع وينخل ويعجن بعسل الاهليلج الكابلي الشربة مثقالان بشراب حماض وتفاح شامي بماء ورد وماء خلاف نافع ان شاء الله تعالى

(صفة) مفرح معتدل للمتوسطين من الناس بهمنين أحمر وأبيض من كل واحد خمسة دراهم عسل اهليلج كابلي منزوع الرغوة عشرون درهما شاهترج ولسان ثور وترنجان من كل واحد عشرة دراهم طباشير وكسفرة يابسة وطين مختوم من كل واحد ثلاثة دراهم ابريسم خام محرق على ما وصفنا قشر الفستق الخارج من كل واحد درهمان بسد ولؤلؤ كبار غير مثقوب وكهربا من كل واحد درهم عود هندي خام نصف مثقال يدق الجميع ناعما وينخل ويعجن بجلاب قد عقد من سكر وعسل ويرفع في اناء من صيني أو فضة الشربة مثقالان بشراب حماض وتفاح شامي وماء لسان الثور وماء ورد وماء خلاف وماء نيلوفر نافع ان شاء الله تعالى (نادرة) دخل رجل على بعض أصحابه يعوده من مرض بالقلب وكان له غلام يدعى ياقوت شديد الافتتان به وكان متهما به فقال له حاشاك ياسيدنا تشكو وجع القلب وعندك المفرح الياقوتي

(الباب التاسع عشر في الصاحب والنديم)

قال النبي صلى الله عليه وسلم أكثروا من الاخوان فان ربكم حي كريم يستحي أن يعذب عبده بين اخوانه وقال علي رضي الله عنه أعجز الناس من عجز عن اكتساب الاخوان وأعجز منهم من ضيع ما ظفر به منهم وقال عمر رضي الله عنه ثلاث يثبتن لك الود في صدر أخيك أن تبدأه بالسلام وأن توسع له المجلس وتدعوه بأحب أسمائه اليه وقال الخليل بن أحمد الرجل بلا صديق كاليمين بلا

شمال وقال رجل لابن المقفع أنا بالصديق آنس من الاخ فقال صدقت الصديق نسيب الروح والاخ نسيب الجسم وعن ابن مسعود رضى الله عنه ما الدخان على النار بأدل من الصاحب على الصاحب (اعرابى) المودة بين السلف ميراث بين الخلف (اعرابى) دع مصارعة أخيك وان حث التراب فى فيك اعتذر رجل الى صاحب من تعذر اللقاء فقال أنت فى أوسع عذر عند ثقتى وفى أضيق عذر عن شوقى (المأمون) الاخوان على ثلاث طبقات طبقة كالغذاء لا يستغنى عنه وطبقة كالدواء لا يحتاج اليه الا فى الاحايين وطبقة كالداء لا يحتاج اليه أبدا وقال النبى صلى الله عليه وسلم ألا أخبركم بأحبكم الى الله وأقربكم منى مجالسا يوم القيامة أحاسنكم أخلاقا الموطؤون أكنافا الذين يألفون ويؤلفون وقال على بن أبى طالب كرم الله وجهه الغريب من ليس له حبيب وقال أيضا لا تضيعن حق أخيك اتكالا على ما بينك وبينه فانه ليس بأخ من ضيعت حقه وقال علقمة بن لبيد العطاردى لابنه اذا نازعتك نفسك صحبة الرجال فاصحب من اذا صحبته زانك وان خدمته صانك وان نزلت بك مؤنة مانك اصحب من اذا مددت يدك بفضل مدها وان بدت بك ثلمة سدها وان رأى منك حسنة عدها اصحب من يتناسى معروفه عندك ويتذكر حقوقك عليه قال لابى داود السجستانى صاحب له آتخذ من مجبرتك قال لا فاحترك الرجل حياء فقال أعلمت انه من شرع فى مال أخيه بالاستئذان فقد استوجب بالحشمة الحرمان قرع باب بعض السلف صديق له بالليل فنهض اليه وبيده كيس وسيف وهو يسوق جارية له ففتح الباب وقال فجعت أمرك بين نائبة فهذا المال وعدو فهذا السيف وأيمة فهذه الجارية (كان) على بن الجهم يمدح أبا تمام ويطيب فيه فقيل له لو كان أخاك مازدته على هذا المدح فقال ان لم يكن أخا بالنسب فانه أخ بالادب (مر) بخالد ابن صفوان رجلان فعرج اليه أحدهما وطواه الآخر فقال عرج علينا هذا لفضله وطوانا ذاك لبغيه (الاعمش) أدركت أقواما لا يلقى الرجل أخاه الشهر والشهرين فاذا لقيه لم يزده على كيف أنت وكيف حالك ولو سأله شطر ماله أعطاه ثم أدركت آخرين اذا لم يلق الرجل منهم أخاه يوما سأله حتى عن الدجاجة فى البيت ولو سأله حبة من ماله منعه وأحسن من قال من رضى بصحبة من

لاخير فيه ليرض بصحبة من فيه خير (كان) يقال ان الكيس الذى لا يمل مناجات الصديق (الهند) من كتم الاحبة نصحه والاطباء علته والاخوان بثه فقد خان نفسه كان الخليل ابراهيم صلوات الله عليه اذا ذكر زلته غشى عليه وسمع اضطرابه من ميل فقال له جبريل ياخليل الله الجليل يقرئك السلام ويقول هل رأيت خليلا يخاف خليله قال ياجبريل كلما ذكرت الزلة نسيت الخلة قال العتبي لقاء الاخوان نزهة القلوب قال سليمان بن وهب غزل المودة أرق من غزل الصبابة والنفس بالصديق آنس منها بالعشيق وقال يونس النحوي يستحسن الصبر عن كل واحد الا عن الصديق وقال ابن المعتز اذا قدمت المودة شبهت بالقرابة وقال عمرو بن العاص من كثر اخوانه كثر غرماؤه يعني في قضاء الحقوق (عمرو) ابن مسعدة العبودية عبودية الاخاء لا عبودية الرق وكان بعضهم يقول اللهم احرسني من أصدقائي فاذا قيل له في ذلك قال انى أقدر أحترس من أعدائى ولا أقدر على الاحتراس من أصدقائى وقال ابن الرومي

عدوك من صديقك مستفاد * فلا تستكثرن من الصحاب
فان الداء أكثر ماتراه * يكون من الطعام أو الشراب

واعلم انه لايتناهى في حسدك الا الاصدقاء والندماء فانهم متى رأوك بحال وهم بأنقص منه انغرس في قلوبهم حسدك فلو خولتهم أضعاف نعمتك لم يزالوا يحسدونك حتى تفتقر ويستغنون والحسد داء الابد روى عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال يحشر المرء على دين خليله فلينظر أحدكم من يخالل قال معاوية بن قرة نظرت في المودة والاخاء فلم أجد أثبت مودة من ذى أصل قال ابو الحسن بن جبير الاندلسي البلنسي

تغير اخوان هذا الزما * ن فكل خليل عراه الخلل
وكانوا قديما على صحة * فقد داخلتهم حروف العلل
قضيت التعجب من أمرهم * فصرت أطالع باب البدل

ولله در ناصر الدين بن النقيب

فأين الصديق الصدوق الذى * مودته من قرى صافيه
فمالى صديق سوى درهمى * ولالى حبيب سوى العافيه

وقال أبو العلاء المعرى

تجربت دهري وأهليه فما تركت * لى التجارب فى ود امرئ غرضا

وقال القاضي ناصح الدين الارجانى والثاني يقرأ معكوسا وهو غاية

أحب المرء ظاهره جميل * لصاحبه وباطنه سليم

مودته تدوم لكل هول * وهل كل مودته تدوم

وقال صلاح الدين الصفدى

عذيرى فى الليالى من صديق * على مالى وعرضى قد تسلط

تأول اذ تأخر عنه خيرى * فهل ألقاه يوما قد توسط

وقال الشريف العقيلى وأجاد

الذمودات الرجال مذاقة * مودة من ان ضيق الدهر وسعا

فلا يلبس الود الذى هو سادجا * اذا لم يكن بالمكرمات مرصعا

وقال مخارق أنشدت المأمون قول أبى العتاهية (مولد أبى العتاهية سنة ثلاثين ومائة وتوفى سنة احدى عشر ومائتين)

وانى لمحتاج الى ظل صاحب * يروق ويصفو ان كدرت عليه

قال لى أعد فأعدت سبع مرات فقال لى يا مخارق خذ منى الخلافة واعطنى هذا الصاحب لله در أبى العتاهية ما أحسن ما قال وأحسن من قال

يروجى من صاحبته فوجدته * أرق من الشكوى وأصفى من الدمع

يوافقنى فى المنزل والجد طائعا * فينظر من عينى ويسمع من سمعى

وقال الجاحظ كان أبو دؤاد اذا رأى صديقه مع عدوه قلا صديقه وقال ابن عساكر فى تاريخ دمشق قال ابن عائشة قال هشام بن عبد الملك ما بقى على شئ من لذات الدنيا الا وقد نلته وما اشتهى الاشيأ واحدا أخا أرفع مؤنه التحفظ بينى وبينه وقال معاذ بن جبل رضى الله عنه صحبة العاقل فى المفاوز والاسفار خير من صحبة الجاهل بين الرياض والانهار ولله در القاضى الفاضل

ومابرح الاخوان اخوان الزمان فاذا أحسن كانوا من التابعين له باحسان واذا أساء كانوا من المهاجرين لا من الهجرة ولكن من الهجران وقال جعفر بن محمد لولده يا بنى من غضب عليك من اخوانك ثلاث مرات ولم يقل فيك سوأ فاتخذه خليلا ويجب على الصديق اذا رأى صديقه معسرا وهو موسر ان يواسيه ببعض ماله فقد حكى عن بعض الحكماء انه رأى رجلين لا يفترقان

فسأل عنهما فقيل هما صديقان فقال ماهما بصديقين لانى أرى أحدهما موسرا والآخر معسرا ولو كانا صديقين لتواسيا وقال المأمون لندمائه أفيكم من يقدر يدخل يده فى كم صديقه فيأخذ منه نفقة يومه فقالوا لا فقال ما أنتم بأصدقاء والصديق الصديق معدوم وأما من تصادقه مجاز فيمثل بقول القائل

ارض من المرء فى مودته * بما يؤدّى اليك ظاهره
من يكشف الناس لايجد أحدا * تصح منهم له سرائره

(الهندابالك) والاغترار بمصادقة العدوّ فانها ما أوجبها الا أمر وعلة فمع ذهاب العلة رجوع العداوة كالماء يسخن فاذا رفع عن النار عاد باردا وصفة الصديق أن يعادى من تعاديه ويهوى من تهوى وقال بعض الحكماء صديق عدوى عدوى وقال الشاعر

تودّ عدوى ثم تزعم أننى * صديقك ان الرأى منك لعازب
اذا نحن أظهرنا لقوم عداوة * ولان لهم منكم جناح وجانب
فلا أنتم منا ولا نحن منكم * اذا أنتم سالمتم من نحارب
وليس أخى من ودنى رأى عينه * ولكن أخى من ودنى وهو غائب

واعلم ان الخصال المحمودة والكمال لايوجدان فى شخص أبدا ولا بد من عيب يشوبه فان اخترت صديقا ورضيته وكاشفته فبدت منه هفوة أو زلة فاغفرها فالسيف ينبو والجواد يكبو واذا صفا الصديق فلا تناقشه فى دينه ولا مذهبه فان ذلك يوجب القطيعة والعداوة واجمعه فى هواه من دينه اذا جرى هو فى هواك من صداقتك قال أبو العلاء المعرى رحمة الله عليه

اذا ما الخل أصفانى ودادا * فسقيا فى الحياة له ورعيا
ليقرأ ان أراد كتاب موسى * ويقرأ ان أراد كتاب شعيا

وأصلح ما صادقت حكيما أو أديبا عاقلا عالما فان عداوة هذا خير من صداقة الجاهل قال بعض الحكماء الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره مايبلغ الاعداء من جاهل مايبلغ الجاهل من نفسه

ومتى تغير الصديق عليك فاستنبط ذلك بقريحة حسن منك كما قال الشاعر

واذا استجمعت مودة خل * فاعتبرها من أعين الغلمان

ان عين الغلام تنبيك عما * فى ضمير المولى من الكتمان

(القول على النديم) النديم فعيل بمعنى مفاعل منادم والندمان أكثر منادمة وملازمة من النديم لان زيادة اللفظ توجب زيادة المعنى ويقال رجل رحيم ولا يقال رحمان لانه ثناء المبالغة وفى الدعا يارحمان الدنيا ورحيم الآخرة لان رحمته فى الدنيا عمت الكافر والمؤمن والفاسق والناسك فى الآخرة مخص برحمته المؤمنين والمسلمين دونهم واشتقاق اسم النديم من المنادمة كأنه يندم على مفارقته لوجود الراحة به والانس اليه (وينبغى) له أن يكون حسن المروءة نبيل الهمة مستوى الذيول واطراف الاكمام نظيف المخفى من الملبس كالقلنسوة والسراويل والتكة والجورب ومنديل الكم فاذا كملت فيه هذه الخصال كان محبوبا الى القلوب سهلا على الارواح واذا لم يكمل كان بالضد مستثقلا معيبا فى العيون بغيضا على القلوب كما قيل فى أبى يعلى الكاتب القرشى

نعمة الله لا تعاب ولكن * ربما استثقلت على أقوامى

لا يليق الغناء بوجه أبى يعلى * ولا نور بهجة الاسلامى

دنس الثوب والعمامة والبرذو * ن والنعل والقفا والغلامى

(وينبغى) له اذا جلس للشراب مع الملك أن يجلس فى المرتبة التى لا يتجاوزها الى ما هو أعلى منها عنده ولا يحط نفسه عنها ولا يكثر الاتكاء بين يديه وليكن منتصب الجلوس خفيف الوطأة ان قام قام لقيامه وليحذر التبسط والتمديد والتمطى والتثاؤب والتنخع والبصاق وتفريك اليدين وفرقعة الاصابع واللعب بالخاتم والعبث باللحية والعمامة ولا يكون من شأنه التعزية والتهنئة ولا التشميت عند العطسة ولا الاسراع بالتحية ولا العبث بالفاكهة والرياحين والازهار ولا التناول للشمامات ولا الاكثار من التنقل بعد الشرب ولا يرمى ثفل ما يمتصه بحيث يرى ولا يعض الفاكهة بل يقطع منها حاجته بالسكين قطعا ولا يكثر شم الريحان ولا ادارة اليد فيه ولا يقطع رؤسه ولا ينفضه عند أخذه ولا يفركه ولا يلتقطه بعد مضغه وليكن شربه مصا وكرعه جرعا ولا يشرب من الشراب ما لا يطيق فيزول عقله وليصب لنفسه ما يعلم أنه يقوم به ولا يرفع القدح قبل الملك ولا يصب فيه نبيذا من قبل صبه أومعه ولا يقترح صوتا ولا يظهر الطرب ولا يوقع على تلحين ولا يبدء منه هزل ان ناوله الساقى قدحا

أخذه

أخذه بلا تزيد ولا نقصان ولا مماسكة ولا مماراة فاذا أحس بنفسه سكرا أسرع القيام والانصراف وهو مالك نفسه ولا يلبس كف غلام عند مناولة كأس ولا يكثر ملاحظته عند معاطاته الراح ولا يشير اليه ولا يغمزه ويستحب منه أن يكون مفننا فيجري مجرى أبان اللاحق بما وصف به نفسه للفضل بن يحيى البرمكي وذلك انه ورد الى بابه ليعرض نفسه وأدبه عليه فأتى الى محمد بن زيدان الثقفي فقال له ان رأيت أصلحك الله أن تعرض قصتي على الامير فقال وما فيها قال أعرض نفسي وأدبي عليه فقال عند الامير مثلك مائة ألف فأتى منصور بن هشام فقال له تعرض رقعتي على الامير فقال وما فيها فقال له أعرض نفسي وأدبي عليه فقال فهل لك فيمن دون الامير ليشاطرك الضياع والاموال والرقيق ما خلا الاهل والولد قال قد نازعتني نفسي الى شئ لا بد لي من أن أعطيها شهوتها منه فأخذ قصته فأدخلها الى الفضل بن يحيى فاذا فيها

أنا من بغية الامير وكنز * من كنوز الامير ذو ارباح
كاتب حاسب أديب خطيب * ناصح زائد على النصاح
شاعر مفلق أخف من الر يشة مما يكون تحت الجناح
لي في النحو فطنة وانتقاد * أنا فيه قلادة بوشاح
لو رمى بي الامير أصلحه الله رماحا حطمت سمر الرماح
غير ما عاجز ولا مستكين * طوع أمر الامير أمضى الجراح
لست بالضخم يا أمير ولا القدم ولا المدحوج الدحداح
لحية سبطة ووجه مليح * وانتقاد كشعلة المصباح
وكثير الحديث من ملح النا * س بصير بخافيات ملاح
كم وكم قد خبأت عندي حديثا * هو عند الامير كالتفاح
فبمثلي تخلو الملوك وتلهوا * وما جى للشكل القداح
أعين الناس طائرا يوم صيد * في غد وغدوة أو رواح
أعلم الناس بالجوارح والخيل وبالخرد الحسان الملاح
كل هذا جمعت والحمد لله على أنني ظريف المزاح
لست بالناسك المشمر كمه ولا الماتك الخليع الوقاح
لو دعاني الامير عاين مني * شمريا كالبلبل الصياح

(قال) فدعى به فلما دخل أتى كتاب من أرمينية فرماه اليه وقال له أجب عنه فأجاب من ساعته في عرصته فأمر له بمائة ألف درهم وكان أول داخل وآخر خارج واذا ركب في الموكب فركابه مع ركاب الفضل (ومن) صفات النديم أن لا يكون لجوجا ولا حسودا ولا مماريا ولا طامح العين ولا طايش اللب ويكون حولا موا فقا لك في عملك ومذهبك ودينك كتوما للسر ويكون أديبا عاقلا أو حكيما فاضلا ليس على طبيعتكما منافرة طبيعية ولا عرضية بشرا اذا حدثته وبشر اذا حدثك كلما ازداد سكره ازداد تواضعه لك ومودته وفضله فالخمرة تحرك ما يوجد من عقل وجهل وتبرزه في الانسان من القوة الى الفعل وهي محك العقول (صافح) أبو العميثل عبد الله بن طاهر عند قدومه من سفره فقبل يده فقال عبد الله خدش شاربك كفي فقال شوك القنفذ لا يضر ببرثن الاسد فتبسم عبد الله وقال كيف كنت بعدي قال اليك مشتاقا وعلى الزمان عاتبا ومن الناس متوحشا أما الشوق اليك فلفضلك وأما العتب على الزمان فلمنعه منك وأما الاستيحاش من الناس فلرضاهم بعدك فاحتبسه فلما حضر الشراب سقاه بيده فقال

نادمته وكأن البدر غرته * معظما سيدا قد أحرز المهلا
فعلني برحيق الراح راحته * فتسكرا فشكر الذي فعلا

(بينا) أبو العباس السفاح يحدث أبا بكر الهذلي فعصفت الريح وأذرت طستا من سطح الى المجلس فارتاع من حضر ولم يتحرك الهذلي ولم تزل عينه مطابقة لعين السفاح فقال ما أعجب شأنك يا هذلي فقال ان الله تعالى يقول ما جعل الله لرجل من قلبين في جوفه وانما لي قلب واحد فلما غمره السرور بفائدة أمير المؤمنين لم يكن فيه لحادث مجال فلو انقلبت الخضراء على الغبراء ما أحسست بها ولا وجمت لها فقال السفاح لئن بقيت لأرفعن منك ضبعا لا يطوف به السماع ولا يحط عليه العقبان ومن (الآداب) اللطيفة ما يحكى عن ابراهيم بن المهدي قال كنت عند الرشيد فأتاه رسول معه أطباق عليها مناديل ورقعة فأخذ يقرأ الرقعة ويقول وصلة الله وبره فقلت يا أمير المؤمنين من هذا الذي أطنبت في شكره لنشركك في جميل ذكره فقال عبد الملك بن صالح ثم كشف عن الاطباق فاذا هي فواكه فقلت يا أمير المؤمنين ما يستحق هذا الوصف الا أن يكون في

الرقعة مالا نعلمه فرمى بها الى فاذا فيها دخلت يا أمير المؤمنين الى بستان لى قد غرته بنعمتك وقد أينعت فواكهه فحملتها فى أطباق قضبان ووجهت بها الى أمير المؤمنين ليصل الى من بركة دعائه مثل ما وصل الى من نوافل بره فقلت وما فى هذا الكلام ما يستحق الدعاء فقال أو ما ترى كنى بالقضبان عن الخيزران وهى اسم امنا (وقال) الشعبى أخطأت عند عبد الملك بن مروان أربعا وهى حدثنى بحديث فاستعدته منه فقال أما علمت أنه لا يستعاد أمير المؤمنين وقلت حين أذن لى أنا الشعبى يا أمير المؤمنين فقال ما أدخلناك حتى عرفناك وكنيت عنده رجلا فقال أما انه لا يكنى أحد عند أمير المؤمنين وسألته أن يكتبنى حديثا فقال انا نكتب ولا نكتب (ولما) كان مجلس الشراب مؤهلا للاستكثار من اللذات والتقلب فى المسرات كان الاولى به أن يجمع من الندماء من فيه من الحذاق بالغناء ومن يكون حديثه يطرب سامعيه وملحه أحسن موقعا من الاغانى المعجبة فى قلوب منادميه كما وصفه بعض الشعراء فقال

حديث يشرب له الغوانى * ويأخذ كل سمع باستماعى

فيكون للحديث نوبة وللغناء أخرى (وحكى) عن بشار أنه قال لا تجعلوا مجالسكم حديثا كله ولا غناء كله ولا هزل كله ولا جد كله ولكن تنقلا فان العيش خلس (واعلم) أن فى النديم والخمرة لذات شتى فلذة الخمر زوال الهموم والغموم والافكار ولذة النديم المحادثة قال الشاعر

وما بقيت من اللذات الا * محادثة الرجال ذوى العقول

وقد كانوا اذا عدوا قليلا * فقد صاروا أقل من القليل

(وأما) أوساط الناس فيجب أن لا يستكثر من الندماء ويقتصر على القليل فان الكثير سبب اذهاب المال ووجود العداوة وفقدان المروءة وتعب القلب والجسم ولا يجب أن تصطفى نديما حتى تغضبه فى الصدوقان وجدته حمولا مطاوعا قبولا لما تأمره به يصفيك وداده حاضرا وغائبا مساعدا لك فى الشدائد اذا وقعت فيها فاعتمد عليه فقلما تجد هذا النديم وقد قال الشاعر

اذا كنت مختارا لنفسك صاحبا * فمن قبل ان تبديه بالود أغضبه

فان كان فى حال التعدى راضيا * والا فقد جربته فتجنبه

(قال) بعض الظرفاء شرط المنادمة قلة الخلاف * والمعاملة بالانصاف

والمساعدة بالشراب * والتغافل عن الجواب * وادمان الرضى * والطراح ما مضى واسقاط القيات * واجتناب افتراع الاصوات * وأكل ما حضر * واحضار ما تيسر * وستر العيب * ولقد أحسن من قال

لا خير في الشرب الا مع اخانقه * ان سرغني وان غنيته طربا
يعطيك همتا اذا غنيته واذا * شربت حي وان حييته شربا
عف اللسان عفيف الفرج تحمده * في كل حال اذ ثري وان تربا
فاشدد يديك عليه ان ظفرت به * وأكثر مودته لا تكثر الرهبا

(كان) ابراهيم بن المهدي يقول لذة العيش في ثلاث منادمة الاحباب ومعاقرة الشراب ومذاكرة الآداب (ويروى) ان أول من جعل لندمائه أمارة ينصرفون بها من مجلسه اذا أراد ذلك كسرى وهو انه يمد رجله فيعرفون أنه يريد قيامهم فينصرفون وتبعه الملوك فكان فيروز الاصغر يدلك عينيه وكان بهرام يرفع رأسه الى السماء وكان في الاسلام معاوية يقول العزة لله وعبد الملك يلقي المروحة من يده وحدث بهذا الحديث عند بعض البخلاء وسئل ما أمارته فقال اذا قلت يا غلام هات الطعام والناس يختلفون في الشرب فمنهم من يرى كثرة الندماء ومنهم من يرى الانفراد وممن رأى هذا الرأي جماعة من أهل الادب قديما وحديثا ولهم فيه أشعار وأخبار ومنهم من رأى مطالعة الكتب عليها واعمال الفكرة في تصنيف العلوم والآداب كما حكى عن الشيخ الرئيس ابن سينا أنه قال كنت أستعين على مصنفات علومي باستعمال اليسير من الخمر المصلوح من الماء ومنهم الفارابي ودليل ذلك قوله شعرا

لما رأيت الزمان نكسا * وليس في العشرة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت نفسا * لها عن الذلة امتناع
أشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى * ومن قراقيرها سماع
واجتني من حديث قوم * قد اقفرت منهم البقاع

(قال) بعضهم رأيت أعرابيا جالسا بالفلات تحت ظل شجرة ومعه ركوة وهو يشرب منها ويصب في أصل الشجرة قدحا فقلت له ما هذا فقال هو نديم

لا يعربد على يلحقني بظله ويحمل عني كله (وقال) بعضهم دخلت على بعض الرؤساء فلقيته يشرب وبين يديه كلب صيد وهو يشرب قدحا ويصب قدحا بين يدي الكلب ومهما أكل طعاما أو نقلا رمى الى الكلب منه فقلت له أتنادم كلبا فقال نعم يكف عني أذاه ويحرس مني أذى سواه يشكر قليلي ويحفظ مبيتي ومقيلي وأنشد شعرا

وأشرب وحدي من كراهتي الاذى * مخافة شر أو سباب لئيم

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلي وأجاد

اذا لم أجد للراح خلا موافيا * فلي بي أنس كامل حين أشرب
لساني يغنيني وفكري منادمي * وكفاي تسقيني وقلبي يطرب

ومما يجب على ذوي السيادة والمروءة أن يسامحوا نديمهم اذا وقعت منه هفوة أو غفلة (وما أحسن قول خالد اليشكري)

ولست بلاح لي نديما بزلة * ولا هفوة كانت ونحن على الخمر
عزلت بجنبي قول خلي وصاحبي * ونحن على صهباء طيبة النشر
فلما تمادى قلت خذها عريقة * فانك من قوم جحاجحة زهر
فما زلت أسقيه وأشرب مثلما * سقيت أخي حتى بدا وضح الفجر
ونوصر يعا للجبين موسدا * فوسدته واخترت حلي على الهجر
وأيقنت أن السكر طار بلبه * فأغرق من شتمي وقال ولم يدر
وزال لسان كان اذ كان صاحيا * يقلبه في كل فن من الشعر

(وقال أبو نواس رحمة الله عليه)

ولست لنديم صدق * وقد أخذ الشراب بوجنتيه
تناولها والا لم أذقها * فيأخذها وقد ثقلت عليه
ولكني آخذ الكأس عنه * وأصرفها بغمزة حاجبيه
وان رام الوساد لنوم سكر * دفعت وسادتي أيضا اليه
وهذا ما حبيت له واني * أبر له من والديه

(ولله در الصاحب بن عباد) قد حملت أوزار السكر على ظهور الخمر
(ولطف من قال) وطويت بساط الشراب على ما فيه من خطأ وصواب
(وقال أيضا) تعلم في مرافقة النديم * مطاوعة الاراكة للنسيم

وعاشره بأخلاق فانى * وحقك عبد رق للنديم
أعاطيه أحاديثي وكأسي * فيسكر بالحديث وبالقديم

(وقال ابن المعتز)

وندامای فی شباب وحسن * أتلفت مالهم نفوس كرام
بين أقداحهم حديث قصير * هو سحر وما سواه كلام
وغناء يستعجل الراح بالرا * ح كما ناح فى الغصون الحمام
فكأن السقاة بين الندامى * ألفات بين السطور قيام

(وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله)

بروحى نديم يشهد العقل أنه * قضى العمر باللذات وهو خبير
تذكر مزج الكاس عند وفاته * فأوصى الها بالثلث وهو كثير

وأنشدنى من لفظه لنفسه أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى

ورب نهار فيه نادمت أغيدا * فما كان أحلاه حديثا وأحسنا
منادمة فيها مناى فحبذا * نهار تقضى بالحديث وبالمنا

(كتب) الى الحسن بن وهب صديق له من أهل الادب فصلا من كتاب قال فيه وقد قسمك الله بين طرفى وقلبى ففى مشهدك أنس قلبى برويه طرفى وفى بعدك لهو طرفه يذكر قلبى (فأجابه الرجل) فهمت كتابك الذى أخبرت فيه بما أخبرت فسيان عندك على هذا رأيتنى ام لم ترنى اذ كان بعضك يؤنس بعضا وحضور أعضائك تنوب لك من حضورى لكنى أراك فيخشع قلبى وأغيب عنك فيدمع طرفى فسيان بين من سلا أبدا ومن حزن دهره (سئل) اسحق الموصلى عن عدد الندماء فقال واحد هم واثنان غم وثلاثة نظام وأربعة تمام وخمسة مجلس وستة زحام وسبعة موكب وثمانية سوق وتسعة جيش وعشرة نعوذ بالله من شرهم وضرهم (قال أبو العينا) رب وحشة أنفع من أنيس ووحدة أمتع من جليس (وقال الجاحظ)

أرى للكأس حقا لا أراه * لغير الكأس الا للنديم
هو القطب الذى دارت عليه * رحا اللذات فى الزمن القديم

(وكتب المرحوم فتح الدين محمد بن الشهيد الى القاضى أمين الدين ابن الانفى المالكى) تغمده الله برحمته وكان قد تأخر عن زيارته

حتام في سجن الصدود * سرور عبدك محتبس
معنى الجفاء فهمته * قد زدت في المعنى قبس
وأغث بأنفاس الرضا * نفسي فما فيها نفس
يا مالكي بأبيك زر * نروي الزيارة عن أنس
أقرأ ألم نشرح فكم * نلقاك تقرأ في عبس
العمر أنفس أن تعيش نهارهمك كالغلس
ان الحياة لغفوة * والعيش طيب مختلس

(الباب العشرون في مسامرة أهل النعيم)

(الليلة) الاولى حكى انه كان بمدينة بغداد رجل من اولاد النعيم ورث من أبيه مالا جزيلا وكان يتعشق قينة فأنفق عليها اشياء ثم اشتراها وكانت تحبه كما يحبها ولم يزل ينفق عليها ماله وهو في أكل وشرب الى أن لم يبق له شئ وأفلس فطلب معاشا يعيش فلم يقدر على شئ وكان الفتى في أيام سعادته يحضر القينة في صناعة الغناء اتزدادي في صناعتها فبلغت في الصناعة الغاية التي لم يدركها أحد سواها وكان الفتى قد علم من صناعة الغناء مثلها وأوفى فاستشار بعض اخوانه ومعارفه فقال له ما أعرف لك معاشا أصلح من أن تغني أنت والجارية فتأخذ على ذلك المال الكثير وتأكل وتشرب وأنت كل يوم طيب العيش فأنف من ذلك وعاد اليها فأخبرها بما أشير به عليه وأعلمها أن الموت أحب اليه من ذلك فصبرت معه على الشدة ثم قالت لقد رأيت لك رأيا قال ما هو قالت تبيعني فانه يحصل لك من ثمني مال تعيش فيه عيشا طيبا وتخلص من هذه الشدة وأخلص أنا وأحصل لي نعمة فان مثلي لا يشتريه الاذو نعمة وبه أكون السبب في رجوعي اليك قال فحملها الى السوق فكان أول من أعرضها عليه فتى هاشميا من أهل البصرة ظريف أديب كريم النفس واسع الحال فاشتراها بألف وخمسمائة دينار عينا وقال الرجل حين لفظت بالبيع وقبضت المال ندمت غاية الندامة وبكيت أشد بكاء وصارت الجارية في أقبح من صورتي وجهدت في الاقالة فلم يكن الى ذلك سبيل وأخذت الدنانير في الكيس ومضيت لا ادري الى أين أذهب لان بيتي موحش منها وورد على من البكا واللطم والنحيب شئ لا أصفه قال

فدخلت بعض المساجد وجلست أبكي فيه وأفكر فيما نابني وفيما عملت بنفسي فحملتني عيني وتركت الكيس تحت رأسي كالمخدة ونمت فلم أشعر الا بانسان قد جذبه من تحت رأسي ومضى يهرول فانتبهت فزعا فطلبت الكيس فوجدته قد أخذ فقمت أريد أجري وراءه واذا برجلي مربوطة في حبل والحبل في وتد فوقعت على وجهي والى حين أن أخلص رجلي هرب ذلك الرجل عني فبقيت ألطم على وجهي ورأسي وقلت فارقت من أحب وذهب المال فكيف حالي فزادني الامر الى أن جئت الى الدجلة ووضعت ثوبي على وجهي ورميت روحي في الدجلة ففطن الحاضرون بي وأن ذلك لغيظ نالني فرموا أرواحهم خلفي فشالوني وسألوني عن أمري فأخبرتهم خبري فصرت بين راحم ومستجهل الى أن جاءني شيخ منهم فأخذ بعضي وقال لي يا هذا ذهب مالك وتذهب نفسك وتكون من أهل النار فثق بالله العظيم قم معي فأرني بيتك فما فارقني حتى الى منزلي وقعد عندي حتى رأى السكون فيّ فشكرته وانصرف فكدت أقتل نفسي فذكرت الآخرة والنار فخرجت من بيتي هاربا الى بعض أصدقائي القدماء فأخبرته بخبري وماجرى عليّ فبكى لي رحمة وأعطاني خمسين دينارا وقال اقبل رأيي واخرج الساعة من بغداد واجعل هذه نفقة لك الى حيث تجد قلبك تشاغل وأنت من أولاد الكتاب وخطك جيد وأدبك بارع فاقصد من شئت من العمال فاطرح نفسك عليه فلعله أن يستخلفك في شئ تنتفع به وتعيش معه ولعل الله عز وجل أن يجمع عليك جاريتك فعملت على هذا وجئت الى (الكتبين) وقد قوي حالي وزال عني بعض الهم واعتمدت على أنني أقصد واسط لانه كان لي بها أقارب فاذا زلال مقدم وجراية كبيرة وقماش فاخر ينقل الى الزلال فسألتهم أن يحملوني الى واسط فقالوا هذا الزلال لرجل هاشمي ولا يمكننا حملك على هذه الصورة فسألتهم أن يحملوني وأرغبتهم في الاجرة فقالوا لي اذا كان ولابد فاخلع هذه الثياب التي عليك والبس ثياب الملاحين واجلس معنا كأنك واحد منا فرجعت واشتريت من ثياب الملاحين وجئت الى الزلال بعد أن اشتريت خبزا وما يصلح للسفر وجلست معهم فما كان الا ساعة حتى رأيت جاريتي بعينها ومعها جاريتان يخدمانها فسهل علي ما كان بي وقلت أراها وأسمع غناءها من هنا الى البصرة واعتقدت أن أجعل قصدي البصرة وطمعت أن أداخل مولاها وأصير من ندمائه

وقلت لعلها لاتخليني من المراد وكنت واقفابها فلم يكن أسرع من أن جاء الفتى الهاشمي راكبا ومعه عدة ركاب فنزلوا في الزلال وانحدروا فلما صار عند كلوادى أخرج الطعام وأكل والجارية وأكل الباقون على وسط الزلال وأطعم الملاحين ثم أقبل على الجارية فقال لها كم هذه المدافعة عن الغناء ولزوم الحزن والبكاء ليس أنت أول من فارق مولا كان له محبا فعلمت ما كان عندها من أمري ثم ضربت ستارة في جانب الزلال واستدعى الذين يأكلون ناحية جلس معهم خارج الستارة فسألت عنهم فاذا هم اخوته ثم أخرج الصوانى فيها الخماسيات والخرداديات من المحكم مملوءة شرابا ففرقت عليهم وقدمت لهم الانقال وماشا كل ذلك ومازالوا يرفقون بالجارية الى أن استدعت بالعود وأصلحته واندفعت تغني من البعيد الاول وهو

بان الخليط بمن عرفت فأدلجوا * عمدا بمن أهواه لم يتحرجوا
وغدت كأن على ترائبي نحرها * جمر الغضا في ساعة تتأجج

ثم غلبها البكاء ورمت العود وقطعت عن الغناء وتنغص على القوم شربهم ووقعت أنا مغشيا على فظن القوم أني قد صرعت فصار بعضهم يقرأ في أذني وأفقت بعد ساعة فلم يزالوا يدارونها ويرفقون بها ويسألونها الى ان أصلحت العود واندفعت تغني في البعيد الثاني

فوقفت أندب للذين تحملوا * وكأن قلبي بالشفار يقطع
فدخلت دراهم أسائل عنهم * والدار خالية المنازل بلقع

ثم شهقت شهقة كادت تتلف وارتفع بكاؤها وصرخت أنا ووقعت مغشيا على وتبرم الملاحون مني وقالوا كيف حملتم هذا المجنون فقال بعضهم اذا بلغتم بعض القرى فأخرجوه واريحونا منه فجاءني من ذلك أمر عظيم ثم وضعت على نفسي الصبر والتجلد وقلت أعمل الحيلة في أن أعلمها بكاني من الزلال لتمنع من اخراجي وبلغنا الى قريب ضيعة فقال صاحب الزلال اصعدوا بنا الى الشط فطرحوا القماش وطلعوا وكان مساء فطلع الملاحون وخلا الزلال فقمت حتى صرت خلف الستارة فغيرت طريقة العود عما كانت عليه الى طريقة أخرى وكانت تعلمها مني فرجعت الى موضعي من الزلال وفرغ القوم من حوائجهم في الشط ورجعوا والقمر قد انبسط فقال لها مولاها بالله عليك لا تنغصي علينا عيشنا ولم يزلوا الى أن أخذت

العود وبسته وشهقت حتى ظنوا أن روحها قد طلعت وقالت والله مولاى معى في الزلال فقال لها مولاها والله ياهذه لو كان معنا مامنعته من معاشرتنا ولعله كان يخف مابك وننتفع بغنائك ولكن هذا بعيد قالت هذا ما الا اسمعه مولاى معنا قال الهاشمى فنسأل الملاحين قالت افعل فسأل الملاحين وقال هل حملتم معكم أحدا قالوا لا وأشفقت أن ينقطع السؤال فصحت نعم هوذا أنا فقالت كلام مولاى والله فجاء في الغلمان فحملونى الى الرجل فلما رآنى عرفنى وقال ويحك ماهذا الزى وما الذى أصابك الى أن صرت الى هذه الحالة قال فصدقته عن أمرى وبكيت وأعلى نحيب الجارية من خلف الستارة وبكى هو واخوته بكاء شديدا رقة لنا ثم قال لى ياهذا والله ماوطئت الجارية ولا سمعت لها غناء الا اليوم وأنا رجل موسع على ولله الحمد وانما وردت بغداد لسماع الغناء وطلب أرزاقى من أمير المؤمنين وقد بلغت الامرين مما أردت ولما علمت أنى أريد الرجوع لى وطنى قلت أسمع من غناء بغداد شيأ فاشتريت هذه الجارية لاصيرها عندى مع بيات لى بالبصرة واذا كنتما على هذه الحالة فوالله لانالن المكرمة والثواب فيكما وأشهد الله تبارك وتعالى على أن هذه الجارية اذا وصلت الى البصرة أعتقها وأزوجك اياها واجرى عليكما ما يكفيكما وزيادة ولكن على شريطة أننى اذا أردت الاجتماع تضرب لها ستارة وتغنى من خلفها ونحن مع بعضنا بعض لا بخل علينا بذلك وأنت من جملة اخوانى وندمانى ففرحت بذلك ثم أدخل رأسه الى الجارية وقال رضيت ذلك فأخذت تدعو له وتشكره ثم استدعى غلامه فقال خذ بيد الغلام ومده بثياب وبخره وقدمه الينا بعد أن يأكل شيأ وفعل بى الغلام ماأمره وعدت اليه فحط بين يدى مثل مابين ايديهم من الشراب والنقل ثم اندفعت الجارية تغنى بانبساط وهو

عيروني أن سمحت دموعى * حين هم الحبيب بالتوديع
زعموا أننى تهتكت فى الحب * ماأريد غير مطيع
لم يذوقوا طعم الفراق ولاما * أحرقت لوعة الاسى من ضلوع
كيف لاأسفح الدموع على رسم * عفا بعد ساكن وجموع
هب ان كتمت حالى لاتخفى * زفرات المتيم المصدوع
انما يعرف الغرام لمن لا * ح عليه الغرام بين الربوع

فطرب القوم من ذلك طربا شديدا وزاد فرح الفتى بذلك فلما رأيته على ماهو عليه من الفرح أخذت العود من الجارية وأصلحته وضربت به في أحسن صنعة وغناء واندفعت أقول

اسأل العرف ان سألت كريما * لم يزل يعرف الغنى واليسارا
فسؤال الكريم يورث عزا * وسؤال اللئيم يورث عارا
واذا لم يكن من الذل بد * فالق بالذل ان لقيت الكبارا
ليس اجلالك الكريم بذل * انما الذل أن تجل الصغارا

ففرح القوم بي وزاد فرحهم وأنسوا بي غاية الايناس ولم نزل على مسرة وسرور وغبطة وحبور وأنا أغني ساعة وهي تغني ساعة كذلك الى أن جئنا الى بعض الشطوط فأرسى الزلال وصعد من الزلال كل من فيه وقضوا حوائجهم وصعدت أنا أيضا وكنت سكرانا فقعدت أبول فأخذتني عيني فنمت وطلع القوم وانحدر الزلال ولم يعلموا بي وهم سكارى وكنت دفعت النفقة التي معي الى الجارية ولم يبق معي حبة واحدة وأن القوم انحدروا ووصلوا الى البصرة ولم أنتبه انا الا من حر الشمس فجئت الى الشط فلم أرى حسا وقد كنت أجللت الرجل أن أسأله بمن يعرف وأين داره من البصرة فبقيت على شاطئ نهر متلا كأول يوم بدأت في المحبة وكأنما كنت فيه مناما واجتازت بي سمارية فملت فيها ودخلت الى البصرة وما كنت دخلتها قط فنزلت خانا وبقيت متحيرا لا أدري ما أعمل ولم يتجه لي معاش الى أن اجتاز بي يوما انسان كنت أعرفه ببغداد فتبعته لا كشف له حالي وأسترفده ثم أنفت من ذلك ودخل منزله فعرفته وجئت الى بقال على باب الخان الذي نزلته فاعطيته دانقا وأخذت منه دواة وورقة وجلست أكتب اليه رقعة فاستحسن خطي البقال ورأى ثوبي دنسا فسألني عن أمري فاخبرته أني رجل غريب فقير قد تعذر على التصرف ومابقي معي شئ فقال تعمل معي كل يوم بنصف درهم وطعامك وكسوتك وتضبط لي حساب دكاني فقلت له نعم قال لي اصعد فصعدت وخرقت الرقعة وجلست معه ودبرت أمره وضبطت دخله وخرجه فلما كان بعد شهر رأى الرجل دخله زائدا وخرجه ناقصا فحمدني وبقيت معه كذلك شهورا ثم جعل لي كل يوم درهما ولم يزل حالي يقوى معه الى أن حال الحول فناله مني الصلاح فدعاني الى أن

تزوجت بابنته وشاركني في الدكان ففعلت ودخلت بزوجتي ولزمت الدكان والحال يقوى الا أني في خلال ذلك مكسور النفس ميت النشاط ظاهر الحزن وكان البقال يشرب فربما جذبني الى مساعدته فأمتنع وأظهر ذلك حزنا مني واستمرت بي الحال على هذا سنتين وأكثر فلما كان في بعض الايام اذا قوم يجتازون بطعام وشراب وكل أحد على ذلك فسألت الشيخ عن القصة فقال لي هذا اليوم عيد الشعانين يخرج أهل الطرب واللعب والشراب والقينات الى نهر الابلة فيرون النصارى ويشربون ويتفرجون فدعتني نفسي الى هذا وقلت لعلي أقف لاصحابي على خبر فقلت للبقال كنت اريد النظر الى هؤلاء قال لي شأنك وأصلح لي طعاما وشرابا وسلم الي غلاما وسفينة فخرجت فأكلت وبدأت بالشراب حتى وصلت الى الابلة وابتدأ الناس ينصرفون وعزمت على الانصراف واذا أنا بالزلال بعينه في وسط الناس سائرا في نهر الابلة فتأملت واذا بأصحابي على سطحه ومعهم عدة مغنيات فحين رأيتهم لم أتمالك فرحا وصحت بهم فلما رأوني عرفوني وأخذوني اليهم وقالوا لي أنت حي وعانقوني وفرحوا بي وسألوني عن قصتي فأخبرتهم بها على أتم شرح وقالوا انا لما فقدناك في الحال وقع لنا أنك قد سكرت ووقعت في الماء وغرقت فخرجت الجارية من ثيابها وكسرت عودها وقطعت شعرها ولطمت وجهها وأقبلت على البكاء والنحيب ولم نقدر نمنعها من ذلك ووردنا البصرة فقلت لها ما تحبين أن نعمل بك فقد كنا وعدنا مولاك بوعد تمنعنا المروءة من استخدامك بعده وسماع غنائك قالت يا مولاي تملكني من القوت اليسير ولباس ثياب الشعر السواد وأن أعمل قبرا في جنب من الدار وأجلس عنده وأتوب عن الغناء فمكناها من ذلك وهي جالسة عنده الى الآن فأخذوني معهم ومضوا بي فلما دخلت الى الدار ورأيتها على تلك الصورة ورأتني شهقت شهقة عظيمة ما ظننت أنها تعيش فاعتنقنا عناقا طويلا ثم افترقنا ثم قال مولاها تأخذها قلت نعم أعتقها كما وعدت وزوجني بها ففعل ذلك ودفع الينا ثيابا كثيرة وفرشا وقماشا وآلة وحمل الي خمسمائة دينار وقال هذا مقدار ما أردت أجريه عليك في كل شهر منذ أول دخول البصرة وقد اجتمع طول هذه المدة فخذه والجراية متتابعة في كل شهر وشيء آخر لكسوتك وكسوة الجارية والشرط في المنادمة وسماع الجارية من وراء الستارة وقد وهبت لك الدار الفلانية قال

فحملت الى الدار فاذا قد غمرت بالفرش والقماش وجميع ما أصاحبه وجاءت اليها الجارية وجئت الى البقال فحدثته الحديث وسألته أن يجعلني في حل من طلاقه لابنته بغير ذنب ودفعت اليه مهرها وما يلزمني من أمرها وأقمت مع الهاشمي على ذلك الحال سنين وصرت رب ضيعة ونعمة وعادت حالتي الى قريب ما كنت فيه أنا والجارية وفرج الله الكريم عنا وسهل لنا الامور بالاحسان وهذا ما كان من حديثهم والحمد لله حمدا كثيرا (الليلة الثانية)

حدث أبو العباس ابن يزيد النحوي المعروف بالمبرد قال حدثنا محمد بن عامر الحنفي وكان من سادات بكر بن وائل وأدركته شيخا كبير القامة مملقا وكان اذا فاض على املاقه شيأ جاد به وقد كان ولي قديما شرطة البصرة فحدثني هذا الحديث الذي نذكره ووقع لي من غير ناحيته ولا أذكر ما بينهما من الزيادة والنقصان الا أن معاني الحديث مجموعة فيما أذكر لك (ذكر) أن فتيانا كانوا مجتمعين في نظام واحد كلهم ابناء نعمة وكلهم شرد عن أهله وقنع بأصحابه فذكر ذاكر منهم قال كنا قد اكترينا دارا مشرفة على الطريق ببغداد المعمورة بالناس فكنا نفلس أحيانا ونوسر أحيانا على مقدار ما يلقى الواحد من أهله وكنا لا نستنكر ان تقع مؤنتنا على واحد منا اذا أمكنه ويبقى الواحد منا لا يقدر على شئ فيقوم به أصحابه الدهر الاطول وكنا اذا أيسرنا أكلنا ودعونا الملهين والملهيات وكنا في أسفل الدار فاذا عدمنا الطرب فجعلنا غرفة لنا نتمتع منها بالنظر الى الناس وكنا لا نخل من نبيذ في عسر ولا يسر فانا كذلك يوما اذا بفتى يستأذن علينا فقلنا له اصعد فاذا رجل نظيف حلو الوجه سري الهمة يظهر عليه أنه من أبناء النعم فأقبل علينا وقال اني سمعت باجتماعكم والفتكم وحسن منادمتكم حتى كأنكم أدخلتم جميعا في قالب واحد فأحببت أن أكون واحدا منكم فلا تحتشموني قال فصادف ذلك منا اقتارا من القوت وكثرة من النبيذ وقد كان قال لغلامه أول ما يأذنوا الى أن أكون كأحدهم هات ما عندك فغاب عنا غير كثير ثم اذا هو أتى بسلة خيزران وفيها طعام مطبوخ من جدي وفراخ ورقاق وأشنان ومحلب داخله فأصبنا من ذلك ثم أفضينا في شرابنا وانبسط الرجل واذا هو أحيى خلق الله اذا حدث وأحسنهم استماعا اذا حدث وأمسكهم عن الملاحات اذا خولف ثم أفضينا في شرابنا وانبسط الرجل فاذا هو أحسن الناس خلقا وخلقا وكان بما امتعناه بأن

ندعوه الى الشيء الذي نعلم أنه يكرهه فيظهر لنا أن لا تريد غيره ونرى ذلك في اشراق وجهه ونسبه فلم يمكن منافيرمعرفة الكنية فانا سألناه عنها فقال أبو الفضل فقال لنا يوما بعد اتصال الانس الا أخبركم كيف عرفتكم قلنا انا نحب ذاك قال أحببت في جواركم جارية وكان سيدها ذو عزائم وكنت أجلس لها في الطريق التمس اجتيازها فأراها حتى أخلقني الجلوس على الطريق ورأيت غرفتكم هذه فسألت عن خبرها فخبرت عن ائتلافكم ومساعدة بعضكم بعضا فكان الدخول فيما أنتم فيه آثر عندي من الجارية فسألناه عنها فخبرنا قلنا ما نحب بعضها الك حتى نظفرك بها فقال يا اخوتي اني والله على ما ترون مني من شدة المحبة والكلف بها ماقدرت فيها حراما قط ولا تقدرني الا مطاولتها ومصابرتها الى أن من الله بتروقفا شتريها وأقام معنا شهرين ونحن على غاية الاغتباط بقربه والسرور بصحبته ثم اختلس منا فنالنا الفراقه كل ممض ولوعة مؤلمة ولم نعرف له منزلا نلتمسه منه فكدر علينا من العيش ما كان طاب لنا به وقبح عندنا ما كان حسن بقربه وجعلنا لا نرى سرورا ولا غما الا اذا ذكرنا اتصال الانس والسرور بحضوره والغم بمفارقته فكانه كما قال القائل

يذكرنيهم كل خير رأيته * وشر فما أنفك منهم على ذكرى

فغاب عنا زهاء عشرين يوما ثم بينا نحن مجتازون من الرصافة اذا به قد طلع في موكب نبيل وزي جليل فحين بصر بنا به انحط عن دابته وانحط غلمانه ثم قال يا اخوتي اني والله ما هنالي عيش بعدكم ولست أماطلكم بخبري حتى آتي المنزل ولكن ميلوا بنا الى المسجد فلنا معه فقال أعرفكم أولا بنفسي أنا العباس ابن الاحنف وكان من خبري بعدكم أني خرجت الى منزلي من عندكم فاذا المسودة محيطة بي فمضى بي الى دار أمير المؤمنين فصرت الى يحيى بن خالد فقال لي ويحك يا عباس انما اخترتك من ظرفاء الشعر لقرب مأخذك وحسن مأتيك وأن الذي ندبتك له من شأنك وقد عرفت خطرات الخلفاء واني أخبرك أن ماردة هي الغالبة على أمير المؤمنين اليوم وأنه جرى بينهما عتب فهي بدلالة المعشوق تأبى أن تعتذر وهو بعز الخلافة وشرف الملك يأبى ذلك وقد رمت الامر من قبلهما فأعياني وهو أحرى أن تسفره الصبابة فقل شعرا يسهل عليه هذه السبيل فقضى كلامه ثم دعاه أمير المؤمنين فصار اليه وأعطيت دواة وقرطاسا فاعتراني الزمع

وأذهب عني كل قافية ثم انفتح لي شيء والرسل بين يدي فجاءتني أربعة أبيات رضيتها ووقعت صحيحة المعنى سهلة الألفاظ ملائمة لما طلب مني فقلت لأحد الرسل أبلغ الوزير أني قد قلت أربعة أبيات فإن كان فيها مقنع وجهت بها فرجع إلي الرسول بأن هاتها ففي أقل منها مقنع وفي ذهاب الرسول ورجوعه قلت بيتين من غير ذلك الروي وكتبت الاربعة الابيات في صدر الرقعة وعقبت بالبيتين فكتبت

العاشقان كلاهما متعتب * وكلاهما متوجد متغضب

صدت مغاضبة وصد مغاضبا * فكلاهما مما يعالج متعب

راجع أحبتك الذين هجرتهم * ان المتيم قل ما يتجنب

ان التجنب ان تطول منكما * دب السلو له فعز المطلب

وكتبت تحت ذلك

لابد للعاشق من وقفة * يكون بين الصد والصرم

حتى اذا ما الهجر تمادى به * راجع من تهوى على رغم

ثم وجهت بالكتاب الى يحيى بن خالد فرفعه يحيى الى الرشيد فقال والله ما رأيت شعرا أشبه بما نحن فيه من هذا والله لكأني قصدت به فقال له يحيى فأنت والله المقصود به هذا يقوله العباس بن الاحنف في هذه القصة فلما قرأ البيتين وأفضى الى قوله راجع من تهوى على رغم استغرب ضاحكا حتى سمعت ضحكه ثم قال اي والله أراجع على رغم يا غلام هات النعل فنهض وأذهله السرور عن أن يأمر لي بشيء فدعاني يحيى فقال لي ان شعرك قد وقع بغاية الموافقة وأذهل أمير المؤمنين السرور عن أن يأمر لك بشيء قلت لكن هذا الخبر ما وقع مني بموافقة ثم جاء فساره فنهض وثبت مكاني ثم نهضت بنهوضه فقال لي يا عباس أمسيت أملى الناس أتدري ما سارني به هذا الرسول قلت لا قال قد ذكرني ماردة بلغت أمير المؤمنين لما علمت بمجيئه فقالت يا أمير المؤمنين كيف هذا فأعطاها الشعر وقال هذا أتى بي اليك قالت فمن يقوله قال العباس ابن الاحنف قالت فما فعلت معه قال ما فعلت شيأ بعد قالت اذا والله لا أجلس حتى يكافئ قال فأمير المؤمنين قائم لقيامها وأنا قائم لقيام أمير المؤمنين وهما يتناظران في صلتك فهذا كله لك قلت مالي من هذا كله الا الصلة ثم قال هذا أحسن من شعرك فأمر أمير المؤمنين بمال كثير وأمرت ماردة بمال دونه وأمر

الوزير عمال دون ما أمرت به وجلت على ما ترون من الظهر ثم قال الوزير من تمام البدقبلك أن لا ترجع من الدار حتى يؤتى للث بهذا المال ضياعا فاشتريت لى ضياع بعشرين ألف دينار ودفع الى بقية المال فهذا الخبر الذى عاقنى عنكم فهلموا حتى أقاسمكم الضياع وأفرق فيكم المال فقلنا له هناك الله عمالك وكلنا راجع الى نعمة من الله فأقسم وأقسمنا قال فامضوا بنا الى الجارية حتى تشتريها فشينا الى صاحبها وكانت جارية جميلة حلوة لا تبخس شيأ أكثر ما فيها ظرف اللسان وتأدية الرسائل وكانت تساوى على وجهها مائة وخمسين دينارا فلما رآنى مولاها أسامنى فيها خمسمائة دينار فأوجبناه بالعجب فحط مائة ثم حط مائة وقال العباس يا فتيان انى والله أقسم أحتشم بعد ما قلتم ولكنها حاجة فى نفسى بها يتم سرورى فان ساعدتم فعلت قلنا له قل قال هذه الجارية أنا عاينتها منذ دهر وأريد ابتياعها نفسى بها يتم سرورى فان ساعدتم فأكره أن تنظر الى بعين من قد ماكس فى ثمنها فاعطيه فيها خمسمائة دينار كما سأل قلنا فانه قد حط مائتين قال وان فعل فصادفنا من مولاها رجلا حرا فأخذ ثلثمائة دينار وجهزها بالمائتين فمازال لنا محبا الى أن فرق الموت بيننا (الليلة الثالثة) حدث عبد الرحمن بن عمر الفهرى عن رجال سماهم قال أمر المأمون أن يحمل اليه عشرة أناس من البصرة كانوا يرمون بالزندقة عنده فحملوا اليه فبيننا أحد الطفيليين جائز اذ رآهم مجتمعين فقال ما اجتمع هؤلاء الا لوليمة فانسل معهم ودخل فى جملتهم ومضى بهم المتوكلون الى البحر فأطلعوهم فى زورق قد أعد لهم فقال الطفيلى كأنها نزهة فأصعد معهم فى الزورق فلم يكن بأسرع من أن قيد القوم فقيدوا الطفيلى معهم فعلم أنه قد وقع ورام الخلاص فلم يقدر ثم دفع الملاح وساروا الى أن وصلوا بغداد وحملوا على دخول المأمون فأمر بضرب أعناقهم فاستدعوا بأسمائهم رجلا رجلا وهو يقتل حتى لم يبق الا الطفيلى وفرغت العدة فقال المأمون للمتوكلين بهم ما هذا قالوا يا أمير المؤمنين ما ندرى غير أنا وجدناه مع القوم فجئنا به فقال له المأمون ما قصتك ويلك فقال يا أمير المؤمنين امرأته طالق ان كان يعرف من أقوالهم شيأ ولا يعرف غير لا اله الا الله محمد رسول الله وانما رأيتهم مجتمعين فظننت أنهم يدعون الى مأدبة أو دعوة فالتحقت بهم قال فضحك المأمون ثم قال بلغ من شؤم التطفيل الى

أن أدخل صاحبه هذا المدخل لقد سلم هذا الجاهل من الموت ولكن يؤدب حتى يتوب قال وكان ابراهيم بن المهدى حاضرا يومئذ فقال يا أمير المؤمنين هب لى واحدك بحديث عن نفسى فى التطفيل عجيب قال قد وهبته لك هات حديثك قال يا أمير المؤمنين خرجت يوما متنكرا أنظر الى سكك بغداد فاستهوى بى التفرج وانتهى بى المشى الى موضع شممت فيه روائح طعام وأبازير قد تاقت نفسى اليها ووقفت يا أمير المؤمنين لا أقدر على المضى فرجعت بصرى فاذا شباك ومن خلفه كف ومعصم ما رأيت أحسن منه فوقفت حائرا ونسيت روائح الطعام بذلك الكف والمعصم فأخذت فى اعمال الحيلة فى الوصول فنظرت فاذا بخياط قريب من ذلك الموضع فتقدمت اليه وسلمت عليه فرد على فقلت يا سيدى لمن هذه الدار قال يا سيدى لرجل من البزازين قلت فما اسمه قال فلان ابن فلان قلت هو ممن يشرب الخمر قال نعم وأظن اليوم عنده دعوة وليس ينادم الا تجارا مثله فبينا نحن فى الكلام اذ أقبل رجلان راكبان فقال هؤلاء ندماؤه فقلت ما أسماؤهما وما كناهما فقال فلان وفلان فحركت دابتى فلحقتهما وقلت جعلت فدا كما قد استبطأ كما أبو فلان أعزه الله وسايرتهما حتى أتيا الباب فدخلت ودخلا فلما رآنى صاحب المنزل معهما لم يشك فى أنى منهما بسبيل فرحب بى وأجلسنى فى أفضل المواضع ثم جىء بالمائدة ونقل اليها الالوان فكان طعمها يا أمير المؤمنين أطيب من رائحتها فقلت فى نفسى هذه الالوان قد من الله على ببلوغ الغرض منها بقى الكف والمعصم ثم جىء بالوضوء فغسلنا ثم نقلنا الى مجلس المنادمة فاذا هو أشكل منزل وأظرفه فى سائر أموره وجعل صاحب المنزل يلطف بى ويقبل على فى الحديث لظنه أنى ضيف لاضيافه وهم على مثل ذلك يظنون أنا كرامة لى عن معرفة متقدمة وصداقة حتى شربنا أقداحا خرجت علينا جارية كأنها غصن بان فى غاية الظرف وحسن الهيئة فسلمت غير خجلة وأتيت لها وسادة فجلست وأتى بعود فأخذته وجسته أحسن جس واندفعت تغنى فغنت

توهمها طرفى فأصبح خدها * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
وصافحها كفى فآلم كفها * فمن لمس كفى فى أناملها عقر

فهيجت يا أمير المؤمنين بلبالى وطربت لحسن شعرها وحذقها ثم اندفعت

فغنت ايضا

أشرت اليها هل عرفت مودتى * فردت بطرف العين انى على العهد
فحدت عن الاظهار حفظا لسرها * وحادت عن الاظهار حفظا على عهد

فجاءنى من الطرب مالم أملك معه نفسى وطرب القوم طربا شديدا ثم غنت

أليس عجيبا أن بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتكلم
سوى أعين تبدى سرائر انفس * وتقطيع أنفاس على النار تضرم
اشارة أفواه وغمز حواجب * وتكسير أجفان وكف تسلم

فحسدتها على حذقها يا أمير المؤمنين واصابتها معنى الشعر لانها لم تخرج من الفن الذى ابتدأت فيه فقلت قد بقى عليك يا جارية شئ فرمت بالعود وقالت متى كنتم تحضرون فى مجالسكم البغضاء فندمت على ما كان منى ورأيت القوم كأنهم تنكروا لى فقلت فى نفسى فاتنى جميع ما أملت ان لم أتلاف قضيتى فقلت أثم عود قالوا نعم فأتيت بعود مليح الصنعة فأصلحت ما أردت ثم اندفعت فغنيت

ما للمنازل لا تجيب حزينا * أصم أم قدم البلى فبلينا
روح القبة دوحة مذكورة * ان متمتنا وان حييت حيينا

فما استتميت يا أمير المؤمنين حتى وثبت الجارية على رجلى تقبلها وتقول معذرة اليك والله ما علمت مكانك ولا سمعت مثل هذه الصنعة من أحد ثم زاد القوم فى اكرامى وتبجيلى وطربوا غاية الطرب وشربوا بالطاسات

فلما رأيت طربهم اندفعت فغنيت

أبى الله أن تمسين لا تذكرينى * وقد سحت عيناى من ذكرك الدما
الى الله أشكو بخلها وسماحتى * لها عسل منى وتبدى علقما
فردى مصاب القلب أنت قتلته * فلا تتركيه ذاهب العقل مغرما
الى الله أشكو أنها أجنبية * أكون لها ما عشت بالود محرما

فرأيت من طرب القوم شيأ خشيت أنهم فارقوا عقولهم فأمسكت عنهم ساعة ثم راجعت أمرهم لما هدئت نفوسهم واندفعت وغنيت

هذا محبك مطويا على كمده * صب مدامعه تجرى على جسده
له يد تسأل الرحمن راحة * مما به ويد أخرى على كبده
يا من رأى كلفا مستهترا دنفا * كانت منيته فى طرفه ويده

فجاءت

فجعلت الجارية تصيح هذا والله الغناء لا ما نحن فيه وشرب القوم وسكروا وبقى صاحب المنزل مسكة لجودة شربه فأمر غلمانه بحفظهم الى منازلهم وانصرفوا وخلوت معه وشربنا أقداحا ثم قال يا سيدي ذهب ما مضى من عمري هدرا اذ لم أكن أعرف مثلك ولم أحاضر رئيسا يشبهك فبالله يا مولاي من أنت لاعرف نديمي فأخذت أوري عليه وهو يقسم على الى أن أعلمته من أنا على الحقيقة فوثب قائما على قدميه وقال لقد عجبت أن يكون هذا الفعل الا لمثلك ولقد أسدى الزمان الى يدا لا اقوم بشكرها ومتى طمعت بأن يزورني ذو الخلافة في منزلي وينادمني ما هذا الا في المنام ولا أتممت ليلتي الا قائما بين يديك اذ كنت أحقر أن أجالس ذا الخلافة فاقسمت عليه الى أن جلس ثم أخذ يسألني ما السبب في حضوري عنده بألطف معنى فأخبرته يا أمير المؤمنين بالقصة من أولها الى آخرها وما سترت منها شيأ ثم قلت أما الطعام فنلت منه بغيتي وأما الكف والمعصم ان شاء الله ثم قال يا فلانة قولي لفلانة جارية له تنزل وجعل يستدعي واحدة واحدة ويعرضها على وأنا لا أرى صاحبتي الى أن قال والله ما بقي غير أمي وأختي والله لينزلان فعجبت من كرمه وسعة صدره فقلت جعلت فداك ابدأ بالاخت فقال حبا وكرامة ثم نزلت أخته فأراني يدها فاذا هي التي رأيتها فقلت حسبك هذه الجارية فأمر غلمانه لوقته واستدعى عشرة مشايخ سماهم لهم ثم قام فأخرج بدرتين عشرين ألف درهم وحضرت المشايخ فقال لهم هذا سيدي ابراهيم بن المهدي يخطب مني أختي فلانة واشهدكم أني قد زوجتها له وأمهرتها له عشرة آلاف درهم فقلت له قبلت ورضيت النكاح فشهدوا علينا ثم دفع البدرة الواحدة الى أخته والاخرى فرقها على المشايخ ثم قال اعذروا فهذا ما حضر فشكروا ودعوا له وانصرفوا ثم قال يا سيدي أمهد لك بعض البيوت وتنام مع أهلك فاحتشمني ما رأيت من كرمه واستحييت أن أخلو بها في داره فقلت بل أحضر عمارية وأجهزها وأحملها الى منزلي فقال ما شئت فأحضر عمارية وحملها الى منزلي فوحقك يا أمير المؤمنين لقد حمل الي من الجهاز ما ضاقت عنه بيوتنا على سعتها فأولدتها هذا الغلام القائم بين يديك يا أمير المؤمنين فعجب المأمون من كرم هذا الرجل فقال لله دره ما سمعت قط بمثله ثم أطلق الطفيلي باجازة ابراهيم وأمر باحضار الرجل ليشاهده فأحضر بين

يديه فاستنطقه فأعجبه وصار من جملة خواصه ومحاضريه (الليلة الرابعة) حدث غمير الهلالي قال كان من فتيان بني هلال فتى يقال له بشر ابن عبد الله وكان يعرف بالاشتر وكان من سادات بني هلال أحسنهم وجها وأسخاهم كفا وكان مغرما بجارية من قومه تدعى جيدا وكانت بارعة الجمال والكمال ثم اشتهر أمره وأمرها وظهر خبرهما بين أهليهما الى أن كانت بين الفريقين ثم افترقوا وأبعدت منازلهم فقال غمير فلما طال على الاشتر الفراق وتمادى البعد جاءني فقال يا غمير هل لك من خير ثم ما عندي الا ما جبته فقال تساعدني على زيارة جيد فقد أذهب الشوق روحي فقلت نعم بالحب والكرامة فانهض بنا اذا شئت وركبت وسرنا يومنا وليلتنا والغد حتى اذا كان العشاء اخترنا احلتنا في شعب قريب من الفريق فقال يا غمير اذهب فتأنس بالناس واذكر ان لقيت أحدا أنك صاحب ضالة ولا تعرض بذكري بين شفة ولا لسان الى أن تلقى جاريتها فلانة ترعى غنمهم فأقرئها مني السلام وسلها عن الخبر وأعلمها بموضعي قال فخرجت لا أعدو الى ما أمرني به حتى لقيت الجارية وأبلغتها الرسالة وأعلمتها مكانه وسألتها عن الخبر وأعلمتها بموضعي فقالت هي والله مشدد عليها محتفظ بها ولكن مواعدكم أوائل الشجرات اللواتي عند أعقاب البيوت مع صلاة العشاء قال فانصرفت الى صاحبي فأعلمته الخبر ثم نهضت أنا وهو نقود راحلتنا حتى أتينا الى الموضع في الوقت المعهود فلم نلبث الا قليلا واذا جيد تمشي قريبا منا فوثب الاشتر فصافحها وسلم عليها وقمت أنا موليا عنهما فقالا نقسم عليك بالله الا ما رجعت فوالله ما نحن في مكروه ولا بيننا ما يستتر عنك فرجعت اليهما وجلست معهما فقال الاشتر ما فيك حيلة يا جيد نتعلل الليلة قالت لا والله ومالي الى ذلك من سبيل الا أن يرجع الذي عرفت من البلاء والشر فقال لها لابد من ذلك ولو كان ما عسى أن يكون قالت فهل في صاحبك هذا من خير قلت قولي ما بدا لك فاني انتهي الى رأيك ولو كان فيه ذهاب روحي فخلعت ثيابها وقالت البسها وأعطني ثيابك ففعلت ثم قالت اذهب الى بيتي وادخل في سربي فان زوجي سيأتيك بعد فراغه من الحلبة والقدح مملوء فيقول هاك غبوقك فلا تأخذه منه حتى تطل ذلك عليه ثم خذه أودعه حتى يضعه ويذهب فلست تراه حتى تصبح ان شاء الله تعالى قال فذهبت ففعلت ما أمرتني به حتى اذا جاء بالقدح

لم آخذه حتى نكد عليه ثم أهويت لاخذه منه وأهوى هو ليضعه فاختلفت أيدينا على الاناء فانكفأ القدح وانهرق اللبن فقال ان هذا لطماح جدا وضرب بيده الى مقدم البيت واستخرج سوطا ملويا مثل الثعبان ثم دخل فهتك الستر على ومتع السوط منى تمام عشرين سوطا ثم جاءت امه واختها فانتزعاه من يده ولا والله مافعلا ذلك حتى زال عقلى وهممت أن أجيه بالسكين وان كان فيها الموت فلما خرجوا شددت سترى وقعدت كما كنت فلم ألبث الا قليلا حتى دخلت ام جيدا فكلمتنى وهى لا تشك انى ابنتها واندفعت فى البكاء والنحيب وتغطيت بثوبى ووليتها ظهرى فقالت يابنية اتقى الله فى نفسك ولا تعرضى بمكروه زوجك فذاك أولى بك واما الاشتر فذاك آخر الدهر وخرجت من عندى وقالت سأرسل اليك أختك تؤنسك الليلة فما لبثت غير دقيقة واذا الجارية قد جاءت فجعلت تبكى وتدعو على من ضربنى وأنا لا أكلمها ثم اضطجعت الى جنبى فلما استمكنت منها شددت يدى على فيها وقلت ياهذه تلك أختك مع الاشتر وقد قطع ظهرى الليلة بسببها وأنت أولى بالستر عليها فاختارى لنفسك ولها ولئن والله تكلمت بكلمة لاصيحن أنا بجهدى حتى تكون الفضيحة شاملة لكم فلما سمعت ذلك دفعت يدى عن فيها واهتزت كما يهتز القضيب فلم أزل بها حتى انست بى فباتت والله معى أحسن رفيق رافقته ولم نزل نتحدث وتضحك منى وما انى رغم كنت منها تمكن من لو أراد زنية فعلها ولكن الله عصم فله الحمد ولم نزل كذلك حتى طلع الفجر واذا جيد قد دخلت علينا فلما رأتنا ارتاعت وقالت ويحك من هذه فقلت أختك قالت وما الخبر قلت هى تخبرك فانها والله نعم الاخت وأخذت ثيابى ومضيت الى صاحبى فركبت أنا وهو وحدثته بما أصابنى وكشفت له عن ظهرى فاذا فيه ضرب رمى الله ضاربه بالنار كل ضربة يخرج منها الدم فلما رآنى كذلك قال لقد عظم صنعك ووجب شكرك وطالت يدك فلا أحرمنى الله مكافأتك ولم يزل لى شاكرا معترفا (الليلة الخامسة) قال الواقدى كان ابراهيم بن المهدى قد ادعى الخلافة لنفسه بالرى وأقام مالكها سنة واحدى عشر شهرا واثنى عشر يوما وله أخبار كثيرة أحسنها عندى ما حكاه لى قال لما دخل المأمون الرى وطلبنى أشد الطلب وجعل لمن أتاه بى مائة ألف درهم خفت على نفسى وتحيرت فى أمرى

فخرجت من داري وقت الظهر وكان يوما صائفا وما أدري أين أتوجه فمررت على وجهي حتى وقعت في زقاق لا ينفذ فقلت انا لله وانا اليه راجعون ان عدت على أثري ارتاب بي فرأيت في صدر الزقاق عبدا أسود وهو قائم على باب دار فتقدمت اليه فقلت له أعندك موضع أقيم فيه ساعة من نهار فقال نعم وفتح الباب فدخلت الى دار نظيفة فيه حصيرة نظيفة ومخدة جلد الا انها نظيفة ثم أغلق الباب علي ومضى لسبيله فتوهمته قد جعل الجعالة في وانه خرج ايدل علي فبقيت على مثل النار قلقا فبينا انا كذلك اذ أقبل ومعه حمال عليه كلما يحتاج اليه من خبز ولحم وقدر جديد وجرة نظيفة وكيزان جدد فحط عن الحمال والتفت الي وقال جعلني الله فداك انا رجل حجام وانا أعلم انك تتقذر مني لما أتولاه من معيشتي فشأنك بما لم تقع عليه يد وكان لي حاجة الى الطعام فطبخت لنفسي قدرا ما أذكر اني أكلت مثله فلما قضيت أربي من الطعام قال لي هل لك من شراب فانه يسلي الهم ويطيب العيش ويدفع عن النفس الغم قلت ما أكره ذلك رغبة في أن أؤانسه فأتى بقطرمين جديد لم تمسه يد وجاءني بدنين من شراب مطينة وقال لي روق نفسك فروقت شرابا نهاية في الجودة وأحضر لي قدحا جديدا وفاكهة ونقلا مختلفة في طسوت فخار جدد ثم قال لي بعد ذلك اتأذن لي جعلت فداك أن أقعد ناحية عنك وآتي بنبيذ لي فأشرب منه سرورا بك فقلت له افعل فشرب وشربت ثلاثا ثم دخل الى خزانته فأخرج عودا مصلحا ثم قال يا سيدي ليس من قدري أن أسألك تغني ولكن قد وجب على مروءتك حرمتي فان أردت أن تشرف عبدك بأن تغني لنفسك فافعل فقلت ومن أين لك أني أحسن الغناء فقال متعجبا سبحان الله أشهر من ذلك أنت ابراهيم بن المهدي خليفتنا بالامس الذي جعل المأمون لمن دل عليك مائة ألف درهم فلما قال ذلك عظمت هيبته ومروءته عندي وعلمت أن مروءته أجل من المال الذي بذله في فتناولت العود فأصلحته وغنيت وقد مر بخاطري فراق أهلي وولدي

وعسى الذي أهدى ليوسف أهله * وأعزه في السجن وهو أسير
أن يستجيب لنا فيجمع شملنا * والله رب العالمين قدير

فقال يا سيدي أتجعل لي الذي تغنيه ما يقتضيه حالك فقلت نعم فقال غن لي

ان الذي عقد الذي انعقدت به * عقد المكاره فيك يحسن حلها
فاصبر فان الله يعقب راحة * ولعلها ان تنجلي ولعلها

فغنيته ولم أكن أحسن لحنه ولكني لحنته وتفاءلت به وحسن عندي ايراده فشرب وشربت وقال غن لي يا سيدي فقلت

فلا تجزع وان اعسرت يوما * فقد أيسرت في الزمن الطويل
ولا تيأس فان اليأس كفر * لعل الله يغني عن قليل
ولا تظن بربك غير خير * فان الله أولى بالجميل

وكنت أعرفه فغنيت وشربت فقال لله درك على لله يداذ آنسني بمثلك وما كنت أحسب أن الزمان يسمح لي بكونك في منزلي فان رأيت أن تغن لي فقلت

واذا تنازعني أقول لها اصبري * موت يريحك أو علو المنبر
ما قد قضى الرحمن فاصطبري له * ولك الامان من الذي لم يقدر

فغنيته وحسن في روحي اقتضاءه وآنست به واستظرفته ثم قال لي يا سيدي أتأذن لي أن اغني ما سنح وان كنت من غير أهل هذه الصناعة فقلت له زيادة في أدبك ومروءتك فأخذ العود وغنى

شكونا الى احبابنا طول ليلنا * فقالوا لنا ما أقصر الليل عندنا
وذاك لان النوم يغشى عيونهم * سريعا ولا يغشى لنا النوم أعينا
اذا ما بدا الليل المضر بذي الهوى * جزعنا وهم يستبشرون اذا دنا
فلو أنهم كانوا يلاقون مثلما * نلاقي لكانوا في المضاجع مثلنا

فوالله لقد أحسنت بالبيت قد سرني وذهب عني كلما كنت فيه من الهلع وسألته ان يغني فغنى

تعيرنا انا قليل عدادنا * فقلنا لها ان الكرام قليل
وماضرنا انا قليل وجارنا * عزيز وجار الاكثرين ذليل
وانا لقوم لا نرى القتل سبة * اذا ما راته عامر وسلول
يقرب حب الموت آجالنا لنا * وتكرهه آجالهم فتطول

فداخلني من الطرب ما لا مزيد عليه الى أن عاجلني السكر فلم أستيقظ الا بعد المغرب فعاودني فكري في نفاسة هذا الحجام وحسن أدبه وظرفه وكيف

اقتضانى من الغناء ما أراد أن يسألنى به فقمت وغسلت وجهى وأيقظته وأخذت خريطة كانت صحبتى فيها دنانير كثيرة لها قيمة فرميت بها اليه وقلت له استودعك الله فانى ماض من عندك وأسألك أن تصرف ما فى هذه الخريطة على بعض مهماتك ولك عندى المزيد ان أمنت من خوفى فأعادها الى متنكرا وقال لى يا سيدى ان الصعلوك مالاقدر له وليس عندكم من ذوى الرياسات ويظن به الظنون الرديئة عن الاخذ آخذ على ما وهبنيه الزمان من قدرك وحلولك عندى ثم انى ألححت عليه فأومى الى موس وقال والله لئن راجعتنى فيها لاقتلن نفسى فخشيت عليه وأخذت الخريطة فأعدتها الى كمى وقد اثقلنى حملها فلما انتهيت الى باب داره عولا الى المضى قال لى يا سيدى ان هذا الموضع أخفى لك وليس فى مؤنتك ثقلة فأقم عندى الى أن يفرج الله عنك فرجعت وسألته أن يكون منفقا من الخريطة فلم يفعل وكان يفعل فى كل يوم مثل ما فعله فى يوم حلولى عنده وأقمت اياما فى ألذ عيش فتبرمت من الاقامة فى منزله واحتشمت من التثقيل فتركته وقد مضى يجدد لنا حالنا فقمت وتزينت بزى النساء بالخف والنقاب فخرجت فلما صرت فى الطريق داخلنى من الخوف أمر شديد وجئت لاعبر الجسر واذا أنا بالموضع قد رش وصار زلقا فأبصرنى جندى ممن كان يخدمنى فعرفنى وقال هذه حاجة المأمون فتعلق بى فمن حلاوة الروح دفعته هو وفرسه فرميتهما فى ذلك الزلق وتبادر الناس لينقذوه فاجتهدت فى المشى حتى قطعت الجسر ودخلت زقاقا فوجدت باب دار وامرأة فى دهليزه فقلت يا سيدة النساء احقنى دمى فانى رجل خائف فقالت على الرحب وأطلعتنى الى غرفة وفرشت لى وقدمت لى طعاما وقالت يهدى روعك فما يعلم بك مخلوق عندى ولو أقمت سنة وهى معى فى ذلك واذا بالباب يدق دقا عنيفا فخرجت ففتحت الباب فاذا بصاحبى الذى دفعته على الجسر وهو مشدود الرأس ودمه يجرى على ثيابه وليس معه فرس فقالت يا هذا ما بالك فقال لها انى حديثى عجيب ظفرت بالفتى وانفلت منى ولو كنت حملته الى المأمون لتعجلت لى مائة ألف درهم قالت وما هو قال ابراهيم بن المهدى لقيته وتعلقت به فدفعنى بالفرس فأصابنى ما ترين قال فأخرجت اليه خرقا فعملتها فى جرحه وعصبته وأتته شرابا ونام عليلا وطلعت الى فقالت أظنك صاحب القصة فقلت نعم

فقالت

فقالت لا بأس عليك ثم جددت الكرامة فأقمت عندها ثلاثا ثم قالت انى خائفة عليك من هذا الرجل لئلا يطلع على أثرك فينم بك فانج بنفسك فسألتها امهالى الى الليل ففعلت فلما دخل الليل لبست زى النساء وخرجت من عندها فأتيت الى بيت مولاة كانت لى فلما رأتنى توجعت لى وبكت وحمدت الله على سلامتى وخرجت كأنها تريد السوق والاهتمام فى الضيافة وظننت خيرا فما شعرت الا باسحاق بن ابراهيم الموصلى بنفسه فى خيله ورجله والمولاة معه فسلمتنى له فرأيت الموت عيانا وحملت الى المأمون فجلس مجلسا عاما وأدخلنى اليه فلما مثلت بين يديه سلمت عليه بالخلافة فقال لا سلم الله عليك ولا رعاك ولا حياك فقلت على رسلك يا أمير المؤمنين ان أولى الثار يحكم فى القصاص والعفو أقرب للتقوى ومن تناولته أيدى الاغترار بما أمد له من اسباب الرجا لم يأمن من غائلة الدهر وقد جعلك الله فوق كل ذى عفو كما جعل كل ذنب تحت عفوك فان تأخذ فبحقك وان تعف فبفضلك ثم أنشدت

ذنبى اليك عظيم * وأنت أعظم منه
فخذ بحقك أولا * فاصفح بحلمك عنه
ان لم أكن فى فعالى * من الكرام فكنه

فرفع رأسه الى فبدرته وقلت

أذنبت ذنبا عظيما * وأنت للعفو أهل
فان عفوت فمن * وان جزيت فعدل

فرق لى المأمون واستروحت روائح الرحمة فى وجهه ثم أقبل على أخيه أبى اسحق وابنه العباس وجميع من حضر فى خاصته وقال ما تقول يا أحمد فقال يا أمير المؤمنين ان قتلته وجدنا مثلك قتل مثله وان عفوت عنه لم نجد مثلك عفا عن مثله فنكس المأمون رأسه ينكت باصبعه فى الارض ثم قال متمثلا

قومى هم قتلوا أميم أخى * فاذا رميت يصيبنى سهمى
فلئن عفوت لاعفون جللا * ولئن سطوت لاوهنن عظمى

فكشفت المقنعة عن رأسى وكبرت تكبيرة عظيمة فقلت عفا والله عنى أمير المؤمنين فقال لا بأس عليك يا عم فقلت يا أمير المؤمنين ذنبى عظيم أعظم من أن أتفوه معه بعذر وعفوك أعظم من أن أنطق معه بشكر ولكن أقول

ان الذى خلق المكارم حازها * فى صلب آدم والامام الشافعى
ملئت قلوب الناس منك مهابة * وتظل تكلؤهم بقلب خاشع
فعفوت عمن لم يكن عن مثله * عفو ولم يشفع اليك بشافع
ورحمت أطفالا كأفراخ القطا * وحنين والدة بقلب جازع
رد الحياة على بعد ذهابها * كرم الملك العادل المتواضع

فقال لى المأمون لا تثريب عليك اليوم قد عفوت عنك ورددت عليك ضياعك فقلت رددت مالى ولم تبخل على به وقبل ردك مالى قد رددت دمى

نأيت عنك وقد خولتنى نعما * هما الحياتان من موت ومن عدم
فلو بذلت دمى أبغى رضاك به * والمال حتى أسل النعل من قدم
ما كان ذلك سوى عارية رجعت * اليك لو لم تعدها كنت لم تلم
وان جحدتك ما أوليت من نعم * انى الى اللؤم أولى منك بالكرم

فقال المأمون ان من الكلام كلاما كالدر وهذا منه وأمر لابراهيم بمال وخلع عليه وقال يا ابراهيم ان ابا اسحق وابا العباس اشارا بقتلك فقلت انهما نصحا لك يا أمير المؤمنين ولكن أبيت الا ما أنت أهله ودفعت عنى ما خفت بما رجوت فقال المأمون قد مات حقدى عليك بحياة عذرك وعفوى عنك واعظم من عفوى عنك انى لم أجرعك مرارة امتنان الشافعين ثم سجد المأمون طويلا ثم رفع رأسه وقال يا ابراهيم أتدرى لم سجدت فقلت شكرا لله الذى أظفرك بعدوك وعدو دولتك فقال ما أردت هذا ولكن شكرا لله على ما ألهمنى من العفو عن مثلك فحدثنى الآن حديثك فشرحت له صورة أمرى وما جرى لى مع الحجام والجندى والمرأة والمولاة التى أسلمتنى فأمر المأمون باحضارها وهى فى دارها تنتظر الجائزة فقال لها ما حملك على ما فعلت مع انعامه عليك فقالت رغبة فى المال فقال لها هل لك من ولد أو زوج فقالت لا فأمر بضربها مائة سوط وخلدها فى السجن ثم قال أحضروا الجندى وامرأته والمزين فأحضروا فسأل الجندى عن السبب الذى حمله على ما فعل فقال لرغبة فى المال فقال المأمون أنت أولى أن تكون حجاما من أن تكون من أوليائنا ووكل به من يلزمه الجلوس فى دكان الحجام ليتعلم الحجامة واستخدم زوجته قهرمانة فى قصره وقال هذه امرأة عاقلة تصلح للمهمات ثم قال للحجام لقد ظهر من مروءتك ما يجب

معه المحافظة عليه وسلم اليه دار الجندي ودابته وخلع عليه وأثبته برزقه وزيادة ألف دينار في كل سنة ولم يزل بخير الى أن مات (الليلة السادسة) قال الامير بدر الدين يوسف المهمندار ابن الامير سيف الدين ابي المعالي ابن رماح المعروف بمهمندار العرب حكى لي الامير شجاع الدين محمد الشرزي متولي القاهرة في الايام الكاملية سنة ثلاثين وستمائة قال بينما انا عند رجل ببعض بلاد الصعيد فضيفنا واكرمنا وكان الرجل أسمر شديد السمرة وهو شيخ كبير وحضر له اولاد حسان فيهم صفاء لون فقلنا يا فلان هؤلاء اولادك بيض وأنت شديد السمرة فقال هؤلاء امهم فرنجية اخذتها في ايام الملك الناصر صلاح الدين وأنا شاب نوبة حطين فقلنا وكيف اخذتها فقال لها حديث عجيب فقلت أتحفنا به فقال زرعت كتانا في هذه البلدة وقلعته ونفضته فانصرف عليه خمسمائة دينار فلم يجب أكثر من ذلك فاشير علي بحمله الى الشأم فحملته فلم يجب أكثر من ذلك فقيل لي بعه صبرا لعله يرجع لك حق الطريق فبعت بعضه صبرا الى ستة اشهر والبعض تركته عندي واكتريت حانوتا ابيع فيه على مهل الى حين انقضاء الستة اشهر فبينما أنا ابيع وقد مرت بي امرأة فرنجية زوج بعض الخيالة ونساء الفرنج يمشون في الاسواق بلا نقاب فأتت تشتري مني كتانا فرأيت من جمالها ما أبهرني فبعتها وسامحتها ثم انصرفت وعادت الي بعد أيام فبعتها وسامحتها أكثر من الكرة الاولى فتكررت الي عندي وعلمت أني أحبها فقلت للعجوز التي معها انني قد تعلقت بحبها فكيف تحيلين لي فقالت لها ذلك فقالت تروح أرواحنا الثلاثة أنا وأنت وهو فقلت لها اذا ذهبت روحي باجتماعي بها ما هو كثير وحكت لي كلاما كثيرا جرى بينهما واتفق الحال على أن أدفع لها خمسين دينارا صورية وتجئ اليه قال فوزنت خمسين دينارا صورية وسلمتها العجوز فقالت هي الليلة وضعك ونحن الليلة عندك قال فمضيت وجهزت ما قدرت عليه من ماكول ومشروب وشمع وحلوى وكانت داري مطلة على البحر وكان الصيف ففرشت لي على سطح الدار وجاءت الفرنجية فأكلنا وشربنا وجن الليل فنمنا تحت السماء والقمر يضئ علينا والنجوم تنظر في البحر فقلت في نفسي أما تستحي من الله وأنت غريب وتحت السماء وعلى بحر وتعصي الله مع نصرانية فتستوجب عذاب النار وعذاب الدنيا اللهم اني أشهدك أني قد

عففت عن هذه النصرانية في هذه الليلة حياء منك وخوفا من عقابك ثم نمت الى الصبح فقامت في السحر وهي غضبى ومضت ومضيت الى حانوتي فجلست فيه واذا هي قد عبرت علي وهي والعجوز وهي مغضبة وكأنها القمر فهلكت وقلت في نفسي من مثل أنت حتى تترك هذه الجارية أنت الجنيد أو السرى السقطي ثم لحقت العجوز وقلت ارجعي فقالت وحق المسيح ما ترجع اليك الا بمائة دينار فقلت نعم ومضيت الى حانوتي ووزنتها وجاءت الى ثاني دفعة فلحقتني تلك الفكرة الاولى وعففت عنها وتركتها لله تعالى ثم مضت ومضيت الى موضعي ثم عبرت علي وكلمتني وكانت مستغربة وقالت وحق المسيح ما بقيت تفرح بي عندك الا بخمسمائة دينار أو تموت كمدا فارتعت لذلك وعزمت أني أغرم ثمن الكتان جميعه وأفدي نفسي فبينما أنا كذلك والمنادي ينادي معاشر المسلمين ان الهدنة التي بيننا وبينكم قد انقضت وقد أمهلنا من هنا من المسلمين الى جمعة ليقضوا أمورهم وينصرفوا الى بلادهم فانقطعت عني وأخذت أنا في تحصيل ثمن الكتان الذي لي والمصالحة على ما بقي منه وأخذت معي بضاعة حسنة وخرجت من عكا وأنا في قلبي من الفرنجية ما فيه فوصلت الى دمشق وبعت البضاعة التي لي بأوفى ثمن لانقطاع وصولها بسبب فراغ الهدنة ومن الله سبحانه وتعالى علي بكسب جيد وأخذت اتجر في الجواري عسى أن يذهب ما بقلبي من الفرنجية ولازمت التجارة فيهن فمضى علي ثلاث سنين وجرى للسلطان الملك الناصر ما جرى من وقعة حطين وأخذه جميع الملوك وفتحه بلاد الساحل باذن الله تعالى فطلب مني جارية للملك الناصر وكان عندي جارية حسنة فاشتريت له بمائة دينار فاوصلوا الى تسعين دينارا وبقيت عشرة دنانير فلم يجدوها في الخزانة ذلك اليوم لانه أنفق الاموال جميعها فشاوروه على ذلك فقال امضوا به الى الخزانة التي فيها السبي من نساء الفرنج فخيروه في واحدة منهن يأخذها بالعشرة دنانير التي له فأتيت الخزانة فنظرت اليها فعرفت الجارية الفرنجية غريمتي فقلت أعطوني هاتيك فأخذتها ومضيت الى خيمتي وقلت لها أتعرفينني قالت لا فقلت أنا صاحبك التاجر في الكتان الذي جرى له معك ما جرى وأخذت مني الذهب وقلت ما بقيت تحصل لي الا بخمسمائة دينار وقد أخذتك ملكا بعشرة دنانير فقالت مد يدك أنا أشهد أن لا اله الا الله وأن محمد

رسول الله فأسلمت وحسن اسلامها فقلت والله لا وصلت اليها الا بأمر القاضي فرحت الى ابن شداد وحكيت له ماجرى فعجب وعقد لي عليها وباتت تلك الليلة فحملت ثم دخل العسكر فأتينا الى دمشق فما كان الا شهور قلائل وأتى رسول الملك يطلب الاسارى والسبايا باتفاق وقع بين الملوك فردمن كان أسيرا من الرجال والنساء ولم يبق الا امرأة الفارس التي عندي فسألوا عنها والحوا في السؤال والكشف فوشي بها أنها عندي فطلبت مني وحضرت وأنا في شدة وقد تغير لوني فقالت مابدا لك وما الذي أصابك قلت جاء رسول الملك وأخذوا الاسارى جميعهم وطلبوني فقالت لا بأس عليك أحضرني اليهم وأنا أعرف الذي أقول لهم قال فأخذتها وأحضرتها قدام السلطان الملك الناصر والرسول جالس عن يمينه فقلت هذه المرأة التي عندي فقال لها الملك والرسول تروحين الى بلادك أم الى زوجك فقد فك أسرك أنت وغيرك فقالت للسلطان انا قد أسلمت وحبلت وها بطني كما ترونه وما بقيت الفرنج تنتفع بي فقال لها الرسول يخيرها أيما أحب اليك هذا المسلم أم زوجك الفارس فلان فقالت له كما قالت للسلطان فقال الرسول لمن معه من الفرنج اسمعوا كلامها ثم قال لي الرسول خذ امرأتك وامض فوليت بها وقد أرسل الي عاجلا وقال ان أمها أرسلت لها معي وديعة وقالت ان ابنتي أسيرة وهي عريانة شعثة واشتهي أن ترسل لها هذا الجدان وتسلمه لها قال فتسلمت الجدان ومضينا الى الدار ففتحته فوجدت قماشها بعينه وقدصرته لها أمها ووجدت الصرتين الذهب الخمسين دينارا والمائة دينار كما هما بربطي لم يتغيرا وهؤلاء الاولاد منها وهي تعيش وهي التي عملت هذا الطعام (الليلة السابعة) قصة أرينب بنت اسحق زوج عبدالله بن سلام القرشي وكان عبدالله بن سلام هذا واليا لمعاوية على العراق وكانت أرينب هذه من أجل النساء وقتها وأحسنهن أدبا وأكثرهن مالا وكان يزيد بن معاوية قد سمع بجمالها وبما هي عليه من الادب وحسن الخلق والخلق ففتن بها فلما عيل صبره استراح في ذلك مع أحد خصيان معاوية وكان ذلك الخصي خاصا بمعاوية اسمه رفيف فذكر ذلك رفيف لمعاوية وذكر شغفه بها وأنه ضاق ذرعه بأمرها فبعث معاوية الى يزيد فاستفسره عن أمره فبعث له شأنه فقال له معاوية مهلا يا يزيد قال له على م تأمرني بالمهل وقد انقطع منها الامل قال له معاوية فأين

جمالك ومروءتك فقال له يزيد قد عيل الحجا ونفد الصبر ولو كان أحد ينتفع به من الهوى لكان أولى الناس بالصبر عليه داود حين ابتلى به قال له اكتم يا بنى أمرك فان البوح به غير نافعك والله بالغ أمره فيك ولا بد مما هو كائن وكانت أريب بنت اسحق مثلا فى أهل زمانها جمالها وتمام كمالها وشرفها وكثرة مالها فأخذ معاوية فى الحيلة حتى يبلغ يزيد رضاه فيها فكتب معاوية الى عبد الله ابن سلام وكان استعمله على العراق ان أقبل حين تنظر كتابى لأمر فيه حظك ان شاء الله تعالى ولا تتأخر عنه وأجد السير وكان عند معاوية يومئذ بالشام أبو هريرة وأبو الدرداء صاحبا رسول الله صلى الله عليه وسلم فلما قدم عليه عبد الله ابن سلام الشام أمر معاوية أن ينزل منزلا قد هيأ وأعد فيه نزله ثم قال لابى هريرة وابى الدرداء ان الله قد قسم بين عباده نعما أوجب عليهم شكرها وحتم عليهم حفظها فحبانى منها عز وجل بأتم الشرف وأفضل الذكر وأوسع على رزقه وجعلنى راعى خلقه وأمينه على بلاده والحاكم فى أمر عباده ليبلونى أأشكر أم أكفر وأول ما ينبغى للمرء أن يتفقده وينظر فيه من استرعاه الله أمره ومن لا غنا به عنه وقد بلغت لى ابنة أريد أنا كحها وأنظر فى تخيير من يباعلها لعل من يكون بعدى يقتدى بى فى هديى ويتبع فيه أثرى فانه قد يلى هذا الملك بعدى من يغلب عليه زهو الشيطان ويزينه الى تعضيل بناتهم ولا يرون لهن كفؤا ولا نظيرا وقد رضيت لها عبد الله بن سلام القرشى لدينه وشرفه وفضله ومروءته وأدبه فقال أبو هريرة وأبو الدرداء ان أولى الناس برعاية نعم الله وشكرها وطلب مرضاته فيما خصه منها لانت أنت صاحب رسول الله وكاتبه وصهره وقال معاوية فاذكرا ذلك عنى وقد كنت جعلت لها فى نفسها شورى غير أنى لارجو أن لا تخرج من رأى ان شاء الله تعالى فخرجا من عنده متوجهين الى منزل عبد الله بن سلام بالذى قال لهما معاوية ثم دخل معاوية على ابنته فقال لها اذا دخل عليك أبو الدرداء وأبو هريرة فعرضا عليك أمر عبد الله بن سلام وانكاحى اياك منه وحرصى على المسارعة الى هواى وقولى لهما عبد الله بن سلام كفؤ كريم وقريب حميم غير أن تحته أريب بنت اسحق وأنا خائفة أن يعرض لى من الغيرة ما يعرض للنساء فأنال منه ما يسخط الله فيه فيعذبنى عليه ولست بفاعلة حتى يفارقها فلما ذكر ذلك أبو هريرة وأبو الدرداء لعبد الله بن سلام وأعلماه

بالذى أمرهما معاوية فردهما الى معاوية خاطبين منه فقال قد تعلمان رضاى به وحرصى عليه وقد كنت أعلمتكما الذى جعلت لها فى نفسها من الشورى فادخلا عليها وأعرضا الذى رأيت لها عليها فقد خلا عليها وأعلماها ذلك وأعلماها بالذى ارتضاه أبوها فقالت كالذى قال أبوها فأعلما عبد الله ابن سلام بذلك فلما ظن انه لا يمنعها منه الا افتراق أريب أنشدهما على طلاقها وبعث بهما اليها خاطبين وأعلما معاوية الذى كان من فراق عبد الله بن سلام امرأته طالبا رضاها فأظهر معاوية كراهيته لفعله وقال لهما ما أستحسن له طلاق امرأته ولا أحببته فانصرفا فى عافية ثم عودا الينا فيها وتأخذان شاء الله رضاها وكتب الى يزيد ابنه يعلمه بما كان من طلاق عبد الله بن سلام لاريب بنت اسحق فلما عاد أبو هريرة وأبو الدرداء الى معاوية أمرهما بالدخول على ابنته وسؤالها عن رضاها تبريا من الامر ونظرا فى القدر ويقول لم يكن لى أن أكرهها وقد جعلت لها الشورى فى نفسها فدخلا وأعلماها بطلاق عبد الله امرأته ليسراها وذكرا من فضله وتمام مروءته وكريم محمدته فقالت جف القلم بما هو كائن وانه فى قريش لرفيع القدر وقد تعرفان ان التزويج جده جد وهزله جد والاناءة فى الامور من لا يخاف فيها من المحذور فان الامور اذا جاءت خلاف الهوى بعد التأنى فيها كان المرء فيها بحسن العذر خليقا وبالصبر عليها حقيقا وانى سائلة عنه حتى أعرف دخيلة خبره ويصح لى بالذى أريد علمه من أمره وان كنت أعلم أن لا اختيار لاحد فيما هو كائن ومعلمتكما بالذى يريه الله فى أمره ولا قوة الا بالله قالا وفقك الله وخار لك ثم انصرفا عنها فلما أعلماه بقولها أنشأ يقول فان يك صدره هذا اليوم ولى فان غدا لناظره قريب وتحدث الناس بالذى جرى من طلاق عبد الله بن سلام امرأته وخطبته ابنة معاوية وقالوا لم يطلق حتى فرغ من طلبه له الذى كان من بغيته واستحث عبد الله أبا هريرة وأبا الدرداء فأتياها فقالا لها اصنعى ما أنت صانعته واستخيرى الله فانه يهدى من استهداه قالت أرجو والحمد لله أن يكون الله قد خار فانه لا يكل الى غيره من توكل عليه وقد اختبرت أمره وسألت عنه فوجدته غير ملائم ولا موافق لما أريد لنفسى مع اختلاف من استشرته فيه فمنهم الناهى عنه والآمر به واختلافهم أول ما كرهت فلما أبلغاه كلامها علم أنه مخدوع فان المرء وان كمل له حلمه واجتمع

له عقله واستبدرأيه ليس يدافع عن نفسه قدرا برأي ولا كيد ولعل ما أسروا به واستعلوا به لا يدوم لهم سروره ولا يصرف عنهم محذوره قال وذاع أمره وفشا في الناس وقالوا خدعه معاوية حتى طلق امرأته وانما أرادها لابنه بئس ماصنع فلما بلغ ذلك معاوية قال لعمري ما خدعته فلما انقضت اقراءها وجه معاوية أبا الدرداء الى العراق خاطبا لها على ابنه يزيد فخرج حتى قدمها وبها يومئذ الحسين بن علي بن أبي طالب رضي الله عنهما فقال أبو الدرداء اذ قدم العراق ما ينبغي لذي نهى أن يبدأ بشئ و يؤثره على مهم أموره قبل زيارة الحسين سيد شباب أهل الجنة فاذا دخلت موضعاه وفيه وأديت حقه والسلام عليه انقلبت الى ما جئت اليه فقصد الحسين فلما رآه الحسين عليه السلام قام اليه وصافحه اجلالا لصحبته من جده صلى الله عليه وسلم ولموضعه من الاسلام وقال له ما أتى بك يا أبا الدرداء قال وجهني معاوية خاطبا على ابنه يزيد أرينب بنت اسحاق فرأيت على حقا أن لا أبدأ بشئ قبل السلام عليك فشكر له الحسين ذلك وأثنى عليه وقال لقد كنت ذكرت نكاحها وأردت الارسال اليها اذا انقضت اقراؤها فلم يمنعني من ذلك الا تخير مثلك فقد أتى الله بك فاخطب رحمك الله على وعليه لتعطي من اختاره الله لها وهي أمانة في عنقك حتى تؤديها اليها وأعطها من المهر مثل ما بذل لها معاوية عن ابنه فقال أفعل ان شاء الله فلما دخل عليها قال أيتها المرأة ان الله خلق الامور بقدرته وكونها بعزته فجعل لكل أمر قدرا ولكل قدر سببا فليس لاحد عن قدر الله مستخلص ولا للخروج عن علمه مستناص فكان ما سبق لك وقدر عليك من فراق عبد الله بن سلام اياك ولعل ذلك لا يضرك و يجعل الله فيك خيرا كثيرا وقد خطبك أمير هذه الامة وابن ملكها و ولي عهده والخليفة من بعده يزيد بن معاوية والحسين ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم وابن أول من آمن به من أمته وسيد شباب أهل الجنة يوم القيامة وقد بلغك سناهما وفضلهما جئتك خاطبا عليهما فاختاري أيهما شئت فسكتت طويلا ثم قالت يا أبا الدرداء لو كان هذا الامر جاءني وأنت غائب لاشخصت فيه الرسل اليك واتبعت فيه رأيك ولم اقتطعه دونك فاما اذا كنت أنت المرسل فيه فقد فوضت أمري بعد الله اليك

وجعلته في يديك فاختر لي ارضاهما لك والله شاهد عليك فاقض في قصدي بالتحري ولا يصدنك عن ذلك اتباع هوى فليس أمرهما عليك خفيا ولا انت عما طوقتك غبيا قال أبو الدرداء أيتها المرأة انما علي اعلامك وعليك الاختيار لنفسك فقالت عفا الله عنك انما أنا بنت أخيك ومن لا غنا لها عنك ولا يمنعك رهبة أحد من قول الحق فيما طوقتك فقد وجب عليك أداء الامانة فيما حملتك والله خير من روعي وخيف انه بنا خبير لطيف فلما لم يجد بدا من القول والاستشارة قال يا بنية ابن بنت رسول الله صلى الله عليه وسلم أحب الي لك وأرضى عندي والله أعلم بخيرهما لك وقد رأيت رسول الله صلى الله عليه وسلم واضعا شفتيه على شفتي الحسين فضعي شفتيك حيث وضع رسول الله صلى الله عليه وسلم شفتيه قالت قد اخترته ورضيته فتزوجها الحسين بن علي عليهما السلام فساق لها مهرا عظيما وبلغ معاوية الذي كان من فعل أبي الدرداء في ذلك نكاح الحسين اياها فتعاظمه جدا ولامه شديدا وقال من يرسل ذا بله وعمى يركب خلاف ما يهوى وكان عبد الله بن سلام قد استودعها قبل فراقه اياها بدرات مملوءة ذهبا وكان ذلك أعظم ماله لديه وأحبه اليه وقد كان معاوية أطرحه وقطع عنه جميع رواتبه عنده لسوء قوله وتهمته انه خدعه فلم يزل يجفوه حتى عيل صبره وقل ما في يده ولام نفسه على المقام لديه فرجع الى العراق وهو يذكر ماله الذي استودعه اياها ولا يدري كيف يصنع فيه واين يصل اليه وهو يتوقع جحودها لسوء فعله بها ولانه طلقها على غير شيء أنكره عليها فلما قدم العراق لقي الحسين فسلم عليه ثم قال له قد عرفت ما كان من خبري وخبر أرينب وكنت قبل فراقي اياها قد استودعتها مالا عظيما وكان الذي كان ولم أقبضه ووالله ما انكرت منها في طول صحبتها فتيلا ولا أظن بها الا جميلا فذكرها أمري واحضضها على رد مالي علي فان الله يحسن عليه ذكرك ويجزل به أجرك فسكت عنه فلما انصرف الحسين الى أهله قال لها قدم عبد الله بن سلام وهو يحسن الثناء عليك ويحمل النشر عنك في حسن صحبتك وما آنسه قديما من أمانتك فسرني ذلك وأعجبني وذكر انه كان استودعك مالا فأدي اليه أمانته وردي عليه ماله فانه لم يقل الا صدقا ولم يطلب الا حقا قالت صدق استودعني مالا لا أدري ما هو وانه لمطبوع عليه بخاتمه ما حول منه شيء الى يومه وها هو ذا فادفعه اليه بطابعه فأثنى

عليها الحسين خيرا وقال الا أدخله عليك حتى تبرئي اليه منه كما دفعه اليك ثم لقي عبد الله فقال ما أنكرت مالك وزعمت أنه كما دفعته اليها بطابعك فادخل يا هذا اليها وتوف مالك منها قال عبد الله أو تأمر من يدفعه الي قال لا حتى تقبضه منها كما دفعته اليها وتبرئها منه اذا أدته اليك فلما دخل عليها قال لها الحسين هذا عبد الله بن سلام قد جاء يطلب وديعته فأديها اليه أمانته فأخرجت اليه البدر فوضعتها بين يديه وقالت هذا مالك فشكر وأثنى وخرج الحسين عنهما وفض عبد الله خواتم بدره وحثى لها من ذلك وقال خذي فهذا قليل مني فاستعبرا جميعا حتى علت أصواتهما بالبكاء أسفا على ما ابتليا به فدخل الحسين عليهما وقد رق لهما للذي سمع منهما فقال اشهد الله انها طالق ثلاثا اللهم قد تعلم أني لم أستنكحها رغبة في مالها ولا جمالها ولكني أردت احلالها لبعلها فطلقها ولم يأخذ شيأ مما ساق لها في مهرها فسألها عبد الله أن يصرف للحسين ما ساق لها فأجابته شكرا لما صنعه بهما فلم يقبله الحسين وقال الذي أرجوه من الثواب خير لي فلما انقضت اقراؤها تزوجها عبد الله بن سلام وبقيا زوجين متصافيين الى أن فرق الموت بينهما وحرمها الله يزيد بن معاوية نقلتها من تاريخ ابن بدرون

*(الباب الحادي والعشرون في الشعراء المجيدين
وهو مقدمة ونتيجة)*

أقول لابد من مقدمة ينتفع بها الطالب لهذا العلم لئلا يخلو كتابنا من ذلك الشعر قول موزون مقفى بالقصد يدل على معنى والمعنى للشعر بمنزلة المادة واللفظ بمنزلة الصورة وهو يشتمل على أربعة أشياء لفظ ومعنى ووزن وقافية وتهذيبه أن يكون اللفظ سمحا سهل المخارج حلوا عذبا وتهذيب الوزن أن يكون حسنا تقبله النفس والغريزة غير منكسر ولا متزحف وتهذيب القافية أن تكون سلسلة المخارج مألوفة فان القوافي حوافر الشعر وأن يقصد الكلام الجزل دون الرذل ولا يعمل نظما ولا نثرا عند الملل فان الكثير معه قليل والخواطر ينابيع واذا رفق بها جمت واذا عنف عليها نزحت وليترنم بالشعر وقت عمله فانه يعين عليه وقد يتخيل الشاعر الشعر الجيد فيمكنه

مرة ولا يمكنه أخرى وإياك وتعقيد المعاني واجعل المعنى الشريف في اللفظ اللطيف لئلا يتنافر أحدهما الآخر ومتى عصى الشعر فاتركه ومتى طاوعك فعاوده وروح الخاطر اذا كل واعمل في أحب المعاني اليك وفي كلما يوافقه طبعك فالنفوس تعطي على الرغبة ولا تعطي على الاكراه واعمل الابيات متفرقة على ما يجود به الخاطر ثم انظمها في الآخر وحصل المبدأ والمقطع والخروج فهو أصعب ما في القصيدة فاذا فعلته سهل عليك واشعرها أولا وهذبها أخرا فقد قيل عن زهير انه كان يعمل القصيدة في شهرين ويهذبها في حول ولذلك سمي شعره الحولي المنقح قال الخوارزمي من روى حوليات زهير واعتذارات النابغة وأهاجي الحطيئة وهاشميات الكميت ونقائض جرير وخمريات أبي نواس وتشبيهات بن المعتز وزهريات أبي العتاهية ومراثي أبي تمام ومدائح البحتري وروضيات الصنوبري ولطائف كشاجم ولم يخرج الى الشعر فلا شب الله قرنه واذا نثرت منظوما فغير قوافي شعره عن قرائن سجعه واذا سرقت معنى فغير الوزن والقافية ليخفي ذلك واذا أخذت شعرا فزد على معناه وانقص من لفظه واحترز مما يطعن به عليك فحينئذ تكون أحق من قائله به واياك لا تكاتب العامة بكلام الخاصة ولا بالعكس وأكثر من حفظ النظم والنثر فعلى قدر ما يحفظ منه يقوى فيه واعلم أن الشعر يسخي البخيل ويشجع الجبان ويفرج الهموم ويرضي الغضبان وكذلك قالوا الشعر بعد من السحر وقال النبي صلى الله عليه وسلم ان من الشعر لحكمة وان من البيان لسحرا (وقال الشافعي) في كتاب الام والشعر كلام كالكلام فحسنه كحسنه وقبيحه كقبيحه وفضله على سائر الكلام أنه سائر في الناس يبقى على الزمان فينظر فيه وان كان حسنا كان كثيره من الكلام الحسن انتهى (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي في خطبة ديوانه ويكفي من تفضيله أن النبي صلى الله عليه وسلم استنشد بعض الصحابة من شعر أمية فأنشده مائة قافية وكانت الصديقة تحفظ للبيد ألف بيت وافية وكان الشعبي يقول لو شئت أن املي عليكم من انشادي شعر الأعيد بينا لفعلت وكان الاصمعي يحفظ اثني عشر الف ارجوزة ومازال السلف يحفظون الشعر قديما ويتخذونه في الخلوات نديما وينشدونه في مواطن المؤانسه ويوردون دقائقه في ساعات المجالسة ولو أوردنا ما ورد في فضله من الآثار المسندة والاخبار

المهملة توقف الناظر منها على حجج قوية ومحجة ضوية ولقد كان جماعة من العلماء الراسخين والائمة الورعين لهم فى صناعة الشعر الغاية وانتهوا فى الاجادة فيه الى النهاية يعرف ذلك من وقف على تراجمهم واحصاها وطالع أخبارهم واستقصاها (وحديث) أحثوا فى وجوه المداحين التراب فالمراد به الغلو والاطراء واستقباح المدح المفرط كلاما وشعرا ونظما ونثرا ولا يختص ذلك بالشعر وحده لما يخشى من افتتان سامعه عنده (وقال أبو بكر الهذلى) قال لى الشعبى أتحب الشعر قلت نعم قال انما تحبه فحول الرجال ويكرهه مؤنثوهم ثم ان الناظمين لارواح الالية أفراد والظافرين بفرائده ذو وانفراد والسالكين للناهج الفاضلية أضمرتهم البلاد والمقتفين لمنار السراج والمتحلين بحلية الجمال قلت منهم الاعداد والمؤلفين لعقودها المتواتر مدحها أجادوا بها الذعانه اغماد وجهال ملئهم بالاشعار اشعار راموا الوصول الى معانيه اللطيفة بطباع كثيفة وحاولوا أسبابه الخفيفة بنفوس ثقيلة وأسبابه الثقيلة بعقول خفيفة لا يظفر أحدهم بأبيات أوتاده وان كان فى عتو ذوى الاوتاد ولا يتجملون من ملابسه بما يسترهم وان تعصبوا أو تقبوا فى البلاد ولا يجيبون من ألفاظهم البائسة الا بما يقال لهم اذا قطعوه جابوا الصخر بالواد فيقال لجيدهم اذا أتى بلفظ وزنه وأخلاه من المعانى الحسنة اذا كنت لا تدرى سوى الوزن وحده فقل أنا وزان وما أنا شاعر ثم ان منهم من يظفر بمعنى ولكن يقلبه تركيبا ويركبه مقلوبا ويأتى بجمل غير مفيدة وقد قلت فى ذلك من قصيدة

وشاعر بالمعانى لاشعور له * مركب الجهل يبدى سوء تركيب
موكل بمعانيه يحرسها * فما ركب معنى غير مقلوب

فما أولاه بأن يركب على نفسه مقلوبا ويضرب بأذنه على سوء الادب تأديبا انتهى كلام القاضى برهان الدين (وقال) الشيخ الامام العالم المفتن النحوى العروضى القاضى زين الدين عمر بن الوردى فى خطبة الكلام على مائة غلام ولعمرى ما أنصفنى من ساء بى الظن أو قال عنى كيف رضى مع درجة العلم والفتوى بهذا الفن فالصحابة كانوا ينظمون وينثرون ونعوذ بالله من قوم لا يشعرون (وقال أبو بكر الخوارزمى) فى مدحهم ما ظنك بقوم الاقتصاد محمود

الامنهم والكذب مذموم الافيهم اذا ذموا أبذئوا واذا مدحوا سلبوا واذا رضوا رفعوا الوضيع واذا غضبوا وضعوا الرفيع واذا أقروا على أنفسهم بالكبائر لم يلزمهم حد ولم تمتد اليهم يد غنيهم لا يصادر وفقيرهم لا يحقر وشيخهم يوقر وشابهم لا يستصغر وسهامهم تنفذ فى الاعراض اذا نبت سهامهم عند الاعراض وشهادتهم مقبولة وان لم ينطق بها سجل ولم يشهد عليها عدل سرقتهم مغفورة وان جاوزت ربع دينار وبلغت ألف قنطار ان باعوا المغشوش لم يرد عليهم وان صادروا الصديق لم يستوحش منهم بل ماظنك بقوم اسمهم ناطق بالفضل واسم صناعتهم مشتق من العقل هم أمراء الكلام يقصرون طويله ويقصرون مديده ويخففون ثقيله (وقال الحسن ابن سهل) لا تكسد صناعة الشعر الا فى شر زمان وأخس سلطان (ومن حيلهم) اللطيفة ماذكره أبو الفتح كشاجم فى كتابه المصائد والمطارد وهو ان بعض الملوك كان كثير الاشتغال بالصيد منهمكا فيه وكان بعض الشعراء قصده فتعذر ما امله وحال بينه وبينه الحجاب لكثرة الفه بالصيد فعمد الشاعر الى رقاع لطاف وكتب فيها ماقاله من الشعر فى مدحه وصاد عندهم من الظبا والارانب والثعالب وشد تلك الرقاع فى أذناب بعضها وآذان بعض وراعى خروجه الى الصيد فلما خرج كمن له فى مظانه ثم أطلقها فلما ظفر بها ورأى تلك الرقاع استبشر وزاد فى استظراف الرجل واستلطفه وزاد فى رعى ذمامه وأمر بطلبه فأحضر ونال منه خيرا كثيرا (وقريب) منها أن رجلا سأل فخر الملك وزير بنى بويه حاجة وأمله فلم يعطه شيأ فمضى الرجل الى القاضى واستدعى على بن نباتة الشاعر فلما جاءه الرسول قال والله ما لاحد على دين ولا بينى وبين أحد معاملة ولا محاكمة فمن خصمى أحضره حتى أرضيه فلما جاء الرجل قال ما حقك حتى أوفيك قال له أنت قلت فى شعرك حيث مدحت فخر الملك بقولك

لكل فتى قرين حين يسمو * وفخر الملك ليس له قرين
أنخ بجنابه وانزل عليه * على حكم الرجا وأنا الضمين

فأنت قد ضمنت لى ونزلت عليه فلم يفعل والضمين غارم فما أعطانى شيأ فقال أمهلنى حتى أصل اليه فلما دخل على فخر الملك أخبره بالقصة فقال له وكم أملت

منه فقال مائة دينار فقال ادفعوها اليه ثم قال لابن نباتة اذا مدحتني فلا تضمن هني (توفي ابن نباتة المذكور سنة خمس وأربعمائة ومولده سنة سبع وعشرين وثلثمائة) وقال نفر الترك أيضمر الجنوي يمدح السلطان الملك الصالح أيوب بن السلطان الملك الكامل محمد بن الملك العادل تغمدهم الله برحمته ويذكر بنيانه للجزيرة المسماة بالروضة وجلوسه بالمقياس وأولها

الروض مقتبل الشبيبة مونق * خضل يكاد عصارة يتدفق

وقد ذكرت اوائلها في باب الروضات والبساتين ثم ذكرت منها الخمريات الى مبتداهذه الابيات

ايه مدعى لانفصال قصيدة * يوم الرهان ولامحولك ضيق
هذا مقام الملك حيث تقول ما * تهوى وتطيب كيف شئت فتصدق
في حيث لاشرف الصفات بعوزه * فيه ولاباب المدائح مغلق
ملك يلوذ الدين منه بمعقل * أسس سطاه سورة والخندق
لوان سر الملك فيه مخنف * قامت شمائله عليه تنطق
هدأت بسيرته الرعية واغتدى * قلب الحسود من المهابة يخفق
فالدين بعد تفرق متجمع * والكفر بعد تجمع متفرق
الصالح الملك الذي آياته * عقدت به جيد الزمان مطوق
عرق الرعية بن دولته التي * فيهم تأكد عهدها والموثق
جمت كما اقترح الرجاء الى الغنى * امنا فقد رزقوا الذي لم يرزقوا
فالله تحمد ثم أيوب الذي * أمن الغنى به واثرى المملق
تظل بهم عداته بسنانه * عشقا وقد أرمح مايعشق
فيضمه ضم الحبيب فلو بها * يوم الوغى وهو العدو الازرق
أيات ملكك معجزات كلها * ومدى اهتمامك غاية لايلحق
شيدت أبنية تركت حديثها * مثلا يغرب ذكره ويشرق
من كل شاهقة تظل نجومها * من هول مطلعها الكواكب تسهق
لبس الرخام ملونا فكأنه * روض يفوقه الربيع المغدق
واختال في الذهب الصقيل شعوفه * فكأنه شفق الاصيل المشرق
ياحسنها والنيل مكتنف بها * كالسطر مشتمل عليه مهرق

فكأنما طرف اليه ناظر * وكأنه جفن عليه مطبق
وافاه مصطفقا عليه موجه * فكأنما هو للسرور مصفق
وتجاذبت أيدى الرياح رداءه * عنه فظل رداؤه يتمزق
وسرى النسيم وراهن برفقه * فرقى الذى عذب الرياح يمزق
تلك المنازل لا حديث بقترى * مما سمعت ولا العراق وجلق
لله يوم كان فضلك باهرا * فيه ومنك جماله والرونق
يوم تحلى الدهر منه برونق * لما غدا المقياس وهو مخلق
هو ثالث العيدين الا انه * للهوايس على العبادة يطلق
جمعت لمشهده خلائق غادرت * فيه رحيب البر وهو مضيق
وعلا عباب البحر من سباحه * أمم يغص بها الفضاء و يشرق
كادت تبين لهم على صفحاته * طرق ولكن يعيقون وترتق
لم يعش مركوب بهم فنفوسهم * حشوا الخاك كما تحث الانيق
خفت جسومهم لفرط صبابة * هزت اليك فما خشوا ان يغرقوا
وفدوا اليك موجهين بأخمنا * تعطى وأ كثر سؤلهم ان يرمقوا
متجردين عن المخيط لانهم * حجاج بيتك غير أن لم يحلقوا
طافوا به سبعا على وجناتهم * سعيا وأرخى ستره فتعلقوا
والناس شاخصة اليك عيونهم * كل يحدد طرفه و يحدق
طمحت نفوسهم اليك فلم يكن * صدر يقربه فؤاد شيق
متطلعين كما تطلع صائم * ليرى هلال العيد ليلة يرمق
حتى اذا قضيت مناسك كعبة المقياس وهى لكم عوائد سبق
وشكرت ربك فى الزيادة طامعا * ولشاكر النعماء المزيد محقق
ومددت للتخليق أكرم راحة * أضحى الخلوق بطيبها يتخلق
أقبلت تنظرك العيون فتنثنى * حسرى وبلحظك القلوب فتطرق
تمشى الهوينا قد علتك سكينة * كادت قلوب القوم منها تصفق
متتوجا تاج الجلالة لابسا * حلل الوقار وأنت فيها أليق
وقد امتطى بعنى يديك مهندا * غصنا بروق النصر منه يبرق
حتى انتهيت الى مقر كرامة * بالنيرات مزخرف ومنمق

فقلت حيث جلست منه بزينة * شرفا وطاف بك الملوك وأحدقوا
كل يغض من المهابة طرفه * فتراه وهو لغير فكر مطرق
والنيل مضطرب الغوارب مزبد * صب اليك فؤاده متشوق
لو يستطيع سعى فقبل راحة * هو في السماح بخلقها يتخلق
فرأيت منك ومنه بحرى رحمة * يتبارزان كلاهما يتدفق
أطعمتهم لما سقى فعليكما * رزق العباد كلا كما يسترزق
لكن بينكما على ما فيكما * من نسبة في الجود فرقا يفرق
تحصى الاصابع جوده بحسابها * لكن حساب يداك ليس يحقق
ويفيض ذا في كل عام مرة * وبحار جودك كل حين يدفق
ويغيض ذا قوما وجودك يستوى * فيه الانام مغرب ومشرق
ونداك لامنّ يكدره وذا * عن فهو لاجل ذاك مريق
لما غدا المقياس مقسم راحة * يحيى الرعية فيضها المتدفق
أكبرت أن تعلو الملابس عطفه * فكسوته أنوار شمس تشرق
انسانه خلقا جديدا ما رأى * راءله شبها ولا هو مخلق
حرم الخلافة حله من ربه * ملك بعقلته الخلائق ترمق
ذو معنيين فللتمنع معقل * صعب المرام وللتمتع جوسق
أخذ الوقار عن المشيب وربه * لكن عليه للشبيبة رونق
أيوان كسرى حيث شئت رأيته * منه وأدنى ماهناك خورنق
حصن تمرد صنعه لامارد * وعلا فعز مثاله لا الابلق
دعت به هوج الرياح فاجرت * في كرة الا بقلب يخفق
وكأنما هو في النجوم ملجج * وكأنما هو في النجوم معلق
هذا الذى أعيى الملوك وجوده * من بعدما حاموا عليه وحلقوا
أدركت بالتمكين مالم يدركوا * ورزقت بالتوفيق مالم يرزقوا
فانقض وواترهم فالقضاء مسدد * والسعد مكتنف وأنت موفق

(قال) شرف الدين أبو الطيب أحمد بن محمد بن أبي الوفا الموصلي الشهير بابن الحلاوى (مولده سنة ثلاث وستمائة ووفاته سنة ست وخمسين وستمائة) يهنئ الملك الرحيم صاحب الموصل بدار بناها

يا دارنال العلا والجد يأتيك * حاشاك مما تمنيه أعاديك
عدنا اليك على رغم العداة فكم * بتنا نحث الاغانى فى مغانيك
وكم جلونا عروس الراح مشرقة * وكم خلونا بمن نختاره فيك
أصبحت بالعين للذات منزلة * فكل عين لمن عاداك تفديك

(قال) الشيخ جمال الدين محمد بن نباتة يهنى ببناء دار

ودار علت قدرا على الدور مثلما * علا ربها بالمكرمات على الورى
مطابقة الاوصاف أما نسيمها * فصح وأما ماؤها فتكسرا
تكرر فيها النبت دهنا وروضة * فلله ما أحلا نباتا مكررا
وشيدها رب الفضائل والندى * فيا حبذا دار القرا آه والقرا
تذكره دار النعيم بطيبها * فيسعى لجنات النعيم كما ترى
لقد زادها فى الحسن يوسف فاغتدت * تباع بمرآها القلوب وتشترا

(والمليح) فى هذا المعنى قول أشجع السلمى

قصر عليه تحية وسلام * خلعت عليه جمالها الايام
أجرى الامام عليه نهرا منعما * أعطى القياد وما عليه زمام

(ومنها) فى المديح وأجاد

وعلى عدوك يا ابن عم محمد * رصدان ضوء الصبح والاظلام
فاذا تنبه رعته واذا غفا * سلت عليه سيوفك الاحلام

(قلت) الشئ بالشئ يذكر وما أحسن ما ضمن هذه الابيات الشيخ برهان الدين القيراطى رحمة الله عليه وقال

ومشرف ان زاد تشريفا * فقد خلعت عليه جمالها الايام
هو جامع للحسن الا أنه * قصر عليه تحية وسلام
وعلى العدى من نقشه وطروسه * رصدان ضوء الصبح والاظلام

(وقال) على بن الجهم رحمة الله عليه

وفيه ملك كأن النجو * م يفضى اليها بأسرارها
تخر الملوك لها سجدا * اذا ما تجلت لابصارها
وفوارة نارها فى السماء * فليست تقصر عن نارها
ترد على المزن ما أنزلت * على الارض من صوب أمطارها

(ونقلت) من كتاب رفع الحجب المنشوره على محاسن المقصوره من الجزء الاول تأليف العلامة قاضي الجماعه بحضرة غرناطه الشريف المرحوم والخطيب بها أبو القاسم محمد بن أحمد بن محمد الحسيني رحمه الله تعالى وهذا التأليف من العجائب المخترعه ألفه شرحا المقصورة الامام الاوحد أبي الحسن حازم بن محمد بن حسين بن حازم الانصاري القرطاجني تغمده الله بالرحمة (قلت) ذكر العلامة لسان الدين محمد بن الخطيب في تاريخه المسمى بالاحاطة ان مولد الشريف الحسيني سنة سبع وتسعين وستمائة ووفاته سنة ستين وسبعمائة قال الشارح ويتعلق بذكر المسالة ما ذكره أبو عبد الله بكر بن عباس كاتب المنصور أبي يوسف يعقوب قال كان لابي بكر بن مجبر عادة على المنصور في كل سنة فصادف المنصور في احدى وفادات فراغه من احداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتنخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور ومن الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوها اياها في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجربته على الخير فيما جدد من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشده قصيدته التي أولها

أعلمتني ألقي عصا التسيار * في بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها

طورا تكون بمن حوته محيطة * وكأنها سور من الاسوار
وتكون طورا عنهم مخبوءة * فكأنها سر من الاسرار
وكأنها علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * في قومه قامت الى الزوار
تبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات بالاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها (ومن لطيف) بداية الشعر بحضرة ملوكهم ما ذكره القاضي شهاب الدين بن فضل الله في كتابه مسالك الابصار في ترجمة مجير الدين بن تميم (حكى) ان الملك المنصور استدعاه في ليلة غفل رقيبها وحضر زبيبها وسحبت من سود الذوائب ظفائرها وسجنت من بيض الايام ضرائرها الى مجلس مزخرف وفواكه لم تخرق وامامه جدول قد نوماه

فتكـ

فتكسر وأنّ عليه كل بارق وتحمر والكؤس دائره والشموس فى أيدى البدو سائره فلما رأى الجدول وقد أصابته من العين نظرة فتعثر وسقط عقد لؤلؤه وتنثر نظر اليه وقال رحمة الله عليه

يا حسنه من جدول متدفق * يلهى برونق حسنه من أبصرا
مازالت أبذره عيونا حوله * خوفا عليه ان يصاب فيعثرا
فأتا وزاد تماديا فى جريه * حتى هوى من شاهق فتكسرا

فسر المنصور بأبياته وأحب استطلاع خباياته وأمره بالجلوس اليه وجعله أرفع القوم لديه ولم يستقر به المكان ولا قعد ولا استكان حتى تحرك المجلس لغلام ورد كأنما يبسم عن برد فقال له المنصور بصوت يخفيه ما تقول فيه فقال

بأبى أهيف تبدى وحيى * بابتسام عدمت منه اصطبارى
فأرانى بوجهه وثنايا * نجوما طلعن وسط النهار

فقال له سرا وقد أسفر وجهه وتسرا الا انه شديد النفار من المدام وله قرع بالملام فهل تقدر على استمالته وتسهيل بأسه واستمالته فما قطع المقال حتى التفت اليه بن تميم وقال

أتهجرها صرفا لاجل خمارها * وذلك شئ لو جرى غير ضائر
فلا تخش من داء الخمارى وعاطها * هنيئا مريأ غير داء مخامر

(فكاد) الغلام يسطو عليه كالعائب وقال له كالعابث ماهذه فقال

صفراء لولاحت لشمس الضحى * من قبل أن تطلع لم تطلع
أحسن مافى وصفها أنها * لم تجتمع والهم فى موضع

فقال بل أشرب خيرا منها وأدع المنهى عنها ثم انه أتى بركة فعب من مائها وأرى وجهه خيال قمره فى سمائها فقال

أفدى الذى أهوى بفيه شاربا * من بركة طابت وراقت مشرعا
أبدت لعينى وجهه وخياله * فأرتنى القمرين فى وقت معا

ثم لم يزل به حتى شرب ولذ معه ليلة وطرب فلما طلع ابن ذكا وأنار الصبح وأضاء شكر له المنصور حل عقدة الغلام وقال مثلك من سحر بالكلام ثم أحسن له الجائزه وغدا ابن تميم ويده لها حائزه (وحكى) عنه أنه استدعاه فى صبيحة يوم أبيض

ونوبات باسمينه على الارض تنغض والثلج قدنثر كافوره والجليد قد كسر بلوره والسحائب قد أصبحت ذيولها مجروره والبرق قد تلون طول ليلته حتى أخرجها من صورة الى صوره وأوانى الزجاج قد شقت من وراء مدامها والدنان قد فك عنها ختام قدامها ورجال الراح قد زادت فى اقدامها والساقى بعذار كأنما كتب بالريحان أو نسج بالزمرد نبت ألحان وتحت عذاره خيلان قد خبأت مسكها فزاد تضوعا وكثر طيبه تنوعا قد تأرج نشرها وفاح وعلم بنقطها فى خده أنه قديم وصف التفاح فلما دخل عليه فى بكرة ذلك اليوم الاغر ورأى الدنيا ضاحكة تفتر أنشده

يا أيها الملك الذى بسطت له * بالجود كف دهرها لم تقبض
دنياك مذ وعدت بأنك لم تزل * فى نعمة وسعادة لا تنقضى
كأن الدليل على وفاها أنها * أضحت تقابلنا بوجه أبيض

فأجزل له الصله ولم تكن عوائده بمنفصله (ذكر) ابن ظافر فى بدائع البداية ان المعتمد بن عباد كان جالسا فمر عليه بعض خطيباته فى غلالة لا يكاد يفرق بينها و بين جسمها فسكب عليها اناء ماء ورد فعجب من حسنها وجمالها فقال

وهويت سالبة النفوس عزيزة * تختال بين أسنة وبواتر

واستجاز الخلى وهو على الباب فقال

راقت محاسنها و رق أديمها * فتكاد تبصر باطنا من ظاهر
وتمايلت كالغصن فى ورق الندى * يلتف فى ورق الشباب الناضر
تبدى بماء الورد عنبر شعرها * كالطل يسقط من جناح الطائر
تزهى برونقها وحسن حديثها * زهو المؤيد بالثناء العاطر

فلما قرأه استحسنها وقال له أو كنت معنا جالسا (وقال) محاسن الشوى

وحولك من كماة الارض شوس * غلائلها الجواشن والدروع
قد اعتقلوا ذوائب كالافاعى * اذا اضطربت عواملها تروع
تلوك اللجم تحتهم جياد * سلاهب ما بها عطش وجوع
صدمت بهم فريق الترك حتى * تهدم ركن جمعهم المنيع
فكروا والصوارم تستضاه * بأيديهم فعلقها النجيع

(وقال) الصليحى الداعى رحمه الله

أنكحت بيض الهند سمر رماحهم * فرؤسهم عوض النثار نثار
وكذا العلا لا يستباح نكاحها * الا بحيث تطلق الاعمار

(وقال) ابن رشيق الازدي

لو أورقت من دم الابطال سمر قنا * لاورقت عنده سمر القنا الذبل
اذا توجه في أولى كتائبه * لم تفرق العين بين السهل والجبل
فالجيش ينفض حوليه اسنته * نفض العقاب جناحيها من البلل

(العلامة) ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب (مولده سنة ثلاثة عشر وسبعمائة وتوفي تقريبا سنة خمس وسبعين وسبعمائة)

لله موقفك الذي وثباته * وثباته مثل به يتمثل
والخيل خط والمجال صحيفة * والسمر تنقط والصوارم تشكل
والبيض قد كسرت حروف جفونها * وعوامل الاسل المثقف تعمل
لله قومك عند مشتجر القنا * اذ ثوب الداعي المهيب واقبلوا
قوم اذا لفح الهجير وجوههم * حجبوا برايات الجهاد وظللوا

وقال السيد الفاضل شمس الدين محمد بن الصاحب موفق الدين الآمدي

واذا سرى يلقى السنابك ضعف ما * يراه فوق الطروس من الجفا
مزاج كأس الراح من ماء الظبا * كما أسال من النجيع القرقفا
كأس العجاج ترى الكماة شخوصها * والبيض فوقهم حباب قد طفا
خضب النجيع لكل سيف معصما * ولكل رمح أصبعا قد طرفا

(وقال) عبد العزيز بن نباتة

وولوا علينا يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
كتبنا بأطراف القنا الظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(وقال) الشهاب محمد يمدح الاشرف خليل بن قلاون

فصبحتها بالجيش كالروض بهجة * صوارمه انهاره والقنا الزهر
وأبدعت بل كالبحر والبيض موجه * وجرد المذاكي سفن جودك الدر
وأغربت بل كالليل عوج سيوفه * أهلته والنبل أنجمه الزهر
وأخطأت لا بل كالنهار فشمسه * جيوشك والآصال راياتك الصفر

(وقال) الاسعد بن مماتي يمدح الظاهر غازي

أسكران نديم العدو غاز * وأسماء الملوك لها حلاها
كأن السمر ريشها طوال * فكم نفس بهن فدا ستقاها
اذا اكتحلت عيون من عداة * بغير حيلة وجدت عماها
وأطمع نفس أسمره وأضحى * يفتش عن نفوس ما حباها
كأنك خلتها استترت كمينا * فتطعنها لتبصر ما وراها
سل البيت المقدس عنه يخبر * بسورة فتحه لما تلاها
محا الناقوس والصلبان عنه * وأثبت هل أتى فيه وطاها

وقال التهامي رحمة الله عليه

ودحوا فويق الارض أرضا من دم * ثم أنبتوا فتنوا سماء غبار
قوم اذا لبسوا الدروع حسبتها * سحبا مزررة على أقمار
وترى سيوف الدارعين كأنها * لجج تمدبها أكف بحار
حثوا الجياد من المطى وراوحوا * بين السروج هناك والاكوار
وكأنما ملؤا عياب دروعهم * وعمود نصلهم شراب قفار

(وقال) سبط بن الجوزى لما صالح الكامل الفرنج على دمياط وعاينوا الهلاك أرسلوا اليه يطلبون الصلح والرهان ويسلمون دمياط فحرص الكامل على خلاص دمياط منهم أجابهم ولو أقاموا يومين أخذوهم برقابهم فبعث اليه الكامل ابنه الصالح أيوب وابن أخيه شمس الملوك وجاءت ملوكهم الى الكامل فالتقاهم وأنعم عليهم وضرب لهم الخيام ووصل المعظم والاشرف فى تلك الحال الى المنصورة وذلك فى ثالث رجب سنة ثمان عشرة وستمائة فجلس الكامل فى خيمة عظيمة كبيرة عالية ومد سماطا واحضر ملوك الافرنج والخيالة ووقف فى خدمته اخوته المعظم والاشرف وغيرهما وقام شرف الدين راجح الحلى وأنشد

هنيأ فان السعد راح مخلدا * وقد أنجز الرحمن بالنصر موعدا
حبانا اله الخلق فتحا بدا لنا * مبينا وانعاما وعزا مؤبدا
تهلل وجه الارض بعد قطوبه * وأصبح وجه الشرك بالظلم أسودا
ولما طغى البحر الخضم بأهله * الطغاة وأضحى بالمراكب مزبدا
أقام لهذا الدين من سل عزمه * صقيلا كما سل الحسام مجردا

فلم يبق الا كل سلو مجندل * ثوى منهم أو من تراه مقيدا
ونادى لسان الكفر فى الارض رافعا * عقيرته فى الخافقين ومنشدا
أعباد عيسى ان عيسى وحزبه * وموسى جميعا يخدمون محمدا

(وقال) الشيخ شهاب الدين أبو شامة بلغنى أنه وقت الانشاد أشار عند قوله عيسى الى المعظم وعند قوله موسى الى الاشرف وعند قوله محمدا الى الكامل وهذا من أحسن الاتفاق (وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى فى شرح لامية العجم أنشدنى من لفظه الشيخ الامام الحافظ العلامة أثير الدين أبو حيان محمد بن يوسف قال أنشدنى من لفظه لنفسه بدر الدين أبو المحاسن محمد بن يوسف المهمندار فى السلطان الملك الظاهر لما خاض الفرات

لو عاينت عيناك يوم نزالنا * والخيل تطفح فى العجاج الاكدر
وسنا الاسنة والضيا من الظبا * كشفا لاعيننا قتام العثير
وقد ازدحم الامر واحتدم الوغى * ووهى الجبان وساء ظن المجتري
لرأيت سدا من حديد مائد * فوق الفرات وفوقه نار ترى
طفرت وقد منع الفوارس ردها * تجرى ولولا خيلنا لم تشكرى
ورأيت سيل الخيل قد بلغ الربا * ومن الفوارس أبحرا فى أبحر
لما سبقنا أسهما طاشت لنا * منهم الينا بالخيول الضمر
لم يفتحوا للرمى منهم أعينا * حتى كحلن بكل لدن أسمر
فتسابقوا هربا ولكن ردهم * دون الهزيمة رمح كل غضنفر
ما كان أجرى خيلنا فى اثرهم * لولا انها برؤسهم لم تعثر
كم قد فلقنا صخرة من صرخة * ولكم ملأنا محجرا من محجر
ملأ والفضاء فعن قليل لم ندع * فوق البسيطة منهم من مخبر
سدت علينا طرقنا قتلاهم * حتى جنحنا للمكان الاوعر
من كل أشهب خاض فى بحر الدما * حتى بدا لعيوننا كالاشقر
وجرت دماؤهم على وجه الثرى * حتى جرت منها مجارى الانهر
والظاهر السلطان فى آثارهم * يذرى الرؤس بكل عضب أبتر
ذهب العجاج مع النجيع بصقله * فكأنه فى غمده لم يشهر

(وقال) الاديب الفاضل الكامل الترحال جواب الآفاق برهان الدين

ابراهيم الساحلى الشهير بالطويجن المغربى ذكره العلامة لسان الدين ابن الخطيب فى الاحاطة وأثنى عليه الثناء البالغ وذكر ان وفاته سنة سبعمائة وتسعة وثلاثين من قصيدة مطولة مدح بها أحد ملوك اليمن وأولها

خطرت كمياد القنا المتناظر * ورمت بألحاظ الغزال الاعفر
تسحبى على الخد النقاب وانما * ترخى الغمام على الصباح المسفر
فتخال فوق الروض ظل أراكة * وعلى ثرى الكافور صلة عنبر
وبملع الصدغين مطرز وجنة * زحفت عليه كتائب ابن المنذر
من أمره زحفوا بعسكر تبع * وتقلدوا بعزائم الاسكندر
الساقين الرمح من خلل الظبا * والنجم من طرف السنان الازور
والمطعمين الاسد من أمثالها * أسلاء كل مجندل ومعفر
والخالعين على الزمان ملابسا * نظمت مفاخرهم كنظم الجوهر
سلوا أسنته الضحى يوم الوغى * فيعيدها بالليل أين العثير
وجياده بالعاديات وبيضه * بالقارعات وكفه بالكوثر
قابل برعبك جيش ضدك تنثنى * واضرب بعزمك قبل سيفك تنصر
فرؤس من عاديت أغماد الظبا * ودماء من ناويت زى السمهرى
جرع عدولك فضل كأس قد سقى * منها أبوه فان أبى فليجبر
أعمد ذؤابته التى لم تستتر * وحسام مزنته التى لم تمطر
أرسل عليه عقاب عزم صادق * يستاق روح لعامه المستبشر
مزق ثياب العز عنه وحل فى * عطفيه حاشية الرداء الاحمر
هذى قواعد ملكه مدت الى * عليائك جيد اللاثذ المستنصر
صدتى يا بها وقل نصيره * فيها فطلقها طلاق المعسر
خذها اليك عقائد من شاعر * غاصت اليك بأبحر لم تسجر
مرضى العيون كليلة اجفانها * ان لم تر انسانها لم تبصر
وقف ابن أوس دونها وتخضدت * فى نسج حلتها أكف البحترى
واسحب ذيول العز فى أرض الندى * واركب ظهور الشهب يوم المفخر
واضرب رواق العز فى أرض العلى * وارفع سماك الفخر فوق المشترى

(ومنها) القاضى الفاضل تغمده الله برحمته

أهذه سير في المجد أم سور * وهذه أنجم في السعد أم غرر
وأنمل أم بحار والسيوف لها * موج وافرندها في لجها درر
وأنت في الارض أم فوق السماء ففي * يمينك البحر أم في وجهك القمر
يقبل البدر تربا أنت واطئه * فللتراب عليه ذلك الاثر
نأى به الملك حتى قيل ذا ملك * دنا به الجود حتى قيل ذا بشر
في كل يوم لنا من مجده عجب * وكل يوم لنا من ذكره سمر
نظرت في نجمه فالسعد طالعه * لا ينقضي وعلى أمواله سفر
أبو الفوارس والابطال مشفقة * وهم بنوك فما تبقي ولا تذر
يلقى عروس المنايا وهي حاسرة * وخدها فيه من فيض الدما خفر
والضرب بالبيض من آثاره عكن * والطعن بالسمر من آثاره سرر
ورب ليلة خطب قد سريت بها * وما سرى كوكب فيها ولا قمر
سمت الغويص بعزم ماله ضجر * وابعد بباع ما به قصر
وأنت في جيش رأي لا غبار له * ترمي العداة بقوس مالها وتر
هي الحروب التي لا السيف منثلم * فيها ولا الذابل العطفي منتظر
في كعبة للندى لو حلها ملك * هيب النطق حتى قيل ذا حجر
وسائل لي ما العليا فقلت له * في فعله الخبر أو في قوله الخبر
ما أنصفت مجده نظام سيرته * ان الذي سيروا فوق الذي سطروا
نال السما بأطراف القنا فبدت * من النصول عليها أنجم زهر
لا يحدث النصر في أعطافهم مرحا * حتى كأنهم بالنصر ما شعروا
أجروا دما العدا بين الرماح ضحا * يقال ما عندهم ماء ولا شجر
ترى غرائب من أفعال مجدهم * يردها الفكر لو لم يشهد النظر
خلائق في سموات العلا زهر * منها تنير وفي روض الثنا زهر
الناس أضيافكم والارض داركم * فهو المقام فلم قالوا هو السفر
ما أنصف الشكر لولا ان تسامحنا * فأنت تطنب جودا وهو يختصر

(الباب الثاني والعشرون في الحذاق المطربين)

قال افلاطون من حزن فليسمع الاصوات الطيبة فان النفس اذا حزنت

جسد نورها واذا سمعت ما يطربها ويسرها اشتعل منها ما خمد (وكان) حكماء الهند يسمعون الغناء للمريض ويزعمون أنه يخفف العلة ويقوي الطبيعة والغناء غذاء الارواح كما أن الاطعمة غذاء الاشباح (وقال) معاوية وقد سمع عنده غناء فحرك رأسه وصفق بيده ودخلته أريحية ثم لما ثاب رأيه اليه اعتذر منه ان الكريم طروب ولا خير في من لا يطرب (وقال) أبو الحسن بن مقلة يحيى من يقول الشعر تأدبا بالاكتساب ويغني تطربا بالانطباع والشيء بالشيء يذكر وما ألطف قول الشيخ برهان الدين القيراطي من قصيدة

بأبي غني ملاحة أشكو له * فقري فيصبح بالغنا يتطرب

(وكان) مروان بن أبي حفصة اذا تغدى عند الموصلي يقول له الغناء غذاء الارواح كما أن الشراب غذاء الاشباح (يقال) السماع كالروح والخمر كالجسد والسرور ولدهما (اعلم) ان بين الخمر والغناء مناسبة في أكثر الاحوال ومضارعة فيما يجمعانه من محمود الخصال لان فيه ما يصير الجبان اذا سمعه شجاعا ومنه ما يكون للهم دفاعا ونغمه يبعث الشحيح على السخاء ومقابلة سؤال السائل بالعطاء وفيه ما ليس في الخمر من الخصائص العجيبة الامر وذلك أن الرجل الواحد يغني له في طريقة فيلين خلقه ويغني له في غيرها فتظهر شراسته وترفه واذا سمع ضربا منه استفزه وإذا غني بصوت آخر لم يمكن العواصف ان تهزه وفيه ما يبكي سامعه ولممازجة الاصوات الحسنة للارواح واهدائها الى القلوب طرائف الافراح كانت البهائم اذا سمعتها تحن اليها والطير شغف بها ويطرب عليها والابل يكسبها الحداء مثل ما يكسب الانسان الغناء والخيل والبغال والحمير تلتذ بشرب الماء اذا تواصل من ساقيها الصفير والحمامة المطوقة والشحارير والبلابل والزرازير والهزاردستانات وغيرها من الطيور المستحسنة الاصوات تسمع أصواتها فيبين منها الطرب وذلك داعيها الى تكريرها ولاجل ذلك يتخذها الملوك في قصورهم ويجعل أماثل الناس كثيرا منها في دورهم وان كانت أصواتها لا تدل على معنى رائق يعلم ولا تتضمن ما يعرب عنه الكلام الذي يفهم فالطف الالفاظ التي يسمعها السامع فيعيها ويفهم ما يفيده اياه من معانيها اذا أدركها الحذق من حسن صفاء الحلق والنغمات المستحسنة ولهذه العلة صار من سمع غناء الحسن يشرب من النبيذ عليه أزيد مما يحتمله حاله اذا لم يسمع

اليه ويستمرئ الكثير منه مع سماعه وان كان يثقل عليه قليله اذا خلا من استماعه وقد علم ان الصبي الطفل اذا انزعج خلقه واتصل بكاؤه لوجع يناله أو ضجر يجده وصوتت له دادته بكلام تلحنه وتراجعه سكن قلقه أو سمع من منومته مثل ذلك زال أرقه (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلي عيش الدنيا بعد الصحة والشباب في الطلاء والغناء والنساء والآلات التي اتخذت للغناء بها واستعملت على ترتيب أمكن معه ان يظهر منها ما يظهر من الحيوان الذي يرجع صوته بألحان فان الحكمة فيها عظيمة والمنافع المكتسبة منها جليلة جسيمة والعود أجلها خطرا وأحسنها في القلوب أثرا وقد كان داود عليه السلام أحذق الناس بصوغ الالحان في تسبيحه ويعرف الفاسد من ذلك من صحيحه وبه كان يضرب المثل في حسن ايقاعه في عوده وارتياح القلوب لصوته وتغريده وكان قبل افضاء الملك اليه واجتماع بني اسرائيل عليه يحضره ملكهم طالوت اذ غلب عليه خلط ردىء كان يعتريه فيأمره أن يوقع له بالعود ويسمعه من أصواته ما يستلذه فيقول فيسكن ما هاج به ولما صار الملك اليه نصب من أعظم الحذاق بتلحين المزامير والتسبيح بها على العيدان والطنابير وغيرها من الدفوف والطبول والصلصل وما يجري مجراها جماعة وكانت العدة التي تحضر من هذه الطائفة عنده أربعة آلاف في كل ليلة ذكر ذلك جميعه الثعالبي في موائد الافراح وحدود الغناء أربعة لا يستغني عن واحد منها وبها يتم وعليها يبنى فأولها النغم ثم تأليفه ثم قسمته ثم ايقاعه فما اشتمل من الشعر على هذه الحدود فهو غناء وان نقص منه فليس بغناء (وذكر) اليونانيون ان الاوتار الاربعة شبهت بالطبائع الاربع وان البم مشاكل للارض والسوداء والمثلث بالماء والبلغم والمثنى بالهواء والدم والزير بالنار وان النار لما كانت في الطرف الاعلى في العالم والارض في الجهة السفلى منه جعل ما بين البم والزير كذلك وزعمت الاعاجم أنه مشتق من صرير باب الجنة وما قدم أحد من الامم على العود من الملاهي الا ما جمع من الفضائل التي استقل بها وقصر سواه عن اللحاق فيها والحذق به في الغناء مقدم على كل حاذق (وذكر) ان عبد الملك أتى بعود قد أخذ مع شارب بالليل فقال وعنده قوم ما هذا ولاي شيء يصلح هذا وأي شيء يعمل به فسكت جلساؤه فقال عبد الله بن مسعدة الفزاري هذا عود يؤخذ

خشبه فيشقق و يرقق و يلصق ثم يعلق عليه هذه الاوتار وتحركها الجارية الحسناء فينطق بأحسن من وقع القطر فى البلد القفر وامرأتى طالق ان لم يكن كل من فى هذا المجلس يعلم منه مثل ما علمت واولهم أنت يا أمير المؤمنين قال فضحك عبد الملك

(فصل) وينبغى أن يكون المغنى جميل الخلق صافى الخلق له حلاوه وعليه طلاوه مستعذب العباره نظيف الشارب يحفظ كثيرا من الملح والاخبار والنوادر والاشعار وشيأ صالحا من علم الاعراب مايختلط معه بذوى الآداب غير غشام ولا مغتاب ولا فضولى ولا عتاب كامل الظرف بعيدا من الطنز متوقيا للهجين كتوما للاسرار مرتكبا طريق الاسرار ذو روايح ذكيه وبشرة نقيه وجوارح سالمة من العيوب وشمائل يخفق بها على القلوب صناعته محببه وأغانيه مطربه فمن اجتمعت فيه هذه الصفات والمناقب وسلم مما تقدم ذكره من المعائب والمثالب كان حقيقا من الملوك بالاختصاص وخليقا منهم بأن يشرفوه بالاصطناع والاختصاص ومنهم من يكون حاذقا فى صناعته فيبلغ فى احكامه غاية استطاعته واجتمعت فيه الخلال الحميده وعرف بالاخلاق السديده غير انه لم يرزق صوتا يستعذبنه و يحسن ممن يغنى له موقعه فتصطفيه الملوك لتعليم الغناء من يؤهلونه لذلك من الوصائف والاماء وتختلف أحوال الباقين فى أخلاقهم وخلقهم والمذهب من كل ذى علم وصناعه قليل وتعديد ما يوجد من أخلاق الرجال يطول (وقال) اسحق بن ابراهيم الموصلى شر الغناء والشعر الوسط لان الاعلى منهما يطرب والرذل يضحك من صاحبه و يلهى به والوسط لا يطرب ولا يضحك (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى شرح العيون ماصورته و يقال ان أول من اتخذ العود الملك المتوشلخ على مثال فخذ ابنه الميت وهو قول ضعيف (وقيل) بطليموس (وقيل) بعض حكماء الفرس وسماه البربط وتفسيره باب النجاة ومعناه انه مأخوذ من صرير باب الجنة وقد جعلت أوتاره أربعة كما تقدم ذكره (وذكر) ان أول من غنى على العود بألحان الفرس النضر بن الحرث بن كلدة وفد على كسرى بالحيرة فتعلم ضرب العود والغناء وقدم مكة فعلم أهلها وأول من غنى فى الاسلام بألحان الفرس سعيد بن مسجح وقيل طويس وذلك ان عبد الله بن الزبير لما وهى بناء الكعبة رفعها وجدد بناءها وكان فيها

صناع من الفرس يغنون بألحانهم فوقع عليها ابن مسجح الغناء العربي ثم دخل الى الشام فأخذ عن ألحان الروم ثم رحل الى فارس فأخذ الغناء وضرب العود واتبعه من بعده وبدأ هذا العلم بيطليموس وختم باسحق بن ابراهيم الموصلي (وذكر) القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والظرف أنه وجد للأسعد المرتضى أحمد بن عبد الواحد لما قبض عليه المستنصر في سنة تسع وخمسين وأربعمائة ما يعوز حد الحصر لكثرته وجلالته وعلو همته وفيما وجد له عدلان كبيران أوتار برسم عيدان الغناء وعدلا بخزوما مضارب العيدان وثلثمائة طبل شبري وغير ذلك من سائر أصناف الملاهي ووجد له هاون فضة وزنه سبعون رطلا

(فصل) فيما ورد للفضلاء في مدحهم قال الشيخ برهان الدين القيراطي

أقول اذ جس عود مطرب حسن * يريك يوسف في أنغام داود
من حسن وجهك تضحى الارض مشرقة
ومن بنانك يجري الماء في العود

وقال أطربنا العود الى أن غدا * مقاصنا يرقص مع صحبه
فشمعه قام على ساقه * وكأسه دار على كعبه

الشيء بالشيء يذكر أنشدني من لفظه لنفسه الشيخ تقي الدين بن حجة الحموي فسح الله في أجله من قصيدة حربية

ان جس عود الضرب مال سامعه * والخيل يرقصها ان حرك الوترا

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي

وشذا في أصفها * ن بالاغاني المطربات
مسمع غنا فأغنا * بصفات الحسن ذات
قلت اذ حرك عودا * عارفا بالنغمات
أنت مفتاح سرو * ري يا سعيد الحركات

(وقال) المرحوم فتح الدين بن الشهيد وقد أحضر له بدر الدين طائر ابنهي العواد بسفارة الحاجب توكل

نهاري ليس كله بمنادم * على عودة تعروا لحشايا لتفرك
وكنت أراه طائرا عزمطلبا * ولكنني حصلته بتوكل

وأنشدنى من لفظه لنفسه اجازة سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المالكى المخزومى الشهير بالدماميني أسبغ الله ظلاله

يا عزولى فى مغن مطرب * حرك الاوتار لما سفرا
لم تهز العطف منه طربا * عند ما يسمع منه وترا

(وقال) علاء الدين الوداعى فى مغن يدعى الفصيح

وليلة مالها نظير * فى الطيب لو ساعفت بطول
كم نوبة للفصيح فيها * أطرب من نوبة الخليل

ومن برع فى الالحان وعلمها أبو عامر محمد بن الجارة الغرناطى اشتهر عنه انه كان يعمد الى الشعر فيقطع العود بيده ثم يصنع منه عودا للغناء وينظم الشعر ويلحنه ويغنى به ومن شعره قوله

اذا ظن وكرى مقلتى طائر الكرى * رأى هدبها فارتاع خوف الحبائل

(ذكر) هذا الاديب نور الدين على بن سعيد فى كتابه المغرب فى حلى المغرب
(وقال) سيف الدين المشد

ومطرب قد رأينا فى أنامله * سبابة لسرور النفس أهلها
كأنه عاشق وافت حبيبته * فضمها بيديه ثم قبلها

وقال محيى الدين بن قرناص

مشبب بجفاه راح يقتلنا * فان تداركنا بالنفخ أحيانا
هويت تشبيها من قبل رؤيته * والاذن تعشق قبل العين أحيانا

(وقال) محيى الدين بن عبد الظاهر

وناطقة بالروح عن أمر ربها * تعبر عما عندنا وتترجم
سكتنا وقالت للقلوب فأطربت * فنحن سكوت والهوى يتكلم

(وقال) الشيخ بدر الدين ابن الصاحب

أطربنا مشبب من غير جعل سأله * بأحسن موصول له لم يفتقر الى صله

(وظرف) فى قوله أيضا وان لم يكن فى المعنى

يا مهدى الاقصاب من سكر * صفرا حكى سمرا القنا طولها
اياك أن تقطعها ساعة * فأطيب الاقصاب موصولها

(ومن) ذلك قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

اصغ لما قال أحور فهنا * وخل قبل اليوم ماقيلا
واسمع مقاطيها لنا أطربت * فلا تقل الامواصيلا

وقال ابراهيم المعمار

ومشبب أبدى لنا * قولا بنغمته الشهيه
متعاتم فكأنه * متكلم بالفارسيه

(وقال) زين الدين بن عبد الله مضمنا

وناتحة صفراء تنطق عن هوى * فتعرب عما فى الضمير وتخبر
براها الهوى والوجد حتى أعادها * أنابيب فى أجوافها الريح تصفر

(وقال) صلاح الدين الصفدى

لى مطرب كملت جميع صفاته * متأدب الحركات والتسكين
فاذا دعاه لمجلس حرفاؤه * يأتى ويجلس فيه بالقانون

(وقال) فتح الدين بن الشهيد

غنى على القانون حتى غدا * من طرب يستعطف الجليس
فحنت الارواح من شدوه * الى أنيس ياله من أنيس
داوى قلوبا من غليل الاسى * وكان فيه حوله رسيس
فصاحت الجلاس عجابه * يا صاحب القانون أنت الرئيس

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى أنشدنى القاضى جمال الدين عبد القاهر التبريزى لنفسه ملغزا فى الشبابة

وناطقة بأفواه ثمان * تميل بعقل ذى اللب العفيف
لكل فم لسان مستعان * يخالف بين تقطيع الحروف
يخاطبنا بلفظ لا يعيه * سوى من كان ذا طبع لطيف
فصيحة عاشق ونديم راع * وعزه موكب ومدام صوف

(وقال) الشيخ علاء الدين على بن أيبك من لفظه لنفسه فى مغن معذر (توفى المذكور سنة احدى وثمانمائة)

مغنم العارض غنى لنا * أشياء بالسمع حلاذوقها
كأنما فى فيه قرية * تشدو ومن عارضه طوقها

(نادرة) شهد على امرأة أربعة بالزنا وكان فيهم مغن فقال له الوالى بما تشهد قال

أشهد أنى رأيته قد رفع رجليها مثل البنجك وبحرحتى كأنه يغنى وجعل مضرابه على التم وجعلت أسته ترقص ولا أدرى أتم الصوت أم لا

(فصل) فيما ورد فى ذم الغناء كتب البديع الهمذانى الى تلميذله توفى أبوه وخلف له مالا يا مولاى ذلك المسموع من العود يسميه الجاهل نقرا ويسميه العاقل فقرا وذلك الخارج من النأى هوفى الآذان زمر وغدا فى الابواب سمر والعمر مع هذه الآلات ساعه والقنطار فى هذا العمل بضاعه وطلب بعض المغنين جائزة من بعض المحصلين فقال له المملوك اعلم ان المال روح والغناء ريح ولست اشترى الريح بالروح ومما ورد من النظم فى ذم المتحلقين من أهلها

(حكى) بعضهم ان بعض الفلاسفة خرج مع تلميذه فسمع صوت عود فقال لتلميذه امض بنا الى هذا المغنى لعله يفيدنا صورة شريفة فلما قربا منه سمعا صوتا رديئا وتأليفا غير متقن فقال لتلميذه تزعم أهل الكهانة والزجر أن صوت البومة يدل على موت الانسان فان كان ذلك حقا فصوت هذا يدل على موت البومة ولبعضهم يهجو مغنيا

كنت فى مجلس فقال مغن الـقوم كم بيننا وبين الشتاء
فشرت البساط منى اليه * قلت هذا المقدار قبل الغناء

ولبعضهم يذم صوت مغن

انك لو أصغيت يوما الى * الحانه تلك المقادير
لخلت فى الحلق أمراء حالسا * يعرك أذان السنانير

ولآخر فى المغنى قال

أذان [illegible] الحانه * تلك اللواتى ليس يعدوها
[illegible] * [illegible] يخنق معتوها

[illegible]

[illegible] * أوسع الندمان هما
أحسن القيان حالا * كل من كان اصما

(وقال) الصيصى الخياط

[illegible] * وغدا يحرك عوده متقاعسا
فكأن [illegible] كلها * فى عوده يقرض خنزا يابسا

(وقال) آخر وأجاد

قلت اذ غنى عراقا * ليتنا فى أصفهانى

(وقال) آخر

غنى أبو الفضل فقلنا له * سبحان مخليه من الفضل
غناؤه حد على شربه * فاشرب فانت اليوم فى حل

(وقال) آخر وأجاد

ومغنى يتغنى * اذهب اللذات عنا
فسألناه سكوتا * فأبى ذاك وغنى
فشتمناه فغنى * فاشتفى الفؤاد منا

(وقال) آخر فى مغن بالرباب

لاتبعثوا بسوى المهذب جعفر * فالشيخ فى كل الامور مهذب
طورا يغنى بالرباب وتارة * يأتى على يده الرباب وزينب

(وقال) سيف الدين المشد يهجو عوادا

عوادنا قد طمست عينه * فصار بالتصحيف قوادا
ماعاد الا لقياداته * لاجل ذا أصبح قوادا

قلت وان كان حصل له عمى فأحسن وأنشدنى المرحوم فخر الدين بن مكانس قال أنشدنى من لفظه لنفسه صاحبنا شمس الدين محمد الواسطى يهجو عوادا وزامرا

شبهت ذا العواد والزامر اذ * ضاقت علينا بهم المناهج
يعقوب يضرب وهو ساكت * وأرقم ينفخ وهو خارج

ولا بأس بايراد نبذة من حكايات الحذاق فى الغناء (قال) اسحق بن ابراهيم الموصلى بعث الى المأمون يوما وبين يديه ثمانية عشر مغنية تسع عن يمينه وتسع عن شماله وعنده ابراهيم ابن المهدى فقال كيف تسمع يا اسحق فقلت اسمع يا أمير المؤمنين خطأ فقال لابراهيم ماتقول ياعم فيما قال قال باطل ماههنا خطأ ولكنه يريد أن يتزيد عندك فقلت له أتأذن لى أن أقفه على الخطأ وأناظره فيه قال نعم قلت على انه سيدى وأنا عبده أو على الانصاف قال بل على الانصاف قلت يؤمرون الجوارى أن يغنين الصوت الذى غنينه أولا فغنين ثم قلت له أفهمت الخطأ قال لاقلت فانى ألقى عنك النصف والخطأ فى التسع البواقى

اللواتي عن الجانب الايسر قال فتفهم وقال ما أسمع خطأ قلت فاني أخفف عنك أيضا هؤلاء الاربع الاواخر فاجتهد في التفهم وقال ماههنا خطأ قلت فانه في آخر الجواري كلهن فتفهم فلم يقف عليه فقلت للجارية اضربي وحدك وامسكن البواقي وغنت فقلت ماترى فقال بل الخطأ ههنا فقال المأمون احسنت فيهم الخطأ بين اثنين وسبعين وترا ولم تفهمه أنت الامن أربعة (وقال) أحمد بن المرزبان حدثني بعض كتاب السلطان ان الرشيد هب ليلة من نومه فدعا بحمار كان يركبه في القصر أسود فركبه وخرج في دراعة متلثما بعمامة متلحفا بازار وشي و بين يديه أربعمائة خادم سود سوى الفراشين وكان مسرور العوغاني جرئا عليه لمكانة كانت له عنده فلما خرج من باب القصر قال له اين تريد يا أمير المؤمنين في هذه الساعة قال أردت منزل ابراهيم الموصلي قال مسرور فمضيت معه حتى انتهى الى منزل الموصلي فخرج فتلقاه وقبل حافر حماره وقال له يا أمير المؤمنين افي مثل هذه الساعة تظهر قال نعم شوق طرقك بي ثم نزل في طرف الايوان وأجلس ابراهيم فقال له ابراهيم يا سيدي أتنشط لشئ تأكله قال نعم (خاميرطي) فأتى به كأنما كان معدا له فأصاب منه شيأ يسيرا ثم دعا بشراب حمل معه فقال الموصلي يا سيدي أغنيك أم تغنيك اماؤك فقال بل الجواري فخرجن جواري ابراهيم فأخذن صدر الايوان وجانبيه فقال أيضربن كلهن أم واحدة واحدة فقال بل يضرب اثنتان اثنتان وتغني واحدة واحدة ففعل ذلك حتى مر صدر الايوان وأخذ جانبيه والرشيد يسمع ولا ينصت لشئ من غنائهن الى أن غنته صبية من حاشية الصفة

ياموري الزند قد أعيت قوادحه * اقبس اذا شئت من قلبي بمقباس

ما أقبح الناس في عيني وأسمجهم * اذا نظرت فلم أبصرك في الناس

(قال) فطرب لغنائها واستعاد الصوت مرارا وشرب أرطالا وسأل الجارية عن صانعه فأمسكت فاستدناها فتقاعست فأمر بها فأقيمت بين يديه فأخبرته بشئ أسرته اليه فدعى بحماره فركبه وانصرف ثم التفت الى ابراهيم وقال له ماضرك الا ان تكون خليفة فكادت نفسه تخرج حتى دعا به بعد ذلك وأدناه قال وكان الذي أخبرته ان الصنعة في الصوت لاخته علية وكانت الجارية لها فوجهتها الى ابراهيم يطارحها عنها لمكانته عندها قال قال لي الرشيد يا ابراهيم بكر حتى

نصطبح فقلت أنا والصبح فرسى رهان نستبق الى حضرتك فبكرت فاذا أنا به خال وبين يديه جارية كأنها خوط بان أو جدل عنان حلوة المنظر فغنت فى شعر لابى نواس

توهمه طرفى فأصبح خده * وفيه مكان الوهم من نظرى أثر
ومر بفكرى خاطر فجرحته * ولم أر جسما قط يجرحه الفكر
وصافحه كفى فآلم كفه * فمن غمز كفى فى أنامله عقر

(قال) ابراهيم فذهبت والله بعقلى حتى كدت أفتضح فقلت من هذه يا أمير المؤمنين قال هذه الذى يقول فيها الشاعر

لها قلبى الغداة وقلبها لى * فنحن كذاك فى جسد بن روح

ثم قال لها غنى فغنت

تقول غداة البين احدى نسائهم * لى الكبد الحر فسر ولك الصبر
وقد خنقتها عبرة فدموعها * على خدها بيض وفى نحرها صفر

(قال) فشرب وسقاها وقال غن يا ابراهيم فغنيت حسب ما فى قلبى غير متحفظ من شئ

تشرب قلبى حبها ومشى به * تمشى حميا الكأس فى جسم شارب
ودب هواها فى عظامى فشفها * كما دب فى الملسوع سم العقارب

(قال) ففطن لتعريضى فكانت جهلة منى فأمرنى بالانصراف ولم يدع بى شهرا ولا حضرت مجالسه فلما أن مضى شهر دس الى خادما معه رقعة مكتوب فيها

قد تخوفت ان أموت من الوجـ * ـد ولم يدر من هويت بما بى
يا كتابى أقرى السلام على من * لا يسمى وقل له يا كتابى
كف صب اليكم كتبتنى * فارحموا كاتبى وردوا جوابى
ان كفا اليكم كتبتنى * كف صب فؤاده فى عذاب

فأتانى الخادم بالرقعة فقلت ما هذه فقال رقعة فلانة الجارية التى غنتك بين يدى أمير المؤمنين فأحسست بالقصة فشتمت الخادم ووثبت عليه وضربته ضربا شفيت به نفسى وغيظى وركبت الى الرشيد من فورى فأخبرته بالقصة وأعطيته الرقعة فضحك حتى كاد يستلقى ثم قال على عمد فعلت ذلك بك لامتحن مذهبك وطريقتك ثم دعا بالخادم فلما رآنى قال لى قطع الله يديك ورجليك ويلك

قتلتني فقلت القتل والله كان بعض حقك ولكني رحمتك وأخبرت أمير المؤمنين حتى يأتي في عفو بتلك بما تستحقه فأمر لي بصلة سنية والله يعلم أني ما فعلت ذلك عفافا لكن خوفا (قلت) وقريب من هذه الحكاية ما نقلته من خط الشيخ بدر الدين البشتكي سلمه الله تعالى وهو ان الوزير ابو عامر أحمد بن أبي مروان عبد الملك بن عمر بن عيسى بن محمد بن شهيد كان أهدى له غلاما من النصارى لا تقع العيون على شبهه فلمحه الناصر فقال أنى لك هذا قال هو من عند الله فقال تحفونا بالنجوم وتستأثرون بالقمر فاستعذر واحتفل في هدية بعثها له مع الغلام وقال يا بني كن من جملة ما بعثت به ولولا الضرورة ما سمحت بك نفسي وكتب معه

أمولاي هذا البدر سار لافقكم * وللافق أولى بالبدور من الارض

أرضيكم بالنفس وهي نفيسة * ولم أرى قبلي من بمهجته يرضي

فحسن ذلك عند الملك وأعطاه مال جزيل وتمكنت عنده مكانته ثم انه بعد ذلك أهديت اليه جارية من أجمل نساء الدنيا فخاف ان ينمي ذلك الى الناصر فيطلبها فتكون قضية الغلام فاحتفل في هدية أعظم من الاولى وبعثها معها اليه وكتب له

أمولاي هذي الشمس والبدر أولا * تقدم كيما يلتقي القمران

قران لعمري بالسعادة ناطق * فدم منهما في كوثر وجنان

فما لهما والله في الحسن ثالث * ولا لك في ملك البرية ثاني

فتضاعفت مكانته عليه ثم ان أحد الوشاة رفع للملك انه بقي في نفسه من الغلام حرارة وانه لا يزال يذكره حين تحركه الشمول ويقرع السن على تعذر الوصول فقال للواشي بذلك لا تحرك به لسانك والا طار رأسك وأعمل الملك الحيلة في ان كتب على لسان الغلام رقعة منها يا مولاي تعلم انك كنت لي على انفراد ولم أزل معك في نعيم وأنا وان كنت عند الخليفة مشاركا في المنزلة مجاوز ما يعدو من سطوة الملك فتحيل في استخلاصي منه وبعثها له مع غلام صغير السن وأوصاه ان يقول له هي من عند فلان وان الملك لم يكلمه قط ان سأله عن ذلك فلما وقف أبو عامر على أمر الرقعة واستخبر الخادم فعلم في سؤاله ما كان في نفسه من الغلام وما تكلم به في حميا المدام وكتب على ظهر الرقعة ولم يرد حرفا

أمن بعد احكام التجارب ينبغى * لدىّ سقوط العير فى غابة الاسد
وما أنا ممن يغلب الحب عقله * ولا جاهل مايدعيه أولوا الحسد
فان كنت روحى قد وهبتك طائعا * وكيف ترد الروح ان فارق الجسد

فلما وقف الناصر على الجواب تعجب من فطنته ولم يعد الى استماع واش به ودخل عليه بعد ذلك فقال له كيف خلصت من الشرك قال لان عقلى بالهوى غير مشترك * عن اسحق عن أبيه قال استأذنت الرشيد ان يهب لى يوما من أيام الجمعة لابعث فيه بجوارى واخوانى فأذن لى فى يوم السبت وقال يوم أستثقله فأنت فيه بماشئت قال فأقمت يوم السبت بمنزلى وتقدمت فى اصلاح طعامى وشرابى بما احتجت اليه وأمرت بوابى باغلاق الابواب وتقدمت اليه فى أن لا يأذن لاحد علىّ فبينا أنا فى مجلس والحرم قد حففن بى يترددون بين يدى اذا أنا بشيخ ذى هيبة وجمال عليه خفان قصيران وقميصان ناعمان وعلى رأسه قلنسوة لاطية وبيده عكازة مقمعة بفضة وروائح الطيب تفوح منه حتى ملأت الدار والرواق فدخلنى لدخوله علىّ مع ما تقدمت به غيظ عظيم وهممت بطرد بوابى ومن يحجبنى لاجله فسلم علىّ أحسن سلام فرددت عليه وأمرته بالجلوس فجلس وأخذ بى فى أحاديث الناس وأيام العرب وأشعارها حتى سكن مابى من الغضب وظننت أن غلمانى تحروا مسرتى بادخال مثله علىّ لادبه وظرفه فقلت له هل لك فى الطعام فقال لا حاجة لى فيه فقلت هل لك فى الشراب قال ذلك اليك فشربت رطلا فسقيته مثله فقال يا أبا اسحق هل لك ان تغنى لنا شيأ فنسمع من صنعتك ما قد فقت به عند الخاص والعام فغاظنى قوله ثم سهلت الامر على نفسى وأخذت العود فجسته ثم ضربت وغنيت فقال أحسنت يا ابراهيم فازددت غيظا وقلت ما رضى بما فعله فى دخوله بغير اذن واقتراحه علىّ أن أغنيه حتى سمانى ولم يجمل مخاطبتى ثم قال هل لك ان تزيدنا فتذممت وأخذت العود وغنيت وتحفظت وقمت بما غنيته قياما تاما لقوله لى اكافئك فطرب وقال أحسنت يا سيدى وأوثق عددى ثم قال أتأذن لعبدك فى الغناء فقلت شأنك واستضعفت عقله فى أن يغنى بحضرتى بعدما سمعه منى فأخذ العود وجسه فوالله لقد خلت انه ينطق بلسان عربى واندفع يغنى

ولى كبد مقروحة من يبيعنى * بها كبدا ليست بذات قروح

أراها على الناس لا يشترونها * ومن يشترى ذا علة بصحيح
أأن من الشوق الذى فى جوانحى * أنين غصيص بالشراب جريح

قال ابراهيم فوالله لقد ظننت الحيطان والابواب وكل ما فى البيت يجيبه ويغنى معه من حسن غنائه حتى خلت والله أنى أسمع أعضائى وثيابى تجاوبه وبقيت مبهوتا لا أستطيع الكلام ولا الحركة لما خالط قلبى ثم غنى

ألا يا حمامات اللوى عدن عودة * فانى الى أصواتكن حزين
فعدن فلما عدن كدن يمتننى * وكدت بأسرار لهن أبين
دعون بترداد الهدير كأنما * شربن حميا أو بهن جنون
فلم تر عينى مثلهن حمائما * بكين ولم تدمع لهن عيون

فكاد عقلى أن يذهب طربا ثم غنى شعرا ليزيد بن الطثريه

ألا يا صبا نجد متى هجت من نجد * فقد زادنى مسراك وجدا على وجد
أأن هتفت ورقاء فى رونق الضحى * على غصن غض النبات من الرند
بكيت كما يبكى الحزين صبابة * وذبت من الحزن المبرح والجهد
وقد زعموا ان المحب اذا نأى * يمل وان النائى يشفى من الوجد
بكل تداوينا فلم يشف ما بنا * على ان قرب الدار خير من البعد

ثم قال يا ابراهيم هذا الغناء المأخورى خذه وانح نحوه فى غنائك وعلمه جواريك فقلت أعده على فقال لست تحتاج قد أخذته وفرغت منه ثم غاب من بين عينى فارتعت وقمت الى السيف فجردته ثم عدوت نحو أبواب الحرم فوجدتها مغلقة فقلت للجوارى أى شئ سمعتن عندى فقلن سمعنا أحسن غناء ما سمع مثله قط فخرجت متحيرا الى باب الدار فوجدته مغلقا فسألت البواب عن الشيخ فقال أى شيخ والله ما دخل اليوم اليك احد فرجعت لأتأمل أمرى فاذا هو قد هتف من بعض جوانب البيت وقال لا بأس عليك يا أبا اسحق أنا ابليس وأنا كنت نديمك اليوم فلا ترع فركبت الى الرشيد وأطرفته بالحديث فقال لى ويحك اعتبر الاصوات التى أخذتها فأخذت العود فاذا هى راسخة فى صدرى فطرب الرشيد عليها وجلس يشرب ولم يكن عزم على الشرب وأمر لى بصلة جزيلة قال وكان الشيخ أعلم بما قال انك قد أخذتها وفرغت منها فليته أمتعنا بنفسه يوما واحدا كما أمتعك قال أبو الفرج الاصبهانى هكذا حدثنا ابن أبى الازهر بهذا

الخبر وما أدري ما أقول فيه * عن المدايني قال قال ابراهيم الموصلي قال لي الرشيد يوما يا ابراهيم اني قد جعلت غدا للحرم وليلته للشرب مع الرجال واقتصرت من المغنين عليك فلا تشتغل غدا بشيء ولا تشرب نبيذا وكن بحضرتي في وقت العشاء الآخرة فقلت السمع والطاعة لامير المؤمنين فقال وحق أبي لئن تأخرت أو اعتللت بشيء لاضربن عنقك قلت نعم يا أمير المؤمنين وخرجت فما جاءني من أحد الا احتجبت عنه ولا قرأت رقعة لاحد حتى اذا صليت المغرب ركبت قاصدا اليه فلما قربت من داره مررت بفناء قصر واذا زنبيل كبير مستوثق منه بحبال وأربع عرى ادم قد دلي من القصر وجارية قائمة تنتظر انسانا قد وعد ليجلس فيه فنازعتني نفسي الى الجلوس فيه ثم قلت هذا خطأ فلعله ان يجري سبب يعوقني عن الخليفة فيكون الهلاك فلم أزل أنازع نفسي حتى غلبتني فجلست في الزنبيل فرفع حتى صار في أعلا القصر ثم خرجت فنزلت فاذا جوار كأنهن أقمار جلوس فضحكن وطربن وقلن قد جاء والله فلما رأينني من قريب تبادرن الى الحجاب وقلن يا عدو الله ما أدخلك الينا فقلت يا عدوات الله الذي أردتن ادخاله خير مني ولم كان أولى مني ولم يزل ذلك دأبنا وهن يضحكن وأضحك معهن فقالت احداهن أما من أردتن فقد فات وما هذا الا ظريف فهلمن نعاشره معاشرة جميلة فأخرج الي طعام ولم يكن في فضل الا أني كرهت أن أنسب الى سوء العشرة فأصبت منه ثم جيء بالنبيذ وجعلت أشرب وأخرجن ثلاث جوار لهن فغنين غناء حسنا فغنت احداهن صوتا لمعبد فقالت احدى الثلاث من وراء الستر أحسن ابراهيم هذا له فقلت كذبت هذا لمعبد فقالت يا فاسق وما يدريك الغناء ما هو ثم غنت الاخرى صوتا للغريض فقالت تلك أحسن ابراهيم هذا له أيضا فقلت كذبت يا خبيثة هذا للغريض فقالت اللهم أخزه ويلك ما يدريك ثم غنت الجارية صوتا لي فقالت تلك هذا أشرح وأحسن فقلت كذبت هذا لابراهيم وأنت تنسبين غناء الناس اليه وغناءه اليهم فقالت وما يدريك فقلت أنا ابراهيم فتباشرن بذلك وظهرن كلهن لي وقلن كتمتنا نفسك وقد سررتنا سرورا عظيما فقلت أنا الآن أستودعكن الله فقلن وما السبب فأخبرتهن بقصتي مع الرشيد فضحكن وقلن الآن والله طاب حبسك علينا وعلينا ان خرجت أسبوعا فقلت هو والله القتل فقلن الى لعنة الله

فأقمت والله عندهن أسبوعا لا أزول فلما كان بعد أسبوع ودعنني وقلن ان سلمك الله فأت بعد ثلاثة أيام عندنا قلت نعم فأجلسنني في الزنبيل وسرحت فمضيت لوجهي حتى أتيت دار الرشيد فاذا النداء قد أشيع ببغداد في طلبي وأن من أحضرني فقد سوغ مالي وملكي فاستأذنت فتبادر الخدم حتى أدخلوني على الرشيد فلما رآني شتمني وقال السيف والنطع انك يا ابراهيم تشاغلت عني وجلست مع السفهاء أشباهك حتى أفسدت على لذتي فقلت يا أمير المؤمنين أنا بين يديك وما أمرت به غير فائت ولي حديث عجيب ما سمع بمثله وهو الذي قطعني عنك ضرورة لا اختيارا فاسمعه فان كان عذرا فاقبله فقال هاته فحدثته فوجم ساعة ثم قال ان هذا العجب أفتحضرني معك قلت نعم وأجلسك معهن ان شئت قبلي حتى تحصل عندهن وان شئت فعلى موعد فقال بلى على موعد قلت أأفعل قال انظر فان ذلك حاصل فلما أصبحت أمرني بالانصراف وان أجيئه من عندهن فمضيت اليهن وقت الوعد فوجدت الزنبيل على حاله فجلست فيه ومدت الجواري وصعدت فلما رأينني تباشرن بي وحمدن الله على سلامتي وأقمت ليلتي فلما أردت الانصراف قلت ان لي أخا هو عندي عدل نفسي وقد أحب معاشرتكن ووعدته بذلك فقلن ان كنت ترضاه فرحبا بذلك فوعدتهن ليلة غد وانصرفت وأتيت الرشيد فأخبرته فلما كان الوقت خرج معي متخفيا وقد كان الله وفقني أن قلت لهن اذا جاء صديقي فاسترن عني وعنه ولم يسمع لكن لفظة ولكن ما تختزنه من الغناء أو تقلنه من قول مراسلة فلم يتعدين ذلك وأقمن على أتم ستر وخفر وشرب شربا كثيرا وقد كان أمرني ان لا أخاطبه بأمير المؤمنين فلما أخذ النبيذ مني قلت سهوا يا أمير المؤمنين فتواثبن من وراء الستارة حتى غابت عنا حركاتهن فقال لي يا ابراهيم قد أفلت من أمر عظيم والله لو برزت لك واحدة منهن لضربت عنقك قم بنا فانصرفنا فاذا هن له وقد كان غضب عليهن فحبسهن في ذلك القصر ثم وجه من غد بخدم فردوهن الى قصره ووهب له مائة ألف درهم وكانت الهدايا والالطاف تأتيني بعد ذلك منهن (حكاية) تناظرت المغنون يوما عند الواثق فذكروا الضراب وحذاقهم فقدم اسحق بن ابراهيم الموصلي زريابا على ملاحظ وملاحظ في ذلك الرياسة عليهم كلهم فقال الواثق هذا حيف وتعد منك فقال اسحق يا أمير المؤمنين اجمع بينهما

وامتحنهما فان الامر بين كشف لك فيهما فأمر بهما فأحضرا فقال له اسحق ان للضراب أصواتا معروفة فامتحنهما بشئ منها قال افعل فسمى ثلاثة أصوات كان أولها

علق طية الركب جهلا * فقد أغرى بتعذيبي
نمت عليها حين مرت بنا * محاسن ينفحن بالطيب
تصدها عنا عجوز لها * منكرة ذات أعاجيب

الشعر والغناء لاسحق فضرب عليه فتقدم زرزور وقصر ملاحظ فعجب الواثق من كشفه عما ادعاه في مجلس واحد فقال ملاحظ فما باله يا أمير المؤمنين يحيلك على الناس ولا يضرب هو فقال يا أمير المؤمنين انه لم يكن في زماني أضرب مني ولكنكم أعفيتموني من الضرب فثقلت علي ومع ذلك ان معي بقية لا يتعلق بها أحد من هذه الطبقة ثم قال يا ملاحظ شوش عودك وهاته ففعل ملاحظ ذلك فقال اسحق يا أمير المؤمنين هذا خلط الاوتار خلطا متعنتا وهو لا يألو افسادها ثم أخذ العود فجسه ساعة حتى عرف مواقعه ثم قال يا مخارق غن أي صوت شئت فغنى مخارق صوتا وضرب عليه اسحق بذلك العود الفاسد التسوية فلم يخرجه من لحنه في موضع واحد حتى استوفاه عن نقرة واحدة ويده تصعد وتنحدر على الدساتين فقال له الواثق والله ما رأيت مثلك قط ولا سمعت به اطرحه على الجواري فقال هيهات يا أمير المؤمنين هذا شئ لا يفي به الجواري ولا يصلح لهن البتة وانما بلغني ان الفلهيد ضرب يوما بين يدي كسرى أبرويز فأحسن فحسده رجل من حذاق أهل صناعته فرقبه حتى قام لبعض شأنه فخالفه الى عوده فشوش بعض أوتاره فرجع وضرب وهو لا يدري والملوك لا تصلح في مجالسها العيدان فلم يزل يضرب بذلك العود حتى فرغ ثم قام على رجله وأخبر الملك بالقصة فامتحن العود فعرف ما فيه فقال له زه وزه وزه وزه ووصله بالصلة التي كان يصل بها من يخاطبه بهذه المخاطبة فلما تواطأت الروايات بهذا أخذت نفسي به وروضتها عليه وقلت لا ينبغي أن يكون الفلهيد أقوى على هذا مني فما زلت أستنبطه بضع عشرة سنة حتى لم يبق في الاوتار موضع على طبقة من الطبقات الا وأنا أعرف نغمته كيف هي والمواضع التي تخرج النغم كلها منها من أعاليها الى أسافلها وكل شئ منها يجانس شيئا غيره كما أعرف ذلك في مواضع الدساتين

وهذا شئ لا يفي به الجواري فقال له الواثق لعمري لقد صدقت ولئن مت لقومن هذه الصناعة معك وأمر له بثلاثين ألف درهم

(الباب الثالث والعشرون في الغلمان)

كان يقال العبد من لا عبيد له وقال دعفل النسابة في المماليك هم غيرمستفاد وغيظ في الاكباد وقال سعيد بن مسلم لابد للعبيد من عبيد وقال جعفر بن سليمان العبيدان أكلوا من مالك زاد في جمالك وقال غيره العيش في سعة الدار والعز في كثرة العبيد وقال آخر عز الملوك في كثرة المماليك وقال آخر رب عبد خير من الولد لان الولد في أكثر الاحوال يرى صلاحه في موت والده والعبد يرى صلاحه ببقاء مولاه (كان) يحيى بن أكثم يقول قد أكرم الله تعالى أهل جنته بأن أطاف عليهم الغلمان في وقت رضاه عنهم وافضاله عليهم وبره بهم لفضلهم في الخدمة على الجواري وما الذى يمنعني عاجلا في طلب هذه المزية المخصوص بها أهل القربة عند الله تعالى والزلفة لديه (وقال) مطيع بن اياس لولم يكن للمرد فضيلة لما كان الله جعل ملائكته مردا وأهل الجنة مردا وهذا فيه كفاية واغناء عن الحديث أهل الجنة جرد مرد مكحولون (وكان) واليه بن الحباب يقول الغلام هو الرفيق في السفر والصديق في الحضر والمعين على الشغل والنديم عند الشرب وهو سبب الانس (وقيل) لمسلم الاصفرى لم فضلت الغلام على الجارية فقال لانه في السفر صاحب ومع الاخوان نديم وفي الخلوة أهل (ومن رسالة) الشيخ جمال الدين بن نباتة وكان في فرجة بحدث مرآها الحسن أحاديث حسان امامه عشرة مماليك من الترك ليس الخبر في محاسنهم المبدعة كالعيان جلبهم الى مصر تاجر حظته السعادة فاستنزلت له البدور من آفاقها وأصحبته الشموس بشرفها واشراقها فصار الى مصر بيوسف و بمن سجد له في المنام وأتى بلاد القبلة بجماعة على منهم الامن هو في الحسن امام ومافيهم الامن يقول له المتأمل بلسان الاعتراف يا بشرى هذا سيد و بلسان العرف يا بشرى هذا غلام قد وشحوا بالدقة خصورهم وحموا بأسياف الجفون كما تحمى الثغور ثغورهم من كل لدن القوام مهفهف ساجي الطرف أوطف حلو الجناية والجاني طيف العين لايجرد على العاني منسوب الى أرض الفان أصله فياحزنا من خده

القاني قد أفضح البدور في الدياجي ورمى القلوب من حبه ولها بين هاجره وهاجي وعلا بعنق يجاب من أرض الفرات فعطل عنق الغزال بأرض حاجي ونضى من جفن عينيه حساما وقسم من لحظاتها على القلوب سهاما وطال قده عن قصر الاغصان ودنا عن الرماح فكان بين ذلك قواما فسبحت حين رأيت الاقمار واقفة على الارض وتفاءلت بوجوب التماؤل بمثلها كاد يكون من الفرض وقلت

جئنت من الاتراك سرجا آذر * يعلم زهاد الورى كيف تعشق
لهم منظر في الحسن يفتح خاطرا * ولكن سهم اللحظ في القلب مغلق
دخلت بقلبي في مجال عيونهم * فأودى به ذاك المجال الضيق
وكم قمر في القوس عاينت منهم * فسالك يا طرفي المسافر تعلق

واستقبلنا دمشق على هذا الفأل الجليل وفاصلنا السفرة بحمد الله على وجه جميل

(فصل) في المنظوم من ذلك قول لسان الدين بن الخطيب في غلام ساقي قال

كيف أمنتما على الشرب ساق * لحظه في القلوب غير أمين
راح يسقي فصب في الكاس نزرا * ثقة منه بالذي في العيون

(وقال) الشيخ شمس الدين الرئيس فيه

مدير الكاس حدثنا ودعنا * بعيشك من كؤسك والحثيث
حديثك عن قديم الراح يغني * ولا يسقي الانام سوى الحديث

(وقال) صلاح الدين الصفدي في غلام يشوي أوزا

قالت لما شوى الحبيب أوزا * واكتسى باللهيب ثوب سناء
لو يعيش الجزار مات معنى * في معاني محاسن الشوائي

وله أيضا فيه

شوى الاوز فأضحت * في خمرة الخد بسطه
فقلت تشوي أوزا * أم كنت تشوي بطه

قال الشيخ برهان الدين القيراطي في غلام يلعب بالعود

غنى على العود شادسهم ناظره * أضحى به قلبي المضنى على خطر
دنا الي وحسبت كفه وترا * فراحت الروح بين السهم والوتر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في ساقٍ معذر

مبقل الخد أدار الطلا * فقال لي في حبها طايبي
من أحمر المشروب ما تنتهي * قلت ولا عن أخضر الشارب

(وقال) في غلام تركي أهيف

علقته من بني الاتراك مقترنا * من خاطري وهو مني غير مقترب
حمالة الحلي والديباج قامته * تبت غصون الربا حمالة الحطب

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلي في راقص

جاء وفي قده اعتدال * مهفهف ماله عديل
قد خففت عطفه شمال * وثقلت جفنه شمول
ثم انثنى راقصا بقد * حف به اللطف والدخول
يجول ما بيننا بوجه * فيه مياه الحيا تجول
ورنح الرقص منعطفا * تثنى الى نحوه العقول
فعطفه داخل خفيف * وردفه خارج ثقيل

(وقال) آخر في راقص

وراقص أبصرته مرة * فلم أزل بالرقص مفتونا
لو قيل شعر بين كمره * أنوجه بالرقص موزونا

(وقال) ابن خروف النحوي الاندلسي فيه

ومنوع الحركات يلعب بالنهى * لبس المحاسن عند خلع لباسه
متأودا كالغصن بين رياضه * متلاعبا كالظبي عند كناسه
بالعقل يلعب مقبلا أو مدبرا * كالدهر يلعب كيف شاء بناسه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في غلام يرمي بالقوس

فديتك أيها الرامي بقوس * ولحظ باضنا جسدي عليه
لقوسك نحو حاجبك انجذاب * وشبه الشيء منجذب اليه

(وقال) محيي الدين بن قرناص في غلام يرمي في الاماج

أتى الاماج ما أنسا والردف قد أقلقه * يرشق ثم ينثني بالله ما أرشقه

(وقال) بدر الدين حسن العربي في غلام يرمي في الايك

أهواه في الايك يرمي دائما * وسواد قلب الصب من أغراضه

أطلقت لحظي نحوه فأصابني * سهم وما عاينت كشف بياضه

قلت ما أحسن قول الشيخ عز الدين الموصلي من قصيدة

أصاب فؤادي المستهام بعينه * فكانه سهم له غير ناطق

(ولبعضهم) في غلام يقوم سهما

وافى وفي يده سهم يقومه * يومي اليه بعينيه ويرمقه

وذاك ابداع سر من لواحظه * فيه ليزداد فعلا حين يرشقه

(نكتة) حسنة عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا القمر في العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر الى أن ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينما هو مفكر اذ دخل مملوك له من أحسن خلق الله وجها يقال له آي دغدي فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال له بعض الحاضرين يا مولانا بالله اركب الساعة فهذا القمر في القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا وتفاؤلا بالقول فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (وقال) بدر الدين حسن بن حبيب الحلبي في غلام تركي يطلب وردا شعرا

رام ظبي الترك وردا * قلت أقصر خاب ضدك

عندك الورد المربى * قال فأني قات خدك

(وقال) الشيخ زين الدين العجمي ونقلتها من خطه في غلام نثر وردا من أكمامه

وافى وفي كمه ورد أحمر * حي به مذ بست تحت لثامه

فرشفت صرف الراح من خرطومه * وجنيت غض الورد من أكمامه

(وقال) برهان الدين القيراطي في غلام مطاوع

أباح لي من نرجس احداقه * في مجلس ما فيه ما ننكره

فقلت وردا لخد جد لي به * أيضا فقال الكل في الحضره

(وقال) شمس الدين بن الصائغ في غلام ذي خال

يروحي أفدي خاله فوق خده * ومن أنا في الدنيا فأفديه بالمال

تبارك من أخلى من الشعر خده * وأسكن كل الحسن في ذلك الخال

(وقال) شهاب الدين بن أبي حجلة في غلام يدعى مقبل

يا من تحجب عن محب صادق * ما زال عنه كل يوم يسأل

من لي بيوم فيه يسمح باللقا * ويقال لي هذا حبيبك مقبل

(وقال) برهان الدين القيراطي في غلام يبكي شعرا

لم يبك حين بكيت من * هجرانه متحسرا

وقد ذكرتهما في باب البركة والشاذروان والفوارة وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ شمس الدين الرئيس في غلام مليح وله لآلاء مضمنا

ومليح لآلاءه قد حكاه * فهو كالبدر في الدجى يتلالا
قلت قصدي من الانام مليح * هكذا هكذا والا فلالا

وأنشدني من لفظه لنفسه سيدي وأخي المولى الكامل شمس الدين محمد الشهير بابن الكفتي أبقاه الله تعالى لاحبابه حسبما اقترحه في غلام يعتز على من يهواه

وارحمتاه لقلبي كان يمنعني * حبي وصالا وكان الحب مستترا
وحين باحت بسري أدمع هملت * دري بعشقي له فاعتز واقتدرا

(وقال) الشيخ المحدث الفصيح الرحال صلاح الدين خليل الاقفهسي قال أنشدني الشيخ العارف السالك المحقق الصوفي ابراهيم بن الشيخ أحمد العربي الشهير بابن رفاعة أعاد الله من بركته من لفظه لنفسه في غلام معذر

رسم العذار بعارضيه بنفسجا * فوق الخدود فصار كالمرقوم
قبلت مرسوم العذار تأدبا * ومن التأدب قبلة المرسوم

(وكتب) الى القاهرة المحروسة من بعض متجدداته سيدي الجناب المجدي بن مكانس أبقاه الله تعالى في غلام أبيض

دعني وحالي في هوى أبيض * كالبدر أو أحسن من ذلك
وعش معنى في هوى أسمر * أومت اذا ماشئت في حالك

(وقال) شمس الدين بن محمد بن العفيف في غلام جرحت كفه السكين

لم تجرح السكين كف معذبي * الا لمعنى في الهوى يتحقق
هي مثلنا قد قيل جارحة غدت * ولكل جارحة اليه تشوق

(وكتب) الي من القاهرة من بعض متجدداته سيدي القاضي شهاب الدين أحمد ابن حجر سلمه الله تعالى في غلام مر بروضة مزهرة

ولم آنس اذ مر الحبيب بروضة * فغارت من المحبوب أعينها المرضى
ولاحت بخد الورد في الروض حمرة * حياء وسمت أطراف نرجسه غضا

(وقال) محيي الدين بن قرناص في غلام شد بوسطه بندا أحمر

من لقلبي من جور ظبي هواه * لي شغل عن حاجر وعقيق
خصر تحت أحمر البند يحكي * خنصرا فيه خاتم من عقيق

وقال صلاح الدين الصفدي أنشدني من لفظه لنفسه المولى شهاب الدين أحمد ابن مهاجر بحلب المحروسة في غلام لابس لامة حرب

ما لاح في درع يصول بسيفه * والوجه منه يضيء تحت المغفر
الا حسبت البحر مد بجدول * والشمس تحت سحائب من عنبر

وقال جمال الدين بن نباتة في غلام يدعى خليل عفا عنا

يغيب خليلي الحسن عني ليلة * فأسأم من ليل طويل أراقبه
وكيف يطيب الليل عندي والكرى * وليس الى جنبي خليل الاعبه

(وأنشدني) الشيخ عز الدين الموصلي لنفسه فيه

قال حبي خليلي غيرت ودي * وتركت الفؤاد مني عليلا
بعد عشق الملاح صرت تقيا * ماتراعي من الانام خليلا

(وأنشدني) سيدنا ومولانا القاضي صدر الدين بن الآدمي حسبما ورد اقتراحه من السادة المخاديم فضلاء الديار المصرية لنفسه

يامتهمي بالقسم كن منجدي * ولا تطل رفضي فاني عليل
أنت خليلي فبحق الهوى كن * لشعوني راحما ياخليل

(وقال) سيدنا القاضي بدر الدين الدماميني في غلام يسقي الماء

بروحي ساق همت اذ طاف بيننا * با كوابه اللاتي سقين أناما
ورمت ارتشاف الريق منه فلم يجد * ولكن كساجسمي ضنا وسقاما

والنختم هذا الباب بحكاية لطيفة ونكتة غريبة ذكرها أبو الفرج المعروف بالببغا قال تأخرت بدمشق عن سيف الدولة بن حمدان مكرها وقد سار عنها في بعض وقائعه وكان الخطر شديدا على من أراد اللحاق به من أصحابه حتى ان ذلك كان مؤديا الى النهب وطول الاعتقال فاضطررت الى اعمال الحيلة في التخلص والسلامة بخدمة من بها من الرؤساء والاخشيدية وكان سني في ذلك الوقت عشرين سنة وكان انقطاعي منهم الى أبي بكر علي بن صالح الروزبادي لتقدمه في الرياسة ومكانته من الفضل واصطناعه فأحسن مقبلي وبالغ في الاحسان الى

وفضلت تحت الضرورة فى المقام فتشوقت على قصد البقاع الحسنة والمتنزهات المطروقة تسليا وتعللا فلما كان فى بعض الايام عملت على قصد دير مران وهذا الدير مشهور الموضع فى الجلالة وحسن المنظر فاستصحبت من كنت آنس به وأمرت بحمل ما يصلح وتوجهنا نحوه فلما نزلنا أخذنا فى شأننا وقد كنت اخترت من رهبانه لعشرتنا من توسمت فيه رقة الطبع وسماحة النفس والخلق حسبما جرى به الرسم فى غشيان العمار وطروق الديرة من الطرق بعشرة أهلها والانسة بسكانها ولم تزل الاقداح دائرة بين مطرب الغناء وزاهر المذاكرة الى ان فض اللهو ختامه ولوح السكر لعينى اعلامه وحالت منى نظرة الى بعض الرهبان فوجدته الى خطابى متوثبا ولنظرى اليه مترقبا فلما أخذته عينى أكب على يرنجنى بخفى الغمز ووحى الايماء فاستوحشت من ذلك وأنكرته ونهضت مجلا واستحضرته فأخرج الى رقعة مختومة وقال لى قد أرملك فرض الامانة فيما تضمنته هذه الرقعة دونى وسقط زمام كاتبها فى استرهانك عنى ففضضتها فاذا فيها بأحسن خط وأملحه وأقواه وأوضحه

بسم الله الرحمن الرحيم لم أزل فيما تؤديه هذه المخاطبة يامولاى بين حشم يحث على الانقباض عنك وحسن ظن يحض على السانح بنفيس الحظ منك الى أن استنزلتنى الرغبة فيك على حكم الثقة بك من غير خبره ورفعت بينى وبينك حجب الحشمه فأطعت بالانبساط أوامر المؤانسه وانتهزت فى التوصل الى مودتك فأبت الفرصة والمستماح منك جعلنى الله فداك زورة ارتجع بها ما اغتصبتنيه الايام من المسرة مهنأة بالانفراد الامن غلامك الذى هو مادة مسرتك وأنشد

ومذاك عن خلق غير بطارق * ولكن لآخذ باحتياط على حالى

فان سامحت بخطبته منك أيدك الله تبرلا وان لك ثناء غنيمة غفل الدهر عنها وان فارق مذهب فيه أحد اهالى منهاجى على رغمى فى المضايقة فيما أوثره وأهواه وأترقبه من قربك وأتمناه فزمام المروة بارتهانك رد هذه الرقعة وسترها وتناسيها واطراح ذكرها واذا أنا بأبيات تتلو الخطاب

يا طاهر العمر بالفتوة والقصف وحث الكؤس والطرب
هل لك من صاحب يناسب فى الغر * بة أخلاقه وبالادب
أمحضه

أوحشه الدهر فاستراح الى * قربك منتصرا على النوب
فان تقبلت ما أتاك به فلم * يشب الظن فيه بالكذب
وان أبى الزهد دون رغبتنا * نكن كمن لم يقل ولم يجب

قال أبو الفرج فورد على ما حيرني واستردني ما كان الشراب حاره من تمييزي وحصل لي في الجملة أن أغلب الاوصاف على صاحبها الكتابة خطا وترسلا ونظما فشاهدته بالفراسة في ألفاظه ووجدت أخلاقه قبل الاختبار من رقعته وقلت لراهب من هذا ويحك وكيف السبيل اليه فقال أماذكره فاليه اذا اجتمعنا وأما السبيل الى لقائه فسهل ان شئت قلت دلني قال فكيف تعمل بالغلمان قلت لا أدري قال تظهر فتورا وتنصب عذرا تفارق به أصحابك مصرفا فاذا حصلت بباب الدير عدلت بك الى باب تدخل منه فرددت الرقعة اليه وقلت ادفعها اليه ليتأكد أنسه وسكونه الى وعرفه ان التوفر على اعمال الحيلة في المبادرة الى حضرته على ما أوثره من التفرد أولى من التشاغل باصدار جواب وقطع وقت بمكاتبة ومضى الراهب وعدت الى أصحابي بغير النشاط الذي ذهبت به فأنكروا ذلك فاعتذرت اليهم بشيء عرض لي واستدعيت ما أركبه وتقدمت الى من كان معي من الخدم بالتوفر على خدمتهم وقد كا عملنا على المبيت فأجمعوا على تعجيل السكر والانصراف وخرجت من باب الدير ومعي غلام صبي كنت آنس به وبخدمته وتقدمت الى الشاكري برد الدابة وستر خبري ومباكرتي فتلقاني الراهب وعدل بي الى طريق مضيق وأدخلني الى الدير من باب غامض وصار بي الى باب قلاية متميز عما جاوره من الابواب نظافة وحسنا فقرعه بحركات مختلفة كالعلامة فابتدرنا منه غلام كأن البدر ركب على أزراره مهفهف الكشح مخطفه معتدل القوام أهيفه تخال الشمس برقعت غرته والليل ناسب أصداغه وطرته في غلالة تنم على ما يستره وتحفو مع رقتها عما يظهره وعلى رأسه مجلسيته بصمت فبهر عقلي حسنا فاستوقف نظري ثم جفل كالظبي المذعور فتلوته والراهب الى صحن القلاية فاذا أنا ببيت فضي الحيطان رخامي الاركان مفروش بحصير قد اتعب صانعه منقوش كأنه روضة مزخرفة بالنور أضحكها سقوط الندى فوثب الينا منه فتى مقبل الشباب حسن الصورة والاهاب ظاهر النبل والهيئة

فلقيني حافيا يسترق سراويله واعتنقني ثم قال انما استخدمت هذا الغلام الى تلقيك يا سيدي لاجعل ما اعلك استحسنته من وجهي مصانعا عما يرد عليك من مشاهدتي فاستحسنت اختصارة الطريق الى بسطي وارتجاله النادرة على نفسه حرصا في تأنيسي وأفاض في شكري على المسارعة أمره وأنا أواصل في خلال كلامه المبالغة في الاعتدال به ثم قال يا سيدي أنت مكدود بمن كان معك والاستمتاع بمحادثتك لا يتم الا بالتوصل الى راحتك وقد كان الامر على ما ذكر فاستلقيت بسريرا ثم نهضت نخدمت في حالتي النوم واليقظة الخدمة التي ألفيتها في دور أكابر الملوك وأجلة الرؤساء وأحضر لنا خادماله لم أرأحسن وجها منه يحمل طبقا يضم ما يتخذ للعشاء مما خف ولطف وقال الاكل مني يا سيدي للحاجه ومن لك للمالحة والمساعدة فأكلنا شيأ وأقبل الليل وطلع القمر ودخل من مناظر ذلك البيت الى فضاء أدى الينا محاسن الغوطة وحيانا بذخائر رياضها من المنظر الجاني والنسيم العطري وجاءنا الراهب من الاشربة بما وقع عليه اتفاقنا على المختار منه ثم اقتعدنا غارب اللذه وجرينا في ميدان المفاوضه فلم نزل نتناهب نوادر الاخبار وملح الاشعار ونمزج ذلك من المزح بأظرفه ومن التودد بألطفه الى أن توسطنا الشراب فالتفت الى غلامه وقال يا مترف ان مولاك ليس مما يدخر عنا السرور بحضوره ومايجب ان ندخر مكانا في مسرته فانتقع وجه الغلام حياء وخفرا فأقسم عليه بحياتي وأنا لا أعلم مايريد فمضى وعاد يحمل طنبورا وجلس وقال لي يا سيدي أتأذن لي في خدمتك فهممت بتقبيل يده لما تداخلني من السرور بذلك فأصلح الطنبور وضرب وغنى هذه الابيات

يا مالكي وهو ملكي * وسالبي ثوب نسكي
نزهت بين الهوى فيك عن تعرض الشك
لولاك ما كنت أبكي * الى الصباح وأبكي

فنظر الى الغلام وتبسم فعلمت ان الشعر له فكدت والله أطير فرحا علاحة خلقه وحسن خلقه وقوة حذقه وجودة ضربه وعذوبة ألفاظه وتكامل حسنه فاستدعيت كثيرا فأحضر الخادم عدة قطع من فاخر البلور وجيد المحكم فشربت سرورا بوجهه وشرب بمثل ما شربت ثم قال لي أنا والله يا سيدي أحب ترفيهك

ولا أقطعك عما أنت متوفر عليه ولكن اذا عرفت الاسم والنسب والصناعة واللقب فلابد ان نشي ليلتنا بشيء يكون اهامرازا ولذكرها معلما فجذبت الدواة وكتبت ارتجالا وقد أخذ الشراب مني هذه الابيات

ولبلة اوسعتني * حسنا ولهوا وأنسا
مازلت الثم بدرا * بها وأشرب شمسا
اذ أطلع الدير سعدا * لم يبك مذ كان نحسا
فصار للروح روحا * وصار للنفس نفسا

فطرب على قولي ألثم بدرا واشرب شمسا وجذب غلامه فقبله وقال ماجهلت ما يجب لك من التوقير وانما اعتمدت تصديقك فيماذكرته فيما أتى الاما فعلت ذلك بغلامك فاتبعت ايثاره خوفا من احتشامه وأخذ الابيات وجعل يرددها ثم أخذ الدواة وكتب اجازتها

ولم أكن لغرمي والله أبذل فلسا * لوارتضى لي غريمي بدير مران حبسا

فقلت اذا والله ما كان يؤدي أحد حقا ولا باطلا وداعبته في هذا المعنى بما حضر وعرفت في الجملة انه متستر من دين وقال لي قد خرج اليك أكثر الحديث فان عذرت والا ذكرت لك الحال لتعرفها على صورتها فسبقت ما يؤثره من كتمان أمره فقلت له يا سيدي كل من لا يتعرف بك نكرة وقد اغنت المشاهدة عن الاعتذار وبانت الخبرة عن الاستخبار وجعل يشرب ويقصب من غير استكراه ولاحث ولا استبطاء الى أن رأيت الشرب قد دب فيه وأكب على محادثة غلامه والفطنة تنبه في الوقت بعد الوقت فأظهرت السكر وحاولت النوم وجاء الغلام بفرش حسن ففرش لي بازاء فرشه فنهض اليه وقام يتفقد أمري بنفسه فقلت له ان لي مذهبا في تقريب غلامي مني واعتمدت بذلك تسهيل ما يختاره من هذا الحال في أمر غلامه فتبسم وقال لي بسكره جمع الله لك شمل المسرة كما جمع جمعه لي بك وأظهرت النوم وعاد الى محادثة غلامه ونعاتبه بأعذب لفظ وأحلى معاتبة ويمزج ذلك بمواعيد تدل على سعة وانبساط يد وغلامه تارة يقبل يده وتارة خفه وغلبتني عيناى الى ان أيقظني هواء السحر وانتبهت وهما متعانقان بما كان عليهما من اللباس فأردت توديعه فخفت انتباهه وازعاجه فخرجت فلقيني الخادم يريد ايقاظه وتعريفه بانصرافي فأقسمت عليه ألا يفعل ووجدت

غلامي قد بكر بما أركبه كما كنت أمرته فركبت منصرفا وعاملا على العودة اليه والتوفر على مواصلته وأخذ الحظ منه في معاشرته ومتوهما ان الذي كنت فيه منا ما اطيبه وقرب أوله من آخره واعترضتني أسباب أدت الى اللحاق بسيف الدولة فصرت على أتم حسرة لما فاتني من معاودة لقائه وقلت في ذلك هذه الابيات

ويوم كان الدهر ساءحني به * فصار سمي بيننا هبة الدهر
جرت فيه افراس الصبا بارتياحنا * الى دير مران المعظم ذي القدر
فمن روضة بالحسن تو قد روضه * ومن نهر بالفيض يجري الى نهر
وفي الهيكل المعمور منه اقترعتها * وصحبي حلالا بعد توفية المهر
ونزهت عن غير الدنانير قدرها * فحازت منها أشرب التبر بالتبر
وحل لنا ما كان منها محرما * وهل يحظر المحظور في بلد الكفر
فأهدت لي الايام فيه مودة * دعتني في سر فلبيت في ستر
أتي من شريف الطبع أصدق رغبة * يخاطبني من معدن النظم والنثر
وكان جوابي طاعة لا مقالة * ومن ذا الذي لا يستجيب الى اليسر
فلاقيت من العينين نيلا وهمة * محلى المحايا بالطلاقة والبشر
وأحشمني بالبرحى حسبته * يريد اختداعي عن حياتي ولا أدري
وتزه عن غير الصفاء اجتماعنا * وكنت واياه كقلبين في صدر
وشاء السرور ان يلينا بثالث * فلاطفنا بالبدر أو بأخي البدر
يعط العيون ما أسهمت من جماله * ومضى القلوب بالتجني وبالهجر
جنينا جنى الورد في غير حينه * وزهر الربا من روض خديه والثغر
وقابلنا من وجهه وشرابه * بشمسين في جنحي دجى الليل والشعر
وغنى فصار السمع كالطرف أجدا * بأوفر حظ من محاسنه الزهر
وأتبعنا في وجنتيه بمثل ما * تمزج كفاه من الماء والخمر
سرور وسكرنا منه لا نصحو اذ دعا * اليه ولم نشكر به منة السكر
كأن الليالي يغرن عنه فبعد ما * تنبهن يشكين الوفا الى الغدر
مضى وكأنما كنت فيه مناما * فحدثت عن طيف الخيال اذا يسري
وهل يحصل الانسان من كل ما به * تسامحه الايام الا على الذكر

ولم أزل على أتم قلق وأعظم حسرة وأشد تأسف على ماسلبته من عظيم النعمة بفراق الفتى لاسيما ولم أحصل منه على حقيقة ولا يقين خبر يؤديانى الى الطمع فى لقائه الى أن عاد سيف الدولة الى دمشق وأنا فى جملته فما بدأت بشئ قبل المصير الى الراهب وقد كنت حفظت اسمه فخرج الى مرعوبا ولا يعرف السبب فلما رآنى استطار فرحا وأقسم لا يخاطبنى الا بعد النزول والمقام عنده يومى ذلك ففعلت فلما جلسنا للمحادثة قال مالى أراك لا تسألنى عن صديقك قلت والله مالى فكر منصرف عنه ولا أسف يتجاوز ماحرمته منه ولا سررت بعودى الى البلد الامن أجله ولذلك بدأت بقصدك فاذكر لى خبره فقال أما الآن فنعم هذا فتى من أولاد عظماء مصر جليل القدر عظيم النعمة كان قد ضمن من سلطانه بمصر ضياعا بمال كثير فخاسر به ضمانه لقعود السعر وأشرف على الخروج من نعمته فاستتر ولما اشتد البحث عنه خرج متخفيا الى أن ورد دمشق بزى تاجر وكان استتاره عند بعض اخوانه ممن له عادة بخدمته فأتيت عنده يوما اذ ظهر لى وقال لصديقه أريد الانتقال الى هذا الراهب ان كان مأمونا فذكره صديقى مذهبى وأظهرت السرور بما رغب فيه من الانس بى وأنا لا أعرفه غير ان صديقى قد أمرنى بخدمته وحصل فى قلايتى وواصل الصوم فلما كان بعد أيام جاءنا الرسول من عند صديقنا هو والغلام والخادم قد لحقا به ومعهما سفاتج وعليهما ثياب رثة فلما نظر الى الغلام قال ياراهب قد حل الفطر وجاء العيد ووثب اليه واعتنقه وجعل يقبل عينيه ويبكى ووقف على السفاتج وأنفذها مع درج رقعة منه الى صديقه فلما كان بعد يومين حمل اليه ألفى دينار وقال له ابتع لنا ما نستعمله فى هذه الضيعة فابتاع آلة وفرشا ولم يزل مكبا على مارأيت الى أن ورد عليه كتاب أهله بتدبير حاله مع سلطانه وأخذ خط السلطان بحطيطة المال وطيب قلبه وتحقق رضى السلطان فلما عزم على المسير قال الغلام سلم جميع مابقى معك من نفقتنا الى الراهب ليصرفه فى مصالح الدير وسار وماله حسرة غيرك ولا أسف الا عليك يقطع جميع الاوقات بذكرك ولا يشرب الا على ما يغنيه الغلام من شعرك وهو الآن بمصر على أحسن الاحوال وأجلها مايخل بتفقدى وخف بعض ماعندى من الحزازة بما عرفت من حقيقة خبره وأتممت يومى عند الراهب وكان آخر العهد منه ومن الغلام والسلام

(الباب الرابع والعشرون في الجواري ذوات الالحان)

قال الثعالبي في تحفة الارواح وموائد السرور والافراح ان غناء الجواري ذوات الحسن والدلال له موقع في القلب أحسن من موقع غناء الرجال وان كان أجود منه وذلك مع الرويه وقال افلاطون غناء الملاح تحرك فيه الشهوة والطرب وغناء القباح يحرك فيه الطرب لا الشهوة وقد قيل أحسن الناس غناء من تشبه بالنساء من الرجال ومن تشبه بالرجال من النساء وما أحسن قول القائل

جاءت بوجه كأنه قمر * على قوام كأنه غصن
غنت فلم تبق في جارحة * الا تمنيت أنها أذن

(وقال) يزيد بن الوليد اياكم والغناء فانه يسقط المروءة وينقص الحياء ويبدي العورة ويزيد في الشهوة وانه لينوب عن الخمر ويصنع بالعقل ما يصنع به السكر وان كان ولابد فجنبوه النساء فان الغناء داعية الزنا (وقال) بعض أهل الادب لا يكون الملك ملكا حتى يلبس من طرازه وينكح من بلاده ويركب من نتاجه ويسمع الغناء من جاريته وغلامه (وقال) بعضهم في جارية عوّاده

وكأنه في حجرها ولدلها * تحنو عليه عند كل أوان
أبدا تدغدغ بطنه فاذا هفا * عركت له أذنا من الآذان

(وقال) ابن تميم فيها أيضا

ومهاة قد راضت العود حتى * عاد بعد الجماح وهو ذلول
خاف من عرك أذنه اذ عصاها * فلهذا كما تقول يقول

وقال آخر فيها وأجاد

أشارت بأطراف لطاف كأنها * أنابيب در قمعت بعقيق
ودارت على الاوتار جسا كأنها * بنان طبيب في مجس عروق

(وقال) ابن حجاج فيها وأجاد

هذا ومحسنة بالعود عاشقها * بذلك الطيب في الاحيان مسرور
اذا تثنت وغنت خلت قامتها * غصنا عليه قبيل الصبح شحرور

(وقال) صلاح الدين الصفدي فيها

حبست مثانى عودها بأنامل * عبثت بلب الخاشع المتورع
وشدت فلوشاءت عذوبة لفظها * عطفت عنان البارق المسرع
وعجبت من ريح الصبا اذلم يقف * طربا ولكن مالها اذن تعى
أبصرت ياعيناى مالم تبصرى * وسمعت يا أذنى مالم تسمع

(وقال) جمال الدين بن نباتة فيها

بروحى هيفاء المعاطف حلوة * تكاد بألحاظ المحبين تشرب
لقد عذبت ألفاظها وصفاتها * على أن قلبى فى هواها معذب
تجاسر عود اللهو يشبه صوتها * فمن أجل هذا أصبح العود يضرب
وأجرى دموع العاشقين بلعبها * فقال الآس دعها تخوض وتلعب

(وقال) النور الاسعردى فى جارية جنكيه

لبنت شعبان جنك حين تنطقه * يغدو بأصناف ألحان الورى هازى
لاغرو ان صاد ألباب الرجال بها * أماتراه يحاكى مخلب البازى

(وقال) الصلاح الاربلى فى الجنك

الجنك مركب عقل فى تشكله * والرق قلع له الاوتار أطناب
يجرى بريح اشتياق فى بحار هوى * يؤم ساحل وصل فيه أحباب

(وقال) سيدى شهاب الدين أحمد بن حجر فى جارية تلعب بالكمنجا

مالها هجرت وكم قدمرّلى * منها الرضا فى سالف الاعصار
وقضيت معها اذشدت بكمنجة * مابين سالف نغمة أوطار

(وقال) سيدنا القاضى بدر الدين الدمامينى فى جارية تدق بالكف

لقد دقت بكفها فتاة * صفت فينا خلائقها ورقت
فأفديها مغنية رأينا * بها الافراح حلت حين دقت

(وقال) شمس الدين بن دانيال فى جارية تضرب بالدف وأجاد

ذات القوام الذى يهتز غصن نقا * لومرّ يوما عليه طائر صدحا
تبدى على الدف كالجمار معصمها * أناملا بينان تشبه البلحا
غناؤها برقيق الغنج تمزجه * فما ينقط الاكل من رشحا

(وقال) شمس الدين الكوفى الواعظ فى جارية مشببة كذا ذكره الصفدى فى تضميخ التضمين

لقد حصلت لي ليلة لا تقوم * وعندي من أهوى بها أتنعم
وفي كفها شبابة تجمع المنا * فنحن سكوت والهوى يتكلم
وينفخ فيها الروح روح بأمرها * وما هو جبريل وما هي مريم
وما الدهر الا صورة دمها لطلا * فحرم اذ شرب الدماء محرم
ومازلت شيعيا الى أن أتوا بها * عتيقا فناديت العتيق المقدم

وهذا التضمين أغار عليه القاضي محي الدين بن عبد الظاهر وقد ذكرته في الحذاق المطربين (وقال) كمال الدين جعفر الادفوي في تاريخه البدر السافر عن انس المسافر في ترجمة القاضي تقي الدين عبد الرحمن بن عبد الوهاب بن خلف يعث بابن البيت الاعز الشافعي ومن شعره ملغزا في شبابة

ومحبوبة مهما خلت مع حبيبها * يقبلها لثما ويتطرها شزرا
منقبة عريانة وهي فتنة * لمن أصبحوا من شرب كأس الهوى سكرى
وتحيفها في كف من شاء منهم * ومن شاء في اليمنى ومن شاء في اليسرى

وكتب الى شرف الدين بن الحلاوي ملغزا فيها مضمنا

وناطقة خرساء باد شحوبها * تكنفها عشر وعنهن تخبر
يلذ الى الاسماع رجع حديثها * اذا سدمنها منخر جاش منخر

فأجاب بهذا البيت واجاد

نهاني النهى والعلم عن وصل مثلها * فكم مثلها فارقتها وهي تصفر

(قلت) تكرير لفظة مثلها غير طائل وألم بهذا التضمين مجير الدين بن تميم فقال

وشبابة قد كنت أهوى سماعها * وقد صرت منها عندما بت أنفر
وها أناقد فارقتها غير نادم * وكم مثلها فارقتها وهي تصفر

(قلت) كان المذكور لهجا بالتضمين مكثرا منه حتى قال في نفسه وظرف

أطالع كل ديوان أراه * ولم أزجر عن التضمين طيري
أضمن كل بيت فيه معنى * فشعري نصفه من شعر غيري

(وقال) ابراهيم بن المعمار في جارية مغنيه

وجارية مغنية بلطف * على الايقاع بالكعبين دقت
فغنت ثم رقت لي بوصل * فقمت قطعتها من حيث رقت

(وقال) بدر الدين بن الصاحب فيها

غنت فأغنت عن كؤس الطلا * بالسكر من لذات تلك اللحون
فقلت اذ هيجني صوتها * في مثل ذا الحلق تروح الذقون

(وقال) صفي الدين الحلي في جارية ترقص بالشراب

والراقصات وقد شدت مآزرها * على خصور كأوساط الدنانير
كأن في الشرب اناها وقد رقصت * صبحا تقاقل فيه قلب مخمور
ترعى الضروب بكفيها وأرجلها * وتحفظ الاصل من نقص وتغيير
وتعرب الرقص من لحن فيلحقه * ما يلحق النحو من حذف وتقدير

(وقال) جمال الدين حسن بن على بن داود الفارقي

لله راقصة تميس كأنها * ظل القضيب اذا تمايل مزهرا
تزهو وترجع كالخيال فلا ترى * حركاتها الا كطارقة الكرى
لانت معاطفها فكيف تلفتت * وتفلتت لا يستطاع بأن ترى

(وقال) أبو الحسن على بن أبي اليسر فيها

هيفاء ان رقصت في مجلس رقصت * قلوب من حولها من حذقها طربا
خفيفة الوطئ لو جالت بخطرتها * في جفن ذي رمد لم يعرف الوصبا

(وقال) الشيخ عز الدين الموصلي لنفسه فيها

هيفاء راقصة للزهر قد كشفت * في الكون ما مثلها نجم على الكرة
كالغصن ان خطرت يا ليتها عطفت * مذ أمرضتني وعادت بالتي شفتي

(وقال) الوجيه المناوي في جارية تلعب بخيال الظل

وجارية معشوقة اللهو أقبلت * بحسن كزهر الروض تحت كمام
اذا ما تغنت قلت شكوى صبابة * وان رقصت قلنا حباب مدام
أرتنا خيال الظل والستر دونها * فأبدت خيال الشمس خلف غمام
تلعب بأشخاص من خلف سترها * كما لعبت أفعالها بأنامي

(فصل) فيما يتعلق بكتابة المتظرفات منهن على آلاتهن كتبت مزنة على مضرابها * من نظر الى سوانا لم يصدق في هوانا * وكتبت ظبية مغنية ابن يزداد على ملهاتها * احفظ سرك عن غيرك * وكتبت ظوافر على ملاويها وافق من ترافق * وقارب من تصاحب * وكتبت ضوء الصباح على عودها بالذهب * من خالفنا فليس منا * وكتبت تحفة * ومن أرادنا لا يصبر عنا

وكتبت قينة جارية الملك الظاهرية على بابها * صل من قطعك وأعط من حرمك
وكتبت نزهة جارية الجصاص على أحدى جانبي مضرابها * من ورد عودها غير حياءه صدر نداءه * وعلى الجانب الآخر * السعيد من وعظ بغيره (حاشية) قال على بن الجهم اشتريت جارية فقلت لها ما أظنك بكرا فقالت كثرت الفتوحات فى زمن المعتصم وقلت لها كم بيننا وبين الصبح فقالت عناق مشتاق ونظرت الى الشمس كاسفة فقالت احتشمت محاسنى فتنقبت وقلت لها نجعل مجلسنا فى القمر فقالت ما أولعك بالجمع بين الضرائر وكانت تكره الحلى وتقول يستر المحاسن كما يغطى القبائح

(فصل) فى المولدات من الجوارى وغيرهن قال القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر فى جارية تدعى وردة

يا بى دمية ولدة الحسـ ـن دعوها وردة البستان
فى التصاوير مثلها ليس يلقى * فهو لون وردة كالدهان

(وقال) شهاب الدين بن أبى حجلة فى جارية تدعى حكم الهوى

حكم الهوى صدت فبت لاجل ذا * ولهان من فرط الصبابة والجوى
يا عاذلى لا تلحنى فى حبها * نفذ القضاء وهكذا حكم الهوى

(وقال) بدر الدين بن الصاحب فى جارية تدعى صباح

وقينة تدعى صباحا قد غدت * فى حسنها تباهة فى مراح
تصد والطرف لها ساهر * تقول لى ماله من صباح

(وقال) الشيخ نجم الدين الغفارى فى جارية تدعى قلوب

عاتبنى فى حبكم عاذل * يزعم نصحى وهو فيه كذوب
وقال ما فى قلبك اذكره لى * فقلت فى قلب المعنى قلوب

(وقال) القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى فى جارية تدعى حدق

سكرت فى حب من أهوى معاطفه * تطوى الضلوع على التبريح والحرق
قالوا بجد بدموع العين قلت لهم * لا تسألوا ما جرى منها على حدق

(وقال) أبو حفص جعفر الشطرنجى فى جارية سوداء

أشبهك المسك وأشبهته * قائمة فى حسنها قاعده
لا شك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

(وقال) ابن قلاقس فيها وابدع

رب سوداء وهي بيضاء معنى * نافس المسك عندها الكافور
مثل حب العيون تحسبه النـــاس سوادا وانما هو نور

(وقال) أبو تمام الحجام الطيطلي وأجاد

يا كعبة بذوي الالباب لاعبة * في أصل حسنك معنا غير متفق
خلقت بيضاء كالكافور ناصعة * فصرت سوداء من مثوالك في الحدق

(وقال) شهاب الدين بن فضل الله في جارية سوداء مغنيه

يارب سوداء لاجفانها * كما بيض الهند تأثير
يطربني ترجيع ألحانها * وكيف لا يطرب شحرور

ولا بأس بايراد نبذة يسيرة من ذمهم * قال الجماز لعلي الرازي وقد أراد شراء حبشية تمتعها الدهر مزمن وأبطها منتن وجسدها لا يقبل الطيب واذا شربت احمرت عيناها واخضرت وجنتاها واذا كسيت فظاعة على جسد اسود * وقال الماهاني لصديق له لما أولعت بالسودان فقال لانهن أسخن فقال الماهاني أسخن للعير (نادرة) تزوج مدني سوداء فعوتب فقال عنق ماء بئان لم يكن ضراطها في الليلة الشتائية أنفع من عدل فحم وقال الصنوبري يهجو زامرة سوداء

فكانما المزمار في أشداقها * غرمول عير في حيا أتان
وترى أناملها على مزمارها * كخنافس دبت على ثعبان

(وقال) السراج المختار الحلبي فيها

ولرب زامرة تهيج بزمرها * ريح البطون فليتها لم تزمر
شبهت أنملها على ضرباتها * وقبيح مبسمها الشنيع الابخر
بخنافس قصدت كنيفا واغتدت * تسعى اليه على خيار الشنبر

ولنختم هذا الفصل بلطائف من حكايات الجواري الحسان وما خصوا به من فصاحة اللسان * قال بعض الرواة الاخيار ومن يوثق به في الاخبار رأيت بالبلقاء ثلاث جوار كأنهن اقمار او كأنما أفرغن في قالب الحسن أو الكن أنفسهن فتصورن كما اشتهين قلت يا ضرائر الشمس أحرات أنتن قلن لا ولكنا الا فمودات وعقائل حسيبات تجتمع في هذا المكان لسبب ما تشتمل عليه القلوب من دواعي العيون ونحن نصف لك حالنا فاقض علينا بما تسمع من أشعارنا قلت قلن فقالت الاولى

يقولون طعم الحب مر وأنني * أظن بأن الهجر مر من الحب

فقلت المريض أعلم بدائه فقالت سبحان من ستر خلقه بثوب عفوه ولم يعلم غيره ضمائرهم بثاقب علمه وقالت الثانية

أظن بأن الحب يقتل أهله * اذا لم يكن في الحب قرب ولا وصل

فقلت من جرب أمرا عرفه فأظهر حياءها وتوردت خديها فقالت الثالثة

أخال الهوى داء يعز دواؤه * اذا غاب من يهوى وعانده الدهر

فقلت من خاف شيأ أحذر منه والا وقع فيه فتنفست الصعداء وقالت أعوذ بالله من الشيطان الرجيم وقمن فما رأيت أغصانا تحملن أقمارا أسافلها كثبان الا هن * وحكى سيار بن المعتمر قال زرت خمارا وكنت أهوى جارية معه بين وكانت أديبة مهيمنة فأخرجها وجعلت تغني وطرفها يضحك فوهمتني سرورها بحبي اليها فبقيت في لذة من غنائها تجاوز الوصف فلما قرب وقت الانصراف دخلت ثم خرجت وعليها عصابة فيها مكتوب

تبسم طرفي فاستهام فؤاده * الى ضحك عين صيرته له سحرا

الا ان حسن الطرف ما كان ضاحكا * فلا يوهمنك الضحك في مقلتي أمرا

فاختلط عقلي وتغير على ما كان حلا من غنى معها فلما رأت ما قد نزل بي قلبت العصابة فاذا عليها مكتوب

مزحت فلا تجعل مزاجي علة * لصرف الهوى عني فتجعله هجرا

منحتك من قلبي مكانا وقربة * عليك فلا تأسى لما حكيته شعرا

وقرأت في كتاب منازل الاحباب ومنازة الالباب تأليف العلامة شهاب الدين محمود الحلبي رحمه الله تعالى * حكى أبو الفرج الاصبهاني عن بعض بني حمدان قال كنت مع المتوكل لما شخص الى الشام فلما وصلنا الى حمص قال أريد أن أطوف هذه الكنائس والمواضع التي تعرف بالفراديس فاني كنت أسمع بطيب هذا المكان فقلت الرأي ما رأى أمير المؤمنين فلما استراح من الركوب دعاني وأخذ بيدي ولم يزل يستقري تلك الكنائس والاديرة وما فيها من الصور واحداث الرهبان وبنات القسيسين فرأينا وجوها كأنها الاقمار على غصون تنثني على تلك الاروقة والحصون وكل ما مر بنا شيء من ذلك قال أتدري ما نحن فيه وخلونا براهب من قوام الكنيسة فجعل المتوكل يسأله عن اسم كل من مر به ونسبه فبينما نحن

كذلك اذمرت بنا جارية ما رأيت لها شبها في يدها مجمرة تبخر بها فقال لها المتوكل تعالي يا جارية فأقبلت بحسن أدب وكمال حسن فقال للقس من هذه قال ابنتي قال وما اسمها قال شعانين فقال لها المتوكل يا شعانين استقيني ماء فقالت ماء ناههنا من الغدران ولست استنظف لك آنية الرهبان ولو كانت روحي ترويك لجدت لك بها ثم جاءت بكوز من فضة فيه ماء فأومت الي أن أشربه فشربته فازداد عجبه بها وقال لها يا شعانين ان أنا هويتك تساعديني فتنفست الصعداء وقالت يا مولاي أما الآن فأنا أمتك وأما كوني عرفت صدق محبتك وتمكنها من قلبك فلا فانا أخوفني من حدوث الطغيان عند تملك السلطان أما سمعت قول الشاعر

كنت لي في أوائل الامر عبدا * ثم لما ملكت صرت عدوّا
أين ذاك السرور عند التلاقي * صار مني تجنبا ونبوّا

فطرب المتوكل حتى كاد يشق ثوبه وقال لها هبي لي نفسك أشرب أنا وأنت اليوم فقالت على الرحب والسعة ثم أصعدتنا الى علية مشرفة على تلك الكنائس فرأينا منظرا عجيبا ثم جاءت باداء حسن ورقاق وكان المتوكل عاف ما جاءت به واستأذنها في احضار طعام فأذنت فأتي بخرفان مشوية وأشياء غريبة الانواع فاستظرفت ما جيء به واستهولت الآلة وفطنت لامر المتوكل وقامت بين يديه وهممت بالمجود له فنعها ثم جاء القس من بيت الرهبان بشراب ذكر المتوكل انه لم يشرب مثله قط فشرب وشربت معه ثم استعفيته من أجل حمي كانت فأعفاني وشربها بحديثها فلما أخذ منه الشراب قالت يا سيدي أغنيك عن ضعف الصنعة فقال ان فعلت كمل والله ظرفك فأتت بشئ يشبه العود واندفعت تغني بهذه الابيات

يا خاطبا من المودّة مرحبا * نفسي فداؤك لاعدمتك خاطبا
أنا عبده لهواك فاشرب واسقني * واعدل بكأسك عن جليسك ان أبى
قد والذي رفع السماء ملكتني * وتركت قلبي في هواك معذبا

فصاح المتوكل وقال أصبت أنت وذلك لاني كنت أخطأت في ترك مساعدته فأخذت رطلا وشربته حتى كمقته ومضى لنا من الايام لا فراد ثم أرغبها المتوكل واستسلمها وتزوجها ولم تزل عنده حظية الى أن قتل في داره * كتب بعض المجان

الى صاحب له يستهديه جارية حفظك الله وحفظ النعمة عليك ان بين كل أمر يطلبه الرجل وبين المطلوب منه ذريعة يتوسل بها الى معروفه ولي بالرجاء فيك درجة توجب قضاء الحقوق وحاجتي أبقاك الله ظريفة من الجواري لم تتداولها أيدي التجار ولم تمتهنها خدمة الموالي ولي فيها شريطة أعرضها عليك وأذكرها لديك لترى رأيك فيها انه كان يقال اذا اتخذت جارية فاستجد شعرها فان الشعر أحد الوجهين وتكون رائعة البياض تامة القوام فانه يقال ان البياض والطول نصف الحسن كله وتكون مليحة الضحك فانه أول ما يستجلب من المرأة به المودة ومتقاربة الخطوة وتكون جيداء العنق غيداء الليت كحلاء العين لها طرف أدعج وحاجب أزج موردة الخدين سهلتهما واضحة الجبين قنواء الانف حمراء الشفتين مفلجة الثنايا نقية الثغر مشرقة النحر ولست أكره الانكسار في الثديين لانه لا لذة للنهود عندي الا لذة النظر وهي أيضا تحول بين المعانق وبين ارادته وان قال الشاعر

جال الوشاح على قضيب زانه * رمان صدر ليس يعطف ناهد

وأكره العجيزة الضخماء ولا أحب الرسحاء أريدها وسطا لان خير الامور أوساطها وتكون سبطة البنان قنواء الساعد ممتلئة الذراع فخمة العضد قبّاء البطن خفيفة الخصر يطويها الضجيع على الحالة عبلة الفخذين بردية الساقين لطيفة القدمين ولولا افراط الغيرة لذكرت ما أحبه مما هو مستور الا عند الحاجة اليه وأريدها رخيمة الصوت شهية النغمة عذبة الالفاظ بها غنة الحداثة وبحة الاحتلام أشجى خلقا من الغريض وأنعم كلاما في الآذان من مخارق وأثبت حجة من أبي الهذيل العلاف وأبين معنى من النظام ظريفة المجون حسنة الوقار ان أردتها دنت وان كرهتها نأت أطوع من الرداء وأذل من الحذاء وقدرك أيدك الله يحمل اقتراحي عليك وشكري لك يستوجب ما سألته منك وأنا بالاسعاف جدير وأنت بالافضال قمين * فأجابه سألت أعزك الله عن هذه الصفة وطلبت هذا النعت فأعياني في الدنيا وما أراني أجدها الا في الآخرة وقد بعثت لك بألف دينار لتلتمسها أنت وتسأل اخوانك معاونتك على ذلك فان وجدتها أو وجدها لك أحد دفعت اليه الدنانير رهن الدلالة وعرفني بمقدار الثمن لانفذه اليك

ان شاء الله تعالى

(الباب الخامس والعشرون فى الباه)

قال الشيخ الامام علاء الدين أبو الحسين على بن أبى الحزم القرشى المتطبب المعروف بابن النفيس تغمده الله بالرحمة فى كتابه المعروف بالموجز فى الجملة الثانية من الكتاب المذكور فى قواعد الجزء العملى من الطب فى تدبير الجماع قال رحمه الله وسامحه الجماع أفضله ما وقع بعد الهضم وعند اعتدال البدن فى حره وبرده و يبوسته ورطوبته وخلائه وامتلائه فان وقع خطأ فضرره عند امتلاء البدن وحرارته ورطوبته أسهل من خلائه وبرده و يبوسته وانما ينبغى أن يجامع اذا قويت الشهوة وحصل الانتشار التام الذى ليس عن تكلف ولا فكرة فى مستحسن ولا نظر اليه وانما هاجته كثرة المنى وشدة الشبق وان تحصل عقيبه الخفة والنوم والجماع المعتدل ينعش الحرارة الغريزية و يهيئ البدن للاغتذاء ويفرح ويعظم الغضب و يزيل الفكر الردىء والوسواس السوداوى وينفع أكثر الامراض السوداوية والبلغمية وربما وقع تارك الجماع فى أمراض مثل الدوار وظلمة البصر وثقل البدن وورم الخصية أو الحالب فاذا عاد اليه برئ بسرعة والافراط فى الجماع يسقط القوة و يضر العصب ويوقع فى الرعشة والفالج والتشنج و يضعف البصر جدا وجماع الغلمان أقل استفراغا للمنى فيكون اضعافه وضرره أقل لكن يحوج الى حركات متعبة لكونه استفراغا غير طبيعى وليجتنب جماع العجوز والصغيرة جدا والحائض والتى لم تجامع من مدة طويلة والمريضة وقبيحة المنظر والبكر فكل ذلك يضعف بالخاصية وجماع المحبوب يسر و يقل اضعافه مع كثرة استفراغه المنى وأرداء أشكال الجماع أن تعلو المرأة الرجل مستلقيا لتعسر خروج المنى وربما بقى فى الذكر بقية فيتعفن بل ربما سال من الفرج رطوبات الى الذكر وأفضل أشكاله ان يعلو الرجل المرأة رافعا فخذيها بعد الملاعبة التامة ودغدغة الثدى والحالب ثم حك الفرج بالذكر فاذا تغيرت هيئة عينيها وعظم نفسها وطلبت التزام الرجل أولج الذكر وصب المنى ليتعاضد المنيان وذلك هو الحبل ومما يعين على الجماع رؤية المجامعة والنظر الى تسافد الحيوانات وقراءة

الكتب المصنفة فى الباءة وحكايات الاقوية من المجامعين واستماع الرقيق من أصوات النساء وحلق العانة يهيج الشهوة وطالة العهد بترك الباءة ينسيه النفس والاستغناء باليد يوجب الغم ويسقط الشهوة والانتشار انتهى كلام ابن النفيس * وسئل ابقراط كم ينبغى للانسان أن يجامع فقال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع قيل فان لم يقدر قال هى روحه متى شاء أخرجها

(فصل) ولما كان جمال المرأة وحسن تناسب أعضائها والداعى الرجل الى وطئها وأجلب لشهوته عند النظر اليه والمحواسه فى حال مصاحبتها فلا بأس بايراد نبذة من ذلك أجمع أهل المعرفة ان الذى يحمد فى المرأة من السواد أربعة أشياء الشعر والحاجبان والحدقة والاهداب ومن البياض أربعة أشياء بياض لونها وبياض عينها وبياض أسنانها وبياض فرقها ومن الحمرة أربعة أشياء حمرة اللسان وحمرة الوجنات وحمرة الشفتين وحمرة الاليتين ومن الغلظ أربعة أشياء العضدان والساقان والشفران والذوائب ومن الرقة أربعة أشياء العظام والانف والخصر وأطراف الانامل ومن الطول أربعة أشياء الشعر والعنق والقامة والحاجب ومن التدملج أربعة أشياء الرأس والعنق والساعدان والساقان ومن العراض أربعة أشياء الجبهة والعينان والصدر والالية ومن الصغر أربعة أشياء الفم والكفان والقدمان والاذنان ومن الضيق أربعة أشياء المنخران ثقب الاذان السرة الوطأ ومن الصلابة أربعة أشياء الثديان الاليتان القبل عضلة الساق ومن الملس أربعة أشياء ظهر الكفين الترقوة الاصابع [illegible] ومن السعة أربعة أشياء العينان المنخران الفم الفرج ومن الدقة أربعة أشياء الحدقتان البشرة الاسنان الاظفار ومن الكبر [illegible] ركبتان الفخذان الوطأ ومن الاشياء [illegible] أربعة أشياء الارداف الوطأ الكاهل ومن الحلاوة أربعة أشياء الوجه والريق والعينان والنغمة ومن اللين أربعة أشياء اللفظ نفس الكلام البشرة ومن الحسن أربعة أشياء الخلق والخلق والادب و نطاعة ومن الملاحة أربعة أشياء الضحك والنغمة والنوم

والمشية ومن النظافة أربعة أشياء الوجه والفرج والابطان والاطراف ومن الاشياء الشهية أربعة الملامسة المحادثة المعانقة المعاتبة ومن الاشياء الخافية أربعة السكعبان الزندان المرفقان الترقوة ومن الصدق أربعة أشياء المودة والحياء والعفة والامانة ومن المخونة أربعة أشياء الموطأ الكفان المجلس باطن القدم ومن الطيب أربعة أشياء النفس النكهة الابطان الفرج تمت الاربعات *ومن الاشياء المهيجة للباءة التقبيل قال الاصمعى كل جماع لاقبل فيه فهو خداج يعنى ناقصا وقال الجاحظ أربعة أشياء ممسوحة البركة أكل الارز البارد والبوس على النقاب والغناء من وراء الستارة والجماع فى الماء قالوا وأحسن الشفاه وأشدها تهييجا وأوفق مارق الاعلامنها وأحمرت ونظفت وحرفت وكان فى الاسفل منها بعض الغلظ واذاعض عليها أخضرت فان القبلة لهذه الشفة احلا وأعذب وقالوا ان الذ القبل قبلة ينال فيها لسان الرجل فم المرأة ولسان المرأة فم الرجل وذلك انه اذا كانت الجارية نقية الفم طيبة النكهة فانها تدخل لسانها فى فم الرجل ادخالا يصب ريقها وحرارة لسانها لسان الرجل فينحدر ذلك الريق وتلك الحرارة والتسخين الى ذكر الرجل وفرج المرأة فيثير ذلك شبقهما وغلمهما ويقوى شهوتهما فيزداد لونهما صفاء وحسنا وما أحسن قول ابن المعتز

وكم عناق لنا وكم قبل * مختلسات حذار مرتقب
نقر العصافير وهى خائفة * من النواطير يانع الرطب

وتلطف بن وكيع فى قوله

ظفرت بقبلة منه اختلاسا * وكنت من الرقيب على حذار
ألذ من الصبوح على غمام * ومن برد النسيم على خمار

وأما كلام المجامع عند الباءة فانه من كمال المسرة وتمام اللذة لان كل حاسة من حواس الفاعل تكون مشغولة بلذة ما فالعين بلذة النظر والفم بلذة الرشف والانف بلذة الطيب والذكر بلذة الجماع فيحتاج أن تكون الاذن متمتعة بلفظ المحبوب لاسيما ان كان ذلك الكلام مما يجلب الشهوة فتتكامل اللذة بين المتلذذين بدأن يحد اللذات المتفرقة فى شخص واحد ليتم باجتماعها صورة

واحدة شريفة قال الشاعر

وفي أربع مني حلت منك أربعا * فما أنا أدري أيها هيج لي كربي
أوجهك في عيني أم الريق في فمي * أم النطق في سمعي أم الحب في قلبي

وقال عمرو بن بحر الجاحظ كان بالهند امرأة تعرف بالالفية وذلك انه كان قد وطئها ألف رجل وكانت أعلم زمانها بأحوال الباءة وان جماعة من النساء اجتمعوا اليها فقالوا أيتها الاخت أخبرينا ما نحتاج اليه ونستعمله وما الذي يثبت محبتنا في قلوب الرجال وما الذي يتلذذون به ويكرهون من اخلاقنا وما ينبغي أن يعمل معهم ليستجاب به محبتهم قالت نعم أول كل شئ أقوله لكم انه ينبغي أن لا يقع له نظر الا على زينة قالوا وما الذي يجب على الرجل أن يتقرب به الى قلب المرأة قالت الملاعبة قبل الجماع والرهز بعد الفراغ قلن فما الذي يكون سبب محبتهم لبعضهم بعض واتفاقهم قالت الانزال في وقت واحد قلن فما الذي يفيد مودتهما ومحبتهما قالت أن يكون غير ما ذكرت لكم ثم سألوها عن أصناف الجماع فذكرت لهن ذلك أضربت عن ذكرها لكثرة أقسامها ومن أراد ذلك فليطالع الكتب المؤلفة فيها فانها مشحونة بها واما ميلهن الى النكاح وشدة شبقهن فمنه ما حكى انه كانت امرأة لها يسار وحال فخطبها رجل له يسار وحال وثروة فلم تفعل فقالت لها أمها يا بنية لم لا تتزوجين بهذا الرجل فانك لا تجدي مثله فقالت لا أريده لاني سمعت ان في وسطه ايرا عظيما مثل الوتد ولا طاقة لي به قال فتشفع الرجل الى أمها وسألها أن تشفع فقالت له قد ذكرت لها أمرك فقالت انها لا تطيق ايرك فقال زوجيني بها واشرطي لها علي شرطا انني لا أدخل منه شيأ الا بأمرها ويكون في يدك تدخلي منه الذي تشتهين وتتركي الذي لا تريدينه فقالت لابنتها ذلك فقالت رضيت بهذا الشرط فلما كان ليلة العرس قالت له أمها أنت على الشرط قال نعم فلما خلا بها قال لها تقدمي وامسكيه بيدك وادخلي منه ما تريدا بنفسك فأخذته بيدها وأدخلت منه مقدار حقفة وقالت يكفيك هذا قالت زيدي يا أماه عافاك الله فزادتها فلم تزل كذلك الى أن لم يبق منه شئ فقالت أزيدك يا بنية فقالت أي والله يا أمي قالت يا بنية فأنت قلت لا طاقة لك به فوالله ما بقي معي منه شئ فقالت البنت أسخن الله عينيك والله لقد كان أبي يقول انك أي شئ وضعت يدك عليه طارت البركة منه

وأنا لا أعلم وقد علمت الآن (صفة شربة) نافعة للهوى وعليل النوى بسم الله اللطيف الحكيم يؤخذ على بركة الله ولطفه * ثلاثة مثاقيل من صافى وصال الحبيب * منقاة من ميدان الجفا وخوف الرقيب * وثلاث مثاقيل من بزر الاجتماع * منخولة من غلث الهجران والانقطاع * وأوقيتين من خالص الود والكتمان * منزوعة من عيدان الصد والهجران * ويؤخذ من عطر البخور ولثم الثغور وضم الخصور من كل واحد مثقالان * ويؤخذ مائة بوسة رمانية محكوكة مرضوضة منها خمسون صغار سكريه * وثلاثون زق الحمام وعشرون عصافيريه ويؤخذ غنج حلبي وشخير عراقي من كل واحد مثقالان ويؤخذ اوقيتان من مص اللسان ولثم الفم مع الوجنتين * ويدق الجميع ويخلط ويذر على وزن ثلاثة دراهم غلمة مصريه * ويضاف اليها قرص الاعكان المطويه ويغلى بماء المحبة على شراب الشوق وحطب الطرب في مرجل الخلوة ويصفى الجميع على دبيقى سلطانى ويحل فيه أوقيتان من شراب الرضاب ويشرب على الريق من ثغور الاحباب ويكون الغذاء مزورة بقطين الاشتياق ويضاف اليها قلب لوز العناق وماء ليمون الاتفاق ويتناول بعد ذلك ثلاثة أرطال من المدام ثلاثة أيام ويتبعه برطلين من شيل الساقين ويدخل الحمام نافع مجرب والسلام * بعث بعض الظرفاء الى محبوبته مروحة وباوقة زهر وسكرنبات وشرابه وعود ففهمت مراده وبعثت اليه خيطا أحمر وقطعة من صباره وثلاث كمونات سود وغاسول وزر ففهم مقصودها وصبر والمراد من فعله أنه أراد بالمروحه تروح وبالزهر البستان وبالسكر النبات نبات وبالشرابة تشرب وبالعود تسمع الغناء ومقصودها انها عرضت بالخيط الاحمر انها حائض وبالصبارة اصبر وبالثلاث الكمونات ثلاث ليال والغاسول أغتسل وأزورك * وأهدت بعض القينات الى الملك العزيز بن السلطان الملك الناصر صلاح الدين يوسف في بعض الايام كرة من العنبر فكسرها فاذا في وسطها زر ذهب وكانا يكتمان أمرهما خوفا من السلطان فلم يفهم معنى ذلك فارسل الى القاضي الفاضل يسأله عن ذلك فقال ارتجالا

أهدت لك العنبر في وسطه * زر من التبر دقيق الختام

فالزر في العنبر معناهما * زر هكذا مستترا في الظلام

(كتبت) بعضهن على عصابتها أصعد وتمكن على بطن معكن
(وكتبت) أم القاسم بنت بلبل العطار وكانت من كبار المساحقات على خاتمها
مل من الباطل فرجع الى الحق وأين هذا من قول بعضهن وقد قيل لها أرجعي
الى الحق فقالت الحق بعض مرادى وهذا من الاجوبة اللطيفة وما أحقها بقول
القائل شعرا

مغرمة بالسحاق أضحت * تبكى عليه بكل عين
ما اتقنت من الهوى الا * تصنيف اسحق فى حسين

(وحكى) ان رجلا دخل الى بيت فوجد امرأتين وهما تساحقان فجذب التى هى
فوق وقعد مكانها وقال هذا عمل يحتاج الى حبال ورجال (وقال) آخر

جرح يريد الفتيله * ايش تنفعه الزقاق

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

قولوا لمن تهوى السحاق الذى * حرمه الله فما فيه خير
أخطأت يا كاملة الحسن اذ * أقمت اسحق مقام الزبير

يحكى ان حمدة بنت زياد المؤدب ذكرها المؤرخ الترحال نور الدين بن سعيد فى
كتابه المغرب وقال وهى من خنساء المغرب من نظمها وقد خرجت الى وادى
مدينة وادى القرب مع جوارلها فسبحت معهن وكان لها فيهن هوى

أباح الدمع اسرارى بواد * له فى الحسن آثار بوادى
فمن نهر يطوف بكل روض * ومن روض يطوف بكل وادى
ومن بين الظباء مهاة أنس * لها لبى وقد سلبت فؤادى
لها لحظ ترقده لامر وذا * لك الامر يمنعنى رقادى
اذا سدلت ذوائبها عليها * رايت البدر فى أفق السواد
كأن الصبح مات له شقيق * فمن حزن تسربل بالحداد

وقالت ماجنة لمحاقة ما فى الدنيا أطيب من الموز قالت نعم الا انه ينفخ
البطن وقالت ماجنة لمساحقة أين انت من الاصلع الاقرع الاحدب
الابوق الذى كانه بوق العظيم الحوق الكثير العروق الذى يخرق
الخروق ويسد البثوق ويفتق الفتوق ويرفو الشقوق ويقضى
الحقوق ويأخذ الحلوق الاجرد الاربد الذى كانه الوتد أو رقبة

الاسد الاحمر الاشقر المجر الذى رأسه كالمحور وأصله كالاثجر وفيه عرق أخضر كأنه عرق لحم البقر فى رأسه كماه ووسطه قناه وفى أسفله مخلاه ولحيته فى قفاه يراك من حيث لا تراه لو نطح الفيل كوره أو دخل البحر ثوره كأنه غصن بان أو سيف يمان أو صقلانى عريان أو زنجى غضبان بل كأنه شيطان أو راهب بحران أو هامة هامان أو عنتر فى الحرب أو حارس فى درب أو رأس جمل أو ركبة جمل أو كوكب الذنب أو طن قصب أو ذنب التنين أو شوبك القيارين ينطح بغير قرنين ويمشى بغير رجلين ويبصر بغير عينين يدخل فى الظلمات وهو أحد البليات فى عنقه طوق من أسفل الى فوق اذا ارتفع النهار يكون كالجلنار أتيه من ملك القندهار مدمج كالطومار يغوص فى البحار ويثقب الابكار ويدخل فى الاحجار اذا جنه الليل أطال القيام والناس نيام (فقالت) المساحقة أما علمت ان اللطف والنظافه والظرف واللباقه والتساحى والبراعه فى السحق الذى هو سبعون ومائة واحدة منها العقبى والاستكلاب والطنبلسب والملح والمعوج والمقرطح والدارتودار والطاق برطاق والخالف والمؤالف والشراعى وقبضه وبسطه وعقبه وضغطه والنطيط والصفرعى والنقن والرهز وغير هذه * وأما أنتم فكل شئ لكم النوم على القفا والادخال فى الاست فاذا اجهدتم جهدكم كان لون آخر وهو القيام على أربع ويسمونه الحمارى وتفتخرون به وأين هذا من أخذ سوقا وعمل وسؤال وعلل ورقدة وخلوه وحديث هند وازرقا ودعنا بوران وقد بلغنا ان رجلا قبض على امرأة فى خزانة الشراب ورفع رجليها ليضعه بين شفريها فغلط وأدخله فى أستها فتسمت ورفسته فانصدع من حلقه ست وثلاثون خابية خمر ونحن فتجمع منا الغانية الشكل البيضاء القحبه الشطبة الرطبه الغضة البضه التى كأنها ريحان أو قضيب خيزران بثغر كاللؤلؤ وذوائب كالارسان وخدود كشقائق النعمان أو تفاح لبنان وثدى كالرمان وبطن بأربعة أعكان وحر كأنه قبة الدار أربع فى ثمان أو قرنبة عليها شونيز أو أرنب جاثم أو بطة سكاريه بشفرين أغلظ من شفة البقره كأنهما سنام نافر فى لون العاج ولين الديباج وبياض الفلك ودهنية الودك كأنه الركوة

المفوفه متثوف مخلوق مضمخ بالمسك والخلوق كأنه كسرى أنوشروان في صدر الايوان متهلل جذلان فرح مرح ومعه من الملاحات ما يخرج عن حد الصفات من الاصابع المطرفه والاصداغ المزرفه والحواجب المزججه والخدود المذبحه والشعور المرجله والنحور المزينة بالمراسل من الدر والياقوت والمرجان في الغلائل الممسكة المبخرة بالعود الهندى المعجون بالعنبر مع أخرى تتهادى كالفجر بل كالشمس والقمر في منازل السعود على الفرش الدبيقيه والاردية القصبيه ومطارف الخز المضربات من رقيق القز المحشوة فوق الاسرة من الابنوس والعاج ومخاد الديباج المحشو فيها زغب الريش المحفوفه بالمجامر السليمانيه والمدبوبات السوسيه وبرانى النرجس مع أترج السوسن وتفاح أصبهان والسفرجل والرمان وأطباق الرياحين المشمومه بين تلك الافاويه المقمعة بالعنبر والوصائف الفارغات عليهن العقيان يتضوع من قراطقهن العنبر فيخلو معهما بتلك المعاتبات الشجيه والنغم العذبه والاشارات اللطيفه والغمز بتلك الحواجب والجفون الساحره السالبة لالباب ذوى العقول والآداب بالالفاظ الرقيقة المحركة للسواكن المسكنة للمحركات بالغنج والشكل والبراعه والاس الذى تضرب له العروق الهاديه وتهدأ له العروق الضاربه فاذا صافحت الخدود الخدود وانحدرت الدموع فيما بينهما برقة الشكوى ولطافة النجوى كالطل على ورق الورد وتطابقت الصدور على الصدور وانضمت النحور الى النحور واصطكت الثغور بالثغور والتفت الساقان المدملجة بأخواتهما وتراكب الشفران على الشفرين واختلج كل جانب منهما على الآخر ولم يقع أبقراط ولا جالينوس على بنصته ولا اركاغانيس على مجسه ولا افلاطون وارسطاطاليس على حسنه ولا بطليموس على حسابه ولا اقس بن ساعدة على شرحه وبيانه ولا ابراهيم النظام على برهانه ولا النعمان على قياسه ولا منصور بن عمار على صفاته حتى اذا علت الانفاس واستغرقت الحواس وارتفعت الحرارة الغريزية الى الرأس وبطل فيما بينهما كل قياس نظرت الى الحركات الحسيه والضمائر الوهميه والطبائع الغريزيه والالحاظ العشقيه وقد ضبط كل عضو اقليمه واستكمل فيما هو فيه نعيمه بين مص وقرص ومقابلة ومخايله ومخالبة

ومناهبه ومواثبة ومسالبه ورهز وغمز وشهيق ونهيق ونخير ونعير لو سمعه أهل الثغور لصاحوا النفير مع رفع ووضع وجذب ودفع وضم وشم والتزام وقبل وعمل أحسن من كل عمل كل ذلك بأنين وحنين وأدب وأرب حتى اذا حان الفراغ ووصلت اللذة الى بطون الدماغ شممت روائح الروائح من حانة خمار ونظرت الى اهتزاز غصن البان فى حلى الازهار فلو ابصر الفطناء ماهما فيه لحاروا ولو سمع بها الركبان لساروا فيالها من لذة كامله ونعمة شامله (قلت) وأنشدنى الشيخ شمس الدين الرئيس من لفظه لنفسه شعرا

عشاقة النسوان مذلتها * قالت دع اللوم وان فى المقال

مافى سويداء القلب الا النسا * ماحيلتى مافى السويداء رجال

(ونقلت) من الاحاطه بتاريخ غرناطه تأليف الامام العلامة ذى الوزارتين لسان الدين محمد بن الخطيب تغمده الله بالرحمه قال المصنف المذكور كتب الى سيدنا ومولانا قاضى القضاة ولى الدين عبد الرحمن بن خلدون الحضرمى صبيحة الابتناء بجارية تدعى هند

أوصيك بالشيخ أبى بكره * لاتأمنن فى حالة مكره

واجتنب الشك اذا جئته * جنبك الرحمن ماتكره

سيدى لازالت تنصف بالوالج بين الخلاخل والدمالج وتركض فوقها ركض الهمالج أخبرنى كيف كانت الحال وهل حطت بالقاع من خير البقاع الرحال وأحكم بمرود المراودة الاكتحال واكتحل بالسقيا الاعمال وصح الانتحال وحصحص الحق وذهب المحال وقد طولعت بكل بشرى وبشر وزفت هند منك الى بشر فلله من عشيقة تمتعت من الربيع بفرش موشيه وابتذل منها أى وساد وحشيه وقد أقبل ظبى الكناس من الديماس ومطوق الحمام من الحمام وقد حسنت الوجه الجميل النظريه وأزيلت عن الفرع الاثيث الابريه وصقلت الخدود فكأنها الامريه وتسلط الدلك على الجلود وأعربت النورة بالشعر المولود وعادت الاعضاء تزل عنها اللمس ولا ينالها البنان الخمس والمجلة يجول فى صفحتها الفضية ماء النعيم والمسؤل يبنى من بيته الشعيم والقلب يرمى من الكف للرقيم بالمقعد المقيم وينظر الى نجوم الوسوم فيقول

انى سقيم وقد تفتح ورد الخفر وحكم لزنجي الضفيرة بالظفر واتصف أمير المحسن بالصدود المغتفر ورش بماء الطيب ثم أعلق بلله بالعود الرطيب وأقبلت الغادة تهديها الثمن وتزفها السعادة فهى تمشى على استحيا وقد ذاع طيب الربا وراق حسن المحيا حتى اذا نزع الخف وأقبلت الاكف وصحب المزمار وأجاب الدف وداع الازج وتخور اللوى والمنعرج ونزل على بشر بزيارة هند الفرج اهتزت الارض وربت وغوصبت الطباع البشرية فأبت ولله در القائل

ومرت وقالت متى نلتقى * فهش اشتياقا اليها الخبيث
وكاد يمزق سرباله * فقلت اليك ساق الحديث

فلما انسدل الظلام واتصفت من عريم العشاء الآخرة فريضة الاسلام وخاطت خيوط المنام عيون الانام تأتى دنوا لجلسه ومسارقة الخلسه ثم آن عض النهد وقبلة الفم والخد وارسال من الخد الى الوهد وكانت الامالة القليلة قبل المد ثم الافاضة فيما يعيط ويرعب ثم الاماطة لما يشوش ويشغب ثم اعمال المسير الى السرير وصرنا الى الحسنى ورق كلامنا ورضيت فذلت صعبة أى اذلال هذا بعد منازعة الاطواق بسره تراها العيد من حسن المسره ثم شرع فى حل التكه ونزع السكه وتهيأت الارض الغرار عمل السكه ثم كان الراى الاستعجال وحمى الوطيس وضاق المجال وعلا الحرة الخفيف وتصافرت الخصور الهيف وتساطر الطبع العفيف وتواتر التقبيل وكان الاخذ الوبيل واعتار الانول من النيل ومنها جائر وعلى الله قصد السبيل فيالها من نعمة متداركه ونفوس على سبيل القحة متهالكه ونفس تقطيع حروف الحلى وسبحان الذى يزيد فى الخلق وعظمت المماتعه وكثرت باليد المصانعه وطال التنازع وشكى التحاوز وهناك تختلف الاحوال وتعظم الاهوال وتخمر وتريح الاحوال فتى تمضى ينقلب ثعبانا مبينا ونونه تصير سينا وبطل لم يهله المعترك الهائل والوهم الزائل ولاحال بينه وبين قرنه الحائل فتعدى فتكة السليك الى فتكة البراض وتقلد مذهب الازارقة من الخوارج فى الاعتراض ثم دق الصف وقد تخضب الكف بعد ان كان يصيب البراء بطعنته ويبوء بمقت الله وبعنايته طعنة ابن عبد القدس طعنة ثائر لها نفذ

ولا الشعاع أضاءها وهنالك هذا القتال وسكن الجبال ووقع التوقع باستراح البال وتشوق الى مذهب الثنويه من لم يكن للتوحيد بنال وجعل يجريح يقول وقد نظر الى دمه يسيل على قدمه انى له عن دمي المسفوك معتذرا وقول حملته في سفكه تعبا ومن سبات عاد عيانا وشجاع صار جبانا كلما شابته شائبة ريبه أدخل يده في جيبه فالجرة الحبيه ومانت الغريزة الجبه وتقلب الخضر وجف اللعاب وتظاهر اللعاب ويخفق الفؤاد ويكبو الجواد ويسيل العرق ويشتد الكرب والارق ولبس في محل الامن الغرق ويدرك فرعون الغرق ولا يزيد الحال الاشده ولا يعرف تلك الجارحة المؤمنة الارده

اذا لم يكن عون من الله للفتى * فأول ما يجنى عليه اجتهاده

فكم مغرى يطول اللبث وهو من الخبث يؤمل الكره ليزيل المعره ويستنصر الجبال ويعمل باليد الاحتيال شعر

انك لاتشكو الى مصمت * فاصبر على الحمل الثقيل أو مت

فقال سيجدث الله بعد عسر يسرا ويعدى نباتا اللهم انا نعوذ من فضائح الفروج اذا استغلقت أقفالها ولم تدم بالنجيع أعقالها ومن معرات الاقدار والنكول عن الابكار ومن النزول عن البطون والسرر والجوارح الحسنة الغرر قبل تثقب الدرر ولا تجعلنا ممن يستحي من البكر بالغداه وتعلم منه كلال الاداه وهو محل فخت فيه رجال وفراش سكنت فيه أوجال وأعملت روية وارتجال فمن قائل

ارفعه طورا على أصبعي * ورأسه مضطرب أسفله

كالحنش المقتول يلقى على * عود لكي يطرح في مزبله

أو قائل

عدمت من ايرى قوة حسه * ياحسرة المرء على نفسه

تراه قد مال على أصله * كحائط مرعلى أسه

وذكر أبياتا مستكثرة من هذا النمط أضربت عن ذكرها هموم لاتزال تبكى وعلل على الدهر تشكى وأحاديث تقص وتحكى قال كنت أعزك الله من النمط الاول ولم يقل وهل عند رسم دارمن معول فقد جذبت واستطبت السمر فاستدعى الابواق من أقصى المدينه واخرج على قومك في ثياب الزينه

واستبشر بالوفود وعرف مسمعه السمع حارقة الجود وتجمع بصلاته العود وانجاز الوعود واجن رمان النهود من أغصان القدود واقطف ببنان اللثم اقاح الثغور وورد الخدود وان كانت الاخرى فاخف الكمد وارض الثمد وانتظر الامد واكتد التوسم واستعمل التبسم واستكتم النسوه واقص فيهن الرشوه وتقلد المغالطة وارتكب وجئ على قميصك بدم كذب واستنجد الرجن واستعن على أمرك بالكتمان لا تظهر لعاذل أوغادر التبيان واستنشق الارج وارتقب الفرج فكم غمام طبق وما همى وما رميت ولكن الله رمى واملك بعدها عنان نفسك حتى تمكنك الفرصه وترفع اليك القصه ولا تشرى الى عمل لا يفي منه بتمام وخذ عن امام ولله در عروة ابن حزام

الله يعلم ما تركت قتالهم * حتى رموا مهرى بأشقر مزبد
وعلمت انى ان أقاتل دونهم * اقتل ولا يضرر عدوى مشهد
ففررت منهم والاحبة فيهم * طمعا لهم بعقاب يوم مفسد

وللبانات تلين وتجمح والمآرب تدنو وتبرح وتحزن ثم تسمح وكم من شجاع حام ويقظ نام ودليل أخطأ الطريق وأظل الفريق والله عز وجل يجعلها خالصة موصوله وشملا أكافه بالخير مشموله وبيت أركانها لو كانت اليمن مأموله حتى يكثر خدم سيدى وجواريه واسرته وسراريه وتصفو عليه نعمة باريه ما طورد قنيص واقتحم عيص وادرك مدام غويص واعطى زاهد وحرم حريص بمنه وكرمه

(فصل) في بعض ما كتبته المتظرفات * كتبت طرفة جارية النطاف على عصابتها بالذهب ليس في الحب مشوره * وكتبت توذيق جارية ابن حمدان على برقعها كمال المكارم اجتناب المحارم * وكتبت سلامة حظية عبد الله بن طاهر ليس على القلب حكم * وكتبت عنان جارية الناطفي على عصابتها باللؤلؤ اذا لم تستحى فاصنع ما شئت * وكتبت فرحة جارية على بن الجهم على عصابتها بالريش من صبر ظفر * وكتبت مشتهى جارية القاسم العجلي على معجرتها من واصله الحبيب هان عليه الرقيب * وكتبت نزهة جارية الخصاص على عصابتها من جاد ساد ومن بخل ذل ونقشت على فص خاتمها من حن أن * وكتبت كنز جارية ابراهيم

ابن اسحق على جبينها بالمسك العشق والكتمان ضدان لا يجتمعان * وكتبت نسيم جارية جميلة المدنية على جبينها بالغالية مراغمة الرقباء فى مصالحة الاحباء * وكتبت خاطف جارية ابن حمدان على طرازها من عشق ولم يصبر هلك ولم يعلم * وكتبت المستحسنة جارية اللاحق على طرازها الايمن بالذهب من دارى حاليه داوى عليه وعلى الايسر من كشف الغطاء استحق العطاء * وكتبت وشاح المؤيدية على طراز معجرها بالذهب الوفاء مليح والمذق قبيح قال على بن الجهم كنت عند اسحق بن ابراهيم الموصلى فدخلت جاريته مهج الموصوفة بالجمال وقد كتبت على أحد خديها بالغاليه

من يكن صبا وفيا * فعنانى فى يديه

وعلى الآخر

خذ مليكى بعنانى * لا أمانعك عليه

وعن الجاحظ قال رأيت نشوان جارية زلزل قد كتبت على عصابتها

ان للنرجس حسنا وعيونا أشتهيها

فأراها فتريني * عين من أهواه فيها

وكتبت ترشف جارية هرون بن اسحق على عصابتها

أليس عجيبا ان بيتا يضمنى * واياك لا نخلو ولا نتحدث

وكتبت جارية المتوكل زاجر على عصابتها

اذا خفنا من الرقباء يوما * تكلمت العيون عن القلوب

وفى غمز الحواجب مغنيات * لحاجات المحب الى الحبيب

وكتبت لطيفة جارية يحيى بن خالد بن برمك على طوق لها

ماذاق بؤس معيشة ونعيمها * فى الناس من فى عمره لم يعشق

والحب فيه حلاوة ومرارة * فاسأل بذلك من تطعم أوذق

وكتبت هاجر جارية محمد بن على على خمارها

اذا نظرت نحوى تكلم طرفها * فجاوبها طرفى ونحن سكوت

فكم نظرة منها تقرب بى الردى * وأخرى لها تحيى تكاد تموت

وكتبت حسانة البدوية جارية المعتز على برقعها بالذهب

ألاحظها خوف المراقب لحظة * فأشكو اطرفى ما ألاقى من الوجد

فتفهم عن مخفى عظيم صبابتى * فتومى بطرف العين انى على العهد
كنت ملاعب على جبينها بالمسك

تحمل عظيم الذنب ممن تحبه * فان كنت مظلوما فقل أنا ظالم
فانك ان لم تحمل الذنب يافتى * يفارقك من تهوى وأنفك راغم

تم الجزء الاول من مطالع البدور فى منازل السرور
ويليه الجزء الثانى أوله الباب السادس والعشرون
فى الحمام وما غزى مغزاه

(الجزء الثانى)

من مطالع البدور فى منازل السرور

تأليف الشيخ الاديب والفاضل
الاريب علاء الدين على
ابن عبد الله البهائى
الغزولى عفا
الله عنه
آمين

(الطبعة الاولى)

(طبع بمطبعة ادارة الوطن سنة ١٣٠٠)

(بسم الله الرحمن الرحيم وهو حسبي ونعم الوكيل)

(الباب السادس والعشرون في الحمام وماغزى مغزاه)

الحمام بالتشديد واحد الحمامات المبنية وهو مذكر *قال ابن الخباز في شرح الالفية نادرة عن بعض الكتاب كتب وماهذه الحمام فقيل له الحمام مذكر فقال اردت حمام النساء وهذا طريف *وحكى فيه التأنيث أيضا وأنشد *واذا دخلت سمعت فيها رنة* وقال ابن عمر رضى الله عنهما الحمام من النعيم الذى أحدثوه *وروى عن أبي الدرداء وأبي ذر أنهما قالا نعم البيت الحمام يطهر البدن ويذكر بالنار *وقال أبو هريرة يرفعه نعم البيت الحمام يدخله المسلم يسأل الله الجنة ويستعيذ به من النار *وأول من دخل الحمام ووصفت له النورة سليمان بن داود عليهما السلام *فلما وجد حرها قال أواه من عذاب النار * قال العراقي في الاحياء ومن جهة الطب قيل ان الحماء بعد النورة أمان من الجذام

وقيل ان النورة فى كل شهر تطفئ الحرارة وتنقى اللون وتزيد فى الجماع * وقيل بولة فى الحمام قائما أنفع من شربة دواء وغسل القدمين بالماء البارد بعد الخروج من الحمام أمان من النقرس * وذكر السمعانى فى كتاب الحمام باسناده الى الفضل بن الفضل الكندى قال ذكر فى قوله تعالى ونعمة كانوا فيها فاكهين انها الحمام وقت الضحى * وبسنده الى يونس بن عبد الاجل أنبأنا وهب قال سمعت مالكا يقول من أدخل رجلا الحمام وجب غداؤه شاء أو ابى وروى عن مجاهد عن على أنه كان يغتسل من مس الابط والحجامة * وعن جابر مرفوعا نهى أن يغسل البدن بشئ يؤكل وبسنده قال الحرث بن كلدة أربعة أشياء تهزم البدن الغشيان على البطنة ودخول الحمام على الامتلاء وأكل القديد ومجامعة العجوز * وبسنده الى محمد بن عبد الحكيم قال سمعت الشافعى يقول رأيت فى الطب عجبا لمن يدخل الحمام قبل ان يأكل ثم يؤخر الاكل بعد ما يخرج كيف يموت وعجبت لمن احتجم ثم بادر الاكل كيف لا يموت وذكر بعض الحكماء ان غسل الوجه بالماء البارد عقيب الخروج من الحمام يبقى طراوته مع كبر السن * قال الشيخ هبة الله أبو المكارم بن جميع الاسرائيلى الطبيب فى كتاب الارشاد (الفصل) الحمسون فى الاستحمام ومنافع الحمام ومضاره وكيفية استعماله منافع الحمام كثيرة وذلك لموافقتها لسائر الامزجة من الحارة والباردة والرطبة واليابسة اذا استعملت على ما ينبغى وقد أشار جالينوس الى ذلك بقوله ان الحمام نافع فى الشتاء والصيف ولمن مزاجه حار أو بارد أو رطب أو يابس وقال أيضا ان الحمام علاج البدن من الضدين ان أخذه حار المزاج عدله بترطيبه وان اخذه بارد المزاج أدفأه بحرارته وهى توسع المسام وتستفرغ الفضول وتحلل الرياح وتدر البول وتحبس الطبيعة وتنظف الوسخ والعرق وتذهب الحكة والجرب والاعياء وتلين بشرة البدن وتجود الهضم وتنشط الاعضاء المتشنجة وينضج الزكام والنزلات وينفع من حميات يوم ومن الدق والربع والبلغمية بعد نضجها وينفع من وجع الجنب والصدر وينضج الربو ويسمن المهزول ويهزل السمين ويرقق الدم والفضول الغليظة اللزجة بحرارته ويرطب الابدان اليابسة الخشنة برطوبته وقد قال جالينوس ان الحمام يحلل السكر ومن اللذاع ويفيد البدن والاعضاء الاصلية نداوة ورطوبة

صافية كل ذلك اذا استعمل على القانون الطبي واما أيضا مضار وهى أنها تسهل انصباب الفضول الى الاعضاء الضعيفة وترخى الجسد وتضعف الحرارة الغريزية والاعضاء العصبية وتسقط الشهوة وتضعف الباءة قال وأفضل الحمام ما كان قديم البناء كثيرا لاضواء مرتفع السقوف واسع البيوت عذب الماء طيب الرائحة وكانت حرارته بقدر مزاج الداخل اليه وكان وقوده بما ليس له كيفية رديئة وقد أحسن الذى قال خير الحمام ماقدم بناؤه واتسع فناؤه وعذب ماؤه وقدر الاتان وقوده بحسب مزاج من أراد وروده وقد قسم الحمام الى ثلاث بيوت كل بيت أسخن من الذى قبله لئلا يكون الانتقال من البرد الى الحر أومن الحر الى البرد فجأة فالبيت الاول مبرد مرطب والثانى مسخن مرطب والثالث مسخن مجفف وكذلك ينبغى أن يكون الانتقال فى بيوتها على تدريج * قال بختيشوع اياك أن تدخل الحمام أو تخرج بغتة بل البث فى كل بيت هنيئة واغسل رأسك بالسدر والطخيه بقليل ملح وادخل الحمام كل جمعة مرة فانك تأمن انتشار الشعر واستعمل المشط فانه يقوى البصر ويحدث أريحة وزهوا واخرج الى المسلخ متدرجا ثم صب عليك ثوبا نظيفا طيب الرائحة وتجنب النساء يوما وليلة * وقال ابن جميع فأما أصحاب الامزجة الحارة فينبغى ان يقعدوا فى البيت الاول قليلا وفى الثانى دون الاول وفى الثالث دون الثانى وأصحاب البلغم والسوداء بالضد فان قصد بالحمام الترطيب أطيل المقام فى الحوض ويكثر من رش الماء على أرض الحمام ليكثر البخار فيترطب الهواء وليتمرخ بالدهن ليزيد فى الترطيب ويكون الخروج من الحمام قبل أن تلحقه منه مشقة مثل ضعف أوغثيان أوغشى أوشذر أودوار أوسكتة اوصرع أومايشبهها مثل هذه الاعراض الرديئة فان كان القصد بالحمام التجفيف أطيل المقام فى البيت الحار ويقتصر على هوائه دون مائه ولاستعمال الماء البارد عقيب الحار منافع عظيمة (وقال) جالينوس الاغتسال بالماء البارد عقيب الحار يقوى الاعضاء حتى القوى الجوهرية التى فى الاعضاء لكن ينبغى ان لايكون استعمال الماء البارد عقيب الحار بغتة بل بتدريج يستعمل الماء أولا ممزوجا بالبارد ثم ينتقل بعده الى البارد ومن قصد تسمين بدنه فيدخل الحمام بعد تناوله الطعام ومن قصد تهزيله يدخل الحمام على خلو

المعدة و يطيل اللبث فيه ومن قصد حفظ صحته فيدخل الحمام عند آخر الهضم بحيث أنه اذا خرج منها يكون محتاجا الى الغذاء ويجب أن يجتنب الجماع فى الحمام والنوم والفصد والحجامة فان فى ذلك خطرا بينا وكذلك ينبغى أن يجتنب فى الحمام و بعده استعمال الاشياء الباردة بالفعل لان المسام حينئذ تكون مفتوحة فلا يلبث يندفع البرد الى جوهر الاعضاء الرئيسة فيفسد قواها وكذلك ينبغى اجتناب استعمال الاشياء الحارة الشديدة الحرارة بالفعل أيضا وخصوصا الماء فان ذلك يورث السل والدق وأما الدلك فى الحمام فان الضعيف منه يحلل ويوسع المسام ويذوب الاخلاط والقوى يصلب الاعضاء و يحلل الرطوبات والمعتدل يجلب الدم الى ظاهر الجلد وأما التمريخ بالدهن بغير ذلك فيسد المسام ويمنع ما يتحلل و بعد الماء الحار يحفظ الحرارة من التحلل ويسخن ويرطب و بعد الماء يبرد و يرطب (وقال) مهذب الدين بن هبل فى كتاب المختار خير الحمام ما كان قديم البناء فان الحمام القريب العهد بالبناء تكون حيطانه ندية فتكون أرايح صهاريجه مضرة *وقال بعض الشراح لهذا الفصل الحمام الجديد البناء يتحلل من حيطانه رطوبات ممتزجة بجوهر الكلس والجص والقار ويتبخر بحرارة الحمام فيضر استنشاقها بالروح والنفس لانها كيفيات رديئة خانقة يستصحب النفس ويهجم به على القلب فيغير قوام صحته بسبب رداءة الهواء الواصل به بهذه الكيفيات الرديئة الجوهر فأما اذا عتقت الحمام قبل تحليل الابخرة الرديئة منها ومن حيطانها فيؤمن الضرر الحاصل منها ومن الواجب أيضا أن يكون الفضاء متسعا لان أبخرة الحمام رديئة وكثيرة ومحتبسة لانها تتحلل من أبخرة أبدان الناس ومن أنفاسهم ومن مجارى الحمام النافذة الى فضاء الحمام فيكثر و يتراكم ويختلط بهواء الحمام فيزيده رداءة الى رداءته المكتسبة بحرارة الحمام فاذا استنشقه الانسان أضر بحرارته الغريزية وأنهكها بسبب خروجه لها عن الاعتدال فى كمه وكيفيته أما كمه فهو كثرة الابخرة المخالطة له وأما كيفيته فرداءة الابخرة مع سخونة هواء الحمام فاذا كانت الحمام واسعة الفضاء تعالت الابخرة باعالى الحمام وتبددت وتفرقت فتلطف الهواء المستنشق فيها فيكون أقل ضررا من الحمام الصغير ويجب أيضا أن تكون الحمام عالية البناء فان ذلك معين على تقليل ضرر أبخرتها المستنشقة قال

وأما عفونيتها فلا تحتاج الى تعليل لظهورة لان المياه اذا كانت عذبة طيبة ليس فيها شئ من الكيفيات الغريبة عدلت غالب الامزجة وصححتها فان كانت كيفية غريبة مثل أن تكون مالحة أو كبريتية أو نحاسية أو حديدية أو لهاجر ورعلى معادن رديئة الجوهر أو على منابت أشجار خبيثة أو على مطابخ وآجام مبنية كثيرة الحيوانات الرديئة كأنواع الدود والضفادع والحيات وما أشبه ذلك أخرجت المزاج عن اعتداله الى حكم هذه الكيفيات الرديئة قال الشارح ومنافع الحمام كثيرة وأعظمها منفعة هو أنها اذا كانت معتدلة الهواء والماء فانها تفتح مسام البدن فيسهل بذلك خروج الفضل منه ويكسبه رطوبة عذبة يصير بها البدن الى نشاط وقوة وتفريح * وقال الرئيس أبو على الحسين بن سينا رحمه الله فى كتاب سماه حفظ الصحة لم يذكر فيه سوى أحكام الاسباب الستة الضرورية لاغير وينبغى ان يكون للحمام ثلاث بيوت بيت معتدل وهو الذى لا يحس فيه بحر ولا برد وبيت يحس فيه بحرارة معتدلة وبيت يحس فيه بحرارة زائدة عن الثانية بشرط أن يكون النفس فيه مستقيما غير متواتر فالبيت الاول لا يضر كبير مضرة والثانى والثالث فلا يمكث فيهما الا بقدر ما يتحلل من الرطوبة ما من شأنه أن يتحلل فان طال المكث بها أكثر من المقدار المعتدل وخصوصا ان اقترن معه حركات قوية فانه يوقع فى الدق لاشتداد سخونة القلب أو الاستسقاء لتحلل الحار الغريزى فيبرد مزاج الاحشاء قال وينبغى أن يجتنب الحمام على الامتلاء من الطعام فانه يولد سددا فى الكبد والعروق لانجذاب المواد الغذائية غير منهضمة الى ظاهر البدن فيكون ذلك سببا لحدوث أنواع الحميات العفنية والاسهال الكائن بأدوار ويجتنب فيه الاشياء الباردة مثل الفقاع والماء البارد لان فيه خطرا عظيما جدا لان الشئ البارد السيال اذا حصل فى المعدة هجم دفعة على الكبد والقلب فبردهما وأنهك حرارتهما الغريزيه وأضعف الاحشاء وهيأها للاستسقاء ويجتنب فيه الجماع أيضا فانه يسقط القوة ويوقع فى أمراض خطرة واعلم ان الحمام الحار جدا يسيل الاخلاط الجامدة الى اعماق الاعضاء فيحدث اما سددا واما أوراما ويصعدها الى الدماغ ويحدث اما صداعا شديدا أو برساما والحمام البارد يحرك المادة التى تحركت بالعرق حركة ناقصة فتنجذب المواد الى جهة سطح

البدن فربما أحدثت شبيها بالورم والحكة وربما أحدث الزكام والمغص ورش الماء البارد أو بله بعد الحمام فانه ينعش القوة المسترخية من الكرب ومن لهيب الحميات وعند الغشي وخصوصا بماء الورد والخل وربما صحح الشهوة وآثارها ونصر أصحاب النوازل والصداع وأما سكب الماء البارد على الرجلين فأحكامه أحكام ما تقدم في الرش على الوجه والحمام النافع على سبيل الاجمال وهو الحمام المعتدل في حره وبرده الطيب الرائحة العذب الماء والتى أضوا ؤه كثيرة مشرقة وفناؤه واسع وفيه تصاوير بديعة الصنعة بينة الحسن مثل عاشق ومعشوق ومثل رياض وبساتين وطرد خيل ووحوش فان في تصوير مثل هذه تقوية قوية بليغة لجميع قوى البدن الحيوانية والطبيعية والنفسانية وقال الحكيم بدر الدين بن مظفر قاضي بعلبك في كتاب مفرح النفس قد أجمع الاطباء والحكماء والالباء قاطبة على أن النظر الى الصور الجميلة البديعة الجمال يفرح النفس وينشطها ويزيل عنها الافكار والوساوس السوداوية ويقوي القلب قوة لامزيد عليها بسبب ازالة الافكار الرديئة عنه ثم قالوا فان تعذر حصول النظر الى الصور الجميلة فليكن النظر الى صور جميلة متقنة الصنعة مصورة في الكتب أو في الهياكل أو في القصور الشريفة وهذا المعنى قد ذكره الحكيم محمد بن زكريا الرازي رحمه الله وبالغ في ملازمة فعله لمن يجد في نفسه أفكارا رديئة ووساوس فاسدة غير موافقة للنظام الطبيعي وقال فان الصور الجميلة اذا جمعت الى صورتها حسن الاصباغ المؤلفة من الاصفر والاحمر والاخضر والابيض مع ضبط نسبة المقادير في أشكالها فانها تشفي الاخلاط السوداوية وتزيل الهموم الملازمة لنفس الانسان وتزيل الكدورة من الارواح لان النفس تلطف وتشرف بالنظر الى مثل هذه الصور فيتحلل ما فيها من الكدورة قال وتفكر في الحكماء المتقدمين الذين استنبطوا الحمام في عدد من السنين كيف علموا بدقة فكرهم وصائب عقلهم ان الحمام اذا دخله الانسان يتحلل من قواه شئ كثير وأفضت حكمتهم أن استخرجوا بعقولهم بالتجربة ذلك سرا بديعا فرسموا في الحمام صورا بديعة الصنعة بأصباغ حسنة مفرحة وقسموا ذلك الى ثلاثة أقسام ولم يجعلوه قسما واحدا لانهم علموا أن أرواح البدن ثلاثة أصناف حيوانية ونفسانية وطبيعية فجعلوا كل قسم من التصوير سببا لتقوية

قوة من القوى المذكورة والزيادة فيها وصوروا للقوة الحيوانية القتال والحرب وطرد الخيل واقتناص الوحوش وصوروا للقوة النفسانية العشق والتفكر فى العاشق والمعشوق وتصوير معاتبة بينهما أو معانقة وما أشبه ذلك وصوروا للقوة الطبيعية البساتين وصور الاشجار البهية المنظر مع كثرة تصوير الازهار والالوان المشوقة فهذه التصاوير وأمثالها هى جزء من أجزاء الحمام الفاضل ولو سألت المصور المصير عن خصوصية أن الحمام لم لا يصور المصورون فيها الا هذه الاقسام الثلاثة لما علم لها تعليلا لكن بذكر هذه الصفات الثلاثة لا تعلل وسبب ذلك تقادم السنين على تعليل مبادى الاشياء فاخلوا شيأ سدا ولا يجعل شيء هدرا (وقال) الحسن المتطبب ورأيت ببغداد فى دار الملك شرف الدين هرون بن الوزير الصاحب شمس الدين محمد بن محمد الجوينى حماما متقن الصنعة حسن البناء كثير الاضواء قد احتفت به الانهار والاشجار دخلنى اليه سائسه وذلك بشفاعة الصاحب بهاء الدين على بن الفخر عيسى المنشى الاربلى وكان سائس هذه الحمام خادما حبشيا كبير السن والقدر ففرجنى فى مياثه وشبابيكه وأنابيبه المتخذة بعضها من الفضة المطلية بالذهب وغير مطلية وبعضها على هيئة طائر اذا خرج منها الماء صوت بأصوات طيبة ومنها أحواض رخام بديعة الصنعة والمياه تخرج من سائر الانابيب الى الاحواض ومن الاحواض ترمى جميعها الى بركة حسنة الاتقان ثم منها يخرج الى البستان ثم فرجنى فى خلوة نحو عشر خلوات كل خلوة صنعتها أحسن من أختها ثم انتهى بى الى خلوة عليها باب مقفل بقفل ... بيده ففتحه ودخل بى الى دهليز طويل كله مرخم بالرخام الابيض السادج وفى صدر الدهليز خلوة مربعة تسع بالتقريب نحو أربعة أنفس اذا كانوا قعودا وتسع اثنين اذا كانا جالسين أو نائمين ورأيت من العجب فى هذه الخلوة أن حيطانها الاربعة مصقولة صقالا لا فرق بينه وبين صقال المرآة يرى الانسان سائر بشرته فى أى حائط شاء منها ورأيت أرضها مصورة بفصوص حمر وخضر ومذهبة وكلها متخذة من بلور مصبوغ بعضه أصفر وبعضه أحمر فاما الاخضر فقيل انه ... من الزرم والمذهب فهو زجاج ملبس بالذهب صورا فى غاية الحسن ... هيئات مختلفة فى نومهم وهم بين فاعل ومفعول به اذا نظر اليهم الانسان تحركت شهوته قال الخادم هذا صنعوه هكذا الخدوى حتى اذا نظر الى

ما يفعله هؤلاء بعضهم مع بعض من المجامعة والتقبيل ووضع أيدى بعضهم على أعجاز بعض تتحرك شهوته سريعا فيبادر الى مجامعة من يحب قال وهذه الخلوة دون سائر الخلوات التى رأيت هى مخصوصة بهذا الفعل اذا أراد الملك هرون أن يجتمع بأحد من مماليكه أو خدمه الحسان أو جواريه أو نسائه فى الحمام ما يجتمع به الا فى هذه الخلوة فانه لما يرى كل محاسن الصور الجميلة مصورة فى الحائط ومجسمة بين يديه يرى كل واحد منهما صاحبه على هذه الصفة ورأيت فى صدر الخلوة حوضا رخاما مضلعا وعليه مركب فى صدره أنبوب من ذهب يفتح ويغلق بلولب يدار وفوقه أنبوب آخر مثله برسم الماء الحار وفوقه أنبوب آخر برسم الماء البارد والانبوبة الاولى برسم الماء الفاتر وعن يمين الحوض ويساره عمودان صغيران منحوتان من البلور يوضع عليهما ماء الند والعود ورأيتها خلوة شديدة الاضاءة مفرحة بديعة قد أنفق عليها أموال كثيرة وسألت الخادم عن هذه الحيطان المشرقة المضيئة من أى شئ صنعت فقال ما أعلم فما رأيت فى عمرى ولا سمعت بأحسن من هذه الخلوة ولا أحسن من هذه الحمام مع أنى ما أحسن أصفها كما رأيتها فانه لم تتكرر رؤيتى لها ولا اتفق لى الظفر بصناعتها ومباشرتها وفى الذى ذكرت كفاية انتهى كلام الحكيم بدر الدين حسن بن زفر الاربلى ومن خطه نقلت هذه الفوائد وقال بعضهم فيه ملغزا

ومنزل أقوام اذا ما تقابلوا * تشابه فيه وغده ورئيسه
تنفس كربى اذ تنفس كربه * ويعظم أنسى اذ يقل أنيسه
اذا ما أعرت الجو طرفا تكاثرت * على من به أقماره وشموسه

وقال العفيف التلمسانى

مررنا بحمام كأن نجيمه * وقد عقدت منا المآزر نحرم
فلما حللنا منه صدرا كأنما * غدت فيه نيران الصبابة تضرم
بكت منه أجفان الانابيب بيننا * كأناله اللوام وهو المتيم

وقال محاسن الشواء الحلبى

شدوا المآزر فوق كثبان النقا * بأنامل حلوا بها عقد التقى
وتجردوا فرأيت بان معاطف * نشروا ذوائبهم عليه فأورقا
وبدوا فأطلع كل وجه منهم * بدرا فأضحى كل قطر مشرقا

وتضوّع الحمام مسكا عندما * فرطوا من الاصداغ نظما معبقا
من كل أهيف حل عقدة بنده * وغدا بلحظ عيوننا متمنطقا

وقال جمال الدين يوسف الصوفى فى مليح تركى دخل الحمام ونضح ماء ورد

ولم أنسه لما تعرّى ثيابه * وجاء الى حمامه يتخطر
ولما أفاض الماء فوق قوامه * وفى وجهه نور من الحسن يظهر
رأيت هلالا تحته غصن فضة * يلوح عليه لؤلؤ يتحدر
أتانا بماء ورد ذكى فجئه * بثغرله كالمسك بل هو أعطر
فقلت أظبى الترك قد فاح مسكه * أم الورد من خديه يحمى فيقطر

(دخل) ابن بقى الحمام وفيه الطليطلى الاعمى فقال له ابن بقى أجز

حمامنا كزمان القيظ محترم * وفيه للبرد برد غير ذى ضرر

فأجازه بقوله

ضدان ينعم جسم المرء بينهما * فالغصن ينعم بين الشمس والمطر

(وقال) ابن رشيق

ولم أدخل الحمام ساعة بينهم * طلاب نعيم قد رضيت ببوسى
ولكن لتجرى عبرتى مطمئنة * فأبكى ولا يدرى بذاك جليسى

أخذه صدر الدين بن الوكيل فقال

ولم أدخل الحمام من أجل لذة * فكيف ونار الشوق بين جوانحى
ولكننى لم يكفنى فيض مقلتى * دخلت لابكى من جميع جوارحى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ الورع الزاهد الثقة شمس الدين محمد بن سعد بار الذهبى مضمنا

لم أبغ بالحمام طيب تنعم * أفنى البكاء دموع عينى أجمعا
فبكيت فيه بأسى بجسمى كله * حتى كأن لكل عرق مدمعا

وأنشدنى سيدى ومولاى القاضى صدر الدين بن الآدمى فسح الله فى أجله

ان حمامنا التى نحن فيها * أى ماء بها وأية نار
قد نزلنا بها على ابن معين * ورويناعنه صحيح البخارى

كتب الشيخ صلاح الدين الصفدى فى حواشى المقامات عند ذكر ابن سكرة وذكر كافاته هو أبو الحسن محمد بن عبد الله بن سكرة الهاشمى من ولد على بن المهدى قال

دخلت يوما الى حمام وخرجت وقد سرق مداسي فعدت الى داري حافيا وأنا أقول

اليك اذم حمام ابن موسى * وان فاق المنى طيبا وحرّا
تكاثرت اللصوص عليه حتى * ليحفى من يطيف به ويعرى
ولم أفقد به ثوبا ولكن * دخلت محمدا وخرجت بشرا

(نادرة) اتفق ان اثنين سبحا في نهر فلما نوجا صفع أحدهما صاحبه فقال له بعض الحاضرين اين فلوس الحمام فقال أنزلتها في القرعه وقال النصير الحمامي

لي منزل معروفه * ينهل جودا كالسحب
أقبل ذا العذر به * وأكرم الجار الجنب

ووعده السراج الوراق وتأخر فقال

وكدرت حمامي بغيبتك التي * تكدر من لذاتها صفو مشربي
فما كان صدر الحوض منشرحا به * ولا كان قلب الماء فيه بطيب

(وقال)

ومذ لزمت الحمام صرت فتى * الطف يداري من لا يداريه
أعرف حر الاشيا وباردها * وآخذ الماء من مجاريه

(وقال) يستدعي

من الرأي عندي أن تواصل خلوة * لها كبدوا وفيض عيون
تراعي نجوما فيك من نار قلبها * وتبكي بدمع فائض لحزين
غدا قلبها صبا عليك وانت ان * تأخرت أضحى في حياض منون

(وقال) صدر الدين بن عبد الحق الحنفي رحمه الله تعالى

وجنة لا تنطفي نارها * تدخلها وهي لنا مقصيه
نعيمنا فيها بلا طاعة * عذابنا فيها بلا معصيه

(وقال أيضا)

جهنم حمامكم نارها * تقطع أكبادنا بالظما
وفيها عصاة لهم ضجة * وان يستغيثوا يغاثوا بما

(وقال) شهاب الدين بن فضل الله

وحمامنا كعبة للوفو * د حج اليها حفاة عراه

يكرر صوت أنابيبه * كتاب الطهارة باب المياه

(وقال) الشهاب محمود مضمنا

قل لي عن الحمام كيف دخلته * يا مالكي لتمر خلا مشفقا
أدخلته وأولئك الأقوام قد * شدوا المآزر فوق كثبان النقا

(وقال) محيي الدين بن تميم مضمنا

لو كنت في الحمام والحنا على * أعطافه ولجسمه لألاء
لرأيت ما يسبيك منه بقامة * سال النضار بها وقام الماء

(وقال) مضمنا

عاينت في الحمام أسود واثبا * من فوق أبيض كالهلال المسفر
فكأنما هو زورق من فضة * قد أثقلته حمولة من عنبر

(وقال) جمال الدين بن نباتة مضمنا

تأملت في الحمام تحت مآزر * روادف غيد ما سناها بغائب
كأني من هذي وهاذيك ناظر * بياض العطايا في سواد المطالب

(وقال) آخر في تعجيل الخروج منها

خذ من الحمام واخرج * قبل ان يأخذ منكا
حدثن عنه والا * حدث الحمام عنكا

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في المفاضلة بين حمامات مصر وحمامات الشام

أحواض حمامات شأم * تدعي لي كاملتين
لا تذكري أحواض مصر * فأنت دون القلتين

(وأنشدني) من لفظه لنفسه الشيخ عز الدين الموصلي معاكسا للشيخ جمال الدين

إليك حمامات مصر عني * ولا تذكري عند ذي عين
حياض الشام أحق منك ماء * وأطهر وهي دون القلتين

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

ولم أنسه كالغصن عطره الحيا * على إثر حمام وعطفه الصبا
يلثم بالمنديل أبيض ساذجا * فصار بضوء الخد أحمر مذهبا

(وله)

دعانى صديق لحمامه * فأوقعنى فى العذاب الاليم
فنمر حزيد وماء قليل * فبئس الصديق وبئس الحميم

(وقال) زين الدين بن الوردى
وما أشبه الحمام بالموت لامرئ * يذكر لكن أين من يتذكر
يجرد من أهل ومال وملبس * ويصحبه من كل ذلك مئزر

(وقال) ابن وزير يشبه الماء على الرخام
لله يوم بحمام نعمت به * والماء من حوضه ما بيننا جارى
كأنه فوق شقات الرخام ضحى * ماء يسيل على أثواب قصار

(فقال) ابن الوردى يهجوه
وشاعر أوقد الطبع الذكاء له * فكاد يحرقه من فرط اذكاء
أقام يجهد أياما قريحته * وفسر الماء بعد الجهد بالماء

(وقال) المعمار أيضا
فى صاحب الحمام ايرى قال لى * أيلوم فى حبى له وملامى
لا يشتفى اير عليه طهارة * الا بقلب الماء فى الحمام

(قال) ابن وزير مثل قول الآخر
كأننا والماء من حولنا * قوم جلوس حولهم ماء

(وقال) ابراهيم المعمار فى المجون
عاتبت ايرى اذ جاء ملتمسا * من عقله بالخرا فما اكترثا
بل قال لى حين نكته فمها * ما جزت حمام قعره عبثا
كيف وفيه طهارتى وبه * أقلب مائى وأرفع الحدثا

(وقال) شيخ الشيوخ بحماه
وقيم كانت جسمى أنامله * من غير ألسنة تكليم خرصان
ان أمسك اليد منى كاد يخلعها * أو سرح الشعر أبكانى وأبكانى
فليس يمسك امساكا بمعرفة * ولا يسرح تسريحا باحسان

(وأنشدنى) الجناب المخدومى بن مكانس للشيخ بدر الدين بن الصاحب
وقيم قيم فى حسن صنعته * حاز الجمال على لطف من الترف
لو يخدم البدر أنقى البدر من كلف * لكنه لم يزل مابى من الكلف

(وقال) شهاب الدين بن العطار في بلان يدعى موسى

هيأ البلان موسى * خلوة تحيي النفوسا
قلت ما أصنع فيها * قال تستعمل موسى

وعلى ذكر موسى ذكرت واقعة لطيفة اتفقت لركن الدين الوهراني وهي انه لما قدم الى القاهرة المعزية مدح الامير عز الدين موسك بن جكو والهذباني خال صلاح الدين يوسف بن أيوب فأمر له بشيء لم يرضه فحضر مجلسه يوما وفيه حفل كثير من الناس فقال يامولانا احتجت الى أن أحلق رأسي هذه الساعة وانه الامر الى بعض الجدارية ان يحضر الساعة ليحلقه لي بحضرتك فكاد الامير ان يأذن له في ذلك ثم فهم مقصده فقال لبعض مماليكه أعطه مائة دينار وقل له خذه هذه واحلق رأسك في الحمام فأخذها ومضى شاكرا فقال له بعض الحاضرين يامولانا ما معنى هذه الحركة فقال انه أراد اذا حلقه يقول يا مهتار موسك ردىء فيشتمنا في وجوهنا * ولا بأس بايراد نبذة مما قيل في المشط اذ كان من لوازم الحمام وقال شرف الدين بن الحلاوي وقد طلب منه ثلاث أبيات تكتب على مشط برسم سلطان حلب الملك العزيز محمد بن الظاهر غازي

حللت من الملك العزيز براحة * غدا لثمها عندي أجل الفرائض
وأصبحت مفتر الثنايا لانني * حللت بكف بحرها غير غائض
وقبلت ساحي خده بعد كفه * فلم أخل في الحالين من لثم عارض

(وللشيخ) بهاء الدين الموصلي ولد الشيخ عز الدين ملغزا فيه من أبيات

ظننتم تصحيف مقلوبه مخنفي وليس الظن بالكاذب

(قلت) وورد على من سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومي المالكي الشهير بابن الدماميني رحمه الله كتاب من مكة المعظمة المشرفة بتاريخ تاسع عشر المحرم سنة احدى وثمانمائة وفيه انه اجتمع بمكة بالقاضي شهاب الدين بن حجر رحمه الله ووجد صحبته شخصا يقال له ابن المرجاني وذكر القاضي شهاب الدين ان المشار اليه كان رفيقا له من اليمن الى مكة المشرفة وأنشدنا له

يا عاما سألته حل لغز * شاطط عن مزار أهل الذكاء
اهمل الثلث باعتناء وقلب * ترهجاه قائد الشعراء

وذكر لي القاضي بدر الدين في مشرفته أنه من الالغاز الصعبة فينبغي أن تقع

الفكرة

الفكرة فى حله قلت اشتغلت الفكرة فى حله فاذا هو لغز فى مشط فتأمله ولقد أجاد قائله قال السراج الوراق ملغزا

وبيضاء قد طانقتها وضممتها * ولا قبح فى جهرى بهذا واسرارى
على انه لا عار فيها محقق * وما سلمت والله قط من العارى

وقال بعض المتأخرين

الا رب حمام بدا لى حميمه * فظاهره ماء و باطنه نار
كاخوان هذا العصر من تلق منهم * فللود اعلان وللحقد اسرار

(وكتب) القاضى محيى الدين بن عبد الظاهر يستدعى الى حمام ملك أطال الله بقاك فى المشاركة فى جمع بين ماء ونار وأنواء وأنوار وزهر وأزهار قد زال فيه الاحتشام فكل عار ولا عار نجم سمائه لا يعتريه أفول وناجم رخامه لا يعتريه ذبول تتنافس العناصر على بلوغ مآربه فارسل البحر ما جسده من زبده لتقبيل أخمصه اذ قصرت همته عن تقبيل يده ولم ير التراب له فى هذه الخدمة مدخلا فتطفل وجاء وما علم ان التسريح لمن جاء متطفلا وأعلمت النار ضدها الماء فدخل وهو حر الانفاس وغلت من أجله فلاجل ذلك داخله من صوب تشاكه الوسواس ورأى الهواء أنه قصر عن مطاولة هذه النار فأمسك متهيبا ينظر من وراء زجاجة الى تلك الدار ثم ان الاشجار رأت أن لا شائبة لها فى هذه الخلوه ولا مساهمة فى تلك الخلوه فارسلت من الامشاط أكفا أحسنت بما يدعوا اليه الفرق ومرت فى سواد العذار الفاحم كمر البرق وذلك بيد قيم بحقوق الخدمه عارف بما يعامل به أهل النعيم أهل النعمه خفيف اليد مع الامانه موصوف بالمهابة عند أهل تلك المهانه لطف أخلاقا حتى كأنها أعناب بين حنظة والرمان وحسن صنعة فلا يملك يدا الا بمعروف ولا يسرح تسريحا الا باحسان أبدا يرى مع طهارته وهو ذو وصلف ويشاهد مزيلا لكل أذى حتى لو خدم البدر لأزال ما بوجهه من الكلف بيده موسى كأنها صباح تنسخ ظلاما أو نسيم ينفض عن الزهر كماما اذا أخذ صابونه أوهم من يخدمه ما يمر على جسده انه بحر عجاج وانه يبدو منه زبد الاعكان التى هى أحسن من الامواج فهلم الى هذه اللذه ولا تعد الحمام دعوة أهل الحراف فربما كانت هذه بين تلك الدعوات فذه * وكتب فى محضر قيم حمام الصوفية

يقول العبد الفقير الى الله تعالى فلان ان أبا الحجاج يوسف ما زال لاهل الصلاح عيما وله جودة ذهن يستحق بها أن يدعى قيما كم له عند كل جسد من صباح من جسيم وكم أقبل مستعملوه تعرف فى وجوههم نضرة النعيم كم تجرد مع شيخ صالح فى خلوه وكم قال ولى الله يا بشراى لانه يوسف حين أدلى فى حوضه دلوه كم خدم من الصلحاء والعلماء انسانا وكم اذخر ببركتهم لدنيا وأخرى فحصل من كل منهم شفيعين عريانا ومؤتزرا كم حومة خدمة له عند أكابر الناس وكم له يد عند جسد ومنة على رأس كم شكرته أبشار البشر وكم حك رجل رجل صالح فحقق أن السعادة تلحظ الحجر قد ميز بخدمة الفضلاء أهله وقبيله وشكر على ما يعاب به غيره من طول الفتيله تمتع الاجساد من تنظفه بحمامه بظل ممدود وماء مسكوب ويكاد كثرة ما يخرجه من المياه أن يكون كالرمح أنبوبا على أنبوب كم رأس أنشدت موساه

ولو أن لى فى كل منبت شعرة * لسانا يبث الشوق كنت مقصرا

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة الى ابن معبد وكان متولى دمشق يشكو من حمام سرق فيها شاشه يقبل الارض مستجيرا بهذا البيت الذى لا يذل جاره مستغيثا بكرمه الذى ملأت الاقطار أخباره فما عبر المملوك فى عمره أحوس من هذه الحمام ولا انكس فى رأسه العلية مثل هذه الايام فيا للعواطف العربيه ويا للمراحم النفوس الابيه فوالله لقد خف رأس المملوك من الجهتين عقله وشاشه ولقد تعوض من تاج عمته العربية مخدة فراشه ولقد أخذت منه هذه الحمام المتلفه ولقد نشفته بالمناشف فبئس الحمام والمنشفه وهذا وقت اغاثة الملهوف والرغبة فى اسداء المعروف لا قطع الله عن أرواح المضطرين ترويح هباته ولا عطل من منته المنتظمة أجياد عفاته بمنه وكرمه * وكتب الشيخ برهان الدين القيراطى وقد استدعى الى الحمام

قد أجبنا وأنت أيضا فصحت * بتلافيك سالف وسلاف

وبساق تسبي العقول بساق * وقوام وفق العناق خلاف

يقبل الارض وينهى ان المملوك ما خرج عن الاهتمام لدخول الحمام فانه متشوق لما لمولانا تشوق اليه وموجه وجه فكرته عليه وكيف يمكن الوقوع فى الخلاف والميل الى الاخلاف

وحمامكم كعبة للوفود * تحج اليها حفاة عراه
يكرر صوت أنابيبها * كتاب الطهارة باب المياه

فلا عدمت التنبيه من مولانا على هذا المنهاج ولا فقدت آداب ألفاظه الممدوحة التي مالها منهاج ولا حرمت عند الحمام هذا النصير ولا طاق فى عند ارادة التخليق بحطالها التقصير ولا زلت أمحو بها آية ليل الشعر وأخلع بها بعد ثياب المدن ثياب الوضر وأتنعم بها حسنا لها من جامها فى كل ناحية من وجهها قمر ولا يخفى ان الرأس تروى الآن عن الاشعث بن أبى الشعثاء أخباره والجسد كأنما كانت على أبى وزير المعتصم أطماره فالاولى أن يلقى و يعتاض عنها بما هو أبقى ومولانا أجل ساع فى أسداء المعروف وأفعال بر أعيذها بالاسماء الحسنى ما اشتملت عليه من الحروف لا زال بحر احسانه الطهور سالما من الخوض وخواتن فضائله الجمة محروسة الجناب بجاه صاحب الحوض

(فصل) فيما ورد فى ذمها قال الامام على بن أبى طالب كرم الله وجهه بئس البيت الحمام تكشف فيه العورات وترتفع فيه الاصوات ولا يقرأ فيه آية من كتاب الله ودخل بعض الامراء مع الرقاشى الحمام فقال ذمه فقال يهتك الاسرار و يؤلف الاقذار ويذهب الوقار * فقال امدحه فقال يذهب القشافه و يعقب النظافه و ينقى النخمه ويطيب النغمه * قيل ويكره الحمام بين العشائين وقريب من المغرب قال الزمخشرى و يكره أن يعطى الرجل امرأته أجرة الحمام لانه يكون معينا لها على المكروه وقال أيضا الحزم ترك الحمام اذ لا يخلو من عورة مكشوفه ولا سيما من تحت السرة الى العانه * ومن آدابه انه اذا دخله رفع رجله اليسرى عند الدخول وقال بسم الله الرحمن الرحيم أعوذ بالله من الرجس والنجس والخبيث المخبث من الشيطان الرجيم وذكر السمعانى فى كتاب الحمام عن مجاهد عن على انه كان يغتسل من مس الابط والحجامة وماء الحمام و بسنده الى فرقد السبخى أنه قال ما دخل نبى حماما قط ولا أكل ثوما ولا بصلا ولا كراثا

(الوصف) قال بعضهم

وحمام سوء وخيم الهواء * قليل المياه كثير الزحام
فما للقيام به من قعود * ولا للقعود به من قيام
حنياته عطفات القسى * وقطراته صائبات السهام

(وقال) شعرا

حمامنا من ضيقها اشتكي * كأنها صدر وقد أنوجوه

فهي لظى نزاهة للشوا * وماؤها كالمهل يشوي الوجوه

(وقال) ابن شرف القيرواني

كأنما حمامكم فحمة النتن والظلمة والضيق

كأنني في وسطها فيشة * أولطها والعرق الريق

(وقال) ابن رشيق

وأنت أيضا أعور أصلع * فصادف التشبيه تحقيق

(الباب السابع والعشرون في النار والطباخ والقدور)

النار مؤنثة من ذوات الواو لان تصغيرها نويرة والجمع نور وانوار ونيران انقلبت الواو ياء لكسرة ماقبلها وليس في الارض شجرة الا وتقدح منها النار الا العناب وهي على أنواع عند العرب نار القرى وهي أعظم النيران ونار السلامة توقد للمسافر اذا قدم سالما غانما ونار الزائر والمسافر وذلك أنهم اذا لم يحبوا الزائر والمسافر أن يرجع أوقدوا خلفه نارا وقالوا أبعده الله وأسحقه ونار الحرب يوقدونها على مكان عال لمن بعدعنهم ونار الصيد يوقدونها للظباء فتغشى أبصارهم ونار الاسد كانوا يوقدونها اذا خافوه لانه اذا رآها حدق اليها وتأملها ولم يستطع الهجوم على ماحولها ونار الحلف لا يعقدون الا عليها يطرحون فيها الملح والكبريت فاذا استشاطت قالوا هذه النار قد تهددتك ونار الغدر كانوا اذا غدر الرجل بجره أوقدوا له نارا بمنى أيام الحج وقالوا هذه غدرة فلان ونار الفداء كانت ملوكهم اذا سبوا قبيلة وطلب منهم الفداء كرهوا أن يعرضوا النساء نهارا لئلا يفتضحن ونار الوسم التي يسمون بها الابل لتعرف ابل الملوك فترد الماء أولا ونار الحرتين كانت ببلاد عبس تسطع من الحرة بالليل فبعث الله خالد بن سنان وهو أول نبي بعث من ولد اسمعيل وقد قدمت ابنته على النبي صلى الله عليه وسلم فبسط لها رداءه وقال بنت نبي ضيعه قومه فحفر لتلك النار بئرا فأدخلها فيها والناس ينظرون ثم اقتحم فيها حتى غيبها وخرج منها وقد بالغ مهيار الديلمي في وصف نار القرى

ضربوا بمدرجة الطريق خيامهم * يتقارعون على قرى الضيفان
و يكاد موقدهم يجود بنفسه * حب القرى حطبا على النيران

(وقال) أبوطاهر البغدادى

خطرت فكاد الورق يسجع فوقها * ان الحمام لمغرم بالبان
من معشر نشروا على هام الربا * للطارقين ذوائب النيران

(وقال) صردر

قوم اذا حيى الضيوف جفانهم * ردت عليهم ألسن النيران

(وقال) ابن سنا الملك

انيرانه فى الحى أى تحرق * على الضيف ان أبها وأى تلهب

وأين هؤلاء القوم الكرام من الذين يقول فيهم الاخطل

قوم اذا استنبح الاضياف كلبهم * قالوا لامهم بولى على النار
فتحبس البول شحا أن تجود به * فما تبول لهم الا بمقدار

لايخفى مافى هذا البيت الاول من المعائب وقد ولع الادباء بحلها وما فيها من المعانى (وقال) مجير الدين بن تميم

وكأنما النار التى قد أوقدت * مابيننا ولهيبها يتضرم
سوداء أحرق قلبها ولسانها * بشفاهة للحاضرين تكلم

وقال آخر

انظر الى النار وهى مضرمة * وجمرها بالرماد مستور
شبه دم من فواخت ذبحت * وفوقه ريشهن منثور

(وقال آخر)

كانون يطفى برده كانوننا * مابين سادات كرام حذق
بأراقم حمر البطون ظهورها * سود تنضنض باللسان الازرق

(وقال) ظافر الحداد

تأمل ففى الكانون أعجب منظر * اذا سرحت فى فحمه جمرة النار
كمثل الرق المروق سالكب * فدب احمرار الخمر فى قالب القار

(وقال آخر)

كأن كانوننا سماء * والجمر فى وسطه نجوم

ونحن جن بجانبيه * والشرر الطائر الرجوم

(وقال آخر)

كأنما دخاننا أبدا * لعين من ينظره من قريب
ذوائب من غادة سرحت * وقد بدا فيها بياض المشيب

(وقال آخر)

كأنما النار في تلهبها * والفحم من فوقها يغطيها
زنجية شبكت أصابعها * من فوق نارنجة تغطيها

(وقال آخر)

كأن نضيد الفحم فوق شراره * اذا النار مست جلده فتلونا
يذكر أيام السحاب التي جرت * بتنميه لما تأود أغصنا
فأبدت منها الآبنوس بنفسجا * وأثمر عنابا وأورق سوسنا

(وقال) الشيخ صفي الدين الحلي

البحتري منذ ما فارقتموه غدا * يحثو التراب على كانونه الخرب
لو شئتم أنه يحيى أبا لهب * جاءت بنا لكم حمالة الحطب

(وقال) ظافر الحداد

كأن سواد الفحم من فوق جمره * وقد جمعا فاستحسن الضد بالضد
غدائر خود فرقتها وقد غدت * على خفر من تحتها جمرة الخد
فلما تناهى صبغه خلت أنه * فصوص عقيق أو جنى زهر الورد
الى أن حكى بعد الخمود رماده * غبارا من الكافور في قطع الند

(كتب) النصير الحمامي ملغزا الى السراج الوراق

وما اسم ثلاثي به النفع والضرر * له طلعة تغنى عن الشمس والقمر
وليس له وجه وليس له قفا * وليس له سمع وليس له بصر
يمد لسانا يختشى الرمح بأسه * ويسخر يوم الحرب بالصارم الذكر
يموت اذا ما قمت تسقيه قاصدا * وأعجب من ذا أن ذلك من الشجر
أيا سامع الابيات دونك حلها * والافهم عنها وبيه لها عمر

ومن التغزلات اللطيفة بذكر النار قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ

قد أودعوا القلب لما ودعوا حرقا * فظل في الليل مثل النجم حيرانا

راودته

راودته يستعير الصبر بعدهم * فقال انى استعرت اليوم نيرانا

(قال) علاء الدين الوداعى

يامودعا بوداعه فى مهجتى * نارا تؤججها يد التذكار
أبكيت طرفى بعد ادمعه دما * وكذا يكون بكاء أهل النار

(قال) صفى الدين الحلى

لاغروأن يصلى الفؤاد ببعدكم * نارا تؤججها يد التذكار
فأبى اذا غبتم يصور شخصكم * فيه وكل مصور فى النار

(وأنشدنى) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه

يامقلة الحب مهلا * فقد أخذت بثارك
وأنت ياوجنتيه * لاتحرقينى بنارك

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة مع منقل أهداه وتهمى انه تهجم ونقل منقلا لطيف الصنعه جليلا اذا تأمل نعمه اذا هبت الشرر فى ليل فحمه ولعبت يد الرياح بأزاهر ضرمه فكأنه معدن ياقوت أحمر أونبت جلنار بزهر يروق البصائر والابصار والا يكن فيه على الحقيقة جلنار ففيه جلنار طالما حمدت معاشرته ولذت فى الليالى الشتوية مسامرته وأطلع من أفقه نجوما سعيدة القران وتلا على الريح والثلج يرسل عليكما شواظ من نار ونحاس فلا تنتصران والرأى أعلا فى قبول اهدائه والله يجعل ما فى قلبه فى قلوب أعدائه * قرأت فى كتاب روضة الجليس ونزهة الانيس تأليف الفاضل بدر الدين حسن بن زفر المتطبب الاربلى حكى عن سليمان بن محمد المهدى الصقلى قال كان بسوسة افريقية رجل نبيه شاعر وكان يهوى غلاما جميلا من غلمانها وقد اشتد كلفه به وكان الغلام يتجنى عليه ويعرض عنه كثيرا فبينما هو ذات ليلة منفرد بشرب الخمر وحده غاب عليه السكر وذكر معشوقه وأجرى بخاطره ما كان يفعله به من التجنى فقام من حينه فأخذ قبس نار وجعله عند باب الغلام ليحرق عليه داره فلما دارت النار بالباب بادروا باطفائها وقبضوا عليه واعتقلوه فلما أصبحوا نهضوا به الى القاضى وأعلموه بفعله فقال له القاضى لاى شئ أحرقت باب هذا الغلام فأنشأ يقول

لما تمادى على بعادى * وأضرم النار فى فؤادى
ولم أجد من هواه بدا * ولا معينا على السهاد

حملت نفسي على وقوفي * ببابه حملة الجواد
فطار من بعض نار قلبي * أقل في الوصف من رقادي
فأحرق الباب دون علمي * ولم يكن ذاك من مرادي

(قال) فاستظرف القاضي واقعته وشعره ورجمه وتحمل عنه ما أفسده من باب الغلام (وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة في وصف حصار بالنار فما كان الا ريثما ابتعث لهم النار عن الموت العابس وعاملتهم من الحال وقودها باليابس وجاءت بما ينضج ملابس الجلود وجلود الملابس وعاجلتهم من منفعة الغوث قبل العطب واصلتهم نارا بتتها أيدي الابراج حمالة الحطب واذا بأبدان البدنات القائمة قد قعدت والابراج لتلاوة الحرب قد سجدت فهنالك هجمها المسلمون هجوم الليث الكرار وقطعت السنة السيوف المجادلة حجج رقاب الكفار (وقال) القاضي الفاضل في مثله فوجت النار مواج تضيق عنها الفكر ويعجز عنها الابر وتخولف المثل في ان السعادة لتلحظ الحجر وأغنى ضوء نهارها سؤال كل امعة ان تسأل هذا وذاك ما الخبر الى أن بدا ضوء الصباح وكأنه منها امتار وانشق الشرق فكأنه من عصفرها صبغ الازار الى أن سرى ذا النقوب الى المقاتل ودب سكرها بين المفاصل وغدت الجدران قائمة والبلاسار في أعقابها متجلدة والنار تحت ثيابها (وقال) أيضا وقد أجنته الى أن أحرقته وصرح الشرك وقد خاضته الى ان أغرقته وان الخندق بركة والبرج لها فوارة وان الله أعد للعدو نارا في الآخرة وأحرقهم في الدنيا بشراره وان العدو تحصن من البرج بكثيب بنفسج أحرقه الله بالنار (وقال) سيدي تقي الدين بن حجة في حريق دمشق هذا وكم مؤمن قوم خرج من دياره حذر الموت وهو يقول النجاة وطلب الفرار وكلما دعاه قومه لمساعدتهم على الحريق ناداهم وقد عدم الاصطبار ويا قوم مالي أدعوكم الى النجاة وتدعونني الى النار (وقال) ابن سناء الملك

يا فالق الصبح من لألاء غرته * وجاعل الليل من أصداغه سكنا
لا غرو ان أحرقت نار الهوى كبدي * فالنار حقا على من يعبد الوثنا

(القول) على الطباخ وينبغي أن يكون عند الرئيس والملك طباخ حاذق اذا لم يشته طعاما صنع له ما يشتهيه وقيل كل طعام أعيد الى القدر فهو فاسد

وكل غناء خرج من تحت السبال فهو بارد (قال بعضهم) كنت جالسا عند بعض ولاة الطوف وقد جاءه الغلمان برجلين فقال لاحدهما من أبوك (فقال)

أنا ابن الذى لا ينزل الدهر قدره * وان نزلت يوما فسوف تعود
ترى الناس أفواجا الى باب داره * فمنهم قيام حولها وقعود

فقال ما كان أبو هذا الا كريما ثم قال للآخر من أبوك (فقال)

أنا ابن من ذلت الرقاب له * مابين مخزومها وهاشمها
خاضعة أذعنت لطاعته * يأخذ من مالها ومن دمها

فقال الوالى ما كان أبو هذا الا شجاعا وأطلقهما فلما انصرفا قلت للوالى أما الاول فكان أبوه يبيع الباقلى المصلوقه وأما الثانى فكان أبوه حجاما (فقال الوالى)

كن ابن من شئت واكتسب أدبا * يغنيك مضمونه عن النسب
ان الفتى من يقول ها أناذا * ليس الفتى من يقول كان أبى

(قلت) وأنشدنى سيدنا ومولانا القاضى شهاب الدين بن حجر رحمه الله للشيخ بدر الدين بن الصاحب فى مليح يطوف بالفول

أنا ابن الذى فى الليل تسطع ناره * كثير رماد القدر للعب يحمل
يدور بأقداح الموافى على الورى * ويصبح بالخير الكثير يقول

(قال) محمد بن العفيف فى مليح طباخ

رب طباخ مليح * فاتر الطرف غرير
مالكى أصبح لكن * شغلوه بالقدور

(وقال) الصفدى

كلفى بطباخ تملك مهجتى * فعذاب قلبى فى هواه سرمد
وكأنما أنا منصب قدامه * نار تشب وزفرة تتصعد

(وقال) المعمار

كلفى بطباخ تنوع حسنه * ومزاجه للعاشقين يوافق
لكن مخافى من جفاه وكم غدت * منه قلوب فى الصدور خوافق

(وقال) أيضا مواليا

هويت طباخ با لصحبة أخذ مبه * حلو المزاج كانوا بن تركيه

ولو أطارف نواعم بيض زبديه * لها معاني على الاخوان مخفيه

(وقال) بعضهم ما على الشيخ المسن أضر من أن يكون له طباخ حاذق وجارية حسناء لانه يكثر من الطعام فيسقم ومن النكاح فيهرم (وقال) ابراهيم المعمار

وطباخ بمنصبه افتخار * وقدر قد علا في الناس وافي
أياديه على الاخوان مدت * وكم قلب له بالود صافي
وكم آمنوا به من خوف جوع * سيعطى الامن في يوم المخاف

(دخل) ابن الفضل الشاعر يوما على الوزير بن هبيرة وكان عنده نقيب الاشراف وكان مبجلا وكان ذلك في يوم شديد الحر من شهر رمضان فقال له الوزير أين كنت فقال في مطبخ سيدي النقيب فقال له ويحك أيش عملت في شهر رمضان في المطبخ فقال كسرت الحر فيه يا مولانا فتبسم وخجل النقيب الفرزدق

وقد علم الجيران أن قدورنا * ضوامن للأرزاق والريح رفرف
ترى حولهن المعتفين كأنهم * على صنم في الجاهلية عكف

(وقال) أمية بن أبي الصلت

وكأنها بفنائه * للضيف مترعة زواجر
وكأنهن بماسجين * وما حبين به ضرائر

(وقال الفرزدق) يهجو

لو ان قدرا بكت من طول ما حبست * على الجفون بكت قدر بن عمار
ما مسها دسم مذ فض معدنها * ولا رأت بعد نار القين من نار

(الباب الثامن والعشرون في الاسماك واللحوم والجزور)

كتب الوزير المرحوم فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس الى الشيخ بدر الدين البشتكي رحمه الله وقد كانوا بمجلس أنس بشاطئ الروضة في أيام وفاء النيل السعيد فاتفق ان الشيخ بدر الدين صاد حوتا عظيما بالصنارة يداعبه بلغتي رفع الله قدرك على السماك وأعلى محلك وأسماك وأجرى بسعدك وأمرك في نهر السماء وبحور الارض الافلاك ولا زالت همم نظمك المدريه ونثرك تقوى على النثره وفتكات عزماتك المدركيه تسموالى صيد نسر السماء من وكره وحوتها من المجره ولا برحت تصرف حروف المحاسن فتغدملك من كل مجحر

عين ومن كل حاجب نون ولا فتئت تجمع شمل المعالى الى أن يفترق الفرقدان ويلتقى الضب والنون ويغدو سهيل فى السماء مصادف الثريا ويصبو الحوت للسرطان ان مولانا مع جماله خلافا للمعز أفاق السابح فى لجه وراع كل حوت حتى حوت الارض فى تخومه وحوت السماء فى برجه وجاور ذوات البحر فكان لها بئس الجار بطعمه الذى اقامه عليهم فى الحيلة مقام بحبه وانه شدوطه للصيد وكان من الحزم وأرسل آلة صيده الى الاسود والاحمر من أم البحار فعادت عود أولى العزم فعد بعد ذلك مولانا للصيد بالمرصاد واطاعته حروف النص فكلما تلا لسان البحر نونا تلا لسان العزم صاد (مفرد)

وهى السعادة فى السماء فلو تشا * لطعنت منها رامحا بالاعزل

فى ذلك صيد الحوت الذى قدم من أقصى النيل فياله من سفر بعيد وفارق وطنه وورد مع التيار السريع فى البحر المديد فآوى الى الشط طالبا غذاءه اذ لقى من سفره هذا نصبا وركن الى البر فليته لو عقل واتخذ سبيله فى البحر سربا ولم يعلم ان سيدنا وضع الحبل وجعله لصيده معنى وصورة سببا فاخترمته يد المنية باعوجاج الصنارة التى نصبها للدواب البحرية القهر والضيعة التى تعامى أقوياء الاسماك فى أعظم الحور السائلة بالنهر كأن هذا المسكين من صالح الاسماك الذى أفنى الايام سجادا وبالافساح وأتى يقبل جدارا حل فيه قدم مولانا وبركته فاز امجازاة التمساح أوكأنه لجأ الى البر هربا من عوارض الامواج وآمن بمجاورته فأخذ من مأمنه وخاب امله من لاجئ فسبح بعد بحار الامن من بحار المنون فى لجج وقالت له الحيتان اذا أعماك القضاء عن رشدك حدث عن البحر ولا حرج وكان ظنه ان عومه فى الشط ينجيه فكان حتفه فى ذلك العوم وعلى الجملة فقد آن أجله ولو آوى الى جبل لقيل لا عاصم اليوم فأتت به حوتا يلوح بياضه بين هضاب الموج كالبدر من سجف الغمام ويبدو عليه مهابة تشعر أنه من نسل حوت يونس عليه السلام فأعيذ هذا الحوت بالنون وصائده الكاتب الاديب بالقلم وما يسطرون فلقد ظفر بما لا ظفر به الحواريون فى شباكهم المشبكة ووقع له مالو وقع لابن صياد لتطاول عجبا وانتفخ حتى ملأ الشبكة وحصل به للجماعة من السرور ما يحصل بوفاء النيل يشاهدوا من جزيله العظيمة كل خير جزيل ومنحوا من سنه وعظمه بالجوهر النقى

وأنياب الفيل وأرخصوه للقرى بعد أن أمسى فى القدور يغلى وقلوه فطاب مأكلا وان كان مما لا يقلى ونوعوه محلى وحامضا فالمحلى جعلوه نقلا على الكؤس حين تحلى وفازوا على رأى ابن حزم وان لم يكن من أصحاب الرأى بالمحلى والمجلى والحامض فقطعوا عندأكله بالذوق ان ذلك الحوت من لا عداله وقال آخرون بل هو هالة تناسب البدور والهاله وجلوا به الموائد وحكموا لصائده بالتقدم على الضفدع الاديب فى مصائد الشوارد وقدموه على ماعندهم من طرى وبائت وأكلوه من ساعته كيلا يندموا على فائت قائلين لا تؤخروه فللتأخير آفات ولا تبيتوه فكم بائت فات وبادروا طراوته لعلمهم انه أطيب ما يؤكل من السمك البورى الطرى واستطابوه ضرورة ولا خلاف ان صائد الحوت أكثر تلذذا بأكله من المشترى هذا وأما الاسماك بذلك الشاطئ فقد نادى مناديهم بالرحيل وقال أديبهم للبنية مصحفا يا بنية ليس المقام هنا جميل فكم فرخ حول وكم أمه من هناك وشال وكم عصبة من السمك صرخت قاقا وقطعت الجبال وكم طائفة من رشادها فرت الى البرور الخالية من العباد وكم طائفة تخلفت ووقعت فى الشباك فقيل ضلت عن سبيل الرشاد وكم طائفة أسرعت الى رؤس الجبال الحركه وكذبت العروضيين فى قولهم لم أر على ظهر جبل سمكه وكم سمكة قالت لفراخها اهجروا ماءكم وما أوا كم كما هجرت مأواى واخلوا هذه الديار وان أعشبت وابتغوا صائب الراى ومنهم من عمد الى عمق البحر نجاه وسارت به سفينة عزمه فى موج كالجبال وكان سبب النجاه وتواصوا لما رأوا طغيان الماء ان لا يأووا الى البرور وتحققوا انه الطوفان لما فار على أخيهم المصاب التنور وكم قائل الحمد لله الذى قطع عنا أثر هذا الدرن العظيم وأزال عينه وقائلة سبحان من أراح ضعفاء السمك من هذا الجبار وفرق بينهم وبينه فشكرا اذا غداه ولانا شيخ البر والبحر وأضحى فى ذكه ابن السماك وفى صدق حديثه أباذر وأمسى ضرع البلاغة مسخرا له فان جمع لغيره أو أبادر أحياه الله بدرا يشرق فى سماء المعالى وتحلى أجياد الفصاحة من عقود نظمه ونثره بالجواهر واللآلى وجمل به السماء كما جمل به الارض ولا جعله كأدباء أهل هذا الزمان الذين هم كالاسماك يأكل بعضهم بالغيبة لحم بعض عرضه وكرمه والسمك بارد رطب يولد البلغم

وينفع المحرورين ويضر بالمشايخ ودفع مضرته بالافواه الحارة والصعتر والملح وصغاره بالخل نافع لاصحاب الامزجة الحارة ومن به يرقان وكبده حار والمالح منه حار يابس يولد السوداء ويضر بالمحرورين

(فصل في اللحوم) عن أبي الدرداء رضي الله عنه قال *قال رسول الله صلى الله عليه وسلم سيد طعام أهل الدنيا والآخرة اللحم *وفي حديث آخر سيد الادام في الدنيا والآخرة اللحم وسيد الشراب في الدنيا والآخرة الماء *وقال صلى الله عليه وسلم اللحم يطيب النفس ويفرح القلب ويحسن الوجه ويشد العصب وكان محمد بن الحسن صاحب أبي حنيفة رضي الله عنه عبلا رخص الانامل يكاد الماء يجري بين جلده ولحمه فقال له أبو حنيفة ما غذاؤك قال ما أزيد على الخبز واللحم شيأ قال هذه الشحمة منهما تنعقد *ولحم البقر داء ولبنها شفاء وسمنها دواء* وقالت الاطباء أجود اللحمان ما خصي من الضأن وكان فتيا ولا خير فيما أسن ولحم الضأن نافع من المرة السوداء الا أن الممرودين الذين يصرعون اذا أكلوا اشتد بهم ذلك ولحم المعز يورث الهم ويفسد ويحرك السوداء ويحدث النسيان ويخبل الاولاد *ولحم الدجاج الهرم أضر اللحمان وأغلظها وقال أبو حاتم قال خالد بن يزيد أطيب الابل لحوما الورق وأطيب البقر لحوما الصفر وأطيب الشياه لحوما الحمر وأطيب الدجاج لحوما السود وأطيب الفراخ لحوما البيض *وقال عبد الله بن جعفر سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول أطيب اللحم لحم الظهر *وعنه صلى الله عليه وسلم أنه قال من سره أن يقل غيظه فليأكل لحم الدراج * ولما حضرت الوفاة للحرث بن كلدة قيل له أوصنا بما ننتفع به بعدك فقال لا تتزوجوا من النساء الا الشباب ولا تأكلوا من اللحم الا الفتي ولا من الفواكه الا ما نضج ولا يتداوين أحدكم بدواء ما احتمل بدنه الدواء واذا تغديتم فناموا قليلا واذا تعشيتم فامشوا خطوات *وقال بختيشوع للمأمون أوصيك يا أمير المؤمنين بأربعة أشياء لا تأكل طعاما بين يديك ولا تجامع على شبع الى أن يخلو جوفك من الرياح والنجو ولا تأكل من لحم البقر فوالله اني أمر به في الطريق فأغطي عيني وعين برذوني من شدة مضرته (نادرة) قرأت في كتاب ملح الحكايات ولمح التعريض والاشارات تأليف جمال الدين يوسف ابن مرتفع بن الفقيه فتح الدين مجاد الكتب المعروف بنفائق ووجد

الشريف محاسن عريف سوق الكتبيين فى دكانه يتغذى فدعاه للأكل فقال من أى شئ تأكل فقال شئ من لحم جمل صغير رأيته فاشتهيت ان آكل منه فجاس وأكل معه فنظر اليهما الضياء موسى الناسخ فقال يا محاسن احذر أن يراك المحتسب فيؤذيك قال على م قال لانك تحشى النقانق بلحم الجمل فاستحسن ذلك منه وفى الحديث من داوم على اللحم أربعين يوما قسى قلبه ومن تركه أربعين يوما ساء خلقه

(فصل) كتب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس سامحه الله تعالى الى فتح الدين صدقة بن سعيد الكاتب بديوان الخاص وكان المذكور أسود يخرف من ذكر العيد والسواد يقبل اليد الكريمة السعيدة الفتحية لازال فتحها رشيدا وفعلها سديدا وسعدها جديدا وقولها مفيدا ومطلعها صبيحا وفلق مقاصدها نجيحا وإقبال سرورها مستمرا ورواق العز عليها مسبطرا كثر الله عبيدها وألحق مقترها بسعيدها ويصف ولاءه الذى تشهد به ذاته ... ويتلو السواد الاعظم واخلاصه الذى صفا وده الى ان عاد كغرة البدر فى الليل الادهم ويبدى ما يجده الى مولانا فى نفسه من الميل ويذكر محبته التى لا تتغير مازج الليل فى النهار والنهار فى الليل وينهى أنه بسط عذر مولانا فى تأخير إرساله الاضحية بهذا العيد جعله الله عليك أبرك الاعياد ويتشكر من إنعامه بكل كبش ينزل فى سواد وينظر فى سواد ويمشى فى سواد وكيف لا ومولانا انسان عين الزمان والمفدى بسويداء القلوب من طوارق الحدثان فأبقاه الله يجرر فى ميادين الكرم الذيل ويستر بحلمه سقطات الجهال ستر الليل وعلم ... أن ... لاشرف ... قد اقتدى فى أضحية الملوك خاصة برأى ... الذى ... أفضل وان القربى بذبحها أكمل وأن الله ... والعرض وأنه ... من أضحية ... قال نعم أعلمنا بأضحيته ... وقطعنا ... كان ... خاص ... لظلام العيد ثم تأخذه العزة ... ويتذكر ... وذل الطالب فيقول قد منعنا ما سقنا ... فلو كان الامر لولانا

معتدا به لبدل البقر بكرائم الخيل وأوضح من نحر الانعام الخيط الابيض من الخيط الاسود ومحا من ظلمة المنع آية الليل وساق أيده الله ماشاء من البقر النبل وأنعم علينا غير معتذر ولا متعنت يقول ان البقر تشابه علينا على أن مولانا اذا لاحظ أنعم بكل صفراء فاقع لونها لكن من الذهب العين واذا أى نعق بفراق البقر غراب البين واذا شاء أتحف من ضياء نعامه بكل در نفيس واذا أتى بقلع من بحر الظلمات فى الريح المريس فطالما استشأت بيت انعامه مسكويه وحركات فضله عجوبه والسنة الخواص قائلة الحمد لله الذى كف عنا ثوب أكف النوبه والمملوك مابرح كثير المحبة لمولانا من حين شمله بجزيل الاحسان هاجر مموع الطير بجملته كرها للقائل منها مادق دقا السودان (وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى مضمنا

بقاضى وفا الغادة قصدت * ذبح خروف قد طاب واعتدلا
حلت رباط الخروف منشدة * أماترى الشمس حلت الحملا

(ومن) ولع بذكر الجزارة والجزور الاديب الفاضل أبو الحسين يحيى بن عبد العظيم الجزار فمن ذلك قوله

انى لمن معشر سفك الدماء لهم دأب * وسن عنهم ان رمت تصديقى
تضئ بالدم اشراقا عراصهم * فكل أيامهم أيام تشريق

(وقوله)

حسن التأنى مما يعين على * رزق الفتى والحظوظ تختلف
والعبد مذ كان فى جزارته * يعلم من أين يؤكل الكتف

(أهدى بعضهم) الى صديق له كبشا فى يوم أضحيه وكتب معه رقعه يصف معنه فأجاب المهدى اليه وصلت رقعتك ففضضتها عن خط مشرق ولفظ مونق وعبارة مضيئه ومعان غريبه وتصرف بين جد أمضى من القدر وهزل أرق من نسيم السحر وتنقلت فى وجوه الخطاب الجامع للصواب الا أن العمل قصر عنه القول لا بل ذكرت جلا جعلته بصفتك جملا واتساعا فى البلاغة يعجز عنها عبد الحميد فى كتابته وسحبان فى خطابته وكان المهدى يسمع به لا أن يراه وحضر فرأيت كبشا متقادم الميلاد من نتاج قوم عاد قد أفنته الدهور وتعاقبت عليه العصور

وظننته أحد الزوجين الذى جعلهما نوح فى سفينته ليحفظ بهما جنس الغنم لذريته صغر من الكبر ولطف من القدم فبانت زمانته وتقاصرت قامته وعاد ناحلا ضئلا باليا هزيلا بادى السقام عارى العظام جامعا للمعائب مشتملا على المثالب يعجب العاقل من حلول الحياة فيه لانه عظم مجلد وصوف ملبد لا يوجد فوق عظامه سلب ولا تقع اليد منه الا على خشب لو ربه الكلب لاستجافه أو اطرح للذئب عند الخوى لعافه قد طال فقده الكلاء وبعد عهده بالامتلاء لم ير العشاء الا ناعما ولا الشعير الا حالما وقد تحيرت بين أن اقتنيته فيكون فيه عنا الدهر أو أذبحه فيكون جيفة على وجه الثرى فلت الى استبقائه لما تعرفه من محبتى التوفير ورغبتى فى التثمير وحبى للولد وادخارى للعدد فلم أجد فيه مستمعا للبقاء ولا مرفقا للعنا لانه ليس بانثى فيحمل ولا بفتى فينسل ولا بصحيح فيرعى ولا سليم فيبقى فلت الى الثانى من رأيك وعملت على الاخرى من قولك فقلت أذبحه ليكون وظيفة للعيال واقيمه رطبا مقام قديد الغزال فأنشدنى وقد أضرمت النار وحدت الشفار وشمر الجزار

أعيذها نظرات منك صادقة * ان تحسب الشحم فى من شحمه ورما

ثم قال وما الفائدة لك فى ذبحى وانا لم يبق فى الا نفس خافت ومقلة انسانها باهت لست بذى لحم فأصلح للاكل لان الدهر قد أكل لحمى ولا جلدى يصلح للدباغ لان الايام قد مزقت ادمى ولا صوفى يصلح للغزل لان الحوادث قد حصت وبرى وان أردتنى للوقود فكف بعر أفتى من نارى وان تفى حرارة جمرى بريح قتارى ولم يبق الا ان تطالبنى بدخل أو بينى و بينك دم رجل فوجدته صادقا فى مقالته ناصحا فى مشورته ولم أعلم من أى حالة أعجب أم من مماطلته للدهر من أجل البقاء أم من صبره على الضر والبلاء أم من قدرتك عليه مع اعوازمثله أم من تأهلك الصديق مع مابه خساسة قدره

(الباب التاسع والعشرون فيما تحتاج اليه الاطعمة من البقول فى السفره)

القول على القرع ويسمى الدبا قال بن جزلة فى المنهاج أجوده الرطب الاخضر

الحلو وهو بارد رطب فى الثانيه وقال روفس انه حار رطب و يتولد منه غذاء شبيه بما يصحبه فان أكل بالخردل ولد خلطا حريفا وان أكل بالملح ولد خلطا ملحا ومسلوقه يغذو غذاء يسيرا و ينحدر سريعا وهو جيد للصفراء و بين وعصارته تسكن وجع الآذان مع دهن ورد وينفع من أورام الدماغ وسويقه ينفع من السعال ووجع الصدر من حره وهو اقطع العطش جيد و يلين البطن واذا دفن فى الخمر وشرب مع السكر نفع من الحميات وهو يفسد فى المعدة لمخالطة خلط ردىء و يضر باصحاب السوداء والبلغم انتهى (رافع الاندلسى)

وقرع تبدى للعيون كأنه * خراطيم أفيال لطخن بزنجار

(الباذنجان) قال ابن النفيس فى الموجز قيل بارد وقيل حار يابس فى الثانية وهو أصح يولد السوداء والسدد والسرطان والجرب السوداوى والبواسير والصلابة والجذام ويفسد اللون و يصفر و يبثر الفم انتهى كلامه (الوصف) قال ابن المعتز فيه

وابذنج بستان أنيق رأيته * على طبق تحكيه مقلة رامق
قلوب ظبا أفردت من كبودها * على كل قلب منه مخلب عاشق

(وقال) ابن رشيق القيروانى

واذا صنعت غذاءنا * فاجعله غير منبذج
اياك هامة أسود * عريان أضلع كوسج

(وقال) صاحب كتاب ملح الممالحة وكان شيخنا الاسدى يحبه الباذنجان و يقول فى تفضيله ان الناس يأكلونه ثمانية أشهر من السنه وهم أصحاء ولو أكلوا الرمان ثمانية أشهر فلحوا وقيل لرجل ماتقول فى الباذنجان فقال أنوف الزنج وأذناب المحاجم و بطون العقارب و بزر الزقوم فقيل انه يحشى باللحم فيكون طيبا فقال لو حشى بالتقوى والمغفرة ما أفلح وقال صاحب المنهاج أجوده الحلو الاوساط والعتيق ردىء والحديث اسلم ولا يبين ضرره كثيرا الا انه غذاء مألوف وهو حار يابس فى الثانيه وفيه غلظ والمرمنه حار يابس بلا خلاف والحديث أقل حرارة وارده ماأكل مشويا وهو ينفع من عرق الدم لشدة رقته وليس له نسبة الى اطلاق ولا عقل لكنه ان طبخ فى دهن أطلق وان طبخ فى خل أو سماق عقل

وهو يهيج وجع الخواصر والمعدة والعتيق يثير الغم ويولد السوداء والسدد ويسود البشرة ويولد البواسير وينبغي أن ينقع في الماء والملح ويسكن فيه ثم يعمل بالدسم الكثير والخل والكراويا (القلقاس) قال ابن جزلة في المنهاج حار رطب في الاولى وقيل انه معتدل الحرارة رطب في الثانية يزيد في الباءة انتهى (وللشيخ) شهاب الدين بن أبي حجلة في رسالة السجع الجليل فيما جرى من النيل عند ذكر الجزيرة الوسطى وقد أخلق ديباج روضها الانف وترك قلقاسها بعده وجزره على شفا جرف

بعيني رأيت الماء فيها وقد جرى * على رأسه من شاهق فتكسرا

(غيره)

طالما تضرع بأصابعه الى ربه * والطم برؤسه الحيطان مما جرى على قلبه

(وقد قيل) بقول الاول

وان سألوك يوم البين عن قلبي وماقاسى
فقل قاسى وقل قاسى * وقلقاسى وقل قاسى

لم يفد تحصينه من ورقه بالدرق والستائر ولاحن عليه حين تضرع باصابعه فصح أن الماء سلطان جائر

يا ويح قلقاس بمصر يقول لى * لما اغتدى في غيطه غرقانا
النيل مثل دم لفرط زيادة * فلذا برأسي يلطم الحيطانا

(السلجم) وبالشين أيضا قال ابن جزلة وهو اللفت وهو برى وبستانى وهو حار في الدرجة الثانية رطب في الدرجة الاولى يغذو كثيرا ويولد منيا يدر البول ولا يسهل ويشهى الطعام اذا سلق دفعتين وطيب بالخل والخردل وماؤه ينفع من الحصر وفيه غلظ ونفخ وان عرض منه ذلك فليتناول بعده أحد الجوارشنات (الجزر) في المنهاج أجوده الاحمر الشتوى وغذاؤه أقل من السلجم وهو حار في آخر الدرجة الثانية رطب في الاولى يحرك الباءة ويسهل ويلطف ويدر البول وهو عسر الهضم منفخ يولد ماء رديئا وينبغي أن يكثر انضاجه ويصلح بالمرى الخل والخردل (وقال) بعضهم

انظر الى الجزر الذي * يحكى لنا لهب الحريق
كذبابة من سندس * فيها نصاب من عقيق

(الاسفاناخ) قال ابن جزلة أجوده فى المنهاج المطور وهو رطب بارد فى آخر الدرجة الاولى وقيل معتدل من الحرارة والبرودة فهو ملين ينفع السعال والصدر وفيه قوة التحليل وهو سريع الانحدار عن المعدة يلين الطبع وينفع من أوجاع الظهر الدموية وهو بطئ الهضم ويضر أصحاب الامزجة الباردة (السلق) قال ابن جزلة هو صنفان أسود اشتدت خضرته وأقل لونا منه وأجوده العذب الطعم وهو حار يابس فى الدرجة الاولى وقيل هو مركب القوة وقيل رطب فى الاولى فيه (بورقه) ملطفة وتحليل وتفتيح وفى الاسود قبض وينفع من داء الثعلب والكلف والحزازة والثآليل اذا طلى بمائه ويقتل القمل وتطلى به القوباء مع العسل ويفتح سدد الكبد والطحال والاسود منه يعقل وخصوصا مع العدس والصنف الآخر المهرا ويحقن بمائه لاخراج الثفل وهو ينفع من القولنج مع المرى والتوابل وهو يمغص ويولد النفخ وهو ردىء الكيموس قليل الغذاء يحرق الدم ويصلحه الخل والخردل وأصله ردىء المعدة انتهى وقال ابن زهر فى خواصه عن هرمس ورق السلق وورق العاقرقرحا من كل واحد دانق اذا جعل فى طعام باسم انسان وأطعم عمل فيه روحانية المحبة عملا عجيبا وقال ابن زهروان رض السلق وعاقرقرحا وذر فى مجرى ماء الحمام برد وسكن حره وقال أيضا وان رض ورقه بدم الحمام ودفن فى اناء رصاص أربعين يوما تولد منه دود أخضر طوال فاذا طبخت بماء السلق وطلى به رأس الاقرع أنبتت فيه الشعر وان شدخت الدودة التى تكون فى السلق ودفنت فى برج حمام أو علقت عليه لم يقرب البرج شئ من الحيوان الضارى انتهى (فصل البصل) فى المنهاج فيه مع الحرافة المقطعة حرارة وقبض وما كان منه أطول فهو أحرف والاحمر أحرف من الابيض وأجوده الابيض الريان وهو حار يابس فى الثالثة وهو ملطف يقطع ويجذب الدم الى خارج البدن ويزيد فى الباءة وينفع من تغير المياه ويفتق الشهوة ويلين الطبيعة واذا قطر ماؤه فى الاذن ينفع من الطنين وهو يجلو البصر وينفع من ابتداء الماء والبياض اكتحالا بعصارته ويهيج خروج الشعر واذا دق وعجن بعسل ووضع على الظفر الغليظ والقرانى والبهق قلع ذلك ويطلى به داء الثعلب وينفع من عضة الكلب الكلب سقيا بشراب ومن نهش الحيات وهو يصدع للرأس والاكثار منه يشيب ويضر بالعقل ويكثر اللعاب ويفتح أفواه البواسير

ويصلحه الخل واللبن الحامض أو مع الهندبا (وقال) نصر بن سيار يوما وحوله بنون له هؤلاء بنو البصل لانه كان يأكل كثيرا منه فيهتاج وقال ابن وكيع يحكي لعينيك احمرار قشره اذا رآه ناظر غلا ثلاحمرا على جسوم بيض رطاب من جسوم الروم (الثوم) كذا ذكره صاحب المنهاج بالثاء المثلثة منه بستاني ومنه بري ومنه كراثي والكراثي مركب القوة من الثوم والكراث وهو حار يابس في الدرجة الرابعة وقيل في الثالثة وهو أقوى حرارة ويبسا من البصل وهو يحلل النفخ وينفع من تغيير المياه وطبيخ الجبلي منه اذا شرب قتل القمل ورماده يطلى به البهق مع العسل وكذا الثعلب والجرب والقوابي ويصفي الحلق مطبوخا ويخرج العلق من الحلق واذا حشي في طبيخ ورقه وساقه أدر الحيض والبول وأخرج المشيمة وأكله يخرج الديدان ويطلق الطبع وهو نافع من لسع الهوام ونهش الحيات وعضة الكلاب الكلب سقيا بشراب وينفع السعال من برد ويصفي الحلق وهو مقرح للجلد مصدع مضعف للبصر جالب بثور العين واذا طبخ قلت حرارته وحراقته وتصلحه الحوامض والادهان واللحوم السمان والثوم دواء لمن أصابه وجع السعي في بطنه واذا شوي ووضع على الضرس المأكول سكنه * وقال علي بن أبي طالب كرم الله وجهه أمرنا النبي صلى الله عليه وسلم بأكل الثوم وقال لولا ان الملك ينزل علي لأكلته (وقال) بعض الشعراء فيه

يا حبذا ثومة في كف ضاهية * بديعة الحسن تسبي كل من نظرا
أبصرتها وهي من عجب تقلبها * كصرة من دبيقي حوت دررا

(الكزبرة) وبقال كسبرة منها رطبة ومنها يابسة وقوتها مركبة والغالب فيها أرضية وأجودها البستاني وهي باردة في آخر الاولى واليابسة منها في الثانية وأبقراط يقول فيها حرارة وبرودة وعند ديسقوريدوس انها تميل الى التسخين وفيها قبض وتخدير وهي تزيل روائح البصل والثوم اذا مضغت رطبة أو يابسة وعصارتها مع اللبن تسكن كل ضربان شديد وتنفع من الاورام الحارة مع الخل والاسفيداج ودهن الورد ومع العسل للشرى والنار الفارسي وينفع من الحمرة ومن الدوار عن بخار المرار والبلغم وخاصيته أن يمنع البخار من الرأس وكذلك يعمل في الطعام ورطبه ينفع الرعاف ودرور يابسه والمضمضة بعصارته

رطبة تنفع من القلاع وهو ينفع الخفقان عن حرارة ودرهمان منها مع لسان الحمل ينفع نفث الدم وهو يمنع من القيء والجشاء الحامض بعد الطعام والاكثار منه يخلط الذهن ويظلم البصر ويجفف المني ويكسر الباءة ويصلحه سكنجبين السفرجلي (وأما البقل) فما ورد عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال البقل حلية الموائد وفيما رواه مكحول عن أبي امامة عن النبي صلى الله عليه وسلم أنه قال أحضروا موائدكم البقل فانها مطردة للشياطين وروي عن علي رضي الله عنه أنه قال دخلت مع النبي صلى الله عليه وسلم الى حذيفة بن اليمان فتلقانا بنبات يقال له الباذروج فنظر اليه وقال أهلا بك من بقلة ما أطيب ريحك وأحسن منظرك فانك ان رياض الجنة ثم نظر الى الهندباء فقال بالك من بقلة تهضم الطعام وتحيي الفؤاد وتجلو عن الناظر (فائدة) منقولة من خط القاضي أمين الدين بن الانفي المالكي رحمه الله تعالى قال ذكر السويدي صاحب التذكرة ان الامام فخر الدين الرازي ذكر أنه من رأى الهلال أول ليلة وكان موجوع الضرس فقال نذرت لله أن لا آكل الهندباء ولا لحم الفرس سكن وجع ضرسه ذلك الشهر وقال ابن زهر في خواصه قال يوحنا بن ماسويه ان دق أصل الهندباء وضمد به لسعة العقرب سكن الوجع والبرء منه اذا شرب ماؤه مع الشراب نفع من لدغ الافاعي وقال ابن النفيس في الموجز يابسه يابس في الاولى ورطبه رطب في الاولى يفتح سدد الاحشاء والعروق وفيه قبض صالح يقوي المعدة والكبد أما الحارة فشديد الموافقة لها وأما الباردة فبالخاصية وتنفع مع الخيار شنبر لاورام الحلق وتنفع الرمد وبياض العين (الكرفس) حار يابس يفتح السدد ويدر البول وهو نافع للمعدة ويبطئ بالهضم ولذلك يجب ان يقدم قبله طعاما يختلط به وهو يطيب النكهة ويحتاج الى أكله من يداخل السلطان ومن كان خدمته السر وقال ابن النفيس في الموجز حار في الاولى يابس في الثانية يحلل النفخ ويفتح السدد ويسكن الوجع ويطيب النكهة جدا رديء للصرع تهيجه في المصروعين وينفع السعال والكبد والطحال والكلى والمثانة وينفع الاستسقاء وعسر البول وتفتت الحصاة وتضر الحبالى الادرارة ويهيج الباءة (النعنع) حار يابس وهو نافع من الفواق قال ابن زهر في الخواص ان جعل من ورق النعنع الثلث ومن ورق

الشام السدس ومن حب القرع النصف وجعل في طعام واحد باسم آخر
عمل فيه روحانية المحبة (الطرخون) في المنهاج قيل ان عاقرقرحا هو أصل
الطرخون وهو جبلي وبستاني وأجوده البستاني وهو حار يابس في الثانية
وفيه قوة مخدرة وقيل انه بارد وهو مجفف الرطوبات فاذا مضغ نفع من القلاع
ويمضغ قبل شرب الادوية الكريهة وهو يقوي المعدة ويحدث وجع الحلق
وهو عسر الهضم ويقطع شهوة الباءة ويعطش ويصلحه الكرفس (الفجل)
من كتاب هاضم الطعام وبزره نافع من الفواق اذا أكل بالعسل واذا شدخ على
عقرب ماتت وان شرب ماء ورقه نفع من اليرقان الحادث من الطحال (قلت) ومن
منافعه ما جربته وصح انه اذا مضغ ووضع على العين المحمرة من لطم وكرر ذلك
فانه يزيل الحمرة في الحال وقال ابن زهر في خواصه ورق الفجل معصورا يؤخذ
ماؤه وشيء من نشادر فيلطخ به سلة الحاوي فتموت الحيات كلها وورقه يحد
البصر وان سحق بزره مع كندس متساويين وطلي به البهق الاسود في الحمام
بالماء الحار والخل أذهبه وان أخذ ماؤه وخلط بالخل والطين وطلي على لسعة
الزنبور أبراها (وقال) جالينوس عصارة الفجل اذا اكتحل بها جلت البياض
من العين واذا خلط ماء الفجل بماء الورد وسخن وقطر في الاذن أذهب عسر
السمع والطنين منها وان دق ورقه وصفي ماؤه وأسعط به صاحب اليرقان رأيت
عجبا (وقال) ارسطاطاليس مما يبيض الشعر مثقال من ورق الملوخيا والفجل
ويعجن بمرارة الثور ويضمد به الشعر بالليل ويغسل بالنهار فانه يصير الاسود
أبيض وان طلي الوجه بماء الفجل أذهب عنه النمش والكلف وان دخن بورقه
في بيت هرب منه الهوام (قال) انور الاسعردي يهجو

أيا مطعما أصحابه اذ دعاهم * من الفجل في أوراقه غير ما يرى
وحقك ما أكرمتهم مذ لقيتهم * بجيش ضراط تحت راياته الخضر

(نادرة) كان أبو نواس يوما عند بعض اخوانه فخرجت عليه جارية بيضاء عليها
ثياب خضر فلما رآها مسح عينيه وقال خيرا رأيته ان شاء الله قالت ما رأيت
قال رأيت كأني راكب أشهب عليه ثياب خضر قالت له ان صدقت رؤياك
استدخلت فجلة (الرشاد) قال ابن البيطار اذا شرب بالماء الحار حل القولنج
وأخرج الديدان وحب القرع ان سحق نيا وسف نفع من البرص وان لطخ عليه وعلى

البهق الابيض بالخل نفع منهما واذا خلط بالعسل ولعق منه نفع من السعال المتولد عن اخلاط غليظة واذا ضمدت به لسعة العقرب نفعها (زين الدين بن الوردى)

رب خولى بدا من * حبه وهو ينادى
من يمت فى ورد خدى * أهده سبل الرشاد

(أنشدنى) الشيخ عز الدين الموصلى لنفسه ملغزا

ما اسم له أحرف ثلاث * تصحيفه جمعه بقل
عدتها فى الحساب سبع * وان تردمثله فكيل
ان تجر ماالبه يكثر * وان ترد نقطة يقل
يدوى اذا الماء قل لكن * يصح جسما اذا يعل

(الباب الثلاثون فى الخوان والمائدة وما فيهما من كلام مقبول)

كنية الخوان أبو جامع لاجتماع الناس حوله قال الحريرى فى درة الغواص ويقولون لما يتخذ لتقديم الطعام عليه مائدة والصحيح أن يقال خوان الى أن يحضر الطعام عليه يسمى حينئذ مائدة يدل على ذلك ان الحوار بين حين سألوا عيسى عليه السلام بأن يستنزل لهم طعاما من السماء قالوا هل يستطيع ربك أن ينزل مائدة من السماء بينوا معنى اسم المائدة بقولهم نريد أن نأكل منها وتطمئن قلوبنا (قال الاصمعى) غدوت ذات يوم الى زيارة صديق لى فاستشرت بعض الاخلاء فقال ان كان لفائدة أوعائدة أولمائدة والا فلا وقد اختلف فى تسميتها بذلك فقيل سميت به لانها تميد بما عليها أى تتحرك مأخوذ من قوله تعالى وجعلنا فى الارض رواسى أن تميد بكم وقيل بل هى من ماد أى اعطى ومنه قول رؤبة بن العجاج الى أمير المؤمنين الممتاد أى المستعطى وكأنها تميد من حواليها مما أحضر عليها وقد أجاز بعضهم ان يقال فيها ميدة واستشهد عليه بقول الراجز

وميدة كثيرة الالوان * تصلح للجيران والاخوان

(وقال الكواشى) فى تفسير سورة المائدة ولما سأل الحواريون المائدة لعيسى عليه السلام لبس صوفا وبكى وقال اللهم ربنا أنزل علينا مائدة من السماء الآية

فنزلت سفرة حمراء بين غمامتين من فوقها وتحتها وهم ينظرون وهى تهوى منقضة حتى سقطت بين أيديهم فبكى عيسى عليه السلام وقال اللهم اجعلنى من الشاكرين اللهم اجعلها رحمة ولا تجعلها عقوبة ثم قال ليقم أحسنكم عملا فليكشف عنها وليذكر اسم الله تعالى فقال له شمعون أنت أولى بذلك منا فقام عيسى عليه السلام وتوضأ وصلى صلاة طويلة وبكى بكاء كثيرا وكشف المنديل عنها وقال بسم الله خير الرازقين واذا هو سمكة مشوية ليس عليها فلوس ولا شوك بها يسيل منها الدسم وعند رأسها ملح وعند ذنبها خل وحولها من ألوان البقول ما خلا الكراث واذا خمسة أرغفة على واحد زيتون وعلى الثانى عسل وعلى الثالث سمن وعلى الرابع جبن وعلى الخامس قديد فقال شمعون أمن طعام الدنيا هذا أم من طعام الآخرة فقال عيسى ليس شئ مما ترون من طعام الدنيا ولا من طعام الآخرة ولكنه شئ افتعله الله بالقدرة الغالبة كلوا مما سألتم يمددكم الله ويرزقكم من فضله فقالوا يا روح الله كن أول من أكل منها فقال معاذ الله ان آكل منها ولكن يأكل منها من سألها فخافوا أن يأكلوا منها فدعا لها أهل الفاقة والمرضى وقال كلوا من رزق الله ولكم الهناء ولغيركم البلاء فأكلوا وصدروا وكانوا ألفا وثلاثمائة ما بين رجل وامرأة من فقير ومريض وزمن ومبتلى واذا السمكة كهيئتها حين نزلت ثم طارت المائدة صعدا وهم ينظرون اليها حتى توارت وما أكل منها مريض الا عوفى ولا فقير الا استغنى وندم من لم يأكل منها فلبثت أربعين صباحا تنزل ضحى فيأكل منها الاغنياء والفقراء والصغار والكبار والرجال والنساء حتى اذا فاء الفئ طارت وهم ينظرون فى ظلها وكانت تنزل كناقة صالح فى الحلب فأوحى الله الى عيسى عليه السلام أن اجعل مائدتى ورزقى فى الفقراء دون الاغنياء فعظم ذلك على الاغنياء حتى شكى الناس فقال أتريدون المائدة حقا تنزل من السماء فأوحى الله تعالى انى شرطت أن من كفر بعد نزولها عذبته عذابا لا أعذبه أحدا من العالمين فقال عيسى ان تعذبهم فانهم عبادك الآية فمسخ منهم ثلثمائة وثلاثة وثلاثين رجلا أصبحوا خنازير فلما رأى الناس ذلك بكوا ورغبوا الى عيسى فلما أبصرت الخنازير عيسى بكت وجعلت تطوف بعيسى وعيسى يدعوهم بأسمائهم يشيرون برؤسهم ويبكى ويبكون وهم لا يقدرون

على الكلام ثم هلكوا أجمعين وما أظرف قول ابن حجاج

باذاهبا فى داره جائيا * لغير لامعنى ولافائده
قدجن أضيافك من جوعهم * فاقرأ عليهم سورة المائده

(قلت) الشئ بالشئ يذكر أنشدنى الشيخ المحدث الرحلة الفاضل المفنن الرحال صلاح الدين خليل الاقفهسى نزيل دمشق المحروسه قال أنشدنى الشيخ العارف المحقق المسلك الحكيم برهان الدين ابراهيم الغرى الشهير بابن زقاعة أعاد الله من بركاته من لفظه لنفسه

لما مرضت أرسلت * لى صلة وعائده
لعلها انى فتى * أهوى النساء والمائده
جارية وسكرا * للاكل والمشاهده

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

أميل لاغصان القدود صبابة * وان هى زادتنى جفا وتباعدا
ويعجبنى بين الانام تطفلى * عليها اذا شاهدتهن موائدا

(رجع) قال حاتم الطائى لغلامه قدم الينا مائدة تباعد ما بين أنفاسنا (قال) هدبة بن خالد حضرت أمير المؤمنين فلما رفعت المائدة جعلت ألتقط ما فى الارض فنظر الى المأمون وقال أما شبعت ياشيخ قلت بلى يا أمير المؤمنين انما شبعت فى فنائك وفى كنفك ولكن حدثنى حماد بن سلمة عن ثابت بن أنس قال سمعت رسول الله صلى الله عليه وسلم يقول من أكل من تحت مائدته أمن من الفقر فنظر المأمون الى خادم واقف بين يديه فأشار اليه فما شعرت حتى جاءنى ومعه منديل فيه ألف دينار فناولنى فقلت يا أمير المؤمنين وهذا من ذاك وعن عبد الله بن عباس رضى الله عنهما من أكل ما سقط من الخوان رزق أولادا كانوا صباحا وينبغى أن يصرف عن المائدة السنور والكلاب وذو العيون الرديئة من الغلمان ومن يعلم منه الشره أو يشبعوا قبل احضارهم الطعام (قال) النبى صلى الله عليه وسلم من أكل وذو عينين ينظر اليه ولم يواسه ابتلى بداء لادواء له قال التيفاشى فى سرور النفس حدثنى من حدثه بعض التجار الذين كانوا يردون الى خدام القصر فأضافنى فى حجرة له متصلة بالقصر فلما حضرت المائدة كان بين أيدينا سنانير كثيرة فعندما شاهدوا المائدة وضعت لم يبق

عندنا منها واحد ومرت كلها خارجة من المجلس دون طارد يطردها فعجبت من ذلك كل العجب فلما انقضى الطعام أحببت ان أعرف العلة في ذلك فسألت الخادم فاخذ بيدي وأدخلني الى بيت صغير فيه عدة أواني فيها طعام والسنانير مجتمعة عليه تأكله فقال عودناها اذا حضر الطعام أن تطرد الى هذا البيت ويعد لها طعام فيه فصارت عادة لها واتفق في أمر الكلب وحضوره بالمغرب واقعة عجيبة وذلك انه كان بمدينة من بلاد المغرب حمال يحمل في السوق فأتى من جملة ذات يوم فاشترى زلابية وهريسة في صحفة وصعد بها الى سطح السوق يأكلها فتبعه كلب فجلس ازاءه وهو يأكل فجعل كلما شال لقمة الى فيه يتبعها الكلب ببصره حتى يبتلعها الرجل ثم صار يرفع اللقمة ويومي بها الى الكلب على سبيل العبث به فيقرب الكلب منه فيأكل اللقمة ويزجره فلم يزل دأبه ذلك حتى بقيت لقمة واحدة فروغها في الدهن وأومى بها نحو الكلب ثم ألقاها في فمه فمضغها وابتلعها والكلب محدق نحوه فلما صارت اللقمة في حلقومه وثب عليه الكلب فاستل الحلقوم واللقمة فأكلهما وخر الرجل ميتا

(عبد العزيز بن المهذب)

لله در غلام جاء يخدمنا * بسفرة من رفيع القطن قوراء
بدائر أزرق من حول دارتها * تحار فيه وفيها مقلة الرائي
كأنها روضة خضراء مزهرة * وحولها جدول من أزرق الماء

(ومن التحف النفيسة) ما ذكره القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف أنه أصاب عطية بن مرداس العلاوي لما ملك الرحبة في سنة اثنين وخمسين وأربعمائة وحازما كان ادخره أبو الحرث رسلان البساسيري من مال وغيره ومما كان وجده ببغداد من الخليفة الى جعفر عبد الله القائم ومن ذخائر بني العباس حين خلعه ونهب داره في سنة خمسين وأربعمائة وجد فيها مائدة فيروزج بحوافي مكللة بالجواهر لا قيمة لها ولا قدرا يعرف مما انتقل الى بني العباس من ذخائر الاكاسرة (كتب) البرهان الغزولي النحوي السكندري محببة ملاعق أهداها للصاحب زين الدين بن الزبير

لما بعدتم وكاد اليأس يقصدنا * من نيلكم ودنت منا أمانينا
تناعلى شعب الآمال في ظمأ * والشوق ينشرنا طورا ويطوينا

ثم استثنينا تحيات السلام عسى * تعود منكم تحيات فتحيينا
وقد بعثنا اليكم مملوءة قبلا * مثل الايادى التى أعيت أياديناا
مستطعمات طعاما من مطاعمنا * وافتكم بلسان الحال تحكينا

(ومما يكتب على سفرة الأكل)

ألا كل هنيئا ولا تحتشم * فما الاحتشام فعال الكرم
فما الجود والفضل الالمن * تفضل الينا بنقل القدم

(الخبز وما ورد فيه) قال ابن عباس رضى الله عنهما أكرموا الخبز قيل وما اكرام الخبز قال لا تنتظروا به الادم اذا وجدتم الخبز كلوه حتى تؤتوا بغيره قال أبو محمد بن خلاد كان الحسن بن رجاء يقول السميد طعام الملوك والحوارى طعام الخواص والخشكار طعام العامة والشعير طعام الزهاد وكان حميد لا تخلو مائدته من مائة رغيف سميد فى كل رغيف رطلان وكان خبزه موصوفا ببغداد كأنه المرآة المجلوة بياضا وحسنا وربما يرى فيه شعر اللحية لشدة بياضه قال أحمد بن أبى داود قال لى الواثق يوما ما جمال الموائد فقلت يا أمير المؤمنين كان يقال جمالها كثرة الخبز عليها فقال أصبت وأحسنت فاذا اختلفت الالوان وكان الخبز كثيرا شهد لصاحبها بالشرف (قال) الاصمعى كان الرشيد يأكل يومين متواليين خبز السميد والثالث الحوارى والرابع الخشكار والخامس والسادس خبز الارز النقى من خبز التنور وكان يقول الارز غذاء صحيح قال بعض الاطباء الخشكار فيه بعض الحرارة وهو أسرع انحدارا من المعدة لاجل النخالة التى فيه لان فيه جلى للمعى وهو يولد الحكة وأكله بالادام الدهن يدفع ضرره والخبز المخمر أجود الخبز وأوفقه وأمرأه والفطير بطىء الانهضام يولد الرياح وخبز التنور أغذا وأنفع والخبز المملوك وخبز الطابق ثقيلان ضاران والخبز السميد المعتدل الخبز يخصب الجسم ويجدد السدد وأكله بالاسفيداجات والطباهجات المالحة يصلحه وكان جبريل بن بختيشوع لا يؤثر على الحوارى شيأ ويقول هو الواسطة (وروى) عن على بن أبى طالب رضى الله عنه ثم لتسئلن يومئذ عن النعيم قال هو خبز البر وماء القراح والظل (قال) العتبى عن أبيه قال خرج أبو سفيان فى جماعة من قريش وثقيف يريدون بلاد كسرى بتجارة لهم فلما ساروا قال أبو سفيان انا على خطر من قدومنا على

ملك لم يأذن لنا بالقدوم عليه فأيكم يذهب بالعير فان أصيب فديته ادمه وان يسلم فله نصف الربح فقال غيلان بن سلمة الثقفى أنا أمضى فى العير وكان أبيض طويلا جعدا فلما وصل ديار الملك لبس ثوبين أصفرين وشهر نفسه وقعد بالباب حتى أذن له فدخل على الملك وهو جالس فى شباك ذهب فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أدخلك بلادى بغير اذنى فقال لست من أهل عداوة الملك ولم آتك جاسوسا وانما حملت تجارة فان أرادها فهى له قال فبينا هو يكلمه اذ سمع صوتا فخر ساجدا فقال له الترجمان يقول لك الملك ما أسجدك فقال سمعت صوتا مرتفعا حيث لا ترتفع الاصوات فظننته صوت الملك فسجدت قال فشكر الملك ذلك له وأمر له بمرفقة توضع تحته فرأى فيها صورة الملك فوضعها على رأسه فقال الحاجب الملك يقول لك انما بعثناها لك لتجلس عليها فقال قد علمت ولكن رأيتها وعليها صورة الملك فوضعتها على أعظم أعضائى فقال له الملك ما طعامك فى بلادك قال خبز البر قال هذا عقل الخبز ثم اشترى منه التجارة باضعاف ثمنها ورجع فى أمن وسلامة (أبو الحسين الجزار فى الخبز)

قسما بلوح الخبز عند خروجه * من فرنه وله الغداة فخار
ورغائف منه تروقك وهى فى * صحف الثقال كأنها أقمار
من كل مصقول السوالف أحمر الـ * ـخدين للشونيز فيه عذار
وكأن باطنه بكفك درهم * وكأن ظاهر لونه دينار
كالفضة البيضاء لكن يغتدى * ذهبا اذا قويت عليه النار

(وقال) ابن الرومى فى الرقاق

لا أنس لا أنس خبازا مررت به * يدحو الرقاقة مثل اللمح بالبصر
ما بين رؤيتها فى كفه كرة * وبين رؤيتها قوراء كالقمر
الا بمقدار ما تنداح دائرة * فى صفحة الماء تلقى فيه بالحجر

(وله) فى الزلابيه

يلقى العجين لجينا من أصابعه * فتستحيل شبابيكا من الذهب

(المأمونى) فى السكباج

عندى للأكل اذا ما * قمت للتسحر
ملفوفة بسمنها * وسميذ مقشر

مثل البدور الطالعا * ت فى شطور الاشهر
أالوجه الترك اذا * اثر فيها الجدر

(وقال) بعضهم وأجاد

خبز شعير بغير ادم * عند فقير من الكرام
ألذ عندى من ألف لون * عند غنى من اللئام

(وقال) مجير الدين بن تميم

وكأن أرغفة الخوان وحولها * بقل تهش اليه نفس الآكل
وجنات غيد صففت وجوهها * يبدو بها خط العذار الباقل

(غريبة) ذكرها الحافظ العلامة المؤرخ عماد الدين بن كثير فى تاريخه فى ترجمة الوليد بن عبد الملك ورواها الحافظ بن عساكر باسناد رجاله كلهم ثقات عن عبد الرحمن بن يزيد بن جابر عن أبيه قال خرج الوليد بن عبد الملك يوما من الباب الاصغر فرأى رجلا عند المأذنة الشرقية يأكل فوقف عليه فاذا هو يأكل خبزا وترابا فقال له ما يحملك على هذا قال القنوع يا أمير المؤمنين فذهب الى مجلسه ثم استدعى به فقال ان لك لشأنا فأخبرنى به والاضربت الذى فيه عيناك فقال نعم يا أمير المؤمنين كنت رجلا جمالا فبينا أنا أسير من مرج الصفر قاصدا الكسوة اذ رزمنى البول فعدلت الى خربة لابول فاذا سرب فحفرته فاذا مال صبيب فملأت منه غرائرى ثم انطلقت أقود برواحلى واذا بمخلاة فيها طعام فألقيته منها وقلت انى سآتى الكسوة ورجعت لاملئ تلك المخلاة فلم أهتد الى المكان بعد الجهد فى الطلب ثم رجعت الى الرواحل فلم أجدها ولم أجد الطعام فآليت على نفسى ان لا آكل الاخبزا وترابا قال فهل لك عيال قلت نعم ففرض لهم فى بيت المال قال ابن جابر وبلغنا أن الرواحل سارت حتى أتت بيت المال فتسلمها خازنه فوضعها فى بيت المال

(الباب الحادى والثلاثون فى الوكيرة والاطعمة المشتهاه)

الوكيرة طعام البناء كان الرجل اذا فرغ من بنائه يطعم أصحابه يتبرك بذلك قال النبى صلى الله عليه وسلم الوليمة فى أربع فى عرس أوخرس أواعذار أوتوكير قال الشاعر

خير طعام تشهد العشيره * الخرس والاعذار والوكيره

(قال) الشيخ محي الدين النواوي رحمه الله في شرح مسلم في كتاب النكاح قال أصحابنا وغيرهم الضيافات ثمانية أنواع الوليمة للعرس والخرس بضم الخاء المعجمة للولادة وقيل فيه الخرص بالصاد المهملة أيضا والاعذار بكسر الهمزة والعين المهملة والذال المعجمة للختان والوكيرة للبناء والنقيعة لقدوم المسافر يصنع الطعام وقيل يصنعه غيره والعقيقة يوم سابع الولادة والوضيمة بفتح الواو وكسر الضاد المعجمة الطعام عند المصيبة والمأدبة بضم الدال المهملة الطعام المتخذ ضيافة بلا سبب قال صاحب زبدة الفكره في تاريخ الهجره ولما تكامل بناء القصر الابلق الذي أنشأه السلطان الملك الناصر لسكناه بقلعة الجبل المحروسة عمل وليمة عظيمة حضرها الغني والفقير من كبير وصغير وخلع على الامراء التشاريف على قدر مراتبهم وأنعم عليهم بالبذل من الاموال وكانت عدة الخلع التي خلعت ألفي خلعة وخمسمائة والمال المطلق مائة ألف دينار من العين المصري وذلك سنة أربع عشرة وسبعمائه (وقرأت) في بعض المجاميع الادبية ان الفتح بن أبي حصينة المغربي رحمه الله امتدح نصر بن صالح بحلب فقال له تمن فقال أتمنى ان أكون أميرا فجعله أميرا بحلب مع الامراء ويخاطب بالامير وقربه وصار يحضر في مجلسه في جملة الامراء ثم وهبه أرضا بحلب قبلي حمام الواساني فعمرها دارا وزخرفها وقرنصها وتمم بنيانها وكمل زخارفها ونقش على دائر الدرابزين

دار بنيناها وعشنا بها * في نعمة من آل مرداس
قوم محوا بؤسي ولم يتركوا * علي للايام من باس
قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(قال) فلما انتهى العمل بالدار عمل دعوة وأحضر نصر بن صالح بن مرداس فلما أكل الطعام رأى الدار وحسنها وحسن بنيانها ونقوشها ورأى الابيات وقرأها فقال يا أمير كم خسرت على هذه الدار فقال والله يا مولاي ما لملوك علم بل هذا الرجل ولي عمارتها فلما احضر العمار قال كم لحقك كم غرامة على بناء هذه الدار فقال العمار غرمنا ألفي دينار مصرية فأحضر من ساعته ألفي دينار مصرية وثوبا أطلس وعمامة مذهبة وحصانا بطوق ذهب وسرج ذهب

ذهب ودفع ذلك جميعه الى الامير أبي الفتح وقال له

قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(قلت) وما أحسن ما ضمن هذا البيت سيدي القاضي شهاب الدين بن حجر يمدح سيدنا ومولانا بدر الدين محمد بن الدماميني المالكي رحمهما الله

نسيت أن أمدح بدر العلى * فلم يدع برى وإيناس
قل لبني الدنيا ألا هكذا * فليصنع الناس مع الناس

(حكى) ان ابن البطريق وامعه على حضر عنده ابن السراج بن البجلي ناظر دار الضرب والجيش في بغداد في وليمة عملها الاجل دار عمرها فلما خرج من عنده اجتمع بالوزير نصير الدين أحمد بن أحمد بن الناقدي فسأله أين كنت قال في وليمة ابن البجلي فقال الوزير قيل لي ان داره مليحة فقال نعم وقد عملت فيها

دار السراج مليحه * فيها تصاوير ممكنه
تحكي كتاب كليله * فتى أراها وهي دمنه

الدعوات المشهورة دخول عبد الله بن المأمون ببوران بنت الحسن بن سهل وكانت النفقة في يوم ملاكها وعرسها (قال) ابن عبدوس في سنة عشرة وما بين ثمانية وثلاثين ألف ألف درهم وقيل خمسين ألف ألف درهم وكان يجري في كل يوم في جملة الجرايات على ستة وثلاثين ألف ملاح ووصل المأمون في قواده وحشمه ووهب لاخيها ألف ألف درهم وكساه وأقطعه فم الصلح وكانت عليه ثمانين ألف دينار في السنة وبلغت نفقة أبيها في هذه الوليمة أربعين ألف ألف درهم وبلغت نفقة الحسن بن سهل على قواد المأمون وحملتهم فأوصلهم وخلع على الخاصة خلعا قيمتها سبعون ألف ألف درهم وجليت بوران على المأمون وقد فرش لها حصير من الذهب وجاءت جدة بوران بمكيل من الذهب مرصع بالدر والجوهر فيه دركبار فنثر على من حضر من النساء وفيهن أم جعفر وحمدونة بنت الرشيد وغيرهما فلم يمسسن منه شيأ فقال المأمون شرفن أم محمد وأكرمنها فذت كل واحدة يدها وأخذت حبة وبقي سائر الدر يتدحرج على حصير الذهب فقال المأمون قاتل الله بن هانئ كأنه رأى ما نحن فيه حيث قال

كأن صغرى وكبرى من فواقعها * حصباء در على أرض من الذهب

ونثرت أم الفضل بن سهل جدة بوران عليها يوم دخل بها المأمون ألف درهم

في صينية ذهب وأوقد في تلك الليلة على المأمون شمعة عنبر وزنها أربعون منا ونثرفي ملاكها كل شئ له قدر من الكراع والرقيق والكسي والصياغات والطيب والضياع والعقار والجواهر والدنانير والدراهم وكانت أسماء كل هذا مثبتة في رقاع وتلقى فمن التقط رقعة مضى الى الخازن الذي لذلك الصنف فأخذه منه وكان للحسن بن سهل أربعون بغلا مرتبة لحمل الحطب تصرف كل يوم عدة دفعات أقامت تنقل سنة كاملة ولم يكفهم حتى قطعوا سعف النخل رطبا وصبوا عليه الدهن والزيت وأوقدوه (وحكى) القاضي شهاب الدين بن فضل الله العمري في كتابه مسالك الابصار في ممالك الامصار في ترجمة الآمر بأحكام الله أبي على المنصور في المجلد الرابع والعشرين منه ان الآمر بالله بيناهو في موكبه قبلي بركة الحبش اذ تقدمهم غر برجل على باب بستان له وحوله عبيد وموال له فاستسقاه ماء فسقاه فلما شرب قال يا أمير المؤمنين قد أمامتني في السؤال فان رأى أن يكرمني بنزوله لاضيفه فقال و يحك معي الموكب فقال وأولئك يا أمير المؤمنين فنزل فأخرج الرجل مائة بساط ومائة نطع ومائة وسادة ومائة طبق فاكهة ومائة جام حلوى ومائة زبدية أشربة سكرية كلها فبهت الآمر وقال أيها الرجل خبرك عجيب فهل علمت بهذا فأعددت له فقال لا والله يا أمير المؤمنين وانما أنا رجل تاجر من رعيتك لي مائة حظية فلما أكرمني أمير المؤمنين بنزوله عندي أخذت من كل واحدة شيأ من فرشها أو بعض أكلها وشربها ولكل واحدة في كل يوم طبق فاكهة وطبق طعام وطبق بوارد وجام حلوى وزبدية شراب فسجد الآمر شكرا لله وقال الحمد لله الذي جعل في رعايانا من يسع حاله هذا ثم أمر له بما في بيت المال من الدراهم ضرب تلك السنة فكان ثلاثة آلاف ألف وسبعمائة ألف ثم لم يركب حتى أحضرها وأعطاها للرجل وقال استعن بهذه على حالك ومروءتك ثم ركب وانصرف (ولما) زوج الحجاج محمد بن الحجاج قال لأصنعن طعاما لم يسبقني اليه الاولون ولا يدركه الآخرون فقيل له لو بعثت الى المدائن فسألت كيف صنع كسرى فتعمل على مثال ذلك فأرسل الى بعض من أدرك ذلك فقال أخبرني عن الطعام الذي صنعه كسرى فقال ما أكثر ما كان يصنعه من الطيبات قال أطيبه قال حين تزوج هندا بنة بهرام كتب الى عماله في الآفاق

ليقدم على كل رجل منكم ويحاسب والى شرطته على بابه فرأى عنده اثنى عشر ألفا فاطعمهم فى ثلاثة أيام كل يوم ألف خوان يقعدون على بسط الديباج المنسوجة بالذهب وكلما أكلوا أتى كل واحد منهم بمثقال مسك فيغسل يديه فلما قاموا بعث بتلك الآنية والبسط فقسمت عليهم فقال الحجاج أفسدت على لعنك الله اذهبوا فاشتروا الجزر فانحروها فى مربعات واسط وكان قد أمر بالنداء بالحضور فحضرها الناس وذلك فى أشد الحر وكثرة الذباب فاستغنى أهل الدعوة عن المراوح ولم يجد واذبابة واحدة وكان قد عمد الى المرافق التى فى المجالس فنصب فيها أحجار الثلج وكانت الريح تفضى اليها من باذهنجات فيخرج نسيمها الى المجالس والصحون وسئل عن عدم الذباب فقيل انه اشترى قبل الدعوة من دور الجيران ما يمكن شراؤه واستعار الباقى وطلى حيطانها بعسل قصب السكر فاشتغل الذباب به وانقطع عن داره فلما انقضت أيام الدعوة ردت جميع الدور لى أربابها * وعلى ذكر الذباب فلا بأس بايراد نكتة غريبه وموعظة عجيبه وهى أن الحاكم الذى كان خليفة بمصر وادّعى أنه من ولد فاطمة رضوان الله عليهما وبنى المسجد الجامع بالقاهرة المعزية المجاور لباب الفتوح فسدحاله فى آخر أمره وادّعى الالهية وكتب بسم الحاكم الرحمن الرحيم وجمع الناس للايمان به وبذل لهم نفائس الاموال وأن ذلك كان فى فصل الصيف والذباب يترا كم على الحاكم والخدام تدفع الذباب ولا يندفع فقرأ بعض القراء وكان حسن الصوت يا أيها الناس ضرب مثل فاستمعوا له ان الذين تدعون من دون الله لن يخلقوا ذبابا ولو اجتمعوا له وان يسلبهم الذباب شيأ لا يستنقذوه منه ضعف الطالب والمطلوب ما قدروا الله حق قدره فاضطرب الحاضرون بسماع هذه الآية حتى كأن الله تعالى أنزلها تكذيبا للحاكم فى دعوى الالهية وسقط الحاكم من على سريره خوفا من أن يقتل وولى هاربا وأخذ فى استجلاب ذلك الرجل الى ان طمنه وسيره فى صورة رسول الى بعض الجزائر وأمر الربان أن لا يسير به غير ثلاثة أيام ويغرقه فلما غرق رؤى فى المنام فقيل له ما وجدت فقال ما قصر معى الربان أرسى بى على باب الجنة (رجوع) ومن الهمم الملوكيه والنخوة العربيه والنفس الابيه ما ذكره الثعالبى فى كتابه لطائف المعارف من جميلة بنت ناصر الدولة أبى محمد الحسن بن عبد الله بن حمدان أنها حجت

سنة ست وستين وثلاثمائة فصار عام حجها مثلا وتاريخا وذلك انها أقامت من المروءة وفرقت الاموال وأظهرت من المحاسن ونشرت من المكارم ما لا يوصف بعضه عن زبيدة وغيرها من حاجات بيت الخلافة والملك ولا عن الخلفاء والملوك والحاجين وهو ما ذكره الثقات انها سقت جميع أهل الموسم السويق بالسكر الطبرزد والثلج وكانت استصحبت البقول المزروعة في مراكز الخزف على الجمال فضلا عما سواها وأعدت خمسمائة راحلة للمنقطعين من رجالة الحاج ونثرت على الكعبة عشرة آلاف دينار واستصحبت فيها شموع العنبر في مدة اقامتها بمكة وأعتقت ثلثمائة عبد ومائتي أمة وأغنت المجاورين بالصلات الجزيلة وخلعت على طبقات الناس خمسين ألف ثوب وكان معها أربعمائة عمارية لا يدرى في أيتها هي ومن قصتها انها لما رجعت الى بلدها الموصل وضرب الدهر ضرباته فكان من استيلاء عضد الدولة فناخسرو على أموالها وحصونها وممالك أهل بيتها ما كان حتى افضت بها الحال الى كل قلة وذل وتكشفت عن فقر مدقع وكان فناخسرو خطبها لنفسه فامتنعت من اجابته ترفعا عنه فاحتقدها عليها وحين وقعت في يده تشفى بها ومازال يعسف بها في المطالبة حتى عراها وهتكها ثم ألزمها أحد أمرين اما ان تصحح ما بقته ووقف عليها من المال واما أن تختلف الى دار القحاب فتكتسب فيها ما تؤديه من مال مصادرتها فلما ضاق بها الامر وأشرفت على الفضيحة انتهزت فرصة من غفلة المتوكلين بها وغرقت نفسها في دجلة رحمها الله تعالى ولا آخذها (ومن ظريف الاخبار) ان زوجة المحسن بن الفرات أرادت اعذار ابنها بعد قتل أبيه فتعذرت عليها النفقة فرأت المحسن في منامها فذكرت له ذلك فقال ان لي وديعة عند فلان الدين عشرة آلاف دينار فانتبهت وأخبرت بالقصة فسألوا الرجل فاعترف بها وحمل المال اليها (اتخذ) الحجاج وليمة اجتهد فيها واحتشد ثم قال لزاذان فروخ هل عمل كسرى مثلها فاستعفاه فأقسم عليه فقال أولم عبد عبد كسرى فأقام على رؤس الناس ألف وصيفة في يد كل واحدة ابريق من ذهب فقال الحجاج أف أف والله ما تركت فارس لمن بعدها شرفا (قلت) ذكرت بقوله أولم ما أنشدنيه من لفظه لنفسه سيدي المقر المجدي ابن مكانس

قال خلي حبيبي صل فتى * فبك قد أضحى معنى مغرما

قال هل يولد ان واصلته * قال ان فاز بثغر أو لما

وأول من ضيف الضيف وأطعم المسكين وقص شاربه وقلم أظفاره واستحد واستاك ورأى الشيب وفرق شعره وتمضمض واستنشر واستنجى بالماء واختتن بالقدوم ولبس السراويل وأسس المحجوج أى بنى أساس البيت الحرام خليل الله ونبيه ورسوله أبونا ابراهيم الخليل عليه أفضل الصلاة والسلام قيل ماخلا ضيفه الى يومنا هذا من ضيف قط وقيل له صلى الله عليه وسلم بما اتخذك الله خليلا قال بثلاث ماخيرت بين شيئين الا اخترت الذى لله على غيره وما اهتممت بما تكفل الله لى به ولا تعشيت الا مع ضيف ما أحسن قول صفوان ابن ادريس فيمن اسمه ابراهيم

اسمى من سن القرى رفقا بمن * يغنى عليك صبابة وغراما
أنا ضيف حبك فاصطنعنى انه * ضيف الهوى يستوجب الاكراما
أفنيت جسم الصب شوقا مثلما * أفنى سميك قبلك الاصناما
يا زهرة سكنت بقلبى غضة * انى تبوأت الجحيم كما ما
حتى كأن الحب قال لاضلعى * يانار كونى بردا وسلاما

وكان الحسن بن قحطبة مضيافا له مطبخان فى كل مطبخ سبعمائة تنور هكذا نقل عنه الزمخشرى (وحدث) عمر بن شبة قال كان الحجاج يطعم فى كل يوم على ألف مائدة على كل مائدة سمكة مشوية سمينة وجنب مشوى وساقيان يسقى أحدهما اللبن والآخر العسل وكان يطاف به على كرسى فيقول يا أهل الشام مزقوا الخبز الرقيق كيلا يعاد عليكم (وقال) الجاحظ كان كسرى ينصب فى كل يوم ألف مائدة على كل مائدة فخذ حمار وحش وبيضة نعامة ومن سائر الاصناف التى توجد فى البر والبحر والسهل والجبل حتى لا تخلو الموائد من سائر الاطعمة * وكان النبى صلى الله عليه وسلم يحب الوليمة ويجيب دعوة العبد والحر ويقبل الهدية ولو انها جرعة لبن أو فخذ أرنب ويكافئ عليها ولا يتأنق فى مأكل ويعصب على بطنه الحجر من الجوع وآتاه الله مفاتيح كنوز الارض فلم يقبلها واختار الآخرة وأكل الخبز بالخل وقال نعم الادم الخل وأكل لحم الدجاج ولحم الحبارى وكان يأكل ما وجده ولا يرد ما حضر ولا يتكلف ما لم يحضر ولا يتورع عن مطعم حلال ان وجد تمرا دون خبز أكله وان وجد شواء أكله وان وجد خبز بر

أوشعيراً كله ولا يأكل متكئاً ولا على خوان لم يشبع من خبز بر ثلاثاً تباعاً قط حتى لقي الله عز وجل ايثاراً على نفسه لا فقراً ولا بخلاً وكان يحب الذراع من الشاة والدباء وأكل خبز الشعير بالتمر والبطيخ بالرطب والقثاء بالرطب والتمر بالزبد وكان يحب الحلوى والعسل وكان يشرب قاعداً وربما شرب قائماً ويتنفس ثلاثاً متنفساً للاناء ويبدأ بمن عن يمينه اذا سقاه ويشرب لبناً وقال من أطعمه الله طعاماً فليقل اللهم بارك لنا فيه وارزقنا خيراً منه ومن سقاه الله لبناً فليقل اللهم بارك لنا فيه وزدنا منه واذا رفع الطعام من بين يديه قال الحمد لله الذى أطعمنا وسقانا وآوانا وجعلنا مسلمين وكان يأكل بأصابعه الثلاث ويلعقهن (قال) بعض الكرماء من ألطاف الله تعالى بالكريم أنه سامح المسافر بالفطر في رمضان فلولا ذلك لخجل الكريم اذ يمر عليه ضيف فيعتذر من أكل طعامه بالصوم وأين هذا من قول بعض البخلاء وقد سئل ما الفرج بعد الشدة فقال ان تدعوا الضيف فيعتذر بالصوم (وكان) معن بن زائدة اذا أراد أحد من غلمانه ان يرضي عليه بعد الغضب الشديد بادر الى شئ من طعامه فوضعه في فيه بحضوره (ووقفت) في أخبار عمارة الشاعر اليمنى قال كنت هجوت ابن دخان وهو يومئذ صاحب ديوان الدست فشكانى الى السلطان شاور فأعرض عنه ثم شكانى ثانية فأعرض عنه ثم شكانى ثالثة فالتفت اليه وهو محرج وقال له ما تستحي من أن تشتكى الى رجلاً يأكل معى على طعامى في يوم وليلة قال عمارة فلم أشعر الا وقد حضر ابن دخان الى دارى ليلاً وجاء الى دابتى الى آخر السنة (وحكى) بعضهم قال كنا عند الشيخ الزاهد الورع أبى العباس بن تامتيت نفع الله به فقدم لنا طعاماً فأكلنا فقال بعض الجماعة ياسيدى قد أسأنا الادب وأكلنا بغير اذن فقال الشيخ فاذن لا ترفع يدك الا باذن (نادرة) قيل نزل ضيف على بخيل في ليلة وكان جائعاً فقدم له طعاماً فأتى على آخره ولم يغادر منه شيأ فخاف البخيل أن لا يبيت الضيف عنده فقال الضيف يا أخى اصبر على الى الفجر فقال لا وليال عشر فقال أما سمعت أن الضيافة ثلاث فقال البخيل لا وحق الواحد لا يبيت عندى ثلاثاً من يأكل بالخمس ولو كان له فضل من أوتى تسع آيات بينات وحسن من سجد له أحد عشر كوكبا فخرج الضيف وقال كيف جمع زوج الشكاى هذه الافراد على الترتيب (كان) لعبد الله بن جدعان جفنة يأكل منها

الطعام القائم والراكب فوقع صبي فيها فغرق فمات (وذكر) ان عطية بن صالح بن مرداس طبخ في بعض ولائمه تسعمائة خروف مصرية سوى ماطبخ من الالوان (قال) علي بن الاعرابي قال الحجاج لرجل يوما وهو على خوانه وكان عليلا ارفق بيدك فأجابه على الفور وأنت ياحجاج فاغضض بصرك فقال له ان هذا الجواب المسكت (اعرابي) مما يزيد في طيب الطعام مؤاكلة الكريم الودود (حث) رجل رجلا على الاكل من طعامه فقال عليك بتقريب الطعام وعلينا تأديب الاجسام (وقال) علي كرم الله وجهه اذا طرقك اخوانك فلا تدخر عنهم مافي المنزل ولا تتكلف ماوراء الباب واذا طرقت فاحضر واذا دعوت فلا تقدر (قيل) لحكيم أي الاوقات أحمد للاكل قال أما من قدر فاذا اشتهى وأما من لم يقدر فاذا وجد (وقال) جعفر بن محمد تبين محبة الرجل لاخيه بجودة أكله في منزله (نزل) الشافعي بمالك رضي الله عنهما فصب بنفسه الماء على يده وقال لا يرعك مني مارأيت فان خدمة الضيف فرض (وكان) الشافعي رضي الله عنه نازلا بالزعفراني ببغداد فكان يرقم كل يوم في رقعة ما يطبخ من الالوان ويدفعها الى الجارية فأخذها الشافعي يوما وألحق لونا آخر فعرف ذلك الزعفراني فأعتق الجارية سرورا بذلك (نادرة) روى عن أبي العباس المبرد فقال ضاف رجل قوما فكرهوه فقال الرجل لامرأته كيف لنا أن نعلم مقدار مقامه عندنا فقالت الق بيننا شرا حتى نتحاكم اليه ففعلا وقالت المرأة بالذي يبارك لك في غدوك غدا أينا أظلم فقال والذي يبارك لي في مقامي عندكم شهرا ما أعلم (قيل) ويقبح على الكريم ان يغتاظ على غلمانه بحضور ضيوفه وكذلك اذا أبطأ طباخه بالطعام (حكي) ان بعض قواد طولون حضر سماطه يوما وعليه قباء مزرك بفضة فجاء بعض غلمانه عجلا فانكب على القباء من الطعام فظن أحدمنا انه يعيبه ففهم تخوف الغلام وانقباض الجماعة فرفع طرفه الى الغلام وقال ياشيطان قد فهمت غرضك لاشك انك استحسنت القباء اذهب به فهو لك فسر الغلام وجميع من حضر (نادرة) قيل لبنان الطفيلي كم عدد صحابة رسول الله صلى الله عليه وسلم يوم بدر فقال ثلثمائة وثلاثة عشر رغيفا وكان نقش خاتمه مالكم لاتأكلون (ونظر) طفيلي الى قوم ذاهبين فلم يشك انهم يذهبون الى وليمة فقام وتبعهم واذاهم شعراء قد قصدوا دار السلطان بمدائح

لهم فلما أنشد كل واحد منهم شعره وأخذ جائزته لم يبق الا الطفيلي وهو جالس ساكت فقيل له انشد أنت فقال لست شاعرا قيل فمن أنت قال من الغاوين الذين قال الله تعالى فيهم والشعراء يتبعهم الغاوون فضحك السلطان وأمر له بمثل جائزة الشعراء (كان) مسلم بن قتيبة لا يجلس لحوائج الناس حتى يشبع من الطيب من الطعام ويروى من بارد الماء ويقول ان الجائع ضيق الصدر فقير النفس والشبعان متسع الصدر غنى النفس (وقال) ابن الاعرابي كان المحسن الضبي في الشرف من العطاء وكان ذميما فقال له زياد ذات يوم كم عيالك قال تسع بنات قال فأين هن منك قال أنا أحسن منهن وهن آكل مني فضحك وأمر له بأربعة آلاف دينار (وكتب) كسرى أنوشروان باللؤلؤ على مائدة من الذهب ليهنه طعام عن أكله من حله وجاد على ذوي الحاجة من فضله ما أكلته وأنت تشتهيه فقد أكلته وما أكلته وأنت لا تشتهيه فقد أكلك (نادرة) حكى الهيثم ابن عدي قال مشيت أبا حنيفة في نفر من أصحابه الى عيادة مريض من أهل الكوفة وكان مبخلا وتواصينا على ان نعرض بالغداء فلما دخلنا وقضينا حق العيادة قال أحدنا ولنبلونكم بشيء من الخوف والجوع وقال آخر وما جعلناهم جسدا لا يأكلون الطعام وقال آخر آتنا غداءنا لقد لقينا من سفرنا هذا نصبا قال فتغطى المريض وقال ليس على الضعفاء ولا على المرضى ولا على الذين لا يجدون ما ينفقون حرج فغمز أبو حنيفة أصحابه وقال قوموا فما لكم هنا من فرج (كان) بعض مفاليس الكتاب في دعوة فلما أخذت الكأس منه قال لهم أنتم عندي غدا فلما اصبح حدثه غلامه بما بدا منه فسقط في يده وأخذ يعنف غلامه كيف لم يرده على افلاسه وسوء حاله والغلام يعتذر عن ذلك باشفاقه من عربدته لو اطلعهم على ذلك اذ دق القوم الباب فقال لغلامه علي بالدواة والقرطاس وكتب اليهم ان الله وعدكم وعد الحق ووعدتكم فأخلفتكم وما كان لي عليكم من سلطان الا ان دعوتكم فاستجبتم لي فلا تلوموني ولوموا أنفسكم ما أنا بمصرخكم وما أنتم بمصرخي فلما قرؤا رقعته عرفوا عذره وتفرقوا عنه (نادرة أيضا) قيل تغدى رجل مع بعض الرؤساء فقدم اليه جديا فجعل يمعن فيه فقال له الرئيس انك لتمزقه حتى كأن أباه نطحك فقال له وأنت تشفق عليه حتى كأن أمه قد أرضعتك فخجل وانقطع (عمر بن هبيرة) عليكم

[illegible]

تجنباكرة الغداء فان فى مباكرته ثلاث خصال يطيب النكهة ويطفئ المرة ويعين على المروءة قيل ما اعانته على المروءة قال ان لا تتوق النفس الى طعام غيرك

(فصل) فى الاطعمة المشهورة ومضارها ومنافعها (السكباج) حارة معتدلة الرطوبة تنفع الكبد الصفراوية وتولد دما صالحا وتقوى الشهوة وتحبس البطن وهى بلحم البقر نافعة لمن يحذر الى معدته حرارة كثيرة وقال بعضهم السكباج فى المطبخ بمنزلة الفالوذج فى الحلوى وقال الصولى كان بعض الصوفية يقول أول من عمل السكباج آدم ولذلك استوى فى استطابتها ملوك ولده وسوقتهم وكنيتها أم القرى لان طعامها من أجل الاطعمة وأم الشئ معظمة وجليلة وأم القرآن الحمد وأم القرى مكة وأم الشئ أجله (المدققات) حارة رطبة مخصبة للبدن تولد دما معتدلا يحتاج لمن ضاق عليه الاستغراق بالجماع وعرض له من الاحداث النفسانية ما يلمز الهضم عليه كالهم والفزع والغم لان جوهر اللحم اذا أكثره فى المرق واهذا الحال يخف على الهضم وهى من أطعمة المخمور صالحة لهم جدا (الرخبة) حارة رطبة تزيد فى الباءة تولد غذاء كثيرا وهى مضرة بالصفراء مكروهة لمن يعتاده الغشيان ولاصحاب المعدة الحارة لتعطيشها وأكلها مع الحوامض صالح وهو غذاء شهى موافق لاهل الرياضة والقوة وكثرة البيض فيها صالحة وهى من الالوان المأثورة الموصوفة (الجزورية) حارة رطبة تحرك الباءة وتدر البول وأصلح ما كانت باللحم السمين والخل والمرى والخردل (ابن سكرة) الهاشمى فى جزورية

أكلت بالامس جزورية * تخبر عن خسة أربابها

اللحم فيها أثر دارس * كأنما مر على بابها

(الحصرمية) باردة يابسة وأجودها ما عمل بالماء العتيق العذب والذى يعمل بالحصرم الطرى يولد رياحا بالمعدة لانه ثمرة فجة لم تنضج ويختار فيها استعمال اللون المر لتعديل يبسها وتحسين منظرها (السماقية) باردة يابسة أيضا (الرمانية) كذلك واهما فعل فى تقوية المعدة وينفعان من نزف الدم ومن احب تعديل الطبع فيهما الاسفاناخ والسلق (التفاحية والريباسية) أيضا متناسبان فى البرد واليبس نافعان لاصحاب المزاج الصفراوى والاكباد الحارة

والمعدة الضعيفة يكرهان لاصحاب القولنج وهما مضرتان بالعصب والمفاصل والمنى والباءة (الزيرباج) معتدلة الحرارة نافعة الكبد تولد دما معتدلا وهى مسكنة لحدة الاخلاط مفرحة للقلب والناس فيها مذاهب وأجدها السهلة المائعة الورسية وبعضهم يختارها ردعية بالزعفران خثرة جدا او بعضهم يتخيرها ساذجة بيضاء وهذه أقل حرارة (المضيرة) باردة معتدلة الرطوبة قامعة للصفراء تولد غذاء بلغميا واستعمال حلوى العسل بعدها اصلح وهى من الالوان المستحبة المأثورة ويختار عملها بالفراخ الجليلة فانها أوفق لها من سائر اللحمان وللبصل فيها معنى خلاف سائر الطبيخ وكان بشار بن برد الاعمى يقول فيها اما أخان فى الطعام أطيب من بصلة مضيرة لانى ماسبقت البصر اليها قط ولا هم يؤثرونى بها ويستحب تقديمها فى الصحون الزرق أوماشا كلها وتكره لها الصحون البيض ويراه بعضهم قبيحا ويعده من سوء الاختيار وكان أبو هريرة رضى الله عنه يحبه المضيرة جدا فيأ كلها مع معاوية فاذا حضرت الصلاة صلى خلف على كرم الله وجهه فاذا قيل له فى ذلك شئ قال مضيرة معاوية أدسم والصلاة خلف على أفضل فقيل له شيخ المضيره (حكى) ابن شكلة الكاتب صرد را امتنع من حمل ماطلب منه واحتمل غليظ المكروه وكان يؤتى بطبق فيه طعام فرأى يوما مضيرة فى صحن أبيض هذا مالا يكون أبدا (القلايا) حارة معتدلة اليبس تختار للذين تجتمع فى معدتهم البلاغم لتقطيعها لاسيما اذا عملت بالابازير الحارة وهى باعثة للشهوة مهيجة لذوى النهمة (المهلبية) أول من اتخذها بنو المهلب فنسبت اليهم وهى من الالوان المستحسنة المستلذة تنفع لحفظ الصحة وأجدها منفعة السلسلة والانعقاد بالدجاج الحديث السمان والعسل الخالص الذهبى والسكر النقى وهى معتدلة الحرارة والرطوبة تغذو غذاء صالحا الا أنها مضرة بالصفراء وتدفع مضرتها بالحصرمية منه قبلها (الارز باللبن) قال محمد بن خلاد كان كثير من رؤساء العراق يقدمون فى أول الطعام الارز باللبن والسكر المنخول ثم يتبعونه ماشاؤا ايثارا له على غيره وكان الحسن بن سهل يفضله على كثير من المطعم ميلا الى رأى المأمون فيه وقال له انه يزيد فى العمر يا أمير المؤمنين قال من أين قلت هذا قال لان الاطباء زعموا ان الارز يولد أحلاما صحيحة فاذا صحت الاحلام فهى من زيادة النوم على اليقظة لان النوم موت واليقظة حياة

(الشوى) قال أبو عبيد العرب تقول الشوى رئيس الطعام قال ومر الفرزدق بالاخوص فقال له اقترح يا أبا فراس فقال شوى وطلى وغنا فقال ادخل فقد أعد ذلك والشوى حار رطب وأجوده المشوى على اسهل مثل شى الرؤس فان ذلك يكسبه فضل ترطيب ونضاج ويلطفه (الكباب) بفتح الكاف وهو اللحم المشروح وأجوده ماشرح اللحم شرحا خفيفا ونثر عليه الملح ونصب له مقلى على النار بلا دسم وطرح عليه وقلب من جنب الى جنب حتى ينضج ويحمر هذا هو الكباب الخالص بعينه وهو الذى كان يعمل ليحيى بن خالد ولولده وفيه يقول أبو الفتح البستى

عليك اذا أعجاب الدجى بكباب * وعقبه مرتاحا بكأس شراب

فلم يفتح الاقوام بابا الى المنى * كباب شراب أو كباب كباب

(الخبيطة) تخصب الجسم وتغذوه وتزيد فى الباءة (الكشك) قال جالينوس أبوان كر يمان انتجا الشيما (الططماج) عسر الهضم من أجل انه من خبز فطير فهو يزلق فى المعدة واصلاحه بالثوم ويؤكل معه النعنع ويشرب نبيذا صرفا قويا وعسلا مطبوخا بأفواه الا أن يكون محرورا فلا يحتاج الى ذلك (الملوخيا) غليظة لزجة باردة كثيرا الاكثار منها يضر بالمرطوبين والملغمين واصلاح ضررها أن تطبخ بلحوم الغزلان لخفته وحرارته أو من الحجل أو مع الفراخ النواهض أو الفراريج السرخسية فان لم يتفق فتلقى فيها الشرائح الجافة المدخنة أو التنورية عند نضوجها من التنور وكذلك الباذنجان المقلى يلقى عليها ويكمر ساعة ثم تؤكل وماء الليمون يلطف غلظها ويقطع لزوجتها ولا يصلحها اصلاحا تاما الا هو واذا قطع ورقها الاخضر ووضع على لسعة الزنبور نفعها وطبيخ ورقه ينفع حرق النار وفيها أكثر منافع الخطمى وهى فرع منه وذكرانها قديما لم يكن لها ذكر ولا قدر ولا تصريف فى مدينة ولا فى اقليم الا بعد ثلثمائة وستين سنة مضت من الهجرة النبوية بمصر خاصة وكان السبب فى ذلك أن المعز بانى القاهرة لما دخل مصر استرباها واختلف عليه الهواء الذى كان يعهده بافريقية ورطوبته لمجاورته البحر فأصابه يبس واستولت عليه أمراض حارة فدبر له أطباء مصر قانونا من العلاج من جملته الغذاء بالملوخيا فوجد لها غاية فى التبريد والترطيب وأقلع عنه معظم

ما كان يجده من الاعراض الرديئة التي سببها اليبس والحرارة وأدمن أكلها فأبل من مرضه ووقعت منه بموقع عظيم وأمر باصلاحها له ولخواصه حتى سميت الملوكية وبلغ من اعتنائهم بها انهم كانوا يحفظونها ويطبخونها بحفظة السنة كلها وكان باكورها اذا دخل القصر يكون ذلك اليوم موسما عظيما ويعطى مهديها اعطاء جزيلا

(ماورد من المنظوم والمنثور في هذا الباب) كتب الشيخ جمال الدين بن نباتة يتشكر من بعض الرؤساء وقد أهدى له خروف شوى شكر الله احسان مولانا الذى وصل فأوصل الى القلب جبره والى الكبد بره والى الفم كل شحمة كاهداب الدمقس المفتل وكل فلذة صفراء تسر ناظر المتأمل فما أحسن ما ملأ ذلك الجود فمه وعينيه وتلقاه المملوك قائلا هذا الشرف الذى ينطح النجوم بروقيه لقد أربى تواتر هذا البر على مافى النفس ولقد جددت هذه الهدية أفراحى كأنما أهدى له حمل البروج على طبق الشمس ولقد آن ان يتترس من الدهر وتنتصف ولقد عرف رجاءه من أين تؤكل الكتف فانه الكرم الذى لايحيل الآمال على سوف والفضل الذى أضاف المملوك وآواه فأطعمه من جوع وآمنه من خوف لابرح مولانا يحيى مآثر آبائه الاول ويقيم سنن قراهم التى هى على الدهر كالحلى ولازال يفتخر فيقول عزمه أنا طلاع الثنايا ويقول بشره أنا ابن جلا (وقال) ابن وكيع فيه

خروف لو أشار اليه وهم * تفطر جلده بالشحم يجرى
لباطنه قميص من لجين * تسربل فوقه قميص تبر

وما أحسن ما كتب به ابن خروف النحوى الى ابن اللهيب وكان قد دعاه

دعانى ابن لهيب * دعاء غير نبيه
ان سرت يوما اليه * فر الذى فى أبيه

(نادرة) قدم الى أبى على الفارسى النحوى شوى غير نضيج فقال هذا لم تعمل فيه العوامل (قدم) الى الفاضل فى دعوة خروف شوى فقال هذا من البهائم التى علمت يريد قوله صلى الله عليه وسلم لو تعلم البهائم ما تعلمون من أمر الموت ما أكلتم منها سمينا (قيل) عن سليمان بن عبد الملك انه كان نهما على طعامه وانه كان يلف على يده بفاضل كمه ليتناول بها الكلى من بطون الحملان وهى فى شدة

الحرارة ولا يمهل حتى تبرد وقد ذكر ذلك الاصمعى فى أيام الرشيد لما وجد سفط عليه ثياب مذهبة ثمينة وأكامه مبتلة بالدهن فى ذخائر بنى أمية والقصة مشهورة (وصف) جحظة دعوة حضر بها فقال أتينا برغفان كالبدور المنقطة بالنجوم وملح كالكافور السحيق وخل كذوب العقيق وبقل كاخضرار العذار وجدى من الفضة جسمه ومن الذهب قشره وجوفه وأرز مدفون فى السكر ثم جاءنا غلام بشراب ألذ من ذكره وأطيب من روحه وأصفى من وده وأرق من لطفه وأذكى من عرفه وأعذب من خلقه وأشهى من قربه (سيف الدين المشد فى دجاجة مشويه)

دجاجة صفراء من شيها * حمراء كالورد من الوهج
كأنها والجمر من تحتها * أترجة من فوق نارنج

وما أظرف قول الشيخ زين الدين بن الوردى

لى شهوتان أحب أجمعهما * لو كانت الشهوات مضمونه
أكباد عذالى مدققة * ومفاصل الرقباء مدفونه

(نادرة) مرض ابن تقلية المغنى وأشرف على الموت فجاء اليه ابن الصاحب يعوده فقال له أيش حال التقلية فقال ما أخوفنى تبقى مدفونه (وقال) كشاجم يصف مائدة وما عليها

ومن فراريج بماء الحصرم * تصلح للمحموم أو للمحتمى
قد شويت أكبادها بيض * فهى كمثل نرجس بروض
وجاءنا فيها ببيض أحمر * كأنه العقيق مالم يكسر
حتى اذا أتى به مقشرا * أبرز من تحت العقيق الدررا
كأنه اذ حاز أصناف الملح * أعاره تلوينه قوس قزح
وجاءنا براضح لم يعتلف * كأن قطنا بين جنبيه ندف
وجاءنا فيه ببادنجان * مثل قدود اكر الميدان
قد قارنا الهليون بالمبازجه * تقارن الكراة بالصوالجه

(وقال) ابن القطاع فى البيض

اسمع عن البيض وصف مضطلع * بالوصف ماضى الجنان نحرير
بنادق التبر غشيت ورقا * أوشمس فى صحاف كافور

(الوداعى)

تفضل فرمانيـة العيـد آيه * ومن حسنها يلتذ تكرارها القارى

فقد ذاب من طول انتظارك لحمها * وشوقا الى اقبالك ظلت على النار

(ابن تميم)

ولم أنس اذ بيت لى الاهريسة * وبت لخوف النار أجل همها

فلما دنا الاصباح بادرت مسرعا * لأكشف من غمى وأكشف غمها

فصادفتها فى حاجم النار قد عصت * علىّ فلم أسطع من الحر شمها

وما أنا فى شك بان لو بدا بهـا * فتور لغيظى كنت آكل لحمها

(السراج الوراق)

وأحق أضيافنا بيقله * انسبة بينهـما ووصله

فن أقل أدبا من سفله * قدم فى وجه الضيوف رجله

(وله أيضا)

ومغمومات رؤس باكرتنا * تطيب شذى ولاطيب العروس

ونهنا لهـا الطاسى بليل * حكى لون المسوح على القسوس

فقمنا ماثلين له وقلنـا * يقل لكم القيام على الرؤس

(وله)

أتيت أرجيه فى حاجـة * فلم تنبعث نفسه الجامده

وقتل فى ذقنه والنفوس * تعـاف المقلة البـارده

(وقال بن نباتة)

ياسيدى عطفا على عصبة * أفـكارهـم للقمح محبيـه

قد طبخت بالسوق أحشاؤهم * فيالهـا طبخـة قمحيـه

(كتب) الصلاح الصفدى الى ابن نباتة وقد كان أهدى له ابن نباتة بسلا

ظننت العهد عن مصر تسلا * فأهـدى جودك الوافى بسلا

نعم قد أذكرتنى عيش مصر * واقبـالا من الدنيـا تولى

طعـاما فوقه لحـم شهـى * الى كل النفوس فكيف يقلى

ودهن فوقـه قد صار صبا * تلظت ناره حتى تسـلا

(المعمار فى المجون)

وصاحب جئت الى داره * فلم أجد بالباب من يحرس
دخلت للدار على غفلة * وجدته متكئا ينعس
فقال ما تبغى فقلت القرا * منكم فانى جائع مفلس
فجادلى بالدهن من رأسه * وجادت المرأة بالكسكس

(مطاعم شهية وملاذ ملوكية) سأل الوزير أبو نصر بن أبي زيد أبا منصور بن سعيد ابن أحمد البريدى وكان من أبناء الامراء والسادة بالبصرة عما يحبه ويشتهيه ويختاره من أطايب الاطعمة الملوكية فقال قشور الدجاج الفتية المسمنة المشوية والسكباجة التمامة التي يجمع فيها بين لحم البقر والغنم ثم ينقى عنها لحم البقر وتحلى بالطبرزد وتطيب بالعنبر والهريسة بلحوم الحملان التي رضعت شهرين ورتعت شهرين ومن اللحم المجذع والملبقة بالارز المدقوق والدهن بالسكر المسحوق المبخر بالند المشرب بالجلاب وماء الورد فقال يا أبا المنصور قد تجاب فى من هذا الوصف أشهد أنك من أبناء النعم والمروآت وأمر أن يلقيه على طباخه (ولما دخل الرشيد البصرة) فى سنة ست وتسعين ومائة زار جعفر بن سليمان بن على الهاشمى وكان يومئذ واليها فأحضر له جعفر بن سليمان على مائدته كل حار وبارد وأحضر ألبان الظباء وزبدها فاستطاب الرشيد طعومها فسأله عن ذلك فأمر بعض الغلمان فأطلق الظباء فتبعها أخشافها وعليها حملها حتى وقفت فى عرصة الدار تجاه عين الرشيد فلما رآها مفرطة مخصبة استفزه الفرح لذلك والتعجب حتى قال له جعفر يا أمير المؤمنين هذه الالبان واللبأ ورائب الزبد الذى بين أيدينا من هذه الظبية ألفتها وهى خشفان فتلاحقت وتلاقحت (نادرة) حضر الغاضرى عند بعض الرؤساء فقدم صحفة فيها أرز مطبوخ وقد قعر وسط الصحفة جلاب فأخذ الغاضرى الملعقه وخرق التقعير الى ما يليه حتى اختلط بالارز فقال له صاحب المنزل أخرقتها لتغرق أهلها فقال بل سقناه لبلد ميت (وقال) ابن الجصاص الصوفى دخلت على أحمد بن روح الاهوازى فقال ما تقول فى صحفة أرز مطبوخ فيها نهر من سمن على حافتيها كثبان من السكر المنخول فدمعت عيناى فقال مالك قلت أبكى شوقا اليه جعلنا الله واياك من الواردين عليه بالغواصة والرداتين فقال يا غلام قدمها فجاء بها تفور فقال لى ما الغواصة والرداتين فقلت الغواصة الابهام والرداتان

السبابة والوسطى فقال أحسنت بارك الله فيك (وكيفية الاكل) عند الظرفاء والادباء هو ان يقبض الانسان الخنصر والبنصر ويأكل باصابعه الثلاث وفى مذهب الظرفاء ان البنصر اذا أصابه الزفر فليس بظريف فى الاكل اللهم الا فى الثريد فان أكلها باربعة أصابع سوى الخنصر وقالوا الاكل على أربعة انحاء باصبع من المقت وباصبعين من الكبر وبثلاث من السنة وبخمس من الشره

(فصل) فيما يشتهى المأكل قال بعضهم يصف سكردانا

وافى السكردان وفى * ضمنه مطبخات من فراريج
كأنه بدر قد وضعت * فيه ثريا من سكاريج

(وقال آخر فى عجة)

وجاءتنا بعجتها عجوز * لها فى القلى حس أى حس
فلم أر قبل رؤيتها عجوزا * تصوغ من الكواكب عين شمس

(وقال) ابن تميم فى لبأ وتمر

ياحبذا لبأ أتانا بكرة * يزهى لنا حسنا بانواع الرطب
فكأنما أهدى سماء فضة * قد أشرقت فيها النجوم من ذهب

(وقال) صفى الدين الحلى يطلب جبنا

خففت عنكم فلم أطلب لمجلسنا * من المآكل شيأ غالى القيم
لكن أقصى مرادى من هديتكم * ما بالكرائم من لامية العجم

(يريد قول الطغراى)

قد زاد طيب أحاديث الكرام بها * ما بالكرائم من جبن ولا بخل

(وقال) صلاح الصفدى ملغزا فى قريشة

أى شئ يروق للنفس أكلا * ذا بياض وأصله من حشيشه
جسمه أثقل الجمادات وزنا * فتعجب له وباقيه ريشه

(وقال) أبو الفرج الاصفهانى يصف بيضة

فيها بدائع صنعة ولطائف * الفن بالتقدير والتلفيق
خلطان ماويان ما اختلطا على * شكل ومختلف المزاج رقيق
صنع تدل على حقيقة صانع * للخلق ما رالدس بالمخلوق

فماضها

فيباضها ورق وتبرخنها * في حق عاج بطنت بدبيق

(وقال) الشيخ جمال بن نباتة مقاضي ملوحة بدرب الحجاز يا مولانا ما كأن الملوحة الاقدام اتخذت سبيلها في بحار السراب سربا أو تعلت من تلك الهمة فاتخذت الى نهر المجرة سببا وجعل فضلها مقصورا على الاسماع وخلقت من الملائكة فلا يمكن على صورها الاطلاع ولا غرو فانها ذات أجنحة مثنى وثلاث ورباع وتوقفت من المنع والعطاء بين أمرين وحظيت من مولانا ومن الجناب الفخرى بمجمع البحرين وما أظن الظن ان يتفق هذا الظن هذا ولو انها من نسل حوت يونس عليه الصلاة والتسليم وان عظمها مما يسبح في بطن آكله الى يوم يحيي العظام وهي رميم وان بينها الذمن القرب بعد البين الطويل ورأيها أحسن من رأى عمرو بن العاص في الامر الجليل وان قصها اللؤلؤية مما تنتظم في السلوك وأذنابها المرجانية مما ترصعه في تيجانها الملوك وعيونها الدرية هي التي دلت الخضر على عين الحياة فوردها وان بطونها الذهبية غنى من قصدها وعلى الجملة فقد سطر المملوك هذه الورقة ولقم الانتظار تزاحم القلم في يده وأنامله المستعدة كالصنانير في تصديها او تصيده فمولانا يتدارك هذا الامر قبل ان يفوت ويأمر بانقاذها ولو انها بين السماء والارض عند الحوت ومكارمه المشهورة لا تقف في البذل مع احتياط ولا يخير عادتها طريق المجاز ولولا الغلو لقال ولا طريق الصراط (نوادر في هذا الباب) ذكر الشيخ علاء الدين الوداعي في تذكرته ان الصاحب تاج الدين محمد بن حنا رحمه الله كانت له أخت ذات مال وكان كلما اجتمع بها حضها على طعام الفقراء والمساكين والصدقة وفعل الخير ويقول لها الا تتباخلي فقالت له يوما وقد قال لها لا تكوني بخيلة فقالت له ما تستحي كم تقول انت بخيلة وأنا كريمتك (قال) عبد الملك بن مروان لبعض الشعراء هل اصابتك تخمة قال أما من طعام الامير فلا (وقال) بعضهم أربعة ممسوخة البركة أكل الارز البارد والغناء من وراء الستارة والقبلة فوق النقاب والجماع في الماء (وقال) بعض الصوفية من جلس على مائدة فأكثر الحديث فقد غش بطنه (قيل) لطفيلي لم أنت حائل اللون قال للفترة بين الطعامين مخافة أن يكون قد فني الطعام (أولم طفيلي) على ابنه فأتاه كل طفيلي فلما رآهم رحب بهم ثم رقاهم الى غرفة بسلم وأخذ السلم حتى فرغ من طعام الناس أنزلهم

وأخرجهم (دعا) يحيى بن أكثم مدولة فقدم اليهم مائدة صغيرة فتضاموا عليها حتى كان أحدهم يتقدم فيأخذ اللقمة ثم يتأخر حتى يتقدم الآخر فلما خرجوا قيل لهم أين كنتم قالوا كنا في صلاة الخوف (الحرث) ابن كلدة اذا تغدى أحدكم فلينم على غدائه واذا تعشى فليخط أربعين خطوة وفي قوله تعالى ويطعمون الطعام على حبه مسكينا ويتيما وأسيرا أفاد الجناب المجدي رحمه الله ان قوله تعالى على حبه مما يستشهد به في البديع (قدم) رجل كذاب من سفره وقد أفاد من سفره مالا كثيرا فدعا قومه الى الطعام وجعل يحدثهم ويكذب فقال أحد القوم نحن كما قال الله تعالى سماعون للكذب أكالون للسحت (عبر) بعض الطفيلية على قوم وهم يأكلون فقال السلام عليكم أيها القوم اللئام فقالوا لا والله الا الكرام فقال اللهم اجعلهم صادقين واجعلني كاذبا وقعد يأكل (وعبر) طفيلي أيضا على قوم وهم يأكلون فقال هل تحتاجون الى مساعدة فقالوا بالدعاء فقال لاهنأكم الله ان لم تأذنوا لي بالاكل معكم وما أحسن قول ابن دانيال في شخص يدعى على شير

اذا ما كنت محتوما فكن ضيفا على شير * فما يخرج منه الخبز الا بالمناشير

(فائدة جليلة) ذكر التوحيدي في كتاب الامتاع والمؤانسة من أدمن الاكل والشرب في أواني النحاس أفسدت مزاجه وعرضت له أمراض صعبة وان أدنيت أواني النحاس من السمك شممت لها رائحة كريهة وان كبت آنية النحاس على سمك مشوي أو مطبوخ بحرارتهما حدث منه سم قاتل (ومنه) قيل لصوفي ما حد الشبع قال لا حد له ولو أراد الله تعالى أن يؤكل بحد لبين كما بين جميع الحدود وكيف يكون للاكل حد والاكلة مختلفون بالطباع والمزاج والعارض والعادة وحكمة الله تعالى ظاهرة في اخفاء حد الشبع حتى يأكل من شاء على ما شاء كما شاء (وقيل) لفقيه ما حد الشبع قال ما نشط على اداء الفرائض وثبط عن اقامة النوافل (وقيل) لمتكلم ما حد الشبع قال حده ما جلب النوم و يضجر القوم ويبعث على الكوم (وقيل) لاعرابي ما حد الشبع قال أما عندكم يا حاضرة فلا أدري وأما عندنا في البادية فما وجدت العين وامتدت اليه اليد ودار عليه الضرس وطابت له اللهاة وأساغه الحلق وانتفخ له البطن واستدارت عليه الحوايا

واستغاثت

واستغاثت منه المعدة وتقوست منه الاضلاع والتوت منه المصارين وخشيت منه الموت (وقيل) لملاح ماحدّ الشبع قال حدّ السكر قيل فما حدّ السكر قال ان لا تعرف السماء من الارض ولا الطول من العرض (وقيل) لمدني ماحدّ الشبع فقال لا عهد لي به فأحده فكيف أصف مالا أعرف (وقيل) لسمرقندي ماحدّ الشبع فقال اذا جحظت عيناك وبكم لسانك وثقلت حركتك وازجحن بدنك وزال عقلك فأنت في أوائل الشبع قيل اذا كان هذا أوله فما آخره قال ان تنشق نصفين (قيل) لجمال ماحدّ الشبع قال اني أواصل فما أعرف الحد ولو كنت أنتهي لوصفت الحال فيه أعني ساعة أعجن الدقيق وساعة أمل الملة وساعة أثرد وساعة آكل وساعة أشرب ابن اللقاح فليس لي قرار فأدري اني بلغت الشبع الا اني أعلم في الجملة ان الجوع عذاب وان الاكل رحمة وان الرحمة كلما كانت أكثر كان العبد الى الله اقرب والله عن العبد أرضى (قال) اسحق كنت يوما عند أحمد بن يوسف فدخل علينا أحمد بن أبي خالد فجرى ذكر الغناء فقال لا والله لا أجد شيأ مما أنتم فيه فهان علي وخف في عيني فقلت له كالمستهزئ به جعلت فداك قصدت الى أرق شئ خلقه الله وألينه على القلب والاذن وأظهره للسرور والفرح وأنفاه للهم والحزن وماليس للجوارح منه مؤنة انما يقرع السمع وهو منه على مسافة فتطرب له النفس فذممته ولكنه كان يقال لا يجتمع في كل رجل شهوة كل لذة وبعد فان شهوة كل رجل على قدر تركيبه ومزاجه قال أجل أما أنا فالطعام الرقيق أعجب الي من الغناء فقلت أي والله ولحم البقر والجواميس والتيوس الجبلية بالباذنجان المبزر أيضا تقدمه فقال الغناء مختلف فيه قد كرهه قوم قلت فالاختلاف فيه من أطلقه لنا حتى يجتمعوا على تحريمه أعلمت جعلت فداك ان الاوائل كانت تقول من سمع الغناء على حقيقة مات فقال اللهم لا تسمعناه على حقيقته اذن فنموت فاستظرفته في هذه اللفظة وقدموا اليه الطعام فشغله عن ذم الغناء (نظر) بعضهم الى مائدة بخيل يوضع عليها دجاجة فلا تمس ثم ترد من الغد فلما مضت عليها أيام قال يا أخي هذه الدجاجة عمرها بعد موتها أطول من عمرها حال حياتها (ولقي) رجل أبا الحرث جمين وقد تعلق به غلام فقال يا أبا الحرث من هذا فقال غلام الفضل بن يحيي كنت عنده ولي هذا بالامس فقدم الينا مائدة عليها رغيفان

قد عملا من نصف خشخاشة وثريدة فى سكرجة وخبيص فى مسعط فتنفست الصعداء فدخل الخوان وما علق منه فى أنفى فولاه يطالبنى بالقيمة قال الرجل أستغفر الله مما تقول فأومى الى غلام كان معه فقال غلامى هذا حر ان لم يكن ما قلته صحيحا ولو ان عصفورا وقع على بعض قشور ذلك الخشخاش الذى عمل منه ذلك لمارضى مولى هذا حتى يؤتى بالعصفور مشويا بين رغيفين والرغيفان من عند العصفور ثم قال وعليه المشى الى بيت الله الحرام ان لم يكن اذا عطش بالفرعاء رجع الى دجلة العوراء حتى يشرب منها صحيحا ولو ان مولى هذا كلف فى يوم قائظ ان يصعد على سلم من رمل حتى يبلغ كواكب بنات نعش فيلقطها كوكبا كوكبا لكان ذا أسهل عليه من أن يشم شام تلك الثريدة أو يذوق ذائق تلك الخبيصة فقال الرجل عليك لعنة الله وعليه ان كان سمع بمثل هذا

(فصل) فى الطست والابريق والخلال والخلاب والاشنان والمنشفة وآداب غسل اليد وكيفية الاستعمال ولا بأس بغسل اليد فى الطست وان ندب الى ذلك فليقبل الكرامة ولا يردها (قال) دفترخوان

والطست ان رام اليك المقصدا * فلا تخالف من يقول اغسل يدا

وصاحب المرش دعه ساكتا * ولا تقل بس اكتفيت كاذبا

وعن ابن مسعود رضى الله عنه اجتمعوا على غسل الايدى فى طست واحد ولا تستنوا بسنة الاعاجم وقالوا غسل اليد فى الطست فى حالة واحدة أدخل فى التواضع ويقتضى ان يجتمع الماء فيها وقال قال صلى الله عليه وسلم اجمعوا وضوءكم جمع الله شملكم وعن أبى هريرة رضى الله عنه قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من بات وفى يده غمر لم يغسله فأصابه شئ فلا يلومن الا نفسه وفى حديث آخر الوضوء قبل الطعام ينفى الفقر وبعده ينفى اللمم واللمم مس الشيطان والطست الطس بلغة طئ ابدل من أحد السينين تاء للاستثقال فاذا جمعت وصغرت رددت السين لانك فصلت بينهما بالتاء فقلت طساس وطسيس وهو اعجمى معرب أصله طشت بالشين المعجمة فلما عرب قيل بالسين المهملة (الابريق) عربى صحيح وهو افعيل من البريق وقال الحريرى فى المقامات اياك واستدعاء المرجفين قبل استدعاء حلول البين أراد بالمرجفين الطست والابريق لان الاتيان بهما يؤذن بالقيام وفراغ الطعام وما أحسن

قول القاضي الفاضل في المقامة العسقلانية يصف المائدة

وتناوبتها الالوان * صنوان وغير صنوان

وأبطا القوم بالمرجف بن غابر جفان ولا يوجفان

وأتينا بفاسول تحظى به الافواه والانوف ولا يوجد بعده بفم الصائم خلوف (وقيل) ان كنية الاشنان أبو ايأس وكنية الملح أبو عون وسمعت بعضهم يسميهما البداية والنهاية (ولهذا) حكى ان بوران بنت الحسن بن سهل لما تزوجها المأمون وأراد أن يدخل بها جعل الناس يهدون لابيها الاشياء النفيسة وكان بالقرب منهم رجل من الادباء فأهدى اليه مزودا فيه ملح مطيب ومزودا فيه اشنان وكتب اليه معهما اني كرهت ان تطوى صحيفة أهل البر ولاذكر لي فيها فوجهت اليك بالمبدأ به ليمنه وبركته وبالمختوم به لطيبه ونظافته ومع ذلك

بضاعتي تقصر عن همتي * وهمتي تقصر عن مالي

فالملح والاشنان ياسيدي * أحسن مايهديه أمثالي

(وذكر) القاضي الرشيد بن الزهري في كتابه العجائب والطرف ان سعد الوزراء أبا محمد اليازوري وجد في موجوداته طستا وابريقا من البلور فأفرط في استحسانه لهما ولعظيم قدرهما ان المستنصر وهبه ماله ووجد أيضا دهن ياقوت أحمر وزنه سبعة وعشرون مثقالا أخذه سرا من السلطان في خزانته حين قبض عليه في سنة خمسين وأربعمائة ولما أخرج السلطان الذخائر المصرية عند أيام فتنة ناصر الدولة وجد فيما أخرج من دار ناصر الدولة تسعين طستا وتسعين ابريقا من صافي البلور وجميعه كبارا وصغارا (وقال) ابن معقل فيما يكتب على سفرة الطست

لم أصحب الطست من شوق اليه ولا * جعلت خدي له أرضا وماشعرا

لولا وصولي به يوما الى ملك * يصيبني فضل ماينقى به الغمرا

وغيرة ان يمس الترب مبتذلا * ماسن كميه من ماء اذا قطرا

(وقال) جلال الدين بن المكرم في الطست والابريق والمنشفة

ولي صاحب ينفي الاذى عن جوارحي * فيخرجني منه نقيا مطهرا

وآخر يحويه فيجعل الذي * كان لي منه اليه مصيرا

وثالثة غارت افعلهما فلا * تزال تعفي مالجسمي أثرا

(وقال) أبو طالب المأموني

منشفة تحملها الخال بها * قد فت كافورة على طبق
كأنما أنبتت خمائلها * ما ارتشفت من لآلئ العرق

(الأشنان) عمل لهارون الرشيد يؤخذ من القرنفل والسليخة والقرفة والقاقلي والفلنجة من كل واحد جزأ ومن المصطكى والاذخر والسعد والميعة اليابسة جزء ومن المرزجوش ثلاثة أجزاء ومن الطين الابيض المكي خمسة ومن الاشنان البارد ضعف ذلك أو ثلاثة اضعافه ومن الارز الابيض المبلول المجفف المنخول مثل الاشنان يدق كل واحد على حدته ويخلط (صفة) بنك محمص يؤخذ من البنك الاصفر المجمر وزن ثلاثين درهما ومن القرنفل عشرين درهما ومن الزعفران خمسة دراهم ومن الورد خمسة عشر درهما ومن السليخة الحمراء الرقاق والسنبل من كل واحد ستة دراهم يدق الجميع بأمره ويطحن ويحمص بماء الورد ويبخر بالعود الند والكافور والزعفران تبخيرا جيدا فانه يجيء غاية من الغايات (كيفية تناول الاشنان) أشنان الملوك والرؤساء هو طيب من جملة الطيوب وهو يجعل في اشنان دان له غطاء يحفظ رائحته ويكون له ملعقة يناول بها الغلام الاشنان ولا يلمس باليد البتة ولا سيما يد الغاسل فانه ان أدخل يده فيه زفرة فسد جميعه اسرعة قبول الطيب الفساد بدخول أدنى سبب من الرائحة الكريهة عليه للطف جرهره (كان) بعض الظرفاء اذا قدم اليه الطعام تناول بعض الادهان العطرة الطيبة فمسح به يديه فلا يتمكن الزفر من مسامها ولا يعلق بهما طائل منه والذي يعلق يسهل زواله بأدنى غسل (وقالوا) كان كسرى في زمن السفرجل يتناول قطعة سفرجل وفي غير زمانه يتناول مرباه فيما كلها عندما يقدم اليه الطعام فيتخلل ما بين أسنانه وعموره با لسفرجل فلا يعلق بهما من مضغ اللحم طائل وكان يستعمل على مائدته بين كل لونين ملعقة رمان ليغسل فمه من الطعام الاول فيذوق الطعام الثاني خالص الطعم من شوب الطعام الاول فيدرك فرق ما بين الطعامين ويلتذ بكل واحد بمفرده ومن آداب الملوك ان لا يغسل الانسان يديه في مجلس الملك أو بحضرة الرئيس ولا يحبث براء الا باذنه وكذلك يصنع في الخلال فانه من اسوأ أدب الجليس وان أذن الرئيس لجليسه في الغسل في مجلسه وأحب ان يتخلل فليعتزل بحيث

لايراه ولايقع نظر الرئيس عليه (وحكى) ان أول غضب المعتصم على الافشين وكان حظيا عنده انه أكل عنده ثم دعا بالطست فغسل يده بحيث يراه المعتصم فقال المعتصم هذا التيس الطويل اللحية يدعو بالطست حيث أراه ثم من آدابه ان يؤذن له به ان يستقصى ازالة الزفر ولا يقصر فى غسل يده (يحكى) ان رجلا قصر فى غسل يده فى دعوة بعض الظرفاء فقال له رب الدعوة اتق يدك والا دنست منديلنا (وكان) عبد الله بن سليمان يبطئ فى غسل يده ويقول من حكم اليد أن يكون زمان غسلها بمقدار زمان أكلها (وسأل) المأمون اليزيدى معلم ولده العباس عن أخلاقه فأخبره انه لا يفلح ولا همة له قال كيف علمت ذلك قال رأيته قدناوله الغلام اشنانا فاستكثر ماوقع فى يده منه فرده فى الاشنان دان ولم يلقه فى الطست فعلمت انه بخيل والبخيل لا يصلح للملك فكان الامر كما قال وليحترز عند غسل اليدين من الرش على من يليه أو نفض يديه بالماء اذا فرغ أو التنخع فى الطست أو المخاط فيه (الخلال) روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم انه قال تخللوا فانه نظافة والنظافة من الايمان والايمان مع صاحبه فى الجنة وفى حديث عمر رضى الله عنه عليكم بالخشنين يعنى الخلال والسواك وقال أبو هريرة رضى الله عنه السواك بعد الطعام يذهب وضر الطعام وفى حديث آخر انه صلى الله عليه وسلم أمر بالخلال ونهى عن ان يتخلل بالرمان والقصب وقال انهما يحركان عرق الآكلة وفى رواية يحرك عرق الجذام (وفى كتاب) طب أهل البيت عليهم السلام عنه صلى الله عليه وسلم الخلال يجلب الرزق (وفيه) من تخلل بالقصب لم تقض له حاجة سبعة ايام وعن أبى أيوب الانصارى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم قال حبذا المتخللون قالوا يارسول الله ما المتخللون قال التخلل من الطعام فانه ليس شئ أشد على الملك الذى على العبدان يجد من أحدكم ريح الطعام (والخلال) عمله من الصفصاف وعيدان الخلاف وطبع الصفصاف بارد يابس قليل الاضرار بالاسنان كثير النفع لها وهو أجود ما استعمل وخللت به الاسنان من الزهومات مأمون عليها (ومن مستظرف المعانى) وان لم يكن من غرض هذا الفصل لكن الحديث شجون ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ونقلته من خطه بالقاهرة المحروسة سيدنا أقضى القضاة بدر الدين محمد المخزومى المالكى الشهير بالدمامينى رحمه الله

أفديه من ظبي غزالي * بلواحظ تبغي قتالي
ورآه يضمر بالجفا * في خاطر منه وبال
ما للعذول اذا أبحت لحسنه روحي ومالي
والجسم من عشق لذا لك الثغر أصبح كالخلال

(رجع) الى ما كافيه والخلال المأمون هو زهر قضيب نبت في الصحراء يقال انه الجزر البري وهو حار يابس بزره اذا استف ألقى الدود من الجوف وانما سمي المأمون لقلة أذاه للاسنان واللثة للينه وهو خلال تستعملها العوام من الناس (الادب في الخلال) قال صاحب سرور النفس ورأيت في زماننا من يغلط في تناول الخلال فاني رأيت في بعض مجالس الوزراء من الطستدارية من يضع الخلال خلف أذنه ويقدم الطست ثم يناوله مخدومه من ذلك الموضع وهو موضع قذر لا يخلو غالبا من أذى ولو كان حامله أنظف الناس وأظرفهم وأما تناوله فاني رأيت كثيرا بعد الفراغ من الغسل ليده وفمه ورفع الطست يتناول الخلال وذلك خطأ من وجهين أحدهما انه اذا تخلل وهو مغسول الفم خرج اللحم من جموره وأسنانه الى فمه فعاد الزفر وبطلت فائدة الغسل والاخرى انه يلقي ما خرج بالخلال على البساط وحيث اتفق من مواضع مجالسه وتلك قذارة وان كانت محقرة المقدار فالتنزه عنها أشبه بذوي الاقدار (وآداب المناولة في الخلال) ان يكون مع الطستدار ملفوفا في ورقة بيضاء فاذا أخرجه وضع احدى رأسيه بين أصبعيه السبابة والوسطى ومد به يده للرئيس وهو قائم فيتناوله الرئيس وهو على الطست فيتخلل ويلقي ما يخرج بالخلال في الطست أيضا ويلقي الخلال في الطست ثم يغسل يده وفمه (وقال) ومن أقبح ما رأيت في أخذ الخلال أن بعض الرؤساء يتناول الخلال بيده وهي زفرة فيرشقه في شعر لحيته ويغسل يديه ويتحدث طويلا والخلال مغروز في لحيته وذلك أقبح ما يكون ورأيت هذا الرئيس الذي أشرت اليه يأخذ الخلال بعد غسل يده وتنظيفها ومسحها بالمنشفة فيستعمل الخلال ويضعه في شعر لحيته تظرفا منه (قال) كاجم وأخذ الخلال من المروءة لتنظيف الاسنان وتنقيتها من زفر اللحم لان اللحم اذا بات في الاسنان أنتن لا سيما اذا كان فيه صلابة والخبز أيضا اذا بات في الاسنان أنتن الفم وصفر الاسنان (استشارت) امرأة امرأة في رجل تتزوجه فقالت لا تفعلي فانه

حكاة

وكالة تكالة يأكل خلله ووكالة وتكالة بمعنى واحد كرلمة الغة وهو الذي يتكل في الامور على غيره ولا يباشرها بنفسه والتاء في تكالة واو كما قالوا في تراث وهو من وراث والخلال ما يخرج من بين الاسنان عند التخلل قال أبو هلال العسكرى وليس في اللوم شئ من الكلام أبلغ من هذا (وابعضهم فيه)

ونأوانى من كفه شبه خصره * وشبه محب ذاب من طول هجره
وقال خلالى قلت كل جيدة * سوى قتل صب حار فيك بأسره

(وقال) الفقيه أبو الحسن بن عبد الكريم الانصارى

وخلال صنع السقم به * من نحولى في الهوى ما قد وجب
اذهب الجسم وأبقى راسه * وكأن الراس كالجسم ذهب
مغرم بالبيض يسعى نحوها * لارتشاف الثغر أو ورد الشنب

(في الاحتياط) باعتبار الاسباب المتعلقة بغسل اليد المؤدية الى الهلاك ذكر جماعة من المصنفين وفي كتاب شاناق وزطاح الهنديين صفات مياه تزج بماء القراح وتخفى فيه فمن اغتسل بها أو تمضمض منها اتصل به سمام جلده ولهوانه داء مهلك ومنها ما تضر به الاسنان ومنها ما ينقع فيه الخلال ومنها ما يجعل في الثياب والمناشف والمناديل ومنها ما يسقى به موضع الفصد فيقتل ذلك وأوصوا واحترزوا وأكثروا في الاحتراز من ذلك لما يجب من حفظ مهج الملوك ومهج مدبرى دولهم والذي يجب الاحتياط فيه أربعة الاشنان والماء والمنشفة والخلال ولكل واحد منها نوع من الاحتياط يخصه أما الاشنان والماء فوجه الاحتياط فيهما هو ان الغلام اذا قدم الطست جثا على ركبتيه ثم قدم قدح الاشنان والمحلب أو البنك ففتحه ثم أخذ الملعقة فحرك بها الاشنان جميعه حتى يقلبه ظهرا لبطن ثم يتناول برأس الملعقة منه يسيرا قدر الدرهم أو ما يقاربه فيجعله في كفه ثم يستفه ويعمد الى الابريق فيمسكه بيده اليسرى ويبسط يده اليمنى ويجمعها قليلا ويصب فيها الماء من الابريق ويشربه على أثر سف الاشنان ثم يوضع الابريق ويناول الرئيس الاشنان بالملعقة ويسكب عليه الماء وأما المنشفة فانه يكون مع الغلام منشفتان احداهما يناولها الرئيس عند ما يقدم الطست يضعها مبسوطة على حجره تقى ثيابه رش الماء الزفر والاخرى تكون مطوية معلقة في وسطه على طيها وهي التي يجفف

يده بها فهذه اذا وضع الطست بين يدى الرئيس أو الملك وقبل ان يناوله الاشنان يقوم قائما ويأخذها ويجعلها فى يده اليسرى ثم يجمع حواشيها باليمنى الى آخرها ثم يقيمها قائمة ويقبض عليها بيده اليسرى من تحت اليمنى ويسلتها بيدها اليسرى سلتا قويا ثم يمسكها باليسرى من وسطها ويثنيها ويقبض عليها باليمنى من تحت يده اليسرى وهى مثنية كما فعل باليسرى وهى غير مثنية ثم يسلتها باليمنى الى آخرها ثم يجمعها بين يديه ويفركها ثم يقبض عليها من حاشيتها الاخرى ويقيمها قائمة كما جعلها فى المرة الاولى ويسلتها بيده حتى يستوى تجعيدها ثم يعلقها فى وسطه وحينئذ يجىء لمناولة الاشنان وأما الخلال فقد ذكرنا انه يجب ان ينقع ليلة أو ليلتين ويعوج عند التخلل لئلا يتشظا بين الاسنان فيكون له قدح صغير من زجاج طول الاصبع بحيث تدخله الاصبع يجعل فيها ماء ورد أو ماء قراح وماء الورد أنفع لان فيه قبضا تنتفع به الاسنان وشذا اللثة ثم يترك فيه الخلال قبل الحاجة اليه فاذا احتيج اليه أخرج الغلام قدح الخلال مغطى بغطاء محكم مغلفا بغلاف من أديم معدود له يعلقه الغلام فى وسطه فيعمد الى ماء الورد أو الماء الذى يكون فيه الخلال واليسير منه يجرى فيصبه فى راحته ويشربه جميعه ثم يناول الرئيس حينئذ الخلال على الصورة السابقة فى مناولته ثم ذلك (وفى ربيع الابرار للزمخشرى) أول من عمل الصابون سليمان عليه السلام ولبعض الادباء فى رئيس بيده صابونة

صابونة فى راحتى ماجد * قد أضحت السحب لها حسدا
تلاطم البحران من حولها * فأصبح الموج بها زبدا

(الباب الثانى والثلاثون فى الماء وما جرا مجراه)

قالوا وينبغى ان لا يشرب الماء على المائدة ولا بعد الاكل الى ان يجف أعالى البطن الا بمقدار ما يسكن بعض العطش ولا يروى منه ريا واسعا حتى اذا جف البطن وانحدر الطعام استوفى منه ومن المشروب وفى آداب شرب الماء أحاديث نبوية ومنها أدبية حض عليها العلماء فى مراعاتها أما الشرعية فلا يشرب قائما روى عن رسول الله صلى الله عليه وسلم أنه قال لو يعلم أحدكم ما فى بطنه اذا شرب قائما لاستقى ومنها ان تمز الماء مزا ولا تعبه عبا وروى عن النبى صلى الله

عليه وسلم انه قال الكيادمن العب والكياد داء الكبد ومنها ان لا يستوفى الماء الى آخره ومنها ان يناول من على يمينه ومنها ان لا يشرب من ثلمة الاناء هذه كلها من احياء علوم الدين ومن آداب الماء ان يجلس ويتناول الكوز بيمينه ويسمى الله عزوجل وينظر فى الاناء قبل الشرب ويضع يده اليسرى من تحته لعله يكون قد وضع على موضع يقطر منه على ثيابه قطرة غير نظيفة ثم يشرب ثلاثة أنفاس ولا يتنفس فى الكوز ويحمد الله تعالى بعد الشرب وان يسر ان كان معه غيره (آدب شرب الماء) فى مجالس الملوك اتفق أكابر العلماء بالادب ان استدعاء الكوز فى مجلس الملك والرئيس وشرب الماء فى مواجهته من سوء الادب وأما مجلس الملك خاصة فلا سبيل الى شرب الماء فيه البتة (ذكر) فى سيرة كافور الاخشيدى حكاية ينتفع بسماعها من يلزم مجالس الملوك قالوا كان أبو جعفر مسلم وأبو الفضل جعفر بن الفضل الوزير عند كافور عشية صيف ولم يكن عنده غيرهما فقال لهما قد اشتد الحر وللثلج أيام ما جاءنا من الشام وما كان كافور يذوق الثلج وانما كانت الكيزان توضع عليه فيشرب منها وبهذا سلم من ضرر الثلج فبينما هم كذلك اذا هم بمجىء الثلج فقال هاتوا ثلاث كيزان فجاؤا بها فأخذ كافور كوزا فشربه وأخذ أبو الفضل كوزا وشربه وأخذ أبو جعفر كوزا وقام فخرج من المجلس وشربه ثم عاد وأكب على يد كافور ثم قعد أبو جعفر ساعة وانصرف وأراد أبو الفضل ان ينصرف فشاغله كافور ثم قال هاتوا أبا اليمن فجاء فقال زد فى جراية الشريف أبى جعفر ألف دينار فى كل عام وانما أجلس أبا الفضل ليريه مكافأته لابى جعفر عن حسن أدبه معه فى شرب الماء (كتب) أبو الخطاب الصابى الى ابن عمه أبى اسحق الصابى مع كوز ما بعث به اليه شرط المودة أطال الله بقاء سيدى أن لا أنفرد دونه بلذه ولا اختص قبله بعطيه اذ كان لا فرق بين محبتى ومحبته ولا فصل بين مبرتى ومبرته وقد شربت الساعة فى هذا الكوز فوجدته أعذب ارتشافا من الافواه وأحلى مصا من الشفاه وأصفى جوهرا من فاخر الدر وأنقى من الثنايا الغر وأرق طبعا من الهوى وأخف وزنا من الهبا وأعبق طيبا من نسيم العنبر وأذكى رائحة من المسك الاذفر

رقت حواشيه فخف على الانامل والقلوب

فكأنه مستعمل * من طيب أنفاس الحبيب

ينم على القذا ولا يحول بين الماء والهوى يلطف عن صفاء الزجاج ولا يحوج الغلام الى الثلاج ان أفرغ شف وان أترع رف تتساوى المياه فيه عذوبه وتجب العيون قبل النفوس رؤيه

اشهى الى الابصار من * وجه الحبيب بلا رقيب

تهدى لنا أنفاسه * ما فيك من كرم وطيب

حتى كأن طينته من طينتك وعذوبته مشتقة من عذوبتك وقد أنفذته مملوءا اليك لتعلم ان قلبي مملوء من المحبة عليك والسلام (وقال) صالح بن يونس فى كوز ومرفع

أم الحياة على سرير من نحاس * عريانة أبدا بغير لباس

هى فى الممات لدى الورى معدودة * لكنها ضمنت حياة الناس

وأهدى رجل لرئيس كيزانا وكتب اليه

ما بعثت الكيزان الا احتيالا * جعلت مهجتى وروحى فداكا

منعتنى الايام تقبيل كفيك فارسلتها تقبل فاكا

ولا يسمى الكوز كوزا الا اذا كان له عروة والا فهو كوب وعلى ذلك فسر قوله عز وجل وأكواب وأباريق ولذلك نظائر فى اللغة وهو ان المائدة لا يقال لها مائدة الا اذا كان عليها الطعام والا فهى خوان كما تقدم ولا يسمى الكاس كأسا الا وفيه شراب والا فهو قدح والى ذلك أشار العلامة ذو الوزارتين وامام العروتين لسان الدين أبو عبد الله محمد بن الخطيب وزير صاحب الاندلس وكاتم سره فى قوله لما وقف على كتاب ديوان الصبابة تأليف الشيخ شهاب الدين أحمد بن أبى حجلة مخاطبا له على قوله فى الكتاب المذكور

كتاب حوى أخبار من قتل الهوى * وسار بهم فى كل شرق ومغرب

مقاطعه مثل المواصيل لم تزل * يشبب فيها بالرباب وزينب

قوله هذه الابيات

يا من أدار من الصبابة بيننا * قدحا يتم المسك من رياه

وأتى بريحان الحديث فكلما * صح النسيم براحة حياه

أنا لا أهيم بذكر من قتل الهوى * لكن أهيم بذكر من أحياه

(أنشدنى) هذه الابيات المرحوم فخر الدين بن مكانس وذكر ان شهاب الدين ابن ابى حجلة أنشده اياها وانه تبجح بكونه مدح كتابه قال فقلت له ياشيخ شهاب الدين تحتر عليك لسان الدين وذكر ان كتابك فارغ من المحاسن قال وكيف ذا قلت لقوله

يامن أدار من الصبابة بيننا * قدحا يتم المسك من رياه

أماعلمت أن الكأس لايقال له كأس الا اذا كان فيه شراب والافهو قدح فامتغص له شهاب الدين وأخبرنى ان لسان الدين عارضه بكتاب سماه روضة التعريف بالحب الشريف فى التصوف أنتهى (رجع) الى ما كنا فيه سأل رجل الشيخ أبا الفرج بن الجوزى رحمه الله ما للنارى الكوز الجديد اذا صب فيه الماء نش وخرج منه صوت فما معناه قال له ياولدى ذاك صوت شكواه يشكو الى برد الماء مالقيه من حر النار فقال السائل فما للنار اه اذا املأناه لا يبرد فاذا نقص برد فقال الشيخ حتى تعلموا ان الهوى لايدخل الاعلى ناقص (وذكر) الوداعى فى تذكرته قال حدثنى جماعة من أهل عانة وهيت بالعراق انه اذا كان أوان الاربعينيات ملئت فاذا انقضت رفعوها الى زمان الصيف وشربوا فيها الماء فانها تبرده بردا كثيرا يقوم مقام الثلج انتهى (قلت) وذكر لى الوزير فخر الدين بن مكانس رحمه الله ان ماء طوبا اذا شيل الى الصيف وسكب منه فى آنية الماء برده الى الغاية وان ماء هذا الفصل لايفسد اذا شيل بخلاف غيره من الفصول (وما أحسن) قول ابن عبد الظاهر ملغزا فى شربة

وذى أذن بلا سمع * له قلب بلا قلب

اذا استولى على حب * فقل ماشئت فى الصب

(قال) وأهل مصر تقول للزير الحب واليه أشار المرحوم فخر الدين بن مكانس فى السبيل الذى أنشأه الوزير الملكى الشهير بالنشو بجامع عمرو بن العاص رضى الله عنهما آمين

أنشى القطيم النشو لما ارتقى * وزارة زادته فى وزره

بالجامع العمرى سبيلا وقد * قالت لنا عنه بنو مصره

هذا سبيل حاله فاسد * وزيره يرشح من قعره

(أنشدنى) الشيخ شمس الدين الرئيس لنفسه وكتبها على الحوابى

ترفق أيها الساقى * وزد فى اللطف بالصب
وداو القلب لى واعلم * بأنى منزل الحب

(فصل) فى المحمود من المياه قال ابن النفيس فى الموجز أفضل المياه مياه الانهار وخصوصا الجارية على تربة نقية فيتخلص الماء من الشوائب أو على حجارة فيكون أبعد عن قبول العفونة وخصوصا الجارية الى الشمال والمشرق وخصوصا المنحدرة الى أسفل وخصوصا اذا بعد المنبع فان كان مع هذا خفيف الوزن يخيل لشاربه انه حلو ولا يحتمل الشراب منه الا قليلا فذلك هو البالغ وماء النيل قد جمع أكثر هذه المحامد وماء العين لا يخلو من الغلظ وأردأ منه ماء البئر وماء النز أردأ وأما الشرب على الريق وعقيب الحركة وخصوصا الجماع وعلى الفاكهة وخصوصا البطيخ فردىء جدا سواء كان المشروب ماء أو شرابا فان لم يكن بد فقليل من كوز ضيق الرأس امتصاصا وكثيرا ما يكون عطش عن بلغم لزج أومالح وكلما روعى بالشرب حركه فان صبر عليه انضجت الطبيعة المادة المعطشة واذا بتهافيسكن من ذاته وفى مثل هذا كثيرا ما يسكن بالاشياء الحارة كالعسل (قلت) وعلى ذكر النيل فلا بأس بايراد نبذة مما قيل فيه (قال) الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة فى كتابه السكردان ذكر المهدوى فى تفسيره عن عبد الله بن عمر رضى الله عنهما ان الله تعالى سخر للنيل كل نهر يجرى على وجه الارض فى المشرق والمغرب وذلله له فاذا أراد الله تعالى أن يجرى نيل مصر أمر كل نهر أن يمده فاذا انتهى جريه الى ما قدره الله تعالى أمر كل نهر أن يرجع الى عنصره ومصداق هذا الا ترى ان النيل مخالف لكل نهر على وجه الارض لانه يزيد اذا نقصت وينقص اذا زادت لانها والله أعلم تمده بمائها (وفى) أصل النيل أقوال للناس حتى ذهب بعضهم الى أن مجراه من جبال الثلج وهى جبل قاف وانه يخترق البحر الاخضر بقدرة الله تعالى ويمر على معادن الذهب والياقوت والزمرد فيسير ماشاء الله تعالى الى أن يأتى بحيرة الزيح قال الحاكى لهذا القول ولولا ذلك يعنى دخوله فى البحر المالح وما يختلط به منه لما كان يستطاع ان يشرب منه لشدة حلاوته وقال قوم مبدأه من جبل القمر وأنه ينبع من اثنى عشر عينا واختلف فى سبب زيادته ونقصانه وقال قوم لا يعلم ذلك الا الله تعالى وكان الملك الصالح نجم الدين أيوب يشتهى أن يعرف أصل هذا النيل فرسم أن

تشترى عبيد صغار زنوج وماشا كلهم جاب لم يستعربوا وسلهم لصيادي السمك والبحارة ليعلموهم صنعة البحر وصيد السمك وأن يكون قوتهم من السمك لا غير فاذا مهروا في ذلك تصنع لهم مراكب صغار ليركبوا فيها و يأتوه بخبر النيل وكان فرعون يجبى خراج مصر فى كل سنة ألف ألف دينار فيأخذ الربع من ذلك لنفسه وأهل بيته و بيت ماله والربع الثانى لوزرائه وأمرائه وكتابه وجنده و يكنز الربع الثالث ذخيرة و يصرف الربع الرابع فى حفر الخلجان وسد الترع وعمل الجسور ومصالح الارض وكان فى كل سنة اذا كمل التخضير يتقدم قائدين من قواده أردبين قمح فيذهب أحدهما الى أعلى مصر والآخر الى أسفلها فيتأمل القائد كل ناحية وأرض كل قرية فان وجد موضعا بائرا عطلا قد أغفل بذره كتب الى فرعون بذلك وأعلمه اسم العامل وأخذ ماله وولده فربما عاد القائدان ولم يجد أحد منهما موضعا لبذر الاردب لتكامل العمارة واستظهار الزرع وجباها عمرو بن العاص اثنى عشر ألف ألف دينار وكان ذلك أول دخوله اياها والكلام على ذلك طويل

(ومما) قالت الفضلاء فى النيل المبارك فمن ذلك قول علاء الدين الوداعى

روّج مصر و سكانها * شوقى وجدد عهدى الخالى
وصف لى القرط وشنف به * سمعى وما العاطل كالحالى
وارو لنا يا سعد عن نيلها * حديث صفوان بن عسال

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

ديار مصر هى الدنيا وساكنها * هم الانام فقابلها بتقبيل
يا من يباهى ببغداد ودجلتها * مصر مقدمة والشرح للنيل

(وقال) الشيخ صلاح الدين الصفدى

رأيت فى أرض مصر مذ حللت بها * عجائبا ما رآها الناس فى جيل
تسود عينى فى الدنيا فلم أرها * تبيض الا اذا ما كنت فى النيل

(وقال) الشيخ جمال الدين ابن نباتة

زادت أصابع نيلنا * وطمت فأكدت الاعادى
وأتت بكل جميلة * ماذى أصابع ذى أيادى

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى

لنيل مصر كمال فى زيادته * وفضله غير مخفى ومكتتم

اذا بدت لك من تياره شيم * رأيته طاهر الاوصاف والشيم

(وقال) الشيخ شمس الدين بن الصائغ رحمه الله

سما النيل اذ يحكي السما في انبساطه * فلله ما أحلى وأصدقه حاكي
تسير به الافلاك شرقا ومغربا * وحافاته أيضا تحف بأملاك

(وقال) الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة

نشروا القلوع ونشروا بوفائه * الراية البيضاء عليه بالوفاء

(وقال) الشيخ بدر الدين بن الصاحب

لله يوم الوفا والخلق قد جمعوا * كالروض تطفو على نهر أزاهره
وللوفاء عمود من أصابعه * مخلق تملأ الدنيا بشائره

(وقال) الشيخ سديد الدين بن كاتب المرج

يا نيل يا ملك الانهار قد سقيت * منك البرايا شرابا طيبا رغدا
وقد دخلت القرى تبغي منافعها * فمنها بعد فرط النفع منك أذى
فقال تذكرني انى ملك * وتنثني ناسيا ان الملوك اذا

(وقال) ابراهيم المعمار

سمعت يوما بمصر يقل * النيل وافى زائدا عندى
فكأن هذا خبر صادق * فرحت أرويه عن السدى

وفى هذه النبذة كفاية وعلى الجملة فمحاسن النيل متكثرة ولو استوعبنا ما للفضلاء في ذلك من النظم والنثر لحفيت من تسطيرها الاقلام وضاقت صدور الاوراق وما أحق هذه المقاطيع ان تسمى مقاطيع النيل (رجع) الى ما كنا فيه أنشدني من لفظه لنفسه ونقلته من خطه الشيخ الفاضل زين الدين ابن العجمي رحمه الله ملغزا سألتك أعزك الله عن سائل لا حظ له في الصدقة وان لم يكن متصل النسب بالاشراف كثير الرجفان من غير أن يخاف كم رد سائله نهرا وعفر وجهه فاقده بالتراب قهرا مذكر كثير الحيض لطيف الانبساط سريع الغيض مطاق التصرف وعليه الحجر وطالما قبل العشا أبدى لنا الفجر يتشعب ويتكسر ويتعوج ويتدور وله خمسون عين وأكثر يحمل القناطير المقنطرة ويعجز عن حمل ابره سريع الاستحالة قل ما يثبت على حاله بعيد الغوص ليس له قرار يعاجل صفاه ورداه بالاكدا

يسكن فى تخوم الغبرا ويتم على أحوال أهل السما رقيق القلب على كل عديم وكيف لا وهو الولى الحميم يجود بأنفر المحلى ولا يرتمن نداه ملا كم عمر سبيلا وقطع طريقا وأخاف سبيلا كم طفا واحترق وأظهر الحقائق وهو كثير الملق كم علا درجا وحط قدر الدقائق وقلع بأصابعه عين كل مارق وكم طهر أجساما من أرجاسها وأماط عن أرض ردىء أدناسها وكم درأ عن شيخ خبثا ورفع كهلا وحدثا صقيل يجلو الصدا ويظهر على شدة البرد تجلدا يبلغ فيه بشئ يسير مقاما لا ترقى اليه همة الملك الكبير كم أباح محرما للعباد وأكثر الفساد فى البلاد وكم رأينا شموسا تجرى لمستقرها فيه وتجنح وتلوح فى فلكه وتسبح كم خاض فى ذاته خائض مع كثرة سباحته وربما وجد فى الجبال رابض قد جمع فيه الخوف والرجا والكدر والصفا ومن العجائب انه كافر وكم أعان على العبادة أهل الصلاح وأضاف نزيله بالمنة ولم يخش فى ذلك من جناح فسبحان من جمع فيه الاضداد وأرسله رحمة للعباد (وقال) أبو الفضل أحمد بن محمد الخازن فيه

وخل صفا ءزرته بعد هجره * فألفيت شخصى فى حشاه مصورا
وأودعته سرا فأفشاه للورى * فيا حسن ما أفشى الغداة وأظهرا
أبوه حليف للثريا وأمه * به حامل فى بطن منخفض الثرى
سطيح له جسم بغير جوارح * يبارى الرياح الجاريات اذا جرى
تصافح كفى منه كفا رطيبة * يخادع عينى كالخيال اذا سرى
تزر عليه الريح ثوبا مفركا * ويكسوه شهب الليل ثوبا مدبرا

(وقال) أبو الحسين الباخرزى ملغزا

لا أحاجى فى زمرة الفضلاء * غير خل خصصته بإخائى
فى شبيه البلور رد الى الماء * وقد كان قبل عين الماء
ينذر الحر بالهزيمة بردا * فهو المنذر بن ماء السماء

(وأنشدنى) المقر الاشرف المرحوم أبو عبد الله محمد بن الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام لنفسه حكاية حال

ضلوا عن الورد لما أنهم رحلوا * قومى فظلوا حيارى يلهثون ظما
والله أكرمنى بالورد دونهم * فقلت يا ليت قومى يعلمون بما

(وعلى ذكر الماء) ذكرت ما أنشدنيه من لفظه لنفسه شيخنا العلامة أقضى القضاة بدر الدين أبو عبد الله محمد المخزومي المالكي الشهير بالدماميني ملغزا في قربة وكتب به الى المرحوم الاميني صاحب ديوان الانشاء على يد مسطرها

أكاتب سر الملك والفاضل الذي * ثناه على الافكار فرض مرتب
ومن فاه في فن البديع بمنطق * فأمست غويصات المعاني تهذب
تحدث عن سهل رواة كلامه * اذا ما أتاه اللغز برويه مصعب
فديتك ماذات أطال العكم بها * ويبحث في الاسفار عنها ويطلب
تشد وكم في الارض قارا مالها * فصدق اذا ما قيل تعلى وتكتب
وما هي في التحقيق رواية وكم * لها خبر في الذوق يحلو ويعذب
مليحة شكل يألف الحب صبها * زمانا وفي وقت لها يتجنب
ويبلغ منها المحياض حقيقة * ولكن رأيناقلبه وهو رطيب
يزيد مريدوها اذا ما تصوفت * ويشكرها أهل الزوايا ويطنبوا
لها أربع لكن بساق رأيتها * على السعي في الاحياء بالنفع تدأب
وترضع أحيانا وما حان وضعها * وكم من فتى في حملها راح يرغب
وتحمل ما فيه الحياة لربها * فيا حبذا منها البسيط المركب
وترسله فاعجب له من مسلسل * غدا مرسلا عنه الرواية تعجب
وكم من خليع سمته اذ تعتقت * يعد اليها الراح لهوا ويطرب
وما نال اثما في تعاطيه بعدما * رأيناه من تلك العتيقة يشرب
وسم فها المفتوح كم راح سائلا * وما نطقت حرفا عن القصد يعرب
وكم قد تعبدنا بتحريف لفظها * ولم أر بالتحريف من يتقرب
وتحرقها يابهجة الدهر بلدة * سواها من الاقطار شرق ومغرب
وتوجد في الافلاك عالية بها * ويألفها بعض الجواري ويصحب
فيا من لرق الفضل أصبح مالكا * فمالي الا نحو علياه مذهب
تلفت للغز نحو بابك قد أتى * وكل غدا من ظرفه يتعجب

(وقال) بعضهم ملغزا في قربة السباحة

وذات فم يوما تسبح ربها * ولم تكتسب أجرا بتسبيحها قط
معانقة الصبيان مضمرة الهوى * كأن بقايا قوم لوط لها رهط

(الباب الثالث والثلاثون في المشروب والحلواء)

قال أبو عبيد معمر العرب تقول كل طعام لا حلواء فيه فهو خداج أى ناقص غير تام وقال الزمخشرى عن بعضهم انه قال اللوذنج قاضى قضاة الحلواء والخبيص خاتمة الخير وقيل لبعضهم التمر يسبح فى البطن فقال على هذا التقدير اللوذنج يصلى التراويح (دخل) الجمل البصرى على قادم وعنده قوم بين أيديهم طباق حلواء ولا يمدون أيديهم فقال لقد أذكرتمونى ضيف ابراهيم وتلا الآية فلما رأى أيديهم لا تصل اليه نكرهم ثم قال كلوا رحمكم الله فضحكوا وأكلوا (وكان) أبو هريرة يقول أكل تمرة أمان من القولنج وشرب العسل على الريق أمان من الفالج وأكل الرمان يصلح الكبد والزبيب يشد العصب ويذهب الوصب والنصب (قيل) لاعرابى على مائدة بعض الملوك وهو يأكل الفالوذج لم يشبع منه أحد الا مات فأمسك وفكر ثم ضرب بالخمس وقال استوصوا بعيالى خيرا (وكان) عبد الله بن جدعان سيدا شريفا فى قريش فوفد على كسرى وأكل عنده الفالوذج فسأل عنه فقيل له الفالوذج قيل وما هو قيل لباب البر يلبك مع العسل النحل فابتاع من عنده غلاما يصنعه وقدم به مكة فصنع بها الفالوذج فوضع موائده بالابطح الى باب المسجد ثم نادى من أراد أن يأكل الفالوذج فليحضر فكان ممن حضر أمية بن الصلت وكان يمدحه كثيرا (فقال)

لكل قبيلة رأس وهاد * وأنت الرأس تقدم كل هاد
له داع بمكة مشمعل * وآخر فوق دارته ينادى
الى درج من الشيزا ملائى * لباب البر يلبك بالشهاد

(حدث) الحسن عن ابن خلاد باسناده فى كتاب الموائد ان الرشيد وأم جعفر اختلفا فى الفالوذج واللوذنج فحضر أبو يوسف القاضى فسأله الرشيد فقال اذا حضر الخصمان حكمت بينهما فقدما اليه فأكل منهما حتى انتهى فقال له الرشيد احكم فقال كلما أردت أن أقضى على أحدهما أدلى الآخر بحجته فضحك الرشيد وأمر له بألف دينار وبلغ زبيدة فأمرت له بألف دينار الا واحدا (حدث) حماد بن سلمة قال دخلت على اياس بن معاوية وهو يأكل فالوذجا فقال

ادن فكل فان كان شئ يزيد فى العقل فهذا (وأتى) اعرابى بفالوذج فأكل منه فقيل له تعرف ما هذا فقال هذا وجدك الصراط المستقيم (ومن نوادر الصوفية) انهم اذا أكلوا طعاما عند أحد فقالوا أكل طعامك الابرار وأفطر عندك الصائمون ولا يقولون وصلت عليك الملائكة الا بعد الحلواء (قيل) لابى الحرث جمين ما تقول فى الفالوذج قال وددت انها وملك الموت اختلجا فى صدرى والله لوان موسى لقى فرعون بفالوذج لآمن ولكن لقيه بعصا (وقال) أنس يرفعه من لقم أخاه لقمة حلواء صرف الله عنه مرارة الموقف (اشترى) رجل احمالا من السكر وأمر باتخاذ مسجد من السكر ذى شرف ومحاريب وأعمدة منقوشة ثم دعا الفقراء فهدموه ونهبوه ذكر ذلك الزمخشرى فى ربيع الابرار (قدم) فالوذج حار الى مائدة عليها أبو هفان وأبو العيناء فقال له أبو هفان هذا آخر مكانك من جهنم فقال أبو العيناء ان كانت حارة فبردها بشعرك (وعن) أبى هريرة رضى الله عنه عن النبى صلى الله عليه وسلم انه قال من لعق العسل ثلاثا فى كل شهر لم يصبه عظيم من البلاء أبدا (وعنه) صلى الله عليه وسلم انه قال شفاء أمتى فى ثلاث لعقة من عسل أو شرطة من حجام أو آية من كتاب الله (ونقلت) من خط القاضى الفاضل واقعة غريبة اتفقت بالديار المصرية وهى انه لما أحرق شاور مصر أيام دخول الفرنج اليها كان بها رجل صالح وله ابنة مليحة احترقت دكانه فى جملة ما احترق فرحل الى البر الغربى وسكن فى بعض القرى وجلس فى حانوت سمان يرتفق به واتفق ان مقطع القرية رأى ابنته فهويها وجعل يروم افسادها فلم يتيسر له فخطبها من أبيها فما رضيه كفؤا لها فشرع فى أذيته وتسخيره وطرح عليه غرامة لا تلزمه وعزم على حبسه فسأل امهاله مدة معينة فقال اكتب لى بها حجة علما منه انه فقير ومتى حلت الحجة أخذ ابنته بتلك الحجة فكتب وأشهد عليه فلما انقضت الحجة جاء شاب واشترى منه عسلا فأخذه فى جرة ومضى فسقطت منه صرة مشدودة فأخذها الرجل وفتحها فوجد فيها عشرة دنانير فأخذها فلما جاءه المقطع طالبه ورفعه الى القاضى فقال له احضر الحجة فأحضرها ودفع اليه العشرة دنانير وأخذ الحجة وتخلص من الظالم فلما عاد الى حانوته جاء الشاب الذى اشترى منه العسل وسقط منه الذهب وقال اجعلنى فى حل واجعلنى فى ذمتى فانى لما اشتريت منك

العسل ذلك اليوم وقعت منى صرة فيها عشرة دنانير فاتهمتك بها وظننت انك أخذتها فلما حضرت اليوم وجدتها مرمية فى طريقى فتعجب الرجل من ذلك وقال الشكر لله الذى ردّ عليك فأنت فى حل من جهتى فلما كان ثانى يوم جاءه الظالم وقال اجعلنى فى حل فانى رأيت البارحة مناما أزعجنى بسببك وأما الذهب فانه وقع منى وذلك لانى قد أخذته حراما وقد تبت الى الله تعالى مما جرى منى فشكر الله تعالى وتفرقا (كتب) الشيخ شرف الدين عيسى العالية الى سيدنا ومولانا الشيخ بدر الدين محمد الدماميني ملغزا فى عسل

يا أيها المولى الرئيس ومن له * ألفت مدحا كالجواهر نظمه
اسمع سمعت الخير لغزا محكما * يعضى على الالغاز جميعا حكمه
قالوا من الاطيار حقا أصله * أكرم به أصلا بروقك طعمه
لكنه ما حاز منقارا ولا * ريشا وأجنحة ولست أذمه
والجسم منه ما حوى عظما ولا * لحما ويعجب من يراه جسمه
وبفرد عين كم بدا لمعاين * لم يدر ماهى من تباله فهمه
يامن له ذكر يفوح لناشق * كالمسك حين يفض عنه ختمه
قل للذى يبدى الدعاوى قل لنا * ما أصل هذا فى الطيور وما اسمه
ان قال هذا واضح فهو الذى * قد غره فيما ادّعاه وهمه
من أين يعرف اسم شئ ربما * أكلته فى وقت المجاعة أمه

(فأجابه)

يا فاضلا بين المحاسن نظمه * واعزه قد ذل عجزا خصمه
وطرزت حلل البديع بمنطق * منه علا بين الافاضل رسمه
شرف لاغراض البلاغة سابق * ومن الفضائل قد توفر سهمه
ألغزت فى اسم طال حلبته * بشئ من در صح نفيا نعمه
فاذا أصغت القلب منه لاسمه * قلنا بهذا الاصل قد وضح اسمه
واذا نكست الاصل عنه ديوانه * أعربت عنه الاين بهذا حكمه
هل كانت الالغاز منه نحلة * تحوى به شهد الالغاز طعمه
وروى ابن سكرة حلاوة نظمه * فتقضى بتقطير البلاغة همه
ورأى بعين لغزت الحلو الجنى * عذب المذاق فأوقعه وهمه

وأعاذه بحلى أمير النحل اذ * أضحى عليا فى الفصاحة نظمه
فاسلم وصغ حلى البيان لفهمنا * يامن تحلى بالنباهة فهمه
واصفح بفضل عن جواب سافل * ياطالعا فى خير أفق نجمه

(ومن تذكرة الوداعى) قال الصاحب فخر الدين بن الشيرجى أهدى الامير بدر الدين لولو المسعودى قصب سكر من الغور فأرسلت اليه مع الرسول أبلوجة سكر مكرر وكتب فيها رقعة فيها

كالبحر يمطره السحاب وماله * فضل عليه لانه من مائه

(أبو الحسين الجزار ملغزا)

أتعرف لى حبلى اذا ماتنفست * سرى لانوف القوم من طيها نشر
ويرضع منها الثدى ساعة حملها * أبوها فيغدو وهى من وقتها بكر
تريك جنينا وهو من غير جنسها * فوجدانه حلو وفقدانه مر
عليه به ستر دقيق وانما * تحل اذا مادق من فوقها الستر
اذا كسرت فى القوم تجبر كسرها * فيحسن بعد الكسر من قلبها الجبر
تروق عيون الناظرين جلالة * اذا جلست يوما وموضعها الصدر

(وقال) الشيخ زين الدين بن الوردى

بعثت قطائفا روى * حشاها قطرها الغامر
فسكرها أبو ذر * ومرسل صحنها جابر

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة يستهدى قطرا

بجود قاضى القضاة أشكو * عجزى عن الحلو فى صيامى
والقطر ارجو ولا عجيب * للقطر يرجى من الغمام

(وقال) الشيخ العلامة أبو محمد بن جابر الاندلسى نزيل حلب

وقفت للوداع زينب لما * رحل الركب والمدامع تسكب
مسحت بالبنان دمعى وحلو * سكب دمعى على أصابع زينب

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة ملغزا

أحاجيك ما حلو اللسان وانه * لابكم اذ تعزى اليه المعارف
يرشح السافى الصدر ما كان كاملا * فان نقصوه فهو فى الخلق طائف

(وله) يستهدى قطرا

مولاى عندى للبناقصاتد * تريك رياض اللفظ باسمة الزهر
وتشتاق من احسانك الحلو مدها * ولا عجب شوق الرياض الى القطر

(ابن نباتة)

أقول وقد جاء الغلام بصحنه * عقيب طعام الفطر ياغاية المنى
بعيشك قل لى جاء صحن قطائف * وبح باسم من أهوى ودعنى من الكنى

(الصلاح الصفدى)

أتانى صحن من قطائفك التى * غدت وهى روض قد تندت بالقطر
ولاغرو ان صدقت حلو حديثها * وسكرها يرويه لى عن أبى ذر

وما أحسن قول القاضى محى الدين بن عبد الظاهر فى منزلة القطيفة

هذى القطيفة التى * لاتشتهى عقلا ونقلا
حشيت ببرد يابس * فلاجل ذاك الحشو يقلى

(وقال) الشيخ برهان الدين القيراطى وكتب بها الى القاضى نور الدين بن حجر والد سيدنا القاضى شهاب الدين رحمهم الله

مولاى نور الدين ضيفك لم يزل * يروى مكارمك الصحيحة عن عطا
صدقت قطائفك الكبار حلاوة * بفمى وليس ينكر صدق القطا

(وأنشدنى) القاضى بدر الدين بن الدمامينى قال أنشدنى شرف الدين عيسى ابن حجاج العالية لنفسه

تهن بنصف كم به من حلاوة * وجد لى بفضل لا يضيع ثوابه
فان لسانى صارم وفمى له * قراب وارجو أن يحل قرابه

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه شيخنا زين الدين بن العجمى أحد فضلاء الديار المصرية وقد أهدى له حلواء سكب

لفضلك يا قاضى القضاة مزية * على الصحب لاتخفى على من له لب
فأول جود الغيث قطر مبدد * وغيث نداك الجم أوله سكب

(ابن المنشد)

وقطائف مثل البدور * أتت لنا من غير وعد
فحسبتها لما بدت * فى صحنها اقراص شهد

(السراج) الوراق

قطائفك التي رقت جسوما * لما ضعها كما كثفت قلوبا
كغيم رق لكن فيه قطر * غدا المرعى الجديب به خصيبا

(وقال) أبو الحسين الجزار يستهدي قطرا

أيا علم الدين الذي جود كفه * براحته قد أخجل الغيث والبحرا
لئن أمحلت أرض الكنافة انني * لأرجو لها من سحب راحتك القطرا

(وله)

سقى الله أكناف الكنافة بالقطر * وجاد عليها سكر دائم الدر
وتبا لاوقات المخلل انها * تمر بلا نفع وتحسب من عمري
ولي زوجة ان تشتهي قاهرية * أقول لها ما القاهرية في مصر

(المعلم المرصص)

وحقك ما أوليتني من قطائف * ألذ وأحلى من وصال القطائف
وقد ضمنت مثل العتاب حلاوة * ألم ترها ملفوفة كالصحائف

(ابن نباتة)

رعى الله نعماك التي من أقلها * قطائف من قطر النبات لها قطر
أمد لها كفي فأهتز فرحة * كما انتفض العصفور بلله القطر

(وله)

شكرا لبرك يا غيث العفاة ولا * زالت مدائحك العلياء تنتخب
قد جدت بالقطر حتى زدت في طمع * وأول الغيث قطر ثم ينسكب

(سعد الدين بن عربي)

قال القطائف للكنافة ما * بالي أراك رقيقة الجسد
أنا بالقلوب حلاوتي حشيت * فتقطعي من كثرة الحسد

(ولآخر) في أقرصة البسندود

أقرصة هشة مدورة * كأنها في النقا كافور
كأنها في الصحاف مطبقة * دراهم فوقها دنانير

(كتب) سيدنا القاضي صدر الدين بن الادمي الى سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين محمد بن الدماميني ما نزاقي لوذنج يقبل الارض وينهي انه أصدرها عن صدر محرور وقلب لانقطاعه عن الباب الكريم مكسور فامن عليها من

فضلك مستور واعذرفانها نفثة مصدور

يامن له في عروض الشعر ايد * فاق الخليل بها فضلا وتمكينا
مااسم دوائره في نظمه ائتلفت * والثلم في صدرها مستعمل حينا
أجزاؤه من زحاف الحشو قد سلمت * هذا ويقطع مطويا ومخبونا
تصحيف معكوسه لفظ يرادفه * يافرد يارحلة قوم مقيمونا
والعبد منتظر من حله فرجا * لازال سعدك بالاقبال مقرونا

وقد جهزها المنوب عنه في تقبيل اليد الكريمه وتستمطر من سحائب جوابه الصيبه ديمه (فكتب) اليه الجواب يقبل الارض وينهى ورود المشرفة التي عذب معناها وشهد أهل الذوق بحلاوة مجناها وحاول العبد حل لغزها المسير فأذن دون شهده ابن النحل وقرنه بالغاز المتأدبين فاذا هو مخصب النبات بتوال القطر واذا تلك مطروقة المحل بالمحل وكادت مرارة الفقير تتفطر لعجزه عن هذه الحلاوه وجرى على عادته في الاسف المكرر حيث فقد هذا الرونق وتلك الطلاوه لكنه عقد الفضيحة على نفسه بعد ان استقال وتجاسر بعد الخوف على نظم الجواب فقال

يامرسلا من شهي النظم لي كلما * منها ابن سكرة قد راح مغبونا
لله درك صدرا من حلاوته * وجوهر النظم لم يبرح يحلينا
جليت لغزك اذ أبهمته فلذا * يافاتني رحت بالاعجاب مفتونا
هذا وكم قد رأينا في دوائره * لكف قبضا يزيد العقل تمكينا
وليس اضمار مستحسنا فادم * بالكشف عنه لمن واناك تحسينا
وكن لنا هاديا صوب الصواب ودم * فينا أميرا رشيد الرأي مأمونا

والله تعالى يحلي أفواه ذا كريه بما هو أشهى من اللوذج وأحلى وأعناق المتأدبين من كلمه بما هو أنفس من الدر وأغلى ويكلؤه في الاقامة والارتحال ويقي عيشه كل مر ويحفظه على كل حال (وقال) الشيخ برهان الدين القيراطي ملغزا

هذان لغزان قد حلا بما لك يا * قاضي الاحبة لا زالا تحصان
انهمان كل خماسي اذا كتبت * حروفه وهما الاثنان تحدثان
تباينا في الورى شكلا اذا نظرا * وصورة وهما في الاصل مثلان

بري بكانون اصلاحا لشأنهما * كما لاصلهما تقع بنسيان
في مصر والشأم منسوب لاصلهما * يضاف بالخير بستان لبستان
لكن الى الصين منسوب مقرهما * ان أحضرا في مكان بين اخوان
لذا كما وهو بين الناس ليس له * من كنية ما تنحي في ذاك اثنان
في البرتقال وان فتشت عنه تجد * في لجة البحر يلقي خمسه الثاني
نبت أري النار قد أبدت له ورقا * فاعجب له ورقا ينمو بنيران
يحيى اذا ما سقاه القطر وابله * وجاده بسحاب منه هتان
كتيقة هو لكن لا يشم ولا * يضاف يوما الى أزهار بستان
ذو رقة فاذا صحفته ظهرت * كافة منه فاستره بكتمان
وكم له من بدور كل طالعة * في سائر الشهر لم تمحق بنقصان
فقدها خيط فجر أبيض عجل * بالبرق يسطو عليها سطوة الجاني
والغزال آخر اسم ذات ألسنة * لم يبد منها النا بالنطق حرفان
يا حسنها ألسنا أضحت حلاوتها * يحلو المديح لها من كل ملسان
تطوي على الحشو أحشاء وليس لها * في الاشعرية من رام بنكران
بالطي والنشر في حال قد اتصفت * والطي والنشر فيما قيل ضدان
كم سكرت ففتحنا للدخول بها * أبوابها فتلقتنا باحسان
حسناء أجمع أهل الحل أجمعهم * والعقد منا عليها بعد عرفان
وصالها حل بالاجماع في زمن * فيه الوصال حرام بعد ايمان
ثلثا ثلاثة أخماس لها وجدا * شيأ يجيء بايضاح وتبيان
وما ذكرت من الاخماس كم نطقت * صدقا بذكر اسمها من غير بهتان
وخمسها جبل لكن بقيتها * في مكة ترتجى فوزا بغفران
تقلى ولكن لها قلب تقربه * ممن قلاها من الاقوام عينان
ماءل ذا من القالي أماليه * عنها وما خطر القالي لها شاني
في الجوف منها قلوب جمة جمعت * ولا يكون لجوف الشخص قلبان
كم ظل يطرحها من ليس ذا شرف * جهرا ويوصف مع هذا باتقان
جميلة الوصف طابت عنصرا وزكت * أصلا وما سلمت من ظلم ظمآن
بالحل أنعم سقي القطر المواطئ من * اقدام سعيك في ارواء ظمآن

(وكتب) الشيخ جمال الدين بن نباتة الى بعض أصحابه وقد أرسل اليه قطرا رديئا وينهى ان الذى أرسل اليه مولانا الوصول وأحال عليه بالبر المحصول أرسل قطرا ولكن بزيادة حرفين فاذا هو قطران وبكسر أوله فاذا هو لسد الامل الواحد قطران عندما شمه المملوك أنكره وعندما عاينه استغرب كدره حتى حلف بالسجدة ما هو الا دخان وقالت عينه المنتظرة خير من هذا القطر قطر الاجفان وقال الفكر ما هذه الافعلة الواسطة التى فعلها وهو من الظالمين وهمته التى بعثها وهو من الآثمين ورد المملوك ذلك المرسل بالعيب لوقته وعجبت من الايادى كيف نقض عليها سواد بحته وعلى كرم مولانا تدبير هذه القضيه والله تعالى لا يخل الامل من وجود سنته الشمسيه بمنه وكرمه (وكتب) الى الجناب العالى العلائى بن القلانسى وقد ارسل اليه سكرا يقبل الارض وينهى وصول البر الذى حلت مواقعه وجلت صنائعه وحلت عن أبهى وأبهر من بدر التمام مطالعه وابيضت به أيادى الكرم وشب شخصه الجميل وان كان أشبه شئ بالهرم ففضه المملوك كنهد الحبيب وقبله أحلى وأزهر من الثغر الشنيب وابتهج به نظرا وفكرا ونقطه بدمع السرور حتى عاد السكر بالتنقيط شكرا وكرر حديثه فقال هكذا يكون المكرر وهكذا يبعث قطعة من سحابه المسخر وهذا والله البر الذى لا يستطيع لديه القصد مخرجا والفضل الذى هو أحق بقول الاول لنا الجفنات الغر يلمعن فى الضحى أمتع الله العفاة بيمين مولانا التى أعادت من العيش حلواء وعتب الدهر حلواه وشكر عوارفه التى ما فتح على مثلها الطالب جفنه وأياديه التى حسنت المدح حتى نسى الناس ما قال حسان فى أهل جفنه

(فصل فى الاشربة) عن ابن عباس رضى الله عنهما سئل النبى صلى الله عليه وسلم أى الشراب أفضل فقال الحلو البارد قالوا أراد العسل وقال صلى الله عليه وسلم سيد شراب أهل الدنيا والآخرة الماء وقيل لبعضهم أى الشراب أحب اليك فقال أعز مفقود وأهون موجود وكان المأمون يقول شرب الماء بالثلج أدعى الى اخلاص الحمد (قال) الحسن لفرقد بلغنى انك لا تأكل الخبيص قال انى لا أقوم بشكره قال وهل تقوم بشكر الماء البارد (صفة شراب) ينفع من العطش والخمار ولهب المعدة يؤخذ من ماء الرمانين ومن ماء حماض الاترج من كل واحد

نصف رطل ومن ماء الاجاص وماء نقيع التمر هندى من كل واحد رطل يطبخ بنار لينة حتى يغلظ ويصير فى قوام الاشربة ويسقى منه أوقيتين بماء بارد وثلج وبماء ورد وماء خلاف (الفقاع) يتخذ من أصناف من الحلاوات يتخذ من السكر البياض النقى بان يحل بالماء والماء ورد ويطيب بالمسك ويوعى ويبرد بالثلج ويستعمل ويتخذ من العسل ويتخذ من ماء الزبيب الحلو السمين ويتخذ من الدبس وغير ذلك ومن الناس من يطيبه بالزنجبيل أو الفلفل أو القرنفل مع المسك والماء ورد وهذا يضر المحرورين ومن الناس من يحل شراب التفاح ويصبه فى كيزان الفقاع ويبرده ويستعمله وجميع أنواع الفقاع شربها الواجب النافع أن يكون قبل الطعام ويصبر عليها حتى ينحدر فاما بعده فلا فائدة فيه غير تجشيات يسيرة يلتذ الانسان بخروجها (فقاع) ينفع المحرورين يؤخذ من الخبز الحوارى مثل ما يؤخذ من الشعير ويصنع منه فقاع ويضاف كرفس ونعنع وماء الرمان المز ويحلى بسكر بياض ويستعمل (وأهل دمشق) يأخذون الفقاع الخرجى ويسمونه المسدب لانه يعمل فى كيزان محشوة بالسذاب البرى فينفضونه فى الاوانى النظيفة ويرمون فيه قطعة سكر بياض ويعصرون عليه ليمونا أخضر قدر ما يطيب طعمه ويحركونه بعيدان نعنع بحيث يظهر طعمه فيه ظهورا يسيرا ثم يبردونه بالثلج ويرش عليه الماء ورد وماء الخلاف ويستعملونه وهذه الصفة تنفع أصحاب الخمار وتشهى وتطيب النفس وتصرف واعلم ان جميع أنواع الفقاع تطيب بالاشيا المناسبة لمزاج شاربه ان كان المزاج حارا كانت المطيبات باردة وان كان المزاج باردا كانت المطيبات حارة (أنشدنى) من لفظه لنفسه الشيخ شهاب الدين أحمد بن الشيخ جمال الدين يوسف الزعفرانى رحمه الله

وكيزان من الفقاع جاءت * تركت طعمها على الشهد الذاب
هذا يامن أحبنا ولكن * كما قالوا على ورق السذاب

(صفة أقصاب لوزينه) يؤخذ سكر ابيض يعقد جلابا رقيقا أرق ما يكون ويؤخذ دقيق ابيض مثلث يطبخ مثل العصيدة القوية بغير عجن ويبرد ويجعل فى طست ويضرب باليد ويقاس عليها الجلاب مغرفة بعد مغرفة وكلما زدت ضربها باليد [illegible] حتى تصير [illegible] قوام الحرير الشديدة [illegible] ثم [illegible] بها الفقاع [illegible] ترش [illegible] الفقاع [illegible] فاذا أردت [illegible] نظيفة

و يكون فيه أثر دبس أو أثر عسل واجعل معها قبضة سداب مربوطة وقبضة نعنع كذلك وأطراف طيب مثل القرنفل والباسل والزنجبيل وجوز الطيب وماء ورد ومسك و يكثر فيها من أطراف الطيب و يجعل في مكان داف و يغطى بغطاء كبير فانها تبقى جميعها كالرغوة ثم انها تطلع فاذا اطلعت خذلها اناء زجاج أو حقاعتيقا أوبخره بالعنبر واجعله فيها واستعمله وعند استعمالها انفض عليها فقاقا خرجيا فهذا النوع من الاقسما وهو أطيب من المشروبات (صفة) نقوع مشمش يؤخذ المشمش اللوزى أو غيره يغسل من التراب والغبار غسلا مستقصى ثم يصب عليه ماء النينوفر وماء لسان الثور وماء ورد و يعصر عليه ماء رمان طرى حامض ويرمى فيه طاقات نعنع ثم يحلى بسكر بياض و يترك حتى ينتقع المشمش فى هذه المياه المذكورة نقعامعتدلا لا يبلغ أن يتهرى فى اناء مبخر بالعنبر فانه يجئ فى غاية الطيبة واللذة (ومن) أراد أن يتنقل بالمشمش اليابس الطيب فيأخذ ماء ورد ومسكا يحلان فى سكر فائق وقليل ماء ثم ينقع المشمش فيه بعد غسله بحيث لا يتهرى فى نقعه بل يكون فيه قوة ظاهرة ثم يخرج المشمش من الماء المنقوع فيه و يجفف تجفيفا معتدلا فى مكان نظيف ثم يتنقل به فانه يكون فى غاية الطيبة (ومن) الادعية المستعملة بين الناس قولهم هنيئا مريئا فالهنئ الطعام الذى لا يحصل عقيب أكله أو هضمه ضرر والمرئ السريع الهضم

(الباب الرابع والثلاثون فى بيت الخلاء المطلوب)

قال الشيخ تقى الدين بن دقيق العيد رحمه الله الخلاء بالمد فى الاصل هو المكان الخالى كانوا يقصدونه لقضاء الحاجة ثم كثر حتى تجوزبه عن غيرذلك قال أنس ابن مالك رضى الله عنه كان النبى صلى الله عليه وسلم اذا دخل الخلاء قال اللهم انى أعوذ بك من الخبث والخبائث بضم الخاء والباء جمع خبيث والخبائث جمع خبيثة استعاذ من ذكور الشياطين وأناثهم قال بعضهم اذا كمل للانسان فى داره حسن ثلاثة مواضع لم يبال فيما فاته منها وهى مجلس السكن والدهليز والكنيف (وفيه يقول المأمونى)

بيت اذا مازاره زائر * فقد قضى أعظم أوطاره

يدخله المولى بزكا * يدخله العبد باطماره
وهو اذا ما كان مستنظفا * مروة الانسان فى داره

(وكان) جعفر الصادق يقول من سعادة المرء سعة داره وحسن مجلسه ونظافة متوضاه (حكى) عن بعض الحمقى انه استدان سبعمائة درهم وأنفقها على كنيف داره فبلغ ذلك بعض أصحابه الظرفاء فقال ليت شعرى ما الذى يريد يخرى فيه (وحكى) أبو الفرج الاصبهانى فى أخبار العرجى عن الاصمعى قال مررت بكناس يكنس كنيفا وهو يغنى

أضاعونى وأى فتى أضاعوا * ليوم كريهة وسداد ثغر

فقلت أما سداد الكنيف فمعلوم وأما سداد الثغر فلا علم لنا بك كيف أنت فيه وكنت حديث السن وأردت العبث به فأعرض عنى مليا ثم أقبل على وأنشد

وأكرم نفسى اننى ان أهنتها * وحقك لم تكرم على أحد بعدى

فقلت له والله ما أكرمتها وما يكون من الهوان أكثر مما أهنتها به فبأى شئ أكرمتها فقال بلى والله ان من الهوان لشرمما أنا فيه فقلت وما هو قال الحاجة اليك والى أمثالك فانصرفت وأنا أخزى الناس (ومن) أداب المضيف انه يرى الضيف بيت الخلاء (قال) ملك الهند اذا أضافك أحد فأره الكنيف فانى قد ابتليت فوضعت فى قلنسوتى (نادرة) قيل ان رجلا حكى قال كنت باثنا فى بيت بين جماعة وكنت ضيفا فتحركت بطنى فى اثناء الليل فقمت فلم أجد موضعا فطفت فى البيت فاذا أنا بمهد فيه طفل فأخذت الطفل فى حجرى ثم خريت فى المهد ثم رجعت لارد الطفل فى المهد فاذا به قد نوى فى حجرى أضعاف ما خريت فى مهده فجازى على كاتبه أعظم منها (قالت) الطبيعة مكافئة (ومثلها) حكى ان دعبل بن على الخزاعى دعا أبا هفان فأطعمه ألوانا كثيرة الحبوب وسقاه نبيذا حلوا وغمز الجوارى ان لا يدلوه على بيت الخلاء ثم تركه ونام فلما أجهده الامر قال لبعض الجوارى أين الخلاء فقالت لها الاخرى ما يقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

خلا من آل عالية الديار * فشوى أهلها منها اقفار

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا وسقوه فقال قد أحسنتم وجدتم غير انكم لم تأتوا على ما فى نفسى وسكت فلما أجهده الامر قال لعل الجارية

بغدادية لم تفهم ماقالت لها ثم التفت الى أخرى وقال لها فداك أبوك أين المستراح فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

واستريح الى ليلى فاذ كرها * كما استراح عليل من شكيه

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا وسقوه فقال أحسنتم وجدتم غيرانكم لم تأتوا على مافى غرضى ثم قال لعلها ما فهمت ثم قال لاحداهن فداك أبوك أين الحش فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى فغنت

وحاشاك ان أدعوعليك وانما * أردت بهذا القول ان تقبلى عذرى

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا فقال أحسنتم وجدتم غيرانكم لم تأتونى على مقصودى ثم أجهده الامر فقال لعلها كوفية ثم قال للاخرى فداك أبوك أين الكنيف فقالت الاخرى مايقول سيدى قالت يقول غنونى

تكنفنى الواشون من كل جانب * ولو كان واش واحد لكفانى

فغنت هذه وضربت هذه وزمرت هذه وشربوا أقداحا فما تمالك حتى وثب وحل سراويله وفرق فى وجوههن فتصارخن فانتبه دعبل فقال ماشأنك يا أبا هفان (فقال)

تكنفنى السلاح فأضجرونى * على مابى بنيسات الزوانى

فلما قل عن حالى اصطبارى * رميت به على وجه الغوانى

(فقام دعبل) فدله على الخلاء فدخل واغتسل وخلع عليه بعد ان ضحك منه ضحكا عظيما (وما أظرف) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة

أمط بالدوا ثياب الاذى * وطب فى الرواح به والغدو

وكرر احاديث بيت الخلاء * ولكن على رغم أنف العدو

(ولبعضهم يستحث)

ياقاعدا متفكرا * لما لولاية بالعراق

ارحم فديتك مدنفا * قد لف ساقا فوق ساق

(نادرة) قال رجل لآخر عندى أنت من بيت الطهارة فقال الرجل دعنى من هذا المدح فقال صدقت الشكر فى الوجه ذم ولكن أنا أذكرك فى الخلاء (حكى) ان بعض الكتاب كان يلقب بحيص فلقبه بعض حرفائه فقال له

أوحشتني يا جميص وأين كنت فانشده

وحيث ما كنت من بلاد * فلي الى وجهك التفات

(قلت) وضمن هذا الشيخ بدر الدين بن الصاحب (فقال)

يا كعبة الله ان رحلنا * وطال ما بيننا الشتات

فحيث ما كنت من بلاد * فلي الى وجهك التفات

(رجع) كان لبعض المغفلين دار فقال له الساكن ان الكنيف قد انفتح فقال له صاحب الدار نظرت اليه من أيام وأردت ان أتغدى به قبل ان يتعشى بي فسبقني (قلت) الشئ يذكر بلوازمه (نقلت) من خط الفاضل المؤرخ الناظم الناثر الرحال صاحب المؤلفات المبدعة نور الدين علي بن سعيد من كتابه الذي سماه بالمغرب في أجلاء المغرب قال في ترجمة أبي العباس أحمد بن القاسم وهو الذي يقول فيه ابن تقي في موشحته المشهورة التي منها أماترى أحمد في مجده العالي لا يلحق أطلعه الغرب فأرنا مثله يا مشرق وجرت له مع حكايات أكرمها حكايته وقد وفد عليه مرة فوجده قد عرج عن الارتياح وأقلع عن شرب الراح وكانت له عادة باحضار المجالس راحته عندما يصل فخطب ذلك منه فأعلمه بتوبته وتكلف له مجلسا فيه أصحابه ومن يشرب من أقاربه وحضر هو فيه عازما على المؤانسة دون المشاركة في شراب فقال ابن تقي موشحته المشهورة

نديمنا قد طابا * بغنله وأنشد

وأردد عليه الكا * س عساه يرتد

فارتد عن توبته وشرب كأسه من توبته وأتى من المطايبة والطرب ما قربه عين الظرف والادب ولما أخذ السكر من ابن تقي قام الى المستراح وفي وسطه كيس فيه جملة من الذهب الذي جرت عادة أبي العباس أن يصله به في كل سفرة وما اجتمع له من غيره فله وحطه في كوة المستراح حتى يقضي شغله ثم فرغ ومضى ونسي الكيس لما كان فيه من السكر ونام فلما أصبح وصحا قلب وسطه لطلب الكيس فلم يجد شيأ ونظر اليه أبو العباس فقال له مالك فأخبره فقال أنا أخذته منك البارحة لئلا يضيع منك واذا احتجت اليه دفعته لك واستفهمه عن عدد ما فيه فأخبره فلما دخل الى منزله جعل في كيس من عنده ذلك العدد ودفعه

اليه وابن تقي لا يشك انه ذهبه ثم ودعه وانصرف ولما اجتاز عليه في سفرة ثانية حضر في ذلك المجلس ليلة على مثل تلك الحالة فلما سكر قام الى المستراح ثم تفكر في حالة السكر انه كان قد حل هناك سراويله و وضع الكيس في الكوة فمد يده الى الكوة فوجد كيسه بعينه فأخذه وجعله في وسطه ثم عاد الى شربه والمجلس غاص محتفل بالاعيان فبكى ابن تقي وتكدر المجلس فظن أبو العباس انه جرى عليه ما أوجب ذلك فقال له ما يبكيك هل نابك أمر أكشفه عنك فقال والله ما أبكي الاحسرة على العالم انه لا يخلد مثلك فيه وحكى الحكاية فقال أبو العباس ما كان يسعني في ذلك الوقت الا ما فعلته لاني خفت أن يكون ضاع لك فتتهم به أحد ندمائي و يشيع ذلك ولا بد من غرمه لك لئلا تنصرف خائبا فكان الاولى غرمه دون ان يفتضح أحد من أصحابنا فقبل الارض ودعى له وهذه احدى مكارمه جدد الله عليه الرحمه وجازاه بما هو أهله في جنة الفردوس من النعمه آمين آمين (سألني بعض الخاديم) ان أنظم له أبياتا تكتب على الخريشت الذي جدده بعد حريقه وانهدامه في الواقعة المشهورة الخواجا بدر الدين محمد بن الخواجا شمس الدين محمد بن المزلق أدام الله سعدهما بباب البريد بالجامع الاموي وكان والده قد بيضه

يا بقعة لقضا الحوايج أسست * لازال سعدك دائما يتزيد
لحظتك من بدر وشمس نظرة * فغدا قرانا سعد ملك برصد
جددت فعل الخير يا ابن مزلق * لازال فعل الخير منك يجدد
عشرون بيتا قد قصدت رويها * يا خير من يروى ومن يتقصد
كانت مسودة وقد بيضتها * فالماء للابيات منها ينشد
واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال و تسعد

والمؤلف الكتاب رحمه الله

(الباب الخامس والثلاثون في نبلاء الاطباء)

قال الحكيم الفاضل الفيلسوف العارف ابقراط ينبغي ان يكون الطبيب حرا في جنسه جيدا في طبعه حديث السن معتدل القامة متناسب الاعضاء جيد الفهم حسن الحديث صحيح الرأي عند المشورة عفيفا شجاعا غير محب

للفضة مالكا لنفسه عند الغضب ولا يكون تاركا له في الغاية ولا يكون بليدا وينبغي ان يكون مشاركا للعليل مشفقا عليه حافظا للاسرار لان كثيرا من المرضى يوقفونا على امراض بهم لا يحبون ان يقف عليها غيرهم وينبغي ان يكون محتملا للشتيمة لان قوما من المبرسمين وأصحاب الوسواس السوداوى يقابلونا بذلك وينبغي لنا ان نحتملهم عليه ونعلم انه ليس منهم ذلك وان سببه المرض الخارج عن الطبيعة وينبغي ان يكون حلق رأسه معتدلا مستويا لا يحلقه ولا يدعه كالجمة ولا يستقصي قص أظافير يديه ولا يتركها تعلو على اطراف أصابعه وينبغي ان تكون ثيابه نظيفة بيضاء نقية لينة ولا يكون في مشيه مستعجلا لان ذلك دليل الطيش ولا متباطئا لانه يدل على فتور النفس واذا دعي الى المريض فليقعد متربعا ويختبر منه حاله بسكون وتأن لا بقلق واضطراب فان هذا الشكل والزي والترتيب عندي أفضل من غيره وابقراط هذا أول من برهن كيف يكون المرض والصحة في جميع الحيوان وفي النبات وهو الذي استنبط أجناس الامراض وجهات مداواتها وكانت له العناية في نفع المرضى ومداواتهم ويقال انه أول من جدد البيمارستان واخترعه وأوجده وذلك انه عمل بالقرب من داره موضعا من بستان له مفرد للمرضى وجعل فيه خدما يقومون بمداواتهم وسماه أخشندوكين أي مجمع المرضى ولذلك أيضا يقع لفظة البيمارستان وهو فارسي وذلك ان البيمار بالفارسي هو المرضى وستان هو الموضع أي موضع المرضى ولم يكن له دأب في مدة حياته وطول بقائه الا النظر في صنعة الطب واتخاذ فوائدها ومداواة المرضى واتصال الراحة اليهم وانقاذهم من عللهم ولم يكن لابقراط رغبة في خدمة أحد من الملوك لطلب الغنى ولا في زيادة مال وكان ابقراط في زمن بهمن بن اسفنديار ابن بستاسب وظهر ابقراط سنة ست وتسعين لبختنصر وهي سنة أربع عشرة لملك بهمن وأما تفسير اسمه فان معناه ضابط الخيل وقيل معناه ماسك الارواح وقيل ماسك الصحة وأصل اسمه باليونانية ابقوقراطيس ويقال هو بقراطيس وانما العرب عادتها ان تخفف الاسماء فخفف هذا الاسم فقالوا ابقراط وبقراط أيضا وقد جرى ذلك كثيرا في الشعر ويقال أيضا بالتاء ابقرات وبقرات ومات مفلوجا ومن ألفاظه الحكمية ونوادره المفردة في الطب قال

الطب قياس وتجربة وقال العادة اذا قدمت صارت طبيعة ثانية والزجر والفأل حس نفسانى وقال كل مرض معروف السبب موجود الشفاء وقال لا تأكل حتى تجوع وقال يتداوى كل عليل بعقاقير أرضه فان الطبيعة تنزع الى عادتها وقيل له لم يكون البدن أنور ما يكون اذا شرب الانسان الدواء قال لان أشد ما يكون البيت غبارا اذا كنس وقال مثل المنى فى الظهر كمثل الماء فى البئر ان نزفته فار وان تركته غار وقال ان الجامع يقتلع من ماء الحياة وسئل فى كم ينبغى للانسان ان يجامع قال فى كل سنة مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل شهر مرة قيل فان لم يقدر قال فى كل أسبوع مرة قيل له فان لم يقدر قال هى روحه أى وقت شاء يخرجها وقال العافية ملك خفى لا يعرف قدرها الا من عدمها وقيل له أى العيش خير فقال الامن مع الفقر خير من الغنى مع الخوف ودخل على عليل فقال له أنا وأنت والعلة ثلاثة فان اعنتنى عليها بالقبول لما تسمع منى صرنا اثنين وانفردت العلة فقوينا عليها والاثنان اذا اجتمعا على واحد غلباه وقال للقلب آفتان وهما الغم والهم فالغم يعرض منه النوم والهم يعرض منه السهر وذلك ان الهم فيه فكر فى الخوف بما سيكون فمنه يكون السهر والغم لا فكر فيه لانه انما يكون بما قد مضى وانقضى (ومن) كلامه فى العشق العشق طمع يتولد فى القلب وتجتمع فيه مواد من الحرص وكلما قوى ازداد صاحبه فى الاهتياج واللجاج وشدة القلق وكثرة السهر وعند ذلك يكون احتراق الدم واستحالته الى السوداء والتهاب الصفراء وانقلابها الى السوداء ومن طغيان السوداء فساد الفكر ومع فساد الفكر تكون الندامة ونقصان العقل ورجاء ما لم يكن وتمنى ما لم يتم حتى يؤدى ذلك الى الجنون فحينئذ ربما قتل العاشق نفسه وربما مات غما وربما وصل الى معشوقه فيموت فرحا وأسفا وربما شهق شهقة فتخفى فيها روحه أربعا وعشرين ساعة فيظن انه قد مات فيقبر وهو حى وربما تنفس الصعداء فتختنق نفسه فى تامور قلبه فينضم عليها القلب فلا تنفرج حتى يموت وربما ارتاح وتشوق للنظر أو رأى من يحب فيموت فجأة دفعة واحدة وأنت ترى العاشق اذا سمع بذكر من يحب كيف يهرب دمه ويستحيل لونه وزوال ذلك عمن هذه حاله بلطف رب العالمين لا بتدبير من الآدميين وذلك ان المكروه العارض من سبب قائم بمفرده بنفسه يتهيأ التلطف

فى ازالته بازالة سببه فاذا وقع السببان وكل واحد منهما علة لصاحبه لم يكن الى زوال واحد منهما سبيل كما اذا كانت السوداء سببا لاتصال الفكر وكان اتصال الفكر سببا لاحراق الدم والصفراء وميلهما الى السوداء فالسوداء كلما قويت قويت قوة الفكر والفكر كلما قوى قويت السوداء فهذا الداء العياء الذى تعجز عن معالجته الاطباء (ومن) كلامه الاقلال من الضار خير من الاكثار من النافع وقال أما العقلاء فيجب ان يسقوا الخمر وأما الحمقاء فيجب ان يسقوا الحريف وقال ليس معى من فضيلة العلم الا علمى بأنى لست بعالم وقال المالك لشئ هو المسلط عليه فمن أحب أن يكون حرا فلا يهوى ماليس له وليهرب منه والا صار له عبدا وقال لتلميذه ان احببت ان لا تموت تلك شهوة فاشتهه ما يمكنك وقال الدنيا غير باقية فاذا أمكن الخير فاصطنعوه واذا عدم ذلك فتحمدوا واتخذوا من الذكر أحسنه انتهى ما لخصته من ترجمة ابقراط من طبقات الاطباء للعلامة موفق الدين ابى العباس أحمد بن أبى القاسم الخزرجى المعروف بابن أبى أصيبعة رحمه الله (وذكر) الشيخ جمال الدين بن نباتة فى شرح العيون ومن طرائف حكايات أبقراط ان ولد أحد الملوك عشق جارية من حظايا أبيه فنحل بدنه واشتدت علته وهو كاتم خبره فأحضر ابقراط فجس نبضه ونظر الى بشرته فلم ير علة فذاكره حديث العشق فرآه يهتز لذلك ويضطرب فاستخبر الحال من حاضنته فلم يكن عندها خبر فقال هل تخرج من الدار فقالت لا فقال لابيه مر رئيس الخصيان يطاعنى فأمره فقال اخرج على النساء فخرجن وابقراط أصبعه على نبض الصبي فلما خرجت الجارية اضطرب عرقه وحار طبعه فعلم ابقراط انها المعينة فصار الى الملك فقال ان ابن الملك عاشق لمن الوصول اليها صعب قال الملك من هى قال زوجتى فقال انزل عنها ولك عنها بدل فتمنع ابقراط وقال هل رأيت أحدا كلف أحدا الى طلاق زوجته ولاسيما الملك فى عدله ونصفته يأمرنى بمفارقة زوجتى وهى عديلة روحى فقال الملك انى أوثر عليك وأعوضك أحسن منها فامتنع حتى بلغ الامر الى التهديد والسيف فقال ان الملك لا يسمى عادلا حتى ينصف من نفسه أرأيت لو كانت العشيقة حظية الملك ففهم الملك المراد وقال يا ابقراط عقلك أتم من معرفتك ونزل عن الحظية لابنه وشفى الفتى (فيثاغورس) قال القاضى صاعد فى طبقات الامم ان فيثاغورس

كان بعد بندقليس بزمان وأخذ الحكمة عن أصحاب سليمان بن داود عليهما السلام بمصر حين دخلوا اليها من بلاد الشام (ومن) كلامه وآدابه وحكمه قال كما ان بدأ وجودنا وخلقنا من الله سبحانه هكذا ينبغي ان تكون نفوسنا منصرفة الى الله تعالى وقال الفكرة لله خاصة فمحبتها متصلة بمحبة الله ومن أحب الله سبحانه وتعالى عمل بمحابه ومن عمل بمحابه قرب منه ومن قرب منه نجا وقال الاقوال الكثيرة في الله تعالى علامة تقصير الانسان عن معرفته وقال مالا ينبغي ان تفعله احذر ان تخطره ببالك وقال الاشكال المزخرفة والامور المموهة في أقصر الازمان تتبهرج وقال الاخلق بالانسان ان يفعل ما ينبغي لا ما يشتهي وقال الدنيا دول مرة لك وأخرى عليك فان توليت فاحسن وان تولوك فأالن وكان يقول ان أكثر الآفات انما تعرض للحيوانات من عدمها الكلام وتعرض للانسان من قبل الكلام وكان يقول من استطاع ان يمنع نفسه من أربعة أشياء فهو خليق ان لا ينزل به مكروه كما ينزل بغيره العجلة واللجاجة والعجب والتوانى فثمرة العجلة الندامة وثمرة اللجاجة الحيرة وثمرة العجب البغضاء وثمرة التوانى الزلة ونظر الى رجل عليه ثياب فاخرة تكلم فيلحن في كلامه فقال له اما ان تتكلم بكلام يشبه ثيابك أو تلبس لباسا يشبه كلامك وقال استعمل الفكر قبل العمل وقال كثرة العدو تقل العدو وحضرت امرأته الوفاة في أرض غربة فجعل أصحابه يتحرقون على موتها في أرض الغربة فقال يا معشر الاخوان ليس بين الموت في الغربة والوطن فرق وذلك ان الطريق الى الآخرة واحدة من جميع النواحي وقيل ما أحلى الاشياء فقال الذي يشتهي الانسان وقال انكى لعدوك ان لا تريه انك تتخذه عدوا انتهى كلامه (سقراط) كان من تلاميذ فيثاغورس واقتصر من الفلسفة على العلوم الالهية واعرض عن ملاذ الدنيا ورفضها وأعلن بمخالفة اليونانيين في عبادتهم الاصنام وقابل رؤساءهم بالحجاج والادلة فثوروا العامة عليه واضطروا ملكهم الى قتله فأودعه الملك الحبس تحمدا اليهم ثم سقاه السم تفاديا من شرهم مع مناظرات جرت له مع الملك محفوظة وله وصايا شريفة وآداب فاضلة وحكم مشهور ومعنى سقراطيس باليونانية المعتصم بالعدل وبلغ من تعظيمه الحكمة مبلغا أضر بمن بعده من محبي الحكمة لانه كان من رأيه ان لا يستودع الحكمة

الصحف ولا القراطيس تنزيهاً لها عن ذلك ويقول ان الحكمة طاهرة مقدسة فلا ينبغي ان تستودعها الا الانفس الحية وتنزهها عن الجلود الميتة ولم يصنف كتابا ولا أملى على أحد من تلاميذه ما أثبته في قرطاس وانما كان يلقنهم علمه تلقيناً لا غير وتعلم ذلك من أستاذه طيماوس فانه قال في صباه لا تدعني أدوّن ما أسمع منك من الحكمة فقال له ما أوثقك بجلود البهائم الميتة وأزهدك في الخواطر الحية هب انسانا لقيك في طريق فسألك عن شيء من العلم هل كان يحسن ان تحيله على الرجوع الى منزلك والنظر في كتبك فان كان لا يحسن فالزم الحفظ فلزمه سقراط (ومن) آداب سقراط وحكمه ونوادره ما ذكره الامير المبشر بن فاتك في كتابه قال سقراط عجباً لمن عرف فناء الدنيا كيف تلهيه عما ليس له فناء وقال النفس جامعة لكل شيء فمن عرف نفسه عرف كل شيء وقال ما ضاع من عرف نفسه وما أضيع من جهل نفسه وقال ستة لا تفارقهم الكآبة الحقود والحسود وحديث عهد بغنى وغني يخاف الفقر وطالب رتبة يقصر قدره عنها وجليس أهل الادب وليس منهم وقال خير من الخير من عمل به وشر من الشر من عمل به وقال اتقوا ما تبغضه قلوبكم وقال من اهتم بالدنيا ضيع نفسه ومن اهتم بنفسه زهد في الدنيا وقال طالب الدنيا ان نال ما أمل تركه لغيره وان لم ينل ما أمل مات بغصته وقال من أحب ان لا تفوته شهوة فليشته ما يمكنه وقال له رجل شريف الجنس وضيع الخلائق أما تأنف نفسك يا سقراط من خساسة جنسك فأجابه جنسك عندك انتهى وجنسي مني ابتدئ وقال لا يكون الحكيم حكيماً حتى يغلب شهوات الجسم وكان يقول القينة مخدومة ومن خدم غير ذاته فليس بحر وقال انما جعل للانسان لسان واحد وأذنان ليكون ما يسمعه أكثر مما يتكلم به وقال أنفع ما اقتناه الانسان الصديق المخلص وقال الصامت ينسب الى العي والمتكلم ينسب الى الفضول ويندم وقال اذا ضاق صدرك بسرك فصدر غيرك به أضيق وقال من أراد النجاة من مكائد الشيطان فلا يطيعن امرأة فان النساء سلم منصوب ليس للشيطان حيلة الا بالصعود عليه وقال لتلميذه يا بني ان كان لا بد لك من النساء فاجعل لقاءك لهن كأكل الميتة ولا تأكلها الا عند الضرورة فتأخذ منها بقدر ما يقيم الرمق فان أخذ آخذ منها فوق الحاجة أسقمته وقتلته وقيل له ما تقول في النساء فقال

هن شجر الدفلى له رونق وبهاء فاذا أكله الغرق قتله وقال من قل همه على مافاته استراحت نفسه وصفا ذهنه وقال أفضل السيرة طيب المكسب وتقدير الانفاق وقال من يجرب يزدد علما ومن يؤمن يزدد يقينا ومن يستيقن يعمل جاهدا ومن يحرص على العمل يزدد قوة ومن يكسل يزدد فترة وقال القنية ينبوع الاحزان فلا تقتنوا الاحزان وقال لولا ان فى قولى انى لا أعلم اخبارا انى أعلم لقلت انى لا أعلم (افلاطون) فيلسوفى يونانى طبى عالم بالهندسة وطبائع الاعداد ومعنى اسمه العميم الواسع لزم سقراط وسمع منه خمس سنين ثم مات سقراط فبلغه ان بمصر قوما من أصحاب فيثاغورس فسار اليهم حتى أخذ عنهم وبلغ من العمر احدى وثمانين سنة وكان حسن الاخلاق كريم الافعال كثير الاحسان الى كل أحد غريبا وقريبا متأدبا حكيما صبورا (ومن) كلامه ومواعظه العادة على كل شئ سلطان وقال من لم يواس الاخوان عند دولته خذلوه عند فاقته وقيل له لم لا تجتمع الحكمة والملك فقال لعز الكمال وقال اذا أردت ان تدوم لك اللذة فلا تستوفى الملتذ أبدا بل دع فيه فضلة تدوم لك اللذة وقال غاية الادب ان يستحى المرء من نفسه وقال ماألمت نفسى الا من ثلاث من غنى افتقر وعزيز ذل وحكيم تلاعبت به الجهال وقال لا تطلب سرعة العمل واطلب تجويده فان الناس ليس يسألون فى كم فرغ من هذا العمل وانما يسألون عن جودة صنعته وقال اطلب فى الحياة العلم والمال تحز الرياسة على الناس لانهم بين خاص وعام فالخاصة تفضلك بما تحسن والعامة تفضلك بما تملك وقال عين المحب عمياء عن عيب المحبوب وقال الحلم لا ينسب الا الى من قدر على السطوة والزهد لا ينسب الا الى من ترك بعد المقدرة وقال الحسن الخلق من صبر على السئ الخلق وقال أشرف الناس من شرفته الفضائل لا من يشرف بالفضائل وذلك ان من كانت الفضائل فيه جوهرية فهى تشرفه ومن كانت فيه عرضية تشرف بها ولم تشرفه وقال الحياء اذا توسط وقف الانسان عما عابه واذا أفرط وقفه عما احتاج اليه واذا قصر خلع عنه ثوب التجمل فى كثير من احواله وقال لا تصحب الشرير فان طبعك يسرق من طبعه شرا وانت لا تدرى وقال من مدحك بما ليس فيك من الجميل وهو راض عنك ذمك بما ليس فيك من القبيح وهو ساخط عليك وقال رب مغبوط بنعمة

هى بلاؤه ورب محسود على حال هى دواؤه وقال الامل خداع النفس لاتستكثرن من عشرة جلة عيوب الناس فانهم يلتقطون ماغفلت عنه وينقلونه الى غيرك كما ينقلون عنهم اليك وقال الافراط فى النصيحة يوهم بصاحبها كثيرا من الظنة وقال ليس ينبغى للرجل ان يشغل قلبه بما ذهب منه ولكن يعتنى بحفظ ما بقى عليه وسئل عند موته عن الدنيا فقال خرجت اليها مضطرا وعشت فيها متحيرا وها أنا أخرج منها كارها ولم أعلم فيها الا انى لا أعلم (ارسطاطاليس) وتفسيره تام الفضيلة قال سليمان بن حسان المعروف بابن جلجل فى كتابه عن ارسطاطاليس انه كان فيلسوف اليونان وعالمها وخريرها وخطيبها وطبيبها وكان أوحدا فى الطب وغلب عليه علم الفلسفة قال المسعودى وكان افلاطون يجلس فيستدعى من الكلام فيقول حتى يحضر الناس وربما قال حتى يحضر العقل فاذا حضر قال تكلموا فقد حضر العقل (ومن) كلامه وحكمه رغبتك فيمن زهد فيك ذل نفس وزهدك فيمن يرغب فيك قصر همة وقال الجاهل عدو نفسه فكيف يكون صديق غيره وقال الحاجة تفتح أبواب الحيلة ونظر الى حدث يتهاون بالعلم فقال له انك ان لم تصبر على تعب العلم صبرت على شقاء الجهل وقال كفى بالتجارب تأدبا وبالايام عظة وقال خير الاشياء أجدها الا المودات وقال كلام العجلة موكل به الزلل وأعاد على تلميذه مسئلة فقال له أفهمت فقال التلميذ نعم فقال لا أرى آثار الفهم عليك قال وكيف ذلك قال لا أراك مسرورا والدليل على الفهم السرور (جالينوس) وكان مولده من بعد زمان المسيح بتسعة وخمسين سنة على ما أرخه اسحق بن حنين وأما قول من زعم انه كان معاصره وانه توجه ليراه ويؤمن به فغير صحيح وقد أورد جالينوس فى مواضع متفرقة من كتبه ذكر موسى وعيسى وتبين من قوله انه كان من بعد المسيح بهذه المدة التى تقدم ذكرها (ومن) ألفاظ جالينوس وحكمه ونوادره ماذكره حنين بن اسحق فى كتاب نوادر الفلاسفة والحكماء وآداب المعلمين القدماء قال الهم فناء القلب والغم مرض القلب ثم بين ذلك فقال الغم بما كان والهم بما يكون وفى مواضع أخر الغم بما فات والهم بما هو آت (ومن) كلامه فى العشق قال العشق استحسان ينضاف اليه طمع وقال ان واحكم تنبل تنل ولا تكن معجبا فتمتهن وقال الحياء خوف المستحى من نقص يقع به عند من هو

أفضل منه وقال يتهيأ للانسان ان يصلح أخلاقه اذا عرف نفسه فان معرفة الانسان هي الحكمة العظمى وذلك ان الانسان لافراط محبته لنفسه بالطبع يظن بها من الجميل ماليست عليه حتى ان قوما يظنون بأنفسهم انهم شجعان وكرماء وليسوا كذلك وأما العقل فيكادان يكون الناس كلهم يظنون بأنفسهم التقدم فيه وأقرب الناس الى الذي يظن ذلك بنفسه أقلهم عقلا ورأى رجلا تعظمه الملوك لشدة جسمه فسأل عن أعظم مافعله فقالوا انه حمل ثورا مذبوحا من وسط الهيكل حتى أخرجه خارجا فقال لهم فقد كانت نفس الثور تحمله ولم يكن لها في حمله فضيلة وقال ان العليل يتروح بنسيم أرضه كما تتروح الارض الجدبة ببل القطر وقيل له متى ينبغي للانسان ان يموت قال اذا جهل ما يضره مما ينفعه ومن كلامه انه سئل عن الاخلاط الاربعة فقيل له ماقولك في الدموي فقال عبد مملوك وربما قتل العبد مولاه قيل له فما قولك في الصفراء قال كلب عقور في حديقة قيل له فما قولك في البلغم قال ذلك الملك الرئيس كلما أغلقت عليه بابا فتح لنفسه بابا قيل له فما قولك في السوداء قال هيهات تلك الارض اذا تحركت تحرك ما عليها (ومن) ذلك قال انا ممثل لك مثالا في الاخلاط الاربعة فأقول ان مثال الصفراء وهي المرة الحمراء كمثل امرأة سليطة صالحة تقية فهي تؤذي بطول لسانها وسرعة غضبها الا انها ترجع سريعا بلا غائلة ومثل الدموي كمثل الكلب الكلب فاذا دخل دارك فعاجله اما باخراجه أو قتله ومثل البلغم في البدن اذا تحرك مثل ملك دخل بيتك وأنت تخاف ظلمه وجوره وليس يمكن ان تخرق به وتؤذيه بل يجب ان ترفق به وتخرجه ومثل السوداء في الجسد مثل الانسان الحقود الذي لا يتوهم فيه بما في نفسه ثم يثب وثبة فلا يبقي مكروها الا يفعله ولا يرجع الا بعد الجهد الجهيد (ومن) تمثيلاته الظريفة قال الطبيعة كالمدعي والعلة كالخصم والعلامات كالشهود والقارورة والنبض كالبينة ويوم البحران كفصل القضاء والفصل والمرض كالمتوكل والطبيب كالقاضي (ابن كلدة الثقفي) لما وفد على كسرى أنوشروان أذن له بالدخول فلما وقف بين يديه منتصبا قال له من أنت قال أنا الحرث بن كلدة قال فما صناعتك قال الطب قال اعرابي انت قال نعم من صميمها وبحبوحة دارها قال فما تصنع العرب بطبيب مع جهلها وضعف عقولها وسوء أغذيتها قال أيها الملك انه

اذا كانت هذه صفتها كانت أحوج الى ما يصلح جهلها ويقيم عوجها ويسوس أبدانها ويعدل أمشاجها فان العاقل يعرف ذلك من نفسه ويعرف موضع دائه ويحترز عن الادواء كلها بحسن سياسته لنفسه قال كسرى فكيف تعرف ما توردها عليها ولو عرفت الحكم لم تنسب الى الجهل قال الطفل يناغى فيداوى والحية ترقى فتداوى ثم قال أيها الملك العقل من قسم الله تعالى قسمه بين عباده كقسمة الرزق فيهم فكل من قسمته أصاب وخص بها قوم وزاد فيهم مثر ومعدوم وجاهل وعالم وعاجز وحازم ذلك تقدير العزيز العليم (قال) كسرى فما الداء الدوى قال ادخال الطعام على الطعام وهو الذى يفنى البرية ويهلك السباع فى البرية قال أصبت قال فما العلة التى تظلم منها الادواء قال هى التخمة ان بقيت فى الجوف قتلت وان تحللت أسقمت قال صدقت قال فما تقول فى الحجامة قال فى نقصان الهلال فى صحو ولا غيم فيه والنفس طيبة والعروق ساكنة لسرور يفاجئك وهم يباعدك قال فما تقول فى الحمام قال لا تدخله شبعانا ولا تغش أهلك سكرانا ولا تقم بالليل عريانا ولا تقعد على الطعام غضبانا وارفق بنفسك تكن رخى البال وقلل من طعامك يكن أهنى لنومك قال فما تقول فى الدواء قال ما لزمتك الصحة فاجتنبه فان هاج داء فاحسمه بما يردعه قبل استحكامه فان البدن بمنزلة الارض ان أصلحتها عمرت وان تركتها خربت قال فما تقول فى الشراب قال أطيبه أهنأه وأرقه أمرأه وأعذبه أشهاه تشربه صرفا فيورثك صداعا ويثير عليك من الادواء أنواعا قال فأى اللحمان أفضل قال الضأن الفتى والجدى الرضيع والقديد المالح مهلك للآكل واجتنب لحم الجزور والبقر قال فما تقول فى الفواكه قال كلها فى اقبالها وحين أوانها واتركها اذا أدبرت وانقضى زمانها وأفضل الفاكهة الرمان والاترج وأفضل الرياحين الورد والبنفسج وأفضل البقول الهندباء والخس قال فما تقول فى شرب الماء قال هو حياة البدن وبه قوامه ينفع ما شرب منه بقدر وشربه بعد النوم ضرر وأفضله أمراه وأرقه أصفاه قال فاخبرنى عن أصل الانسان ما هو قال أصله من حيث شرب الماء يعنى رأسه قال فما هذا النور الذى فى العينين قال مركب من ثلاثة أشياء فالبياض شحمة والسواد ماء والناظر ريح قال فعلى كم شئ جبل وطبع هذا البدن قال على أربع طبائع المرة السوداء

وهي باردة يابسة والدم حار رطب والبلغم بارد رطب والصفراء حارة يابسة قال فلم لم يكن من طبع واحد قال لو خلق من طبع واحد لم يأكل ولم يشرب ولم يمرض ولم يهلك قال فمن طبيعتين لو كان اقتصر عليهما قال لم يجز لانهما ضدان مختلفان يقتتلان قال فمن ثلاثة قال لم يصلح موافقان ومخالف فالاربع هو الاعتدال والقيام قال فاجمل لى الحار والبارد فى أحرف جامعة قال كل حلو حار وكل حامض بارد وكل حريف حار وكل مز معتدل وفى المز حار وبارد قال فما أفضل ما عولج به المرة الصفراء قال كل بارد لين قال فالمرة السوداء قال كل حار لين قال فالبلغم قال كل حار يابس قال فالدم قال اخرجه اذا زاد (الشئ بالشئ يذكر) كنت أنشدت سيدى القاضى صدر الدين على بن القاضى أمين محمد بن الادمى قول بعض الفضلاء وهو

أصبحت تخرجنى بغير جريمة * من دار اكرام لدار هوان

كدم الفصاد يراق ارذل موضع * أبدا ويخرج من أعز مكان

(فأنشدنى) لنفسه بعد أيام

قد كنت مثل دمى صدقت أجله * وأعزه لا بان عن جثمانى

لما فسدت وزدت لم آمن على * روحى فصلت عليك بالهجران

(رجع) قال فالرياح قال بالحقن اللينة والادهان الحارة اللينة قال أفتأمر بالحقنة قال نعم قرأت فى بعض الكتب للحكماء ان الحقنة تنقى الجوف وتكسح الادواء عنه والعجب ممن احتقن كيف يهرم أو يعدم الولد وان الجاهل كل الجهل من يأكل ما عرف مضرته ويؤثر شهوته على راحة بدنه قال فما الحمية قال الاقتصاد فى كل شئ فان الاكل فوق المقدار يضيق على الروح ساحتها ويسد مسامها قال فما تقول فى النساء واتيانهن قال كثرة غشيانهن رديئة واياك واتيان المرأة المسنة فانها كالشن البالى تجذب قوتك وتسقم بدنك وماؤها سم قاتل ونفسها موت عاجل تأخذ منك الكل ولا تعطيك البعض والشابة ماؤها عذب زلال وعناقها غنج ودلال فوها بارد وريحها طيب وهنها ضيق تزيدك قوة الى قوتك ونشاطا الى نشاطك قال فأيهن القلب اليها أميل والعين برؤيتها أسر قال اذا أصبتها المديدة القامة العظيمة الهامة واسعة الجبين قناة العرنين كحلاء لعساء صافية الخد عريضة الصدر مليحة النحر فى خدها

رقة وفى شفتيها اللعس مقرونة الحاجبين ناهدة الثديين لطيفة الخصر والقدمين بيضاء فرعاء جعدة غضة بضة تخالها فى الظلمة بدرا زاهرا تبسم عن أقحوان وعن مبسم كالارجوان كأنها بيضاء مكنونة الين من الزبد وأحلى من الشهد وأزهى من الفردوس والخلد وأذكى ريحا من الياسمين والورد تفرح بقربها وتسرك الخلوة بها قال فضحك كسرى حتى اختلجت كتفاه قال ففى أى الاوقات اتيانها أفضل قال عند ادبار الليل يكون الجوف أخلى والنفس اهدى والقلب أشهى والرحم أدفى فان أردت الاستمتاع بها نهارا لتمرح عينيك فى جمال وجهها ويجتنى فوك من ثمرات حسنها وبعى سمعك من حلاوة لفظها وتسكن الجوارح كلها اليها فتجنب الشبع ووقت القيلولة وهيجان الدم قال كسرى لله درك من اعرابى لقد أعطيت علما وخصصت فطنة وفهما وأحسن صلته وأمر بتدوين مانطق به (تياذوق) كان فى دولة بنى أمية وصحب الحجاج بن يوسف الثقفى وخدمه بصناعة الطب ومن وصيته له لاتأكل حتى تجوع ولا تكرهن على الجماع ولاتحبس البول وخذ من الحمام قبل ان يأخذ منك وقال له أربعة تهدم العمر وربما قتلن دخول الحمام على البطنة والمجامعة على الامتلاء وأكل القديد الجاف وشرب الماء البارد على الريق ومجامعة العجوز بمهدمهن وقيل ان بعض الملوك لما رأى تياذوق شاخ وكبر خشى ان يموت ولا يعتاض عنه لانه كان أحذق الامة فى وقته بالطب فقال له صف لى ما أعتمد عليه فاسوس به نفسى وأعمل به أيام حياتى فلست آمن من أن يحدث عليك حادث الموت ولا أجد مثلك فقال تياذوق أيها الملك أقول لك عشرة أبواب ان عملت واجتنبتها لم تعتل مدة حياتك وهى لاتأكل طعاما وفى معدتك طعام ولا تأكل ماتضعف اسنانك عن مضغه فتضعف معدتك عن هضمه ولا تشرب الماء على الطعام حتى تفرغ ساعتين فان أصل الداء التخمة وأصل التخمة الماء على الطعام وعليك بدخول الحمام فى كل يوم مرة واحدة فانه يخرج من جسدك مالا يصل اليه الدواء وأكثر الدم فى بدنك تحرس به نفسك وعليك فى كل فصل بقيئة ومسهلة ولاتحبس البول وان كنت راكبا وأعرض نفسك الخلاء قبل نومك ولا تكثر الجماع فانه يقتبس منك ماء الحياة فلتكثرا وتقل ولا تجامع العجوز فانه يورث موت الفجأة فلما سمع ذلك أمر كاتبه ان يكتب هذه

لالفاظ بالذهب الاحمر ويضعه فى صندوق من ذهب مرصع بالجوهر وبقى ينظر
ليه فى كل يوم ويعمل به فلم يعتل مدة حياته حتى جاءه الموت الذى لا بد منه
لا محيص عنه (بختيشوع) طبيب الرشيد من كلامه أربعة تهدم العمر ادخال
الطعام على الطعام والشرب على الريق ونكاح العجوز والتمتع فى الحمام
(يوحنا) بن ماسويه ومن كلامه وقد سئل عن الخير الذى لا شر معه فقال شرب
القليل من الشراب الصافى ثم سئل عن الشر الذى لا خير معه فقال نكاح العجوز
(يعقوب) بن اسحاق الكندى فيلسوف العرب ومن كلامه ما أوصى به لولده أبى
العباس قال الكندى يا بنى الاب رب والاخ فخ والعم غم والخال
وبال والولد كمد والاقارب عقارب وقول لا تصرف البلاء وقول نعم تزيل
النعم وسماع الغناء برسام حاد لان الانسان يسمع فيطرب وينفق فيسرف
فيفتقر فيغتم فيعتل فيموت والدينار محموم فان صرفته مات والدرهم محبوس
فان أخرجته فر والناس سخرة فخذ شيئهم واحفظ شيئك ولا تقبل ممن قال ان
اليمين الفاجرة تدع الديار بلاقع (أوحد الزمان هبة الله أبو البركات) ابن على
كان يهوديا وأسلم ومن حذقه أن مريضا كان ببغداد قد عرضت له علة الما
ليخوليا وكان يعتقد أن على رأسه دنا وانه لا يفارقه أبدا فكان كلما مشى يتحايل
أن المواضع سقوفها قصيرة ويمشى برفق ولا يترك أحدا يدنو منه حتى لا يميل
الدن عن رأسه أو يقع وبقى هذا المرض مدة وهو فى شدة منه وعالجه جماعة من
الاطباء ولم يحصل من معالجتهم تأثير ينتفع به وأنهى أمره الى أوحد الزمان
ففكر أنه ما بقى شئ يمكن أن يبرأ به الا بالامور الوهمية فقال لاهله اذا كنت فى
الدار فأتونى به ثم ان أوحد الزمان أمر أحد غلمانه بان ذلك المريض اذا دخل
اليه وشرع فى الكلام معه وأشار الى الغلام بعلامة بينهما ان يسرع بخشبة
كبيرة فيضرب بها فوق رأس المريض على بعد منه كأنه يريد كسر الدن الذى
يزعم انه على رأسه وأوصى غلاما آخر وكان قد أعد معه دنا فى أعلى السطح أنه
متى رأى ذلك الغلام قد ضرب فوق رأسه أن يرمى الدن الذى عنده بسرعة الى
الارض ولما كان أوحد الزمان فى بيته وأتاه المريض فأقبل اليه وقال له والله
لا بد لى أن اكسر الدن وأريحك منه ثم أدار تلك الخشبة التى معه وضرب بها فوق
رأسه بنحو ذراع وعند ذلك رمى الغلام الآخر الدن من أعلى السطح فكانت له

وبعدة عظيمة وتكسر قطعا كبيرة فلما عاين المريض ما فعل به ورأى الدن المتكسر تأوه لكسرهم اياه ولم يشك فيه انه الذى كان على رأسه بزعمه وأثر فيه الوهم أثرا أبرأ علته من تلك وهذا باب عظيم فى المداواة (العنترى صاحب النور المجتبى) كان طبيبا ممارسا مشهورا وعالما مذكورا وافر الفضل فيلسوفا متبصرا فى علم الادب ومن كلامه الجاهل عبد لا يعتق رقه الا بالمعرفة وقال الحكمة سراج النفس فتى عدمتها عميت النفس عن الحق وقال الادب أزين للمؤمن من نسبه وأولى للمرء من حسبه وأدفع عن عرضه من ماله وأرفع لذكره من جاله وقال من أحب ان ينوه باسمه فليكثر من العناية بعلمه وقال الجاهل يطلب المال والعالم يطلب الكمال وقال الغم ليل القلب والسرور نهاره وشرب السم أهون من معاناة الهم (ومن شعره)

لو كنت تعلم كل ما علم الورى * جمعا لكنت صديق كل العالم
لكن جهلت فصرت تحسب كل من * يهوى خلاف هواك ليس بعالم

(يحيى بن اسحق) كان طبيبا ذكيا وعالما بصيرا بالعلاج صانعا بيده وكان فى دولة عبد الرحمن الناصر لدين الله واستوزره نقل عنه من حذقه انه أتى اليه بدوى على حمار وهو يصيح على باب داره أدركونى وكلموا الوزير بخبرى فلما خرج اليه قال ما بالك فقال له ورم فى احليلى منعنى النوم منذ أيام كثيرة وأنا فى الموت فقال له اكشف عنه فاذا هو وارم فقال لرجل كان قد أقبل مع العليل أطلب لى حجرا أملس فطلبه فوجده فقال ضعه على كفك وضع عليه الاحليل فلما مكن الاحليل الرجل على الحجر جمع الوزير يده وضرب على الاحليل ضربة غشى الرجل منها ثم اندفع الصديد يجرى فلما استوفى الرجل صديدا لورم فتح عينيه ثم بال البول فى أثر ذلك فقال له اذهب فقد برئت علتك وأنت رجل عابث واقعت بهيمة فى دبرها فصادفت شعيرة من علفها فى عين الاحليل فورم لها وقد خرجت فى الصديد فقال له الرجل قد فعلت هذا وأقر بذلك وهذا يدل على حدس صحيح وقريحة صادقة (ابن جميع الاسرائيلى) من الاطباء المشهورين والعلماء المذكورين خدم سلطان مصر صلاح الدين يوسف بن أيوب وحظى فى أيامه وكان رفيع المنزلة نافذ الامر ونقل عنه من حذقه انه كان جالسا فى دكانه وقد مرت عليه جنازة فلما نظر اليها صاح يا أهل الميت ذكرلهم

ان صاحبهم لم يمت وانهم ان دفنوه فانما يدفنونه حيا فصاروا ناظرين اليه كالمتعجبين من قوله ولم يصدقوه فيما قال ثم انهم قال بعضهم هذا الذى يقوله ما يضرنا ان نمتحنه فان كان حيا فهو الذى نريده وان لم يكن حيا فما يتغير علينا شئ فاستدعوه اليهم وقالوا اين الذى قلت لنا فأمرهم بالمصير الى البيت وان ينزعوا عنه أكفانه وقال لهم احملوه الى الحمام وسكب عليه الماء الحار فاحمى بدنه ونطله نطولا وغطسه فرأى فيه أدنى حس وتحرك حركة خفية فقال أبشروا بعافيته ثم تمم علاجه الى ان أفاق وصلح فكان ذلك مبدأ اشتهاره بجودة الصنعة والعلم وظهرت عنه ثم انه سئل بعد ذلك من أين علمت حال ذلك الميت وهو محمول وعليه الاكفان ان فيه روحا فقال انى نظرت الى قدميه فوجدتهما قائمتين وأقدام الذين قدماتوا تكون منبسطة فحدست انه حى وكان حدسى صائبا والله أعلم (الحكيم صدقة السامرى) هو الفاضل صدقة بن منجا ابن صدقة ويعرف بابن الشاعر من الاكابر فى صناعة الطب والمتميزين من أهلها والاماثل من أربابها خدم الملك الاشرف موسى بن العادل بن أيوب الى أن توفى فى خدمته وكان يحترمه غاية الاحترام ويكرمه غاية الاكرام وخلف من الكتب عشرة آلاف مجلدة غير كراريس وأوراق مفرطة تقدر بألف مجلد (ومن كلامه) انظر الموت بعين عقلك تره قريبا ولا تره بعين أملك تلحظه بعيدا وقال العلم شجرة فى القلب تزرع ومن السنة تظهر ثمارها وقال أنت بنفسك قريب من موجدك ومكونك وبشهواتك وعصيانك أنت بعيد من ربك (ومن نظمه)

يا ابن قسيم أصبحت تنتحل النحـــو ودعواك فيه منحوله
أمك ما بالها فقل وأجب * مرفوعة الساق وهى مفعوله
فاعلها الاير وهو منتصب * مسائل قد أتتك مجهوله
والعين عطل وعين عصعصها * بنقطة الخصيتين مشكوله

(وله)

شيخ لنا من عظمه داهيه * ما مثله فى الامم الخاليه
مهندس فى طول أيامه * مع قصره يبتلع الساقيه
مثلث بدعمه قائم * لانه منفرج الزاويه

(نقلت) من خط المرحوم فخر الدين بن مكانس كتب صاحبنا فخر الدين

عبد الوهاب كاتب الدرجة الشريفة رحمه الله الى ابن صغير المتطبب وقد دعاه في مرضه ودخل الى الطهارة فعثر في طست الحقنة فاختضبت رجله رقعة يداعبه بها أولها * الشئ بالشئ يذكر * توجه سيدى بالامس مخضب القدم من هيولاه ذاما من محله المعمور لما منه تولاه وما كان من حقه في أمسه تكدير نفسه ولكل شئ آفة من جنسه هذه مسئلة عركها أكبر منه بجبين واشتغل بها اشتغال ذى النجيين وأظنه قبل قدمه فخرج على تلك الصوره أو بعض أجزائه خلع صورة ولبس صوره (مفرد)

فتى غير محجوب الندى عن صديقه * ولا مظهر الشكوى اذا النعل زلت

على انه أكثر محافظة وودا وأرعى ذمة وعهدا كم أوقد نار وجد الى أوطانه وازعجته من مكانه وهو لا يظهر الاحبا ولا يطلب منه الاقربا

لا شك اذ لونكما واحد * انكما من طينة واحده

وبالجملة فأنا أسأل الله ان يكفيه سوء هذه المحنه كما كفى شمائله اللطيفة شر الابنه انه مجيب الدعاء ولى المنه (حكى) ان بعض الاطباء كان في بعض خدمة الملوك في غزوة ولم يكن معه وقت النصرة كاتب يرسل فتقدم الى الطبيب ان يكتب الى الوزير يعلمه بذلك فكتب الطبيب أما بعد فانا كامع العدو في حلقة كدائرة البيمارستان حتى لو رميت مبضعا لم يكن الا على قيفال فلم يكن الا كنبضة أو نبضتين حتى لحق العدو بحران عظيم فهلك الجميع بسعادتك يا معتدل المزاج (قلت) ما رأيت أحسن من هذا ولا أوجز (ووجدت) بخط طبيب على بعض الكتب طالعت هذه النسخة فوجدتها تأن سقما فعالجتها بالمقابلة الى ان تماثلت للصحة ولبعضهم يهجو طبيبا يهوديا

قالوا اليهودى أخو حكمة * لازالت الامراض فى كأسه

لو كان ذا النحس أخا حكمة * أزال دا الصفراء من رأسه

(وما ألطف قول الشيخ زين الدين بن لوردى مضمنا)

يا من يطبب قوما ثم يمهلهم * يوما عساذاعداك الشر تعتذر

اذكر فلان الذى أسهلته سحرا * ان الكرام اذا ما أسهلوا ذكروا

(ولآخر) مفرد

حكيم لطيف من لطافة وصفه * يودّ المعافى السقم حتى يعوده

(كتب) المرحوم الوزير فخر الدين بن مكانس الى ابن صغير فى بعض مرضاته
يسرع المولى عند الوقوف اليها نقل الخطوه ولا يتأخر فان القوة على الضعيف
ضعف فى القوه فجاءنى على عاداته

تغدوا المنايا فما تنفك واقفة * حتى تراه على عزم فتتبعه

فحين رآنى من الهريرة كالرعديد وشاهد ما بى من البرد قال ما أراك الا جليد
فقلت له معالجة أم محاجه ومناصحة أم ممازجه ومطايبة أم مداعبه
واستوصفته فجرى على المعهود منه فى الجهل بما يقول وعدم التمييز بين
المعقول والمنقول ولكنى الظالم على نفسى والمشارك فى حسى فانى أعهده
لم يزل مميت الأحيا ومقفر الاحيا فكم له بالديار المصرية من قتلى وأوراقه
للمرضى أشر من أوراق الدفلى كم شاب عالجه فأكسبه الصرع الفالج
ولان يسمى مصارعا أليق به من معالج ثلاثة تدخل فى دفعه طلعته والنعش
والغاسل لكنه مع ذلك ممن يجمع بين الاقران ويعمل المحرم فى رمضان قد ملك
قياد القيادة على الفنين وطالت فيها مدته فاستحق ان يدعى بذى القرنين
فاستعذت بالله من الشيطان وسرحته باحسان (كتب) القاضى الفاضل
فى الكحالين يا كرنى كل عبرى العناصر يعربنى بالرحمة على بخت ناصر
كأنه غاسل يدخل الى انسان العين بحنوطة من كحله الملعون ويدرجه فى كفن
من الخرقة السوداء التى يلبسها سواد العيون مردودة عصية ولديها عصى العمى
ينقل العين الى بياض الثغور ويسلبها اللمى قد انتهى الى فوق ما ضرب به
المثل اذ قيل يسرق الكحل من العين وهذا يسرق العين من الكحل فهذا
وأمثاله لص من اللصوص وسموا كحالين وهم صاغة لما يصوغون ويركبون
فوق العيون من الفصوص بل دباغون يدبغون الجفن أيضا وما يعدوهم مهلك
الدباغ بل صباغون يصبغون الاسود أبيض وليس ذلك الصباغ قد أودعوا
حزن يعقوب فى كحالهم مكاحلهم فمن كحل به ابيضت عيناه وجحدوا معجز
القميص اليوسفى فلو مروا به على ناظر ما انفجرت جفناه واذا رفعوا أميالهم
فانما هى لشمس العيون مزوله واذا أولج أحدهم الميل فى المكحلة فهو أولى
بالرجم ممن أولج الميل فى المكحله وما يؤم أهل الكتاب فى التبديل بواحد
ولا أخطأهم طريق الى الغى غير راشد فيوما عموا آية النبى صلى الله عليه وسلم

من النوار فهى مسفره ويوما صوا آية النور من الابصار وهى مسفره ولاخير فيهم حاربوا فمحوا بالامس الخطوط من الاوراق واستداموا الى اليوم فمحوا الخطوط من الاحداق (كتب) الحكيم شمس الدين بن دانيال الى السراج الوراق قطعة كحل اصفهانى

قل لعين الاماثل الاعيان * وهى الانسان للانسان
خذه كحلا مثل السيوف جلاء * وصقالا بروق فى الاجفان
حجر كسره أجل من الاكسير * فعلا فى العين أو فى العيان
ألف عين تقيها حبة منه * قياسا يصح بالبرهان
ان تعظم مثاله فى حجاز * فلهذا التعظيم فى اصبهان

(الباب الثالث والثلاثون فى الحساب والوزراء)

اعلم ان لوزير مشتق اسمه من حمل الوزر عمن خدمه وحمل الوزير لا يكون الا بسلامة من الوزير فى خلقته وخلائقه أما فى خلقته فانه يكون تام الصورة حسن الهيئة متناسب الاعضاء صحيح الحواس وأما فى خلائقه فهو ان يكون بعيد الهمة سامى الرأى ذكى الذهن جيد الحدس صادق الفراسة رحب الصدر كامل المروءة عارفا بموارد الامور ومصادرها فاذا كان كذلك كان أفضل عدد المملكة لانه يصون الملك عن التبذل ويرفعه عن الدناءة ويغوص له على الفكرة ومنزلته منزلة الآلة يتوصل بها الى نيل بغيته وبمنزلة الذى يحرز المدينة من دخول الآفة ومنزلة الجارح الذى يصيد لطعمة صاحبه وليس كل أحد وان صلح لهذه المنزلة يصلح لكل سلطان ما لم يكن معروفا بالاخلاص لمن خدمه والمحبة لمن استنصحه والايثار لمن قربه وقال الثعالبى فى يواقيت المواقيت الوزارة اسم جامع للمجد والشرف والمروءة وهى تلو الملك والامارة والرتب العلياء والدرجة الكبرى بعدهما قال منصور النميرى يمدح يحيى البرمكى

ولو علمت فوق الوزارة رتبة * تنال بمجد فى الحياة انالها

والانبياء عليهم السلام لم يستغنوا عن الوزراء فكيف الملوك والامراء وقد نطق القرآن بوزارة هرون لموسى عليهما السلام فى قوله تعالى رب اشرح لى صدرى

ويسر لى أمرى واحلل عقدة من لسانى يفقهوا قولى واجعل لى وزيرا من أهلى هرون أخى اشدد به أزرى وأشركه فى أمرى ثم قال فى نظام الآية الكريمة وعلى نسق الكلام قد أوتيت سؤلك يا موسى فدل على انه جعله وزيره وصاحب سره وشريكه وافصح عن حسن موقع الوزارة وجلالتها ووقوع الحاجة اليها وكان آصف بن برخيا وزير سليمان بن داود عليهما السلام والمستولى على أموره وكان نبينا المصطفى صلى الله عليه وسلم يقول ان لى وزيرين من أهل السماء ووزيرين من أهل الارض فأما اللذان من أهل السماء فجبريل وميكائيل عليهما السلام وأما اللذان من أهل الارض فأبو بكر وعمر رضى الله عنهما وقال صلى الله عليه وسلم اذا أراد الله بملك خيرا قيض له وزيرا صالحا ان نسى ذكره وان نوى خيرا أعانه أو أراد شرا كفه وكان انوشروان يقول لا يستغنى أعلم الملوك عن الوزير ولا أجود السيوف عن الصقال ولا أكرم الدواب عن السوط ولا أعقل النساء عن الزوج

(فصل فيما ينبغى للوزير ان يأتيه) اعلم ان الملوك لا يشبهون الآدميين الا بالصور فأما بالطباع والاخلاق والهمم فلا لانهم لا يشاكلونهم ولا يشابهونهم والملك وان كان كريما سخيا بعيد الهمة كثير المحاسن فانه لا يخلو قط من أربع خصال الحسد والحقد والملال والحرص على المال فينبغى ان يكون الوزير أعقل الناس وأحزمهم وأدهاهم وأبعد غورا فيجب عليه ان يدارى أخلاق الملك كما يدارى السباح الماء المغرق والوالدان أولادهم الصغار والحاوى الحية ويتحفظ من غائلته كما يتحفظ من السبع والنار القوية والمجنون الذى بيده السيف المسلول ويجب أن لا يملك ما يصلح للملك من الاعلاق النفيسة الا ما تاقى نفسه ان يهديه اليه ويخدمه به وينبغى له ان يظهر ويشيع جميع ما يملكه ويحويه يده للملك وانه انما يملكه ويحفظه من أجله ويجب عليه ان لا يسرف فى الاهداء ولا يتخرق فى بذل ما فى يده وكما لا يشبع النار من الحطب لا يشبع الملك من الاموال ولابد للوزير من الاستظهار بالذخائر الخفية وقد قال الحكيم لوزير كان يستكثر من اعتقال الضياع ويغالى به عليك بحفظ الدنانير التى تشترى بها روحك من الملك فربما فعل ألف دينار ما لا تفعله ضياع ومستغل بما تى ألف (ومن نكت هذا الباب) ان الملك يريد كل حسن وطيب لنفسه

و يستأثره على والده وولده ولذلك يقال من ملك استأثر وكان معاوية يقول وددت لو ان الدنيا فى بيضة ثم رشت فأحسوها حسوة واحدة لا يشركنى فيها أحد (ودعا) الفضل بن مروان المعتصم الى داره واحتفل واحتشد فى احسان الدعوة فلما حضر المعتصم ورأى مروءته وتجمله عمل فيه الحسد عمله فانقبض ورؤى فى عينه ولم ينشط لطعام ولا شراب وزعم انه يشتكى بطنه ففطن الفضل لما دهاه وأراد أن يوهم ان تلك الآلات مستعارة من دار أمير المؤمنين ليطفئ نار حسده فتقدم اليه وقال يا أمير المؤمنين انما استعرت أكثر هذه الاشياء من دار أمير المؤمنين وقد أرهقنى الخزانون والفراشون باسترجاعها فان رأى أمير المؤمنين أن يأمر بامهالى فى ردها فعلت فضحك المعتصم وقال قل لهم لا يسترجعونها اليوم ثم نشط للطعام والشراب (ومما ورد فى تجنبها) قال المأمون لاحمد بن أبى خالد هل لك فى ان أستوزرك فقال دعنى يا أمير المؤمنين يكون بينى و بين الغاية درجة يرجوها الصديق ويخافها العدو فلست أريد بلوغ النهاية لئلا يقول عدوى قد بلغها وليس الا الانحطاط وكان ابراهيم بن المدبر اذا أعرضت عليه الوزارة أنشد قول العتابى

يلوم على ترك الغنى بأهلية * طوى الدهر عنا كل طارف وتالد
رأت حولها النسوان يرفلن كالدما * مقلدة أجيادها بالقلائد
يسرك ان قد نلت ما نال جعفر * من الملك أو ما نال يحيى بن خالد
وان أمير المؤمنين أغصنى * بغصتها بالمرهفات البوارد
ذرينى تجيئنى منيتى مطمئنة * ولم اتجشم هول تلك الموارد
وان عليات الامور مشوبة * بمستودعات فى بطون الاساود

(فصل) فى لطائف كلام الوزراء أبو سلمة الخلال وزير السفاح كان يقول خاطر من ركب البحر وأشد منه مخاطرة من داخل الملوك (أبو عبد الله) وزير المهدى يقول الرجال تحت ألسنة الاقلام خير الكلام ما دل وقل (يحيى بن خالد) وزير الرشيد ما رأيت باكيا أحسن تبسما من القلم ما رأى أحد فى ولده ما يحب الا رأى فى نفسه ما يكره (الفضل بن يحيى) وزيرا أيضا جرى بين يديه يوما مدح الناس أباه بجوده فقال وما قدر الدنيا حتى يمدح من يجود بكلها فضلا عن بعضها ولما عزل أخيه جعفر قال ما انتقلت عنى نعمة صارت الى أخى ولا عزبت

عن رتبة طلعت عليه (جعفر بن يحيى) وزيره أيضا شر المال ما لزمك اثم مكسبه وحرمت الاجر في انفاقه (الفضل بن الربيع) وزير الرشيد والامين كما يقول ما أظن النعمة الا مسخوطا عليها أما ترونها ابدا عند غير أهلها (الفضل بن سهل) وزير المأمون من توقيعاته الامور بتمامها والاعمال بخواتيمها والصنائع باستدامتها (اخوه الحسن بن سهل) وزير المأمون أيضا * عجبت لمن يرجو من فوقه كيف يحرم من دونه وقيل له لا خير في السرف فقال لا سرف في الخير ومن كلامه لا يصلح للتصدير الا واسع الصدر (أحمد بن أبي خالد) وزيره أيضا بالاقلام تساس الاقاليم وكتب الى صديق له يستدعيه يوم الالتقاء قصير فأعن عليه بالبكور وكتب الى المأمون مع هدية بعثت الى أمير المؤمنين قليلا من كثيره (محمد بن يزداد) وزيره ايضا ليس في الحب مشورة ولا في الشهوات خصومة ومن توقيعاته أبواب الملوك معادن الحاجات وليس لاستنجاحها الا الصبر والملازمة (الفضل بن مروان) وزير المعتصم الكاتب كالدولاب اذا تعطل تكسر * ما رأيت أقرب رضى من سخط ولا أسرع ما بين قرب وبعد من الملوك (محمد بن الفضل الجرجاني) وزير المتوكل عاتبه المتوكل يوما على اشتغاله بالملاهي فقال يا أمير المؤمنين ان مقاساة هموم الدنيا لا تتأتى الا باستجلاب شئ من السرور (سليمان بن وهب) وزير المهدى * انى اغار على أصدقائي كما أغار على حرمي ونظر يوما في المرآة فرأى شيبا كثيرا فقال عيب لا عدمناه (الحسن بن مخلد) وزير المعتمد كان يقول أعوذ بالله من نحس الارتفاع وحد الاحد وكان يقول أمر امثالنا يأتي جملة ويذهب جملة فلم لا يتعجل اللذات قبل فوتها ويتمتع بصفو الزمان قبل كدره (صاعد بن مخلد) وزير المعتمد الموفق * النفس أصل لا عوض عنه والمال فرع يعود اذا تشرب عما قليل المنع الجميل أحسن من المطل الطويل (أبو الحسن بن الفرات) وزير المقتدر * ما أريد الوزارة الا لصديق أنفعه أو لعدو أقمعه وكان يقول انى لآنف كل شئ حتى الطريق ومن كلامه ما رأيت أحدا على بابي وفي داري ليس لي عنده احسان الا استحييت منه وصرفت غايتي الى ارفاقه وتحصيل مراده ولولا حب المروءة ما رغبت في الرياسة والوزارة (أبو على بن مقلة) وزير المقتدر والقاهر والراضى كان يقول اذا أحببت تهالكت واذا أبغضت أهلكت واذا أرضيت آثرت واذا غضبت ثأرت وكان يقول أنا في وزارتي

أقدم على العظائم كلها الاعلى اثنتين ازالة النعم وهتك الحرم (أبو جعفر أحمد بن شيرزاد) وزير المستكفى * الاصاغر يهفون والاكابر يعفون اياك والافراط الممل والتفريط المخل (أبو عبد الله الجيهانى) الكبير وزيره أيضا كان يقول جمال المرء فى لسانه وجمال المرأة فى عقلها ومن كلامه حسن الذكر ثمرة العمر (ابو الفضل بن العميد) وزير ركن الدولة * خير القول ما أغناك جده وألهاك هزله العاقل من أفتح من كل أمر خاتمته وعلم من بدء كل شئ عاقبته (الصاحب) ابو القاسم بن عباد وزير فخر الدولة وعد الكريم الزم من دين الغريم قد يبلغ الكلام حيث يقصر السهام الآمال ممدوده والانفاس معدوده ومن كلامه يا أسفى على رداء من الايام رقيق ما لبسناه حتى خلعناه وروض من الزمان مريع ما حللناه حتى فارقناه (قلت) لم أسمع فى رقة العيش ألطف من قول الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفى رحمه الله تعالى

لست انسى رقة العيش الذى * زاد فى الرقة حتى انقطعا

(رجع) ابو نصر بن ابى يزيد الراضى قال فى امتهانه لبعض الاعداء ما عسى ان يبلغ عض النملة ولسع النحلة ووقوع البقة على النخلة ومن كلامه الهدية ترد بلاء الدنيا والصدقة ترد بلاء الآخرة (ابو اسحق) ابراهيم بن حمزة وزير ابى على السيمجورى قال ينبغى للاصاغر أن يتقدموا على الاكابر فى ثلاثة مواطن اذا ساروا ليلا واذا خاضوا سيلا أو لقوا خيلا (ابو الحسن الاهوازى) العدل أقوى جيش والامن أهنى عيش الاحن محصد المحن (عبد الله بن يحيى بن خاقان) كان يقول اذا دهانا أمر تقلناه فى أصعب حالاته فما نقص منه كان سرورا بتعجله (نقلت) من تاريخ الصاحب كمال الدين بن العديم وهو تاريخه الكبير المسمى بغية الطالب فى تاريخ مدينة حلب بسنده الى يحيى بن خاقان قال حضرت الحسن بن سهل وقد جاءه رجل يستشفع به فى حاجة فقضاها فأقبل الرجل يشكره فقال له الحسن بن سهل علام تشكرنا ونحن نرى ان للجاه زكاة كما أن للمال زكاة ثم أنشأ يقول

فرضت على زكاة ما ملكت يدى * وزكاة جاهى أن أعين وأنفعا
فاذا ملكت فجد فان لم تستطع * فاجهد بفضلك كله ان تشفعا

(الصاحب) عون الدين يحيى بن هبيرة وزير المستنجد صاحب كتاب الافصاح حكى

عنه انه لما أدركته الوفاة أغمى عليه ثم أفاق فوجد أهله يبكون فقال ما شأنكم فقالوا يبكينا البكون انك خدمت الملوك والخلفاء فقال مذ دخلت فى عمل السلطان الى يومى هذا ماخجلت أحدا من خلق الله وأرجو من كرم الله تعالى انه لايخجل هذه الشيبة

(فصل) فى لطائف هذا الباب قال بعض الفضلاء

غزال قد غزا قلبى * بألحاظ واحداق
له الثلثان من قلبى * وثلثا ثلثه الباقى
وثلثا ثلث ما يبقى * وثلث الثلث للساقى
وتبقى أسهم ست * تقسم بين عشاق

هذا الشاعر قسم قلبه الى أحد وثمانين سهما جعل لمحبوبه منها الثلثين وذلك أربع وخمسون سهما يبقى الثلث وهو سبع وعشرون زاده ثلثيه وذلك ثمانية عشر فصارله اثنان وسبعون يبقى ثلث الثلث وهو تسعة زاده منها ثلثى ثلثها وهو اثنان بقى من الثلث واحد أعطاه للساقى بقى من التسعة ستة قسمها بين العشاق فحصل لمحبوبه أربعة وسبعون سهما وللساقى سهم وللعشاق ستة الجميع احد وثمانون (وقال) ابو عبد الله محمد بن جابر المغربى نزيل حلب المحروسة

قسم القلب فى الغرام بلحظ * يضرب القلب حين يرسل سهمه
هذه فى هواه ياقوم حالى * ضاع قلبى ما بين ضرب وقسمه

(وقال) شيخنا عز الدين الموصلى

نسبة قلبى للهوى قسمت * فكرى وكم للعين من ضربه
ضاع حسابى ولقيت الاسى * بالضرب والقسمة والنسبه

(وقال) الصلاح الصفدى

عملت مع الزمان حساب بعدى * وسقت الاصل من يوم الفراق
وكنت أظننى غلطت قسطى * فقد طلعت على له بواقى

(وأنشدنى) فخر الدين بن مكانس لنفسه مضمنا

عملت مالى ارتفاع ستة غلط * الحاصل راح فى مضمونه مالى
وكلما لمت من عزم ومن نكد * من غفلتى وتوالى سوء أعمالى

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه فى نكبة حصلت له وأجاد

وماتعلقت فى السرياق متنكسا * بجرمة أوجبت تعذيب ناسوتى
لكننى مذ نفثت السحر من كلى * عذبت تعذيب هاروت وماروت

(وقال) المعمارى

ولى رفيق جهول * خالى من الآداب
أقول لما أراه * فى جملة الكتاب
سبحان رازق هذا * رزقا بغير حساب

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

لفلان فى الديوان صورة حاضر * وكأنه من جملة الغياب
لم يدر ما مخرومه وجريده * سبحان رازقه بغير حساب

(وأنشدنى) الشيخ المحدث الفصيح البارع الرحال غرس الدين خليل الاقفهسى لابن حربى المغربى

ياناصبا علم الحساب حبالة * لقناص ظبى ساحر الالباب
ان كنت ترزق بالحساب وصاله * فالله يرزقنا بغير حساب

وما أظرف قول حسام الدين الحاجرى

صح حساب السحر من طرفه * اذ كان فى جفنيه جمع الكسور

(وقال) ابراهيم المعمار ولطف

ومليح قال صفنى * لازداد سرورا
كم حوى جفنى معنى * قلت ألفا وكسورا

(وقال) التقى السروجى

خدمت بذاك الوجه للثغر ناظرا * لعلى أمسى واليا من ولاته
وأصل حسابى ضبط حاصل وصله * وتقبيله مستخرج من جهاته

(وقال) برهان الدين القيراطى

خدمت بالاغزال أبوابه * لما تبدى حسنا الباهر
ولى من الدمع على خدمتى * جراية أطلقها الناظر

(وقال) ابراهيم المعمار

لمولانا الوزير ندى بأس * واحسان به سمحت حياتى
فيرضينا بألفاظ وكذب * محالات على كل الجهات

(وظرف) ابن الوردي في قوله

وكنت اذا رأيت ولو عجوزا * تبادر بالقيام على الحراره
فأضحى لايقوم لبدر تم * كأن النحس قد أعطى الوزاره

(الباب السابع والثلاثون في كاتب الانشاء وهو فصلان)

(الفصل الاول) فيما يحتاج اليه كاتب الانشاء من الاخلاق والادوات والآلات

(الفصل الثاني) في اعيان كتاب الانشاء قديما وحديثا ونبذة مما لهم من المكاتبات

(الفصل الاول) قال أبو حيان التوحيدي يجب على الكاتب ان يكون حافظا لكتاب الله تعالى لينتزع من آياته وأن يعرف كثيرا من السنة والاخبار والسير حافظا الكثير من الرسائل والكتب وان يكون متناسب الالفاظ متشاكل المعاني متشابه الخط ذكيا عارفا بما يحتاج اليه خبيرا بالحلي والشيات مضطلعا بالكتابة له يد في السواد وعمل في الحساب وان يكون له يد في عمل الشعر نظيف الثوب لطيف المركب ظريف الغلام انيق الدواة حاد السكين صقيل الكاغد صلب الاقلام متوددا الى الناس مخالطهم غير متكبر عليهم ولا منقبض منهم دمث الاخلاق رقيق الحواشي ترف الاطراف عذب السجايا حسن المحاضره مليح النادره غير قنف ولا متعجرف ولا متكلف للالفاظ الغريبه ولا متعسفا للغة الغويصه انتهى كلام أبي حيان (وقال) ابو الحسين محمد بن أحمد أظنه قدامة منزلة الكاتب التي يستحق بها أن يكون كاتبا في قوله وفعله ومحاورته وفطنته وجاهه وأن يكون مطبوعا على المعرفة محنكا بالتجربه عالما بحلال الكتاب والسنة وحرامهما ومتشابههما وناسخهما ومنسوخهما وبالازمنة والادوار في اختلافها وتعاقبها وبالملوك في سيرها واقدارها وبالخطوط وانسابها واقلامها في تصاريفه وجهاتها وبوادي الكلام ومقاطعه في فواتح الوصف وخواتم الوقف وفصول التمام ورسوم الكتب واقدار الرجال وتأليف الاوصاف ومشاكلة الاستعارة واثبات المعنى بشكله من القول والعلم بالنظائر والاشباه والتثبت بالشواهد والامثال حتى ينصب البيان أشخاصا ماثلة ويقيم للقول صورا ناطقة تنبئ عن احواله وتدل على منازل امع الخلق باخلاق الدين والتحلي بحلية الكرم واثبات محاسن

الامور والاجمال فى الصبر والطلاقة ولبسة اللب والوفاء واجتناب الدنايا والنقائص فى الشره والارتشاء والقلق والضجر والمخفة والسفه (وقال) محمد ابن ايوب بن سليمان عميد الرؤساء وابوطالب وزير للقائم حال كونه اولى عهد كان مترسلا بليغا متفننا صنف كتابا فى الخارج وهو القائل الكتاب سبعة أولهم الكامل الذى ينشئ ويملى ويكتب الثانى الاعزل وهو الذى ينشئ ويملى وخطه ردىء الثالث المبهم الذى يكتب خطا مليحا ولا يدله فى الانشاء الرابع الرقاعى يجيد رقعة يكتبها ولا حظ له فى التطويل الخامس المختل وهو الذى له حفظ ورواية ويعجز عن الانشاء فهذا نديم السادس المخلط وهو الذى يأتى بالدرة والبعرة ويقرن بينهما السابع السكيت شبه بالمتأخر فى الجلبة فربما جهد نفسه وأتى بمعنى توفى سنة ثمان واربعين وستمائة (وقال) الشيخ الامام سيد كتاب الانشاء شهاب الدين ابو العباس احمد بن فضل الله العمرى فى كتابه الذى سماه مسالك الابصار فى ممالك الامصار ان كتابة الانشاء كانت فى المشرق خلافة فى بنى العباس منوطة بالقدماء وربما انفرد بها رجل وذكر ابن عبدوس فى مواضع من كتابه من ديوان السر وديوان الترسل ثم كانت آخر وقت افردت واستقل بها كتاب لم يبلغوا مبلغ الوزارة وكان فى المشرق يسمى كاتب الانشاء ثم لما كثر عددهم سمى رئيسهم رئيس ديوان الانشاء ثم بقى يطلق عليه تارة صاحب ديوان الانشاء وتارة كاتب السر وهى الى الآن وعند ابنه وعند الناس أذل وكان فى دول السلاجقة وملوك الشرق يسمى ديوان الطغراوية وبه سمى مؤيد الدين الطغراى والطغراء هى الطرة وهى التى تكتب فوق البسملة بالقلم الغليظ تتضمن القاب الملك وهى لفظة أعجمية وكانت تقوم مقام خط السلطان بيده على المناشير والكتب ويستغنى بذلك عن أن يكون للسلطان علامة بخطه لكثرة وثوق الناس بصاحب هذه الرتبة وأهل المغرب يسمون رئيس ديوان الانشاء صاحب القلم الاعلى وأهل هذه الرتبة لم يزل لهم الاختصاص والقرب أكثر من كل عام وخاص تحتاج الامراء الى مداراتهم وتقصر الوزراء مع علو الرتبة فى الوزارة عن مباراتهم يحتفون بالملك اذا أرادوا على عدد الانفاس وهم معنى الدولة وعليهم عولة كل الناس وما كانت الملوك تكاتب الخلفاء ببغداد الاعلى هذا الديوان أعنى ديوان

الانشاء وكانت تسميه الديوان العزيز ولهذا كانت كتبهم تستفتح أدام الله أيام الديوان العزيز اشارة الى ديوان الانشاء وعليه كان يطلق هذا الاسم وله بهذا من الشرف ماله ومن الفخر ما يجر على السماء اذياله انتهى كلام القاضي شهاب الدين (وذكر الثعالبي) في كتابه لطائف المعارف ان ادريس عليه السلام أول من خط بالقلم وكان يوسف عليه السلام يكتب لعزيز مصر وكان هرون ويوشع يكتبان لموسى عليهما السلام وكان سليمان يكتب لابيه داود عليهما السلام وكان آصف يكتب لسليمان عليه السلام (وروى) ان النبي صلى الله عليه استكتب عبد الله بن الارقم وكان يجيب عنه للملوك واستكتب أيضا زيد بن ثابت وكان يكتب الوحي ويكتب الملوك وكان اذا غاب عبد الله بن الارقم وزيد بن ثابت واحتاج ان يكتب الى أمراء الاجناد والملوك أو يكتب لانسان بقطيعة أمر من حضر أن يكتب وكتب له عمر وعثمان وعلي والمغيرة بن شعبة ومعاوية بن أبي سفيان وخالد بن سعيد بن العاص وعبد الله بن سعيد بن أبي سرح وحنظلة بن الربيع (آداب الكتابة) روى عن الشعبي انه قال كتب النبي صلى الله عليه وسلم أربعة كتب أولها باسمك اللهم ونزلت سورة هود وفيها بسم الله مجراها ومرساها فكتب بسم الله ثم نزلت سورة بني اسرائيل وفيها قل ادعوا الله أو ادعوا الرحمن فكتب بسم الله الرحمن ثم نزلت سورة النمل وفيها انه من سليمان وانه بسم الله الرحمن الرحيم فكتبها (وروى) ان فصل الخطاب الذي أعطي داود أما بعد وروى ان أول من قالها كعب بن لؤي وهو أول من سمى يوم الجمعة وكان زيد بن ثابت يكره أن يكتب بسم الله ليس لها سين وكان اذا رآها بغير سين محاها وروى ان عمر بن الخطاب رضي الله عنه ضرب عمرو بن العاص لما كتب اليه بغير سين وقيل له فيما ضربك فقال ضربني في سين وعن جابر بن عبد الله عن النبي صلى الله عليه وسلم انه قال اذا كتب أحدكم فليتربه فان التراب مبارك وهو أنجح للحاجة وروى عنه عليه الصلاة والسلام انه كتب كتابين الى قريتين فاترب احدهما ولم يترب الآخر فأسلمت القرية التي أترب كتابها وقال الحسن بن وهب كاتب رئيسك بما يستحق ومن دونك بما يستوجب وكاتب صديقك كما تكاتب حبيبك فان غزل المودة أرق من غزل الصبابة قال الوداعي في تذكرته ان القاضي تاج الدين بن بنت

الاعز رحمه الله كان اذا كتب كتابا بدأ في ترميله بالبسملة لتعم بركتها سائر الكتاب وانه يخزن ذلك الرمل ويحتفظ به ولا يرميه في الارض وقال بزرجمهر من لم يختم كتابه فقد استخف بصاحبه واذا كتبت فاعد النظر فيه فانما تختم على عقلك وعن عبدالله بن عباس رضي الله عنهما في قوله تعالى اني ألقي الي كتاب كريم قال مختوم وفض الكتاب اذا كسر ختمه ومعنى الفض في اللغة التفريق والكسر ومنه لا يفضض الله فاك (العنوان) فيه خمس لغات أفصحها عنوان ويقال علوان وعينان وعنيان وجمع عنوان عناوين وجمع علوان علاوين والعنوان الاثر وهو أثر الكتاب ممن هو والى من هو وصحوا بأشمط عنوان السجود به والقلم لا يقال له قلم الا اذا بري والا فهو أنبوبة (ومن أحسن ما قيل فيه قول السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي نقلته كذا من خط الوداعي

قوله صحوا الخ هكذا في الاصل

تمشي البراعة والمداد وراها * ظل على شمس الطروس يروع
عوض المعاني لو يلوح لمسلم * هذا المعاني راح وهو صريع
لو لم تكن ألفاظه خطية * ما راح سرب اللفظ وهو منيع
ألفاظه رقت بوجنة طرسه * فكأنهن وقد جرين دموع
قلم مسجي الخطاب انطقه * في المهد من يمناه وهو رضيع
وغدا كليما وقد ضاهى العصا * فغدا يروق بفعله ويروع
باللفظ حاكته الشموس وبالضيا * حاكته في حال المداد شموع
قد لازم القرطاس وهو منور * والطل يروي الروض وهو مريع
نور ونور خطه وكلامه * هذا يضيء به وذاك يضوع

(وله أيضا رحمه الله تعالى)

لعيناه ذو طرف كحيل اذا بكى * تبسم ثغر الخط من دمعه عجبا
وقد راح مشقوق اللسان متى جرى * بثغر الدوي اللعس أبدى اللما عذبا
واونه في سنه سم أرقم * اذا ما انثنى في الرقم من جيده جنبا
فطورا خطيب والسواد شعاره * اذا ما علا اعواد كف جلا الخطبا
وحقر فعل الخط بين كاتب * تلاقت اذا ما خط في يده الكتبا
محكم السمر قد أحمت البيض [illegible] * [illegible]

(وقال) الشيخ الامام مجد الدين الروذراورى عبد المجيد بن أبي الفرج الهمداني الفقيه الشاعر المفتي مولده سنة تسع وتسعين وخمسمائة وتوفي بدمشق سنة سبع وستين وستمائة من نظامه في وصف القلم من قصيدة مدح بها الوزير القمي مؤيد الدين وزير الدولتين الناصر والمستنصر كذا نقلته من خط محيي الدين ابن عبد الظاهر من كتابه المسمى بالنجوم الدريه في الشعراء العصريه

لك من نبات الماء أصفر للعدا * من رأسه المسود موت أحمر
خجل القنا من فعله حتى غدا * مثل النساء يرى عليه المعجر
يصفونه وردا العلا ووروده * أبدا كعيش الحاسدين مكدر
ظلمات نفس خاضها برويه * من ماء الحياة كأنه الاسكندر
متقيد يعدو وينطق ساكتا * متحكم في الدهر وهو مسخر
باراكعا الدبس السواد وساجدا * يتلو بني العباس وهو مزنر
قد حز رأسك واللسان لبثه * سر العلا وأسود منك المنظر
هب ان جسمك من جوالك نحوله * أو ان لونك للمخافة أصفر
مركوبك البحر الجواد وماله * من كبوة تلقى لماذا تعثر

(أنشدني) من لفظه لنفسه سيدي وأخي تقي الدين بن حجة الحموي

له يراع سعيد في تقلبه * ان خط خطا أطاعته المقادير
بحبر وبحر العلوم اذا * جرى يرى منه تحرير وتحبير
غصن عليه طيور العلم عاكفة * وجانس النور من أوراقه النور
واشقر يده البيضاء غرته * له الى الرزق فوق الطرس تيسير
بل اسمر عينه السوداء لحظتنا * وهدب أجفانها تلك التشاعير
أو سهم علم باطراف السطور غدا * مريشا وله في الفضل تأثير
كذا محابره سود العيون فان * دانت أياديه قلنا الاعين الحور

(ومن وقف) على رسالة السيف والقلم للشيخ جمال الدين بن نباتة رأى من هذه المعاني العجائب ولولا اطالتها لاثبتها في هذا الباب ولقد ظرف الى الغاية شمس الدين الواسطي حيث قال

مازال يقلبه لهيب النار * اذ صير جسمه خيال الساري
الله بقلبه فما يعلمها * قاساه الواسطي الا الباري

وقد فتحت فاها فقالت وقصرت * فأما استقالت فهى فى ذاك تعذر
فلا زلتم أهل الكمال وجبركم * لذى النقص مثلى منه حظ موفر
بدكم الاقلام يضحك سنها * بحق وأفواه الدوى تحطر

(قال) بعض الفضلاء اذا أردت ان تضمن كتابا سرا فخذ لبنا حليبا واكتب به فى القرطاس فاذا أراد قراءته المكتوب اليه فليذر عليه رماد القراطيس سخنا فانه يظهر ما كتب وان شئت كتبت بماء الزاج الابيض فاذا وصل الى المكاتب فليمر عليه شيأ من ماء العفص وان شئت بالعكس وان شئت أن يقرأ ليلا ولا يقرأ نهارا فاكتبه بمرارة السلحفاة (قال) الشيخ شهاب الدين بن العطار فيما يكتب على الدواة

انا دواة يضحك الجود من بكاء * يراعى جل من قد براه
دلوا على جودى من شفه * دا من الفقر فانى دواه

(وأنشدنى) شمس الدين الجراثحى لنفسه

انا دواة كبحر جود * فى الفضل قل للسخى منى
فلو غدا كفه سحابا * عند العطا يستمدمنى

(وقال) ضياء الدين المناوى يصف حبرا

وعندى حبر ودت العين لونه * سوادا وترضاه الحسان خضابا
غدا ساثلا من فرط سقم ورقة * وأصبح للسمر الرقاق رضابا
كانى لما بت أشكو صبابتى * الى الليل بالاشواق رق وذابا

(وكتب) الشيخ برهان الدين القيراطى صحبة حبر أهداه

ليراعكم أهديت انسان النظر * وشباب طرس شاب من فرط الكبر
أرسلته عبدا دعوه عنبرا * اذا فاح طيب نشره بين البشر
أقلامه أخذته حال كتابة * سبحا والقته على طرس درر
ويود مرسله الى أبوابكم * لو زاد فيه سواد قلب أو بصر
ليل وان أبدى لنا ألفاظكم * فى صبح طرس أبيض قالوا سحر

(وأنشدنى) المرحوم فخر الدين بن مكانس

لداود الرئيس الحبر فضل * وأنس عم ابناء الوجود
أتانا منه حبر فابتهلنا * وقلنا انعم أحبار اليهود

(وقال) ابن الوردى فيمن انقلب حبر على ثوبه

انقلب الحبر على * ثوبك فأبشرت بالارب
فخير كل كاتب * ربح اذا هو انقلب

(وأنشدنى) القاضى أمين الدين محمد الانصارى صاحب ديوان الانشاء بالشام لنفسه فى لوح الموقعين المرصد للصاق الاوصال على لسانه

قطعونى وكنت منبر مجيع * طالما فى الرياض أسبغت ظلا
فبكسرى جبرت بين الموالى * و بقطعى جعلت للوصل أهلا

(وفيه له أيضا)

طرحوها كأنهم * ليس يدرون فضلها
وهى من أصل دوحة * أسبغ الله ظلها

(ابن نباتة) وكتبها على مرملة

عملت لمن جود اقلامه * ربيع ومنطقه بارع
اذا طالع الخط رملته * فيا حبذا الرمل والطالع

(وقال) السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى مجاوبا لمن كاتبه فى ورقة زرقا

أرسلت زهر الروضة الغناء * فى مثلها من رقعة زرقاء
فكأنها من أديم سمائنا * قدت وفيها أنجم الجوزاء
زرق جلاد رالقريض بحسنه * كالوسم يجلو مبسم الليلاء
أو مثل منعطف الخليج وقد صفا * فتمثلت أزهاره فى الماء

(وله)

أنت أرسلت بالكتاب سما * تبرز الشهب قبل وقت الزوال
فيه كل نقطة مثل نجم * وبه كل جزمة كهلال

(وله)

كلمات لضحكها قد بكى الدر * وهل مضحك ربكا اليتيم
حسد المسك نقسه فغدا * اسود ذا دفره يجد لطيم

(وله)

وذى مقول يخفى الكلام فان رقى * الى اذن قرطاس ففيها يحدث

عقود بلاسلك يحر طروسه * ولاعقد في بحره وهو ينفث

(وقال)

جادت رياض الطرس سحب يراعه * لما صدرن من النهى عن أبحر

فكست غصون طروسه ورقابها * اكمام لفظ بالمعانى مثمر

(وقال) أبو الفتح محمد بن قادوس الدمياطى

مداده في الطرس لما بدا * قبله الطرس ومن يزهد

كأنما قد حل فيه اللما * وذاب فيه الحجر الاسود

(الفصل الثانى) في أعيان كتاب الانشاء قديما وحديثا ونبذة مما لهم من المكاتبات *(عبد الحميد بن يحيى)* كان يقول لو كان الوحى ينزل على أحد بعد الانبياء لنزل على بلغاء الكتاب وذكر البلاغة فقال هي ما رضيته الخاصة وفهمته العامة (اسماعيل بن صبيح) كاتب الرشيد لم يسمع في الجمع بين الشكر والاستزارة أحسن وادمج مما كتب به الى يحيى بن خالد في شكر ما تقدم من احسانك شاغل عن استبطاء ما تأخر منه (عمرو بن مسعدة) كاتب المأمون وكان يقول قليل دائم خير من كثير منقطع وكتب الى المأمون كتابي هذا وفي قبلي من أجناد أمير المؤمنين وقواده في الطاعة والانقياد على أحسن ما يكون عليه طاعة جند تأخرت أرزاقهم واختلت أحوالهم فقال المأمون لاحمد بن يوسف لله در عمرو ما أبلغه الا ترى الى ادماجه المسألة في الاجناد واعفائه سلطانه من الاكثار (ابراهيم بن العباس الصولى) كاتب المعتصم والواثق والمتوكل كان يقول المتصفح للكتاب أبصر بمواقع الخلل فيه من منشئه (الحسن بن وهب) سئل عن مبيته فقال سريت البارحة على عقد الثريا ونطاق الجوزاء فلما تنبه الصبح نمت ولم أستيقظ الا بلبس قميص الشمس ومدح صديقا له فقال خلق كما يشتهى اخوانه ووصف مغنيا فقال كأنه خلق من كل قلب فهو يغنى بكل ما يشتهيه *(احمد بن سليمان)* أحسن الكلام ما لا تمجه الآذان ولا تتعب فيه الاذهان *(بديع الزمان الهمدانى)* من انشائه الحمد لله الذى يمضى القار ويحماه الوقار وعسى الله ان يغسل الفؤاد كما غسل السواد (وله) قد يوحش اللفظ وكله ود ويكره الشئ وليس منه بد هذه العرب تقول لا ابا لك ولا يقصدون الذم وويل أمه للامر اذا أهم وسبيل أولى الالباب في هذا الباب ان ينظر في القول الى

قائله فان كان وليا فهو المولى وان كان خشن وان كان عدوا فهو المبدلي وان حسن (من انشاء أبي القاسم) على بن الحسين المعروف بالمغربي * ووصلت الرقعة فاستخفت النسيم المعذب بالاضافة الى لطافتها واستقلت محل عقود اللؤلؤ بالقياس الى نخفة مرقعها (وله) وكتب هذه الاحرف وقد أطل البلاد ثلج ذكرني قول الصنوبري وردالربيع مورد مبيض ولوردفي كانون أبيض الا انه انتقل الى ضد طباعه معي واستأنس الى عكس خلقه فانه مع برده أحدث لي شوقا الى سيدنا ألهب جوانحي وصبابة نحوه أضرمت جوارحي حتى عاد بياضه في عيني سوادا التذكره وسقياه ظمأ برحا قلبي بتصوره على ان قلبي مزحوم من جهته بما يزدحم فيه من كآبة جفائه وصبابة بعده ونائه (وله) وعرفت في هواجس الفكر ووسواس الذكر حتى نسيتكم من شدة الذكر واقيتكم من حدة التصور وحتى عدت كأني أجد في عيني معاني تقبيل ذلك الوجه الناضر وفي عيني لمعان سنا ذلك الجمال الباهر والله تعالى أسأل ان يسقط بيننا في تشاكي ألم الفراق اسناد القلم بمشافهة الفم للفم (القاسم) الحريري قال الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه نصرة الثائر على المثل السائر سمعت الشيخ شهاب الدين محمود حين قرأت المقامات عليه يحكي عن القاضي الفاضل انه أراد معارضتها ووضع ثلاث عشرة مقامة عارض كل فصل فيها بمثله حتى جاء الى قوله أعني الحريري في المقامة الثالثة عشرة اعلموا يا مآل الامل وثمال الارامل اني من سروات القبائل وسريات العقائل لم يزل أهلي وبعلي يحلون الصدر ويسيرون القلب ويمطون الظهر ويولون اليد فلما أردى الدهر الاعضاد وفجع بالجوارح الاكباد وانقلب ظهر البطن نبأ الناظر وجفا الحاجب وذهبت العين وفقدت الراحة وصلد الزند ووهنت اليمين وضاع اليسار وبانت المرافق ولم يبق لنا ثنية ولا ناب فمذ اغبر العيش الاخضر وازور المحبوب الاصفر اسود يومي الابيض وابيض فؤادي الاسود حتى رثى لي العدو الازرق فحبذا الموت الاحمر فقال القاضي الفاضل من أين يأتي الانسان بفصل يعارض هذا ثم انه قطع ما عمله من المقامات ولم يظهرها أو كما قال وناهيك بمن يقول مثل القاضي الفاضل في حقه مثل هذا ويعترف له بالعجز واما انا فكلما قرأت هذا الفصل أجد له نشوة ولا نشوة الراح وبهجة ولا بهجة الساري بضوء الصباح (أبو الحسن بن

بسام) عارض اذا سمع استوسلت البحار ونجم اذا طلع تضالت الشموس والاقمار وسائق لا يسمع وجهه الا بهيادب الغيوم وصارم لا يحلى غمده الا بافراد النجوم (القاضى السعيد) هبة الله بن سنا الملك وان للشوق بحرا وقلبه والله الغريق بامواجه وجرا وصدره المظلم بسراجه واقل يد للهموم عنده انها احلته فى عنفوان الشباب بحلية الاشيب وجعلته سادجا من الشعر الاسود وان كان فى وسط العمر المذهب كما قال أبو عبادة ذهبية الصبوات من اعوامه (وله) فالاسلام من طلقاته والكفر يجاهد ولكن باتقائه وسيوفه تحسن فى الاجسام البسط وفى الارواح القبض ورماحه تكاد لطولها تمسك السماء ان تقع على الارض (وله) لا جمع الله عليك المصيبتين فراق الاحباب وفراق الثواب ورزقك من الاعانة على ما تعانيه ما يفضل عنك الى ان تخلعه على وترسله الى (وله) وازهد فى دنيا تبنت الحمام وتحصد الاجسام وتقصف أغصان الاشباح وتقطف ازهار الارواح واذهل عن الذهول وأحسن ضيافة النصح بالقبول

واذا رأيت جنازة محمولة * فاعلم بأنك بعدها محمول

وكيف لا يحمل المملوك تلك الاشواق وهى تقربه من المولى بالتخيل اذا أبعدته الايام و يمثل له المقام الكريم فيقابله كل ساعة بالسجود و يشافهه بالسلام ويرفع ناظره فلولا نظرة اليه لكانت عينه مطرقة وستور أهدابه مسبلة وأبواب جفونه مغلقة ولولا اشتغالها بطالعة طلعته لانتهبت من دموعها عيناه محرقة فهو منها فى نار وجنة مغلول بغله مطوق بمنه (وله) ولقد أنساه فراق المولى حروف المعجم فما يعرف منها حرفا وعاقب خاطره الذى كفر بالبلادة فأسقط عليه من سمائه كسفا شوقا ما خطر مثله على قلب بشر ودمع ما مر على بصر الا ومر بالبصر ولسان لا ينفك من الدعاء على يوم الفراق ومن دعاء على ظالمه فقد انتصر ضياء الدين بن الاثير الجزرى ودولته هى الضاحكة وان كان نسبها الى العباس وهى خير دولة أخرجت للدهر ورعاياها خير أمة أخرجت للناس ولم يجعل شعارها من لون الشباب الا تفاؤلا بأنها لا تهرم وانها لا تزال محبوة من أبكار السعادة بالوصل الذى لا يصرم (وله) يصعب بناء مرتفعا اذا أضرم برأسه قبس ظنه المتامل نجما واذا استدار عليه قوس السماء كان فى كبده سهما (وله) فى القلم فهو المقيم بالجواد المضمر واذا أخذت السوابق

فى احضارها بالغ الغاية وما أحضر وله لون يحقق فيه القول النبوى لو جمعت الخيل فى صعيد واحد لسبقها أشقر فان الاشواق عن الحمام خليفه واذا كانت حركة الفلك شوقية فما الظن بالقلوب الضعيفه (القاضى) محيى الدين بن عبد الظاهر يصف بطيخا حلبيا أهدى اليه فشاهدناه وكأنما جمع من زهر الاقاح وكأن كل واحد منه قنديل وعروقه فتيلة الاصباح وكأن كبراه بطن خميص كم له من مجموع اللب حنين وكأن صغراه رأس كم منها ان فصلت جبين يقسم كل رأس منه رئيس من الاناسى وقصر أعيانه فى الاستحسان عليه فما يقول الا وحق راسى (ومن انشائه) نعلمه بفتوحات استطعم الايمان حلاوتها من أطراف المران واستنطق الاسلام عبارتها من ألسنة الخرصان ذلك بفتح حصن الاكراد الذى كان فى حلق البلاد الشامية غصه لم تسمع بمياه السيوف المجرده وشجن صدورها لم تقاومه أدوية العزائم المفرده طالما أكسب البلاد عاورها وطالما استعارى من أخلاق الامصار حلبا (ومن انشائه) بكتاب يأمر فيه بابطال الحشيش بعد الخمر يعلم ان المنكرات التى أمرنا أن تملأ الصحائف بأجرها ونفرغ الصحاف وان لا يخلو بيت من بيوتها من كسر أو زحاف قد بلغنا الآن انها اختضرت وان كلمة الشيطان بالتعويض عنها قد نصرت وان أم الخبائث ما عقمت والجماعة التى كانت ترضع ثدى الكأس قد أرتعت بعد ما فطمت وانها فى النشأة ما حيت ابليس مسعاها وانها لما أحرج المنع عنها ماءها من الخمر أخرج لها من الحشيش مرعاها وانها استراحت من الخمار واستغنت بما تشتريه بدرهم عما كانت تبتاعه من الخمر بدينار وان ذلك فشا فى كثير من الناس وعرف فى عيونهم ما يعرف من الاحمرار فى الكأس وصاروا كأنهم خشب مسندة سكرى واذا مشوا يقدمون لفساد أذهانهم رجلا ويؤخرون أخرى ونحن نأمر أن تجتث أصولها وتقتلع ويؤدب غارسها حتى يحصد الندامة مما زرع وتطهر منها المساجد والجوامع ويشهر مستعملها فى المحافل والمجامع حتى تنتبه العيون من هذا الوسن وحتى لا تشتهى بعدها خضرا ولا خضراء الدمن (ومن انشائه) من كتاب الى الفرنج وقد أخذت شوانى السلطان وخيولهم الركب ومراكبنا الخيول وفرق من يجريها كالبحار وبين من يقف به فى الوحول وبين من يتصيد بالصقور من الخيل العراب وبين من اذا افتخر قال

تصيدت بغراب فائن أخذتم لنا قرية مكسوره فكم أخذنا لكم قرية معموره وقد قال الملك وقلنا والله أعلم ان قولنا هو الصحيح واتكلنا واتكل وأين من توكل على الله وسيفه ممن اتكل على الريح (وله) وأما فلان فانه شمر الذيل وامتطى هربا أشهب الصباح وأحمر الشفق وأصفر الاصيل وأدهم الليل (وله) فكم شاهدنا من قتلاهم كل مهيب الهامه حسن الوسامه قد فض الرمح فاه فقرع السن على الحقيقة ندامه (وله) من منشور كتبه للامير جمال الدين المحمدى عند اخراجه من الاعتقال أوله الحمد لله الذى أظهر جمال الدين المحمدى (وله) من منشور كتبه لبيسرى عن السلطان المنصور وجرينا فى الاحسان اليه على القياس وان كان من أكابر أصحاب الظاهر (ومن انشائه) يقبل اليد التى لو تجسدت القبل فيها لنظمت سبحا ولو أثرت فيها كأثير الوضوء كانت حجولا ووضحا ولا برحت القبل التى قبلتها ساجده والافواه الى مسرعتها وارده حتى يقال والمباسم يقبلها أحباب فى حياض أم زهر فى رياض وبروق فى غمام أم درر فى بحر طام (ومن) انشاء قوام الدين بن زياده يهنئ الوزير البلدى *وأفاض عليه من صنوف تشريفاته خلعا خلع بها قلوب الاعادى من أعماق الصدور وطلع فيها من آفاق البدور كأنما أنشئت من عيون عين الصريم وغزلانه أو غشيت بعصر الشباب وريعانه فألبسها من حلاه سربال الجلال وجرها على المجرة أذيال الاختيال وقلده سيفا عقد النصر بلوائه وتعلم المضاء من آرائه أهدى فى قلوب العدى من الاوجال لا ينصل نصله من خضاب القراب ولا يغمد الا فى قراب الرقاب وأمضاه صهوة صافن أسرع من تأدية الاسماع الى الافهام وأوحى من مضاحكة البرق خلال سجف الغمام يسبق مطارح نظره بمواقع حافره ويهدى ظلال ظله بأهلة أثره يشكل رأيه فيه اذا تدرع فى شوطه واشتد أمارق ردىء أم طرف يرتد كأن بركة سهم وسنبكه وهم أو يحف بقوادم شهاب أو عنده علم من الكتاب ولاطفه بدواه وهى دوام العدم واداة النعم ومنبع الكرم ومرتع أرزاق الامم يستشف لآلئ الاداء من قرارها ويصفق أمواج الحكمة والبلاغة من أقطار ثناءها تكشف براعا يردع كل روع ويقبع أمره كل متبوع قد جل من اعباء الخلافة عظيما وحمى الاسد رضيعا والملك فطيما يصوب بكرم الغيوث الغوادى ويصول

بقرم الليوث العوادى

يمحو ويثبت أرزاق العباد بها * فما المقادير الا ما تحاو دها

(من انشاء) الصدر عز الدين بن سينا من بشارة للديوان العزيز بكسر عساكر الفرنج من عكا عن السلطان الملك الصالح نجم الدين أيوب فى سنة اثنين وأربعين وستمائة * فلا روضة الا الدرع ولا جدول الا الحسام ولا غمامة الا النقع ولا وبل الا السهام ولا مدامة الا الدما ولا نغم الا الصهيل ولا معربد الا قاتل ولا سكران الا قتيل حتى أنبت كافور الرمال شقيقا واستحال بلور الحصباء عقيقا وازدحمت الجنائب فى الفضا فجعلته مضيقا وضرب النقع فى السماء طريقا وعاد الفارس بالدماء غريقا

وضاقت الارض حتى كاد هاربهم * اذا رأى غير شئ ظنه رجلا

(ومن انشاء القاضى تاج الدين بن الاثير) * والمنجنيقات تفوق اليهم سهام قسيها وتخيل اليهم انها ساعية اليهم بحبالها وعصيها وهى فى الحصون من ألد الخصوم واذا أمت حصنا حكم بأنه ليس بامام معصوم ومتى اشترى خاق فى آلات الفتوح لم يكن فيها أحد من الممترين واذا نزلت بساحة قوم فساء صباح المنذرين تدعى الى الوغى فتكلم وما أقيمت صلاة حرب عند حصن الا كان ذلك الحصن ممن يسجد ويسلم (ومن انشاء) سيد كتاب الانشاء وامام البلغاء القاضى الفاضل عبد الرحيم بن على البيسانى * فقم عنا بهذه الفريضه وطر فى تلك المضار ورفه قوادمنا المهيضه وأدر وعلينا ان نشرب وقل وعلينا ان نطرب وانفرد بالحرب وعلينا النظاره وأعطنا السلب وباشر أنت الغاره وأنفذ الينا كل يوم من أقصة يوسف قميصا ولكن قميص البشاره (وله) من شفاعة وعلى المذكور ديون كثيرة والدين عثرة الصراط والقبر على المطلوب سم الخياط فان رأى مولانا ان ينظر اليه بما يفك أسره ويغنى فقره فهناك الاطلاق بالحقيقة أو الاسر والغنى بعد العرض على الله أو الفقر فبهذا عرفتم يا أهل المعروف من آل أيوب وكذا كان يوسفكم رحمه الله يقضى كل حاجة فى نفس يعقوب (وله) والجو يتنفس عن صدر محرور كصدر المهجور والبحر وصاليه فى نحو هذه الطرق جار ومجرور والهامه قد سرفها ملأ السراب وزخرفها بحرماء ولد لغير رشده وعلى غير فراش السحاب وحر الرمل قد منع حث

الرمل ونحن فى اكثر من جموع صفين الا انا نخاف وقعة الجمل ووردنا ماء هذه العيون وهو كماء المحابر يعترف منه المجرم مثل عمله ويرسله سهما فلا يخطئ ثغرة مقتله وهو مع هذا قليل كأنه جادت به الآماق فى ساحات النفاق لا فى ساعات الفراق فياله من ماء لا تتميز أوصافه من التراب ولا يرتفع به فرض التيمم كما لا يرتفع بالسراب ولا يعدو ما وصف به أهل الجحيم فى قوله وان يستغيثوا يغاثوا بماء كالمهل يشوى الوجوه بئس الشراب فنحن حوله كالعوائد حول المريض يعلون عليلا لا يرد الجواب بل يندبون ميتا قد حال بينهم و بينه التراب يجهز للدفن ونعشه المراد ويحفر عليه ليقوم من قبره وذلك خلاف المعتاد وفى غير من قدورات الارض فاطمع على انه لو كان دمعا لما بل الاجفان ولو كان مالا لما رفع كفة الميزان وان امرؤ روحه فى جلد غيره وهو المراد وخصمه من غير جنسه وهو النار التى فى غير الزناد لجدير أن يغرى به اغراؤه وان يلام على مفارقة الاحبة و يقال هذا جزاؤه (وله) الى أن ترد كتب العسكر وأعلامها من مدات ألفاته ورؤس العدى قطعات همزاته والايام التى لا أشاهد فيها الوجه لا أحسبها من العمر والايام التى لا يصل فيها ركابه لا أحسبها من الدهر ولا يختصر على عمرى ولا يغالطنى فى حساب دهرى (وله) وقد أحسنت الحضرة فى بشراى بكتابة فى كتابها فقد طالع طيفا للحبيب الزوار ونجما للفجر لا أقول القرار وعليه أبقاه الله سلام أنور مما بعد الفجر وأشرق مما تحت الخمار وأجلب للسرور مما قبل الخمار (وله) ذكر الله ذلك العهد بخير ما ذكرت العهود ولعن الله الفرنج المحدقين وقتل أصحاب الاخدود فقد قطعوا طرقات المسار وأطالوا عمر الأبكار وسبكت نار مقاساتهم الدينار فجعل الله أعلام الكافرين لمن عقبى الدار (وله) وظننا أننا به بل بدعائه قد دخلنا الجنة لما نلناه من خيرها الذى هو لذة للشاربين وانا خالطنا أهلها فأشخاص المعانى من الحروف على سرر متقابلين ووثقنا بان لنا منه الدعا الذى نأوى منه الى كنز عتيد والرأى الذى أنزله الله هو والحديد يدفع بهما بأس شديد (وله) رب انى لا أملك الا نفسى وها هى فى سبيلك مبذوله وأخى وقد هاجر اليك هجرة نرجوها مقبوله وولدى وقد بذلت لعدوك صفحات وجوههم وها أنا على مصبوبك مكروه فيهم ومكروههم ونقف عندهذا الحد

ولله الامر من قبل ومن بعد فيا عصبة محمد عليه السلام أخلفه على أمته بما تطمئن منه مضاجعه ووفه الحق فينا فأنا والمسلمون عندك ودائعه (وله) ودعا المسلمون برؤس عدوهم في رؤس القنا وقد اجتنوا ثمراتها ورواحهم في صدور الظباء قد أطفؤا بماء ثها جراتها فأنبتت سنابك الخيل سماء من العجاج نجومها الاسنة وطارت اليهم عقبان من الخيول قوادمها القوائم ومخالبها الاعنه وتصوبت عيون السمر الى قلوبهم كأنما تطلب سوادها وقصدت انهار السيوف اكبادهم فكأنما أرادت أن تروي جيادها ونصبت للملك خيمة حمراء كأنما وضع على الشرك عمادها وتولت حفظ اطنابها الرجال فكأنهم أوتادها (وله) وقد كان يقال ان الذهب الابريز لا يدخل عليه آفه وان يد الدهر البخيل عنه كآفه وأنتم يا بني أيوب أيديكم آفة نفائس الاموال كما أن سيوفكم آفة نفوس الابطال فلو ملكتم الدهر لامتطيتم اياليه اذاهم وقلدتم أيامه صوارم ووهبتم شموسه وبدوره دنانير ودراهم وأيام دولتكم أعراس وكأن ماتم فيها على الاموال ماتم والجود في أيديكم خاتم ونقش حاتم في نقش ذلك الخاتم (وله) وما أحسب الاقلام جعلت ساجدة الا لان طرسه محراب ولا أنها سميت نحيلة الاقبل ان نفث سيدنا في روعها رائع هذا الصواب ولا أنها اضطجعت في دويها الا ليبعثها ما ينفخ فيه من روحه من مرقدها ولا سودت رؤسها الا أنها أعلام عباسية تناولتها الحضرة بيدها لا جرم أنها تحمي الحمى وتسفك دما وتحقن دما وتتوشح بها يده عنانا ويرسلها فيعلم الفرسان ان في الكتاب فرسانا وتقوم الخطباء بما كتبت تعلم الاسنة أن في الايدي كما في الافواه اسانا ولقد عجبت من هذه الاقلام تخر السنتها قائمة فتنطق فصيحه وتجدع أنوفها بأفتخرج صحيحه وتجلى مليحة وما هي الا آية في يد سيدنا البيضاء موسومه وما مادتها في الفصاحة الاعلويه ولولا الغلو لقال علويه (وله) ففضه عن فضة مسها ذهب وفاوضه عن نارذكاء لولم يمازج جسمها ماء الطبع لبعثته أي لهب وتحدله كل متلهب القريحة وقصرت يده فان نواه قيل له تبت يدا أبي لهب وأغاريه على القلوب فويجع وهي بالاشواق محتويه الفضل ماخوذة السلب فكم فيه من فقرة قيل لها يا أخت خيراخ يابنت خيراب (وله) وأما الدرج التي وصفها ذلك البيان فأحيها بل أهداها الى الصدور فألجها فقد ملأت البلاد وكأنما نشر علمها

المولى غرضه ومرئى أن برد لك القضاء فضة فأرانى النجوم فى هذه السنة وقد ناصحت فى خصبها فنزلت بأنفسها وبرزت ظاهرة فى النهار بجوار بها وخنسها وأجدر بها أن تكون سنة بغسل وضر الكفر بصابون ثلجها وتثير العزمة الناصرية من هذه الرغوة صريع فلجها (وله) وبينا أنا من الخمول فى مهبط رمس اذ رفعنى التمويه الى مطلع شمس وبينا أنا أندب أفعال بنى الاصفر فى عسقلان وجفوة أبيهم يعنى الدينار لى فى مصر فأيرا فى الاوكان عليه من سكته عوذا تهامنى يعتصم وكأنما يصفر خوفا منى وهو الى الغير يبتسم اذ صرت أنفضه من بنان أبى الطيب من دنانير شمسه وربما أثقله بعد الضرب الى النقى لا الى اعتقال الكيس وحبسه (وله) وان ادعى سحر البيان أنه يقضى أيسر حقوقه ويثمر ما يجب من شكر فروعه وعروقه لكنت أفضح باطل سحره وأذيقه وبال أمره وأصاب الخواطر السحارة على جذوع الاقلام واعقد ألسنتها كما تعقد السحرة الالسنة عن الكلام (وله) وأشكو بعد قلبى جسمى فقد ضعفت قوته وقوى ضعفه ونسجت عليه همومى ثوبا دون الثياب وشعارا دون الشعار من الحرب الذى عادينى وبينه وأسقم يدى من جسمى واستخدمها تحرث أرضه ان لم يكن لاضه

(الباب الثامن والثلاثون فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان)

ذكر ابن بدرون فى شرحه لقصيدة ابن عبدون عند ذكر كسرى وبنائه للسور المذكور فى الباب السادس من هذا الكتاب ولما بنى كسرى هذا السور هادته الملوك وراسلته * فمنهم ملك الصين كتب اليه من يعقوب ملك الصين صاحب قصر الدر والجوهر الذى فى قصره نهران يسقيان العود والكافور والذى توجد رائحة قصره على فرسخين والذى تخدمه بنات ألف ملك والذى فى مربطه ألف فيل أبيض الى أخيه كسرى أنوشروان وأهدى اليه فارسا من در منضد عينا الفارس والفرس من ياقوت أحمر وقائم سيفه من الزمرد منضد بالجوهر وثوبا حريرا صينيا وفيه صورة الملك على ايوانه وعليه حليته وتاجه وعلى رأسه الخدام بأيديهم المذاب المصورة من ذهب تحمله جارية تغيب فى شعرها يتلألأ جمالها وغير ذلك مما تهديه الملوك الى أمثالها (وكتب) اليه

ملك الهند ومن ملك الهند وعظيم ملوك الشرق وصاحب قصر الذهب وابواب الياقوت والدر الى أخيه كسرى أنوشروان ملك فارس صاحب التاج والراية وأهدى اليه ألف من من عود يذوب فى النار كما يذوب الشمع ويختم عليه كما يختم على الشمع وجاما من الياقوت الاحمر فتح شبر مملوء من در وعشرة أمنان كافور كالفستق وأكبر من ذلك وجارية طولها سبعة أذرع تضرب أشفار عينيها الى وجنتيها كأن بين أجفانها لمعان البرق مع اتقان شكلها مقرونة الحاجبين لها ضفائر شعر تجرها وفراشا من جلود الحيات ألين من الحرير وأحسن من الوشى وكان كتابه فى لحاء الشجر المعروف بالكاذى مكتوب بالذهب الاحمر وهذا الشجر يكون بأرض الهند والصين وهو نوع من النبات عجيب ذو لون حسن وريح طيبة تتكاتب فيه ملوك الصين والهند (وكتب) اليه ملك التبت من ملك تبتنان ومشارق الارض المتاخمة للصين والهند الى أخيه المحمود السيرة والقدرة ملك المملكة المتوسطة الاقاليم السبعة كسرى أنوشروان وأهدى اليه انواعا مما تحمل من عجائب أرض تبت منها مائة جوشن ومائة ترس مذهبة وأربعة آلاف من المسك فى نوافج غزلانه (وأهدى) يعقوب بن الليث الصفار صاحب خراسان الى المعتمد هدية فى بعض السنين من جملتها عشر بزاة منها بازى أبلق لم ير مثله ومائة مهر وعشرون صندوقا على بغال عشرة فيهم طرائف الصين وغرائبه ومسجد فضة برواقين يصلى فيه خمسة عشر انسانا ومائة من مسك ومائة من عود هندى وأربعة آلاف درهم (وأهدت) ملكة فرنجة الى المكتفى بالله فى سنة ثلاث وتسعين ومائتين خمسين سيفا وخمسين رمحا وخمسين فرسا وعشرين ثوبا منسوجا بالذهب وعشرين خادما صقلبيا حسنا وعشرة كلاب كبارا لا تطيقها السباع وست بازات وسبعة صقور ومضرب حرير بجميع آلاته وعشرين ثوبا معمولا من صوف يكون فى صدف يخرج من البحر يتلون بجميع الالوان كقوس قزح يتلون كل ساعة لونا وثلاثة أطيار تكون فى أرض افرنجة اذا نظرت الى الطعام المسموم صاحت صياحا منكرا وصفقت بأجنحتها ليعلم ذلك من حالها وخرزا يجتذب النصول فتخرج من غير ألم وقدم الرسول بكتابها وهديتها وكان فى فصل من كتابها وعرفت ان بينك وبين ملك قسطنطينية صلة وأنا أوسع منه سلطانا وأكثر جندا وأشد سطوة وملكى على

أربعة وعشرين مملكة لسانها لا يشبه الآخر وفي مملكتي وطاعتي رومية الكبرى (ومن ظرائف الهدايا) ما أهدته شجرة الدر جارية المتوكل وكان يميل اليها ميلا كبيرا ويفضلها على سائر حظاياه فلما كان يوم المهرجان أهدى اليه حظاياه هدايا نفيسة واحتفلن في ذلك فجاءت شجرة الدر بعشرين غزالا تربية عليهن عشرون سراجا صينيا على كل غزال خرج صغير مشبك حرير فيه المسك والعنبر والغالية وأصناف الطيب ومع كل غزال وصيفة بمنطقة ذهب وفي يدها قضيب ذهب في رأسه جوهرة فقال المتوكل لحظاياه وقد سر بالهدية ما فيكن من تحسن مثل هذا وتقدر عليه فحسدنها وعملن على قتلها بشئ سقينه لها فماتت (عبد الملك) ابن صالح بن علي بن عبد الله بن عباس بن عبد المطلب أبو عبد الرحمن الامير ولي المدينة للرشيد ثم ولي الشام والجزيرة للامين وحمل الى الرشيد فاكهة في أطباق خيزران وكتب اليه أسعد الله أمير المؤمنين وأسعد به دخلت الى بستان أفادنيه كرمك وعمرته لي نعمك قد أينعت أشجاره وتهدلت ثماره فوجهت الى أمير المؤمنين من كل شئ شيأ على القدرة والامكان في أطباق القضبان ليصل الي من بركة دعائه مثل ما وصل الي من بركة عطائه فقال رجل يا أمير المؤمنين لم أسمع بأطباق القضبان فقال يا أبله كنى عن الخيزران بالقضبان اذ كان اسما لامنا (أنشدني) في الجدي فضل الله بن مكانس وقد أهدى له والده تحفا جليلة

تناهيت في بري الى ان هديتني * وقد كنت قبل اليوم في الغي ساريا
وأهديت لي ما حير الفكر حسنه * فلا زلت في الحالين للعبد هاديا

(التحف) النفيسة الاثمان ذكر الاصمعي قال حدثت ان برمك جد يحيى بن خالد كان زوارا للملوك وكان يتطبب فحدث انه صار الى ملك الهند فأكرمه وآنس به وأحضر له طعامه قال فأكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت لا والله أيها الملك ما أقدر على ان أزداد شيأ فقال يا غلام هات القضيب قال فوهمت وظننت أني أخطأت فلم يلبث ان جاءه بقضيب فأخذه الملك وأمره على صدري فكأني لم آكل شيأ قط ثم أكلت أكلا كثيرا حتى انتهيت فقال كل فقلت ما أقدر على ذلك فأخذ القضيب وفعل مثل ما فعل فكأني لم آكل شيأ قط ثم أكلت حتى انتهيت فقال لي كل فقلت ما أقدر على ذلك فأراد ان يمر القضيب فقلت أيها الملك

ان الذى دخل يحتاج الى أن يخرج فقال صدقت وأمسك عنى فسألته عن القضيب فقال تحفة من تحف الملوك ثم خرجت من عنده فأتيت الاصبهذ فقربنى وأكرمنى وكان جالسا فى مجلس على البحر وفى يده خاتم ياقوت أحمر يغلب نوره نور الشمس قد أضاء المجلس منه فلم أزل أنظر اليه فلما رآنى أفعل ذلك نزعه من يده ورمى به فى البحر فورد على أعظم مصيبة وقدرت أنى قد جنيت جناية ووجمت فلما رآنى قال مالك قلت أحسب أنك أنكرت نظرى الى الخاتم فألقيته فى البحر قال لا وضحك ودعا بسفط فأخرج منه سمكة من فضة فى رقبتها سلسلة طويلة فألقاها فى البحر فغاصت ثم ظهرت بالخاتم فى فيها فجذبها وأخذ الخاتم ورده الى أصبعه فورد على ما حيرنى ولم أعرف سببه ثم خرجت وأتيت الشام ولقيت هشام بن عبد الملك فأكرمنى ورحب بى وسألنى عن خبرى فأخبرته فأمرنى ان أتخذ له انجبات أرادها (قال) الشيخ الانجبات هى اخلاط تربت فى العسل مثل الاترج والاهليلج ونحوها (رجع) فتشاغلت بعملها فبينما أنا فى بعض الايام فى منزلى قد نزعت ثيابى وأخذت فى اصلاح حالى وما أمرنى به اذا بالغلمان قد هجموا على وقالوا أمير المؤمنين يطلبك فأردت ان أغتسل وألبس ثيابى فقالوا كما أنت فأخذت بصورتى واحضرت فى مجلسه فلما دخلت من الباب قال اتركوه اذهب اذهب لا تقربنى معك سم الله وأخرجوه فأخرجت وعدت الى منزلى وأنا على حال حيرة من انزعاجه فاغتسلت وتنظفت ولبست ثيابى ثم رحت اليه دخلت الى حضرته وسألته عما كان منه فقال لى كان معك سم أو عبثت بشئ من السموم فقلت لا والله الا انى كنت أعمل تلك الانجبات التى أمر أمير المؤمنين بها ولم تدعنى الغلمان الى أن أغتسل وكان من جملتها الافيون وهو سم قال ما أشك فى ذلك قلت فكيف علم أمير المؤمنين ذلك قال فى عضدى كبشان من الياقوت اذا لقينى انسان معه سم أو قدم الى ما فيه سم انتطحا فلما وقعت عينى عليك انتطح الكبشان فعلمت أن فى يدك شيأ من السم نقلت هذه الحكاية من مجموعة بخط سيدنا وشيخنا شمس الدين محمد بن الكتبى الشهير بالتريكى رحمه الله (قال) صاحب كتاب المباهج مما وجد فى خزائن الملوك والخلفاء والوزراء من الجوهر النفيس الدرة اليتيمة وسميت بذلك لانها لم يوجد لها نظير حملها الى الرشيد مسلم بن عبد الله العراقى فباعها عليه بتسعين ألف دينار

وكان للمتوكل فص ياقوت أحمر وزنه ستة قراريط اشتراه بستة آلاف دينار (وكانت) له سبحة فيها مائة حبة جوهر وزن كل حبة مثقال اشتريت كل حبة منها بألف دينار (وأهدى) بعض ملوك الهند الى الرشيد قضيب زمرد أطول من ذراع وعلى رأسه تمثال طائر ياقوت أحمر لا قدر له نفاسة قوم هذا الطائر على حدته بمائة ألف دينار (ودفع) مصعب بن الزبير حين أحس بالقتل الى مولاه زياد فصا من الياقوت الاحمر وقال له نج بهذا وكانت قيمته ألف ألف درهم وسقط من يد الرشيد فى أرض كان يتصيد فيها فاغتم لفقده فذكر له فص ابتاعه صالح صاحب المصلى بعشرين ألف دينار فأحضره ليكون عوضا عما سقط منه فلم يره عوضا عنه ووهب المأمون للحسن بن سهل عقدا قيمته ألف ألف درهم وقوم الجوهر الذى سلم من النهب عند فتنة المأمون بألف ألف الف ومائة ألف وستة عشر ألف درهم ووجد فى تركة السيدة بنت المعز العبيدى طست وابريق من البلور ومدهن ياقوت أحمر وزنه تسعة وعشرون مثقالا وكان الناس يستعظمون الطست والابريق الى أن قبض على أبى محمد البازورى وزير المستنصر العبيدى فوجد عنده تسعون طستا بأباريقها من صافى البلور وجيده كبارا وصغارا فهان عليهم ما استعظموه وكان لمحمود بن سبكتكين صاحب غزنة كنصاب المرآة من الياقوت الاحمر اذا ركب قبض عليه بيمينه فتبين طرفاه من جانبى يده بحيث ينظر اليهما الناس ووجد فى خزائن مروان بن محمد مائدة جزع أرضها بيضاء فيها خطوط سود وحمر سعتها ثلاثة أشبار وأرجلها ذهب فيقال انها صنعت على شكل المشترى من أكل منها لا يشبع (ووجد) أيضا فى خزائنه جام من زجاج فرعونى غلظ أصبع وفتحه شبر ونصف فى وسطه صورة أسد ثابت وامامه رجل قد برك على ركبتيه وقد أغرق السهم فى القوس وكان فيما أخذ من خزائن قصر العاضد العبيدى بعد وفاته الجبل الياقوتى وكان وزنه سبعة عشر درهما أو سبعة عشر مثقالا ولما انهزم أبو الفوارس بن بهاء الدولة البويهى من أخيه سلطان الدولة قصد يمين الدولة محمود بن سبكتكين فبلغ محمودا انه باع جوهرتين كانتا على جبهة فرسه فاشتراهما نصير الدولة صاحب ديار بكر بعشرة آلاف دينار فقال من غلطكم تركتم على جبهة الفرس مثل هذا وقيمته ستون ألف دينار (وأهدى) صاحب قلعة

اصطخر الى السلطان الملك العادل ألب رسلان السلجوقي قدح فيروزج فيه منوا مسك مكتوب عليه جمشاد أحد ملوك الفرس الاول (وأخذ) يوسف بن تاشفين من عبيد بن المكين الصنهاجي وكان ملك أفريقية لما قبض عليه سبحة فيها أربعمائة حبة جوهر كل حبة قومت بمائة دينار ووجد في ذخائر العبيديين لما أخذ الملك منهم عشرة آلاف قطعة بلور محكم تفاوتت قيمتها من ألف دينار الى عشرة دنانير ووجد فيها قطعة بلخش وزنها ثلاثة وعشرون قيراطا (ووجد) فيما أفاء الله على السلطان محمود بن سبكتكين لما فتح الهند قطعة ياقوت أحمر زنتها أربعمائة وخمسون مثقالا (وكان) فيما أخذ مؤيد الملك بن نظام الملك من الجواهر قطعة بلخش وزنها احد وأربعون مثقالا (وحكى) الواقدي في فتوح السند أن عبد الله العبيدي عامل معاوية على السند غزا بلد القيقان فأصاب منه مغانم كثيرة وان ملك القيقان بعث اليه يطلب الفداء وحمل اليه هدايا كان فيها قطعة مرآة يذكر أهل العلم ان الله تعالى أنزلها على آدم لما كثر ولده وانتشروا في الارض فكان ينظر فيها فيرى من بعد منهم على الحالة التي هو عليها من خير وشر فحملها عبد الله الى معاوية فبقيت في ذخائر بني أمية الى ان انتقل الملك منهم الى بني العباس فصارت عندهم في الذخائر (بدنة عبدة) ذكر أصحاب التواريخ أن عبد الله بن يزيد بن معاوية بن أبي سفيان مات وخلف عاتكة بنت يزيد وكانت تحت عبد الملك بن مروان فلما ماتت عاتكة أوصت بأن يفرق مالها على أولاد أخيها فقسم عبد الملك تركتها بين عشامة وعبدة فتزوج عبد الملك عشامة وتزوج هشام عبدة فرآها يوما هشام وقد ألقت حليها واذا في نحرها خال فبكى وقال لأنت هي فقالت وما معنى هذا القول فقال انا نروى ان امرأة خليفة وابنة خليفة في جيدها خال تذبح كما تذبح الشاة فقالت لا يحزنك الله ان كان الامر صحيحا فلا حيلة لي في دفع القضاء وان لم يكن فلا معنى لتعجيل الهم فلما قتل عبد الله بن علي بني أمية واستباح أموالهم أخذ بدنة عبدة وبعث بجواهر الى السفاح فعرضها على امرأته أم سلمة بنت يعقوب المخزومية فقالت مالي لا أرى بدنة عبدة فكتب اليه بذلك وأمره بانفاذ بدنة عبدة فأنفذ اليه بدنة وزعم أنها هي فعرضها على امرأته فقالت ليست هي هذه بدنة الرائقة جارية هشام وحبة واحدة من بدنة عبدة أفضل من هذه كلها

وعلامتها ان فى ظهرها وصدرها خطين من كبار الياقوت الاحمر فكتب أبو العباس الى عبد الله يعزم عليه فى البعث ببدنة عبدة فكتب اليه أنه لا يعرفها فقالت أم سلمة لابى العباس مره يبعث لنا بعبدة فهى تعرف أين بدنتها فكتب اليه بذلك فكره أن يبعث بعبدة لئلا تقر عليه ولم يجد بدا فبعث بها ودس بعض أجناده وقال اذا صرت بموضع كذا فاقتلوها فلما صارت بموضع من طريق الشام يعرف اليوم بجب عبدة وأرادوا قتلها قالت لهم ان كنتم عزمتم على هذا فاتركونى حتى أصلى وأستتر فتركوها فصلت وشدت ازارها على يديها ورجليها وأبرزت لهم نحرها فذبحوها وكتب عبد الله الى السفاح انى انفذت عبدة فقتلها بعض الاعراب بالطريق فلما أوقع أبو مسلم الخراسانى بعبد الله وهرب منه وأخذ ماله وانفذه الى المنصور أخذ البدنة فكانت فى خزائن بنى العباس الى ان صارت الى زبيدة بنت جعفر ثم بعث بها ذلك المتوكل الى ابنة عبد الله بن طاهر التى زوجها من المعتز ولده (وذكر) القاضى الرشيد ابن الزبير فى كتابه العجائب والطرف كان المعتز بالله قد التمس من أمه قبيحة خمسين ألف دينار ينفقها فى الجند فذكرت أنها لا تملك حبة واحدة فظهر لها بعد قتل ابنها فى سنة خمس وخمسين ومائتين وكانت قبيحة قد استخفت فوجد لها خزانة فيها ألف ألف دينار وثلاثة اسفاط فى أحدهم زمرذ لم ير مثله قط وفى الآخر صف مكوك حب كبار لؤلؤ وفى الآخر كالجة فصوص ياقوت أحمر فقوم ذلك فكانت قيمته ألفى ألف دينار وكانت غلتها فى كل سنة عشرة آلاف ألف دينار والله أعلم

(الباب التاسع والثلاثون فى خواص الاحجار وكيانها فى المعادن)

قال الفاضل أبو العباس شهاب الدين أحمد بن يوسف التيفاشى فى الجوهر اسم عام يطلق على الكبير والصغير منه فما كان كبيرا فهو الدر وما كان صغيرا فهو اللؤلؤ المسمى حبا ويسمى أيضا اللؤلؤ الدق ولؤلؤ النظم وحيوان الجوهر الذى يتكون فيه كبيره وصغيره يسمى باليونانية اسطور وس يعلوجم ذلك الحيوان صدفتان ملازمتان لجسمه والذى يلى الصدفتين من جسمه اسود ولهذا الحيوان فم وأذنان وشحم يلى الفم من داخلهما الى غاية الصدفتين والباقى رغوة

وصدفة وماء (وذكر) ارسطاطاليس فى كتابه أن من الحيوان غير الناطق السرطان يشتهى أكل لحم هذه الدابة فلما حال دونه ودون شهوته شئ بمنزلة الحاجز بينه وبين ذلك اللحم الرخص الذى فى الصدفات احتال عليه فلا يزال السرطان راصداله حتى يراه قد فتح جلدة الصدفة فيأخذ حجرا صغيرا فيرمى به فى جوف الصدفة فلا تقدر عند ذلك على انضمامها كما كانت لانها لا تلتئم بمنع الحجر من انطباقها فيدخل السرطان قرنيه الى ذلك اللحم الرخص فيستخرجه ويأكله لالتذاذه به * ويذكر من أكله من الغواصين انه شبيه بطعم قوانص الطير (وذكر) ارسطاطاليس فى كتاب الاحجار * أن البحر المحيط بالعالم هو الذى فى ظلمات مقيمة يلحق آخره أول البحر المسلوك وان الرياح تصفق هذا البحر المحيط المسمى أوقيانوس فى أوقات فصل الشتاء فيهيج هيجانا شديدا فيطلبه الصدف الذى يكون فيه الدر فى وقت ريح الشمال فاذا هاجت الرياح والامواج من ذلك البحر المحيط كان لامواجه رشاش فيلتقمه الصدف الكائن فى البحر الذى يسلكه الناس كما يلتقم الرحم المنى فتصير تلك النطفة من ذلك الماء فى اللحم المركب فى الصدف فلا يزال الصدف يعمد الى ذلك الموضع الساكن من ماء البحر فيفتح فه ويستقبل بذلك الماء الذى هو مثل النطفة رياح الهواء وحر الشمس عند طلوعها وغروبها ولا يعرض لها فى وسط النهار لشدة حر الشمس وهيجان البخارات التى تهيج من العالم والغبار الذى تهيجه الرياح فاذا انعقدت الدرة ولو كانت الدرة منها نهاية فى الكبر فلا يكون لها طائل ثمن اذ ليس فيها شئ من أصناف الدر النفيس والله أعلم (جيده ورديئه) الجوهرة الكاملة خواصها اما فى الكمية فى العظم وكثر الماء واما فى الكيفية فى شدة البياض وكثرة الاشراق واستواء اللون واستواء استدارته واكتنازه وشكله ومالم يكن كذلك فالآفات أفسدته ومنها انه ربما وجد بعض الدرة لم تتم تربيتها وربما اصق بها قشر من لحم الحلزون صار كالصدا والوسخ فأفسدلونها وربما كانت كدرة أوكان فيها ماء أوكانت فيها دودة أوكانت مجوفة غير مصمتة وكل هذه آفات دخلت على الدرة من مقر التربية وأما افسادشكلها فمن قبل ان الحبة تقع فى موضع من اللحم الذى فى الصدف غير مستوى فتجسد الدرة على صورة الموضع الذى ضمها فجيد الجوهر على الجملة المدحرج القار الصافى الشفاف

الكبير الجرم الكبير الوزن الضيق الثقب وجيد اللؤلؤ النقي من الوسخ (ذكر) خواصه ومنافعه * ومن خواص الجوهر أنه يتكون قشورا رقاقا طبقة على طبقة ومالم يكن كذلك فليس بجوهر مخلوق والجوهر بالجملة الدر الذي هو كبار اللؤلؤ وحبه الذي لا يمكن ثقبه لصغره كل ذلك معتدل في الحر والبرد واليبس والرطوبة لطيف يجفف الرطوبة في العين ويزيل كثرة وسخها ولاسيما العتيق منه الذي يوجد في الترب وقد جفت رطوباته فانه أصلح في ذلك ولذلك يخلطه الكحالون في أكحالهم لنفعه وتشديد أعصاب العين وخاصيته مع ذلك لخفقان القلب ومن الخوف والجزع الذي يعرض في المرة السوداء ويلطف الدم الذي يغلظ في الفؤاد ولهذا أيضا يخلطه المتطببون في أدوية القلب ويحبس نزف الدم ويجلو الاسنان جلاء صالحا واذا سحق وسقي مع سمن بقر نفع من السموم (وذكر) ارسطاطاليس ان ماء البحر الذي يتكون منه اللؤلؤ على ماقدمناه اذا قطر منه في الكف أو غمس فيه بعض أعضاء البدن ألبس ذلك العضو صبغا كالفضة المذابة (وذكر) أيضا انه من وقف على حل الدر من كباره أو صغاره حتى يصير ماء رجراجا ثم طلي به البياض الذي يكون في الابدان من البرص أذهبه من أول طلية يطليها وان سعط بذلك الماء من به صداع من قبل انتشار اعصاب العيون أذهبه عنه وكان شفاؤه في أول تسعيطة (قال) التيفاشي مما جربته واختبرته ووقفت عليه بالعمل ان حامض الاترج يحل الجوهر الا انه يحله خاثرا مثل المني لا يعلق بالاجسام اذا طلي عليها والمياه الحادة الطاهرة القوية الحريفة تحله رجراجا يعلق بالاجسام على ما يوجبه القياس في حل الحامض له وقد جربته فصح (عيوبه) التصديف وعدم الاستقرار والصفرة والانبراص وهو قبيح البياض وتحصيه وعدم رونقه وسعة الثقب وصغر الجرم وقلة الوزن (الاشياء التي تضر بالجوهر) الادهان جميعها والحموضات بأسرها لاسيما ماء الليمون ووهج النار والعرق والقذر والاحتكاك بالاشياء الخشنة والله أعلم الذي يجلوه و يذهب وسخه ماء حامض الاترج الا انه اذا لح عليه به قشره ونقص وزنه وهو يحله أيضا خاثرا كما ذكر قبل (محاسن) تليق بهذا المكان (قال) القاضي السعيد بن سناء الملك من قصيدة فاضلية أولها

نعم هي سعدا وهي لي قرسعد * وصال ولا صد وقرب ولا بعد

يعانقها من دون العقد وحده * فيا عجبا يا قوم لم يعانق العقد
هي البدر الا أنها كله سنا * هي الغصن الا أنه كله ورد
ولو أبصر النظام جوهر ثغرها * لما شك فيه أنه الجوهر الفرد

(وقال) من قصيدة أخرى فاضلية أيضا أولها

باتت معانقتي ولكن في الكرى * أترى درى ذاك الرقيب بما جرى
ونعم درى لما رأى في بردتي * ردعا وشم من اثياب العنبرا
بأبي وأمي من حلمت بذكرها * لما انتبهت وما قدت تفسرا
ومن العجائب ان ماء رضابها * حلو ويخرج حين تبسم جوهرا

(وله) من مرثية أولها

كجسمك جسمي أصبح اليوم باليا * ولكن ما بي عاد للناس باديا
يخيل لي اني دعيت الى الردى * وانك عني قد أجبت المناديا
فيا أسفي اذ كنت قبلي ماضيا * ويا خجلي اذ صرت بعدك باقيا
وغاص فؤادي في بحور همومه * فألقى الى جفني الدموع لآليا

(وقال) ابن الحلاوي جوابا عن رقعة من أبيات

فان كان زهرا فهو صنع سحابة * وان كان درا فهو من لجة البحر

(وقال) صفي الدين الحلي من قصيدة أولها

الست ترى ما بالعيون من السقم * لقد نحل المعنى المدقق من جسمي
واضعاف ما بي بالخصور من الضنا * على انها من ظلمها غصبت قسمي
وما ذاك الا ان يوم وداعنا * وقد غفلت عين الرقيب على زعمي
ضممت ضنا جسمي الى ضعف خصرها * لجنسية كانت لها علة الضم
فيا من أقامتني خطيبا لوصفها * أرصع فيه صنعة النثر والنظم
خذي الدر من لفظي وان شئت نظمه * وان عزت سلكا للنظام فها جسمي

(وقال) ابن سناء الملك من قصيدة أشرفية أولها

جسمي كما حكم الغرام وحسبها * ان الغرام يزورني ويغبها
علقت بطينته وعيشي أخضر * فرعته ظنا ان عيشي عشبها

(ومنها في المدح)

وأرى العقود حسدن ما قد سطرت * عيناه حتى اصفر منها حبها

(ومما نظم في هذا السلك) قول شيخنا العلامة بدر الدين الدماميني من قصيدة أولها

وضيت فيه بقتل النفس مذسخطا * مهفهف سل سيف الجفن واخترطا

(ومنها في المديح)

ونظمه الدر حسنا قدره لا وغلا * بيناسواه رأينا نظمه سقطا

(قال) ابن منير وأجاد

لا تخدعنك وجنة محمرة * رقت ففي الياقوت طبع الجلمد

(وقال) النور الاسعردي

قد كدت أحرق خده يوم النوى * بتنفسي لولم يكن ياقوتا

وما أحسن قول أبي الحسن علي بن عبد العزيز الحلبي المعروف بالفكيك يخاطب بعض التجار

أبا جعفر انفذت اطلب جبة * أفاق عليها الدر رونق حسنه
كرقة دين البابلي ولونها * كطاجنه البيض في طول قرنه
فأنفذتها بالضد في لون عرضه * وهمته قصرا وفي سلك ذهنه
وفصا من الياقوت أحمر ناصعا * كاخوته بردا وفي ثقل ابنه
فأنفذت لي فصا كخفة عقله * وسحنة من قلبت تحت جفنه
قصدت خلافي في جميع ما ربي * فأنشرت ميت السخط من بعد دفنه
فلو قلت قبل رأسه وبنانه * نويت اعتمادا لخلف في جوف ذقنه

(الياقوت) قال بليموس العلة في تكون حجارة الياقوت هي ان الشمس لما طلعت على الارض سخنتها بقوتها فسخن من الارض مالم يحجب منها واشتدت سخونة المكان بظهور الشمس عليه وغيرت الشمس رطوبة المكان الذي اشتدت حرارتها عليه فلما اشتد يبسه لقلة رطوبته اجتذبت قوته من الشمس وقوتها حرا ويبسا فانقلب عن طباعه ولونه وطعمه على قدر الرطوبة التي كانت فيه من كثرتها وقلتها فلما حاشت الرطوبة وأقامت عليه اجتذب الماء ما كان في ذلك المكان من حر الشمس ويبسها وطلعت عليه الشمس وسخنته فجمدت الرطوبة عن ذلك اليبس الذي فيها بحر الشمس فسخن الماء بحرها فتلطف وقوى على تحليل اليبس الذي قبلته الارض من يبس الشمس المتصل بها في الماء

وانحل به واشتدت عليه السخونة حتى ظهرت قوة اليبس المفرطة فيه فكان منه الحجر المسمى بالياقوت ولشدة يبسه ضاقت مسامه لقبض اليبس له ولشدة انحلاله وشدة لطافته رجع منعقدا ولشدة اليبس تكاثفت أجزاؤه بعضها في بعض وتداخلت (الياقوت الاصفر) * فمنه الرقيق وهو قليل الصفرة كثير الماء ساطع الشعاع والخلوقي وهو أشبع صفرة من الرقيق والجلناري وهو أشبع من الخلوقي وأشدها شعاعا وأكثرها ماء وهو أجوده * والاسمانجوني فمنه الازرق واللازوردي والكحلي وهو أشبع من النيلي ويسمى الزيتي * وأما الابيض فمنه المهاى وهو أشد بياضا وأكثر ماء وأقواها شعاعا ومنه الذكر وهو أثقل من المهاى وأقل شعاعا وأصلب حجرا وهو أدونها وثمنه أرخص أثمان الياقوت (ذكر خالص الياقوت ومعيبه) أجود الياقوت الاحمر البهرماني والرماني والوردي النير المشرق واللون الشفاف الذي ينفذه البصر بسرعة السالم من العيوب (عيوبه) الشعرة والسوس فالشعرة شبه تشقيق يرى فيه والسوس خروق توجد في باطنه يعلوها شئ من ترابية المعدن وربما وجد في تلك الثقبة دود حي يتحرك اذا خرجت الدودة منها الى الهواء ماتت ورأينا من رأى ذلك من الثقات (عيوب) ألوانه أردأ الالوان الاحمر الوردي الذي يضرب الى البياض والسماقي الذي يضرب الى السواد وأردأ منه الازرق الذي يضرب الى لون الرماد ويسمى السنوري وكذلك الذي يسمى الزيتي وأردأ ألوان الياقوت الاصفر ما نقص لونه وضرب الى البياض وأردأ صفات جمعه في الجملة قبح الشكل والذي قدمناه (ذكر خواصه ومنافعه) قوة الياقوت على قدر معادنه المتكون فيها وعلى قدر أصبغته وألوانه فالاحمر منه حار يابس والاصفر أقربها الى الاحمر وفيه فضل حر وكذلك الاصفر والاسمانجوني أبرد وأيبس والابيض أبرد الياقوت وأرطبها (خواصه) في نفسه * من خواص الياقوت انه يقطع كل الحجارة شبيها بقطع الماس وليس يقطعه شئ غير الماس وانما يثقب بالماس وذلك بان تركب منه قطعة في طرف مثقاب حديد ثم يثقب به كما يثقب الخشب ومن خواصه انه لا يحك على الخشب الذي يحك عليه كل شئ اما الياقوت فانه لا يحك على شئ الا على صفيحة نحاس بكسر الجزع اليماني ويحرق حتى يصير كالنورة ثم يسحق بالماء حتى يصير كأنه الغراء ثم يحك به على وجه الصفيحة

النحاس حجر الياقوت فينجلى حتى يصير أشد الجواهر صقالة * ومن خواص الياقوت الشعاع فانه ليس لشئ من المشفة شعاع مثله ومن خواص الياقوت الثقل فانه أثقل الاحجار المساوية لمقداره فى العظم ومن خواصه صبره على النار فانه لا يتكلس كما يتكلس غيره من الاحجار المشفة كالزمرذ وغيره ومن خواصه انه يقبل البرودة بسرعة اذا أخرج من النار بخلاف غيره من سائر الاحجار وليس من ألوانه ما يثبت على النار غير الاحمر فقط * وقد ذكر ارسطاطاليس فى كتاب الاحجار أن الياقوت الاحمر اذا نفخ عليه فى النار ازداد حسنا وحمرة واذا كانت فيه نكتة شديدة الحمرة ونفخ عليها فى النار انبسطت فى الحجر فسقته من تلك الحمرة وحسنته وان كان فيه نكتة سوداء نقص سوادها وهو حجر يزداد حسنا وصفاء عند النفخ عليه فى النار واذا كان الحجر أحمر ونفخ عليه فزالت حمرته فليس بياقوت بل أحد الاشباه أو مصنوع مدلس وقد رأيت بسوق القاهرة جواهر تباع على أنها ياقوت أزرق وأصفر وهى مصنوعة مدلسة كان أصلها ياقوت أبيض ومن خواصه انه لا تعمل فيه المبارد والحديد ولا يلصق شئ فى جسمه من جميع ألوانه أحمره وأصفره وسماويه ومن خواصه قطع الاحجار المشفة غير الماس والاحمر فى جميع هذه الخواص زائد على جميع ألوانه فى القوة * خواصه فى منافعه من خواصه ذكر ارسطاطاليس أنه من تقلد هذا الحجر أو تختم به من أنواع اليواقيت التى وصفنا وكان فى بلد قد وقع الطاعون فيه منعه أن يصيبه ما أصاب أهل ذلك البلد من الطاعون ونبل فى أعين الناس وسهل عليه قضاء الحوائج وتيسر له من أرباب المعاش أمور صعبة ومن خواصه تقوية قلب لابسه وتشجيعه والهيبة له فى قلوب الناس واجلاله ومن خواصه أن ينفع من خفقان القلب والوسواس فى التعليق له ومن خواصه أن الصاعقة لا تقع على من تختم به أو علقه عليه ومن خواصه أنه لم ير فى أصبع غريق قط ومن خواصه انه يقطع العطش اذا وضع فى الفم وتحت اللسان ومن خواصه انه يمنع جمود الدم اذا علق ومن خواصه انه يقطع نزف الدم اذا علق ومن خواصه ما أخبرنى به شريف جوهرى معروف بالخبرة والذكاء فى هذا ودخل الى الهند ومارس كثيرا من علم الاحجار أن الهند يقولون ان من كان معه حجر ياقوت جذب قوسا قويا عن طبقته وقوته اذا لم يكن معه ذلك الحجر على شرط ان

لا يفعل ذلك على سبيل الخبرة والامتحان بل يكون ذلك بغير قصد له ولا تعمد (ومحنة) أشباه الياقوت باجمعها أن يحك بالياقوت الاحمر فانه يخرجها كلها ولا تخرجه وليس شئ منها يقوم على النار كما قدمنا فهذه علة تكون الياقوت (وأما اختلاف ألوانه) فانه بنسبة بقاع الارض اذا وقع عليها الماء فدام عليها فيتغير الماء بما انحل فيه من يبس الارض وتسخين الشمس له فيحمى الماء على قدر الحرارة فينعقد أحمر وربما انعقد أصفر لقلة الحرارة فيه وربما اعتدل الحر عليه في اللين والانحلال فانعقد أبيض صافيا وربما اشتدت يبوسته فعرض فيه البرد لشدة اليبس وتباعد الحر عنه فعرض فيه السواد وظهر على أعلاه لبطون الحمرة في باطنه وربما طرحت الحمرة نورها الى خارج مع ظهور السواد في ظاهره فقام بينهما لون أسود اسمانجوني وذلك أن صفرة الرطوبة اذا التحمت مع سواد اليبس قام من بينهما اللون الاسمانجوني * قال بلينوس والياقوت حجر ذهبي وجميع الحجارة غير الاجساد الذائبة انما انعقدت وابتدأت لتكون ياقوتا فاقعدتها عن الياقوتية كثرة الرطوبة وقلتها او كثرة اليبس وقلته فلم تكن ياقوتا وصارت حجارة حمرا وبيضا وخضرا وصفرا وغير ذلك من الالوان التي لا تذوب في النار ويقع عليها الحديد فيحكها وفيها ما لا يحكه الحديد ووضعت عليه اسماء كثيرة خلاف الياقوت (ذكر معدنه) الذي يتكون فيه الياقوت يؤتى به من معدن يقال له سجران من جزيرة خلف سرنديب بنحو من أربعين فرسخا والجزيرة تكون نحوا من ستين فرسخا في مثلها وفيها جبل عظيم يقال له جبل الراهون تحدر منه الرياح والسيول الياقوت فيلتقط وهو حجر من أرض ذلك الموضع وحصباؤه وما تحدر سيوله من جبل الراهون ويقال ان الشمس اذا أشرقت على ذلك الجبل أبدت فيه شعاعات كثيرة لوقوع شعاع الشمس على حصى الياقوت فيسمى ذلك برق الراهون وهذا الجبل هو الذي أهبط عليه آدم عليه السلام من الجنة ومنه خرج الى الارض فاذا أصيب ذلك الحصا أصيب وظاهره مظلم يميل أكثره الى السواد والغبرة كالحصى الموجود في هذه الالوان عندنا فاذا استشف في الشمس أشف لونه أحمر كان أو أصفر او سماويا أو غير ذلك من ألوان الياقوت * قال التيفاشي أخبرني من دخل جزيرة سرنديب من التجار أن أهل ذلك الموضع اذا لم تحدر السيول والرياح لهم من

حصباء الياقوت فى بعض السنين مابرت به العادة احتالوا لتحصيله بالحيلة التى نذكرها وذلك ان الجبل الذى فيه الياقوت جبل شاهق صعب المسالك لا يمكن الوصول الى أعلاه وفى أعلاه نسور كثيرة تعشش فيه وتتخذ مساكنها به لخلوته فيعمد أهل ذلك الموضع الى حيوان فيذبحونه ويسلخون جلده ثم يقطعونه قطعا كبارا ويتركونه فى سفح الجبل المذكور ويبعدون عنه وهم يرقبونه فتأتى النسور فترفع ذلك اللحم وتنزل به عند أوكارها فاذا وضعته على الارض علق به من حصى الياقوت والصق فيه ثم تأتى نسور أخرى فتجتمع على اللحم لتخطفه فيأخذه بعضها وتطير من الجبل فيسقط منه الياقوت لثقله فيلقطه الذين يرقبونه من الموضع الذى يسقط فيه ويذكر أن فى سفل هذا الجبل غياضا عظيمة وخنادق عميقة وأشجارا شاهقة ويسكن بها حيات عظام تبتلع الحية منها الانسان ورأس البقر وغيره صحيحا فاذا ابتلعته عمدت الى أصل شجرة فالتوت عليها واشتدت فيتكسر فى بطنها ما تبتلعه وتندق عظامه فيهضم بها ولاجل ذلك أيضا لا يستطاع سلوك هذا الجبل ولا الوصول اليه والى ما فيه من عجائب الاحجار (ذكر أصنافه) أصول الياقوت أربعة أصناف أحمر وأصفر واسمانجونى وأبيض فالاحمر منه ينقسم الى أربعة أقسام الوردى وهو يتفاضل فى شدة الصبغ الى الوردية لا يجاوز ذلك ويقل صبغه الى أن يقرب من البياض ثم الجمرى وهو مشوب بقرقرية كلون ورد الخيرى وأظهر قرقرية وهو يتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه الى أن يقرب من البياض ثم الاحمر وهو بلون العصفر الشديد الحمرة الناصعها فى القوة والى القرب من الوردية فى الضعف ثم البهرمانى وهو أحمر نقى الحمرة لا يشوبها شائبة وهو يتفاضل فى قوة الصبغ وضعفه حتى ينتهى الى لون العصفر الشديد الحمرة الناصعها فى القوة والى قريب من لون الورس فى الضعف وأثمن الياقوت الذى فى لون الحمرة البهرمانى وأثمن كل واحد من بقية أصنافه أشدها استشفافا وأشدها شعاعا وأسلمها من العيوب التى نذكرها فيما بعد (وأما الزمرذ) قال بلينوس ان الزمرذ هو الياقوت لانه انما ابتدأ المنعقد ياقوتا فى جميع أجزائه وكان لونه أحمر فلشدة تكاثف الحمرة بعضها على بعض عرض له السواد فصار اسمانجونيا ولثقل اليبس وغلظه بطن الاسمانجونى وارتفع ما صفى على الحمرة على أعلاه فاصفر واما كان باطنه اسمانجونى واشتدت عليه الحرارة بطبخها فرجت

اللونين جميعا لون ظاهره بلون باطنه فتولدت الخضرة بينهما فصار لونه أخضر فسمى زمردا وانما كان أصله ياقوتا لان الياقوت هو حجر ذهبى وهو أصل الحجارة كما أن الذهب رأس الاجساد المذابة (ذكر معدنه) الذى يتكون فيه موضع الزمرد الذى يؤتى به منه * فى التخوم بين بلاد مصر والسودان خلف اسوان يوجد فى جبل هناك كالجسر فيه معادن تحتفر فيخرج منها الزمرد قطعا صغارا كالحصى منبثة فى تراب المعدن وربما أصيب العرق منه متصلا فيقطع وهو جيده * وأما صغيره فانه يصاب فى التراب بالغربل وذلك أنهم ينخلون التراب ثم يوجد خلاله فيغسل كما يغسل تراب الفضة فيوجد فيه الحجر بعد الحجر ويوجد بعضه عليه أتربة كالكحل الشديد السواد وهو أشد خضرة واكثر ما وجد من الزمرد فى التراب فهو الفص وما قطع منه من العروق فهو القضيب فى اصطلاح الجوهريين وهو أعتقه وأخلصه (ذكر جيده ورديئه) أصنافه أربعة الذبابى والريحانى والسلقى والصابونى فأعلاه وأغلاه وأفضله فى سائر الخواص الموجودة فى الزمرد هو الذبابى وهو أخضر مغلوق اللون جدا لا يشوبه فى خضرته شئ آخر من الالوان حسن الصبغ جيد المائية وانما سمى ذبابيا لشبه لونه بالخضرة التى تكون فى الكبار من الذباب الربيعى لا فى صغاره الموجودة فى البيوت وهو أحسن ما يكون من الخضرة بصيصا وذلك اللون غير موجود فى ذباب البيوت وأما بقية الاصناف المذكورة من الزمرد غير الذبابى فانها نازلة مقصرة عن جميع الخواص الموجودة فى الذبابى ولهذا ألغيتها (عيوب الزمرد) من أكبر عيوب الزمرد الذبابى اختلاف الصبغ حتى لا يكون موضع منه بلون مخالف للون موضع آخر ومن عيوبه عدم الاستواء فى الشكل وهذا عام له ولليـاقوت ولكل حجر مستشف ثمين أو غير ثمين ومن عيوبه التشعير وهو من لوازمه لا يكاد يخلو منه وهو شبه شقوق خفية تظهر فيه (خواص الزمرد) الذبابى فى نفسه خواصه الكبرى فى نفسه وهى التى انفرد بها عن سائر الاحجار وبها يمتحن الخالص منه من غيره أن الافاعى اذا نظرت اليه ووقع بصرها عليه انفقأت عيونها على المكان قال أحمد التيفاشى وقد كنت أقف على هذه الخاصة فى الزمرد فى كتب الحكماء ثم جربتها بنفسى فوجدتها صحيحة وذلك أنه كان وقع لى فص زمرد ذبابى خالص أردت امتحانه على عيون الافاعى

فاستأجرت حاوِياً على صيد أفعى وجعلتها في طست وأخذت قطعة شمع فألصقتها في رأس عود ثم ألصقت فيها الفص وقربته من عين الافعى فكانت تثب أولا نحو السهم وكانت لها حركة قوية تروم بها الخروج من الطست فلما قربت الزمرد من عينها سمعت فرقعة خفية كنقل صبابة على ظفره ثم رأيت عيني الافعى وقد برزتا على وجهها بروزا ظاهرا وبقيت حائرة في الطست تدور فيه لتقصد مخرجا ولا تدري حيث تتوجه وسكنت أكثر حركتها وانقطع وثوبها بالجملة * ومن خواصه الرخاوة وتخلل الاجزاء ومن خواصه خفة الوزن ومن خواصه شدة الملاسة والصقال والنعومة ومن خواصه زيادة الخضرة والماء اذا ركب على البطانة وأخص صفاته به الخفة (خواصه) في منافعه من خواصه انه من نظر اليه أذهب عن بصره الكلال ومن خواصه انه من تقلد بخاتم منه دفع عنه داء الصرع اذا كان لبسه له قبل حدوث الداء ومن أجل هذا كانت الحكماء تأمر الملوك تعلقه على أولادهم عند ولادتهم ليدفع عنهم داء الصرع ومن خواصه انه من سحل منه وزن ثمان شعيرات وسقاه شارب السم قبل ان يعمل السم فيه خلص نفسه من الموت ولم يتمعط شعره ولم ينسلخ جلده وكان شفاءه ومن خواصه انه ينفع من نفث الدم واسهاله اذا علق على من به ذلك ومن خواصه النفع من وجع المعدة اذا علق عليها من خارج ومن خواصه انه ينافي الحيات المسمومة ولا تقرب حامله ومن خواصه ان شرب حكاكته نفع من الجذام ومن خواصه ان جميع أصنافه كلها تصلح ان تعلق على العضد وعلى الرقبة للتعويذ وعلى الفخذ لسرعة الولادة مجرب (ومن معانيه الشعرية) قول القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر

ذباب السيف من لحظ اليه * لاخضر صدغه بعد انتساب
فلا عجب اذا ما قيل هذا * له صدغ زمرذه ذبابي

(البلخش) معدنه الذي يتكون فيه * يؤتى به من بلخشان والعجم تقول بذخشان بذال معجمة وهي من مدن التتر فيما يتاخم الصين وأخبرني من وصل الى معدنه من التجار انه وجد في المعدن حجرا في باطنه مالم يكمل طبخه وانعقاده بعد والحجر مجتمع عليه (جيده ورديئه) هو ثلاثة أنواع أحمر معقرب وأخضر زبرجدي واصفر وأجوده الاحمر وليس بجمعه شيء من الخواص التي لليا قوت ومنافعه

وانما فضيلته شبهه والمائية والشعاع الاحر لم يذكر فيه شئ من الخواص البتة (الماس) قال بلينوس الماس حجر ذهبي وهو أشبه الاحجار بالاجساد المذابة لانه ليس من الاحجار شئ يسحقه كما تسحق الاحجار بعضها بعضا فلذلك شبهته بالاجساد ولم يفسده شئ من الاحجار غير الابار فلذلك قلت انه حجر ذهبي وأقول ان الماس انما كان في معدنه وابتدا اخلاقته ليكون ذهبا وذلك أن الماء في معدنه فلما سخنته الحرارة يبس الماء من الحر الذى سخنته جدا فصار حجرا فلما كثرت عليه الحرارة وعرض فى الماء غلظ فصارت فيه لزوجة لغلظه وصار أشبه شئ بالزيبق وتولد فيها رطوبة المعدن ويبسه بلطافة الطباع وملح وشفيف الماء والريح فغلظ واشتدت عليه الحرارة فقوى الملح على نسف الحر واليبس واشتدت يبوسته فظهرت على وجه الماء اللزج الذى هو يشبه الزيبق فانعقد حجرا بافراط اليبس عليه وانما انعقد ليكون ذهبا فأقعده عن الذهبية انعقاده باليبس والملوحة فلو انعقد باللين ولم يفرط عليه اليبس وبالحلاوة مكان الملوحة لكان ذهبا فلما انعقد وكان فيه ملوحة وشدة يبس نقص عن كيان الذهب فصار حجرا صلبا يأكل الاحجار كلها بملوحة طبيعته وشدة يبسه وانما صار يتكسر للملوحة فبقيت الملوحة واليبس في جسده وانما صار لا يفسده شئ غير الابار لانه ذهبي كما ان الابار يفسد الذهب ويسحقه وانما يسحق الابار الماس لكثرة يبسه وذلك لاجتماع الكبريت الذى فى الابار مع ملوحة الماس لان الملح الذى فى الماس اذا أحس برائحة الكبريت تفتت وانسحق وانما صار لون الماس أبيض لانعقاده بالرطوبة ودفع رطوبة الموضع عنه وهيج النار فصار لذلك أبيض فهذه علة تكون الماس (معدنه) الذى يتكون فيه يوجد فى معدن الياقوت ويتكون فيه ويخرج منه كما يخرج الياقوت فهو حصاء معدن الياقوت اذا أخرجته الرياح والسيول من معدنه حسبما بيناه فيما سلف (جيده ورديئه) الماس نوعان الزيتى والبلورى والزيتى أجودهما والبلورى أبيض شديد البياض كالبلورى والزيتى يخالط بياضه صفرة كلون الزجاج الفرعونى (خواصه) فى ذاته من خواصه ان جميعه ذو زوايا قائمة ست زوايا وثمان زوايا وأكثر من ذلك وأقل يحيط بزواياه سطوح قائمة مثلثة الشكل اذا كسر فلا ينكسر الا مثلثا ومن خواصه انه يقطع كل حجر يمر عليه وهو فى نفسه عسر الانكسار

وان وضع على سندان حديد ودق بمطرقة لم ينكسر ودخل فى وجه السندان ووجه المطرقة وكسرهما وانما يكسر بأن يصير فى شئ من الشمع ثم يدخل فى أنبوب قصب وينقر بمطرقة غيرها برفق ومداراة بحيث لا يباشر جسمه الحديد حتى ينكسر أو يصير فى أسربة ويفعل به ذلك (ومن خواصه) ان الانسان اذا ابتلع منه قطعة ولو كانت أصغر ما يكون حرقت امعاءه فقتلته على الفور ومن خواصه ما ذكره ارسطاطاليس من أن بينه وبين الذهب محبة ينشب به حيث كان حتى يخالط منه الحبة الخفيفة يعرف ذلك صياغ الذهب فانهم اذا بردوه وقعت تلك الحبة تحت مباردهم فأكلت المبارد وأفسدتها ومن خواصه انه يثقب الدر والياقوت والزمرذ وغيرها من جميع ما لا يعمل فيه الحديد من الاحجار كما يثقب الخشب وذلك بأن تركب فى رأس مثقاب حديد منه قطعة بقدر ما يراد من سعة الثقب وضيقه ثم يثقب به فيثقب بسرعة وأما طبعه فانه بارد يابس فى الدرجة الرابعة (خواصه) فى منافعه منها ما ذكره ارسطاطاليس انه من كانت به الحصاة الحادثة فى المثانة من مجرى البول ثم أخذ حبة من هذا الحجر وألصقها فى مرود نحاس أو فضة بمصطكا الصاقا محكما ثم أدخل ذلك المرود الى الحصاة فتتها قال أحمد بن أبى خالد المعروف بابن الجزار فى كتابه فى الاحجار وبهذا الفعل عالجت أنا وصيفا الخادم من حصاة عظيمة كانت به وامتنع من الفتح عليها بالحديد فلما فعلنا به هذا الفعل انسلخت الحصاة حتى صغرت وسهل عليه خروج ما بقى منها فى البول ومن خواصه انه ينفع من المغص الشديد ومن فساد المعدة اذا علق على البطن من خارج (عين الهر) معدنه الذى يتكون فيه هذا الحجر يوجد فى معدن الياقوت مع الماس فهو حصباء معدن الياقوت كما ذكرناه عن الماس فيما سلف (جيده ورديئه) هذا الحجر غريب الشكل وذلك ان الغالب على لونه البياض باشراق عظيم ومائية رقيقة شفافة الا انه يرى فى باطنه نكتة على قدر عين الهر أعنى الناظر الحامل للنور المتحرك فى فص مقلته وعلى ذلك اللون سواء وتلك النكتة مع ذلك متحركة على الدوام اذا حرك الفص تحركت بخلاف جهة حركته بحيث ان أميل الى جهة اليسار مالت النكتة متحركة الى جهة اليمين وذلك فى الاعلى والاسفل فهى كناظر الهر حقيقة ولذلك سمى به فان كسر أو قطع على أقل الاجزاء ظهرت تلك

النكتة فى كل جزء من أجزائه وأجوده مااشتد بياض أبيضه وشفيفه واشتدت كثرة مائية تلك النكتة التى فيه وسرعة حركتها واشراقها وحسن الشكل وكبر الجرم زائدان فى جودته كسائر الاحجار (خواصه ومنافعه) هو أنه يحفظ حامله من عين السوء والانفس الخبيثة ومما أنقله فيه عن ثقات الجوهريين ممن دخل الهند ومارس هذا الفن ومهر فيه أنه يجمع خواص الياقوت البهرمانى فى منافعه ويزيد عليه بمنفعتين احداهما أنه لا ينقص مال محمله ولا تعتريه فيه الآفات والنكبات والاخرى أنه اذا كان فى يد رجل أو معه وحضر مصاف حرب ثم هزم حزبه فألقى نفسه بين القتلى يراه كل من يمر عليه من أعدائه كأنه مقتول متشحط فى دمه فتنفر عنه النفوس حتى لا يقربه بشرهم وأخبرنى بعض من دخل الهند من الجوهريين أنه رأى هذا الجوهر يعبد فى المعبر كما تعبد الاصنام قال وثمنه عندهم أغلا من ثمنه ببلاد العرب وهم به أغبط وهو عندهم أعز وذكر أنه وقف على حجر بيع فى المعبر بمائة وخمسين دينارا ولعله يساوى فى الهند عشر هذا الثمن وذلك لعلمهم بخواصه ووقوفهم عليها بالتجربة (البازهر) الموجود من هذا الحجر الآن بأيدى الناس نوعان أحدهما حيوانى والآخر معدنى فأما المعدنى منهما فيقال انه ينفع من لدغة العقرب فقط وهو مقصر عن جميع ما يذكر فى الكتب من البازهر الحيوانى ويذكر أنه يجلب من الصين وهو حجر خفيف هش أصفر وأغبر منقط نقطة خفيفة توجد طبقات رقاق فى أصل تكونه طبقة فوق طبقة لا توجد الا كذلك ويتحلث سريعا اذا حك ومحكه يميل للبياض وأعظم ما يوجد منه من مثقال الى ثلاثة مثاقيل يؤتى به من بلد فارس من تخوم الصين والحيوان الذى يوجد فيه هو الايل الذى يكون بتلك الجهات ويذكر أن الايل الذى يوجد فيه البازهر يشتهى أكل الحيات لاسيما من صغر من أولادها وهو معظم غذائه يبحث عنها ويستخرجها من حيث كانت فيأكلها وقد اختلف الناس فى أى موضع من الحيوان يتكون البازهر على ثلاثة أقوال الاول أنه يتكون فى عينيه قالوا وذلك أنه اذا أكثر من أكله لفراخ الحيات اعترته حكة فى سائر جسده من سمها فيعمد الى بركة ماء فيغوص فيها رافعا رأسه عن الماء الى أن يغيب كله فى الماء حتى لا يظهر منه الا حدقتاه فيرتفع حينئذ من سائر جسده بخار رطب الى عينيه ثم يخرج من مأقيه اللذين

يلبان أنفه يمنة ويسرة ويستحيل ماء فاذا ضربه الهواء جمد وجسد حجرا وبقى معلقا بشعرنا حيتى أنفه ثم يعرض له مثل ذلك العارض فيفعل مثل هذا الفعل فيخرج بخارا آخر ويستحيل ماء ويسيل من ذلك الموضع بعينه على الحجر المتكون قبل فيجمد اذا باشره الهواء فوق الحجر الاول كما جمد الذى قبله ولا يزال كذلك حتى يثقل الحجر فيسقط من ذاته أو يحكه الحيوان اذا ثقل عليه الى حجر أو أصل شجرة فيسقط فتتبع مظانه حتى يوجد فيؤخذ منها وأخبرنى من لا أشك فى صدقه وثقة نقله أن بتخوم الشام فيما بينها وبين بلاد الروم بموضع يسمى مرعش وما يتصل به ايل يأكل فراخ الحيات ويعرض له من أكلها ما ذكرناه ويفعل الوصف الذى وصفناه وان البازهر يتكون فى عيونه على حسب ما ذكرناه القول الثانى ان هذا الحجر يتكون فى قلب هذا الحيوان وانه يصاد لاجله ويذبح ويستخرج الحجر من قلبه وهذا القول رأيته لبعض أطباء مصر حسبما نورده عنه فيما بعد وهو غير صحيح القول الثالث أن هذا الحجر يتكون فى مرارة هذا الحيوان كما يتكون كثير من الاحجار فى كثير من الحيوان ويذبح فيخرج البازهر من مرارته ومن يقول ذلك يستدل على صحة قوله بأن هذا الحجر اذا ذيق ظاهره باللسان وجد طعم المرارة عليه ظاهرا وأكثر حذاق الجوهريين وأرباب الخبرة منهم على هذا القول وهذا عندى هو الصحيح وأخبرنى بعضهم أنه شاهد حجرا منه انكسر فوجد فيه حشيشة اشتمل عليها الحجر فى أصل تكونه (جيده ورديئه) الخالص الجيد الموجود منه فى هذا التاريخ هذا الحيوانى المذكور قبل وهو الاصفر الخفيف الهش المنقط ذو الطبقات الابيض المحك المر المذاق (خواصه) فى نفسه منها أنه اذا مر على حمة العقرب أبطل لسعها وان لسعت لم يؤذ سمها ومنها أنه ان حك على أفواه الافاعى والحيات خنقها وماتت وهذا والذى قبله مما يختبر به البازهر الحيوانى الخالص من المغشوش ومنها انه اذا جعل مع أجسام خشنة مباشرة لجسمه محتكة معه غيرت صورته وخشنته وغيرت لونه وجميع صفاته حتى لا يكاد يعرف وقد كان عندى حجر بازهر حيوانى خالص فجعلته فى كيس فيه دنانير ذهبا ثم سافرت من موضع الى موضع آخر فلما استقريت فتحت الكيس واستخرجت الحجر البازهر فلم أعرفه حتى

فزاد تشككي ولم يكن معي من أتهمه فعجبت من ذلك وبقيت متحيرا في أمره ثم جعلته في حق صغير بعد أن لففته بابريسم وغفلت عنه مدة ثم أخرجته فوجدته الحجر الذي كنت أعرفه أولا قد زالت عنه الهيئة الرديئة التي اكتسبها من احتكاكه بخشونة الذهب الا أن وزنه نقص بما انحك منه في الكيس ولما كان بعد ذلك جرى ذكر البازهر بيني وبين حذاق الجوهريين فعرفني أن من خاصيته أن احتكاكه بالاجسام الخشنة يغيره فعرفته بما شاهدته في ذلك بالتجربة تصديقا لقوله (خواصه) في منافعه أخص منافعه النفع من السم أي سم كان قاتله أو غير قاتله من سموم الحيوان والنبات من السموم الحارة والباردة ومن عض الهوام واللدغ والنهش اذا شرب منه من ثلاث شعيرات الى اثني عشرة شعيرة مسحوقه أو محلولة بالمبرد أو محكوكة على المسن بزيت الزيتون أو الماء فانه يخرج السم بالعرق من جسد المسموم ويخلص نفسه من الموت ويفعل ذلك بجملة جوهره والخاصية المودعة فيه أنه هو حجر شريف نفيس ليس له في جميع الاحجار ما يقوم مقامه في دفع السموم ومن خواصه انه اذا سحق ونثر على موضع النهش وغيره جذب السم الى خارجه وابطل فعله ومن خواصه ماذكره ابن جميع في كتابه الملقب بالارشاد الى مصالح الانفس والاجساد قال والحيواني من البازهر وهو الموجود في قلوب الايائل أفضل في جميع الاوصاف المذكورة في البازهر حتى أنه اذا حك بالماء على مسن وسقي منه كل يوم وزن نصف دانق للصحيح على طريق الاستعداد والتقدم بالحوطة قاوم السموم القادمة وحسم من مضارها ولم يخش غائلة ولا اثارة خلط حام كما يخشى من المثرود يطوش ولا يضر المحرورين ولا النحيفين لانه انما يفعل ذلك بخاصية جوهره ومن خواصه انه من تختم منه بوزن اثني عشرة شعيرة في فص خاتم ثم وضع ذلك الفص على موضع اللدغ من العقارب والهوام الطيارات وغير الطيارات ذوات السموم وأجناس الزنابير والدراريح نفع منها نفعا بينا ومن خواصه انه اذا سحق ثم نثر على موضع اللدغ من الهوام الارضية حين تلدغ اجتذب السم وأرشحه وان حفر الموضع قبل ان يبادر اليه بالدواء ثم نثر عليه من هذا الحجر مسحوقا أبرأه ومن خواصه ماذكره بعض الحكماء من الاوائل أنه اذا صنع خاتم من ذهب ويكون فصه بازهر ونقش عليه صورة العقرب حين يكون القمر في العقرب ويكون

العقرب وتدا من أوتاد الطالع ثم طبع بهذا الخاتم طوابع من كندر ممضوغ معمول منه قرص والقمر في العقرب أيضا ويرفع فمن لدغته العقرب وشرب قرصا من هذه الاقراص المختومة بهذا الفص البازهر لم تضره اللسعة وبرأ منها وقد جرب هذا فوجد صحيحا وختم به على غير الكندر لئلا تكون الخاصية للكندر ففعل كما يفعل اذا ختم به على الكندر انتهى (الفيروزج) حجر نحاسي يتكون من أبخرة النحاس الصاعدة من معدنه على ما ذكره بعد في تكون غيره من الاحجار النحاسية (معدنه) الذي يتكون فيه الفيروزج يجلب من معدن جبل النيسابور ومنه يحمل الى سائر البلاد ومنه نوع يوجد في نشاور الا أن النيسابوري خير منه (جيده ورديئه) الفيروزج نوعان سجاني وقبحاني والخالص منه العتيق وهو السجاني والاجود منه الازرق الصافي اللون المشرق الصفا الشديد اللمعان المستوي الصبغ وأكثر ما يكون فصوصا وذكر الكندي أنه رأى حجرا زنته أوقية ونصف * خواصه في نفسه منها أنه حجر يصفو لونه في صفاء الجو ويكدر مع كدورته وذكر ارسطاطاليس أن كل حجر يستحيل عن لونه فهو رديء للابسه ومنها أنه اذا أصابه شيء من الدهن أفسد حسنه وغير لونه وكذلك العرق يفسده ويطفئ لونه بالكلية وكذلك المسك اذا باشره أبطل لونه وأذهب حسنه (خواصه) ومنافعه منها أنه يجلو البصر بالنظر اليه ومنها أنه ينفع العيون اذا سحق في الاكحال ومنها أنه اذا سحق وشرب نفع من لدغ العقارب وطبيعته البرد واليبوسة (العقيق) حار يابس وفيه ثلاث خصال من الخواص الاولى أنه من تقلد بالاحمر منه الشديد الحمرة سكنت روعته عند الخصام الثانية انه من تختم بالنوع الثاني منه وهو الذي لونه لون ماء اللحم اذا ألقى فيه الملح وفيه خطوط بيض قطع عن حامله نزف الدم من أي موضع كان من الجسد ولا سيما النساء اللواتي يدوم طمثهن الثالثة أنه اذا استيك به من أي أنواعه اتفق أذهب عن الاسنان صداها وبيضها واذهب الحفر ومنع الاسنان أن يخرج من أصولها الدم (ظرائف) تليق بهذا المكان قال بعض الفضلاء ممن يعتمد على قوله من تمذهب للشافعي وقرأ لابي عمرو ولبس البياض وتختم بالعقيق وحفظ قصيدة ابن زريق البغدادي فقد استكمل الظرف ومما سمع عنه قيل ان خاتمه ما وجد في أصبع قتيل

(وقيل) وما أحسن استخدام فيه * عج بالعقيق فدمعي يحكيه

(وقال) الشيخ جمال الدين بن نباتة

لا تسل عن حديث دمعي لما * ظعن الركب واستقل الفريق
لونته وأمطرته دموعي * جرى منها الوادي وسال العقيق

(وقال) صدر الدين بن عبد الحق

اذكرها الغضا ولذيذ عيش * تقضى بالعقيق دوين سلع
فقالت ما الغضا فأجبت قلبي * وقالت ما العقيق فقلت دمعي

(وأنشدني) الشيخ تقي الدين بن حجة من قصيدة نبوية أولها

شدت بكم العشاق لما ترنموا * فغنوا وقد طاب المقام وزمزم
وضاع شذا كم بين سلع وحاجر * فكان دليل الظاعنين اليكم
وجزتم بوادي الجزع فاخضر والتوى * على خده بالنبت صدغ معمم
ولما روى أخبار نشر ثغوركم * أراك الحمى جاء الهوى يتبسم

(ومنها) في المديح الشريف

فيا ساكني واد العقيق بأحمد * خواتم خير قد أتت فتختموا

(وهذه) القصيدة كلها غرر فسح الله في وجود قائلها وأنالنا شفاعة ممدوحها صلى الله عليه وسلم وكيف لا تكون غرة وهو القائل فيها

نبي غدا في جبهة الدهر غرة * بنسبته البيضاء والشرك أدهم
وروضة حسن في ربيع لنا بدت * ومنبتها البيت العتيق المحرم
له النسب الاعلا فيا مادح الورى * اذا كان مدح فالنسيب المقدم
ويا من غدا في حب زينب هائما * وكان له عند الرباب ترنم
بحب ابن عبد الله أولى فانه * به يبدا الذكر الجميل ويختم

تأمل ما أحسن هذا التضمين (اليشم واليشب) حجران فضيان وكأنهما قريب بعضه من بعض ويتكونان من أبخرة مقصرة عن كيان الفضة على ما تقدم القول فيما سلف معدنه الذي يتكون فيه كاشغر ومنه يجلب الى البلاد وكاشغر بين الصين وغزنة مسيرة نيف وعشرين يوما من غزنة الى جهة الشمال لسانهم تركي (جيده ورديئه) اليشم نوعان أحدهما أبيض والآخر أصفر كلون العاج العتيق ويقال ان هذا هو الخالص (خواصه ومنافعه) من خواصه ...

نفسه اذا لفت عليه شعرة من شعر الانسان ثم وضع فى النار لم يحترق الشعر وكثير من المخرفين فى بلاد العجم يحملونه ويفعلون به ذلك ويدعون أنه من شعر النبى صلى الله عليه وسلم فيوهمون العوام بذلك وبهذه الخاصية يختبر الخالص من هذا الحجر من سواه ومن خواصه ومنافعه أن الصاعقة لاتقع عليه وعلى من حمله ألبتة وقد أخبرنى ثقات من العجم أنهم شاهدوا ذلك ببلاد العجم حيث تقع الصواعق كثيرا فبنوا فى القلعة منارة وعلوا فيها هذا الحجر فترى الصواعق نازلة من السماء تحيد عن موضع الحجر الى سائر الجهات البعيدة عنه ويقال ان من تختم به قطع عنه كثرة الاحتلام ومن خواصه ماذكره جالينوس فى الادوية المفردة انه ينفع من وجع المعدة بالتعليق عليها من خارج (البلور) معدنه الذى يتكون فيه ما يوجد بتربة العرب بالحجاز الشريف على ساكنه أفضل الصلاة والسلام وهو أجوده ومنه ما يؤتى به من الصين وهو دون العربى ومنه ما يكون ببلاد أفرنجة وهو جيد أيضا ومنه معادن بناحية أرمينية يميل الى الصفرة الزجاجية كأنه مطبوخ بالنار وقد ظهر عنه بهذا التاريخ معدن بالمغرب الاقصى بقربة من مراكش حاضرة الغرب نقى اللون الا أن فيه تشميرا وهو كثير عندهم حتى فرش منه ملك المغرب مجلسا كبيرا أرضا وحيطانا (جيده ورديئه) أجوده أنقاه وأصفاه وأشفه وأبيضه وأسلمه من التشمير فان كان مع ذلك كبير الجرم آنية كان أوغيرآنية كان الغاية فى نوعه قال التيفاشى أخبرت أن تاجرا من تجار الافرنجة أهدى الى ملك من ملوك المغرب قبة من البلور قطعتين يجلس فيها أربعة نفر ورأيت منه صورة ديك مخروطا اذا صب فيه الشراب ظهر لونه فى أظفار الديك ورؤس أجنحته صنعة بلاد الافرنجة ويصنع منه كل عجيب من الاوانى وقال الكندى ان فى البلور قطعا يخرج فى القطعة منها من المعدن أكثر من مائة من قال التيفاشى وأخبرنى غير واحد من أهل غزنة بنقل متفق على صحته أن بالقرب منها بينها وبين كاشغر بمسيرة ثلاثة عشر يوما واديا بين جبلى ذلك الوادى طريق موصل الى كاشغر والجبلان اللذان على الوادى من جهته بلور خالص يقطع فى الليل لان أشعته اذا طلعت عليه الشمس تمنع العمل فيه بالنهار ويصنع منه خوابى للماء فى كاشغر وغزنة وأخبرنى من كان متصلا بشهاب الدين الغورى ملك غزنة أنه رأى فى قصره أربعة خوابى للماء كل خابية تحمل

ثلاث روايا ماء من روايا الجمال جميعها على محامل يصعد منها الهاون بلور وكل واحد من محمل ثلاث قناطير الى أربعة (خواصه فى نفسه) انه يذوب كما يذوب الزجاج ويقبل الصبغ ومنها أنه يستقبل به الشمس ثم ينظر الى موضع الشعاع الذى قد خرج من الحجر فيستقبل به خرقة سوداء فتحترق وتوجد فيها النار (خاصيته) فى منفعته من علق عليه لم ير منام سوء تم ذلك (ذكر القاضى شهاب الدين) بن فضل الله العمرى فى تاريخه الذى سماه مسالك الابصار أن شخصا من بعض التجار فى أصناف الجوهر يجهز كل سنة ما يملكه وجماعة الى المغاص ليغوصوا على اللؤلؤ فى الوقت المعتاد وهو فى شهرين فى السنة فاتفق أنه أنفد جميع ما يملكه فى ذلك ولم يحصل على طائل ولم يطلع له شئ وافتقر ولم يبق له ما يجهز به الى المغاص فطلب من امرأته معضدة كانت فى عضدها ذهبا فقالت له يا هذا تعمل لك بهذه المعضدة حرفة غير ما أنت فيه من اللؤلؤ فقال ما أرجع عن صنعتى ومتجرى وتجهز هو بنفسه فى جماعة الى المغاص فغاصوا له فى الوقت المعتاد الى اليوم التاسع والخمسين ولم يطلع له شئ الى آخر النهار طلعت درة مالها قيمة فأحضروها اليه وقالوا له هذه غصنى على اسم ابليس وقد رد الله عليك جميع ما أنفقته فاستدعى بحجرين ووضعها بينهما الى ان عدمها وكسرها ثم رمى بها فى البحر فلامه الحاضرون رفقاؤه التجار على ما فعل وقالوا قطعة مثل هذه تقع لك وما عندك مثلها تعدمها فقال هذه القطعة ما أنتفع بها ولا أجعلها بركة ويجئ كل من يأتى بعدى يقتدى بفعلى و يغوصون له على اسم ابليس و يبقى على اثم ذلك الى يوم القيامة اذهبوا وغوصوا على اسم الله عز وجل فأصبحوا تمام الستين وما غاصوا له على اسم الله فطلعت لهم الدرة اليتيمة فوجه بها الى الخليفة ببغداد وهو اذ ذاك المقتدر فابتاعها عليه بثلاثمائة ألف درهم وحسن حاله ببركة اسم الله عز وجل انتهى ذلك والله أعلم

(الباب الاربعون فى خواص السلاح والسكاكين)

سأل عمر بن الخطاب رضى الله عنه عمرو بن معدى كرب عن السلاح فقال ما تقول فى الرمح قال أخوك وربما خانك فانقصف قال فما تقول فى الترس قال هو المجن وعليه تدور الدوائر قال فالنبل قال منايا تخطئ وتصيب قال

فما تقول فى الدرع قال مقشلة للراجل مشغلة للفارس وانها لحصن حصين قال فما تقول فى السيف قال هنالك لا أم لك يا أمير المؤمنين فعلاه عمر بالدرة وقال له تقول لا أم لك قال الحمى أصرعتنى (القاضى) الفاضل من قصيدة

تمد الى الاعداء منا معاصما * فترجع من ماء الكلى بأساور

(وله)

ورب هاتفة دعتهم للوغى * جعلوا صليل المرهفات صداها
هى فى بحار يديه أمواج ترى * نفوس من قتلته من غرقاها

(العنوى)

كأن على افرنده موج لجة * تقاصر فى حافاته وتجول
كأن عيون الذر كسرن حوله * عيون جراد بينهن دخول
حسام غداة الروع حتى كأنه * من الله فى قبض النفوس رسول

(أبو) العلاء المعرى

ودبت فوقه حمر المنايا * ولكن بعدما مسخت نمالا
غراراه لسانا مشرفى * يقول غرائب الموت ارتجالا
يذيب الرعب منه كل عضب * فلولا الغمد يمسكه لسالا

(النامى)

ذى مدمع من غير ما مستعبر * وتبسم من ثغره متوالى
وبريك فى لألائه متوقدا * حنق المنون به على الآجال

(وقال) أعلم الرؤساء ابن الصيرفى أبو القاسم على بن منجب من نثره على طريق اللغز يبالغ فى شكره اذا أفسد وبرح ويقبل فى تزكيته شهادة المجرح

(ابن قلاقس)

أسرتهم وشهرتها لخوفهم * مذأحرمت فى راحتيك حرام
وكلاهما جفن منعت غراره * لكن ذا عضب وذاك منام

(ابن سناء الملك)

له منصل لا ينقضى فرض حجه * فبالضرب لبى وهو بالسل محرما
تمسك الاسلام لما رأيته * يحل له فى الشرع أن يشرب الدما
فكم سل لما سال من بطن غمده * لسان دم من ضربة خلفت فما

(وقال) وجيه الدين بن الدروى
فتقت بأجساد الاسود لواحظا * رنت للمنايا عن عيون الثعالب
وأنطقت أفواها على قمم العدى * بألسنة البيض الرقاق المضارب
بحيث الوغى روض تغنى ذبابه * وسال على نور الطلى كالمذانب
وقد نشقت وردا لكلوم صعاده * وما شربت الادماء الترائب

(وله)
سكران من شربه خمر الدماء فان * حياه نور الطلى غنى لها هزجا

(ذو الوزارتين) لسان الدين بن الخطيب الاندلسى
وخليج هند راق حسن صفائه * حتى يكاد يعوم فيه الصيقل
غرقت بصفحته النمال وأوشكت * تبغى النجاة فأوثقتها الارجل
فالصرح منه ممرد والصفح منـــه مورد والشط منه مهدل

(وقال) مجير الدين بن تميم
لما اقتنيت من الصوارم أعوجا * يجرى القضاء بنهره المتموج
جبت القفار وما حملت اداوة * للماء من ثقتى بنهر الاعوج

(ابن نباتة)
وصارم كعباب الموج ملتطم * يكاد يغرق رائيه ويحترق
لما غدا جدولا تسقى المنون به * أضحى يشف على حافاته العلق

(الشريف البياضى)
وانا اذا الارواح ذابت مخافة * فتحنا بأشطان الرماح ركاياها
متى ما أردنا أن يذاق حديدنا * خلعنا بحد المشرفية أفواها

(ومن كلام تقى الدين بن حجة) فى معنى سكون الحرب
واعتقل الرمح بسجن السلم بعد أن كان على رأسه لواء الحرب معقود
وهجعت مقل السيوف فى أجفانها لما علمت أن الزيادة فى الحد نقص فى المحدود

(وللشيخ برهان الدين القيراطى)
قوم مناديلهم بيض فكم مسحت * رقاب أعدائهم تلك المناديل

(ألغزى وأجاد)
وقد سلب الطعن الاسنة لونها * فعصفر فى اللبات ما كان أزرقا

وأسيافنا في السابغات كأنها * جداول تجري بين زهر تفتقا

(ابن خفاجة)

موسد تحت ظل السيف تحسبه * مستلقيا فوق شاطئ جدول ثملا

(الرمح) ذكر القاضي الرشيد بن الزبير في كتابه العجائب والطرف أنه كان في خزانة السلاح أيام السفاح خمسون ألف درع وخمسون ألف سيف وثلاثون ألف جوشن ومائة ألف رمح (ومنه) قال الفضل بن الربيع لما ولي محمد الامين الخلافة في سنة ثلاث وتسعين ومائة أمرني أن أحصي ما في الخزائن من الكسوة والفرش والآنية والآلة ذكرت الفرش والكسوة في بابهما من هذا الكتاب وأما الآلة فعشرة آلاف سيف محلاة بالذهب وخمسون ألفا للشاكرية والغلمان ومائة وخمسون ألف رمح ومائة ألف قوس وألف درع خاصة محلاة وألف درع عامة وعشرون ألف بيضة وعشرون ألف جوشن ومائة ألف وخمسون ألف ترس وأربعة آلاف سرج محلاة خاصة وثلاثون ألف سرج عامة (القاضي الفاضل)

يقتل حيات الحقود من العدا * بحيات سمر بالاسنة نهشا
وينصبها أن يرتقوا الهضب سلما * ويرسلها ان ينزلوا القلب كالرشا

(وله)

أمتصل الرمح الطويل بكوكب * من ذا يطاعن والسماك سنان

(ابن سناء الملك)

ملوك يحوزون الممالك عنوة * بسمر العوالي أو ببيض القواضب
رماح بأيديهم طوال كأنما * أرادوا بها تثقيب در الكواكب

(ابن قلاقس)

وقد كحلت بأميال العوالي * اساة الحرب أحداق الدروع
وشب البأس نيران المواضي * وأسبل غيث أمواه الدموع
فللفرسان من حل وحل * حديث عن مصيف أو ربيع

(وله)

ومصرف الرمح الطويل سنانه * فتخاله قلما هناك محرفا
حيث العجاجة فوق لامعة الظبي * تثني على الاصباح ليلا مغدفا

فتريك طرف النجوم منها أكحلا * ومن الطوال السمهرية أوطفا

(ابن النبيه)

والنبل في خلل العجاج كأنه * وابل تتابع في خلال سحائب
لعبت أسنته على أعلامها * فكأنها شهب ذوات ذوائب

(الذروى)

ووراءها تيك الخيام أهلة * هامانها نبت الوشيج الاعوج
ارتحت حولهم لزرق أسنة * حتى كأنك في رياض بنفسج

(ابن المنشد) ملغزا فيه

أي شئ يكون مالا وذخرا * راق حسنا عند اللقاء ومخبر
أسمر القد أزرق السن وصما * انما قلبه بلاشك أحمر

(الفاضل)

فيا عجبا للك قر قراره * بختلفات من قتال الشواجر
طواعن أسرار القلوب نواظر * كأنك قد نصلتها بنواظر

(لسان الدين) محمد بن الخطيب

وبكل أزرق ان شكت ألحاظه * من العيون فبالعجاجة مكحل
متأود أعطافه من نشوة * مما يعل من الدماء وينهل
عجبا له ان النجيع بطرفه * رمد ولا يخفى عليه مقتل

(السيد الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على بن الآمدى

غصون بها طير النفوس تنافرت * وعهدى أن الغصن للطير مألف
ولا ورق الا من التبر حولها * ولا زهر الا من النصر يقطف

(وقال) فخر القضاة نصر الله بن بصاقة كتب للناصر دواد بن عيسى ووزر له وجلس معه في صدر الايوان (ومن نظمه ملغزا)

ومعى تقبل ان أطيل عنانه * مطيع خفيف الكل حين يقصر
ترى منه أميا الى الخط ينتمى * ومغرى بغزو الروم وهو مزنر
عجبت له من صامت وهو أجوف * ومن مستطيل الشكل وهو مدور
ومن طاعن في السن ليس بمنحنى * ومن أرعن ماعاش وهو موقر

(ابن نباتة السعدى)

وولوا علينا يقدمون رماحنا * وتقدمها أعناقهم والمناكب
خلقن بأطراف القنا لظهورهم * عيونا لها وقع السيوف حواجب

(ذكر الثعالبي) في لطائف المعارف أن أول من عمل له سنان من حديد ذو يزن الحميري واليه نسبت الرماح اليزنية وانما كانت أسنة العرب من صياصي البقر (قلت) قد كان رسم لجماعة من الفضلاء بالمملكة الشامية أن ينظموا أبياتا تكتب على أسنة الرماح وأن تكون البيوت أربعة وذلك برسم المقر العالي الطنبغا الجوباني كافل الشام المحروس رحمه الله تعالى فنظم سيدنا المقر المرحوم الشهير بابن الشهيد فتح الدين رحمه الله تعالى

اذا الغبار علا في الجو عثيره * فأظلم الجو ما للشمس انوار
هذا سناني نجم يستضاء به * كأنه علم في رأسه نار
والسيف ان نام ملء الجفن في غلق * فانني بارز للحرب خطار
ان الرماح لاغصان وليس لها * سوى النجوم على العيدان أزهار

(وأنشدني) القاضي المرحوم أمين الدين محمد الانصاري لنفسه وهو اذ ذاك كاتب السر بحمص المحروسة

عروس سناني حين يجلى على العدا * وتظهر تبدي ما لهم من بواطن
وقد صيغ من هم فبين صدورهم * مجال له رحب فسيح المواطن
سيلقون يوم الجمع غبنا لموتهم * بطعني ويوم الجمع يوم التغابن
وان شهدوا بالجور في وعدلوا * فاني قد بينت فيهم مطاعني

(ونظم) سيدنا القاضي صدر الدين علي بن الحنفي الآدمي رحمه الله وأنشدنيها من لفظه وهي من مبادئ نظمه

النصر مقرون بضرب أسنة * لمعانها كوميض برق يشرق
سبكت لتسبك كل خصم مارد * وتطرقت لمعاند يتطرق
زرق تفوق البيض في الهيجاء اذ * يحمرّ من دمه العدو الازرق
ينسخن يوم الحرب كل كتيبة * تحت الغبار فنصرهن محقق

(ونظم) الشيخ شمس الدين محمد بن بركة الرئيس وأنشدنيها من لفظه لنفسه رحمه الله تعالى

أنا أسمر والراية البيضاء لي * لا للسيوف وسل من الشجعان

لم يحل لى عيش العداة لانى * نوديت يوم الجمع بالمران
واذا تغانمت الكماة بجحفل * كلتهم فيه بكل لسان
فغنائمهم غنما تساق الى الردى * قهر المعظم سطوة الجوبان

(لوقال) كانت كلامهم بلسان * لكان أحسن (الشئ) يذكر بلوازمه نقلت من مجموعة بخط بعض الافاضل أن بعض الامراء بالاندلس وأظنه المنصور بن عامر رحمه الله كان اذا قصد غزوة عقد لواءه بجامع قرطبة و يجعل مسيره الى الغزوة من الجامع فاتفق أنه فى بعض حركاته للغزوات توجه الى الجامع لعقد اللواء واجتمع عنده القضاة والعلماء وأرباب الدولة فرفع حامل اللواء اللواء فصادف ثريا من قناديل الجامع فانكسرت على اللواء وتبددها الزيت فتطير الحاضرون من ذلك وتغير وجه المنصور فقام رجل وقال أبشر يا أمير المؤمنين بغزوة هينة وغنيمة سارة قد بلغت أعلامك الثريا وسقاها الله من شجرة مباركة فاستحسن ذلك المنصور واستبشر وكانت تلك الوجهة من أبرك غزواته (وما أظرف) وألطف قول الشيخ صدر الدين بن الوكيل متغزلا

كم قال معاطفى حكتها الأسل * والبيض سرقن ما حوته المقل
فالآن أوامرى عليهم حكمت * البيض تحد والقنا تعتقل

(ابن تميم)

لو كنت تشهدنى وقد حمى الوغى * فى موقف ما الموت عنه بمعزل
لترى أنابيب القناة على يدى * تجرى دما من تحت ظل القسطل

(ابن شرف القيروانى)

وقد وخطت ارماحهم مفرق الدجى * فبات بأطراف الاسنة شائبا

(القوس) حدث العتبى عن بعض أشياخه قال كنت عند المهاجر بن عبد الله والى اليمامة فأتى بأعرابى كان معروفا بالشرف فقال له أخبرنى عن بعض عجائبك قال عجائبى كثيرة ومن أعجبها أنه كان لى بعير لا يسبق وكان لى خيل لا تلحق فكنت أخرج محاربا فخرجت فاحترشت ضبا فعلقته على قبتى ثم لا أرجع خائبا فمررت بخباء ليس فيه الا عجوز وليس معها غيرها فقلت يجب ان تكون لها رائحة من غنم وابل فلما أمسيت اذا أنا بابل مائة فيها شيخ عظيم البطن شثن الكفين ومعه عبد أسود فلما رآنى رحب بى ثم قام الى ناقة فحلبها

وناولني العلبة فشربت ما شرب الرجل فتناول الباقي فضرب به جبهته ثم حلب تسع أينق فشرب ألبانهن ثم نحر حوارا فطبخه ثم ألقى عظامه بيضاء ثم جثى على كومة من البطحاء وتوسدها ثم غط غطيط البكر فقلت والله هذه الغنيمة الباردة ثم قمت الى فحل ابله فخطمته ثم قرنته ببعيري وصحت به فأتبعني واتبعته الابل أرابا كأنها في قطار فصارت شافي كأنها حبل ممدود فضيت أبادر ثنية بيني وبينها مسيرة ليلة للسرع فلم أزل أضرب بعيري مرة بيدي ومرة برجلي حتى طلع الفجر فأبصرت الثنية فاذا عليها شئ أسود فلما دنوت اذا الشيخ قاعد وقوسه في حجره فقال أضيفنا قلت نعم قال أتسخو بنفسك عن هذه الابل قلت لا فأخرج سهما كأنما نصله لسان كلب ثم قال أبصره بين اذني الظبي المعلق من القتب فرماه فصدع عظمه عن دماغه ثم قال ما تقول قلت أنا على رأيي الاول ثم قال أبصر هذا السهم الثاني في فقارة ظهره الوسطى ثم رمى فكأنما غرسها فيه ثم قال ما رأيك قلت أحب أن أستثبت قال انظر هذا السهم الثالث في علوة ذنبه والرابع والله في بطنك ثم رماه فلم يخطئ العكوة قلت أنزل آمنا قال نعم ثم دفعت اليه خطام فحله وقلت هذه ابلك لم يذهب منها وبرة وأنا أنتظر متى ترميني بسهم تقصد به قلبي فلما تباعدت قال أقبل فأقبلت والله فرقا من شره لا طمعا في خيره فقال أحسبك ما جئت الليلة الا من حاجة قلت أجل والله قال فاقرن من هذه الابل بعيرين وامض لطيتك فقلت لن والله حتى أخبرك عن نفسك فلا والله ما رأيت أعرابيا قط أشد ضرسا ولا أعدى رجلا ولا أرمى يدا ولا أكرم عفوا ولا أسخى نفسا منك قال فاستحيى وترك الابل جميعها (قلت) ذكر هذه الحكاية الشيخ جمال الدين بن نباتة في سرح العيون بخلاف هذه الالفاظ وان الشيخ المذكور زيد الخيل واسمه مهلهل * عزم الملك المعظم على الصيد فقال له بعض الجماعة يا مولانا القمر في العقرب والسفر فيه مذموم والمصلحة الصبر الى ان ينزل القمر القوس فعزم على الصبر فبينا هو مفكر اذ دخل مملوك كان له من أحسن الناس وجها يقال له أيدغدي فوقف قدامه وقد توشح بقوس فقال بعض الحاضرين يا مولانا اركب الساعة فهذا القمر في القوس حقيقة فقام لوقته وركب استبشارا فلم ير أطيب من تلك السفرة ولا أكثر من صيدها (الشهاب الاعزازي) ملغزا

فيها وفى النشاب

ما عجوز كبيرة بلغت عمرا وتقيها الرجال
قد علا جسمها اصفرار ولم تشك سقاما ولا عراها هزال
ولها فى البنين سهم وقسم * وبنوها كبار قدر نبال
وأراها لم يشتهوها فى الام *اعوجاج وفى البنين اعتدال

(الحلى) ملغزا

وما اسم تراه فى البروج وانما * يحل به المريخ دون الكواكب
اذا قدر البارى عليه مصيبة * عدته وحلت فى صدور الكتائب

(بدر الدين) بن الصاحب ملغزا

لله مملوك اذا * ما قام فى الشغل اعترض
لكنه فى لحظه * محصل لك الغرض

(أيدمر يرثى سهما انكسر)

يا سهم هاج رداك لى بلبالا * وأطار نومى والهموم أطالا
مذ بنت ماراع الحمام حمامه * يوما ولا علق المنون غزالا
ولطالما شوشت من سرب المها * الفا ومن سطر الكراكى دالا
قد كنت أعجب للقسى سقيمة * صفراتئن كأنهن ثكالا
فاذا بها علمايومك فى الردى * كانت عليك تكابد الاهوالا
عجبا من الآجال كيف تقسمت * فيه وكان يقسم الآجالا

(وقال) الامام كمال الدين اسمعيل بن جمال الدين عبد الرزاق الاصفهانى رحمه الله ويسألونك عن ذى القرنين قل سأتلو عليكم منه ذكرا انا مكناله فى الارض وآتيناه من كل شئ سببا فأتبع سببا حكيم جبل على السداد يهدى الى سبل الرشاد آثار بأسه مشهورة على ذرى الاعواد بطشه شديد ومرماه بعيد أيد فى مغزاه بالتعقيب يأخذ فى التشريق بعد التغريب فشد بكل شديد الاغارة أسره وسند الى كل مشبوح الذراعين نصره فأنفذ رسله تترى شفعا ووترا فطير برده الى الاطراف بنوع من الاستعطاف وأثبت ما فى ضميره فى القرطاس اظهارا للباس وانذارا للناس وأغرق قوس عزائمه فى الركض وحوم على جنبه القرار فى الارض فأعين بقوة جمع بها بين اليدين

ثم قبض في البين عند ملتقى الحدين وكان من دعائه في انحنائه رب اشرح لي صدري واشدد أزري واحلل عقدة من لساني يفقهوا قولي وأخي أفصح مني لسانا فارسله معي واشركه في أمري نعم ويسألونك عن الأهله صفرا من غيرعله حنانة حنت ولا تهنت حية اذا انطلقت ارجحنت مرنان لا عن مرض يشهب الى غرض هلال يطلع بحلول الاجل المضروب استهلاله دليل الوقائع والحروب مجرة تنقض منها نجوم الرجوم برج ذو جسدين يطلع بالطائر الميشوم ثابت يقارن السيارات واقع ينهض من وكره الطيارات ذات الحبك لاتراجع كواكبها برج معوج الضلوع تغور في أسرع زمان غواربها معنى أحكمت مبانيه ورفعت مجانيه حائطه مائل وعماده زائل لا يقوم مناده ولم ينقص وكاده نبا نبا بساكنه فترحل منه وبيت أزعج نازله فتحول عنه رباط موقوف على المارة لا تلبث فيه السيارة بيت منزحف ينفر عنه الطبع السليم وينفر عنه النبع المستقيم محل النزاع يتطرفيه عند المجادله متصرف للقتال يولي الظهر عند المقاتله سورة محكمة ذكر فيها القتال يتمسك به أصحاب الجدال شديد القوى ذو مرة يواتر بين رسله من غير فترة مني بذات الجنب يقلقه انبعاث مرته لا يسكن الا اذا دسع بحر بته شيطان تطلع شمس النصرة من قرنيه مارد لا يسكن الا بتعريك أذنيه صورة مركبة ليس لها من تركيب النظم الاماجات ظهورها أوالحوايا أوما اختلط بعظم أضلاع على الوتر تطوى أكاد تحن الى القد من الطوى مستأسر شدت الى العقب أذقانه يضيق صدره ولا ينطلق لسانه بطل شد حيازيمه للموت ويجزع من خوف الفوت بأعلى الصوت مقدام من بني الاصفر قدم في دار الحرب وشد عليه الوثاق حتى شكا ضيق الخناق وجرى عليه سهم الاسترقاق فصار ملك اليمين باستحقاق ولا غرو أن مال الى أصحاب الشمال فهو فرع أصله ضال متكبر يأبى السجود للبشر في صلبه مثل صياصي البقر مغشي عليه جمع الى الاصفرار نحولا وحنينا فقبض وكان في النزع حينا مطية تخالف سائر الانعام قيامها باليد وقيامهن بالاقدام وكلما كانت أثبت على المقام كان راكبها أقرب الى بلوغ المرام مضيرة تمتطيها الراكب اذا كانت معقوله وينزل عنها اذا أرسلت محلوله أعوجي يشتد في مراكض السباق أعجمي

يلوى الاشداق شاكية تودع شفرالا تعود عقيلة تحن الى زوج من عود عاتكة شبق شديدة العرامه أعجب بها حدباء مديدة القامه عنقاء تزف افراخ النسور تزيد فى مرتها الدهور سلس القياد صعب الى ذى مره غير مستوى مقبوض جمع البارى عظامه فصوّره وأحسن نظامه فقامت عليه القيمة ألف ونون جمعا التثنية لا يرميه أهل القياس بالتخطئة بل بالف قارون نون مشدّدة فاذا حركته أنّ واذا تركته اطمأن حرف اذا رفع نصب للجر ولا يستعمل جزما بعد ما دخله الكسر وحرف آخر معطوف عليه ومجرور بالاضافة اليه حرف أدغم فيه غيره بتسكين وجعل منه تشديد وتنوين هيئته شبه علامة اذا عطلت وتشا كل الباء اذا استعملت ذو نير بمشاء بهيم عتل على الجفاء مقيم مغرق يتنكب على موارد الماء معرق عند ذوى النسب والانتماء وأخوه دعى به لاحق عيص ألف ونبعه مطورة يغى اذا اتصل الدعى اللاصق مقيد يحمل عليه المطلق طويل العنق من حبل عاتقه معلق خفيف الرأس يميل الى كل طياش عارى المناكب فى حبالته ذوات الرياش نحيف يرى أثر المحاجم بظهره يتسم لقصد غيره أجش يرفع صوته بين الرماه بارز يفت فى أعضاد الكماه لا مرمات ادرك الرقاه ونكب عن مراشق الرماه كان شظيته من فرع ايك نسخها النسور الطاويات أعجوبة جمعت بين أضدادها تعنا فى خضوع واباء فى خشوع وتعطفا فى قساوه وصلابة فى رخاوه اشباه أعناق الجمال طابقها زمامها أضلاع انضاء توسطها سنامها كأن قرنيه صل انسلخ من اهابه فخلع عليه بعض ثيابه مضمار جمع بين الانسى والوحشى عاطل يرفل فى اللباس موشى وثنوى يخشى النار ولا يخشى العار موتور نشر أذنيه لدرك الثار موتر أخذ فى الركوع وهو قائم خميص البطن يبتلع ذراعا وهو صائم محدوب بلغ قاب قوسين فى الارتياض متقشفا بلى طمريه فى التذلل والانخفاض منقبض جمع للانزواء أطرافه مرابط يهز عند اللقاء أعطافه متحرج يعض على ناجذ التصبر فى الشدة والرخاوه من صاحبه طرفة عين مشى على الهواء فقل فى نون التقم عرسلا فنبذه بالعراء راكع أوّاه يشكو وزره الذى أنقض ظهره معطوف على من مدّ اليه يد الاجتذاب فقول ولو أن السيف جواب مجرم ألزم طائره فى عنقه وعرض على النار لسوء خلقه وسوف يؤخذ بالنواصى والاقدام

ويجزى بما تحمله من الاوزار والحطام ويستنطق جلوده قسرا وقهرا فينطق بما تخفيه جهرا وأنى له التناوش من مكان بعيد وقد تمكن من جوز قبته من هو أقرب اليه من حبل الوريد ناحل ألصق بطنه بظهره حتى بدت للناظرين ذات صدره وغارت كلاه فى خصره لاستيلاء قوته الدافعة الهالكه على قوتيه الجاذبة والماسكه وانقطاع حبل وريده عن شريانه وتجافى جنبه عن مصرانه ثعبان اذا أنشط من عقاله أمن الناس عادية أفعاله جموح يعثر بالراكب معرقب تحمله المناكب ضرس شرس يتمطى ويتثاوب لتمدد أعضائه مجرد يستظهر ويدل بأولاده وأعقابه ظرف مظروفه يخالف الظرف هذا لا يقبل العدل وذا لا يقبل الصرف هيفاء متنها مجدول وفرعها مفتول خصرها دقيق وقدها رشيق قوية العلياء محطوطة المطاء ناشرة كأدها قب الكلى يضمها صاحبها الى الصدر فتنكب عنه وتزور مزاوج مطلاق يودع صاحبه عند الاعتناق مكاف خلق فى كبد طموح لا يدعن الالمن عنده مديد مقبوض يقارب السريع ويفارقه عند التقطيع صحيح معلول ممدود فى العرض مقصور فى الطول قرناء أحصنت فرجها وأبعدت من نفسها زوجها صب ذو أناة تعود وأراد البنات غيورا ذا لاقى بناته الاتراب زوى حاجبه للاضراب فيمسكه على هون أم يدسه فى التراب عرق من عروق الشريان اذا جسته البنان ينبض وله ضربان قوسه حين دائرة السوء محيط بالاعداء متعصب ينشط للمنازعة بعد الاغراء دهرى أتى عليه قرن بعد قرن فانحني مطاه لا ينتصب الا وعلى اليد متكاه وينشد اذا فتح فاه

سلبت عظامى لحمها وتركتها * مجردة تخظى لديك وتحضر
خذى بيدى ثم اكشفى الثوب تنظرى * ضنا جسدى لكننى أتستر

عظامى اذا انتصب عصا نى اذا انتصب مكاشح أولع بضرب غيره ورب مارد كيده فى نحره محدب يظهر الحنو ويضمر السوء من عصبته هى بالقوة بنو ميالة الاعطاف تسند العود الى صدرها وتمكنه بين سحرها ونحرها وتدنى من الاسماع أوتارها فيضربها فتغنى فتفشى أسرارها قرنان يسعى بأزواجه على الاعداء ويقذف بنات صلبه بالنكراء غليظ الكبد عفوا أفلاذ كبده ويشمت من قتل أعباء ولده فيفقده من حرمه ثم يحن على أثره فيقال له يا هذا

أسوقا وشوقا أجمعا

حننت الى ريا ونفسك باعدت * مزارك من ريا وشعبا كما معا
فما حسن ان تأتى الامر طائعا * وتجزع ان داعى الصبابة أسمعا
وأذكر أيام الحمى ثم أنثنى * على كبدى من خشية أن تصدعا

مشاجر مشجر النسب يطاوع من يمد اليه بسبب غدق يثمر الشوك دون الرطب منحنى الظهر حمله الحطب وثيقة جامعة لاسباب اللزوم والاحكام عرية عن النواقص مطوية على النفوذ والابرام يتشبث بها عقد الخطام متمرد كلما قيد الاستسلام بأسبابه نكص وارتد على أعقابه أمين غير مأمون على الودائع وكلما استودعته فهو ضائع ظلوم يقبل الامانة بجهوله ويؤدى ما قبل الى غير أهله نافذ الامر ليس يعادل ثانى عطفه ليجادل مكبود يعالج بالكى مطالب يدافع باللى مسدد غير سديد جمع بين المد والتشديد قاتل له فى سهم الفرائض نصيب يأخذ ما يأخذ بالتعصيب معشش أفراخ العقاب ضربت عليه رحل الغراب متجلدا لا يتضعضع لريب الدهر ولو رمى بقاصمة الظهر يساهمنى فى مكابدة الشدائد ويسعد فى التحنن على الاولاد والولائد

لنا كل يوم رنة خلف ذاهب * ومستهلك بين النوى والنوائب
وقلعة اخوان كأنا وراءهم * نرامق أعجاز النجوم الغوارب

منحنى الظهر يتوكأ على العصا فيلقيها فاذا هى حية تسعى مجاهد يزجى دهره بين شدة ورخاء وكد واستراحة ولين ووقاحة وقبض وسماحة وهو بين ولى ظاهر وعدو مجاهر مجذوب يميل الى من يجذب بضبعه وينازع من خالفه بطبعه وابن تحت من نبعه مفتت اذا أتاه ابن السبيل فاغرا فاه أطعمه من عنده ثم ضرب قفاه وأبعده ونفاه جانبه مخفضه سلطة دربه عارية كأنها أفعى جاريه رقيق فيه شده بليد فيه حده فاتك تأبط شرا ملاعب الاسنة يقتل صبرا متلف مخلف وهاب لا يمسك سخى بما لديه لدى اليدين بذول كأنما عناه من يقول يعطى ويمنع لا بخلا ولا كرما محاكم يعاضد ذا اليدين على صاحب الرقبه مسترسل لا يبالى باقتحام العقبه حاجب عثرات ألحاظه كالعين تدخل الرجل القبر مبذر يده مغلولة الى عنقه للحجر كوماء معقوله هوجاء معلوله حاجب مقرون لا يوجد مثله فى القرون كالحية

الرقشاء مسهالين وخطبها غيرهين نائم العين بصره حديد كالجمل الانف ينقاد اذا قيد شاحب محقوقف سائق لا يستوقف بطل شد للموت حيازيمه وقصد للقاء العدو غرار العزيمه طائفة تنبو عن سرعة الاصحاب كلما نضجت جلودهم بدلناهم جلودا غيرها ليذوقوا العذاب (ومن آخر رسالة القوس) للشيخ كمال الدين الاصفهاني شيخنا زين الدين بن العجمي محاجيا في لامة

ياسيد النجباء * سر المحاجاة يكشف
ما مثل قول المحاجي * للنهي والامر بالكف

(ومن انشاء القاضي محيي الدين) بن عبد الظاهر ومن الجواشن حسنه القسامى والتسامت لا يرى في خلق سمائها من تفاوت قد رفع بعضها فوق بعض درجات وبنيت أسوارا لحفظ المهجات قد زينت سماؤها بزينة الكواكب وفاق غمامها المتراكم وراق موجها المتراكب كم أحسنت دفاع البؤس عن النفوس عدة وقوع وكم حنت حين حنيت أضالعها على الضلوع كم دخلت جنة جنتها بسلام وكم بدت كأنها مطلع نضيد ولا عجب فانها ذوات الاكمام (كتب) الى الجناب المجدى فيما ينقش على طير

لئن لحت طورا كالهلال شكالة * فلى من غبار النقع يا صاحبي سما
فان لحت مثل البرق فى ساعة الوغى * فعما قليل بعده تمطر الدما

(وله فيه)

ألا انظر الى شكلى واتقان صنعتى * وروح عن بديع الحسن عنى مخبرا
طلعت هلالا فى سما النقع نيرا * بتقصير أعمار البغاة مبشرا

(الباب الحادى والاربعون فى الكتب وجمعها وفضل اتخاذها ونفعها)

قال ابن الخشاب ملغزا فيها

وذى أوجه لكنه غير بائح * بسر وذو الوجهين للسر يظهر
يناجيك بالاسرار أسرار وجهه * فتسمعها ما دمت بالعين تنظر

(وقال أبو زيد الدبوسى)

اذا ما خلا الناس فى دورهم * بزهر الندامى وعز الصحاب
وأكل الطعام وشرب المدام * وتم السرور بخود كعاب

خلوت وصحبي كتب العلوم * فكان الانيس لقلبي كتابي
ودرس العلوم شراب العقول * فطوفوا على بذاك الشراب
ومن كان في دهره جامعا * سوى العلم جمعه للذهاب

(أبو النصر الفارابي)

لما رأيت الزمان نكسا * وليس في الصحبة انتفاع
كل رئيس به ملال * وكل رأس به صداع
لزمت بيتي وصنت عرضا * به من العز اقتناع
أشرب مما اقتنيت راحا * لها على راحتي شعاع
لي من قواريرها ندامى * ومن قراقيرها سماع
وأجتني من حديث قوم * قد اقفرت منهم البقاع

(غيره)

وماشغفي بالكتب الالانها * تسامرني من غيرعي ولاضجر
وأحسن من ذا أنها في صحابتي * تخفف تكليفي وتقنع بالنظر

(ابن نباتة)

لله مجموع له رونق * كرونق الحبات في عقدها
كادت مجاميع الورى عنده * تموت بالميتة في جلدها

(قال) الجاحظ الكتاب وعاء ملىء علما وحشى ظرفا وأناء شحن مزاحا وجدا ان شئت كان أعيى من باقل وان شئت كان أبلغ من سحبان بن وائل وان شئت ضحكت من نوادره وان شئت أشجتك مواعظه والكتاب نعم الظهر والعده والكنز والعقده ونعم الذخر والعمده ونعم النزهة والنشره ونعم الشغل والحرفه ونعم الانيس ساعة الوحده ونعم المعرفة ببلاد الغربه ونعم القرين في الرحيل ونعم الوزير والنزيل والكتاب هو الجليس الذي لا يطريك والصديق الذي لا يغريك والرفيق الذي لا يملك والمستميح الذي سماحته لا تستزيدك وهو يعطيك بالليل طاعته وبالنهار طاب العطاء ويفيد في السفر كافادته في الحضر (ثم قال) فمتى رأيت بستانا يحمل في ردن وروضة تقلب في حجر ينطق عن الموتى ويترجم كلام الاحيا ومن لك بواعظ مله وبزاجر مغر وبناسك فاتك وبساكت ناطق وحار بارد ومن لك بطبيب أعرابي

ويروي هنـدي (قال) وسمعت حسن اللؤلؤي يقول عمرت أربعين عاما ولابت ولااتكأت الا والكتاب موضوع على صدري وكان يقال انفاق الفضة على كتب الآداب يخلف عليك ذهاب الالباب (وقرأ) أبو الحسن بن طباطبا في بعض الكتب الكتب حصون العقلاء اليها يلجأون وبساتينهم فيها يتنزهون (وقال) بديع الزمان الهمداني مارأيت جارا أبر ولا رفيقا أطوع ولامعلما أخضع ولاصاحبا أظهر كفاية ولاأقل خيانة ولاأزهد في مال ولاأكف عن قتال من كتاب (وقال) الزمخشري مارأيت قرينا أحسن موافاة ولاأعجل مكافاة ولاأخص معرفة ولاأخف مؤنة ولاأطول عمرا ولاأجمع أمرا ولاأطيب ثمرا ولاأقرب مجتنى من كتاب (وكتب) ابن نباتة الى بعض الاجلاء يستعيد كتابا في عاريته ويسأل ارسال الكتاب الذي أشرقت بمولانا حروفه وأينعت في الاوراق قطوفه واصبح لفظه الباسم كما قال العباس يكون أجاجا دونكم فاذا انتهى وقد عزم المملوك على السفر حيث يجلي صدأ الغياهب ويتسلم الغرب وديعة الشرق من درّ الكواكب ويسحب ذيل الفجر المجرور ويتلو لسانه على الافق سورة النور والله تعالى الخليفة على مجد مولانا الغريب وفضله الغريب وشخصه الذي لولاه في هذا البلد لم يلف بها غريب (وكتب) اشخص أهدى كتابا في فضائل الاعمال يقبل الباسطة لازالت بادية الاجمال واقية الكرم على مافي الآمال هادية مهدية بما أولته من فضائل الاقوال وفضائل الاعمال وينهي ورود كتابيه اللذين ملأ بأكبر يديه وبالنور قلبه وعينيه ونعماه نظرا وسمعا وأرياه القمرين في وقت معا فلله مكاتبته التي جنت نسماتها السحريه وغازلت عيون فضائلها السحريه وتضوعت حتى أرخصت الغوالي بنفحاتها الشحريه تركت والحسن يأخذه يتعجب منه ويتعجب ولله كتابه الذي جمع الاعجاز والاعجاب وطاس المملوك فكأنه المعني بقول أبي الطيب وخير جليس في الانام كتاب ماأبهج عقوده المتسقه وماأحسن ماتدخل النواظر عذبا من أبوابه المتفرقه وماأجمع فصوله لحسن واحسان وماأطيب أحاديثه عن جنان الخلد اذطابت الاحاديث عن جنان لقد أضاء حتى حسبه مشارق الانوار وتأمله فاذا تجاذب الحسن من نفسه وطرسه في ليل ونهار وغنى فهو للطرف معنى ويلمح من فنون أفنانه

الجنة صورة ومعنى فهذه الاسطر المبدعة أشجارها وهذه الالفاظ المتنوعة أزهارها وهذه الثمرات المرتفعة اطيارها وهذه الطريق المترقرقة بين السطور أنهارها وما كان الملوك قبله يحسب ان جنة تهدى فى أوراق ولا أن حديقة تسير على البعد فتعرض على أحداق فشكر الله لمولانا هذه المنن الباهره ونفع بهداياه التي تجمع للاولياء بين خيرى الدنيا والآخره (استعار) الصنعاني كتابا سفينة من صاحب له فكتب اليه لما ردها على معيرها رأيت السفينة مشحونة علوما وصاحبها الحبر بحرا وكان من الرأي ردّي اليه سفينته فهى بالبحر أحرى (وعلى ذكر المجموع) فما أحسن قول الحكيم موفق الدين المعروف بالورن

لله أيامنا والشمل منتظم * نظم به خاطر التفريق ماشعرا

والهف نفسي على عيش ظفرت به * قطعت مجموعه المختار مختصرا

(ابن الوردى) فى شخص أخذ له كتابا ولم يرده

اذا لم يرد فلان الكتاب * ودافعني عنه بالباطل

ندبت له قاضيا فاضلا * وخاصمت حتى بالفاضل

(ابن نباتة) مع كتاب أهداه

أرسلته نعم الجليس * اذا تغيرت البشر

يبقى على سنن الوفا * أبدا ويقنع بالنظر

وخير جليس فى الانام كتاب هو النديم الكريم والخدن الامين البرىء من الذنوب السالم من العيوب الذى ان أدنيته لم يباعدك وان أقصيته لم يعاودك وان واصلته جدده وان هاجرته أمنته وان استنطقته أسمعك وان استكفيته أقنعك وان استكففته كف وان استقلته خف وان دعوته لباك وان استعفيته أعفاك لا يعصى لك أمرا ولا يحملك اصرا عرضك معه وافر وهو لسرك غير ناشر أنيق المنظر طيب المخبر جميل الشاهد كثير الفوائد يملأ العيون قره والنفوس مسره يضحك الحزين اللهف ويلهى الغضبان الاسف يجتلب السرور ويشرح الصدور يطرد الهموم والاحزان وينفي بواعث الاشجان مجاورته أحسن مجاوره ومسامرته أحلى مسامره ومجالسته أنفع مجالسه ومؤانسته أمتع مؤانسه فيه مدعاة الى الطرب ومسلاة من

الوصب وتعلة لذى الغرام وتلهية لقلب المستهام وأنس للمستوحش ورى للمتعطش وعمارة للمجالس وحلية للمؤانس تلق القلوب محبتها عليه وتميل النفوس بكليتها اليه ليس بينه وبين حبات القلوب حجاب ولا يغلق بينه وبين سويدا واتها باب (كتب) شيخنا زين الدين بن العجمي على مناسك قاضي القضاة بن جماعة

ألفت يا أزكى الورى مناسكا * فقت بها من قبلكا
قد وضحت لكل سار حجة * ولم تدع للناقدين مدركا
وقد تلت أحكامها على الورى * لكل أمة جعلنا منسكا

(الديوان) الاصل الذى يرجع اليه ويعمل بما فيه قال ابن عباس اذا سألتمونى عن شئ من غريب القرآن فالتمسوه فى الشعر فان الشعر ديوان العرب أى أصله ويقال دون هذا أى أثبته واجعله أصلا وزعم بعضهم ان أصله أعجمى وذكره سيبويه فى كتابه وقال ان أصله دوّان (الدفتر) عربى لا يعلم له اشتقاق وحكى دفتر بالكسر ويقال أيضا تفتر وأما الكراسة فمعناها الكتب المضمومة بعضها الى بعض والورق الذى الصق بعضه الى بعض مشتق من قولهم رسم مكرس اذا ألصقت الريح التراب به كما قال العجاج

يا صاح هل تعرف رسما مكرسا * قال نعم واعرفه ميلاسا
ابليس غير ولم تكن له حجة وقال الخليل بن أحمد الكراسة من الكتب مأخوذة من أكراس الغنم وهى أن تبول فى الموضع شيأ بعد شئ فيتلبد (شمس الدين العفيف) كان عنده مجموع فطلبه منه بعض الرؤساء فأرسل اليه وكتب معه

يا أيها الصدر الذى وجه العلا * منه يزان بمنظر مطبوع
لا تعتقد قلبي بعثت وحده * ها قد بعثت لسيدى مجموعى

(اجتمع) لسيف الدولة بن حمدان مالم يجتمع لغيره من الملوك كان خطيبه بن نباتة الفارقى ومعلمه ابن خالويه ومطربه الفارابى وطباخه كشاجم وخزان كتبه الخالديان والصنوبرى ومداحه المتنبى والسلامى والوأواء الدمشقى والببغاء والنامى وابن نباتة السعدى والصنوبرى وغير ذلك (قال مجير الدين بن تميم) فيما يكتب على خزانة كتب

انظر الى ترى فى صورتى عجبا * فخصا حوى العلم فى صدر من الخشب

وفيه من كل فن غير أنه * وجد ايميل به شوقا الى الادب

(وله)

يا حسنها نسخة يلهو مطالعها * وطالما قد حوت من رائق الكلم
صحت وقد لطفت فى جسمها فحكت * لطف النسيم وحاشاها من السقم

(ولبعضهم)

ان مجموعى البديع محلى * قد تنقيت دره المختارا
واذا لم أعره ليس عجيب * شغل الحلى أهله أن يعارا

(قلت) ولا بأس بايراد نبذة من التورية بأسماء الكتب فمن ذلك قول بعضهم

ياسائلى من بعدهم عن حالتى * ترك الجواب جواب هذى المسئله
حالى اذا حدثت لا لمعاولا * جلا لا يضاحى لها من تكمله
عبد حوى بدرا الفصيح منكدا * فاترك مفصله ودونك مجمله
القلب ليس من الصحاح فيرتجى * اصلاحه والعين محب مثقله

(ومنه) للشيخ أبى عبد الله بن جابر المغربى نزيل دمشق المحروسة

عرائس مدحى كم أتين لغيره * فلما رأته قلن هذا من الاكفا
نوادر آدابى ذخيرة ماجد * شمائل كم فيهن من نكت تاقى
مطالعها من المشارق للعلى * قلائد قد راقت جواهرها رصفا
رسالة مدحى فيك واضحة ولى * مسالك تهذيب التنبيه من أغفى
فيا منتهى سؤلى ومحصول غايتى * لانت أحرى حاصل الوجد مستصفى

وقد اشتملت هذه الابيات الخمسة على التورية بعشرين كتابا وهى العرائس للثعالبى والنوادر لابى على القالى وغيره والذخيرة لابن بسام وغيره والشمائل للترمذى والنكت لعبد الحق الصقلى وغيره والمطالع لابن قرقول وغيره والمشارق للقاضى عياض ولغيره والقلائد لابن خاقان وغيره ورصف المبانى فى حروف المعانى للاستاذ ابن عبد النور كتاب لم يصنف مثله فى فنه والرسالة لابن أبى زيد ولغيره والواضحة لابن حبيب والمسالك للبكرى وغيره والجواهر لابن شاش وغيره والتهذيب فى اختصار المدونة وغيره والتنبيه لابى اسحق ولغيره ومنتهى السؤال لابن الحاجب والمحصول للامام والغاية

للنووى ولغيره والحاصل مختصر المحصول والمستصفى للغزالى ولغيره ثم ذلك

(ذو الوزارتين) لسان الدين بن الخطيب

ولما رأت عزمى حثيثا على السرى * وقد رابها صبرى على موقف البين
أتت بصحاح الجوهرى عيونها * فعارضت من دمعى بمختصر العين

(ولما أنشدتهما) لشيخنا العلامة أقضى القضاة بدر الدين الدمامينى أسبغ الله ظلاله أنشدنى ولم يسم قائله

فى نصف الاستذكار أعطيته * مختصر العين فأرضاه

(قلت) هما لابن شعيب المغربى والاول منهما

وبائع للكتب يبتاعها * بأرخص السعر وأغلاه

(مأمون) بن مأمون خوارزم شاه يقول همتى كتاب أنظر فيه وحبيب أنظر اليه وكريم أنظر اليه (نادرة) مر العلم بن الصاحب بن شكر المعروف بالاجوبة على بعض الاكابر من المصريين ومعه كتاب مجلد فقال له يا شيخ العلم أرنى أنظر فى كتابك هذا فقال لم يكن الذين كفروا من أهل الكتاب (استعار) الصدر تاج الدين أحمد بن سعيد بن الاثير الكاتب مجموعا من مجاهد الدين ابن شقير وأطال مطله فاتفق أن حضر يوما الى ديوان المكاتبات فقال ابن الاثير كيف أنت يا مجاهد الدين والله قلبى عندك وخاطرى عليك فقال وأنا والله مجموعى عندك فطرب لها الحاضرون (قال الفاضل) كل كراسة لا يحزم أنفها ولا يكون الجلد دفها عرضة للضياع وما مكانها من الخزانة الا مسترق الوداع (الصفدى)

ملكت كتابا أخلق الدهر جلده * وما أحد فى دهر مخلد
اذا نظرت كتبى الجديدة جلده * يقولون لا تهلك أسى وتجلد

(كتب) سيدى وأخى القاضى شهاب الدين بن حجر سامحه الله على جزأى تذكرتى التى سميتها ثمرات الاوراق

نظرت لما سطرته من مجامع * لها الفضل اذ راقت محاسنها تعزى
وقد لذ منها ما كتبت بخاطرى * ولم يكف طرفى منه جزء ولا أجزا

(ابن نباتة)

رب مليح رأى كتابا * فقال ما هذا المليح عندك

فقلت فى الحال يا كتابى * غيب والا سلخت جلدك

(ووجدت) على ظهر كتاب هذا البيت

وما الكتب الا كالضيوف وحقها * بأن تتلقى بالقبول وان تقرى

(ابن الوردى) وكتبها على كتاب الشمائل للترمذى

يا أشرف مرسل كريم * ما ألطف هذه الشمائل

من يسمع لفظها تراه * كالغصن مع النسيم مائل

(الباب الثانى والاربعون فى الخيل والدواب ونفعها)

قيل أول من اتخذ الخيل وركبها اسمعيل بن ابراهيم عليهما السلام وكان داود وسليمان عليهما السلام يحبان الخيل وورث سليمان عن أبيه ألف فرس وكان للنبى صلى الله عليه وسلم فرس يقال له السكب (نادرة) كانت مغنية عند رجل فلما أرادت الانصراف قال اسرجوا لها الاشهب فقالت لا أريده هو شئ الى خلف قال اعطوها الى ذنبه الى ناحية بيتكم (القول فى طبائع الفرس) وانما بدأت به لانه قريب من الاعتدال الخالص وأحسن ذوات الاربع صورة وأفضل من سائرها وأشبهها بالانسان لما يوجد فيه من الكرم وشرف النفس وعلو الهمة وتزعم العرب أنه كان وحشيا وأول من ذلل صعبه وركبه اسمعيل عليه السلام وهو جنسان عتيق وهو المسمى فرسا وهجين وهو المسمى برذونا والفرق بينهما أن عظم البرذون أعظم من عظم الفرس وعظم الفرس أصلب وأثقل من عظم البرذون والبرذون أحمل من الفرس والفرس أسرع من البرذون والعتيق بمنزلة الغزال والبرذون بمنزلة الشاة ولكل واحد منهما نفس تليق به وآلات مناسبة له وفى طبع الفرس الزهو والخيلاء والعجب والسرور بنفسه والمحبة لصاحبه ومن أخلاقه الدالة على كرمه شرف نفسه ومن شرفها أنه لا يأكل بقية عليق غيره وعلو همته كما حكى المؤرخون أن أشقر مروان كان سائسه لا يدخل عليه الا باذن يحرك له المخلاة فان حمحم دخل وان دخل ولم يحمحم شد عليه وناهيك بهذا الخلق فى علو الهمة والانثى من الخيل ذات شبق شديد واشد شبقها تطيع الفحل من غير نوعها ويقال انه متى اشتد شبقها وقص من عرفها سكن عنها والذكر يشتد به الشبق ويزيد حتى

يؤثر أن يأتي لفرط شهوته وقصور آلته عن الوفاء بتسكين ما يجد وربما اقتتل الفحلان بسبب الانثى حتى تكون لمن يغلب منهما ويقال ان الاناث تمتلئ في أوان السفاد ريحا واذا أصابتها هذه الآفة ركض بها ركضا شديدا متتابعا ولا يؤخذ بها الى الشرق ولا الى الغرب بل الى الشمال والجنوب حتى يخرج من أرحامها شئ كما يخرج منه ولادتها وهي في زمان السفاد تطأطئ برؤسها وتحرك أذنابها ويسيل من قبلها شئ يشبه المني غير أنه رقيق واذا تودقت الرمكة فأفرطت وكان بها هزال أو ضعف من علة ولم يمكن أن تبرأ علتها التلت أنزى عليها بغل لانه لا يلحقها وهو يبلغ أقصى شفائها وغاية شهوتها بالذي معه من الطول والغلظ فيسكن ذلك عنها والذكر يكون مع ثلاث أناث وأكثر واذا دنا ذكر آخر من الانثى التي اختارها قاتله وطارده والطمث يعرض للاناث لكنه أقل من طمث النساء والذكر ينزو اذا تمت له سنتان وكذلك الاناث والاناث تحمل أحد عشر شهرا وتضع في الثاني عشر وهي تضع ولدا واحدا وربما وضعت في النادر اثنين والذكر ينزو الى تمام أربعين سنة وربما عمر الى تسعين سنة والانثى تأنف من نزو الحمار عليها فاذا أريد ذلك منها أخذت بعرفها فتذل وتستكين وكذلك الفحل يأنف أن ينزو على أخته وعلى أمه ولقد حكى أنه أريد أن يحمل على رمكة ولدها يريدون بذلك العتق فأنف فلما سترت بثوب نزا عليها فلما رفع الثوب ورآها من حضر ألقى نفسه في بعض الاودية فهلك والخيل قد ترى الاحلام وتحتلم كبني آدم وذلك لفرط الشهوة فيها ومتى ضلت الانثى أو هلكت وكان لها فلو أرضعته الاناث وربته واذا لم يكن فيها ما يرضع عطف عليه العواقر وتعاهدنه ولكنه يهلك اذ ليس فيها لبن وربما ضاق الفلو عن أمه فرضع من غيرها فاذا فعل ذلك ماتت أمه ويعتري الفرس داء شبيه بالكلب وعلامته استرخاء أذنيه الى ناحية عرفه وامتناعه من العلف وليس لهذا الداء علاج الا السكين وفي طبع الفرس أنه لا يشرب الماء الا كدرا حتى أنه يرد الماء وهو صاف فيضرب بيده حتى يكدره ويبين عكره وربما ورد الماء الصافي وهو عطشان فيرى فيه خياله ولغيره فيتحاماه ويأباه وذلك لفزعه مما يراه ويوصف بحدة البصر حتى أن بعض المغالين فيه يقول لو أجرى فرس من شوط بعيد في يوم ضباب واعترضت بين يديه شعرة لتوقف عندها ولم يتعهدها وفي

طبعه أنه اذا وطئ على أثر الذئب خدرت قوائمه حتى لا يكاد يتحرك ويخرج الدخان من جلده واذا وطئته الحامل منها أزلقت

(فصل) والعلامات الجامعة للنجابة في الفرس ما ذكره أيوب بن القرية وقد سأله الحجاج عن صفة الجواد من الخيل فقال القصير الثلاث الصافي الثلاث الطويل الثلاث الرحيب الثلاث فقال صفهن فقال أما الثلاث الصافية فالعينان والاديم والحوافر وأما الثلاث القصار فالعسيب والساق والظهر وأما الثلاث الطوال فالانف والعنق والذراع وأما الثلاث الرحبة فالجوف والمنخر والجبهة (ومما قيل) فيه قول عبد الجبار بن حمديس الصقلي

وبجرر في الارض ذيل عسيبه * جل الزبرجد منه جسم عقيق
يجري فلمع البرق في آثاره * من كثرة الكبوات غير مفيق
ويكاد يجري سرعة من ظله * لو كان يرغب في فراق رفيق

(القول في طبائع البغل) قال أصحاب الكلام البغل حيوان مركب من الفرس والحمار ومتولد من فساد منهما ولما كان ممتزجا بينهما صار له صلابة الحمار وعظم آلات الخيل وكذا صحيحه مولد بين نهيق الحمار وصهيل الفرس وقال الجاحظ البغل يخرج بين حيوانين يلدان مثلهما ويعيش نتاجهما ويبقى بقاءهما وهو لا يعيش له ولد وليس بعقيم ولا يبقى للبغلة ولد وليست بعاقر وهو أطول عمرا من أبويه وأصبر على الافعال من طرفيه كابن المذكرة من النساء والمؤنث من الرجال فانه يكون نتاجهما أخبث من البغل وأفسد اعراقا من السبع وأكثر عيوبا من الثعبان وشر الطباع ما تجاذبته الاعراق المتضادة والاخلاق المتعادية والعناصر المتباعدة ويقال ان أول من أنتجها قارون وقيل أفريدون ومن أخلاقه الالف لكل دابة ويذكر بالهداية في كل طريق يسلكه مرة واحدة ويقول أصحاب الكلام في الطبائع أن أبوال اناث البغال تنقية لاجسادها كما تنقي النساء بدم الطمث ومحاسن النجابة في هذا النوع *قال بعضهم اذا اشتريت بغلة فاشترها طويلة العنق تحمد في نجابتها مشرقة الهادي تحمد في طباعها مجفرة الجوف تحمد في صدرها والاحسن في مدحها قول عبد الرحمن بن أبي ربيعة بن الحرث بن عبد المطلب جوابا لصفوان بن عمرو بن الاهتم وقد أنكر عليه ركوب البغل قال تطأطأت

من خيلاء الخيل وارتفعت عن ذلة العير وخير الامور أوسطها * ويقال كم فى السواج من أصبح الخدين شهير الحدين شؤمه شؤم العناق ويومه شهر لذوات الاعناق راكبه يركب أبدا وطيا وتحسبه وهو يمر مر السحاب بطيا والاناث منها أجدأثرا ولذلك قيل * عليك بالبغلة دون البغل * فانها جامعة للشمل * مركب قاض وامام عدل * وعالم وسيد وكهل * تصلح للرحل وغير الرحل (وساير) عبد الحميد مروان بن محمد الجعدى على بغلة فقال له طالت صحبة هذه الدابة لك فقال يا أمير المؤمنين من بركة الدواب طول صحبتها فقال صفها فقال همها أمامها وسوطها زمامها وما ضربت قط الاظلما (القول فى طبائع الحمار الاهلى) قال المتكلمون فى طبائع الحيوان ليس فى الحيوان شئ ينزو فى غير نوعه ويلقح ويأتى فيه شبهه الا الحمار وهو ينزو اذا مضى له ثلاثون شهرا ولا يولد له قبل أن يتم ثلاث سنين ونصف قالوا وهذا النوع صنفان صنف حاس حاس وهو يصلح لحمل الاثقال والآخر لدن دمث أحوذى من نفس الفرس فتراه كثير الشغب والحركة بمنزلة النار المتوقدة التى لا يهدأ اضطرابها فهذا يصلح أن يرفه للركوب فى قضاء الاوطار والحاجات وأجود الحمر المصرية وأهلها يعتنون بتربيتها والقيام عليها لما يجدونه من الفراهة وسرعة الحضر والنجابة ويبالغون فى أثمانها بحسب فراهيتها حتى بيع منها فى بعض السنين حمار بمائة دينار وعشرة دنانير كان صاحبه يسمع أذان المغرب بالقاهرة فيركب ويسوقه فيلحقها بمصر وبينهما ثلاث أميال ومن عادة الحمار أنه اذا شم رائحة الاسد رمى بنفسه عليه من شدة خوفه له يريد بذلك الفرار منه قال حبيب ابن أوس الطائى فى أبيات يخاطب بها عبد الصمد بن المعدل وقد هجاه حيث يقول

أقدمت ويلك من هجوى على خطر * كالعير يقدم من خوف على الاسد

ويوصف بالهداية لانه لا يضل عن طريق سلكه ولو مرة واحدة ولا يخطئه فان ضل راكبه هداه الى طريق وحمله على المحجة وربما غاب عن الموضع الذى كان فيه السنين العديدة فاذا مر بالزقاق الذى فيه الموضع دخله وربما سرق فتكون معرفته للموضع عونا لصاحبه على معرفة من سرقه ويوصف بحدة حاسة السمع بحيث انه ينذر راكبه بما يتوقع خوفه فيحذر منه وان بعد مثواه وهذا

الحيوان يحس بالبرد ويؤذيه أكثر من غيره ولهذا لا يوجد في بلاد موغلة في الشمال وبلاد الصقالبة ويعتريه داء الدماغ كالزكام يعرض له البرد في دماغه ويسيل من منخره بلغم كثير جار فان انحط الى الرئة مات والطريق العجيب انه اذا نهق أضر بالكلب حتى يقال ان أهون نهيقه يحدث بالكلب مغصا فلذلك يطول نباحه (طريقتان) رأيت أن لا أتركهما لانهما أعجوبتان احداهما أني ركبت حمارا من مصر الى القاهرة فلما كنت في أثناء الطريق حاد بي عن السكة فجهدت أن أرده فلم أطق حتى انتهى الى جدار بستان فوقف وبال وعاد الى الطريق وكذا جرى لي مع حمارين آخرين والاخرى انه كان عندنا رجل بمصر يضرب حلقة على حمار قد علمه وكان يجمع له عدة مناديل من المتفرجين عليه ويلقيها على ظهره ويأمره بان يعطي كل منديل لصاحبه فيدور في الحلقة ولا يقف الا على من له في ظهره منديل فان أخذه ذهب عنه وان أخذ غيره لا يذهب ولو ضربه مائة ضربة ويأخذ الخاتم من أصبع الرجل ويسأله عن وزنه ويقول له كم وزن الخاتم فان كان وزنه درهما مشى خطوة واحدة وان كان درهما ونصفا مشى خطوة ونصفا وان كان أكثر من ذلك فبحسابه وبينما هو واقف اذ قال له شخص الوالي يحضر الحمير فانتم كلامه الا وقد ألقى بنفسه على الارض ونفخ بطنه وقطع نفسه كأنه ميت منذ زمان ثم قال له بعد ذلك ما بقيت سخرة فنهض قائما ذكر ذلك صاحب المباهج (ما قيل فيه من الاوصاف) قال أبو العيناء لبعض سماسرة الحمير اشتر لي حمارا لا بالطويل اللاحق ولا بالقصير اللاصق ان خلا الطريق تدفق وان كثر الزحام ترفق لا يصادم بي السواري ولا يدخل بي تحت البواري ان أكثرت علفه شكر وان أقللته صبر ان ركبته هام وان ركبه غيري نام فقال له ان مسخ الله بعض قضاتنا حمارا أصبت حاجتك والا فلا يكاد يوجد (وقال) شبيب بن شبة لقيت خالد بن صفوان على حمار فقلت له يا صفوان أين أنت عن الخيل فقال تلك للطلب والهرب ولست طالبا ولا هاربا قلت فأين أنت عن البغال فقال تلك للانزال والانقال ولست ذا نزل ولا نقل قلت فأين أنت عن البراذين قال تلك للعدين والمسرعين ولست معدا ولا مسرعا قلت فما تصنع بحمارك قال أدب عليه دبيبا وأقرب عليه تقريبا وأزور اذا شقت عليه حبيبا ثم لقيته بعد ذلك على فرس فقلت له يا صفوان ما فعلت بالحمار

قال بئس الدابة ان أرسلته ولى وان استوقفته أدلى قليل القوة كثير الروث بطئ عن الغارة سريع الى الغرارة لا ينكح به النسا ولا ترقى به الدما (ويروى) ان سليمان بن على رآه على حمار فقال له أين الخيل يا أبا صفوان فقال الخيل للجمال والبغال للاثقال والابل للاحمال والحمير للامهال (وقال) جرير بن عبد الحميد لا تركب الحمار فانه ان كان حديدا أتعب يدك وان كان بليدا أتعب رجليك ومما قيل فيه قول أحمد بن أبي طاهر

شية كأن الشمس فيها أشرقت * وأضاء فيها البدر عند تمامه
وكأنه من تحت راكبه اذا * مالاح برق لاح تحت غمامه
ظهر كجرى الماء لين ركوبه * فى حالتى اتعابه وجمامه
سفهت يداه على الثرى فتلاعبت * فى حزنه وسهوله واكامه
عن حافر كالصخر الا انه * أقوى وأصلب منه فى استحكامه
ما الخيزران اذا انثنت أعطافه * فى لين معطفه ولين عظامه
فكأنه بالريح منتقل وما * جرت الرياح كجريه ودوامه
أخذ المحاسن آمنا من عيبه * وحوى الكمال مبرأ من ذامه

(الجزار) يصفه بالبلادة والعجز

هذا حمارى فى الحمير جار * فى كل خطوة كبوة وعثار
قنطارتين فى حشاه شعيرة * وشعيرة فى ظهره قنطار

(القول) فى طبائع الابل وهذا النوع ثلاثة أصناف عرابى ومهرى ونجيبى فالمهرى هو النجيب وينزل منها منزلة العتيق من الخيل والعرابى كالبرذون والنجيبى كالبغل ويقال النجب ضان الابل وهى متولدة من فاسد من العرابى فقط فان من النجب منجب فكأنه حصل له نصف البغل فأما النجيب فزعم من حكى عن الجاحظ قوله ان فى الابل ما هو وحشى وانه يسكن أرض وبار وهى غير مسكونة وقالوا ربما ندا الجمل فى الهياج فيحمله ما يعرض له على ان يأتى أرض عمان فيضرب فى أدنى ما هجمه من الابل فالمهرية من ذلك النتاج وتسمى الابل الوحشية الحوش ويقولون انها بقايا ابل عاد وثمود ومن أهلكه الله تعالى من العرب العاربة والمهرية منسوبة الى مهرة قبيلة باليمن وهى لا يعدلها شئ فى سرعة عدوها يعلفونها سمك يصاد فى بحر عمان يصاد ويقدد واما

النجيب فمنها ما يرهون مثل البراذين ومنها ما يجمز جمزا ويرقل ارقالا والنجيب في الابل كالنجيب في الخيل (وحكى) أبو هلال العسكري في كتاب الاوائل ان أول من ريضت له الابل على الحمر أم جعفر زبيدة بنت جعفر بن أبي جعفر المنصور لما حجت (وقال) الجاحظ اذا ضربت الفوالج في العرب جاءت بالجوامز والنجب الكريمة وفي البخت ماله سنامان في ظهره كالسرج ولبعضها سنامان في عرض ظهرها احدهما في ذات اليمين والآخر في ذات الشمال وتسمى الخراسانية وقد يشق عن سنام البعير ويكشط جلده ثم يجتث من أصله ويعاد على موضعه الجلد فيلتحم عليه ويؤخذ السنام فيؤكل كما يفعل بعض الناس ذلك بالكباش اذا عظمت الياتها وعجزت عن النهوض فيقطعونها ويقول أصحاب السير الطبائع الحيوان انه ليس لشيء من الفحول مثل ما للجمل عند الهياج من الارباد وسوء الخلق وهجران المرعى وترك الماء حتى ينضم ابطاه ويقم رأسه ويكون كذلك الايام الكثيرة وهو في هذا الوقت لا يدع انسانا ولا جملا يدنو منه ولو حمل على ظهره حينئذ مع امتناعه شهرا من الطعم ثلاثة أضعاف حمله لحمله وهو لا ينزو الامرة واحدة يقيم فيها النهار أجمع ينزل فيها امرارا كثيرة يجيء منها ولد واحد ويخلو في البراري حالة النزو ولا يدنو منه غير راعيه الملازم وذكره صلب جدا لانه من عصب والانثى تحمل أثني عشر شهرا وتلقح اذا مضى عليها ثلاث سنين وكذلك الذكر ينزو في هذه المدة ولا ينزو عليها الا بعد أن تضع بسنة وفيه من كرم الطباع انه لا ينزو على امهاته ولا اخواته ومتى حمل على أن يفعل حقد على من ألزمه ذلك الى ان يقتله (وحكى) ان جملا احتيل عليه بتغيير صورة امه حتى نزا عليها ثم عرفها عند فراغه فألقى نفسه من شاهق حتى مات وليس في الحيوان من يحقد حقده وانه يترصد من حقد عليه الفرصة والخلوة لينتقم منه فاذا أصاب ذلك لم يبق عليه وفي طبعه الاهتداء الى الطريق التي اعتاد سلوكها لا يضل فيها ليلا ولا نهارا والعرب تضرب به المثل في ذلك فيقولون أهدى من جمل والغيرة والصولة والصبر على الحمل الثقيل وعن الماء الزمن الطويل الخمسة أيام والستة والعشرة اذا كان الزمان ربيعا والعرب تسمي الايام التي ترد فيها الابل الخمس والسدس والسبع والثمن والتسع والعشر وكلها بالكسر ويقال ان البعير اذا صعب وخافته رعاته استعانوا عليه فتركوه وعقلوه حتى يلوطه فحل آخر فاذا فعل

به ذلك ذل والابل تميل الى شرب الماء الكدر الغليظ وهو الماء النميرة فهى أبدا اذا وردت مياه الانهار حركتها بأرجلها حتى تتكدر وهى عشاق الشمس فلهذا ترى أبدا تصوب اليها فى أى جهة كانت من المشرق أو المغرب (ومن) عجيب ماذهبت اليه العرب فى الابل اذا كثرت فبلغت الالف فقئوا عين الفحل فان زادت على الالف فقئوا عينه الاخرى ويزعمون أن ذلك يطرد العين عنها (ومما) قيل فيها قول بعضهم لم تخلق نعم خيرا من الابل ان حملت أثقلت وان سارت أبعدت وان حلبت أروت وان نحرت أشبعت (الشيخ) عز الدين الموصلى فى حادى

حادلنا كالشادن الربيب * لحظته بالمنظر المريب
فقال فى السكرة عند نومه * يارب سلها من الذبيب

(وعلى ذكر) الحادى قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ أحسن ماسمعته من الحداة يحدون به جمالهم فى طريق الحجاز قولهم

ياخودان طال المدى تنسينى * يفنى الذى ينساك نوم العين

(وآخر قول)

كم ليلة سهرتها لم أرقد * الارقادا كرقاد الارمد

(القاضى) الفاضل فى وصف الخيل

جنائب فى بحر العجاج سفائن * فان حركت للركض فهى جنائبه
وقد خفقت راياته فكأنها * أنامل فى عمر العدو تحاسبه

(وله) من قصيدة

لها غرر يستخلف النصر وجهها * فتفهم منها العين معنى البشائر

(وقال) النبى صلى الله عليه وسلم بطونها كنز وظهورها حرز وأصحابها معونون عليها (صفة جياد الخيل) سأل معوية من صعصعة بن صوحان أى الخيل أفضل فقال الطويل الثلاث القصير الثلاث العريض الثلاث الصافى الثلاث فقال فسرلنا قال أما الطويل الثلاث فالاذن والعنق والحزام وأما القصير الثلاث فالصلب والعسيب والقضيب وأما العريض الثلاث فالجبهة والمنخر والورك وأما الصافى الثلاث فالاديم والعين والحافر (كان محمد) بن السائب الكلبى يحدث ان الصافنات الجياد المعروضة على سليمان بن داود كانت ألف فرس ورثها

عن أبيه فلما عرضت عليه ألهته عن صلاة العصر حتى توارت الشمس بالحجاب فعرقبها الا فرسا لم تعرض عليه فوفد عليه قوم من الازد وكانوا أصهاره فلما فرغوا من حوائجهم قالوا يا نبي الله ان أرضنا شاسعة فزودنا زادا يبلغنا فأعطاهم فرسا من تلك الخيل وقال اذا نزلتم منزلا فاحملوا عليه غلاما واحتطبوا فانكم لا ترون ناركم حتى يأتيكم بطعام فساروا بالفرس فكانوا لا ينزلون منزلا الا ركبه أحدهم للقنص ولا يفلت شئ تقع عينه عليه من ظبي أو بقرة أو حمارة الى أن قدموا بلادهم فقالوا ما لفرسنا هذا اسم الا زاد الراكب فسموه زاد الراكب فأصل فحول العرب من نتاجه (وطلب البحترى الشاعر) من سعيد بن حميد الكاتب فرسا فوصف له انواعا من الخيل فى شعره (فقال)

لأكلفن العيس أبعد همة * يجرى اليها خائف أو مرتجى
والى سراة بنى حميد انهم * أمسوا كواكب أشرقت فى مدلج
والبيت لولا أن فيه فضيلة * تعلو البيوت بفضله لم يحجج
فأعن على غزو العدو بمنطو * أحشاؤه طى الرشا المتدرج
اما بأشقر ساطع أغشى الوغى * منه بمثل الكوكب المتأجج
متسربل شية طلت أعطافه * بدم فما تلقاه غير مضرج
أو أدهم صافى الاديم كأنه * تحت الكمى مظهر بيرندج
ضرم يهيج السوط من شؤبوبه * هيج الجنائب من حريق العرفج
خفقت مواطئ وقعه فكأنه * يجرى برملة عالج لم يرهج
أو اشهب يقق يضئ وراءه * متن كمتن اللجة المترجرج
تخفى الحجول ولو بلغن لبانه * فى أبيض متألق كالدملج
أوفى بعرف أسود متعرف * ذنبا به وحافر فيروزجى
أو أبلق يلقى العيون اذا بدا * من كل لون معجب بنموذج
جذلان تحسده الجياد اذا مشى * عنقا بأحسن حلة لم تنسج
وعريض أعلى المتن لو عليته * بالزئبق المنهال لم يتدحرج
خاضت قوائمه الوثيق بناؤها * أمواج تحنيب بهن مدرج
ولانت أبعد فى السماحة همة * من ان يضن بملجم او مسرج

(نادرة) ذكرها أبو حيان التوحيدى فى الامتاع والمؤانسة قال الاصمعى مر

اعرابي على قوم وهم على ماء لهم فقال من رأى جملا أجر بعنقه علاط وفي أنفه خزامة يتبعه بكرتان سمراوان عهد العاهد به عند البئر بفعل القوم يقولون حفظ الله علينا وجمع عليك لا والله ما أحسسنا وجويرية على حوض لها تذود وهي تقول لا جمع الله عليك يا فاسق فقالوا ما تريدين من الرجل قالت انما ينشد سوءته قال فتبعته فقلت له يا هذا ما تنشد قال ايري وخصيتي (نادرة) اشترى رجل من رجل برذونا فقال له المشتري سألتك بالله هل فيه عيب قال لا الا أن فيه قليل منش كأنه سفرجله وقليل جرد كأنه قتايه وقليل دبر كأنه بطيخه فقال له المشتري يا ابن الفاعلة جئنا نشتري منك برذونا أو بستانا (قال) المدائني كان ابن أبي هبيرة يساير سنان بن مكمل النميري فتقدمت بغلة النميري ابن هبيرة فقال غض من بغلتك فالتفت اليه النميري وقال أصلح الله الامير انها مكتوبة وانما أراد ابن هبيرة قول الشاعر

فغض الطرف انك من نمير * فلا كعبا بلغت ولا كلابا

وأراد النميري قول سالم بن دارة من بني فزارة

لا تأمنن فزاريا خلوت به * على قلوصك واكتبها باسيار

(وكتب) الوهراني على لسان بغلته الى الامير عز الدين موسك المملوكة ريحانة بغلة الوهراني يقبل الارض بين يدي الامير عز الدين حسام أمير المؤمنين نجاه الله من حر السعير وعطر بذكره قوافل العير ورزقه من القرط والتبن والشعير وسق مائة ألف بعير واستجاب فيه صالح أدعية الجم الغفير من الخيل والبغال والحمير (وتنهي اليه ما تقاسيه من مواصلة الصيام وسوء القيام والتعب في الليل والناس نيام قد أشرفت مملوكته على التلف وصاحبها لا يحمل الكلف ولا يوافي بالخلف ولا يقول بالعلف لانه في بيته مثل المسك والعنبر والامار في الاكبر أقل من الامانة في الاقباط والعقل في رأس قاضي سنباط فشعيرة أبعد من الشعرى العبور ولا وصول اليه ولا عبور وقراطه أعز من قرط مارية لا يخرجه صدقة ولا هبة ولا عارية والتبن أحب اليه من الابن والجلبان أعز من دهن البان والقسيم بمنزلة الدر النظيم والقضه أجل من سبائك الفضه وأما الفول فمن دونه الف باب مقفول فما يمون عليه ان يعلف الدواب الا بعيون الآداب والفقه اللباب والسؤال والجواب وما عند الله من الثواب

ومعلوم ياسيدى ان البهائم لاتوصف بالحلوم ولاتعيش بسماع العلوم ولاتطرب الى شعر أبي تمام ولاتعرف الحرث بن همام ولاسيما البغال التى تشتغل فى جميع الاشغال شبكة من الفصيل أحب اليها من كتاب التحصيل وقفة من الدريس أشهى اليها من فقه ابن ادريس لو أكل البغل كتاب المقامات مات وان لم يجد الا كتاب الرضاع ضاع وان قيل له انت هالك ان لم تأكل موطأ مالك ماقبل ذلك وكذلك الجمل لايتغذى بشرح أبيات الجمل وحزمة من الكلاء أحب اليه من شعر أبى العلاء وليس عنده طيب شعر أبي الطيب وأما الخيل فلا تطرب الا لسماع الكيل واذا أكلت كتاب الذيل ماتت فى النهار قبل الليل والويل لها ثم الويل ولاتستغنى الاكاديش عن الحشيش وكل مافى الحماسة من شعر أبي الحريش واذا أطعمت الحمار شعر ابن عمار حل به الدمار وأصبح منفوخا كالطبل على باب الاصطبل وبعد هذا كله فقد راح صاحبها الى العلاف وعرض عليه مسائل الخلاف فطلب من تبنه خمس قفاف فقام اليه بالخفاف يخاطبه بالشعير وقرأ عليه آية التعبير وطلب منه ويبة شعير تحمل على عياله ألف بعير فانصرف الشيخ منكسر القلب متغاظا من الثلب وهو أنحس من ابن بنت الكلب فالتفت الى المسكينه وقد سلبه الغيظ ثوب السكينه وقال لها ان شئت ان تكدى فكدى لاذقت شعيرا مادمت عندى فبقيت المملوكة حائرة لاقائمة ولاثائره فقال لها العلاف لاتجزعى من خباله ولاتلتفتى على سباله ولا تنظرى الى نفقته ولايكون عندك أخس من عنفقته هذا الامير عز الدين سيف أمير المؤمنين عز المجاهدين أندى من الغمام وأمضى من الحسام وأبهى من البدر ليلة التمام يرنى للحروب ويفرج عن المكروب وهو من بنى أيوب ولايرد قائلا ولايخيب سائلا فلما سمعت المملوكة هذا الكلام جذبت الزمام ورفصت الغلام وقطعت اللجام وشقت الزحام حتى طرحت خدها على الاقدام ورأيك العالى والسلام (ذكر القاضى) الرشيد بن الزبير فى كتابه العجائب والظرف انه لما مات أحمد بن طولون ترك فى بيت ماله عينا عشرة آلاف دينار وفى حاصله ألفى ألف وسبعمائة ألف درهم سوى ما كان مودعا عند حميد الطويل وهو ألف دينار سوى ما حمل الى المعتمد

في أربع سنين أولهن سنة اثنين وستين ومائتين ما نفدت به السفاتج لم يظهر بعضه وهو ألفا ألف ومائتا ألف دينار وكان له أربعة وعشرون ألف غلام مملوكا وخمسة وعشرون ألف أسود وتطبق جريدته على سبعة آلاف حر مسترزق وخلف من الخيل الميدانية سبعة آلاف رأس وثلثمائة وثلاثين رأسا ومن البغال ستمائة بغل ومن الجمال ألفين ومائة جمل ومائة مركب حربية ومن الدواب المركوب مائة ألف وثلاثين دابة وكان خراج مصر في السنة التي مات فيها أربعة آلاف ألف ألف دينار وثلثمائة ألف دينار مع ما يضاف اليها من ضياع الامراء بالحضرة وأنفق على الجامع مائة وعشرين ألف دينار وعلى البيمارستان ومستغله ستين ألف دينار وانشأه في سنة تسع وخمسين ومائتين وحبس عليه سوق الرقيق وغيره ولم يكن قبل بمصر بيمارستان وكان قد شرط أن لا يعالج فيه جندي ولا مملوك وكان يباشره ويشارفه بنفسه ويركب اليه في كل أسبوع مرة وانفق على عين المصبع ببركة الحبش مائة وأربعة وأربعين ألف دينار وعلى قصر الجزيرة ثمانين ألف دينار ولم يتمه وعلى الميدان مائة ألف دينار وخمسين ألفا وكانت صدقاته في كل شهر ثلاثة آلاف دينار ورسم مطبخه في كل يوم مائة وعشرون دينارا ومات في سنة سبعين ومائتين وخلف سبعة عشر ولدا ذكرا ومن الاناث سبعة عشر أنثى (فائدة جليلة) قال ابن عباس رضي الله عنهما من هرب من عدو أو خاف فليكتب بسوطه بين أذني دابته لا تخاف دركا ولا تخشى أمنه الله من خوفه وحال بينه وبين عدوه (قال) الشيخ صلاح الدين الصفدي في كتابه غيث الادب وحكى ان بعض الرؤساء قال لشهاب الدين القوصي أنت عندنا مثل الاب وشدد الباء فقال لاجرم انكم تأكلوني واقول لا يخفى ما في هذا التنذير من اللطف لان الاب مشدد الباء هو المرعى قال بعضهم هو للدواب بمنزلة الخبز الذي للاناسي ومن يشدد الباء من الاب الذي هو الوالد ما يكون الا دابة (قال) الشيخ بدر الدين الدماميني رحمه الله تعالى واراد اعليه قصد الصفدي بهذا الكلام الرد على من شدد باء الاب المراد به الوالد وفيه دليل على قصوره فان الامام جمال الدين بن مالك نص في التسهيل على ذلك قال في أوائله وقد تشدد دونهن وباأب وخاأخ وحكى في الشرح عن الازهري أن ذلك لغة كوفية ويقال استأبيت فلانا بباءين أي اتخذته أبا واذا كان كذلك فلا وجه

للانكار على الرئيس الذى شدد الباء من أب (قلت) ولو قال القوصى فى جوابه لاجرم انكم ترعونى لكان ألطف فى التنذير وأحسن موقعا مما قاله والله أعلم انتهى كلام أقضى القضاة بدر الدين المخزومى (الشيخ جمال الدين الزملكانى)

وفى حلبة الخدم من أدهمى * خيول تجول ولا تركب
فسبق الكميت بها بين * ولكن تقدمه الاشهب

(وعلى ذكر البغال) ذكرت قول شمس الدين الضفدع الخياط فى وقعة القاضى شهاب الدين محمد بن المجد عبد الله الاربلى الدمشقى الشافعى الذى مات فيها

بغلة قاضينا اذا زلزلت * كانت له من فوقها الواقعه
تكاثر ألهاه من عجبه * حتى غدا ملقى على القارعه
وأظهرت زوجته عندها * ضاينة بالرحمة الواسعه

(أبو الحسين الجزار) وقد رآه بعضهم ماشيا عقيب موت حماره

كم من جهول رآنى * أمشى لأطلب رزقا
وقال لى صرت تمشى * وكل ماش ملقى
فقلت مات حمارى * تعيش أنت وتبقى

(المعمار)

ان ابن الاطروش حوكبرتبة * باع بها الجنة بالنار
تنصرت بغلته تحته * وأصبحت تمشى بزنار

(ابن دانيال مضمنا)

ولقد ركبت من الحمير مكمدا * مكرابطا للحران مصاحبا
رجلاى فى جنبيه منذ ركبته * لن يفترا فغدوت أمشى راكبا

(ابن نباتة)

أصبحت يا سيدى ويا سندى * أقص فى أمر بغلتى القصصا
بالامس كانت لفرط سرعتها * طيرا وفى اليوم أصبحت قفصا

(الحلى مضمنا)

رأى فرسى اصطبل عيسى فقال لى * قفا نبك من ذكرى حبيب ومنزل
به لم أذق طعم الشعير كأننى * بسقط اللوى بين الدخول فحومل
تقعقع من برد الشتاء أضالعى * لما نسجتها من جنوب وشمأل

اذا سمع السواس صوت تحمحمى * يقولون لاتهلك أسى وتجمل
أعول فى وقت العلوف عليهم * وهل عند رسم دارس من معول

(حكى) أن العماد الكاتب قال للقاضى الفاضل سر فلا كابك الفرس فقال له دام علا العماد (ولبعض أهل عصره) أعنى الحسين الجزار

مات حمار الاديب قلت لهم * مضى وقد فات منه مافاتا
من مات فى عزه استراح ومن * خلف مثل الاديب ماماتا

(وقال) شرف الدين البوصيرى ناظم البردة فيه

فلا تيأسن ايهذا الاديب * عليه فللموت ما يولد
اذا عشت أنت لنا بعده * كفانا وجودك ما نفقد

(قال) الشيخ فتح الدين بن سيد الناس كان للشيخ شرف الدين البوصيرى حمارة استعارها منه ناظر الشرقية فأعجبته فأخذها وسير له ثمنها مائتى درهم فكتب على لسانها الى الناظر المذكور المملوكة حمارة البوصيرى

ياأيها المولى الذى أثبتت * أخلاقه بانه الفاضل
ما كان ظنى ان يبيعونى * قط ولكن صاحبى جاهل
لو جرصوه على سفه * اقلت غيظا عليه يستاهل
أقصى مرادى لو كنت فى بلدى * ارعى بها فى جانب الساحل
وبعد هذا فاجعل لكم * لاننى من سيدى حامل

فردها الناظر ولم يأخذ الدراهم منه (لناصر الدين بن النقيب)

نفقت لى رأسا من الخيل كانت * تسبق البرق والرياح الزعازع
وابتلى الله فى المشاعر اخرى * بشقاق لها عن المشى مانع
فاذا قيل كم بقى لك رأس * قلت رأس بغير كوارع

وللشيخ جمال الدين بن نباتة وأحسن فى السرقة فى فرس له ثمن الاربعة

يقول لى صاحب وفى * والخيل تحت الورى تسارع
كم لك فى ذا الزمان رأس * فقلت رأس بلا كوارع

(ابن دانيال)

قد كمل الله برذونى بنقصة * وشانه بعد ما أعماه بالعرج
أسير مثل أسيروهو يعرج بى * كأنه ماشيا ينحط من درج

فان رمانى على مافيه من عرج * فاعليه اذا مامت من حرج

(صلاح الدين الصفدى) فيمن وعده ببغل

طلبت البغل منك فقلت انى * أسيره وما كذب الكلام

نعم أتعبته ركضا ولما * أتى الاسطبل سيره الغلام

قال الشيخ صلاح الدين الصفدى أنشدنى لنفسه المولى جمال الدين محمد بن نباتة بدمشق المحروسة سنة تسع وعشرين وسبعمائة

وردمن العرب منسوب ولاقطعت * أيدى الحوادث من انشائه شجره

اذا امتطى ظهره رامى السهام مضى * والسهم حذوا فلولا سبقه عقره

عجبت كيف يسمى سابحا وله * وثب لو البحر امسى دونه طفره

كأنه فى هضاب الحسن صاعدة * أولا فصاعقة فى الحسن منحدره

لما ترفع عن ند يسابقه * أضحى يسابق فى ميدانه نظره

(قال) صلاح الدين وأنشدنى من لفظه لنفسه المولى جمال الدين يوسف بن سليمان بن أبى الحسن الصوفى بدمشق فى جمادى الاولى سنة احدى وثلاثين وسبعمائة وهو

وأدهم اللون فات البرق وانتظره * فغارت الريح حتى غيبت اثره

قواضع رجله حيث انتهت يده * وواضع يده أنى رمى بصره

شهم تراه يحاكى السهم منطلقا * وماله غرض مستوقف خبره

يعفر الوحش فى البيداء فارسه * ويثنى وادعا اذ يستر غبره

(شرف الدين أحمد الحلاوى وأجاد)

جاء غلامى وشكا * أمر كميتى وبكى

وقال لى لاشك بر * ذونك قد تشكى

قد دمقته اليوم فما * مشى ولا تحركا

فقلت من غيظى له * مجاوبا لما حكى

ابن الحلاوى أنا * فلا تكن معلكا

لو أنه مسير * لما غدا مشبكا

ابن نباتة

وأدهم اللون حندسى * فى جريه للورى عجائب

يقصر عن الرياح عنه * فكأنها خلفه جنائب

ابن سعيد المغربي في فرس أغر أصفر

وعسجدي اللون أعددته * لساعة تظلم أنوارها

كأنه في رهج شمعة * مصفرة غربية نارها

(وله في أدهم أغر)

وقد اغتدى والليل قد سل صبحه * بليل بجلباب الصباح ملثما

وأحسبه خال الثريا لجامه * فصيره ادنيه الى الافق سلما

(ولابن خفاجة في أشقر أغر)

وأشقر يضرم منه الوغى * بشعلة من شعل الباس

وتطلع الغرة في شقرة * حباية تضحك عن كاس

(الناشي)

ومصغية كأن الحرب تلقى * الى آذانها بشرى الجلود

ترى آذانها ألفات سطر * قياما في صحائف من بنود

(الارجاني)

وحرف يجوب القاع والوهد والربى * بحرف عديم الرفع والجر والنصب

نجائب يقدحن الحصى كل ليلة * كأن بأيديها مصابيح للركب

(ابن سعد في فرس لونا نيا أغر أكحل الحلية)

وأجود تبري أثرت به الثرى * وللفجر في خصر الظلام وشاح

عجبت له وهو الاصيل بعرفه * ظلام وبين الناظرين صباح

(ابن نباتة السعدي في فرس محجل بغرة)

وكأنما لطم الصباح جبينه * فاقتص منه فخاض في أحشائه

(الشي بالشي يذكر قال ابن الحجاج في المجون)

غضبت صباح وقد رأتني قابضا * ايري فقلت لها مقالة فاجر

بالله الا ما لطمت جبينه * حتى يصدق فيك قول الشاعر

(أشار الى البيت المتقدم الاديب الفاضل الكامل الرحال ابراهيم الساحلي)
المتوفى بطو يحن مولده بغرفة ووفاته بعد سنة تسع وثلاثين وسبعمائة من قصيدة

ذهبوا الى الهيجا بكل طمرة * من نسل أعوج أو بنات الابجر
من كل مخضوب الشوى عبل القرى * عارى النواهق مستدير المحجر
ألوى بقادمتى جناحى أفتخ * ولوى بسالفتى غزال أعفر
وأدار جفنا أشوسيا مبصرا * ظل الفوارس فى الظلام المعكر
من أحمر كالورد أومن أصفر * كالورس أومن أشهب كالعنبر
وبكل صهوة أجرد متقطب * الا اذا ضحك السنان السمهرى

(لسان الدين بن الخطيب)

قال جوادى عندما * همزته همزا أعجزه
الى متى تهمزنى * ويل لكل همزه

(أحمد بن سعيد بن غازى البسنى يصف ناقة)

حرف كمثل الصاد الا انها * بعد السرى جاءت كحرف النون
كالبدر قدره الاله منازلا * فى الافق حتى صار كالعرجون

(وما أحسن قول الشريف العقيلى) وان لم يكن مما نحن فيه

وأدهم من خيول الجو وافى * فثار من الضباب له غبار
اذا أبدى صهيل الرعد منه * لوحش المحل داخله نفار
أشبهه ولمع البرق فيه * بحراق تمشت فيه نار

(نادرة) ذكرها العلامة شهاب الدين أحمد بن فضل الله فى كتابه مسالك الابصار فى ترجمة موفق الدين عبد الله المعروف بالوزن الواعظ الكحال المتطبب أنه كان بالقاع والى من أهل الادب يعرف بابن درباس واسمه على وكان ينظم الشعر ويتوالى والوزير بدمشق اذذاك بدر الدين جعفر بن الآمدى وكان يتوالى أيضا فاتفق أنه ولى عنده بالقاع كاتبا ممن سلم من التسمير من ديوان المطابخ وكان من حديث هؤلاء أنهم سرقوا قندا كثيرا كان قد حمل من غزر الكرك ليطبخ بدمشق للسلطان فبلغ ذلك الملك الظاهر بيبرس فأمر بهم فسمروا وطيف بهم على الجمال الا هذا الكاتب فانه شفع فيه فأطلق بعد أن قدم له الجمل ليسمر فلما استخدمه ابن الآمدى بالبقاع ضيق على ابن درباس فأقام يعمل قريحته فيما يكتبه الى ابن الآمدى فلم يأت بشئ فسأل الوزن فى ذلك (فكتب)

شكية يا وزير العصر يرفعها * ما كان يأمل هذا من ولائك على

لم يبق فى الارض مختار فتبعثه * الا فتى من بقايا وقعة الجمل

فضلك ابن الآمدى وغزله ومن انشاء الشيخ شهاب الدين محمود الحلبي وينهى وصول ما أنعم به من الخيل التى وجد الخير فى نواصيها واعتد حصونها حصونا يعتصم من الوغى بصياصيها (فمن) أشهب غطاه النهار بحلته وأوطأه الليل على أهلته يموج أديمه ريا ويتأرج ريا ويقول من استقبله فى حلى لجامه هذا الفجر قد أطلع الثريا ان التفت للضايق انساب انسياب الايم وان انفجرت المسالك مر مرور الغيم كم أبصر فارسه يوما أبيض بطلعته وكم عاين طرف السنان مقاتل العدا فى ظلام النقع بنور أشعته لا يسير داحس فى مضماره ولا تطلع الغبراء فى شق غباره ولا يظفر لاحق من لحاقه بسوى آثاره تسابق يداه مرامى طرفه ويدرك شوارد البروق ثانيا عطفه ومن أدهم حالك الاديم حالى الشكيم له مقلة غانية وسالفة ريم قد ألبسه الليل برده وأطلع بين عينيه سعده يظن من نظر الى سواد طرته وبياض حجوله وغرته انه توهم النهار نهرا فخاضه والقى بين عينيه من رشاش تلك المخاضة ومن أشقر وشاه البرق بلهبه وغشاه الاصيل بذهبه يتوجس ما لديه برقيقتين وينفض وفرتيه عن عقيقتين وينزل عذار لجامه من سالفتيه على شقيقتين له من الراح لونها ومن الريح لينها ان جرى فبرق خفق وان أسرج فهلال على شفق ومن كميت نهد كأن راكبه فى مهد عندمى الاهاب شمالى الذهاب يزل الغلام الخف عن صهواته وكأن نغم الغريض ومعبد فى لهواته فسيح الخطا قصير المطا ان ركب لصيد قيد الاوابد وأعجل عن الوثوب الوحوش اللوابد ومن حبشى أصفر يروق العين ويشوق القلب بمشابهة العين كأن الشمس ألقت عليه من أشعتها جلالا وكأنه نفر من الدجى فاعتنق منه عرفا واعتلق حجالا ذو كفل يزين مرجه وذيل يسد اذا استدبرته منه فرجه قد أطلعته الرياضة على مراد راكبه وفارسه وأغناه نضار لونه ونضارته عن ترصيع قلائده وتوشيع ملابسه له من البرق خفة وطئه وتخطفه ومن النسيم طروقه ولطفه يطير بالغمز ويدرك بالرياضة مواضع الرمز ويعد كألف الوصل فى استغنائها عن الهمز ومن أخضر حكاه من الروض تفويفه ومن الوشى تقسيمه وتأليفه قد كساه النهار والليل حلتى وقار وسنا واجتمع فيه من البياض والسواد ضدان لما

استجمعا حسنا ومنحه البارى حلية وشيه وخالته الرياح ونمما تها قوة ركضه وخفة مشيه ومن أباق ظهره حرم وجريه ضرم ان قصد غاية فوجود القضاء بينه و بينهما عدم وان صرف فى حرب فعمله ما يشاء البنان والعنان وفعله ما يريد الكف والقدم قد طابق الحسن البديع بين ضدى لونه فى جنسه عن الاوصاف وعدل بالرياح عن مباراته سلوكها من الاعتراف له بعادة الانصاف وترقى المملوك الى رتب العز من ظهورها وأعدها الخطبة الحسان اذا الجياد عليها من أنفس مهورها وكلف بركوبها فلما أكمله عاد وكلما أمله سره فلو أنه زيد الخيل لما زاد ورأى من آدابها ما دل على انها من أكرم الاصائل وعلم انها اليوم سربه وسلمه جنة الصائد وجنة الصائل وقابل احسان مهديها بثنائه ودعائه وأعدها فى الجهاد لمقارعة أعداء الله وأعدائه والله تعالى يشكر بره الذى أفرده الندى بمذاهبه وجعل الصافنات الجياد من بعض مواهبه بمنه وكرمه ان شاء الله تعالى (ومن انشاء) الشيخ محيى الدين ابن عبد الظاهر وسيرمن الخيول الرهاوين كلما هو على الحسن مشتمل ومع سرعته يمشى الهوينا كمشى الشارب الثمل من كل أشقر كأنه النجم السريع لا البطى وكل أحمر كالشفق وغرته ما يتخلل الشفق من النور المضى وكل أشهب كالنهار وما فى هذا من السواد ما بذلك من أواخر الليل وأوائل العشى وكل أصفر حبشى يحسن أن يكون لراكب المقر خادما وكيف لا وهو الخصى الحبشى ومن البغال كل فارهة الوثبة كارهة أن لا تكون دون رتبة الجياد فى حلبه كم قاست بذراعها شقة أرض فعلمت طولها من عرضها وكم لحقت بمشيتها ما تلحقه الجياد بركضها كم حسب راكبها أنه من وطئ ظهرها على فرش مرفوعه وكم بويع لها بالخلافة عن الجرد المطهمة على انها مخلوعه يشهد بتمام حسنها العقل ويصدقه على ذلك منها صحة النقل ما ضرتها هجنة أمها مع أصالة أبيها وأمها هجينه وما شانها ذلك والله تعالى ساوى بينهما بقوله تعالى والخيل والبغال والحمير لتركبوها وزينه تسبق الطرف والطرف وأما خالها وما هى حرف (ومن انشاء الشيخ جمال الدين بن نباتة) وأما الخيل المسيرة فقد وجد المملوك لذة أنسها وأوجب على نفسه فروض خمسها واستنهض لشكر محاسنها براعته فسعت ولكن على رأسها واستنزلت له

الآمال من صياصيها وحلت منه محل الخير المعقود في نواصيها وأمده بالاسعاف مددها وقبلها عوض أنامله الشريفة لانهاء عددها وماهي الازهرات أنبتتها سحب كفه الكريمه وعقود من طوق بها جيد العبد فسبح عدايح نعمها العميمه ومنابر قام عليها خطيبا بمحاسنه التي من كتمها فكأنما كتم من المسك نظيمه فمن أشهب كأنه طالعة نجم أو قطعة صبح أو غرة فما تقرب باشعته أبدا رجم قد تزينت منه الاوضاع وانقطعت دون غايته الاطماع واعتذرت له الريح فصوب أذنيه للسماع وأصبح لصاحبه نعم العون في يوم السبق والغوث في يوم القراع وكاد يكون من الملائكة فكم له من غبار السبق أجنحة مثنى وثلاث ورباع ماخفيت مصلحة الاقبضها ولا ادلهمت مصابة نقع الاقام بنفسه وبيضها وماحدث عن حسن الارآه ولا امتطاه عازم الاجد عند صباح لونه مسراه تقرب الطالب سفارة غرته المسفره ويختال في الخيل كالنهار فلاجرم ان آيته مبصره كم ثني عنانه كبرا عن مسابقة الرياح وأعرض وكم تعب عليه عازم حتى فاز منه بالعيش الا انه الابيض يتلوه أشقر كلمعة برق أو غزالة شرق فسيح اللبان رقيق مجرى العنان يروق الابصار ويدني الاوطان والاوطار ويسمع بوقع حوافره صم الاحجار يضعف البصر عن اقتفاء ماله من السنن ويعجز عن بلوغ غايته السيل اذا هجم والغيث اذا هتن وتقصر عن شأوه الرياح فمن عذر اذا حثت في وجهها التراب للحزن فكأنما صعد لاشعة النجوم فكسبها أو راهن البرق على حلبته فاذنبها وسلبها قرنت حركاته بحسن الاتفاق وحكته في تطلعها الشموس عند الاشراق وامتدت كف الثريا تمسح وجهه من غبار السباق يتبعه كميت يسر الناظر ويشوق الخاطر كأنه جذوة نار أو كأس عقار أحلى من الضرب له من نفسه طرب كم خدمه من النصر أعوان وأسكره اسمه فاختال تحت راكبه النشوان وزاد لونه حتى كأنما هو بهرام وأجله عن أن أقول بهرمان أسرع الاشياء شوطه وأضيع مافي عدته سوطه يجمع لرا كبه ما بين الطرب والجلاله وتحتجب الشمس اذا تصدى لصيد خوفا من تسميتها بالغزاله كم أرعد صهيله وابرق وكم أتى منه الموت الاحمر العدو الازرق قصرت عن معاناته الهمم واستردته وترفه فكأنه ما الذوب نار حجمه حجم يوسع أهل الحجر برا ويعتد

بحنجر نعله أديم الارض سيرا بقفوه وأصفر يسر النظار ويموه على النظار ويشوق البصائر ويماشق سعيه على الابصار ويخفق وراءه حتى قلب البرق اذا ذكرهما السبق فى مضمار كم أوسع وقعه فى ليل السرى من سمر وكم نقش نعله ظهر جبل بخفاء كما قيل نقش فى حجر يطلع بسماء الطلب أهلة هو عيدها واذا امتطاه عازم رأى الارض تطوى له ويدنو بعيدها كم حسن خبرا وخبرا وتأثيرا وأثرا وكم عشا الى نار سنابكه طارق فأجزل له من قصده القرى كأنما خلع عليه الدهر حلة ذهب وهبته صفرة لونها الراح حين تحلى بالحبب لوأمكن أول فخر لما سمى فى زمنه بالسرحان ولو كتب اسمه على مقدمة طليعة قرنها اليمن والايمان يحسبه أدهم كأنما التحف سبجا أو دخل تحت ذيل الدجى تخضع عواصى الذرى لعزته وينشق الصباح غيظا من تحجيله وغرته كأنما لطمته يد الفجر فخاض فى أحشائه وورد نهر المجرة فطارت لجبهته نقطة من مائه فسبح المنتشق متدرع ملابس حب القلوب والحدق كم عنت شوامخ الجبال لجلاله وقصرت عنه الخيل حتى لم تسابق الاظل ادباره واقباله وخاف سطوته الليل فحياه بمثل أنجمه وأنعله بهلاله يسر الموالى ويسوء المناصب ويأتى من صباح تحجيله وليل تكوينه بالعجائب وتكبو الريح دون شأوه فكلاهما من خلفه جنائب ولا برح سيدنا يجيد فى القول ويجود فى العمل ويتطول من خفى كرمه ومفيد كلمه بما لا ترقى اليه همة أمل ان شاء الله تعالى ثم ذلك (وقال) مجير الدين بن تميم مضمنا

بعثت عندى جواد الاحوائك به * يكاد من همزه بالركض ينخرم
فلا يغرنك منه سنه غلطا * ان الجواد على علاته هرم

(ابن النبيه) من قصيدة

فهى مثل القسى شكلا ولكن * هى فى السبق أسهم لا محاله
تركتها الحداة فى الخفض والرفع حروفا فجرها عماله

(علاء الدين) ابن أيبك من قصيدة

له خطبة الخيل العتاق كأنها * نشاوى شهادت تطلب العزف والقصفا
عرائس أغنتها الحجول عن الحلى * فلم تبغ خلخالا ولا القمت وقفا
فمن يقق كالطرس تحسب انه * وان جردوه فى ملاءته التفا

وأبلق أعطى الليل نصف اهابه * وغار عليه الصبح فاحتبس النصفا
وورد تغشى جلده شفق الدجى * فحازه دلى له الذيل والعرفا
وأشقر مثل الراح صرف أديمه * وأصفر لم يسمح بها جلده صرفا
وأشهب فضي الاديم مدنر * عليه خطوط غير مفهمة حرفا
كما خطر الزاهي بمهرق كاتب * فجر عليه ذيله وهو ما جفا
تهب على الاعداء منها عواصف * لتنسف أرض المشركين بها نسفا
سرى كل طرف كالغزال فتمترى * أطيبا ترى تحت العجاجة أم طرفا
وقد كان في البيداء يألف سربه * فربته مهرا وتحسبه خشفا
تناوله لفظ الجواد لانه * متى ما أردت الجرى اعطاك ضعفا

(ابن خفاجة)

ولم أر الاغرة فوق شقرة * فقلت حباب يستدير على خمر

(نادرة) وقف اعرابي على أبي عبيدة فقال له ما يعنى الشاعر بقوله

واقد علوت بمشرف يافوخه * يأتي الجمة ماؤه يتفصد
مزج بسيل من المزاج لعابه * فيكاد جلد اهابه يتقدد
حتى علوت به مشق ثنية * طورا أغور به وطورا أنجد

(فقال) يصف فرسا فقال الاعرابي حملك الله عليه (برهان الدين) القيراطي في حماره

تراه أولا في الا كل سبقا * وعند السير يأتي في الاخير
وكم وضعوا سكرجة بفيه * فامنعته عن صحن الشعير

(عرض) شريح ناقة ليبيعها فجاء اليه رجل من قريش فقال له يا أبا امية كيف لبنها فقال احلب في أي اناء شئت قال فكيف الوطأ قال افرش ونم قال فكيف قوتها قال احمل على الحائط ما شئت فاشتراها فلم يجد شيأ مما وصف فرجع اليه فقال له لم أر شيأ مما وصفتها به قال ما كذبتك (كتب) الصابي عن بختيار الى أبي تغلب في وصف فرس أهداه له أما الفرس الذي أتت ايثارك به فقد تقدمنا نقوده اليك والله يبارك لك فيه ويجعل الخير معقودا بناصيته والاقبال غرة وجهه وادراك المطالب تحجيله ونيل الاماني طلق شاوه وفتح الفتوح غاية شده وسلامة العواقب مثنى عنانه (ابن حمديس الصقلي)

وكأنها نون تمط وعينها * ميم لطول نحولها بالفدفد
كحلت جفون الليل منها بالسرى * وتلحفت منه بلون الاثمد
فلجسمها والصبح يتبع نوره * من جفن ليلتها انسلال المرود
ياليتها كانت سفينة زاجر * فتخوض بي مدّ العباب المزبد
فأرى ابن حمدان وذو رجبينه * يجلوسناه قذى جفون الارمد

(وله فيهن)

قلاص حباهن الهزال كأنها * حنيات نبع في أكف جوادب
اذا وردت من زرقة الماء أعينا * وقفن على أرجائها كالحواجب

(ومما جاء) في رقية الدابة عن سهيم بن نوفل قال كنا نعرض المصاحف عند عبد الله فجاءت جارية اعرابية الى رجل من القوم فقالت أطلب راقيا فان فلانا قد لقع فرسك بعينه فتركه يدور كأنه فلك فقال عبد الله لا تطلب راقيا اذهب فانفث في منخره الايمن أربعا وفي الايسر ثلاثا ثم قل بسم الله لا بأس أذهب البأس رب الناس واشف أنت الشافي لا يذهب الضر الا أنت قال فذهب الرجل ثم رجع فقال فعلت الذي أمرتني فأكل وبال وراث وعن ابن عباس رضي الله عنهما اذا استعصيت دابة أحدكم أو كانت شموسا فليقرأ هذه الآية في أذنها أفغير دين الله يبغون وله أسلم من في السموات والارض طوعا وكرها واليه ترجعون (نادرة) قال أبو العيناء دخل اعرابي السوق ليبيع ناقة له فقال له بعض المجان تبيعها يا اعرابي بابن بغل فقال الاعرابي اقعد على عطيتك فان زاد وبا والا انت أحق بها (الاسعد ابن مماتي)

أصبح بغلي مثلا * يضرب وهو سائر

(ناصر الدين بن النقيب)

لي بغلة من ضعفها * حزامها يثقلها
كأنها رجلي كما * تحملني أحملها

(بدر الدين) يوسف بن لؤلؤ الذهبي

ترحلت عن ناديك لا عن ملالة * وقد لفعتني بالهجير البسابس
على بغلة أطمتنيها قصيرة * كأني بلا شك على الارض جالس
وتحسبني من فوقها الناس راجلا * ولكنني فيما ترى العين فارس

(البهاء زهير في بغلة شهاب الدين القوصي)

لك يا صديقي بغلة * ليست تساوي خردله
تمشي فتحسبها العيو ن على الطريق مشكله
وتخال مدبرة اذا * ما أقبلت مستعجله
مقدار خطوتها الطو يلة حين تسرع أنمله
تهتز وهي مكانها * فكأنما هي زلزله
أشبهتها بل أشبهتـ ك كأن بينكما صله
تحكي خصالك في الثقا لة والمهانة والبله

(القيراطي)

لي بغلة قد أتعبت راحتي * والرجل من فخذي الى كعبي
طباعها خارجة كلها * وقط لا تمشي على الضرب

(الجزار) يرثي حمارة

ما كل حين تنجح الاسفار * نفق الحمار وبارت الاشعار
خرجي على كتفي وها أنا دائر * بين البيوت كأنني عطار
ماذا علي جرى لاجل فراقه * وجرت دموع العين وهي غزار
لم أنس حدة نفسه وكأنه * من أن تسابقه الرياح يغار
وتخاله في القفر جنا انما * ما كل جن مثله طيار
واذا أتى للحوض لم يخلع له * في الماء من قبل الورود عذار
وتراه يحرس رجله من زلة * برشاشها يتنجس الخطار
ويلين في وقت المضيق فيلتوي * فكأنما بيديك منه سوار
ويسير في وقت الزحام برأسه * حتى يحيد أمامك الحضار
لم أدر عيبا فيه الا انه * مع ذا الذكاء يقال عنه حمار
ولقد تحامته الكلاب وأحجمت * عنه وفيه كما تقول تعثار
واعتاض صاحبه عهودا قد مضت * لما تيقن بأنه جزار

(ومن انشاء المقر الفتحي بن الشهيد) تغمده الله برحمته من رسالة كتبها عن حضورا كديش أدهم وينهى وصول الجواد المنعم به على المملوك اذ أضافه الى ما في يده من الصدقات العميمة بقدر قدرها ويضاعف بالخدمة والاثنية

شكرها وفرح المملوك أنه ماخص بالفرس الا وقد ثبت عند سيده أنه غلام وما أجراها له من ديوان الخاص الا لتمييز قدره على العوام ووصل هذا الجواد أدهم من الخيل كأنما ألبسه الليل حلة سابغة الكم والذيل وفهم المملوك من بعثه حالك السواد ان الأمر العالى اقتضى ان المملوك يكتم هذا الاحسان فى سواد الفؤاد ويستره من الحساد كما ستر الليل عن الرقبا اجتماع أهل الوداد فتسلمه المملوك كما تسلمت الجفون طيف الحبيب وأسر السرور به لما علم انه من صدقة السر التى أنفقتها اليد الكريمة ولا يعزب عن الله مثقال ذرة فيها ولا يغيب واتخذ المملوك ظهر هذا الجواد حرزا لانه من الهيا كل وتصيد بعنانه غزلان الاعنة فكانت اصيدا العز حبائل وجعله ذخيرة وعزا لانه أدهم لا ينـدم صاحبه ان نابت النوائب أوغالت الغوائل (ومنها) وصل الظهر قد أعوز والسفر قد أحفز وحلت دهمته الغمه وجاءت باليد البيضاء فكذبت القائلين لاخير فى الظلمه فرأيت منه العطايا فى سواد المطالب وركبت من سرجه المحلى بالذهب فما جزت فى ليل اهابه الا اهتديت من تلك الحلى بانوار الكواكب وقرت به عينى كأنما حل من سوادى واستوطأت ظهره فى السرى فنمت لما طرق كأنه بريد رقادى (أدب حسن) قيل لاعرابى له ابل كثيرة لمن هذه الابل فقال لله فى يدى وقيل لاعرابى أنت راعى هذه الابل فقال ألله راعيها وأنا راعيها (فائدة جليلة) قال الامير علاء الدين الدوادارى فى بعض مجاميعه بخط القاضى شمس الدين بن خلكان للغل يكتب على حافر الفرس الايسر بقلم حديد وكل حرف من هذه الكلمات على حدته وهى النيل والفرات ودجلة أودية وقال لى شخص انه جربه وجده نافعا والله تعالى أعلم (ذو الوزارتين) لسان الدين بن الخطيب من قصيدة

صبحتهم غرر الجياد كأنما * عند الثنية عارض متهلل
من كل منجرد أغر محجل * يرمى الجياد به أغرّ محجل
زجل الجناح اذا أجد لغاية * واذا تغنى بالصهيل فبلبل
جيد كما التفت الظليم وفوقه * أذن مشققة وطرف أكحل
وكأنما هو عن هوى فى هيكل * من لطفه وكأنما هو هيكل

(ومن كلام سيدى المقر الجدى) حسبما اقترحه السادة المخاديم بالقاهرة المحروسة

البلاغة جعل الله تعالى كف هواليناالمقبل والمؤمل كسكرائم الخيل ظهورها عزا وبطونها كنزا وآيات كرمه اذاتليت تهز أعطاف كل جواد هزا ويتبعه فى مجاراتها كزا تعلى الهمم وتغلى القيم ويحوز صاحبها قصب السبق بالقلم غير أنها الجنة فى اقتراح الاخوان الى ركوب الاهوال وتعطيه فى اتباع أوامرهم صهوة الخطر اذا كان لاخيل عنده يهديها ولامال فانهم أبقاهم الله تعالى رموا العبد من اقتراحهم بما لا يطاق ودفعوه من أوصاف الخيل الى حلبة سبق الهاجاعة فكيف للملوك بمدهم بالعتاق ثم كيف له بلحاق تلك الفحول وانى يمكنه مجاراتهم فى هذه الليالى العواطل وقد كانت أيامهم لهاغرر معلومة وحجول فاستقلت من هذا الامتحان واعتذرت انى است فى أمر الخيل من الفرسان فقالوا بل أعطينا الطرف راكبه وأعطينا المال واهبه فانك ربب متونها ومهذب شامسها وحرونها فجلت فى ميدان الفكر وجذبت أعنة الحفظ والذكر الى ان أنتجالى مالو أرقفت استرثه ولو تركت لتركته فابتدأت بوصف أخضر مليح الشيات كامل الادوات يحمل الراكب ويزين المواكب ويرضى الشهم الشديد ويسبق السهم السديد لايخرج عن طوع فارسه ولا يعدو اختيار ممارسه كأن أديمه تجعد من نوره لاف أولف من جنات ألفاف وكميت أصم اللون مليح الكون بعيد الصفات سريع الالتفات تثنى على همته الركبان وبطنه تحت العجاجة نار علاها دخان فسيح الخطوه شديد القوه سبط الاديم معظم لدى الكرام ولاعجب اذا عظم الجواد كريم كأنما صبغ بعقار أو أدبس جلنار وقير كاون الحرباء وخيال أزاهر على صفحة الماء ووجنة حب تكالمت بعرق ونهر صاف طفا بوجهه ملق وبهجة حباب على كؤس مدامه وأشعة شمس تألفت فى طوق حمامه لاتنثنى العين معرفته ولايوفى البليغ وان أطنب صفته ولايدركه الطير اذا طار ولايلحقه الريح اذا اشتدت غير الغبار لايمل السباق ولايزعج واكبه اذا قام على قدم وساق وأبلق كريم الاصل محمود الخصل مجتمع من ظلمة الهجر وضياء الوصل يرى الناظر من لونه بياض العطايا فى سواد المطالب ويحقق للمتعجب من تضادهما أن فى الليل والنهار عجائب لايجليه البصر اذا سار ولاينجو من راكبه عدو وكيف ينجو من خالفه الليل

والنهار تفرد في جنسه وكاد يدرك المعقولات بضيائه عظم خبره وخبره واشتهر بين الانام قدره وعز على من رامه وطال وكيف لا وهو الابلق الفرد الذي شاع ذكره وأدهم بهي المنظر جميل المخبر تخاله خالا على وجنة الزمان وتظنه بين جفني السماء والارض انسان أسرع من السهم وأنفذ من الوهم يطوي شقة الفلا بيديه ويجتذب سويداء القلوب الى حبه وشبه الشيء منجذب اليه تتمثل بالظفر مخائله ولا ينشد لك لونه الا باق الابليل من تواصله وبالجملة فكأنما حلفت على اقتراح الرياضه واختيار الانفس المرتاضه فكلها حسن وكل منها جاء من الصفات الغريبة بفن يأتي من المشي بما لم يكن في حساب ويتلو اسان السرعة على مستعظم أشكالها وترى الجبال تحسبها جامدة وهي تمر مر السحاب فالله تعالى يبقي المخدوم ما نجبت القرائح وسيرت الخيول بين غاد ورائح ويكفيه ما تسعى من أجله ويجعل بابه جنة لاوليائه اذا زحف عليهم الدهر بخيله ورجله بمحمد وآله (المولى الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين علي بن الآمدي

وكميت يلقي الصخور اذا اشـــتجريا بأربع من حديد
رق جلدا واحمر حتى حسبنا * انه اختال في رداء الخدود

(وله في فرس أدهم أغر محجل)

وأدهم خص بأوضاحه * اعلاه بالغرة أو أسفله
كالليل في أوله آخر اليـــوم وفي آخره أوله

(وله)

بكل جواد سر حتى كأنما * له السيف حد والسنان له أذن

(ولبعضهم)

قم بنا نركب طرف اللـــهو سبقا للمدام
وائت يا صاح عناني * لكميت ولجام

(ولآخر)

ويوم كسته الشمس غرة مهجة * كما ذهبته بالعشي تخيل
ركضت به في حلبة اللهو سابقا * فيا لك من يوم أغر محجل

(ابن المعتز) في وصف مطلق الواحدة محجل الثلاث

ومحجل غير اليمين كأنه * متبختر يمشي بكم مسبل

(فخر الدين بن مكانس)

يا عصبة الجود الذي برضيهم * فرسي العتيق ومهري السباق
أما العتيق فلا نرجو تملكه * واليكم هذا الحديث يساق

(وضمن) هذا في الغزل شيخنا عز الدين الموصلي

لحديث نبت العارضين طراوة * وطلاوة هامت بها العشاق
فاذا نهاني المردقلت تمهلوا * فاليكم هذا الحديث يساق

(قلت) وفي مقطوع الشيخ فخر الدين زيادة حسنة على الشيخ عز الدين وهو قوله يساق واستعمل الشيخ عز الدين لفظة حديث في عدة أماكن من مقاطيعه ولعمري أجاد في جميعها (فمنها قوله)

حديث عذار الحب باد وساقه * له أوجه تبدي لقلبي اشتياقه
دري اننا نشتاق لطف حديثه * فأبدى لنا ذاك الحديث وساقه

(وقوله)

حديث عذار الحب في خده جرى * كمسك على الورد الجني تسطرا
فقبلته حتى محوت رسومه * كأن لم يكن ذاك الحديث ولا جرا

(ولغيره) وليس مما تقدم لكن ذكرناه لموافقة المعنى

ولما اجتمعنا والسلو جليسنا * على اننا نسلو الهوى ونميل
وخيل غرام قد أتتنا مغيرة * فلم ندر الا والسلو قتيل

(ومنه)

وحياة من أمست لدي حياته * أشهى الي من اتصال حياتي
ما سافرت لحظات طرفي نحوكم * الا على خيل من العبرات

(ومنه قول عز الدين الموصلي) شعرا

يستطرد الشرق خيل الدمع سابقة * ففضل السحب فضل العرب للعجم

(وما ألطف) قول بدر الدين بن الصاحب

بالله يا بدر زرني * وعد محبا سقيما
واكتم محبك واركب * من الظلام بهيما

(وأنشدني شيخنا زين الدين بن العجمي) لنفسه

لظلمات الليالى * أشكو شجونى الا ليه
وكيف تفهم معنى * شكواى وهى بهيمه

(فخر الدين بن مكانس)

لله أشكو ماجرى * وهو بشكواى عليم
ان بهيما كان لى * فضاع فى الليل البهيم

(ولمؤلف الكتاب)

ولرب ليل طال من تذكارهم * أرعى الدجى فيه وليس ببارح
قرح الجفون السهد فى ظلماته * فلذاك يدعى بالبهيم القارح

(وعلى ذكر البهيم) فما أحسن ما أنشدنى لنفسه مجد الدين بن مكانس

لله عصبة عشق * طيب الكرى حرموه
عذولهم كحمار * لابدع ان صرموه

(وأنشدنى صدر الدين بن الآدمى) لنفسه

قلت وايلى لونه حالك * وجنحه فى ليله كالسقيم

(الصفدى) فى أدهم بغرّة

واعجبا للصبح من أشقر * ما آن أن يلحق ليلا بهيم

(غيره)

تردّى أديم الليل تيها بنفسه * وأطمع حتى فى منال الكواكب
وأبدى لرائيه بغرّة وجهه * بياض العطايا فى سواد المطالب

(وأنشدنى فخر الدين بن مكانس)

لنا فرس تلاقى منه رفقا * كرفق الوالدين اذا ثملنا
ترانا حين نركبه سكارى * نميل على جوانبه كأنا

(حدّث) أحمد بن أبى خالد قال خرج الفيض بن أبى صالح وأحمد بن الجنيد وجماعة من وجوه الكتاب يوما من دار المأمون منصرفين الى منازلهم وكان يوما مطيرا فتقدّم الفيض بن أبى صالح وتلاه أحمد بن الجنيد فنضحت دابة الفيض على ثياب أحمد بن الجنيد برجلها من ماء المطر فتأفف أحمد بن الجنيد وقال للفيض هذه والله مسايرة بغيضة وما أدرى حقا أوجب لك التقدم علينا فأمسك الفيض حتى صار الى منزله ثم دعا وكيله فأمر باحضار مائة تخت فى كل تخت

قيص وسراويل ومبطنة وعمامة وطيلسان ففعل ذلك وقال احمل هذه التخوت على مائة جمال وسربها الى دار أحمد بن الجنيد وقل له أوجب لنا التقدم عليك أن لنا مثل هذا نهديه اليك اذا أفسدنا ثيابك فان أهديت لنا مثلها قدمناك علينا (قال مؤلف الكتاب رحمه الله تعالى) ضمنا مجلس أنس بزربية قيصون بمنزل المرحوم فخر الدين بن مكانس وكان فيه اذ ذاك جماعة من أعيان متأدبي الديار المصرية فأطلقنا عنان المذاكره وتجارينا في ميدان المحاضره الى ان استطردنا الى ذكر الخيول وماقيل فيها من منظوم أزهى من المنثور المطلول فقال المرحوم فخر الدين سدوا عنا المقاطيع واطربونا بالمواصيل اشارة الى ذكر ماقيل فيها من الرسائل التى أزرت بزهر الخمائل فذكر بعض الحاضرين رسالة القاضي محيي الدين بن عبد الظاهر التى أوّلها وسيرمن الخيول الرهاوين كما هو على الحسن مشتمل وذكر المرحوم فخر الدين رسالة الشيخ شهاب الدين محمود التى أوّلها وينهى وصول ما أنعم به من الخيل التى وجد الخير فى نواصيها وذكر المملوك رسالة الشيخ جمال الدين بن نباتة التى أوّلها وأما الخيل المسيرة وذكر الشيخ بدر الدين البشتكى رسالة العلامة لسان الدين بن الخطيب التى أوّلها كذا بياض بالاصل وذكر القاضي مجد الدين بن مكانس حسب سؤال الجماعة رسالته التى أولها البلاغة جعل الله أكف مولانا ككرائم الخيل ظهورها عز وبطونها كنز فما من الجماعة الامن استحسنها وبالغ فى شكرها فقال المرحوم فخر الدين ينبغي أن تجمع هذه المقاطيع والرسائل فى كراريس ويسميها مجرى السوابق انتهى

(الباب الثالث والاربعون فى مصائد الملوك وما فيها من نظم السلوك)

ولبعضهم فى الفهد

وأهرت الشدق فى فيه وفى يده * ما فى الصوارم والعسالة الذبل
تنافس الليل فيه والنهار معا * فقمصاه بجلباب من المقل
والشمس مذ لقبوها بالغزالة لم * تطلع على وجهه الا على وجل

(ابن المعتز فيه)

وطامس الوجه لاالقاد حة * تحسبه من قبائل الترك
تخال أثوابه مصندلة * نقطها الغانيات بالمسك

(الارجاني فيه)

وأهرت أدم بدت كاسمها * به الدهر أدم لنا يؤتدم
من النمر خيط على جسمه * أديم تعين لا عن حلم
به علقت شرر لو حتمه من نار حقد له يضطرم
ففي كل عضو له أعين * تراصد ان هو بالصيد هم
تراه رديفا وراء الغلام * وبالشمس الوجه منه التثم
شديد سيئة جيش غدت * تذيق الكرى مقلة لم تنم
جرى الدمع بالكحل من عينها * فنم جلبابها اذ سجم
وقد كاد يخرج من جلده * وراء الطريدة لما اقتحم
فقد شمر الجلد خوفا عليه * أول ما الخالق منه استتم

(ابن الاثير الجزري في الفهود) نخرجنا والشمس قد نقص مشرقها عن مغربها وأمنت حمة حرها وان صارت الى برج عقربها بكل فهد قد حيك اهابه من ضدين بياض وسواد وصور على اشكال العيون فتطلعت الى انتزاع الارواح من الاجساد يبلغ الامد الاقصى في أدنى وثباته ويسبق الفريسة ولا يقصها الاعن التفاته (القول في طبائعه) زعم ارسطو أنه متولد بين أسد ونمرة أو بين لبوة ونمر وفي طبعه مشابهة لطبع الكلب في أدوائه وذواته والنوم الذي يعتريه ويقال ان الفهدة اذا حملت وثقل حملها حنى عليها كل ذكر يراها من الفهود ويواسيها من صيده فاذا أرادت الولادة هربت الى موضع أعدته حتى اذا علمت أولادها الصيد تركتها وبهذا الحيوان يضرب المثل في شدة النوم فيقال أنوم من فهد (قال الشاعر) وقد عيره بكثرة النوم

رقدت مقلتي وقلبي يقظا ن يحس الامور حسا شديدا
يحمد النوم في الجواد كما لا * يمنع الفهد نومه أن يصيدا

وليس شئ في جرم الفهد من الحيوان الا والفهد أثقل منه وأحطم لظهر الدابة والاناث أصعب أخلاقا وأكثر جراءة واقداما وفي أخلاقه الحياء وذلك أن الرجل يمر يده على سائر جسده فيسكن لذلك حتى تصيب يده مكان الثفر فيقلق حينئذ ويغضب ومن خلقه الغضب وذلك أنه اذا وثب على طريدة لا يتنفس حتى ينالها فيحمى لذلك وتمتلئ رئته من الهواء الذي حبسه وسبيله أن يراح ريثما يخرج

النفس وتبرد تلك الغلة و يشق عن قلب الطريدة و يشمه اياه ثم يطعمه منه ويسقى رى ماء ان كان الزمان قيظا ودون الرى ان كان الزمان بردا وان لم يروح لم يفلح بعد ذلك واذا أخطأ صيده رجع مغضبا وربما قتل سائسه ومن أخلاقه انه يأنس لمن يحسن اليه ويقال انه لص من لصوص السباع وهو وان كان وحشيا فانه يقبل الادب الا أن كبارها أقبل وان تقادمت فى التوحش وأناثها أصيد من ذكورها ومن طبعه أنه يحب الصوت الحسن و يصغى اليه وربما كان سببا لصيده ومما ركب فيه انه اذا عجز عن التكسب منها لهرم يجتمع على فهد يصيد لها فى كل يوم شبعها وقال ارسطو والسباع تستنشق رائحة الفهد وتستدل بها على مكانه وتعجب بلحمه أشد التعجب فهو يتغيب عنها لذلك وربما قرب بعضها من بعض فيطمع فى نفسه فاذا أحس السبع منه ذلك وثب عليه فأكله وهو ألطف شما لا رايح السباع القوية من ثم السباع لرائحته الشهية ولا يكاد يكون على علاوة الريح أبدا وهو يستخفى فى الشجر فاذا مر به ايل ففاجاه وثب عليه وانشب مخالبه فى اكافه ومص دمه حتى يضعف الايل و يسقط فتجتمع عليه الفهود فتأكله فان اجتاز به أسد نهض وترك الفريسة له تقربا اليه والفهد يعتريه داء يسمى خناقة الفهود وقد ألهم انه اذا اعتراه ذلك يأكل العذرة فيبرأ و ينبغى اذا اصيد أن يغطى رأسه ويدخل فى جوالق ويجعل فى بيت قد وضع فيه سراج و يلازمه سائسه ليلا ونهارا ولا يدخل عليه غيره فاذا آنس أركبه ظهر دابة و يطعمه على يده وأول من صاد به كليب بن وائل و يقال همام بن مرة وكان صاحب لهو وطرب وأول من حملها على الخيل يزيد بن معاوية وا كثر من اشتهر باللعب بها أبو مسلم الخراسانى وأول من استحسن الحلقة فى الصيد وأولع بها كثيرا المعتضد والمواضع التى يوجد فيها هذا الحيوان مما يلى بلاد الحجاز الى اليمن ومايليها الى بلاد العراق ومما يلى بلاد الهند الى تبت والله تعالى أعلم (القول فى طبائع الكلب) قال المتكلمون فى طباع الحيوان الكلب لا سبع تام ولا بهيمة تامة حتى كأنه من الخلق المركب لانه لو تم له طباع السبعية ما ألف الناس واستوحش من البرارى وجانب القفار ولو تم له معنى البهيمة فى الطبع ما أكل لحم الحيوان وكلب على الناس وانما جعلناه تبعا للفهد وهذه حالته لمشاركته له فى حرفة الصيد واعتناء الناس بتربيته وتعليمه كما اعتنوا

بالفهد فى ذلك وهو نوعان أهلى وسلوقى ومما يختص به الكلب السلوقى من الطباع وسبب نتاج السلوقى كما حكاه أهل الكلام فى الكلاب أن الكلاب تسفد الذآب فى أرض سلوقة من أرض اليمن فيتولد بينهما السلوقى وقال آخرون الثعالب والكلب السلوقى له نفس متولعة بتناول ما يرسل عليه ويطلبه بالاحضار خلافه حتى يدركه فيأخذه لهم لان حرصه على الصيد وغضبه ليس من أجل نفسه كما يغضب الفهد لان الجوارح تعمل لانفسها الا الكلاب فانها تكتسب لاصحابها وهى اذا كثرت عليها الآثار واختلطت تتنكب لذلك وتذهب فى كل جهة حتى تستثبت الاثر وتحقق جهته وذلك من حرصها على مطاوعة ربها واستعدادها الفكاية أعدائه ومسارعتها لتحصيل غرضه الذى ارسلها بسببه ومن أعجب الاحوال فيه انه اذا عاين الظباء قريبة منه كانت أو بعيدة عرف المقبل منها والمدبر وعرف العنز من التيس واذا أبصر القطيع لم يقصد غير التيس لعلمه انه اذا عدا شوطين لم يستطع البول مع شدة الحصر ورفع القوائم فينقص مدى خطاه ويعتريه البهر فيلحقه الكلب والعنز اذا اعتراها البول فى العدو لم تمسكه وقذفت به لسعة السبيل فلاجل ذلك لا يطلبها ومن عجيب أمره انه يعرف الميت من المتماوت حتى يقال ان الروم لا تدفن ميتا حتى يعرضونه على الكلاب فتظهر من شمها اياه علامة يستدلون بها على حياته أو موته ويقال ان هذا الحذق لم يوجد الا فى كلب يسمى القلطى وهو صغير الجرم قصير القوائم جدا ويسمى الصينى وهو مع هذا لا يبلغ رتبة الذئب فى الشم والاسترواح واناث الكلاب السلوقية أسرع تعلما من الذكور والفهد بالعكس وهذا النوع يعيش عشرين سنة على ما زعم ارسطو وربما لم يبلغ الاناث هذا العمر (دلائل النجابة والفراهة فى الكلاب السلوقية) أما فى الخلقة فطول ما بين الرجلين واليدين وقصر الظهر وصغر الرأس وطول العنق وغضف الاذنين وبعد ما بينهما وسعة العينين وبعد ما بينهما وزرقة العين ونتوء الجبهة وعرضها وقصر اليدين وأما الالوان فيقال السود أقل صبرا على الحر والبرد والبيض أفره اذا كن سود العيون وقد قال قوم ان السود أصبر على البرد وأقوى وكذلك السود من الحيوان (الفراهة فى الجرو) اذ ولدت الكلبة واحدا كان افره من أبويه وان ولدت ذكرا أو انثى كان الذكر أفره وان ولدت ثلاثة

فيها انثى فى شبه الام كانت أفره من أبويه الثلاثة وان كان فى الثلاثة ذكر واحد فهو أفرهها (قال ابن خفاجة)

ومورس السربال يخلع قده * عن نجم رجم فى سماء غبار
يستن فى سطر الطريق وقد عفا * قدما فيقرا أحرف الآثار
عطف الضمور سريه فكأنه * والنقع يحجبه هلال سرار
يفتر عن مثل النصاب وانما * يمشى على مثل القنا الخطار

(الارجانى)

وعصف يسابق عصف الريا * ح فيسبقه حصرها ان تسم
رياح مجشمة للعيو * ن مقلدة فى طلا هارم
لهن من البيض مصقولة * تسل وتغمد من كل فم
فمن أبيض مثل لون الدمقـ * ـس ومن أصفر أملس كالزلم
وآخر ذى لمع فى السوا * د حكى لونها نفخة فى فحم
يقرط مخلبه اذنه * ويسبق ناظره حيث أم

(القول فى العقاب) وهذا الصنف يؤنث ولا يذكر ويسمى العنقاء على ماذهب اليه أهل اللغة وبهذا القول فسر قول ابى العلاء المعرى

أرى العنقاء تكبر أن تصادا * فعاند من تطيق له عنادا

ولا خلاف عند أهل اللغة فى ذلك وهو ينقسم الى صنفين عقاب ورخم فأما العقاب فنها فى اللون السود والخوخية والصقع والسقع والبيض والشقر ومنها ما يأوى الجبال ومنها ما يأوى الصحارى ومنها ما يأوى البياض ومنها ما يأوى حول المدن ويقال ان ذكورها من طير آخر لطيف الجرم لا يساوى شيأ والعقاب يبيض فى الغالب ثلاث بيضات ويحضنها ثلاثين يوما وما عداها من الجوارح يبيض بيضتين فى كل سنة ويحضن عشرين يوما وفى طبع الذكر انه يمتحن انثاه هل هى محافظة له أو موافقة لغيره من جنسه بأن يصوب بصر فرخيه الى شعاع الشمس فان ثبت عليه تحقق أنهما فرخاه وان لم يصبر عليه ونبا عنه ضرب الانثى كما يضرب الرجل المرأة الزانية وطردها من وكره ورمى بالفرخين وهى تربى فراخها الى ان تقوى على الطيران فتخرجها وتنفيها عن جميع مواضعها ومن عقوقها الفراخها انها لا تحمل على نفسها فى الكسب لها وحتى كان الذكر

والانثى فى مكانين مجتمعين لايدعان غيرهما من جنسهما يأوى قريبا منه ولا يصيد فيه وهى اذا صادت شيأ لاتحمله على الفور الى مكانها بل تنقله من موضع الى موضع ولا تجلس الا على الاماكن المرتفعة لانها لا تستقل من الارض الا ببطأ وعسر واذا صادت الارنب تبدأ بصيد الصغار ثم تصيد الكبار وهى أشد جراءة من سائر الجوارح وأقواها حركة الى الغضب وأسرعها اقداما وأيبسها مزاجا ولذلك هى أحدها وهى خفيفة الجناح سريعة الطيران فهى ان شاءت كانت فوق كل شئ وان شاءت كانت بقرب كل شئ تتغدى بالعراق وتتعشى باليمن وريشها الذى عليها فروتها فى الشتاء وحيسها فى الصيف وربما صادت حمر الوحش وذلك انها اذا نظرت الحمار رمت نفسها فى الماء حتى تبتل جناحاها ثم تتمرغ فى التراب ثم تطير حتى تقع على هامة الحمار ثم تصفق على عينيه بأجنحتها فتملأهما ترابا فلا يبصر حيث يذهب فيؤخذ وهى مولعة بصيد الحيات ولوعها بها كولوع الحيات بالفار وفى طبعها قبل ان تدرب ان لا تراوغ صيدا ولا تعنى فى طلبه ولا تزال موفية على شرف عال فاذا رأت سباع الطير قد صادت شيأ انقضت عليه فيتركه لها وينجو بنفسه ومتى جاعت لم تمتنع عليها الذئب وهى شديدة الخوف من الانسان تنظر اليه بقرب منها ويقال انها اذا شاخت وهرمت وثقل جناحها وأظلم بصرها التمست غديرا فاذا وجدته حلقت طائرة فى الهواء ثم تقع فى ذلك الغدير وتنغمس فيه مرارا فيصح جسمها ويقوى بصرها ويعود ريشها ناشئا الى حالته الاولى ومتى ثقلت عن النهوض وعميت حملتها الفراخ على ظهورها ونقلتها من مكان الى مكان لطلب الصيد وتعولها الى ان تموت ومن عجيب ما الهمته انها اذا اشتكت كبدها من رفع الارانب والثعالب فى الهواء أكلت أكبادها فتبرأ وهى تأكل الحيات الا رؤسها والطير الا قلوبها ويدل على هذا قول امرئ القيس

كأن قلوب الطير رطبا ويابسا * لدى وكرها العناب والحشف البالى

ومنقارها الاعلى يعظم ويتعقف حتى يكون سبب هلاكها لانها لا تنال به الطعم حينئذ وأول من صادبها أهل المغرب والغار غيثهم فيما رأوا من شدة شرهها وعظم سلاحها وصفة المحمود منها وثاقة الخلق وثبوت الاركان وحمرة اللون وغؤور الحماليق وان تكون صقعا عجزا وهى التى تكون على علوتها بياض

واجودها ما جاء من شرب وجبال المغرب (ابن نباتة)

أتيت اليها وهو كالفرخ راقد * فيا خجلى لما دنوت واقلالى
فقلت امرسيه بالاصابع فالتقى * لدى وكرها العناب والحشف البالى

(القول فى طبائع البازى) وتنقسم الى خمسة أصناف البازى والزرق والباشق والعقصى والبيدق والبازى أحرها مزاجا لانه قليل الصبر على العطش ومأواه مساقط الشجر العادية الملتفة والظل الظليل ومطرد المياه وهو لا يتخذ وكرا الافى شجرة لها شوك مختلفة الغصون يطلب بذلك السكن ولا يقع فى شتاء ولا صيف على أغصانها ولا أطرافها واذا أراد أن يفرخ بنى لنفسه بيتا وسقفه تسقيفا لا يصل اليه منه مطر ولا ثلج اشفاقا على نفسه من البرد والحر ولهذا اذا أخطأ صائده وكان فى برية لا شجر فيها طار ممتنعا حتى يلج كهفا من جبل أو جدار من الارض ليسكن فيه ولذلك علق عليه الجرس كيما يدل على موضعه ان خفى وهو لا يطيق البرد ولا الحر لرقة جوانحه فسبيله فى البرد أن تقرب منه النار ليدفأ أو يجعل تحت كفيه فى الشتاء وبر الثعلب واللبود وسبيله فى الحر أن يجعل فى كن كنين من السموم بارد النسيم ويفرش له الريحان والخلاف وهو خفيف الجناح سريع الطيران يلف طيرانه كالتفاف الفاختة ويسهل عليه ان يزج نفسه صاعدا او هابطا او ينقلب على ظهره حتى يلتقم فريسته وسبيله ان يضرأ على صيد الدراج والنحج ان كان طويل المنسر واذا كان قصير المنسر فسبيله ان يضرأ على طير الماء والحبرج والاناث من هذا الصنف أجرأ على عظام الصيد من ذكورها قال أصحاب البيزرة فى الكلام على الاناث من البزاة اذا كان وقت سفادها وهياجها يغشاها جميع أجناس الحيوان الضوارى كلها الزرق والشاهين والصقر وانما تبيض من كل طير يغشاها ولهذا تجى مختلفة الاخلاق من الحسن والجراءة والخبث والغدر والذكاء والقوة والضعف والحسن والقبح والشراهة ولهذا البازى لا يترك ما بين العصفور الى الدراج والكراكى وصفة الفاخر منه أن يكون قليل الريش أحمر العينين حادهما وان يكونا مقبلتين على منسره وجؤجؤهما مطلان عليهما لا يكون وضعهما فى جنبى رأسه كوضع عين الحمام والاورق دون الاحمر العين والاصفر دونهما وسعة الاشداق دليل على قوة الافتراس (ومن صفاته المحمودة) ان يكون طويلا

عريض الصدر بعيدما بين المنكبين شديد الانخراط الى ذنبه وان تكون فخذاه طويلتين ممسروا بن بريش وذراعاه قصيرتين غليظتين وأشاجع كفيه عاريه وأصابعه متفرقة لا تكون مجتمعة ككف الغراب ومخلبه اسود ومنسره اسود رقيقا وأنفر الالوان البيض ثم الشهب وهما لونان يدلان على الفراهة والكرم وأما الاسود الظهر المنقش الصدر بالسواد والبياض فهو يدل على الشدة والصلابة فان اتفق ان يكون أحمر العينين وكثيرا ما يتفق كالنهاية وهذا اللون فى البزاة كالكميت من الخيل لانه يدل على الشدة والاحمر من هذا الصنف أحسن البزاة لانه فيها كالسوسى من الخيل بعيد من الصلاح وأول من صاد بهذا الجارح لزرتق أحد ملوك الروم الاول وذلك انه رأى بازيا اذا علا كنف واذا أسفل أخفق واذا أراد أن يسمو ذرق فاتبعه حتى اقتحم شجرة ملتفة كثرة الدغل فأعجبته صورته فقال هذا طائر له سلاح تتزين بمثله الملوك فأمر بجمع عدة من البزاة فجمعت وحصلت فى مجاسه فعرض لبعضها ثم فوثب عليه فقتله فقال ملك يغضب كما تغضب الملوك ثم أمر به فنصب على كندرة بين يديه وكان هناك ثعلب فمر به مجتازا فوثب عليه فما أفلت منه الا جريحا فقال هذا جبار يمنع حماه ثم أمر به فضرى على الصيد واتخذته الملوك بعد (ابن الاثير فى البزاة) وأطلقت تلك البزاة بعد أن ذكر اسم الله على اطلاقها وتعلقت بما فوقها من الطيور حتى كأنما هى أطواق فى أعناقها (ومن رسالة لابى اسحق) ابراهيم بن خفاجة يصف بازيا طائرا يستدل بظاهر صفاته على كرم ذاته طورا ينظر نظر الخيلاء فى عطفه كأنما زهى به جبار وتارة يرمى نحو السماء بطرفه كأنما له هناك اعتبار وأخلق به أن ينقض على قنيصة شهابا ويلوى ذهابا ويحرقه مواقد والتهابا جيد العين والاثر حديد السمع والبصر يكاد يحس ما يجرى ببال ويسرى فى خيال قد جمع بين عزة مليك وطاعة مملوك فهو بما يشتمل عليه من علو الهمه ويرجع اليه بمقتضى الخدمه مؤهل لابراز ما تقتضيه شمائله وايجاب ما تعديه مخائله وخليق بحكم تأديبه وجودة تركيبه ان لو مثل له النجم قنصا أو جرى للبرق فصا لاختطفه أسرع من لحظه وأطوع من لفظه وانتشبه أمضى من سهم وأجرى من وهم وقد أقسم بشرف جوهره وكرم عنصره لا يوجه مستقرا الا وعاد قنيصه معفرا وآب الى يد

من أرسله مظفرا مورد المخالب والمنقار كأنما اختضب نحبا أو كرع في عقار (وصفاته المحمودة) أن يكون صغيرا في المنظر ثقيلا في الميزان طويل الساقين قصير الفخذين عظيم السلاح بالنسبة الى جسمه (القول على الصقر) وهو من الجوارح بمنزلة البغال من الدواب لانه أصبر على الشدة وأحمل لغليظ الغذاء وأحسن الفا وأشد اقداما على جملة الطير من الكراكي والجوارح ومزاجه أبرد من سائر ما تقدم وأرطب وذلك معروف من ركوده وقلة حركته وعدم التفات ريشه وبهذا السبب يضرأ على الغزال والارنب ولا يضرأ على الطير لانها تفوته وفعله في صيده الانقضاض والصرم وهو غير صاف بجناحه ولا خافق به ومتى خفق بجناحه كانت حركته بطيئة بخلاف البازي وتقول أصحاب البيزرة انه أهدى نفسا من البازي وأسرع أنسا بالناس وأكثر هارضا وقناعة وهو يغتذي بلحوم ذوات الاربع وابرد مزاجه لا يقرب المياه ويعافها ولو لم يجدها الدهر ما أرادها ولاجل ذلك يوصف بالبخر ونتن الفم وفي طبعه انه لا يركب الشجر ولا شوامخ الجبال ولا يأوي الا المقابر والكهوف وصدوع الجبال وفيه جبن ونفسه دون سدته ولذلك يضرب الغزال والارنب ويهرب منه ولا يكاد يعلق بفريسة فاذا فارقها عاد اليها منقضا فيضربها ويرقى هاربا وكلما تقدم ذكره ينقى بالماء ويغتسل وهو ينقى بالتمعك في الرمل (وصفاته المحمودة) أن يكون أحمر اللون عظيم الهامة واسع العينين تام المنسر طويل العنق والجناحين رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين والذنب قريب الفقرة سبط الكف غليظ الاصابع فيروزجيها أسود اللسان وأول من صاد به وضراه الحرث بن معاوية بن ثور بن كندة فانه وقف يوما على صياد قد نصب للعصافير شبكة فانقض صقر على عصفور قد علق منها فجعل يأكله والحرث يعجب فأمر فأتي به وقد اندق جناحاه فرمى به في كسر بيت ووكل به من يطعمه فدربه حتى صار اذا أتى اليه باللحم ودعاه أجاب ثم صار يطعمه على اليد ثم صار يحمله لانسه به فبينما هو يوما يحمله اذ رأى حمامة فطار عن يده اليها فأخذها وأكلها فأمر الحارث باتخاذها والتصيد بها فبينما هو يوما يسير اذ لاحت له أرنب فطار الصقر اليها وأخذها فلما رآه يعاقب بين الطيور وبين الارانب ازداد الحرث فيه محبة واغتباطا

واتخذته العرب بعده (وقال) كشاجم فيه

غدونا وطرف النجم وسنان غائر * وقد نزل الاصباح والليل سائر
بأجدل من حر الصقور مؤدّب * وأكرم ما قربت منه الاخاير
جرى على قتل الظباء وانني * ليعجبني أن يكسر الوحش طائر
قصير الذنابى والقدامى كأنها * قوادم نسر أو سيوف بواتر
ونقش منه جؤجؤ كأنه * أعارته أعجام الحروف الدفاتر
فما زلت بالاضمار حتى صبغته * وليس يحوز السبق الا الضوامر
وتحمله منا أكف كريمة * كما زهيت بالخاطبين المنابر
وعنّ لنا من جانب السفح ربرب * على سنن تستن منه الجآذر
فلى وحانت عقدة السير فانحى * لاوّلها اذ أمكنته الاواخر
يحث جناحيه على حر وجهه * كما فصلت فوق الخدود المعاجر
وما تم رجع الطرف حتى رأيتها * مصرعة تهوى اليها الخناجر

(القول على الشاهين) تقول أصحاب البيزرة الشاهين من جنس الصقر الا انه أبرد منه وأيبس ولاجل ذلك تكون حركته من العوالى الى السفل شديدة وليس يحلق فى طلب الصيد على خط مستقيم واغا يعلو الثقل جناحه حتى اذا سامت فريسته انقض على فريسته هاويا من علو الى سفل فضربها وقاربها يطلب الصعود وان سقطت على الارض أخذها وان لم تسقط عاد وضربها التسقط وذلك دليل على جبنه وفتور نفسه وبرد مزاج قلبه وعلى كل حال فالشاهين أسرعها وأخفها وأشدها ضراوة على الصيد الا أنهم عابوه بالاباق وربما يعتريه من الحرص حتى انه ربما ضرب بنفسه الارض فمات ويقولون ان عظامه أصلب من عظام سائر الجوارح ولذلك هو يضرب بصدره ويعلق بكفه وقال بعض حذاق هذا الفن الشاهين كاسمه يعنى الميزان لانه يحمل أدنى حال من الشبع ولا أيسر حال من الجوع (والمحمود من صفاته) أن يكون عظيم الهامة واسع العينين حادهما تام المنسر طويل العنق رحب الصدر ممتلئ الزور عريض الوسط جليل الفخذين قصير الساقين قريب الفقرة من الظهر قليل الريش لينه تام الخوافى رقيق الذنب اذا صلبت عليه جناحاه لم يفضل عنهما شئ منه فان كان كذلك فهو يقتل الكراكى ولا يفوته صيد كبير وزعم أهل

الاسكندرأن السودمنها هي المحمودة وأن السواد أصل لونها وانما قلبته القربة فقال و يكون فيها الملح و يقال ان أول من صاد بها قسطنطين ملك عمورية حكى انه خرج يوما يتصيد بالبزاة حتى انتهى الى خليج القسطنطينية وهوالمسمى بحر بنطش فعبر الى مرج بين الخليج والبحر فنظر الى شاهين يشكفئ على طير الماء فأعجبه ما رأى من سرعته وضراوته والحاحه على الصيد فأمر له أن ينصب له حتى صيد فأخذه وضراه ثم ريضت له بعد ذلك الشواهين وعلمت أن تحوم على رأسه اذا ركب فتظله من الشمس فكانت تنحدر مرة وترتفع أخرى فاذا نزل وقفت حوله (الوصف والتشبيه قال صلاح الدين الصفدي ملغزا في يجع)

ما طائر في قلبه * يلوح للناس عجب
منقاره كبطنه * والرأس منه في الذنب

(محيي الدين) بن عبد الظاهر

لي من أمير شكار * هو يذيب الجوانح
لما حكى الظبي حسنا * حنت اليه الجوارح

(نقلت من كتاب المصائد والمطارد) لابي الفتح كشاجم قيل لمن كان مدمنا للصيد من حكماء الملوك انك قد أدمنت هذا وهو من خير الملاهي وفيه مشغلة عن مهم الامور ومراعاة الملك فقال ان للملك في مداومة الصيد حظوظا كثيرة أقلها تنبه في أمصاره مواقع العمارة من بلاده في النقصان والزيادة فان رأى من ذلك ما يسره بعثه الاغتباط به على الزيادة فيه وان رأى أمرا ينكره جرد عنايته له ووفرها على تلافيه فلم يستتر عنه حال ورأس الملك العمارة ولم يخرج ملك للصيد فيرجع بغير فائدة أما حمد انة حبله فيرتها و يكف من عرب جماحها وأما شهوته فينشبها وأما فضول بدنه فيذيبها واما مراودة ومفاضلة فيسليها واما ان يكون قد طويت عنه حال مظلوم فيتمكن من اقالته ويرجع اليه ظلامته فيسلم من مأثمه واما أن يتكفئ بصيد يتفاءل بالظفر به الى خلال كثيرة لا يجهل ما فيها من الربح ومنه من فضل العلم بالصيد والعادة ما حكاه لي أبي عن أبي اسحق ابراهيم بن السدي عن عبد الملك بن صالح الهاشمي عن خالد بن برمك أنه كان نازل وهو مع صالح صاحب المصلى وغيره من رجال الدعوة وهو على سطح قريه نازل مع قحطبة حين قفلوا من خراسان و بيتهم و بين عدوهم

مسيرة ليال وأيام الى أقاطيع ظباء مقبلة من البر حتى كادت تخالط العسكر فقال لقحطبة نادفى الناس بالاسراج والالجام وأخذ الاهبة فتشوف قحطبة فلم ير شيأ يروعه فقال لخالد ما هذا الرأى فقال أما ترى هذه الوحوش قد أقبلت ان وراءها جمعا يكشفها فما تم الناس أن تأهبوا حتى رأوا طليعة ولولا علم خالد بالصيد لكان الجيش قد اصطلم * ووقف بعض الملوك بصومعة حكيم من الرهبان فاستجاب له فقال له ما اللذة قال كاثر اللذات أربع فعن ايهن تسأل قال صفهن لى قال هل تصيدت قط قال لا قال ألك حظ بالسماع والشراب قال لا قال فهل فاخرت فخرت أو كاثرت فكثرت قط قال لا قال وما بقى من اللذات (الجوارح أربعة) البازى والشاهين والصقر والعقاب وما اضاف اليها فنقتصر على ذكر هذه الاربعة اذا كانت أركان الجوارح ومعتمد الملوك عليها فالمبدأ به منها البازى يقال باز وبزاة مثل قاض وقضاة وبزان كغاز وغزان وبازى وبوازى (قال لبيد بن ربيعة)

لقيت لنا بوازى صائدات * وطير فى مكامنها لبود

وأول من تهدى الى الصيد به تقدم ذكره ولا يعرف كحرصه حرصا ولا كجبنه جبنا وفى أخبار نصر بن سيار أن بعض كبراء الدهاقين غدا عليه بطبرستان ومعه منديل فيه شئ ملفف فكشف عنه بين يديه فاذا فيه هيئة شلو باز ودراجة محترقين فقال نصر ما هذا فقال الرجل خرجت ومعى هذا البازى وثارت دراجة فاضطرب عليها وأحست به وقد كنت مررت بقصباء أفسدت أرضالى فأمرت باحراقها فاضطرمت فتحاملت الدراجة حتى اقتحمت النار هاربة واشتد قربه اليها فلم تثنه النار عنها واقتحم فى أثرها فأسرعت فيهما فأدركتهما النار واحترقا فأحضرتهما للامير ليرى بهما ثمرة افراط الحرص وافراط الجبن وما أحسن صورة اجتمع فيها ثلاث بزاة على ظهر فرس فى كف رجل واختلف رأى الملوك فيما مثلته فى تيجانها ولباسها فكانت أمثلة تاج ملك جيلان ولباسه صورة بزاة فقيل له فى ذلك فقال وجدت الانسان يحمله الفرس ووجدت البازى يحمله الانسان امتثال عليه لذته وبغيته وطرده ووجدته أضام لك نوعه واذا كنت أحمله جميعا فى الحقيقة فلا اعاب به فانا فى تمثيله وحمله مثالا فى لباسى وحلى أعذر (ومن فضائله) ان الصيد فيه طبع لانه يؤخذ فرخا من وكره من

غيرأن يكون حذق ولا تصيد مع أبويه فيصيد ابتداء من غير تضرية ولا استغابة وليس ذلك في الصقر والصقر بعكسه ومن ملح أخباره وأمثاله أن خالد بن برمك قال بينا أبو أيوب الكاتب جالس في أمره ونهيه اذ أتاه رسول المنصور فامتقع لونه فلما رجع تعجبنا من حاله فقال أما أضرب لكم مثلا زعموا أن البازي قال للديك ما في الارض حيوان أقل وفاء منك قال وكيف ذلك قال أخذك أهلك بيضة فحضنوك ثم خرجت على أيديهم وأطعموك في أكفهم ونشأت بينهم حتى اذا كبرت صرت لا يدنو اليك أحد الاطرت مرة كذا ومرة كذا وصوتت وحذرت وانا مسوني من الجبال فعلموني وألقوني في الهواء فآخذ صيدي فأجيء به الى صاحبي فقال له الديك انك لو رأيت من البزاة في سفافيدهم مثل الذي رأيت من الديوك لكنت أنفر مني ولكنكم أنتم لو علمتم ما أعلم ما تعجبتم من خوفي مع ماترون من تمكن حالي وأقول ان هذا المثل يتصل به معنى حسن لكفاءة السلطان وأعوانه وهو أنه ينبغي لتابع السلطان أن يجتهد في توفير الحظ واجتلاب المنافع اليه حتى يكون كالبازي الذي دفع عن نفسه ما وقع الديك فيه برغبة صاحبه في كسبه ووده ولم يقنع له بالسلامة حتى أكرمه بالدستبان وأركبه يده وحلاه الجلجل وأطعمه من خاص كسبه ومن غير كسبه وعجز الديك عن هذه الفضائل والمكاسب واقتصر على شهوة السفاد والترفه واللفظ فحل به ما حل (أمارات الجراءة فيه) يمتحن ذلك بان ينصب في بيت مضيء ثم يقطع عنه الضوء ويسد ما يدخل اليه من النور فاذا أظلم البيت دنوت من البازي فلمسته مسرعا فان وثب على يدك وقبضها فهو جريء بصيد عظام الطير وان تقبض وسكن فليس كذلك ومن أمارات القوة أن يشد في زاوية البيت وينظر أين يبلغ بزرقه من الحائط فأرفعها زرقا أشدها قوة وتدل قوته على طيرانه وصيده (ومن ملح ماورد في التعريض باسمه) ماقاله بعض التميميين لرجل من نمير ما أحسن صيد البازي فقال له النميري لا سيما اذا أرسل على القطا أراد التميمي

انا البازي المطل على نمير * أتيح من السماء لها انصبابا

وأراد النميري

تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * ولو سلكت سبل المكارم ضلت

(قلت) وما أحسن جواب بعض الشعراء وقد حضر بين يدي أمير يمدحه

فقال لها الامير من الرجل فقال من بنى تميم فقال الذين يقول فيهم القائل

* تميم بطرق اللؤم أهدى من القطا * فقال بتلك الهداية جئتك فجعل الامير وسأله كتمانها بعد الاجازة (الاوقات المحمودة للصيد) يوم الغيم الذى لا مطر فيه ويوم المطر القصف ويوم الصحو للقاء الناس والملوك تغلس للطرد لان الطرائد فى ذلك الوقت تكون رابضة فتستثار وفيها أثر النوم وأما يوم الصيد فالسبت (وقد قيل فى ذلك)

لنعم اليوم يوم السبت حقا * لصيد ان أردت بلا امتراء

والاختيار فى باب النجوم فهو اختيار الحرب والوجه أن يكون صاحب السابع فى الطالع فيكون المتبوع مأسورا ويكون القمر مناظر الاحد السعدين أو متصلا به فى برج ذات أربع قوائم قال أبو سهل النوبختى وصاحب الطالع فيه الزهرة والمشترى يسعدها بنظره وهذا معدن من معادن علم النجوم (الشيخ جمال الدين بن نباتة) يقرض رسالة بندقية ومن بندقيتها الشرف الرفيع على كل قول والطرف البعيد على كل ذى صوغ من اللفظ وصول وصف فيها الرياض فكأنما وصف كلامه وذكر فيها الواجب فكأنما ذكر بحقوق هذه الصناعة قيامه فما قوس الصناعة يدا فى مصابغات غلاته ورمى ببندق برده الجذب فى مقالاته بأبهج من وصفه لتلك القسى المذهبة الجافيه المتعطفة الجانية الا على الطير الممتنع الصائبة بعيون أوتارها عدله المجمع قسى قاسية الجوانح لينة الا على الجوارح طالعة أهلتها بفناء السوانح والبوارح مبتذلة مكرمه صامتة الا انها ذوات الجوارح مكلمه قادرة على العطاء والعطب باهرة الفضائل التى لولا بدائع الصنع لما نبتت منها فى عصب قد ألفت الرياض فلبست بعض برودها وطلبت شأو السماء فنثرت مثل عقودها تقوم بالواجب وتعين بعين وحاجب وتأخذ على الطير المطار وتذكر قيامها تحته وهى غصن فتطالبه بأوتار كأن كل قوس منها حاجبان وقبضته البلج وكأن بندقها طالب ما فتح باب نجاح وجناح الاوج وجح ومن غزالة غزلية براعة أسلية تقنص فيها شوارد الحكم وقيد أوابد المعانى بجناح القرطاس ومخلب القلم وتصرف من تقريظ مواطن الصيد فى بابه المنايا والمنايح وتلطف فى الاقوال التى لو شاء لعطفت عليها الظباء السوانح وأتى

بعيون الدرر التى نظمت وفنون الحلل التى رقمت لا بالجزع الذى لم يثقب من عيون الوحش ولا بعناديل أعراف الجياد التى غيرها المس والمش حتى عرف البلغاء أنها أقوى على دفع الخطب ومجمع الخطب وأن أقلامهم اذا شاركت قلمه فى المعانى كان منه الصيد ومنها الحطب وان غزالا وصفه قد شرف على الغزاله وزهى بما حشد من التقريظ وغزاله فلو استطاع الشكر منه كما لسطر مدحه فكان الخط دواة والقرن قلما على أن عدل قلمه لو شاء لم ترع ظبية فى مداها ولم تخف من مناسر البزاة حد مداها ولم تبلغ يد منهم من ريم مراما ولكانت عينه بل كل عين فى جسده من أعين الظباء حراما (وله فيها)

اسعد بها يا قرى برزة * سعيدة الطالع والغارب

صرعت طيرا وسكنت الحشى * فما تعديت عن الواجب

(وللشيخ جمال الدين بن نباتة من رسالة طرديه) حاملين قسيا كالأهله لاجرم أنها تقصر لذوات الجناح عمرا متأبطين حرا وآت يقول الطير عن حواملها هذا الذى تسميه العرب تأبط شرا (ومن انشاء القاضى شهاب الدين محمود الحلبى) وبرزنا وشمس الاصيل تجود بنفسها وتسير من الافق الغربى الى موضع رمسها وتغازل عيون النور بمقلة أرمد وتنظر الى صفحات الورد نظر المريض الى وجوه العود فكأنها كئيب أمسى من الفراق على فرق أو عليل تقضى بين محبيه بقايا مدة الرمق وقد اخضلت عيون النور لوداعها وهم الروض بخلع حلته المموهة بذهب شعاعها

والطل فى أعين النوار تحسبه * دمعا تحير لم يرقى ولم يكف

كلؤلؤ ظل عطف الغصن متشحا * بعقده وتندى منه فى شنف

يضم من سندس الاوراق فى صرر * خضر ويجنى من الازهار فى صدف

والشمس فى طفل الامساء تنظر من * طرف غدا وهو من خوف الفراق خفى

كعاشق سار عن أحبابه وهفا * به الهوى فترآهم على شرف

الى ان بضا المغرب عن الافق ذهب قلائدها وعوضه عنها من النجوم بخدمها وولائدها فلبثنا بعد آداء الفرض لبث الأهله ومنعنا جفوننا أن ترد النوم الا تحله ونهضنا وبرد الليل موشع وعقده مرصع وا كليله مجوهر وأديمه معنبر وبدره فى خدر سراره مستكن وفجره فى حشا مطالعه مستجن كأن امتزاج

لونه بشفق الكواكب خليط مسك وصندل وكأن ثرياه لامتداده معلقة بامراس كتان الى صم جندل

ولاحت نجوم الليل زهرا كأنها * عقود على خود من الزنج تنظم
معلقة فى الجو تحسب أنها * طيور على نهر المجرة حوم
اذا لاح بازى الصبح وات يؤمها * الى الغرب خوفا منه بسرو منزم

الى حدائق ملتفه وجداول مختفه اذا جش النسيم غصونها اعتنقت عناق الاحباب واذا فرك من المياه متونها انسابت فى الجداول انسياب الحباب ورقصت فى المناهل رقص الحباب وان اثم ثغور نورها حيته بأنفاس المعشوق وان أيقظ نواعس ورقها غنته بألحان المشوق فنسيمها اوان وشميمها بعرف الجنان عنوان ووردها من سهر نرجسها غيران وطلها فى خدود الورد مهتد وفى طرز الريحان حيران وطائرها غرد وماؤها مطرد وغصنها تارة يعطفه النسيم اليه فينعطف وتارة يعتدل تحت ورقائه فيظنها قوم همزة على ألف مع ما فى تلك الرياض من توافق المحاسن وتباين الترتيب اذ كلما اعتل النسيم صح نشر الروض وكلما نوّ الماء شمخ القضيب

وكأنما تلك الغصون وقد نثت * أعطافها رسل الصبا أحباب
فلها اذا افترقت من استعطافها * صلح ومن سجع الحمام عتاب
وكأنها حول العيون موايسا * شرب وهاتيك المياه شراب
فغديرها كأس وعذب نطاقها * راح وأضواء النجوم حباب

تحيط باق ماؤها صاف وظلال دوحها ضاف وحصباؤها بصفاء مائها فى نفس الامر راكد وفى رأى العين طاف اذا دغدغها النسيم العليل حسبت ماءها بتقابل الظلال فيه يتبرج ويميل واذا اطردت عليه أنفاس نسيم الصبا ظننت أفياء تلك الغصون هوى بمثالها فى قلبه وكأن النسيم أيضا كلف بها غار من دنوها اليه فيلها عن قربه والسرو مثل عرائس لفت عليهن الملاءة شمرن فضل الازر عن سوق خلاخلهن ماء والنهر كالمرآة تبصر وجهها فيه السماء وكأن صوافى الطير المبيضة بتلك الملق خيام أو قباب على الرقتين قيام وأباريق فضة رؤسها اقدام ومناقيرها المحمرة أول ما أنسكب من المدام وكأن رقابها رماح أسنتها من ذهب أو شموع أسود رؤسها ما انطفى وأحمرها ما التهب وكنا

كالطراز الجليل عده وكطراز العمر الاول جده

من كل أبلج كالنسيم لطافة * عف الضمير مهذب الاخلاق
مثل البدور ملاحة وكعمرها * عددا ومثل الشمس فى الاشراق

ومعهم قسى كالغصون فى لطافتها ولينها والأهلة فى نحافتها وتكوينها والازهار فى ترافتها وتلوينها بطونها مدبجه ومتونها مدرجه كأنها كوكب الشولة فى انعطافها أو أوراق الظباء فى التفافها لا وتارها عند القوم أوتار ولبنادقها فى الحواصل أوكار اذا انتصبت لطير ذهب من الحياة نصيبه واذا انتضت لرمى بدت لها أنه أحق بها أن تصيبه ولعل ذلك الصوت زجر لبندقها ان يخطئ فى سيره أو يخطئ الغرض الى غيره أو وحشة لمفارقة أفلاذ كبدها واسف على خروج بنيها عن يدها على أنها طالما نبذت بنيها بالعراء وشفعت لخصمها التحذير بالاغراء

مثل العقارب أذنابا معقدة * لمن تأملها أو حقق النظرا
ان مدها قرمنهم وعاينه * مسافر الطير فيها وانبرى سفرا
فهو المسىء اختيارا اذ نوى سفرا * وقد رأى طالعا فى العقرب القمرا

ومن البنادق كرات متفقة السرد متحدة العكس والطرد كأنما خرطت من المندل الرطب أو عجنت من العنبر والورد تسري كالشهب فى الظلام وتسبق الى مقاتل الطير مسددات السهام

مثل النجوم اذا ما سرن فى افق * عن الأهلة لكن نونها راء
من فاتها من نجوم الليل ان رمقت * الا نبات يرى فيها وأضواء
تسري ولا يشعر الليل البهيم بها * كأنها فى جفون الليل اغفاء
ويسمع الطير اذ تهفو قوادمه * خوافقا فى الدياجي وهى صماء

تصونها جراوة كأنها درج درر أو درج غرر أو كمامة ثمر أو كنانة نبل أو عمامة وبل حالكة الاديم كأنما رقمت بالشفق حلة ليلها البهيم

كأنها فى وضعها مشرق * تنبت منه فى الدجا الانجم
أو ديمة قد أطلعت قوسها * ملونا وانبعثت تسجم

فاتخذ له كل مركزا وتقاضى من الاصابة وعدا منجزا وضمن له السعد أن يسبح ابراده معوزا

كأنهم في عن أفعالهم * في نظر المنصف والجاحد
قد ولدوا في طالع واحد * وأشرفوا من مطلع واحد

فسرت علينا من الطير عصابه أظلتنا من أجنحتها سحابه من كل طائر أقلع يرتاد مرتعا فوجدوا السكن مصرعا وآنس بغى ماء جماما فورد ولكن السم منقعا وحلق في الفضاء يبغي ملعبا فبات هو وأشياعه للقسي سجدا ركعا فتبركنا بذلك الوجه الجميل وتداركنا أواثر ذلك القبيل فاستقبل أولنا تمييدره وعظم في نوعه قدره كأنه برق كرع في غسق أو صبح عطف على بقية الدجى عطف النسق تحسبه في أسداف المنى غرة نجح وتخاله تحت أذيال الدجى طرة صبح عليه من البياض حلة وقار وله كرة من عنبر فوق منقار من قارله عنق ظليم والتفت ريم وسرى غيم بصرفه نسيم

كلون المشيب وعصر الشبا * ب ووقت الوصال ويوم الظفر
كأن الدجى غار من لونه * فأمسك منقاره ثم فر

فأرسل اليه عن الهلال نجما فأسقط منه ما كبر ساقط حجما فاستبشر بنجاحه وكبر عند صباحه وحصله من وسط الماء بجناحه وتلاه كي نقي اللباس مشتعل شيب الراس كأنه في عرانين شبه لأوائله كبير اناس ان أسف في طيرانه فغمام وان خفق بجناحه قطع له بيد النسيم زمام ذو عيبة كالجراب ومنقار كالحراب ولون نغرق في الدجى كالنجم ويخدع في الضحى كالسراب ظاهر الهرم كأنما يخبر عن عاد ويحدث عن أرم

ان عام في زورق الغدير حسبته * مبيض غيم في أديم سماء
أوطار في أفق السماء ظننته * في الجو شيخا عائما في ماء

متناقض الاوصاف فيه خفة الجهال تحت رزانة العلماء

فثنى الثاني اليه عنان بندقه وتوخاه فيما بين أصل راسه وعنقه فخر كمارد انقض عليه نجم من أفقه فتلقاه الكبير بالتكبير واختطفه قبل مصافحته من الماء وجه الغدير وقارنته أوزة حلتها دكنا وحليتها حسنا لها في الفضاء مجال وعلى طيرانها خفة ذوات التبرج وخفر ربات الحجال كأنما عبثت في ذهب أو خاضت في لهب تختال في مشيتها كالكاعب وتتأتى في خطوها كاللاعب وتعطو بجيدها كالظبي الربيب وتتدافع في سيرها مشي القطاة الى الغدير

اذا أقبلت تمشى بخطرة كاعب * رداح وان صاحت فصولة خادم
وان أقلعت قالت لها الريح ليت لى * خفاذى الخوافى أوقوى ذى القوادم
فأنعم بها فى البعد زاد مسافر * وأكرم بها فى القرب تحفة قادم

فلوى الثالث جيده اليها وعطف بوجه قوسه عليها فلجت فى ترفعها معنه ثم نزلت على حكمه دعنه فأعجلها عن استكمالها الهبوط ورفعها قبل استقرارها السقوط واستولى عليها بعد استمرارها القنوط وحاذتها الغلغة تحكى لون وشيها وتصف حسن مشيها وترى عليها بغرتها وتنافسها فى المجالس كضرتها كأنها مدامة قطبت بمائها أو غمامة سفت عن بعض نجوم سمائها

بغــــرة بيضاء ميمونة * تشرق فى الليل كبدر التمام
وان تبدت فى الضحى خلتها * فى الحلة الدكنا برق الغمام

فنهض الرابع لاستقبالها ورماها عن فلك سعده بنجم وبالها فجدت فى العلو مده وطارت امام بندقه ولولا اطراد الصيد لم تك لذه وانقض عليها من يده شهاب حتفها وأدركها الاجل لخفة طيرانها من خلفها فوقعت من الافق فى كفه وفرت من ثنايا واصفها عن صفة وأتت فى اثرها أنيسة آنسة كأنها العذراء العانسه أو الارماء الكانسه وعليها خفر الابكار وخفة ذوات الاوكار وحلاوة المعانى التى تجلى على الافكار ولها أنس الربيب واذلال الحبيب وتلفت الزائر المريب من خوف الرقيب ذات عنق كالابريق أو الغصن الوريق قد جمع صفرته النهار الى حمرة الشفق وصدر بهى الملبوس شهى الى النفوس كأنما رقم فيه النهار بالليل أو نقش العاج بالابنوس وجناح يحجبها من العطب يحكى لونه المندل الرطب لولا أنه حطب مدبجة الصدر تفويفه أضاف الى الليل ضوء النهار لها عنق خاله من رآه شقائق قد سحجت بالبهار فوثب الخامس منها الى الغنيمه ونظم فى سلكه تلك الدرة اليتيمه وحصل بتحصيلها بين الرماة على الرتبة الجسيمه وأتى على صياحها حبرج تسبق همته جناحه ويغلب خفق فؤاده صياحه مديح المطا كأنه خلع حلة منكبيه على القطا بنظرمن ذهب ويخطو على عود من لهب

يزور الرياض ويجفو الحياض * ويشبه فى اللون كدر القطا
ويهوى الزروع ويلهو بها * فلا يرد الماء الاخطا

فبدره السادس قبل ارتقاعه وأعان قويسه بامتداد باعه فخرّ على آلائه كبسطام بن قيس وانقض عليه راميه فحصله بحذق وحمله بكيس وتعذر على السابع مرامه ونبا به عن بلوغ الارب مقامه فصعد هو وترب له الى جبل وثبت فى موقفه من لم يكن له براقته قبل فعنّ له نسر بقوادم شداد ومناسر حداد وخوافى مداد كأنه من نسور لقمن بن عاد تحسبه فى السماء ثالث أخويه وتخاله فى الفضاء قبته المنسوبة اليه قد حلق كالفقراء راسه وجعل مما قصر من الدلوق الدكن لباسه واشتمل من الرياش العسلى ازارا واختار العزلة ولا تجد له الا فى قنن الجبال الشواهق مزارا قد شابت نواصى الليالى وهو لم يشب ومضت الدهور وهو من الحوادث فى معقل أشب

مليك طيور الارض شرقا ومغربا * وفى الفلك الاعلى له أخوان
له خال فتاك وحلية ناسك * واسراع أقدام وفترة وان

فدنا من مطاره وتوخى ببندقة عنقه فوقع فى منقاره فكأنما قد هدمنه صخرا وتوخى أو هدم به بناء مشمخرا ونظر الى رفيقه مبشرا له بما امتاز به من فريقه واذا به قد أظلته عقاب كاسر كأنما قد أظلت صيدا قد أفلت من المناسر ان حطت فسحاب انكشف وان أقامت فكأن قلوب الطير رطبا ويابسا الدى وكرها العناب والحشف بعيدة ما بين المناكب اذا أقطعت نجت فى علو كأنما تحاول ثارا عند بعض الكواكب

ترى الطير والوحش فى كفها * ومنقارها ذا عظام مزاله
فلو أمكن الشمس من خوفها * اذا طلعت ما انسمت غزاله

فوثب اليها الثامن وثبة ليث وثق من حركاتها بنجاحها ورماها بأول بندقة فما أخطأ قادمة جناحها فأهوت كعود صرع أو طود صدع قد ذهب باسها وتذهب بدمها لباسها وكذلك القدر تخادع الجوّ عن عقابه ويستنزل الاعصم من عقابه فحملها بجناحها المهيض ورفعها بعد الترفع فى أوج جوّها من الحضيض ونزلا الى الرفقه بين مربح الصفقه فوجد التاسع قد مرّ به كركى طويل السفار سريع النفار شهى العراق كثير الاغتراب يشتو بمصر ويصيف بالعراق لقوادمه فى الجوّ هفيف ولاديمه لون سماء طرأ عليها غيم خفيف تحن الى صوته الجوارح وتعجب من قوته الرياح البوارح

له شية حمراء في رأسه كوميض جمر تحت رماد أو بقية جرح تحت ضماد أو فص عقيق شفت عنه بقايا ثماد ذو منقار كسنان وعنق كعنان كأنما بخوس على عود من أبنوس

اذا بدا في أفق مقلعا * والجو في الماء تفاويفه
حسبته في لجة مركبا * وجلاه في الأفق مجاذيفه

فصبر عليه حتى جازه مخليا وعطف عليه مصليا فخر مضرجا بدمه وسقط مشرفا على عدمه ولطالما أفات لدى الكواسر من أظفار المنون واصابه القدر بحبة من حماء مسنون فكثر التكبير من أجله وحمله راميه من على وجه الارض برجله وحاذاه غرنوق حكاه في زيه وقدره وامتاز عنه بسواد رأسه وصدره له ريشتان ممدودتان من رأسه الى حلقه مفقودتان من اذنه الى مكان سبقه من الكراكي أوصافه سوى سواد الصدر والراس ان شال رجلا وانبرى قائما ألفيته هيئة برجاس فأصغى العاشر له منصتا ورماه ملتقفا فخر كأنه صريع الأشجان أو نزيف بنت الجان فأهوى الى رجله بيده وأيده وانقض عليه انقضاض الكاسر على صيده وتبعه في المطار ضوغ كأنه من النضار مصبوغ تحسبه عاشقا قد مد صفحته أو بارقا قد بدت لمحته

طويلة رجلاه مسودة * كأنما منقاره خنجر
مثل عجوز رأسها أشمط * جاءت وفي رقبتها معجر

فاستقبله الحادي عشر ووثب ورماه حين حاذاه من كثب فسقط كفارس تقنطر عن جواده أو وامق اجتنب حبة فؤاده فحمله بساقه وعدل به الى رفاقه واقترن به مرزم له في السماء سمي معروف ذو منقار كصدغ معطوف كأن رياشه فلق اتصل بشفق أو ماء صاف علق بأطرافه علق له جسم من الثلج على رجلين من نار اذا أقلع ليلا قلت صبح في الدجى نار فانتحاه الثاني عشر مهيما ورماه مصمما فأصابه في زوره وحصله من فوره وحصل له من السرور ما خرج به عن طوره والتحق به شيطر كأن مدته مسطر يخط كالسيل ويكر على الكواسر كالخيل ويجمع من لونه بين ضدين يقبل منهما بالنهار ويدبر بالليل يتلوى في منقاره الأيم كتلوي التنين في الغيم

تراه في الجو ممتدا وفي فمه * من الأفاعي شجاع أرقم ذكر

كأنه قوس رام عنقه يدها * ورأسه رأسها والحبة الوتر

فصوب الثالث عشر اليه بندقه فقطع الحبة ودق عنقه فوقع كالصرح الممرد أو الطرف الممدد وأتبعه عنان أصبح فى اللون ضده وفى الشكل نده كأنه ليل ضم الصبح الى صدره وانطوى على هالة بدره

تراه فى الجو عند الصبح حين بدا * مسود أجنحة مبيض حيزوم

كأسود حبشى عام فى نهر * وضم فى صدره طفلا من الروم

فنهض تمام القوم الى التتمه وأسفرت عن نجح الجماعة تلك الليلة المدهمه وغدا ذلك الطير الواجب واجبا وكمل العدد به قبل ان تطلع الشمس غيبا أو تبرز حاجبا فيالها حضرة بابها الصوادح فى الفضاء المتسع ولقيت فيها الطير ما طارت من قبل على كل شمل مجتمع وأصبحت أشلاؤها على وجه الارض كفرائد صاغها النظام أو مشرب كأن رقابهم من اللين لم يخلق لهن عظام وأصبحنا مثنين على مقامنا منثنين الى مستقرنا ومقامنا * كتب القاضى شهاب الدين بن فضل الله العمرى وهو بين يدى السلطان الى نائب الشام المحروسة صحبة طيور أرسلها اليه من رأس قلمه ولازالت مواهبنا تخصه بالمزيد وتحفه بما يريد وتجعل له من الجوارح ما تعترف لها السهام بأنها بغير جناح جميعه لا تصيب ولا تصيد صدرت هذه المكاتبة الى الجناب العالى بسلام جميل الافتتاح وثناء يطير اليه وكيف لا يطير قادمه بجناح ونعلمه ان مكاتبته المتقدمة الورود تضمنت التذكار من الجوارح بما بقى من رسمه وجرت عادة صدقاتنا الشريفة أن تحسب فى قسمه وقد جهزنا له الآن منها ثلاثة طيور لا يسعد عليها مطار ولا يوقد للقرى فى غير ما يلقها جذوة نار ولا تؤم صيدا الا وترش الارض بدمه فلا يلحق لها بغبار وهى طائر كم لها من فتك أخذ الطير من منامه وسلب ما تحلى به من رياش الريش ثم تزيا بأحسنه ومنها شاهين كم قيل له عن عزيز من الطير فقال شاهين قد أبدعت قوادمه فى وسمها ورسمت فى أجنحتها معانى النصر فبكت عيون الوحش دماء على رسمها فالجناب يتسلمها من الواصل بها ويتوصل الى الطيور المحلقة فى السماء بسببها وليشكر نعمنا التى اقرت النعم لديه وبسطت فى الارض بالتمكين بين يديه ونوعت له من كرمنا من الخير وخولته فيما تقلدناه من الملك من سليمان حتى تفقد الطير والله تعالى يحمد مسعوده فى شطور الصدور تقرا

وجوده بما يقرى وعهوده فى البطش تارة تريش سهما وتارة تجرد صقرا ان شاء الله تعالى * نظر رجل الى رام قصير اليد فى صنعته فقعد فى موضع الهدف فقال له ما هذا فقال لهلم أر منك مكانا ءاملا الا هذا * خرج الحيص بيص الشاعر ليلة من دار الوزير شرف الدين أبى الحسن على بن طراد الزينبى فنبح عليه جرو كلب وكان متقلدا سيفا فوكزه بعقب السيف فمات وكان هبة الله بن الفضل القطان بينه وبين الحيص بيص وقائع فكتب رقعة وعلقها فى عنق كلبة لها جرو ورتب معها من طردها وأولادها الى باب الوزير كالمستغيثة به فأخذت الورقة وقرئت على الوزير فاذا فيها مكتوب

يا أهل بغداد ان الحيص بيص أتى * بفعلة كسبته الخزى فى البلد
هو الجبان الذى أبدى تشاجعه * على جرو ضعيف البطش والجلد
وليس فى يده مال يديه به * ولم يكن استواء عنه فى القود
فأنشدت جعدة من بعد ما احتسبت دم الابلق عند الواحد الصمد
تقول للنفس يأسى وتعزية * احدى يدى اصابتنى ولم تكد
كلاهما خلف من بعد صاحبه * هذا أخى حين أدعوه وذا ولدى

(قلت) ومن ملح المداعبات ما كتب به الشيخ جمال الدين بن نباتة الى الشيخ بدر الدين حسن الغزى الشهير بالزغارى صورة اجازة أما بعد حمد الله الذى جعلنا من كرم من البشر والصلاة والسلام على سيدنا محمد خاسئ من فجر وعلى آله وصحبه ما نبح الكلب ضوء القمر فقد قرأ على لازال صائدا للحمد من مكمنه صائلا على القرن من مأمنه نازلا منازل العواء فى أحسن افق وأحصنه هذه القلادة من شعرى قراءة ابتغ بها الاحسان أثرا ودل على جودة القراءة وطالما دل على جود القرى ووجدته قد فاق جروا لا خطايا وافتخر على الكلبى وابنه نسبا وآدابا وبلغت مفاخره ومه على زعم القبائل فلا عمرا بلغت ولا كلابا وعلا ذروة لو سامها ابن كلاب لما قرعها بل ولو تجدها كوكب الكلب المقدم لما بلغها صوته ولا سمعها والتقى صوت الآداب منه غاد ورائح وامتزج عليها بجوارحه فحبذا ماله من الجوارح وسعى على ظفر سعيه السريع المديد ونام على المجاراة قرناؤه منام أهل الكهف وكلبهم باسط ذراعيه بالوصيد وعلمت أن مكاسب آدابه عظام وأكثر فوائده لباب اذا اختلفت فوائد اهل اليسار

والنظام وان جل ملابسه من جده وكل عزائمه زائدة عن طوقه وجهده وكل رافع طوع طلبه وكل خير صحبه من عنده لو قارب كلاب بن ربيعة لسلم اليه زمام المكارم ولو جاور جريرا لما قال للاخطل هجوت كليبا اذا آل دارم ولو دعى الوحش بلفظه لعطف عليه ذووا النفار ولو سابق البرق لما لحق من بديهته الغبار ولو فاخر الدرر وحاكمها الى البحور لا فاتته وأقعدها عن الفخار ولو ميز حال أضداده لكان الكلاب خيرا منها عند ذوى البصائر والابصار تكاد الحمائم تقول أين ضعف سجعنا من قوة هذا النطق الضارى والتبرقع غبار مهدنه ينادى أين جواره هذه الطرق من جوار غارى فأجزت له رواية هذه الابيات وحمايتها وحفظها ورعايتها اتباعا لاسارته واعجابا بما امتازبه على اشباهه من زى النطق واشارته وتمسكا بوفاء بيته الجلية انسابه المغشية أنديته حتى ما تهر كلابه عالما بأنه المفتش على خبايا الفضائل الحامى لمرعى القول حتى ما يذكر الحمى وكليب وائل المتسرع فى تصيد شوارد الآداب الناهض بنصرتها وقد قطع بها الدهر لديه أذناب الكلاب السابق حين يفتر سواه ويلبث المتحمل لاعبائها لا كالقرين الذى ان تحمل عليه يلهث أو تتركه يلهث وذلك عند سفره الحافز وبكور عزمه الذى هو عن استيفاء القول حاجز وحركته فى أوقات الشتاء الجامده ورحلته فى ليلة من جمادى لا ينبح الكلب فيها غير واحده والله تعالى يجمع له بين الغنيمة والاياب ويفيض على القلوب ثياب موذته الثابت فضلها على كثير من لبث الثياب * ذكر أدريس بن ابراهيم صاحب ادربجان قال كنت مجتازا على قنطرة الرى فى عسكرى فلما صرت فى وسط القنطرة رأيت امرأة تمشى وقد حملت طفلا لها فى قماطه فصدمها بغل محمل فطرحت نفسها فزعا ووقع الطفل من يدها فى الماء فلما وصل الى الماء غاص زمانا لبعد ما بين القنطرة والماء ثم طفا وسلم من الحجارة والماء يجرى به وأجراف النهر بعيدة عن الماء وفيها أوكار عقبان فحين طفا الطفل رأته عقاب هنالك فانقضت عليه ومسكت بمخالبها فى قماطه وخرجت الى الصحراء فأمرت جماعة أن يركضوا خلف العقاب ففعلوا ومشيت أنا فاذا بالعقاب قد وصلت الى الارض واشتغلت بخرق القماط فأدركه القوم وركضوا خلفها حتى شغلوها عن خرق القماط فطارت وتركت الطفل على الارض فاذا هو سالم يبكى فرددناه الى

أمه * من انشاء الجيد أبي علي بن أبي الشحناء العسقلاني في رسالة طردية نقلتها من خط الوداعي من أصبحت نعمه سوارح واستعبدت منه القلوب والجوارح فأصبح لها المجد مقرا ولغرائب السودد والثناء مقرا مثل حضرة مولاي أطال الله بقاه تطلبت له الانفس الثار ونغصت له الملاذ والمسار ومما يظرف به العبد مولاه أسنى الله قدره وأعلاه انه خرج يوما مع أناس قد وصلوا برهم بايناس كل منهم يهتز للاكرومه ويأوي الى شرف الارومه على خيل مسومه مثقفة مقومه من بين جون أدهم أذكى من فارسه وأفهم أغر محجل وعد معجل كان اسوداد اهابه اذا اضاهى به ليل رمت البلاد شهبه شهبه العين والارض نهبه اذا زاغ عن سنان أو تعطف لعنان ظننته صد عن مواصله وانفصل عن مفاصله واشقر كالطراف عبل الاطراف نهد كريم له سالفة ريم كأنما خرط من عقيق أو تردى برداء من شقيق يجري كموج ويعلو كموج وينزل كوابل ان قرعت عرفه سابق طرفه وان أوردته الطراد أوردك المراد وكميت كالطود ذي وظيف كذراع العود يلطم الارض بزبر وينزل من السماء بخبر وهملاج أشهب ان زجرته الهب أديمه روضة بهار بظرمن ليل في نهار ينساب انسياب الايم ويمرمر الغيم لا ينبه النائم لو عبر به ولا يحرك الهواء في سربه أخفى وطأ من طيف واوطى ظهرا من مهاد ضيف فلم يزل بنا المسير وكل في طاعة صاحبه أسير الى أن صادفنا واديا كان لعيوننا باديا فاقطعناه عرضا حتى أتينا أرضا كأنما فرش قرارها بزبرجد وصيغت نوارها من لجين وعسجد قد رقرقت فيها السحاب دمعها وأحسنت قيعانها جمعها نسيمها سقيم وظلها مقيم وماؤها جوري وتربها عبري فهي تهدي للناشق أنفاس المشوق الى العاشق كأن غدرانها في اخضرار رياضها وجداولها في اسوداد بياضها بدور سماء كملت وبروق في متون غمام تسلسلت طائرها كسال وظباؤها ارسال ذات قرون معقفة كأذناب العقارب وبطون مبيضة كالنهار السارب منمقة الاجساد بخليط صندل وجساد قد اكتست أطيارها فأغربت وتغنت بلغاتها فأطربت كأن الاماني فتحت لها أبوابا والرياض خلعت عليها أثوابا اذا شنفت للمكاه وأعلنت بالمكاه أبت الطباع على نغمات الموصلي في نغمات

البابلي وعجت الاسماع شدو القريض بمرقق القريض فعند ذلك يممنا
ظل شجرة هنالك ذات جدول متكسر في مسلك متيسر وكأن أعلاه بطن جان
وقرارته مساقط در ومرجان فلما وردنا عليها وانضفنا اليها حنت علينا
أغصانها حنو الوالد وألحفتنا أوراقها بظل خالد وأتحفتنا من ثمارها بطارف
وتالد فأصبنا من ثمرها قليلا ونقعنا بماء جدولها غليلا ثم نهضنا لطلب
الاوابد نستثير كوامنها والاوابد وقد سرنا مقاود الكلاب وشركاء في
البحث والطلاب كل كلب منها غلوب ولارواح الطرائد سلوب ذو خطم
مخطوف ومخلب كصدغ معطوف بقوائم كالذوابل ومتن كالغصن الذابل
غائب الخصر حاضر النصر كأنما الميت هامته من فهر وخرطوم ما دون عينيه
بجهر له طاعة تهذيب واخلاس ذيب وتلفت مريب وحذاقة تدريب
له من الطرف أوراكه ومن الطرف ادراكه ومن الاسد صولة وعراكه
اذا اطلب فهو ممنون واذا انطوى فهو نون واذا استرسل فهو خط على الارض
مظنون فسنح لاحدها غزال والمقود عنه حزال فاسترسل عليها وهرب وجد
في طلبه فانسرب فانبرا في أسلوب ما بين سالب ومسلوب اذا مرق الاول
كالسهم تبعه الثاني كالوهم فالظبي حذ على جناح وحل وللكلاب انبساط
أمل في سرعة أجل الى أن جمعه وبنفسه فجعه دامي الجروح بادي القروح
مستسلما لسالب الروح فعاجلناه بالذكاة وأيقنا بحلول البركات ثم انتحى
بعضنا بفهد ذي صدر رحيب نهد كأن قرار ثمرته في اختلاط بياضه بسمرته
ثوب مصمت معتق مطلق قد فرشت فوقه أقراص عنبر صففتها يد صانع خبير
فنمه ففح فحيح ثعبان وأطلقه على ظبية تدب دبيب عقربان فلما أدركه ناظر
الصيد ومرت مرور عينيه فات أبصارنا بنفرته وسبق أفكارنا بظفرته
وانطمها عند الادراك من الكتف الى فرجة الاوراك فشقها شق المزاد
ضاقت أفواهها عن خروج المراد وضرعها يضطرب كأن قوائمها تحترب
فبادرناه مهللين وذكيناها محللين ثم ملنا الى الطيور وجوارحنا مطلقة
السيور فقال رجل من أصحابنا أتبعنا عند أصحابنا ذلك الغدير فيه طير يستدير
ينظر من خواتيره ويختال في برور خيره فاستدللنا عليه بالبراهين الى أن
ارتكض قوم من الشواهين أطلقه طامله واقترحت عن شباقته أنامله فر

فى الهواء يتصرف فى الاهواء يذكى جدا واعمالا ويطعن يمينا وشمالا كأنما أضل فريقا أوجهل طريقا حتى اذا دانى أفق السماء مسامتا للماء كأنه يسمع الفلك أو يطلب شيأ هلك طارمن خوفه فانحدر وهو يسابق القدر كأنه صخرة منجنيق أوحجر ارسل من رأس نيق له دوى كدوى الرعد نطق عن الغيث بوعد فاتقى احداهن وقد قرن مداهن فقنعها بيسراه وقد أضحت من سراه وشيعها بيمناه وقد بلغ منها مناه فدحاها كأنها كره طوحت بها ضربة منكره فذكيناها تحليلا وأذقناه منها تعليلا ثم ملنا الى قسى البنادق من كل ناطقة بالوعد الصادق يعطيك المراد لكرم اعراقها ويمنعك القياد من استغراقها ذات بطن كالحاجب المقرون وظهر قد أثرت فيه الجنادب القرون قد تعصفر أعلاها فرحا باستعلائه واحمد ردا ها أسفا على استيلائه ترن عند الرشق رنين مصابها وتشكى اليم أوصابها بل يهجع لانبض سجع الحمامه وينظر عند النقص نظر زرقاء اليمامه ألوان أوعيتها مختلفه وأكوان تسيرها مؤتلفه كأنها مجارى أنهار بين طرائق أزهار فمرنا صفوفا فوافينا الطيور رفوفا فلما قطعت فى عراضنا وصارت منا كأعراضنا قلبت نحوها القسى أبصارا واتخذت من البندق رسلا وأنصارا فرشقناها مسلمين واصرع أكثرها مؤملين فخرت تتهافت وأجنحتها تنقبض وتتكافت كأنما أسبقت الى أقواتها واستنزلتها الفراخ بحسن أصواتها فبادرناها مكبرين ولنعم الله عليها مكثرين وواجرناها غصص المنايا بمدى معوجة كالحنايا وأصليناها نارا تلظى تشق بجميها وتحظى كأنها عبدة أوثان أو متخذة لها ثان فسبحان من أحل سفك دمائها وأحل للبشر سبك ذمايها وا اسلام (السيد الفاضل شمس الدين بن الصاحب موفق الدين ابن الامدى) فى الفهد

اذا طلب الغزلان فهو منون * وان دار فى طرس الفلاة فنون
وكيف يضل الوحش عنه وجلده * بمسودّ ذاك النقط فيه عيون

(وله) فى الصقور

وكأنما فوق الاكف فوارس * فى الخافقين يجلن بين خوافق
أكثرن لبس السابغات أما ترى الصدأ الحديد لهن فوق عوانق

(من الكلام الفاضلي) انى رغبت الى مولانا لازالت المرغبات اليه مرفوعه وثمراتها كثمرات الجنة لامقطوعة ولاممنوعه فى الاحسان بشاهين يجعل وكيل مطبخى لكثرة مايجلب اليه من الخير واستنيبه عن صاحب صالح فهو قدار الطير لايعتصم منه بغير حتفها ولا تلوذ الحمامة بعوصحوها قد رقمت يد القدرة على جؤجؤه ديباج أسطره وعرفت أقلامها نون منسره فكأنما عقد ليحسب ما صاد لمرسله ويوفيه حساب عمله وكأنه منجل أرسل على الطير يحصاد أجله تأتى بالرزق رغدا وتتخذ عند كل فم يدا ان عاش فأجنحته للطيور كالقيود وان نوى ورث السهام ريشه فهو ولى عهده فى الصيد وما أجدر الطير بأن تقول لاتجعل فيها من يفسد فيها ويسفك الدما ومن لايقنع برزقه فى الارض حتى يطالب به فى السما * طرديه الشيخ جمال الدين بن نباتة التى ملأها فرائد السلوك فى مصائد الملوك * أثنى شذى الروض على فضل السحب واشتملت بالوشى أرداف الكتب مابين نور مسفر اللثام وزهر يضحك فى الاكمام ان كانت الارض لها ذخائر فهى لعمرى هذه الازاهر قد بسطتها راحة الغمائم بسط الدنانير على الدراهم احسن بوجه الزمن الوسيم تعرف فيه نضرة النعيم وحبذا وادى حماة الرحب حيث زهى العيش به والعشب أرض السنا والبها والمرح والامن واليمن ورايات الفرح ذات النواعير سقات الترب وأمهات عطفه والاب تعلمت نوح الحمام الهتف أيام كانت ذات فرع أهيف فكلها من الحنين قلب وكيف لاوالماء فيها صب لله ذلك السفح والوادى الغرد والماء معسول الرضاب مطرد يصبو بها الرائى فكيف السامع ويحمد العاصى فكيف الطائع اذا نظرت للربى والنهر فار وعن الربيع أو عن جعفر محاسن تلهى العيون والفكر ربيع روضات وشحرور وصفر امام كل منزل بستان وبين كل قرية ميدان أما رأيت الورق فى الاوراق جاذبة القلوب بالاطواق فبادر اللذة يا فلان واغنم متى أمكنك الزمان ولاتعل مشتى ولا مصيف فكل أوقات الهنا شريف كل زمان ينقضى بالجدل زمان عيش كيفما دار اعتدل أحسن ما أذكر من أوقاته وخير ما انعت من لذاته مرورنا بالصيد فيه والقنص وحوزنا من نزه أحلى الفرص وأخذنا الوحش من المسارب وفعلنا فى الطير فوق الواجب لما دنا زمان رمى

البندق سرنا على وجه السرور المشرق في عصبة عادلة في الحكم وغلمة مثل بدور التم من كل مبعوث الى الاطيار تظلمه غمامة الغبار وكل معسول الرضاب أغيد منعطف عطف القضيب الاملد قد حمد القوم به عقبى السفر عند اقتران القوس منه بالقمر لولا احذار القوس من يديه لغنت الورق على كفيه في كفه محنية الاوصال قاطعة الاعمار كالهلال زهراء خضراء الاهاب معجبه بما ثوت بين الرياض المعشبه فاغرة الافواه للاطيار طالبة لهن بالاوتار كأنها حول المياه نون أو حاجب بما تشاء مقرون لها بنات بالمنى مقدوقه من طينة واحدة مخلوقه سامعة لما تشير الام مع انها مثل الجوارح صم كأنها والطير منها هارب خلف الشياطين شهاب ثاقب وأها الهاشهب كرات تخطف شاهدة بالعزم وهي تقذف حتى نزلنا بمكان مؤنق اخوان صدق أحدقوا بالحق فياله في الحسن من محل مراد جد ومراد هزل للطير في أملاقه مواقع كأنها لمائه مواقع فلم نزل في منزل كريم تروى حديث الرمي عن قديم حتى طوى الافق رداء الورس والتقم المغرب قرص الشمس وابتدر القوم عن المراصد من ساهر ليل التمام شاهد كالليث يسطو كفه بأرقم والبدر يرمي في الدجى بأنجم بيننا الطيور في مداها سائره اذا هم من عينه بالساهره وأقبلت مواكب الطيور على طروس الجو كالسطور فخذ السطور في المهارق مسقوطة الاحرف بالبنادق من كل حق ان يسمى ضياؤه للشرق بدر التم تخاله من تحت عنق قد سجا طرة صبح تحت أذيال الدجى وكل تم حسن الوسامه تخاله في أفقه غمامه كي يتبعه اوزه دكنا من دونها الغلغة غرا يقدمها انيسة ملونه تابعة من كل وصف أحسنه وربما مر عليها حبرج كأنه على نضار يدرج وانقض من بعض الجبال نسر له بأبراج النجوم وكر مضبر الخلق شديد الايد يبني على الكسر حروف الصيد يحث مسراه عقاب كاسبه خافضة لحظ الطيور ناصبه اذا مضت جلتها المعترضه تواصلت خطوطها المفترضه بكل كركي عجيب السير كأنه طيف خيال الطير يحس غرنوقا نهى الجتلا مقدما على الغرانيق العلا وأبيض الغيم يسمى مرزما كم بات مثل نوءه منسجما يحفه شبيطر قوي معجزه في الطير موسوي كم حاش ثعبانا وحم حواه كأنه في يده عصاه هذا وكم من طائر ممتاز ينعت في الواجب بالمناز اسود الالمعة في الصدر كأنها

نور الهدى فى الكفر فلم تزل قسينا الضوارى تصيبها بأعين الاوتار حتى غدت دامية النحور ساقطة منا على الخبير كأنما وهى لدينا وقع لدى محاريب القسى ركع وأصبحت أطيارنا قد حصلت ولم تسئل بأى ذنب قتلت مستقبعا وجه العشى وجه السحر وكل وجه منهما وجه أغر يالك من صيد مقر العين مرضى الصحاب وهو ذو وجهين لم يرض ماوفى من الامان حتى شفعناه بوجه ثان صيد الملوك الصيد بالكواسر والخيل فى وجه الصباح السافر ذاك الذى تصبو له الجوارح فهى الى طلابه طوامح واثقة بالرزق حيث كانا تغدو خماصا وتجئ بطانا سرنا على اسم الله والمسابح نعوم فى الاقطار بالسوابح خيل تحاذى الصيد حيث مالا كأنها أضحت له ظلالا تسعى بها قوائم لا تتبع وكيف لا وهى الرياح الاربع تحفنا من فوقها غلمان كأنهم من فوقها أغصان ترك تريك فى سماء الملبس كواكبا طالعة فى الاطلس منظومة الاوساط بالسلاح من كل شهم زجل الجناح وكل عضب درب المقاطع يحرف الهام عن المواضع على يد السائر منهم زاده من كل باز قرم فؤاده قد كتبت فى صدره حروف تقرى بما تقرى به الضيوف وكل شاهين شهى المرتقى كبارق طار وصوب قد همى بيناتراه ذاهبا بصيده معتصما بأيده وكيده حتى تراه عائدا من افقه ملتزما طائره فى عنقه أفلح من كان على يسراه حتى غدت حاسدة يمناه وكل صقر مسبل الجناح مواصل الغدو والرواح ذو مقلة لماضرام واقد تكاد تشوى ما يصيد الصائد كأنما المخلب منه منجل يحصد أعمار الطيور مرسل ياحبذا طيور جد واعب تهوى الى الارض وللافق تثب من سنقر عالى المدا والشان معظم الاخبار والعيان يصعد خلف الرزق ليس يمهله كأنه من السماء يستجله ومن عقاب بأسها مروع كأنها للطير حين تصرع كم جليت لطائر من وهن فكم وكم قد اهلكت من قرن وحبذا كواسر الواهى عديمة الانظار والاشباه مخصوصة بالطرد القويم حدباء ظهر الذنب الرقيم ذاك لعمرى جذب للرائى تعدل ملك القلعة الحدباء هذا وقد تجهزت اعداد بجمعها الكلاب والفهاد من كل فهد عنترى الحمله اذراى شخص مهاة عبله مبارك الاقبال والاعراض مستقبل الحال بناب ماض كأنه من حدة اكتسابه قد أحرق الانجم فى اهابه له على مسائل الجفون خط كخط الالفات الجون

ما أبصر الباصر خطا مثله وكيف لا والخط لابن مقله وكل منسوب الى سلوق أهرت وناب الخطام مشوق طاوي الفؤاد ناشر الاظافر يا عجبا منه لطاو ناشر يعض بالبيض ويخطو بالقنا ويسبق الوهم لادراك المنى كالقوس الا أنه كالسهم والغيم يجلو عن شهاب رجم اذا رأى بقر الوحش اندفع كأنه المريخ في الثور طالع قاصرة عن يده عيناه مشروطة برجله اذناه يشفعه من كل عور ضاري مغالب الصيد على الاوكار وأهالها من أكلب طوارد معربة عن مضمر المصائد قد بالغت من طمع في كسبها ففتشت عن أنفس لم تصبها حتى اذا تمت بها الامور حفت بنا الصيد ها الطيور ما بين روضات صمدنا نحوها وحول آفاق ملكنا جوها واستقبلت اطيارها البزاه معلمة كأنها غزاه فلم تزل تسطو سطا الحجاج على الكراكي الى الدراج حتى غدت تلك السراة صرعى مجموعة على التراب جمعا على الربى من دمها خلوق كأن كل نبتها شقيق ثم عطفنا للوحوش السانحه فاستقبلت تلك الضواري الطامحه كلاب صيد بينها مناقر يفعل في الوحش بها الفواقر يخشى بها العفر على نفوسها فالطير لاشك على رؤسها وللكلاب حولها مغار يكاد أن يقدح منها النار من نم لسانه لوب يقول هذا كرنج مخضوب يعانق الظبي عناق الوامق ما كان أغنى الظبي عن معانق والفهد يشتد على الآجال شد وصي السوء في الآمال لا يهمل القصد ولا يخون كأن كل جسمه عيون وللزغاريات خلف الارنب حقائق تبطل كيد الثعلب كم رحت بالهارب الممدود وطوحت بصاحب الاخدود وربما رت ظبياء ومهى للنبل أكل في حشاها مشتهى قد نسجت ملاءة من عنبر تخاط من فروتها بالابر فابتدرت أجنحة السهام صائبة الاعراض والمرامي تجرح كل سانح نفور كأنه بعض شهود الزور كأن أقطار الفلاة مجربه أو روضة من الدماء مزهره كأن صرعى وحشها كفار الموت عقبى أمرها والنار للرء فيها منظر أحبه يملأ من شحم ولحم قلبه لله ذاك المنظر المهنا أي معاد عن ذراه عدنا قدماثت من ظفر أيدينا وقد شكرنا فضل ما حبينا نسير حول الملك المنصور كالشهب حول القمر المنير ومن كلام القاضي زين الدين بن الوردي رحمه الله وينهي وصول الصقرين فسر العبد بهذين الجوزيين اللذين تحسن الجوارح بهما من وجهين ويعز على ابن المعتز أن

يذكرانه مما في تشبيهاته شيئين فوقع الصقران من المملوك بموقع يفوق النسر وتأمل نحوهما واذا هما منصوبان لبناء ما ارتفع وانخفض من الصيد على الكسر مثلهما مجر كسيوفه وأجنحتهما مسبلة كغمائم بره على رعاياه وضيوفه مخالبه كالمناجل لحصاد أعمار أعدائه وأعمار الطير ومناقيرهما كالاهلة المبشرة له ولأوليائه بكل خير فلما ان طال كل منهما يقول لمرسليه تفرقوا فبكسبي أجمعكم أجمعكم ويخطف لهم الخطفة ويعود بسرعة فبينما ينظرون بغيته قالوا طائركم معكم فما أحسن ما يعود يرجع كل واحد منهما من أفقه وقد التزم طائره في عنقه كم للاقي الطير من حرون وكم أهلكا في الوحش من قرون فما أحق هذا الخبر بمقابلة الثناء عليه وان عد المملوك لما بين اليدين كلتا يديه ومن كرامات مولانا أنه أصبح جابرا بكاسرين فرحبا برسوله الذي ان قدم وسول بأيمن طائر فقد قدم هو بأيمن طائرين والسلام * منقول من كتاب الفوائد الجليلة في الفوائد الناصرية وهو ما جمعه الملك الامجد من شعر والده الملك الناصر صلاح الدين داود بن مولانا السلطان الملك المعظم شرف الدين أبي المظفر عيسى بن السلطان الملك العادل أبي بكر محمد بن الملك الافضل نجم الدين أيوب رحمهم الله تعالى

وظباء كأمثال العذارى سنح * تأوي الى حزن اللوى وسهوبه
فأجابها وهنا وهن روائح * ما بين واديه وبين كثيبه
والروض كهل قد تضوع نبته * فشبابه متلفع بمشيبه
يبكي تداويه الغمائم رحمة * والبرق يضحك رحمة بقشيبه
مستسبق صحب الجلاجل أجدل * يرتاح راكبه الى تقليبه
تغني شمائله وحسن صفاته * عن نعت مطربه وعن تجريبه
ومخصر الخصر اغتدى في عدوه * ترفاً تقصف ضيائه بوثوبه
عاناه في تهذيبه ذو فطنة * وبصارة فأجاد في تهذيبه
فقنصت منها ظبية كانت الى * قلبي الذ من المدام وطيبه
أو قبلة ممن أرى في صده * ما استرامه برغم رقيبه

هجرتك لاقلى منى ولكن * رأيت بقاء ودك فى الصدود
كهجر الظاميات الماء لما * تيقنت المنايا فى الورود
تذوب نفوسها ظمأ وتخشى * هلاكا فهى تنظر من بعيد

انتهى من المناهج

(القول) فى الحمار الوحشى ويسمى العير والفرا وهو لا ينزو الا اذا بلغ ثلاثين شهرا ويوصف بشدة الغيرة فهو يحمى غابته الدهر كله ويضرب فيها كضربه لو أصاب اتانا من غيرها ويقال ان الانثى اذا ولدت جحشا كره الذكر الاناث تصيبها فالاناث تعمل الحيلة فى الهرب منه حتى تسلم وهكذا حتى لا يكون فى الغابة غيره ذكر (وحكى) الجاحظ ان أبا الاخضر ذكر عن فحل الغابة انه يستهيم الانثى ويحملها وان الولد لم يجئ منه عن طلب ولكن النطفة البريئة من الاسقام انجحت وذكر أن نزوه على قدر ما يحضره من الشبق لانه لا يلتفت الى دبر من قبل ولا الى ما يلقح مما ينتج فهو لا يريد الولد ولا يعزل ويقال ان الحمار الوحشى يعمر مائتى سنة وأكثر وكلما بلغ مائتى سنة كانت له مبولة ثانية وشوهد منها ماله ثلاث مباول وأربع وهو كشكل الحصير المحشو بين المبولة والمبولة حتى كأن بينهما حاجزا مسدودا ومعادنه بلاد النوبة ويوجد منه ما تكون سنه مغمدة ببياض وسواد يستطيلان فيما استطال من عصبه ويستديران فيما استدار بأصح قسمة وأحسن ترتيب ومن الحمر الوحشية صنف يقال له الاخدرى وهو أطول الحمير عمرا ويقال انه نتاج الاخدرى وهو فرس كان لازدشير بن بابك أفلت من خيله فصار وحشيا فحمى عدة عانات فضرب فيها فكان أولاده منها أعظم من سائر الحمير وأحسن وخرجت أعمارها من أعمار الخيل وفى هذه الحكاية نظر لذوى الفكر لانه لا يتولد من نوعين مختلفين من الحيوان حيوان يشبه احدهما وانما يكون ممتزجا كالبغل بين الحمار والفرس والضبع والذئب وحكى القولين أبو الحسن على بن رشيق فى كتاب العمدة (ومن رسالة كتبها أبو الفرج الببغا) يصف فيها أتانا مغمدة ببياض وسواد كان لصاحب اليمن كيخار وأما الاتان الناطقة فى كمال الصنعة بأفصح لسان فان الزمان لاطف مولانا أيده الله منها بأنفس مذخور وأحسن منظور وأعجب مرأى وأغرب مومى وأفخر مركوب وأشرف محبوب وأعز موجود وأبهى محدود وكأنما وسمها

الكمال بنهايته أولحظها الفلك بعنايته فصاغها من ليله ونهاره وحلاها بنجومه واقماره ونقشها بدائع آثاره ورمقها بنواظر سعوده وجعلها أجل حدوده ذات اهاب منير وقرى محبر وذنب مشجر وشوى مسوّر ووجه مزجج وراس متوج يكتنفه اذنان كأنهما زجاجتان صحيحة الاتصاف بلورية الاطراف جامعة شبها بالربيب بين زمن الشبيبة والمشيب فهي قيد الابصار وأمد الافكار ونهاية الاعتبار غنيّ عن الحلى عطفها مزرية بالزهر حلاها واحدة جنسها وعالم نقشها صنعة المنشئ الحكيم وتقدير العزيز العليم

(القول) في طباع الظباء من المباهج وهي ألوان تختلف بحسب مواضعها فصنف منها يسمى الارآم وألوانها بيض ومساكنها الرمل وهي أشد حضرا وصنف يسمى العفر وألوانها حمر وصنف يسمى الادم وهي تسكن الجبال وفي هذا اللون من أسرار الطبيعة انه مارأى ذا روح الا ويعلم مايريده منه من خير وشر واذا فقد الماء استنشق النسيم فاعتاض به واذا طلب لم يجهد نفسه في حضره من أول وهلة واذارأى طالبه قد قرب منه زاد في الحضر حتى يفوت الطالب وهو يهشم الحنظل حتى يرى ماؤه يسيل من شدقيه ويرد البحر فيشرب من الماء الاجاج كما تغمس الشاة فيها في الماء العذب تطلب النوى المنقع فيه وهو لايدخل كناسه الامستدبرا يستقبل بعينيه مايخافه على نفسه وله نومتان في مكنسين مكنس الضحى ومكنس العشاء واذا أسن الظبي وبقيت لقرونه شعب تنخ واذا هزل ابيض وهو شيخ الفساء لايسمو بالمشي فاذا أراده العدوّ فانما هو النفر والوثب ورفع القوائم معا كما يفعل الغراب فهو أبدا يحجل كما يحجل المقيد وليس له حضر في الجبال ويصاد بنار توقد له فيذهل لها سيما اذا اضيف الى ذلك تحريك اجراس فانه يتخذل ويرقد ويصاد بالعطش الشديد بأن يحولوا بينه وبين الماء فيتخذل ولايبقى به حراك ألبتة وبين الظباء والحجل الفة ومحبة والحذاق في الصيد يصيد ونها ببعضها البعض ويوصف بحدة البصر ويسمى باليونانية اسما معناه النظارة والمبصرة ويلحق بهذا النوع غزال المسك وهو أسود ولونه أسود ويشبه ماتقدم في القد ودقة القوائم وافتراق الاظلاف وانتصاب القرون وانعطافها غير أن لكل واحد منهما نابين خفيفين أبيضين خارجين من فيه في فكه الاسفل قائمين في وجهه كنابي الخنزير كل واحد

منهما دون الفتر على هيئة ناب الفيل ويكون بالتبت والهند ويقال ان الغزال يسافر من التبت الى الهند بعد أن يرعى من حشيش التبت وهو غير طيب فيلقى ذلك المسك بالهند فيكون رديئا ثم يرعى حشيش الهند الطيب ويعقد منه مسكا ويأتى بلاد التبت فيلقيه فيكون جيدا والمسك فضل دموى يجتمع من جسدها الى سررها فى وقت من السنة معروف بمنزلة المواد التى تنصب الى الاعضاء وهذه السرر جعلها الله معدنا للمسك فهى تثمره بمنزلة الشجرة التى تؤتى أكلها كل حين فاذا حصل هذا الدم فى السرر ورمت وعظمت فتمرض لها الظباء وتألم حتى تتكامل فاذا بلغ وتناهى حكته بأظلافها وتمرغت فى التراب فتسقطه فى تلك المفاوز والبرارى فيخرج الجلابون ويأخذونه ويقال ان أهل التبت يضربون لها أوتادا فى البرية تحتك بها اذا ألمها السرر فتنقطع وتسقط فاذا سقطت عن الظبى كان فى ذلك افاقته وصحته فانتشر حينئذ فى المرعى وورد الماء

(الوصف) قد ينبغى ان يعلم أن هذا قليل جدا الان الشعراء نقلوا محاسن الغزال الى الغزل وشرحوا بها حال من جذبه الحب وهزل والصفة التى يصفون بها الظبى وصفوا بها الجارية والغلام وصرفوا الحقيقة الى المجاز فيما أرادوه من الكلام (قال بعضهم)

فما مغزل تعطو بجيد كأنه * جمان بأيدى الناظرين صقيل
هضيم الحشا مغضوضة الطرف عالها * بذات الاراك مربع ومقيل
اذا نظرت من نحوه أو تفرست * دعاها الحمام القاتلين كحيل
بأحسن منها حين قالت صرمتنا * وأنت صروم للخيال وصول

وقال آخر

وصالية بالحسن والجيد عاطل * ومكحولة العينين لم يكتحل قط
على رأسها من قرنها الجعد وفرة * وفى خدها من صدغها شاهد بسط
يخالها من غيرة الجلد وفرة * ويجمعها من بعض آباطها مرط
وقد أدمجت بالشحم حتى كأنما * ملأتها من فرط ما اندمجت قط

(خواص الايل ومنافعه) من المصائد والمطارد فنه ان ذكره من عصب لا لحم فيه وأن دم كل حيوان يجمد الا دمه ولحمه غليظ مائل الى كموسة السواد وليس

للانثى قرن واذا بخر بقرنه مع كبريت أحمر ذهبت الحيات وكذلك دمه بطحين الكرسنة وقرنه تبخر به الحامل فتتيسر ولادتها

(خواص حمار الوحش) الجحش البرى أجودها لحما ولحم الهرم يولد دما رديئا ومن داوم على أكله لم يكد يبرأ وسرته أطيب ما فيه وكثير من الناس يأكلون الحمار مسموطا ويستطيبون جلده مشويا ويجدون فيه طعم لحم الدراج وشحمه نافع من الكلف فى الوجه اذا طلى به ومن وجع الظهر والكلى العارض من البلغم واذا أحرق حافره وسحق فى الكحل نفع من الغشاوة ودفع وجع العين وزبله اذا خلط بمخ وطلى به الجبين قطع الرعاف ويقال ان الخاتم اذا خرط من حافره وعلق على من يعتريه الصرع نفع منه ودماغه يضاف بماء الكرفس والعسل ويغلى ويسقى من به السل فى الحمام بماء حار على الريق فيبرأ

(خواص بقر الوحش) لحمها غليظ يولد دما رديئا قريبا من السواد وبطنها أطيب ما فيها ودمها أسرع الى الجمود من دم سائر الحيوان ويطبخ لحمها بخل فاذا غلى جدد خل آخر واناثها المها والعين والنعاج وأولادها البراغز والواحد برغز والجاآذر جمع جؤذر والذرعان جمع ذرع والبحازج جمع بحزج والفرافر جمع فرفر والفرائر جمع فرير وهو ساعة يولد طلاء وأقاطيعها الاجل والربرب والسرب والصوار

(خواص الظبي) والظبي أول ما يولد طلاء ثم خشف ثم شادن اذا طلع قرنه فاذا تمت قوته فهو شصر ثم جذع ثم ثنى ولا يزال كذلك الى ان يموت لا يزيد على هذا وسأل جعفر بن محمد النعمان بن ثابت أبا حنيفة فقال له ما على محرم كسر رباعية ظبي فقال يا ابن رسول الله ما أعلم ما فيه فقال له أنت تتداهى ولا تعلم أن الظبي لا يكون له رباعية هو ثنى أبدا ولحمه يولد دما قريبا الى السواد وهو أقل ضررا من لحم البقر وطبخه بالماء والملح أجود والقديد منه أكثر ضررا وأكثر لتحريك السوداء لانه يزداد يبسا ويجود فعله ويقوى وأطيب ما يؤكل فيه كبده مشوية وشحوم الظباء تغذو غذاء كثيرا وزعمت الحكماء ان دم التيس منها عن شكل ماعز من السموم وانه اذا صب حارا على الحجر الذى يضرب عليه النحاس فتته واذا خلط مع الزعفران صبغ الياقوت ويخلط معه وهو يابس قرطاس محرق ويعجن بشيرج ويضمد به البواسير فتنفع ومرارته تنفع من الغشاء فى العين

وكبده اذاشويت وا كتحل بها وكبد جميع الماعز نفعت واذا دهن الرجل مذاكيره بشحم خصى التيس مع شئ من عسل عند الجماع وجد له لذة ويعجن بعر التيس بخل ودقيق شعير ويضمد به الطحال فينفع واذا حرق وسحق بالخل نفع داء الثعلب وان شرب مع الخل نفع من لدغ الهوام ويخلط دمه يابسا بلاذن ويدهن به الشعر فيغلظه ويطوله

(القول على طبائع الارنب من المباهج) تقول أصحاب الكلام ان قضيب الذكر من هذا النوع كذكر الثعلب أحد شطريه عظم والآخر عصب وربما ركبت الانثى الذكر حين السفاد لما فيها من الشبق وتسفد وهي حبلى وهي قليلة الدرور على ولدها ويزعمون انه يكون شهرين ذكرا وشهرين أنثى وكنت استبعد هذا وأقول انه من الخرافات حتى وقفت عند مطالعتي للكتاب الذي وضعه ابن الاثير فى التاريخ وسماه الكامل على حكاية أوقفتني على الاعتراف بعد الانكار * ذكر فى حوادث سنة ثلاث وعشرين وستمائة فقال وفيها اصطاد صديق لنا أرنبا فرآه وله انثيان وذكر وفرج أنثى ولما شقوا بطنه رأوا فيه خرنقين فان كان كما زعموا من أن يكون تارة ذكرا وتارة أنثى فيكون كذلك والا فيكون فى الارانب كالخنثى فى بنى آدم يكون لاحدهما فرج الرجل وفرج الانثى ثم أعقب هذه بما هو أعجب منه فقال كنت بالجزيرة ولنا جار له بنت اسمها صفية فبقيت كذلك نحو خمس عشرة سنة واذا قد طلع لها ذكر رجل ونبتت لها لحية فكان لها فرج امرأة وذكر رجل والارنب تنام مفتوحة العين وربما جاء القناص الساهي يأخذها من جهة وجهها وهي لا تبصر وسبب ذلك ان حاجبي عينيها لا يلتقيان فهما مفتوحتان فى النوم واليقظة (قلت) ما أحسن ما أنشدني الشيخ بدر الدين البشتكي أحد شعراء العصر بالديار المصرية للشيخ العلامة شهاب الدين بن أبي حجلة مضمنا قول المتنبي

وقوم بالحشيشة ذاب منهم * فؤاد ما يسليه المدام
أرانب غير أنهم ملوك * مفتحة عيونهم نيام

(قلت) هذا التضمين ما سمع مثله لشاعر فانه ضمن عجز البيت الاول والبيت الثاني بكماله ولم يكن للشيخ شهاب الدين فيها غير صدر البيت الاول فتأمله ويقال ان الارانب اذا رأت البحر ماتت ولذلك لا توجد بالساحل وتزعم العرب

ان الجن تهرب منها الموضع حيضها قالوا وهى كالمرأة وتأكل اللحم وغيره وتجتر وتبعر وفى باطن أشداقها شعر وكذلك تحت رجليها وليس شئ قصير اليدين أسرع منها حضرا ولقصرهما يخف عليها الصعود والرقل وهى تطأ فى الارض على زمعاتها وهى مؤخر قوائمها مغالطة للطالب حتى لا يعرف أثرها الا أن الكلاب الفاره والقانص الحاذق لا يخفى عليهما ذلك لانها لا تفعل ذلك الا فى السهل الذى يثبت فيه الاثر ور بما مشت فى الثلج فيقتفى أثرها بكثرة الترداد فيه واذا قربت الى الموضع الذى تريد أن تجثم فيه وثبت اليه

(خواصه) من المصائد لحمها أطيب ما يؤكل بنار لأن النار يضعفها هواء الزمان ولحمها من أخف اللحوم وله خاصية فى الماليخوليا والصرع وان طلى بدمها الكلف أذهبه وان طبخ أوشوى فى جوف قرن نفع من القرحة فى الامعاء ويحرق رأسها فيكون سنونا جيدا للجلاء ووبرها يشد به الشريان اذا انقطع وتعلق الاعراب كعبها على الصبيان للعين وأنفحتها تدفع السم اذا شربت بماء الساق وسذاب واذا أخذتها المرأة حملت ومخها ودماغها ينبت الشعر المنتوف من النبات وبعرها يدق بالخل للقوباء ومرارتها تطرح فى الشراب فتنوم (الوصف) لبعض الاندلسيين من المباهج افراد حران كأنهن أولاد غزلان بين رواغ ينعطف انعطاف البره ووثاب يجمع اجتماع الكره حال العصب ازاره وصاغ التبر طوقه وسواره قد غلل بالعنبر بطنه وحلل بالكافور متنه كأنما نضح بعبير وتلفع فى حرير ينام بعينى ساهر ويفوت بجناحى طائر قصير اليدين طويل الساقين هامان فى الصعود تجده وبايك عند الوثوب تؤيده

(القول فى النعامة) من المباهج وانما ذكرناه مع ذوات الاربع من الوحوش وان كان ذا جناح لانه عند المتكلمين فى طباع الحيوان ليس بطائر وان كان يقنص وله جناح وريش ويعدون الخفاش طائرا وان كان يحبل ويلد وله اذنان بارزان وليس له ريش لوجود الطيران فيه ومراعاة لقوله تعالى واذ تخلق من الطين كهيئة الطير باذنى فتنفخ فيها فتكون طيرا باذنى وهم يسمون الدجاجة طيرا وان كانت لا تطير والنعامة تسمى بالفارسية اشترمرغ وتأويل اشتر جمل ومرغ طائر فكأنهم قالوا جمل طائر ولما وجد هذا الاسم ظن

الناس أنها نتاج ما بين الابل والطير وبهذا أجرى عليها المثل في قولهم قيل للظليم احمل قال أنا طائر قيل فطر فقال أنا جمل وربما أكد عندهم القول بالتوليد أنهم رأوا فيه من الجمل الميسم والوظيف والعنق والكرش والخف والجرامة ومن الطير الريش والجناح والمنقار والبيضة ويشبه النعام بالابل فتسمى الانثى منها قلوصا وفي طبعها انها تحضن أربعين بيضة وثلاثين ومن أعاجيبها انها تضع بيضها طولا حتى لو مد عليها خيط لما وجد لشيء منها خروج عن الآخر ثم تعطي كل بيضة منها نصيبها من الحضن اذا كان بدنها لا يشتمل على عدد بيضها وهي تخرج لطلب الطعم فتمر ببيض نعامة أخرى فتحضنه وتنسى بيضها ولعلها تصاد ولا ترجع اليه فتهلك ولهذا توصف بالمرق والحمق ويضرب بها المثل في ذلك وعلى هذا ينشد قول ابن هرمة

فاني وتركي ندى الاكرمين وقدحا بكفي زندا شحاحا
كتاركة بيضها بالعرا * ء وملحفة بيض أخرى جناحا

ويقال انها تقسم بيضها اثلاثا فمنه ما تحضنه ومنه ما تجعل صفاره غذاء ومنه ما تفتحه وتتركه للهواء حتى يعفن ويتولد من عفنه دواب فتغتذي بها أفراخها اذا خرجت وهو من الحيوان الذي يزاوج ويعاقب الذكر في الحضن وهو لا يأنس بالابل ولا بالطير مع مشاركته لهما وكل ذي رجلين اذا انكسرت له احداهما استعان بالاخرى ما خلا النعامة فانها تبقى في مكانها جاثمة حتى تهلك جوعا ويقال ان الحيوان الوحشي مالم يعرف الانسان لا ينفر منه اذا رآه ما خلا النعام فانه شارد أبدا وبه يضرب المثل في الشرود وعظامه وان كانت عظيمة وشديد العدو بها لا مخ فيها ولا مجرى لها وتزعم العرب ان الظليم أصلخ وانه لما كان كذلك عوض عن السمع بالشم فانه يعرف بأنفه ما لا يحتاج معه الى السمع فربما كان على بعد فشم رائحة القناص على اكثر من غلوه والعرب تضرب به المثل في حاسة الشم وفسر بعض المعتنين بتفسير أمثال العرب (قوله أحمق من نعامه) أن من حمقها اذا أدركها القناص أدخلت رأسها في الرمل تقدر أنها قد استخفت منه وهو قوي الصبر عن الماء شديد العدو وأشد ما يكون عدوا اذا استقبل الريح وكلما كان أشد لعضوفها كان أشد حصرا وهو في عدوه يضع عنقه على ظهره ثم يخرق الريح وهو يبتلع العظم الصلب والحجر والمدر والحديد فيميعه بحر

فانصهته حتى يصير كالماء ويبلع الجمر حتى ينفذه الى جوفه فيكون جوفه هو
العامل على اطفائه ويكون الجمر هو العامل على احراقه وفى ذلك أعجوبتان
احداهما التغذى بما لا يغذو والاخرى الاستمراء والهضم وهذا غير منكر لان
السمندل وهو كما زعم بعضهم دابة توجد ببلاد الهند وبلاد السند دون الثعلب
خلنجية اللون حمراء العين ذات ذنب طويل ينسج من وبرها مناديل اذا اتسخت
ألقيت فى النار المتأججة فيزول منها الزهم ولا تحترق وببلاد الترك جرذان تسلخ
جلودها ويتخذ من وبرها مناديل اذا اتسخت غسلت بالنار بان تلقى فيها ولا تحترق
وزعم آخرون أن السمندل طائر ببلاد الهند يبيض ويفرخ وفيه من الخاصية أنه
يدخل النار ويخرج منها ولا يحترق ريشه ويعمل من جلده مناديل الغمر فكما
ان خاصية هذا الحيوان فى ظاهره كانت خاصية النعام فى باطنه والباطن فى
الحيوان كله أتم من الظاهر وقد حكى أبو عبيد البكرى فى كتاب المسالك والممالك
لماذكر قابس أن بعض البادية دخل على أميرها بطائر على قدر الحمامة ذكر
أصحابه أنهم لم يروه قبل وما عهدوه وكان فيه من كل لون وهو أحمر المنقار فأمر
بقص جناحيه وأن يرسل فى قصره فلما كان الليل أوقد بين يدى الامير مشعل
فلما رآه الطائر قصده وأراد الصعود اليه فلم يستطع النهوض فلم يزل يجهد نفسه
حتى صعد اليه وجلس فى وسطه وجعل يتفلى فيه كما يتفلى الطائر فى الشمس فلما
قضى وطره منه نزل والنعام تصاد بالنار كما تصاد سائر الوحوش فانه اذا رآها
دهش لها واعتراه فكر فيها فيقف وقوف حيرة فيتمكن منه الصائد (خواصه)
من المصائد لم يذكر منها شيأ (الوصف) أبو اسحق ابراهيم بن خفاجة

ولرب طيار خفيف قد جرى * مثل الجحار خلفه طيار
من كل قاصرة الخطا مختالة * مشى الفتاة تجر فضل ازار
مخضوبة المنقار تحسب أنها * كرعت على ظمأ بكأس عقار
لا يستقربها الاداحى خشية * من ليل ويل أو نهار بوار

(قال الزمخشرى)

ياسائلى انى أصبحت فى بلد * لا عطله ترجى لى ولا عمل
ولا غريب ولا لى فيه من أحد * مثل النعامة لا طير ولا جمل

(الطاوس) قال أصحاب البحث عن طبائع الحيوان ان الطاوس فى الطير

كالفرس فى الدواب عزا وحسنا غيرأن الناس لايتبركون به و يكرهون كونه فى دورهم وفى طبعه العفة وحب الزهو بنفسه والخيلاء والاعجاب بريشه وعقده لذنبه كالطاق لاسيما اذا كانت الانثى ناظرة اليه والانثى تبيض بعد أن يمضى لها من العمر ثلاث سنين وكذلك لايحصل التلون فى ريش الذكر الا بعد هذه المدة وهى نهاية البلوغ والانثى تبيض مرة واحدة فى السنة اثنتى عشرة بيضة وأقل وأكثر ولا تبيض متتابعا ويسفد فى زمن الربيع ويلقى ريشه فى زمن الخريف كما تلقى الشجر ورقها وهى كثيرة العبث بالانثى اذا حضنت وربما كسر البيض ولهذا يحضن بيضه تحت الدجاج والدجاجة لاتقوى على حضن أكثر من بيضتين منها وينبغى أن يتعاهد الدجاجة بجميع ماتحتاج اليه مخافة أن تقوم عنه فيفسده الهواء والفرخ يخرج من البيضة كاسيا كما يخرج الفروخ والطاوس من الطير الذى يبيض بيض الريح ويقال ان عبث الطاوس بأنثاه وان حضنها غيرة منه أن يخرج من البيض مايشبهه فى حسن ريشه وبهاء خلقه وزعم ارسطو أن الطاوس يعيش خمسا وعشرين سنة وهذا منه حكم لا يعينه الاستقراء (الوصف) أبو الصلت أمية بن العزيز الاندلسى

أهلا به لما بدى فى مشيه * يختال فى حلل من الخيلاء
فالروضة الغناء أشرق فوقه * ذنب له كالروضة الغناء
ناديته لو كان يفهم منطقى * أو يستطيع اجابة لنداقى
ياراقما فوق السماء ولابسا * للحسن روض الحزن غب سماء
أيقنت أنك فى الطيور مملكا * لما رأيتك منه تحت لواء

(وله)

أبدى لنا الطاوس عن منظر * لم ترعينى مثله منظرا
متوج المفرق ان لا يكن * كسرى بن ساسان يكن قيصرا
فى كل عضو ذهب مفرغ * فى سندس من ريشه أخضرا
نزهة من أبصرفى طيها * عبرة من فكر واستبصرا
تبارك الخالق فى كلما * أبدعه منه وماصورا

(الباب الخامس والاربعون فى الاسد النبل والزرافة والفيل)

واغما بدأنا به أولا لانه أشرف فى هذا النوع لان منزلته فيه منزلة الملك المهيب لقوته وشجاعته وقساوته وجهامة خلقه وشراسة خلقه قال أصحاب الكلام فى طبائع الحيوان ان اللبوة لاتضع الا جروا واحدا وتضعه بضعة لحم ليس فيها حس ولا حركة فتحرسه من غير حضان ثلاثة أيام ثم يأتى أبوه بعد ذلك فينفخ فى تلك البضعة المرة بعد المرة حتى تتحرك وتتنفس وتتفرج الاعضاء وتتشكل الصورة ثم تأتى أمه فترضعه ولا يفتح عينيه الا بعد سبعة أيام من تخليقه وهى مادامت ترضع لا يقربها الذكر ألبتة فاذا مضت على الجرو ستة أشهر كلف الاكتساب لنفسه بالتعليم والتدريب وطارد الذكر الانثى فان كانت صارفة أمكنته من نفسها وان لم تكن دفعته ومنعته ونفته مع شبلها بقية الحول وستة أشهر من الثانى وحينئذ تألف الذكر وتمكنه من نفسها وللاسد من بعد الوثبة واللصوق بالارض والاسراع فى الحضر اذا هرب والصبر على الجوع وقلة الحاجة الى الماء ماليس لغيره من السباع وربما سار فى طلب القوت ثلاثين فرسخا ولا يأكل فريسة غيره من السباع وهو اذا شبع من فريسة تركها ولم يعد اليها ولو جهده الجوع ولا يأكلها واذا أكل يقيم يومين وليلتين بلا طعام لكثرة امتلائه ويلقى بعد ذلك شيأ يابسا مثل جعر الكلب واذا بال رفع احدى رجليه كالكلب واذا فقد أكله صعب خلقه واذا امتلأ بالطعام فهو وادع وأكل الخفيف أحب اليه من اللحم العريض الغض وهو لا يثب على الانسان للعداوة ولكن للطعم فانه لو مر به وهو شبعان لم يتعرض له وهو مع ذلك حريص بهم واسع النحر ينهش ولا يمضغ قليل الريق ولهذا يوصف بالبخر ولحم الكلاب أحب اللحوم اليه ويقال انما ذلك لحنقه عليه فانه اذا أراد التطواف فى جنبات الحى ألح الكلاب بالنباح عليه والانذار به فيرجع خائبا النهوض الناس عليه فاذا أراد ذلك بدأ بالكلاب حتى يأمن انذاره ومن شأنه اذا أكثر من حسو الدم وأكل اللحم وحلت نفسه منها طلب الملح وجعله كالحمضة بعد الحلة فيطلبه ولو كان بينه وبينه خمسون فرسخا وهو يوصف بالجبن والجراءة فمن جبنه أنه يذعر لصوت الديك ومن نقر الطست وضرب الطنبور والحبل الاسود والديك

الابيض والسنور والفأرة وقد تكون النار من أسباب اغتراره واغتياله لانه يعتريه ما يعتري الظباء والوحوش عند رؤية النار من الحيرة والعجب بها وادمان النظر اليها والفكر فيها حتى يشغله عن التحفظ والتيقظ ومن جراءته انه يقدم على العسكر الكبير والجمع الكثير ويقابل ولا يرجع من الضرب والجراح ولا يذله ما يصيبه من ذلك بل يقابل بعضه حتى يموت وهو اذا كر لا يفر الا فرا خفيفا مخالسا والاسود أكثر جراءة وجهالة ويقال ان الانثى أجرأ من الذكر والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول انما هي أشرف ومن عاداته انه اذا عاين أحدا لا يفزع ولا ينهزم فان ألجأ الى ذلك وأحس بالصيادين ولى وهو يمشي رفيقا وهو مع ذلك يتلفت ويضمر الخوف ويظهر عدم الاكتراث وان تمكن منه الخوف هرب مجلا حتى يبلغ مكانا يأمن فيه فاذا علم انه أمن مشى مارا وان كان في سهل وألجأ الى الهرب جرى جريا شديدا كالكلب وان رماه أحد ولم يصبه شد عليه فان أخذه لم يضره وانما يخدشه ثم يخليه كأنه من عليه بعد الظفر به واذا شم رائحة الصيادين عفى أثره بذنبه وفيه من شدة البطش ما انه يأتي الجمل الهائج البازل فيضربه بيده فيثني الجمل عنقه اليه كأنه يريد عضه فيضرب بيساره الى مشفره فيجذبه جذبة يفصل بها بين ذوات عنقه وان ألفاه قائما وثب عليه فاذا هو في ذروة سنامه فعند ذلك يضربه كيف شاء ويتلعب به كيف أحب ومن عجيب أمره انه لا يألف شيأ من السباع لانه لا يرى فيها ما هو كفؤ له فيصحبه ولا يطأ على أثر شئ منها ومتى وضع جلده مع سائر جلودها تساقطت شعورها ولا يدنو من المرأة الطامث ومتى مس قوائمه لحا شجر البلوط خدر ولم يتحرك من مكانه واذا غمره الماء جاء الصبي حتى يركب على ظهره ويقبض على أذنه ولا تفارقه الحمى ولذلك الاطباء يسمون الحمى داء الاسد وعظامه صلبة جدا واذا طلب نارا دلك عظامه بعضها ببعض فيخرج منها كما يخرج من الحجارة ولذلك في جلده من القوة والصلابة ما لا يعمل فيه السلاح الا من مراق بطنه وقد يطول مثوى الواحد منها مع الناس حتى يهرم وهو في جميع حالاته صعب شديد الغرام لا يؤمن شروده اذا انفرد من سواسه وأبصر غيضة بين يديها صحراء ويبلغ من العمر كثيرا وعلامة ذلك انه يصاد فيوجد مهتوم الاسنان وليس ذلك الا من الكبر

(خواصه) يقال ان خصيته اذا ملحت بورق أحمر ومصطكى وجففت وقليت بزئبق نفعت من البواسير والزحير ووجع الارحام ويقال ان من يمسح بشحم كليته يؤمن من أكل السباع ومرارته بعسل تنفع الخنازير ودمه يطلى به السرطان وصيده بأنواع من الحيل فمنها ان تصنع له العرب الزباء وهي حفائر في نشز من الارض وتغطى وفي وسطها جرو كلب فيأتي الاسد ليأخذ الجرو فيسقط فيها وقال عثمان بن عفان رضي الله عنه بلغ الماء الزباء أي أعظمها

(الوصف والتشبيه) وصفه أبو زبيد الطائي في حكاية حكاها لعثمان بن عفان رضي الله عنه وقد لعنه فقال أقبل يتضالع من بغيه ولصدره نحيط ولبلاعيمه غطيط ولطرفه وميض ولارساغه نقيض كأنما يخبط هشيما أو يطأ صريما ذا هامة كالمجن وخد كالمسن وعينان سجراوان كأنهما سراجان وقصرة رملة وهزمة وهلة وساعد مجدول وعضد مفتول وكف شثنة البراثن ومخالب كالمحاجن فهم أشدق كالغار الاحرق يفترعن معاول مصقولة غير مغلولة فهجهج بنابه فرفر وبربر ثم زار فجرجر ثم لحظ فخلت البرق يتطاير من جفونه عن شماله ويمينه فأرعشت الايدي واصطكت الارجل وجحظت العيون وساءت الظنون ولصقت الظهور بالبطون وأنشد عبوس شموس مثل جذ مكابر جرى على الاقدام للقرن قاهر

براثنه شثن وعيناه في الدجى * كجمر الغضا في وجهه الشر طائر
يدل بانياب حداد كأنها * اذا قلص الاشداق عنها خناجر

(وقال أبو الطيب يصفه من أبيات)

وردا اذا ورد البحيرة وارد * ورد الفرات زئيره والنيلا
متخضب بدم الفوارس لابس * في غيله من لبدتيه غيلا
في وحدة الرهبان الا انه * لا يعرف التحريم والتحليلا
ما قوبلت عيناه الا ظنتا * تحت الدجى نار الفريق حلولا
يطأ الثرى مترفقا من تيهه * فكأنه آس يجس عليلا
ويرد عفرته الى يافوخه * حتى يصير لرأسه اكليلا
ويظنه مما يزمجر نفسه * عنها لشدة غيظه مشغولا
قصرت مخافته الخطى فكأنما * ركب الكمي جواده مشكولا

ثم خرج الى ذكر الممدوح الحسين بن عبد الله بن طغج أمير مصر كان قد خرج متصيدا فرأى أسدا على فريسته فهاجه فوثب الاسد على كفل فرسه فأعجله عن استلال السيف فضربه بالسوط فألقاه عن كفل الفرس فقال المتنبى القصيدة التى أولها

في الخدّ ان عزم الخليط رحيلا * مطر يزيد به الخدود محولا

(وجاء منها)

أمعفّر الليث الهزبر بسوطه * لمن ادّخرت الصارم المسلولا

(وقال عبد الجبار بن حمديس الصقلى)

وليث مقيم في غياض منيعة * أمير على الوحش المقيمة في القفر
يوسّد شبليه لحوم فوارس * ويقطع كاللص السبيل على السفر
هزبر له في فيه نار وشفرة * فما يستوى لحم القتيل على الجمر
سراجاه عيناه اذا أظلم الدجى * فان بات يسرى باتت الوحش لا تسرى
له جبهة مثل المجن ومعطس * كأنّ على أرجائه صبغة الحبر
يصلصل رعد من عظيم زئيره * ويلمع برق من حماليقه الحمر
له ذنب مستنبط منه سوطه * ترى الارض منه وهى مضروبة الظهر
ويضرب جنبيه به فكأنما * له فيهما طبل يحيص على الكر
ويفتحك في التعبيس فكيه عن مدى * بنوب صلاب ليس يهتم بالقهر
يصول بكف عرض شبرين عرضها * خناجرها أمضى من القضب البتر
يجرّد منها كل ظفر كأنه * هلال بدا للعين في أوّل الشهر

(وأحسن ما ورد في قتل الاسد) قول بشر بن عوانة الفقعسى يصف ملاقاته للاسد وما اتفق له معه وحكايته انه تزوّج ابنة عمه فخرج يبغى مهرها فلما كان ببعض الطريق عارضه أسد فكرّ بمهره عليه فتقاعس ولم يقدم عليه فنزل عنه وأقبل نحو الاسد مصلتا سيفه فقتله وقال

أفاطم لو شهدت ببطن خبت * وقد لاقى الهزبر أخاك بشرا
اذا لرأيت ليثا رام ليثا * هزبرا أغلبا يبغى هزبرا
تبهنس اذ تقاعس عنه مهرى * محاذرة فقلت عقرت مهرا
أنل قدمىّ ظهر الارض انى * وجدت الارض أثبت منك ظهرا

وقلت له وقد أبدى نصالا * محددة ووجها مكفهرا
يدل بمخلب وبحد ناب * وباللحظات تحسبهن جمرا
وفي يمناي ماضي الحد أبقى * لمضربه غداة الروع أثرا
ألم يبلغك ما فعلت ظباه * بكاظمة غداة لقيت عمرا
وقلبي مثل قلبك لست أخشى * محاذرة ولست أخاف ذعرا
وأنت تروم للأشبال قوتا * وأبغي لابنة الأعمام مهرا
ففيم تروم مثلي أن يولي * ويترك في يديك النفس قسرا
نصحتك فالتمس يا ليث غيري * طعاما إن لحمي كان مرا
ولما ظن أن الغش نصحي * وخالفني كأني قلت هجرا
دنا ودنوت من أسدين راما * مراما كان إذ طلباه وعرا
يكفكف غيله إحدى يديه * ويبسط للوثوب على أخرى
هززت له الحسام فخلت أني * هززت له لدى الظلماء فجرا
حساما لو رميت به المنايا * لجاءت نحوه تعطيه عذرا
وجدت له بجائشة رآها * لكذب ظنه ماأمنه قدرا
بضربة فيصل تركته شفعا * وكان كأنه الجلمود وترا
فخر مضرجا بدم كأني * هدمت به بناء مشمخرا
وقلت له يعز علي أني * قتلت مناسبي جلدا وقهرا
ولكن رمت شيئا لم يرمه * سواك فلم أطق يا ليث صبرا
تحاول أن تعلمني فرارا * لعمر أبي لقد حاولت نكرا
فلا تبعد فقد لاقاك حر * يحاذر أن يعاب فمت حرا

(نادرة) قيل تعرض أسد لقافلة وصال على رجل منها فبادروا وأحتى حالوا بينهما وقالوا للرجل كيف حالك قال صالحة ولكن الاسد قد نوى في سراويلي

(ولمؤلفه رحمه الله)

سألتك يا جميل الستر سترا * أغيب به عن الخصم الظلوم
وذاك الستر ستر معنوي * يراني منه كالاسد العظيم

(القول في طبائع الفيل) زعم بعض الباحثين عن طبائع الحيوان أن الفيلة مائية الطباع بالجاموسية والخنزيرية التي فيها وبعضها يسكن الماء وبعضها لا يسكنه

وزعم آخرون ان الفيلة ضربان فيل وزندفيل وهما كالبخت والعراب والبقر والجواميس والبراذين والخيل والفأر والجرذان والنمل والذر وبعضهم يقول الفيل الذكر والزندفيل الانثى وهذا النوع لا يتلاقح الا في بلاده ومعادنه ومغارس أعراقه وان صار أهليا وهي تتوالد بأرض السند والهند وهي أعظمها خلقا وبجزيرة سرنديب وينتهي في عظم الخلق الى أن يبلغ في الارتفاع عشرة أذرع وفي ألوانها الاسود والابيض والازرق والابلق وهو اذا اغتلم أشبه الجمل في ترك الماء والعلف حتى ينضم أبطاه ويتورم رأسه ولم يكن لسواسه غير الهرب منه وربما صار وحشيا وجهل جهلا شديدا والفيل ينزو اذا مضى له من العمر خمس سنين واذا حملت لا يقربها الذكر ولا يمسها ولا ينزو الذكر عليها اذا وضعت الا بعد ثلاث سنين ولا ينزو الا على فيلة واحدة وله عليها غيرة شديدة واذا تم حملها وأرادت الوضع دخلت النهر حتى تضع ولدها في الماء لانها تلد قائمة اذ لا فواصل لقوائمها فتبرك والذكر بعد ذلك يحرسها وولدها من الحيات وذلك لعداوة أصلية بينهما ووضع ذكر الفيل شبيه بالفرس لكنه صغير عنه جثة وهو في الفرس العتيق صغير أيضا وأنثيا الفيل داخل بدنه قريب من كليتيه ولذلك يسفد سريعا كالطير لان كونهما داخلا قريبا من القلب ينضج المني بسرعة ويقال ان الفيل يحقد كما يحقد الجمل ويحفظ الشيء الذي يكرهه القيم عليه حتى يقابله عند تمكنه منه وربما قتله وزعم أهل الهند ان لسان الفيل مقلوب ولولا ذلك لتكلم وهو صغير جدا ويجعلون أن قرنيه هما ناباه يخرجان مستطيلين حتى يخرقا الحنك وعلم ذلك من تشريحه ويوجد فيه الاعقف والمستقيم قال المسعودي وربما بلغ الناب منه مائة وخمسين منا وأكثر من ذلك والفيل يحمل بهما على الجدار الوثيق البنيان فيقلبه على الارض وقد فتح به محمود بن سبكتكين مدينة الطاق وهي من أعظم الحصون التي ببلاد سجستان فانه جعل نابيه تحت بابها فاقلعه وهو من أسرع الحيوان الوحشي أنسا بالناس وسرعة الانس دليل على حسن الطباع ودماثة الاخلاق وخرطومه من غضروف أنفه وهو يده التي يوصل بها الطعام الى فيه ويقاتل بها وبها يصيح وليس صياحه على مقدار جثته لانه كصياح الديك ويتنزل منه منزلة عنقه وله فيه من القوة بحيث يقلع به

الشجرة من منابتها وفي طبعه انه اذا سمع صوت الخنزير ارتاع ونفر واعتراه الفزع والجزع واذا ورد الغدران والانهار للشرب وكان الماء صافيا فهو أبدا يثيره ويكدره كالخيل لانها ترى صورها على سطح الماء فتتوهم انه غيرها فتنفر منه وهو قليل الاحتمال للشتاء والبرد يقوم ويسير في الماء منغمسا ماعدا خرطومه لانه منه يتنفس ولا يقدر على السباحة لثقل جثته وفيه من الفهم ما به يقبل التأديب ويفعل ما يأمره به سائسه من السجود للملوك وغير ذلك من الخير والشر في حالتي السلم والحرب وفيه من الاخلاق أنه يقاتل بعضه بعضا قتالا شديدا والمقهور منها يخضع ويتعبد للقاهر ويخاف سطوته ويقال انه يصاد باللهو والطرب واللعب والزينة وريح الطيب والنساء يصدونه بذلك وربما احتيل على صيده بأن يترقب حال سكونه وهدوه وذلك أنه لا ينام الا معتمدا على ساق شجرة اذ لا يمكنه الاضطجاع لكون قوائمه لا فواصل لها لكنها كالاساطين المصمتة والسواري الوثيقة والصيادون يأتون الشجرة التي غالب أوقاته يعتمد عليها فيضعفون أصلها فاذا أتى على عادته اليها ليعتمد عليها انكسرت فسقط وبقي عاجزا لا يقدر لنفسه بشئ فيصيدونه كيف شاؤا والهند تعظم الفيل وتشرفه لما اجتمع فيه من الخصال المحمودة من علو سمكه وعظم صورته وبديع منظره وطول خرطومه وسعة أذنه وطول عموده وثقل حمله وخفة وطئه فانه ربما مر بالانسان وهو لا يشعر به لحسن خطوته واستقامته وللهند طيب يجمعونه من جباه الفيلة ورؤسها فانه اذا اغتلمت عرقت هذه الاماكن عرقا كأنه المسك ويستعملونه لظهور الشبق في الرجال والنساء ويزعمون أنه يشجع القلب ويقوي النفس ويبعثها على الاقدام والفيل يشب الى تمام ستين سنة ويعمر مائتي سنة وأكثر (وحكى ارسطو) أن فيلا ظهر عمره أربعمائة سنة (وحكى) بعض المؤرخين ان فيلا سجد لابرويز ثم سجد للمعتضد وبينهما زمان ذكره ارسطو واعتبر ذلك بالوسم وهذا الحيوان يعتريه من الامراض وجع المفاصل لطول قيامه وثقل جثته لانه لا يضطجع

(الوصف والتشبيه قال عبد الكريم النهشلي)

وأضخم هندي النجاد تعده * ملوك بني ساسان ان نابها دهر
يجيء كطود جائل فوق أربع * مضبرة يابسكما يلبب الصخر

له نفذان كالشثين لبد * وصدر كما أوفى من الهضبة الصفر
ووجه به أنف كراوورق خمرة * ينال به ما يدرك الانمل العشر
وجنبان لايروى القليب صداهما * ولو أنه بالباع منه رحب حفر
وأذن كنصف الرد يسمعه الندا * خفيا وطرف ينقص الغيب مزور
ونابان شقا لا يريد سواهما * قيامين سمراوين لمعهما تبر
له لون ما بين الصباح وليله * اذا نطق العصفور أو صوت الصقر

(صلاح الدين الصفدى رحمه الله ملغزا)

أيما اسم تركيبه من ثلاث * وهو ذو أربع تعالى الاله
حيوان والقلب منه نبات * لم يكن عند جوعه يرعاه
فيك تصحيفه ولكن اذا ما * رمت عكسا يكون فى ثلثاه

قد جعل الله فى طبع الفيل الهرب والوحشة من السنور واذا احتملت المرأة من نحوها مع العسل لم تحبل أبدا وكذلك اذا علق على شجرة لم تحمل تلك السنة

(القول على طبائع الكركدن) وتسميه الهند النوسان ويسمى أيضا الحمار الهندى وهو عدو الزبرقان والفيل ومعادنه ببلاد الهند والنوبة والحبشة وهو دون الجاموس ويقال انه متولد بين الفرس والفيلة وله ظلف واحد غير مشقوق وقرن واحد عظيم على أنفه بارز ولا يستطيع لثقله أن يرفع رأسه وهذا القرن مصمت قوى الاصل حاد الرأس مرهف يقاتل به الفيل فلا يفيده معه نابا وبقال انه اذا نشر رؤى فى داخله صورة بياض فى سواد صفة انسان ودابة وسمكة وما شا كل ذلك وأهل الصين يتخذون منه المناطق ويغالون فى ثمنه ويقال ان حمل الانثى من هذا النوع كأيام حمل الانثى من الفيلة والانثى تأكل ولدها ولا يسلم منها الا القليل والولد يخرج قويا نابت الاسنان والقرن قوى الحافر وقد زعم أنه اذا كان فى بطن أمه وقارب الوضع يخرج رأسه من فرجها ويرعى من أطراف الاشجار ما يقوته ثم يرجع به وقد أنكر الجاحظ هذا القول وقد جعله ضربا من الخرافات وتزعم الهند أنه اذا كان فى ناحية من البلاد لا يقربها حيوان أصلا ويكون بينها وبينه من البعد مائة فرسخ من أو سع جهاته هيبة له وهربا منه وليس كذى القرن مشقوق الظلف وهو

يجتر كما يجتر البقر والغنم والابل ويأكل الحشيش والهندتأكل لحمه وكذلك في بلادها من المسلمين لانه نوع من البقر والجواميس ويقال انه شديد العداوة للانسان حتى أنه اذا شم رائحته أوسمع صوته جدّ في طلبه فاذا أدركه قتله وان لم ينتفع به لانه لا يأكل اللحم وهذا الحيوان لا يبرك ولا ينام اذليس له مفصل في ركبتيه ولا في يديه بل هو من ظلفه الى ابطه قطعة واحدة

(القول في الزرافة) والزرافة في كلام العرب الجماعة لانها اجتمع فيها صفات كثيرة من الحيوان وهي عنق الجمل وجلد النمر وقرن الظبي وأسنان البقر ورأس الابل ولهذا زعم بعض المتكلمين في طبائع الحيوان أنها متولدة من حيوانات وقال ان السبب في ذلك اجتماع الوحوش في حماوة القيظ على شرائع المياه فتتسافد فيلقح منها ما يلقح ويمتنع ما يمتنع فربما سفد الانثى من الحيوان ذكور كثيرة فتختلط مياهها فيجيء منها خلق مختلف الصور والالوان والاشكال والفرس تسمى الزرافة اشتر كاو بلنك فتأويل اشتر بعروكاو بقرة وبلنك الضبع وهذا كما رأيت موافق لكلام العرب من كونها مركبة الخلق من حيوانات شتى والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول انه جهل شديد لا يصدر ممن لديه تحصيل لان الله يخلق ما يشاء وهو نوع من الحيوان قائم بنفسه كقيام الخيل والحمير ومما يحقق ذلك أنه يلد مثله وقد شوهد وهي طويلة اليدين والعنق جدا حتى يكون في مجموعها عشرة أذرع وأكثر قصيرة الرجلين جدا وليس لها ركب وانما الركب ليديها كسائر البهائم واذا أكلت مما على الارض تفحجت لقصر عنقها عن بدنها ومن عادتها أن تقدم عند المشي اليد اليمنى والرجل اليسرى بخلاف ذوات الاربع فانها كلها تقدم اليد اليمنى والرجل اليمنى وفي طبعها التآلف والتودد والتأنس وهي تجتر وتبعر

(الوصف) ابن حمديس

ونوبية في الخلق منها حلائق * مني مارق العين فيما تسهل
اذا ما اسمها ألقاه في السمع زاجر * رأى الطرف ماعني عناء بمقول
لها نفذ اقرم وأظلاف قرهب * وناظرتا ريم وهامة أيل
كان الخطوط البيض والصفر أشبهت * على جسمها ترصيع عاج بصندل
ودائمة الاقعاء في أصل خلقها * اذا قابلت ادبارها غير مقبل

تلفت أحيانا بعين كحيلة * وجيد على طول اللواء المطائل
وتنفض رأسا فى الزمام كأنما * تريك له هادى على السحب مقبل
وعرف رقيق الشعر تحسب نبته * اذا الريح هزته ذوائب سنبل
وتحسبها من نفسها ان تبخترت * تزف الى بعل عروسا وتنجلي
فكم منشد قول امرئ القيس عندها * أفاطم مهلا بعض هذا التدلل
(ومن أبيات الفقيه عمارة اليمنى)
وبهازرافات كأن رقابها * فى الطول ألوية تؤم العسكرا
نوبية المنشا تريك من المها * زرقا ومن بزل المهارى مشفرا
جبلت على الاقعاء من اعجابها * فخالها التيه تمشى القهقرا

(الباب السادس والاربعون فى الحمام وما فى وصفها من بديع النظام)

قد جرت عادة الكبراء والعظماء باتخاذ الحمام فى منازلهم ولا سيما فى أيام الخلفاء فأكثر ذلك فى أيام الناصر لدين الله أحمد بن الامام المستضئ فانه اهتم بأمرها وبأمر انشائها ومازالت الخلفاء والملوك يطيرون الحمام ويسابقون به ولا يختص بذلك بنو العباس قال صاحب روض الاذهان كان الوزير أبو الفرج يعقوب وزير المعز أجل الخلفاء المصريين وأفخمهم وكان له حمام يسابق به فاتفق انه سابق بها طيور الخليفة العزيز فسبق حمامه فعظم ذلك على الخليفة ووجد أعداء الوزير الطعن عليه من أن هذا الوزير يختار الجيد لنفسه من كل شئ ويختار للخليفة الادنى فبلغ ذلك الوزير فكتب الى الخليفة

قل لامير المؤمنين الذى * له العلا والكوكب الثاقب
طائرك السابق لكنه * جاء وفى خدمته حاجب

فسكن غيظ الخليفة عنه ولما مات هذا الوزير خلف أربعة آلاف مملوك وحارة الوزيرية فى القاهرة تعرف به وبساتين الوزير بالقرب من بركة الجيش ولما مات نزل الخليفة وألحده فى قبره وبلغ كفنه وما دخل فيه عشرة آلاف دينار (قال الجاحظ) وقد تباع الحمامة بخمسمائة دينار ولم يبلغ ذلك شئ من الطير ومن دخل بغداد والبصرة عرف ذلك وتباع البيضة بخمسة دنانير والفرخ بعشرين دينارا روى عن على بن أبى طالب كرم الله وجهه أنه اشتكى الى

رسول الله صلى الله عليه وسلم الوحشة فقال اتخذ حماما تؤنسك وتصيب من فراخها وتوقظك للصلوة بتغريدها وروى عن ابن عباس رضى الله عنهما قال قال رسول الله صلى الله عليه وسلم الحمام فانها تلهى الجن عن صبيانكم روى جابر أنه كان رسول الله صلى الله عليه وسلم يعجبه النظر الى الحمام والابراج وكان فى منزله صلى الله عليه وسلم حمام أحمر اسمه وردان وكان ابراهيم بن بشار معجبا بالحمام وكان اذا ذكرها يقول ان الله جمع فيها حسن النظر وكريم المخبر تكفيك مؤنتها فهى للطارق عدة وللمستوطن لذة تطعم فى الصحراء وتعود اليك فى السراء يأنس الوحيد بحركاتها وتغنيه عن الاوتار بنغماتها وغيرها من الطير يستعجم وهى ناطقة وتنفر عنك وهى داجنة وفى طبعها السكون الى الناس والاستئناس بهم وهى طير عفيف يبقى الذكر بعد الانثى منفردا والانثى مثل ذلك مع شدة اتفاقهما على المحبة ان طار اطارا معا وان وقعا وقعا معا لها سرعة طيران لا تكاد سباع الطير تصيدها الا بحيلة ولم تزل العرب تستحسن سجع الحمام وتغريد البلبل والورشان واعراب وادى القرى اذا ظفروا بشراب الطائف أتوا حوائط من النخل عند استواء الظهيرة اذا صارت الوراشين والفواخت الى ذلك الظلال فيشربون ويأنسون بتغريدهن ويقيمون أصواتهن مقام المزامير والاوتار وفى ذلك يقول بعضهم

أحن الى حوائط ذات عرق * لتغريد الفواخت والحمام

ألم بها وكل فتى كريم * من الفتيان مخلوع الزمام

(وقد ألف) القاضى محى الدين بن عبد الظاهر كتابا سماه تمائم الحمائم وذكر فيه أنسابها وأنواعها وغير ذلك ومنه قول القاضى الفاضل لازالت أجنحتها تحمل من البطائق أجنحه وتجهز جيوش المقاصد والاقلام أسلحه وتحمل من الاخبار ما تحمله الضمائر وتطوى الارض اذا نشرت الجناح الطائر وكادت تكون ملائكة لانها رسل اذا نيطت بالرقاع طارت أولى أجنحة مثنى وثلاث ورباع وقد باعد الله بين أسفارها وقربها وقربها وجعلها طيف اليقظة الذى صدق العين وما كذبها وقد أخذت عهود اداء الامانة فى رقابها أطواقا وأفنها من أذنابها أوراقا فصارت خوافى وراء الخوافى وغطت سرها بكتمان صبت عليه ذيول ريشها الصوافى ترغم النوى بتقريب العهود وتكاد

العيون تلاحظها تلاحظ أنجم السعود وهي أنبياء الطير لكثرة ماتأتي به من الانباء وخطباؤها لانها تقوم على منابر الاغصان قيام الخطباء وسماها القاضي الفاضل في مكان آخر ملائكة الملوك فرحمه الله ما كان أقدره على الكلام وما أحسن ما وصف الحمام وتسميته اياها أنبياء الطير قال الشيخ تاج الدين بن الاثير من فصل طالما جارتها الرياح فأصبحت مخلفة وراءها تبكي على السحب وصدق من سماها أنبياء الطير لانها مرسلة بالكتب وقال الشيخ السديد علم الرؤساء من رسالة في تقدمته بالبشائر يكون المعنى بقولهم أيمن طائر ولا غرو أن فارق رسل الارض وفاتهم وهو مرسل والعيان عيانه والجو ميدانه والجناح مركبه والرياح موكبه وابتداء الغاية شوطه والتشوق الى أهله (وقال الاسعد بن مماتي) من صدر رسالة

أعوامل بالفلات مما يدلنا * على ان معنى الغاب من عادة القلب
ومن لم يجد شخصا من الانس كاملا * يبثث له الشكوى تشاغل باللعب

بلغني أن الحضرة قد أطاعت سلطان نفسها واسترجعت شيطان أمسها وعزمت على انفاق كيس الايام بالاشتغال بالحمام (وللشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة) وفرضا ما أعزك الله ان ذلك الواشي في كلامه مصيب فالملوك أولى بالتقاط فوائد مولانا الاني ابن أبي حجلة وللطير في دار الكرام نصيب (صلاح الدين الصفدي) وكتبها الى بعض أصحابه

هذى بطاقة قادم * قد جاء يلهج بالمدح
حملتها قلبي الذى * قد طار نحوك بالفرح

(قلت) ما ألطف قول الشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة

شكرت اقتراحي في المديح فلمتني * وقبلي أناس كان يشكر ما اقترح
ولو كان من شعري المحجل ريشة * لكل بني الآداب طارت من الفرح

القاضي الفاضل

لبهنك طائر الفتح المبين * وما أدى من الخبر اليقين
وأشرق في الخيام على رياض * وخط من الرماح على الغصون
وأطرب بالكتاب وزاد حتى * ظنناه يغني باللحون
وسرك باليقين بغير وعد * ترجيه الظنون بقدوسين

بما أسهرت جفن السيف حتى * جعلت السيف غمدا للجفون

(وله تغمده الله برحمته)

وقد ألف التخليق ريش جناحها * فجاءت الينا فى رداء العرائس
وما خلقت بالزعفران وانما * تضمخن دما من أكل قتلى الفوارس
ملائكة الرحمن ترجى كتابها * اليهم ببشراهم بقتلى الاباليس

(وله رحمه الله)

بشائر يأتى الطير حامل كتبها * فيأتى سرور لم يدعه وتقسه
غدوت ولا سيف يقر بغمده * وبت ولا طير يقر بعشه

(ذكر ابن مسدى فى معجمه) قال سمعت أبا الحسن محمد بن نصر الله بن عنين يقول كنت بخراسان بمجلس الفخر الرازى اذ أقبلت حمامة يتبعها جارح فسقطت فى حجر الفخر الرازى وعاذت به على منبره فقمت وأنشدت بديها

يا ابن الكرام المطعمين اذا شتوا * فى كل مسغبة وثلج خاسف
والعاصمين اذا النفوس تطايرت * بين الصوارم والوشيج الراجف
من نبأ الورقاء أن محلكم * حرم وأنك ملجأ للخائف
وافت اليك وقد تدانى حتفها * فحبوتها ببقائها المستأنف
ولو انها تحبى بمال لانثنت * من راحتيك بنائل متضاعف
جاءت سليمان الزمان حمامة * والموت يلمع من جناحى خاطف

فخلع عليه جبة كانت عليه وكان هذا سببا الاقبال السعود عليه (من انشاء الشيخ زين الدين بن الوردى) فبينما البازسكران بما بان من البان واذا بحمامة قد وقعت أمامه وقالت كم تفتخر وأنت تظلم تجبر أنت من آلة اللعب والصيد وأنا من آلة الجد والكيد أنا ام الطوق والخضاب من جملة حملة الكتاب ومع خوفى من شرك الشرك وحذرى من فم الافك حملت الامانة التى أبت الجبال عن حملها وامتثلت مرسوم ان الله يأمركم أن تؤدوا الامانات الى أهلها فلما أوصلت الحقوق أمنت العقوق وتزينت بالبشائر والخلوق ومما أعجب العالمين أنى مخضوبة البنان ولى عين أقول للّادع الاهتمام ولا تحزن فانى أنا الحمام مهما حدث عليك من البعد من أخوانك أنا آتيك به قبل أن تقوم من مقامك كتمت عن الناس سرى وأبهمت فى الغناء والنوح أمرى

وروى خضابى وماوقى * فاستنكفوا من بكائى
ثم ادّعوا أن نوحى * مناسب لغنائى
فقلت كفوا فدمعى * باد بغير اختفاء
الخضب من فيض دمعى * والصبر عقد ولائى

(قال القاضى علاء الدين الوداعى) كان القاضى الفاضل يسمى الحمام ملائكة الملوك فسميت انا البريدية شياطين السلاطين

(الباب السابع والاربعون فى الحصون والقصور والآثار)
(وماقيل فيها من رائق الاشعار)

ما أحسن قول القاضى الفاضل ووردنا حصن كوكب وهو نجم فى سحابه وعقاب فى عقابه وهامة لها الغمامة عمامه وأنملة اذا خضبها الاصيل كان الهلال لها قلامه (وقال الشيخ شهاب الدين محمود) حصن قد تقرط بالنجوم وتقرطق بالغيوم وسما فرعه الى السماء ورسى أصله الى التخوم تخال الشمس اذا علت أنها تتنقل فى أبراجه ويظن من سها الى السها أنها ذبالة فى سراجه لا يعلوه من سمى الطير غير نسر السماء وزمامه ولا يرمق متبرجات بروجه غير عين الشمس والمقل التى تطرف من أنجمه وحوله كل شامخ تهيب عقاب الجو قطع عقابه وتقف الريح حسرى اذا توقلت فى هضابه تخفق العيون اذا رمقته سلوك مادونه من المحاجر ويجيل الفكر صورة الترقى اليه لا يبلغها حتى تبلغ القلوب الحناجر وحوله من الاودية خنادق لا تعلم منها الشهور الا بأنصافها ولا تعرف فيها الاهلة الا بأوصافها (وقال الشيخ جمال الدين بن نباتة) من باب محرم الخاطر واداهى سماء يتقاعس الفكر عن محاولة شهبها وحسناء كلما رمت أن تنظر وجهها الحسن فكان قرص الشمس مرآة وجهها تزاحم بروجها السماء بالمناكب وتهى اضاءة نجومها الثواقب وتلقى اذا عطشت كوكب الدلو بأرشية البروق فى قليب السحائب لا تسامى ولا تسام ولا يحصل منها قادم سفر الا على معانقة العوالى ومصافحة السهام (وقال علاء الدين بن غانم) ذات أودية ومحاجر لا تراها العيون لبعد مرامها الا شزرا ولا ينظر ساكنها العدد الكثير الا نزرا ولا يظن ناظرها الا أنها

طالعة بين النجوم مما لها من الابراج واها من الفرات خندق يحفها كالبحر الا ان هذا عذب فرات وهذا ملح أجاج ولها واد لا يقى لفحة الرمضاء ولا حر الهواجر وقد توعرت مسالكه فلا يداس فيه الا على المحاجر وتفاوت ما بين مرات العلا وقراره العميق ويقتحم راكبه الهول فى هبوطه فكأنما خر من السماء فتخطفه الطير أو تهوى به الريح فى مكان سحيق (وقال سيدى الاخ العزيز الفاضل تقى الدين أبو بكر بن حجة الحموى) سلمه الله تعالى فى وصف قلعة دمشق عندما حوصرت فى الوقعة المشهورة ونظرت بعد ذلك الى القلعة المحروسة وقد قامت قيامة حربها حتى قلنا أزفة الآزفه وقد ستروا بروجها من الطارق وهم يتلون ليس لها من دون الله كاشفه واستجليت عروس الطارمة عند زفتها وقد تجهزت للحرب ولم نرض بغير الارواح مهر وقد أعقدت على رأسها تلك العصائب وقد توشحت بتلك الطوارق وأدارت على معصمها الابيض سوار النهر وغازلت بحواجب قسيها ورمت القلوب من عيون مراميها بالنبال وأهدت الى العيون من مكاحل نارها أكحالا كانت السهام لها أميال وطالها كل من الحاضرين وقد علا دست الحرب وشمخ وهو على فرسه بنفسه الغاليه ورامو كشفها وهم فى رقعة الارض كأنهم لم يعلموا بأن الطارمة عاليه وتالله لقد حوصت بقوم لم يتدرعوا بغير آية الحرس فى الاسحار وقد استيقظوا لحمل قسيهم ولم تنم أعينهم عن الاوتار فأعيذ رواسيها التى كالجبال الشامخة من أس المحجوج وأحصنها قلعة بالسماء ذات البروج (قلت) ويحسن ذكر المنجنيق فى هذا الموطن نقلت من خط القاضى صلاح الدين الصفدى قال نقلت من خط السراج الوراق لنفسه يصف حجارة المنجنيق

ترقى بكر المنجنيق الى السما * وتعود تطلب مركزا رباها
وجت بها الاسوار ثم تكلمت * لم لا وقد فتحت بها أفواها
وتوالت السمر الطوال سوا كها * وثغورها لا تجتلى بسواها

(وقال ابن النبيه) من قصيدة يمدح بها الاشرف ويصف دارا بناها بقلعة أخلاط

سقى الله من أعلام أخلاط قلعة * يحوم بها نسر السما على وكر
ودار على خير الطوالع أسست * فمن حل فيها فى أمان من الدهر
تجلى مدى الابصار لمع بياضها * فأحسبها قد ألبست بهجة الفجر

وقد أثبتت أركانها من نقوشها * تماثيل روض لم يزل يانع الزهر
تكاد تشم المسك من نسماتها * ويقطر من أرجائها ورق التبر
تمرّ وتلهى ساكنها بحسنها * فان شئت أغنت عن غناء وعن خمر
اذا فتحت أبواب مستبشر بها * جاءت لك نور البحر والوحش في البرّ
فان شئت للأخرى فمحراب ناسك * وان شئت للدنيا فريحانة العمر
وان جمعا فلله ما زال جامعا * شتيت العلا للاشرف بن أبي بكر

(وللشيخ شهاب الدين بن أبي حجلة) في مدرسة القاضي بدر الدين بن الجزولي بمصر

تأمّل ففضلي سار في البرّ والبحر * ولي خبر في مصر يغني عن الخبر
يقابلني المقياس يوم وفائه * بوجه قناه لاح من خلل الستر
فشباكه برنوالي باعين * جلبن الهوى من حيث أدري وما أدري
أهيم بها في مصر حتى كأنها * عيون المها بين الرصافة والجسر
فلا عذر عندي للنسيم اذا سرى * وكم في الهوى العذري للصب من عذر
تداوي بشرب الماء عندي جماعة * كما يتداوي شارب الخمر بالخمر
عماتي من عين الحيوة لانه * من الروض يأتيني على قدم الخضر
وبسطي روضي والقناديل زهرها * وثغر حباب الماء يبسم عن درّ
فلا تعجبا من زائري ان توقدت * عليه مصابيح الطلاقة والبشر
تشاهد مني العين في مصر روضة * ترى زهرها في الماء كالانجم الزهر
وكم وردة أبدي دها بي حسنها * يبيت بها قلب الحسود على الجمر

(وله فيها)

دار بصان الجار في أرجائها * ويذل فيها صين الاموال
نسيت بها الاهرام لما ان غدت * بضيائها هولا من الاهوال

(الشيخ شمس الدين بن القريه السكندري) فيمن له غلام اسمه ريحان

ان الامير حباه رب العرش احسانا ومنه
هو والغلام وداره * روح وريحان وجنه

(حكى) عن سنمار أنه كان رجلا حاذقا بالبنيان فأمره النعمان بن امرئ القيس بن عمرو بن امرئ القيس اللخمي ان يبني له حصنا بظاهر الجزيرة وهو الذي يقال له الخورنق فلما فرغ من بنائه عجبوا من حسنه واتقان عمله فقال

هلو وفيتموني أخرى لبنيته بناء يدور مع الشمس كيفما دارت فقال النعمان أقدرت على أحسن منه ولم تفعل فأمر بقذفه من أعلاه وقيل انما قتله لانه لما فرغ من بنائه خلا به وقال له ان هذا البنيان كله مردود الى هذا الحجر فاحتفظ به فانه ان نزع سقط البناء كله فقتله لئلا يطلع على ذلك غيره فضربت به العرب المثل وأكثرت فيه فقالوا جزاه الله جزاء سنمار (وقال الشاعر) أنشده ابن مالك

جزى بنوه أبا الغيلان عن كبر * وحسن فعل كما يجزى سنمار

(وقال عبد العزيز ابن امرئ القيس)

جزاني جزاه الله شر جزائه * جزاء سنمار وما كان ذا ذنب

(قال ابن الشجري) يقال رجل سنمار اذا كان حسن الوجه أبيضه ويقال للقمر سنمار (ولما أراد المنصور) أن يبني بغداد في سنة أربعين ومائة سأل راهبا كان في صومعة في مكان بغداد عندما أراد أن يختطها أريد أن أبني هنا مدينة فقال له الراهب انما يبنيها ملك يقال له الدوانى فضحك المنصور وقال أنا هو وشرع في بنائها سنة أربعين ومائة ونزلها سنة ست وأربعين وفي سنة ست وأربعين تم بناؤها وهي بغداد القديمة التي بالجانب الغربي على دجلة وهي بين الفرات ودجلة كما جاء في الحديث لا بغداد الثانية وهي الجديدة التي في الجانب الشرقي وفيها دور الخلفاء وبغداد عبارة عن سبع محال لا تفتقر منها محلة الى غيرها على شاطئ دجلة فالذي في الجانب الشرقي الرصافة بناها المهدي بن المنصور حين ضاقت بالرعية والجند سنة (قلت) احدى وخمسين وهي مدينة مسورة والثانية مشهد أبي حنيفة مسورة والثالثة جامع السلطان غير مسورة والرابعة مدينة المنصور في الجانب الغربي وتسمى باب البصرة وكان بها ثلاثون ألف مسجد وخمسة آلاف حمام والخامسة مشهد موسى بن جعفر مسورة والسادسة الكرخ مسورة والسابعة دار القز مسورة (قلت) مكتوبا على ظاهر المدرسة التي أنشأها الشيخ الامام العالم أوحد القراء أبو عبد الله شمس الدين محمد بن الجزري تغمده الله برحمته بعقبة الكتاب عمرها الله ببركته وأظن أنها من نظمه

يا دار علم لما قد تقصد * وبصدرها تروى العلوم وتسند

خلعت عليك الكائنات جمالها * فلذاك سعدك دائما يتجدد
أضحت للراجين قبلة قاصد * لكمالها تعنو الوجوه وتسجد
نظرتك شمس للعلوم منيرة * منها لطلاب الفضائل معبد
يا باذلا المال غير مذمم * حاشاك من ذم وأنت محمد
كم قلد الناس اجتهادك منة * فغدوت مجتهدا وأنت مقلد
طربت بذا المعنى العقول فياله * من دار قرآن وفيه معبد
بالامس كان على الطريق قمامة * واليوم فهو على الحقيقة مسجد
ما إن تراه مشاهدا بجماله * الا وتعجب من سناه فتنشد
واذا نظرت الى البقاع وجدتها * تشقى كما تشقى الرجال وتسعد

(وقال الشيخ بدر الدين بن الصاحب) في عمارة السلطان الملك الظاهر برقوق التي بناها بين القصرين عمرها بحياته عمارة الظاهر قد أصبحت أركانها شامخة كالعلم وبشرت أحجارها بالبقاء وأنه يبلغ سن الهرم (وله) في رباط المعشوق الذي بمصر المحروسة المشرف بالآثار الشريفة

لنا رباط وبالمعشوق شهرته * آثار خير الورى فيه بتحقيق
يصبو فؤادي لمرآه ولا عجب * ان هام قلبي في آثار معشوق

(غيره)
أتيت الى المعشوق من بعد فرقة * وهجر وقلبي بالنوى يتضرم
فقابلني والثغر بالزهر باسم * وما أحسن المعشوق للصب يبسم

(قلت) وأنشدني من لفظه لنفسه الشيخ الامام الفاضل اللغوي جلال الدين أبو المعالي بن خطيب داريا

يا عين ان بعد الحبيب وداره * ونأت مرابعه وشط مزاره
فلقد ظفرت من الزمان بطائل * ان لم تريه فهذه آثاره

(صلاح الدين الصفدي رحمه الله)
أكرم بآثار النبي محمد * من زارها استوفى السعود مزاره
يا عين دونك فانظري وتمتعي * ان لم تريه فهذه آثاره

(وقال الشيخ شمس الدين بن الصائغ الحنفي) مورياً به وبغيره من سادة مصر المحروسة

وليلة مرت بنا حلوة * ان رمت تشبيهاً لها عبتها
لا يبلغ الواصف في وصفه * حداً ولا يلقى لها منتهى
بت مع المعشوق في خلوة * ونلت من نحو طومه المشتهى

(وقرأت) في شرح قصيدة بني الافطس التي شرحها الكاتب أبو القاسم عبد الملك ابن عبد الله بن بدرون الحضرمي الشلبي رحمه الله عند ذكر كسرى هو كسرى أنوشروان بن ساسان كان ملكه ثمانية وأربعين سنة وقيل سبعاً وأربعين سنة وثمانية أشهر وهو الذي بنى سور الباب والابواب وجعل هذا السور من جوف البحر مقدار ميل وبناه على الزقاق بلبن الحديد والرصاص وكلما ارتفع البناء نزلت الى ان استقرت في قرار البحر وارتفع السور على الماء فغاصت الرجال بالخناجر والسكاكين الى ذلك الزقاق فشقتها وتمكن السور على وجه الارض في قاع البحر وذكر المسعودي أن هذا السور كان باقياً سنة اثنين وثلاثين وثلثمائة ويسمى هذا السور الذي في البحر القيد وصعد هذا السور في أكر على جبل القبق أربعين فرسخاً حتى انتهى الى طبرستان وجعل على كل ثلاثة أميال من هذا السور باباً من الحديد وأسكن من داخله أمة من الناس تراعي ذلك الباب وما يليها من السور وذلك لدفع الامم المتصلة بذلك الجبل وهم أنواع من الامم منهم اللان والجرز والترك والبرغز وغيرهم وذكر في كتابه هذا عند ذكر المأمون ومن تسمى باسمه فمنهم يحيى بن ذي النون صاحب طليطلة يحكى أنه بنى قصر طليطلة وتأنق في بنائه وأنفق فيه أموالاً كثيرة وصنع فيه بحيرة وبنى في وسطها قبة وسيق الماء الى رأس القبة حوالها محيطاً بها متصلاً بعضه ببعض فكانت القبة في غلالة من ماء تسكب ولا تفتر والمأمون بن ذي النون قاعد فيها لا يمسه فيها شئ ولو شاء أن يوقد فيها الشمع لفعل فبينما هو نائم فيها اذ سمع منشداً ينشد

أتبني بناء الخالدين وانما * بقاؤك فيها لو عقلت قليل
لقد كان في ظل الاراك كفاية * لمن كان يوماً يقتضيه رحيل

فما لبث بعد هذا الا يسيراً حتى قضى نحبه (أنشدني الشيخ شمس الدين الجرائحي) من لفظه لنفسه وقد أمره القاضي فتح الدين بن الشهيد أن ينظم شيئاً يكتبه على طراز في صدر ايوانه

أيامن بطرز الدرأ كامهم سمت * فقوا وانظر وادارالطرازوعلى خصرى
وصدرى لاسرار الممالك حائط * من الفضة البيضاء والذهب المصرى
فمن ذا يضاهى افتخارا وقد غدت * خزائن اسرار الممالك فى صدرى

(نقلت) من خط الشيخ بهاء الدين الموصلى والد شيخنا العلامة عز الدين أبى الخير الموصلى من مقامة وسماها سلوة الغريب وخلوة الحبيب منها فى وصف القصر الابلق بدمشق وقصرها الابلق ليس بالعقوق من شاهد بديع معانيه الهى عن العاشق والمعشوق قد شام فى غمده مشهور عمدان وأسبل على ايوان كسرى ستر النسيان يبهر الناظر حسن معناه ولا يقدر على وصف محاسنه من يراه الماء مرفوع فى اقطاره ونواحيه منتصب فى فوار بركة لتمييز ناظريه يتكسر جمعه على شاذروانا ته مجرورا باضافته الى مجاريه فقد اجتمع لقاطنه اضافة المعنى والحسن الباهر ولم يكمل ذلك البهاء الا بكمال جمال الظاهر أعين شبابيكه الى ميدانه الاخضر ناظرة قد جمع الصادح والباغم واللاقط والطاغم به الظباء الاوانس والمها الكوانس أقطاره عريضة طويله لا ترجع الابصار من السفر فى زمنه الا كليله أخجلت خمائله الايك والغصن ولاذ القائف بالسلوان عن اقتفاء أثر الملوك فى معانيه التى كلها عيون وقف الابلق حين جرى الى منتهاه وأدركه الاعياء فسكن بأقصاه وشاهد الشقراء تمرح فى ميدان واديها فأراد الوصول اليه فعاوده الاضطراب فقطعت عليه الانهار الطريق وضرب بينهما بسور له باب (الايوان) من بعد هدمه بناه كسرى أبرويز فى نيف وعشرين سنة ومائة ذراع فى عرض خمسين فى سمك مائة من الآجر الكبار والجص وثخن الجدار الازج خمس أجرات وطول الشرف خمسة عشر ذراعا ولما بنى المنصور بغداد حب ان ينقضه ويبنى به فاستشار خالد ابن برمك فنهاه وقال هو آية الاسلام ومن علم أن هذا بناؤه لا يزيل أمره الاتى وهو مصلى على بن أبى طالب رضى الله عنه والمؤنة فى نقضه أكثر من الارتفاق به فقال أبت الا الميل الى العجم فهدمت ثلمة منه فبلغت النفقة عليها مالا كثيرا فأمسك فقال خالد أنا الآن أشير بهدمه لئلا يتحدث بعجزك عنه فلم يفعل وعلى ذكر الايوان فما أحسن ما أنشدنى من لفظه لنفسه اجازة شيخنا العلامة عز الدين أبو الخير الموصلى محاجيا

يامن له الطول فى المعالى * وبالمعانى لنا يبصر
انى كما قلت فى سؤالى * مامثل قولى نعم مقصر

(القاضى فتح الدين بن الشهيد) على لسان مجلس داره وقد بنى لبعض الاجلاء فى داره مجلس عال

يامن يـنزه فى حسنى نواظـره * اسمع صفات بها قد فقت أمثالى
انى مقام مقر عـز جانبـه * ودون قدر جناب المجلس العالى

(أنشـدنى من لفظه لنفسه الاديب الفاضل الكامل شمس الدين أبو عبد الله الجرائحى) فى مجلس بناه سيدنا ومولانا قاضى القضاة وشيخ الشيوخ خطيب الخطباء أبو الحسن علاء الدين بن أبى البقاء السبكى الشافعى تغمده الله برحمته

ومجلس قـد قال لى منشى * مامثله فى الفضل قاضى القضاه
قـد أسس البنيان منى على * تقوى من الله وأرضى الاله
فصرت كالكعبة من أجـله * تسعى الى نحوى الحفاة العراه
فساعى نحوى أخو شـدّة * الا ومن ربى لاقى رضـاه
فالاسم منى فى الهجا معـرب * وانما للمدح قصـدا بنـاه
خص بخفض العيش من أمنى * ورفعـه يبقى بقصـد النحاه
قاض قضى بالحـق لكنـه * جار عـلى ماملكته يداه
فما اشتكى الفقر اليـه امرؤ * الا ونادى المال كن فى رضاه

(وأنشدنى لنفسه) فسح الله فى أجله فى منزل القاضى (فتح الدين بن الشهيد)

يامنزلا بالبهاء والحسـن ناظرمن * طرز الملوك طرازى لست من طرزى
والناس دون محل الغير تقصدنى * من القبول لان السر فى حرزى

(ومن المبانى العظيمة المذكورة فى القرآن العظيم ارم ذات العماد) قال أصحاب الآثار ورواة الاخبار لما سمع شدّاد بن عاد بن أرم وصف الجنة سولت له نفسه أن يبنى مثلها فبنى مدينة بين حضرموت وصنعاء طولها اثنى عشر فرسخا وعرضها مثل ذلك وأحاط بها سورا ارتفاعه خمسمائة ذراع وغشى خارجها فضة مموهة بالذهب وبنى داخلها مائة مائة ألف قصر بعدد رؤساء أهل مملكته بلبن الذهب والفضة وكذلك جذوع سقوفها وأساطينها وأجرى فى وسطها نهرا

صفح أرضه بالذهب وجعل على حافتيه أنواع الجواهر واليواقيت بدلا من الحصباء وألقى فيه المسك والعنبر عوضا عن الحمأة وفرع منه جداول الى تلك القصور والمنازل وغرس على شطوطها من الاشجار ما كان لزهره عرف ورائحته ذكية وزعموا أنه أقام في بنائها ثلاثمائة سنة فلما تم بناؤها زاد في طغيانه ولم يعبأ بربه فبعث الله هودا عليه السلام يدعوه الى الله تعالى ويحذره سطوته ويخوفه نقمته فلم يجبه الى مادعاه اليه وخرج من حضرموت الى ذات العماد ليبلغ نفسه مناها بسكناها فلما أشرف عليها جاءته صيحة من السماء فأهلكته وجنوده وأفاتته أمله ومقصوده (ويروى) أن عبد الله بن قلابة خرج في طلب ابل ندت له فوقع عليها فحمل ماقدر عليه مما ثم فبلغ خبره معاوية فاستحضره فقص عليه خبره فبعث الى كعب فقال هي ارم ذات العماد وسيدخلها رجل من المسلمين في زمانك أحمر أشقر قصير على حاجبه خال وفي عنقه خال يخرج في طلب ابل ندت له ثم التفت فرأى ابن قلابة فقال هذا والله ذلك الرجل وزعم الاخباريون أنه كان بها أربعمائة ألف وأربعون ألف عمود ولهذا سميت ذات العماد (ومن المباني العظيمة سد ذي القرنين) الذي بناه على يأجوج ومأجوج وصفته على ماحكاه ابن خرداذبه أن مكانه جبل أملس مقطوع بواد عرضه مائة وخمسون ذراعا وفي جانبي الوادي عضادتان مبنيان عرض كل عضادة خمسة وعشرون ذراعا كل ذلك مبني بلبن الحديد مغيب في نحاس في سمك خمسين ذراعا وعلى العضادتين دروند حديد طرفاه في العضادتين طوله مائة وعشرون ذراعا وفوق الدروند بناء بتلك اللبن الحديد المغيبة في النحاس الى رأس الجبل وارتفاعه مد البصر وفوق ذلك شرافات من حديد في طرف كل شرافة قرنان ينثني كل واحد منهما الى صاحبه وبين العضادتين باب من حديد بمصراعين وبين كل مصراع خمسون ذراعا في خمسة أذرع وعلى الباب قفل طوله سبعة أذرع في غلظ باع في الاستدارة وارتفاع القفل من الارض خمسة وعشرون ذراعا وعتبة الباب عشرة أذرع ببسط مائة ذراع سوى ما كان تحت العضادتين ويقال ان آلة البناء التي بني بها هذا السد موجودة يحصون بناها ذو القرنين ورتب فيها حراسا يحرسون هذا السد وهي مغارف وبقية لبن كل ذلك من حديد وان كل لبنة ذراع ونصف في مثل ذلك في سمك شبر قد ألصق الصداء بعضها

ببعض (ومن المبانى المشهورة قصر غمدان وكان بصنعاء) قال الجاحظ أحبت العرب أن تشارك الفرس فى البناء وتنفرد بالشعر فبنوا غمدان وكعبة نجران وحصن مارد والابلق ويزعم بعض الاخبار بين ان بانيه حام بن نوح ويزعم آخرون أن بيوراسف بناه على اسم الزهرة (وذكر ابن هشام) ان الذى أسسه قحطان بن يعرب وأكمله بعده وأصله وائل بن حمير بن سبأ بن يعرب وخربه عثمان بن عفان رضى الله عنه وكانت صفته على مانقلته من الكتب المدونة فى العجائب مربعا أحد أركانه مبنى بالرخام الابيض والثانى بالرخام الاصفر والثالث بالرخام الاخضر والرابع بالرخام الاحمر فيه سبع سقوف طباقا ما بين السقف والآخر خمسون ذراعا وجعل على كل ركن تمثال أسد من النحاس اذا هبت الريح دخلت من دبره وخرجت من فيه فيسمع له صوت كزئير الاسد وقال ابن الكلبى كان على ركن من أركان غمدان مكتوب بالحميرية اسلم غمدان معاديك مقتول بسيف العدوان وذكر الجاحظ فى كتاب الامصار أن قصر غمدان كان أربعة عشر غرفة بعضها فوق بعض ويروى أن عمر بن الخطاب رضى الله عنه قال لا يستقيم أمر العرب مادام فيها غمدانها وهذا القول الذى حض عثمان على هدمه وأثره باق على تل عال مطل على البلد قريب الجامع (ومن المبانى) التى تبلى الزمان ولا تبلى وتندرس معالمه وأخبارها لا تندرس ولا تبلى الاهرام التى بأعمال مصر وهى أهرام كثيرة أعظمها الهرمان اللذان بجزيرة مصر غربى النيل يقال ان بانيهما شوندير بن سهلوب بن شرناق قبل الطوفان ويقال ان هرمس المثلث بالحكمة وهو الذى تسميه العبرانيون أخنخ وهو ادريس عليه السلام استدل من أحوال الكواكب على كون الطوفان فأمر ببناء الاهرام وايداعها الاموال وصحائف العلوم ومايخاف عليه من الذهاب والدثور وكل هرم منها مربع القاعدة مخروط الشكل ارتفاع عموده سبعة عشر ذراعا يحيط به أربع سطوح متساويات الاضلاع كل ضلع منها أربعمائة ذراع وستون ذراعا ويرتفع الى أن يكون سطحه ستة أذرع فى مثلها ويقال انه كان على أعلاه حجر شبه المكبة فرمته الرياح العواصف وهو مع هذا العظم من الصنعة واتقان الهندام وحسن التقدير بحيث لم يتأثر الى الآن بعصف الرياح وهطل السحاب وزعزعة الزلازل وهذا البناء ليس بين حجارته

ملاط ولا يتخلل بينهما الشعر وطول الحجر منه خمسة أذرع في سمك ذراعين
ويقال ان بانيها جعل لها أبوابا على ازاج مبنية بالحجارة في الارض طول كل أزج
عشرون ذراعا كل باب من حجر واحد يدور بلولب اذا طبق لم يعلم انه باب
والازج الشرقي في ناحية الجنوب والازج الغربي في ناحية المغرب يدخل من
كل باب منها الى سبعة بيوت كل بيت منها على اسم كوكب من الكواكب
السبعة وكلها مقفلة بأقفال وحذاء كل بيت صنم من ذهب مجوف احدى يديه
على فيه وفي جبهته كتابة بالقلم المسند اذا قرئت انفتح فوه فيوجد فيه مفتاح ذلك
القفل فيفتح به والقبط تزعم أنها والهرم الصغير الملون قبور فالهرم الشرقي
فيه سوريد الملك والهرم الغربي فيه أخوه هرجيب والهرم الملون قبر اب
ابن هرمس واليه ينسبون على قول من زعم ذلك وهم يحجون اليها ويذبحون
عندها الديكة ويزعمون أنهم يعرفون عند اضطرابها عند الذبح ما يريدون من
الامور الغيبية ولم تزل هم الملوك قاصرة [illegible]
ولي المأمون وورد مصر أمر بفتح واحد منها [illegible]
المعينة له على تحصيل غرضه الى ان فتح [illegible]
وهو زلاقة ضيقة من الحجارة [illegible]
ملتصقين في الحائط [illegible]
القعر ويقال ان أسفل البئر ابوابا يدخل منه الى مواضع [illegible]
وعجائب وانتهى بهم الطريق الى موضع مربع [illegible]
مغطى فلما أزيل عنه غطاؤه لم يوجد فيه الا رمة بالية [illegible]
الخالية فأمر المأمون بالكف عما سواه [illegible] الاهرام
فقال كل بناء أخاف عليه من الدهر الا هذا البناء [illegible]
(ومما قيل فيه من الشعر) [illegible]

خليلي ما تحت السماء أبنية [illegible]
بناء يخاف الدهر منه وكلما [illegible]

وبالقرب من الاهرام صنم على صورة [illegible]
ويقال ان [illegible]
الثلاث [illegible]

الطين الابليز (ومن العجائب منارة اسكندرية) وهي مبنية بحجارة مهندسة مضببة بالرصاص على قناطر من زجاج والقناطر على ظهر سرطان من نحاس فيها نحو من ثلثمائة بيت تصعد الدابة بحملها الى سائر البيوت من داخلها والبيوت طاقات ينظر منها الى البحر وبين أهل التاريخ خلاف فيمن بناها فزعم قوم أنها من بناء الاسكندر بن فيلبس المقدونى وزعم آخرون أنها من بناء دلوكة ملكة مصر ويقال انه كان على جانبه الشرقى كتابة وأنها نقلت فوجدت بنت هذه المنظرة قرثباء بنت مرسوس اليونانية لترصد الكواكب ويقال ان طولها كان ألف ذراع وفى أعلاها تماثيل من نحاس منها تمثال قد أشار بسبابته اليمنى نحو الشمس أينما كانت من الفلك يدور معها حيثما دارت ومنها تمثال وجهه الى البحر متى صار العدو منهم على نحو من ليلة سمع له صوت هائل تعلم به أهل المدينة طروق العدو ومنها تمثال كلما مضى من الليل ساعة صوت صوتا مطربا ويقال انه كان أعلاها مرآة يرى منها قسطنطينية وبينهما عرض البحر وكلما جهز الروم جيشا رؤى فيها (وحكى المسعودى) ان هذه المنارة كانت فى وسط الاسكندرية وانها تعد من بنيان العالم العجيب بناها بعض البطالسة من ملوك اليونان بعد الاسكندر لما كان بينهم وبين الروم من الحروب فى البر والبحر فجعلوا هذه المنارة مرقبا وجعلوا فى أعلاها مرآة من الاحجار المشفة تكشف بها مراكب العدو اذا أقبلت من رومية على مسافة تعجز الابصار عن ادراكها فكانوا يحتالون فى مثل ذلك فى الوليد بن عبد الملك بأن أنفذ أحد خواصه ومعه جماعة الى بعض ثغور الشام على أنه راغب فى الاسلام وأخرج كنوزا ودفائن كانت فى الشام ما حمله على أن صدقه أن تحت المنارة أموالا وأسلحة دفنها الاسكندر فجهز معه جماعة الى الاسكندرية فهدم ثلث المنارة وأزال المرآة ثم فطن الناس انها مكيدة منه واستشعر ذلك فهرب فى مركب كانت له معدة ثم بنى ما هدم بالجص والآجر ثم قال المسعودى وطول هذه المنارة اليوم فى هذا الوقت الذى وضع فيه هذا الكتاب وهو سنة ثلاث وثلاثين وثلثمائة ثلاثون ومائتا ذراع وكان طولها قديما نحو من أربعمائة ذراع وبناؤها فى عصرنا ثلاثة أشكال فقريب من الثلث مربع مبنى بحجارة بيض ثم بعد ذلك مثمن الشكل مبنى بالآجر والجص نحو نيف وستين

ذراعا وأعلاها مدوّر الشكل وكان أحمد بن طولون قد بنى فى أعلاها قبة من الخشب ثم هدمت وبنى مكانها مسجدا فى أيام الملك الكامل صاحب مصر ثم ان وجهها البحرى تداعى وكاد أن ينقض فرمم وأصلح وكذلك الرصيف وذلك فى أيام الملك الظاهر بيبرس رحمه الله (قلت) ذكرت هنا ما أنشدنيه من لفظه لنفسه ومن خطه نقلت المرحوم الوزير فخر الدين بن مكانس فى صاحبه الشيخ سراج الدين القوصى السكندرى يداعبه

يا ذا السراج اشترى ابرى فأنت به * أولى وذلك للأمر الذى وجبا
سكندرى وتدعى بالسراج وذا * مثل المنار اذا ما قام منتصبا

(وأنشدنى) من لفظه لنفسه سيدنا ومولانا المقر الجدى فضل الله ولد المرحوم المشار اليه أوّلا أدام الله نعمته محاجيا وكتب بها الى سيدنا ومولانا أوحد المتكلمين نادرة الدهر المقر الاشرف الامينى كاتب الاسرار الشريفة بدمشق المحروسة أسبغ الله ظلاله

يا من سمى قدره نحو النجوم علا * فأوقع الضد قسرا فى مهالكه
ما بلدة ان تحاجى فى اسمها فطنا * مصحفا قلت يشكو مكر مالكه

(فكتب) اليه الجواب الجناب المشار اليه

أحجية بديعة أن صحفوا * خمسة أجزاء لها على قدر
وعكسوا بابا فيها وقدموا * فانما هى طفلة كقمر

(قلت) هذه الطريقة غريبة جدّا ووجه الحل فيها أن يأتى بالمرادف ثم يصحفه فيكون المقصود ومثاله فى قول المقر الجدى يشكو مكر مالكه فان مرادف يشكو يبث ومرادف مكر كيد ومرادف مالكه ربه فيصير مجموع ذلك يبث كيد ربه فاذا صحفت هذه الكلمات تجدها اسكندرية وهى البلدة المعمى بها فافهمه وأما الثانية فقوله فانما هى طفلة كقمر فالمراد أنّ مرادف طفلة بنت ومرادف كقمر كبدر فيحصل من ذلك بنت كبدر ثم تضيف الى ذلك معكوس هى وهو يه فاذا صحفت ذلك جميعه وجدته سكندريه وهذا من المعمى الغريب ولم يحلها أحد من متأدبى دمشق والقاهرة غير سيدنا ومولانا أقضى القضاة بدر الدين المخزومى المالكى الشهير بابن الدماميني أعز الله أحكامه وذلك بتاريخ سنة ست وتسعين وسبعمائة وأنا بالقاهرة المحروسة (رجعنا) الى ما كنا بصدده ومما قيل فى المنارة

من الشعر قول الوجيه الدروى

وشامية الارجاء تهدى أخا السرى * ضياء اذا ما حندس الليل أظلما
لبست بها بردا من الأنس صافيا * فكان بتذكار الاحبة معلما
وقد طلبتنى من ذراها بقية * ألاحظ فيها من صحابى أنجما
تخيلت أن البحر تحت غمامة * وانى قد خيمت فى كبد السما

(وللقاضى الفاضل) لوصفه لبناء بيت المقدس من الرخام الذى يطرد ماؤه ولا ينطرد لألاؤه قد لطف الحديد فى تجريده وتفنن فى توسيعه الى أن صار الحديد الذى فيه بأس شديد كالذهب الذى فيه نعيم عتيد فما ترى الا مقاعد كالرياض لها من بياض الترخيم رقراق وعمد كالاشجار لها من النبت أوراق (وقال أبو عبادة البحترى) يصف قصرا بناه المتوكل بسر من رأى وسماه الكامل

غرف من مياذن فيه دنيا * يوجب الله فيه أجر الامام
شوقنا الى الجنان فزدنا * فى اجتناب الذنوب والآثام

(وله) يصف قصرا آخر بناه المتوكل وسماه الجعفرى

قد تم حسن الجعفرى ولم يكن * ليتم الا بالخليفة جعفر
ملك تبوأ خير دار أسست * فى خير بدو للامام ومحضر
فى خير مشرفة حصاها لؤلؤ * مبيضة والليل ليس بمقمر
رفعت بمخترق الرياح وجاوزت * ظل الغمام الصيب المستعبر

وهذان القصران من جملة قصور بناها المتوكل وهى بركوانا والعروس والبركة والجوسق والمختار والغريب والبديع والصبيح والمليح والقصر والبرج والمتوكلية والقلايا (حكى المؤرخون) أنه أنفق فى بنائها مائتى ألف ألف وأربعة وسبعين ألف ألف درهم ومنها ذهب بصرف الوقت مع ما فيه من العين ثلاثة عشر ألف ألف وخمسمائة ألف وخمسة وعشرون ألف دينار وكان البرج من أحسنها وكانت فيه صور عظيمة من الذهب والفضة وبركة عظيمة غشى ظاهرها وباطنها بصفائح الفضة وجعل عليها شجرة ذهب فيها كل طائر يصوت ويصفر سماه طوبى بلغت النفقة على هذا القصر ألف ألف وستمائة ألف دينار (ومن المبانى العظيمة) جامع دمشق ذكر الشيخ عماد الدين بن

كثير في تاريخه البداية والنهاية وفي سنة ست وتسعين من الهجرة تكامل بناء الجامع الاموي بدمشق المحروسة على يد بانيه أمير المؤمنين الوليد بن عبد الملك بن مروان جزاه الله عن المسلمين خيرا وكان أصل موضع الجامع قديما معبدا بنته اليونان والكلدانيون الذين كانوا يعمرون دمشق وهم وضعوها أول ما بنيت وقد كانوا يعبدون الكواكب السبعة المتحيرة وكانت أبواب دمشق سبعة وهي القمر الذي في سماء الدنيا وعطارد في السماء الثانية والزهرة في الثالثة والشمس في الرابعة والمريخ في الخامسة والمشتري في السادسة وزحل في السابعة وكانوا قد صوّروا على كل باب من أبواب دمشق هيكلا لكوكب من هذه الكواكب السبعة وكانت أبواب دمشق سبعة وضعوها قصدا لذلك وكان لهم عند كل باب عيد في السنة وهؤلاء هم الذين وضعوا الارصاد وتكلموا على حركات الكواكب واتصالاتها ومقارناتها وبنوا دمشق واختاروا لها هذه البقعة الى جانب الماء الوارد بين هذين الجبلين وصرفوه انهارا تجري الى الاماكن المرتفعة والمنخفضة وسلكوا الماء الى أبنية الدور وبنوا هذا المعبد وكانوا يصلون الى القطب الشمالي فكانت محاريبه تجاه الشمال وبابه يفتح الى جهة القبلة خلف المحراب اليوم كما شاهدنا ذلك عيانا وهو باب حسن من [illegible] [illegible] وكان غربي المعبد قصر منيف جدا [illegible] قصر جيرون داران [illegible] [illegible] دور عظيمة [illegible] تكون مكان الخضراء التي [illegible] كتب بعض الاوائل انهم مكثوا [illegible] هذه الاماكن عشرة [illegible] وقد حفروا أساس [illegible] الكواكب [illegible] (قال كعب الاحبار) وان هذه الدار [illegible] والسلطنة قال الشيخ أما المعبد [illegible] ولا [illegible] حتى تقوم الساعة والمقصود ان اليونان [illegible] التي ذكرناها [illegible] [illegible]

بنى جدران هذا الجامع الاربعة هود عليه السلام وقد كان هود قبل ابراهيم الخليل بمدة طويلة وقد ورد ابراهيم عليه السلام شمالي دمشق عند برزة وقاتل قوما من أعدائه فظفر بهم وكان مقامه لمقاتلتهم عند برزة وهذا المكان المنسوب اليه بها منصوص عليه في الكتب المتقدمة وكانت دمشق اذ ذاك عامرة آهلة بمن فيها من اليونان وهم خصماء الخليل وقد ناظرهم الخليل في غير موضع في عبادتهم الكواكب كما قررنا ذلك في التفسير وفي قصة ابراهيم الخليل عليه السلام والمقصود ان اليونان لم يزالوا يعمرون دمشق ويبنون فيها وفي معاملاتها من حوران وغيرها البنايات الغريبة العجيبة حتى كان بعد المسيح عليه السلام بمدة نحو من ثلثمائة سنة فتنصر أهل الشام على يد قسطنطين بن قسطنطين الذي بنى المدينة المشهورة في بلاد الروم وهو الذي وضع لهم القوانين [illegible] النصارى [illegible] دينا مخترعا مركبا من أصل دين النصرانية ممزوجا بشيء من عبادة الاوثان وصلوا الى المشرق وزادوا في الصيام وأحلوا الخنزير وعلموا أولادهم الامانة الكبيرة فيما يزعمون وانما هي في الحقيقة خيانة كبيرة وقد تكلمنا على ذلك فيما سلف وبيناه [illegible] لهم هذا الملك الذي تنسب اليه الطائفة الملكية منهم كنائس كثيرة بدمشق وغيرها حتى يقال انه بني في زمانه اثنى عشر ألف كنيسة من ذلك كنيسة بيت لحم ومن ذلك قمامة بنتها أمه هيلانة الفندقانية والمقصود أنه [illegible] الذي [illegible] بدمشق معظما عند اليونان فجعلوه كنيسة [illegible] يحيى [illegible] كنيسة مريحنا ومنهم من يقول كنيسة يوحنا وبنوا بدمشق كنائس كثيرة غيرها مستأنفة واستمروا النصارى على دينهم بدمشق وغيرها نحوا من ثلثمائة سنة حتى بعث الله محمدا صلى الله عليه وسلم فكان من شأنه ما تقدم ذكرنا له في كتاب السيرة وقد بعث صلوات الله عليه الى ملك الروم في زمانه وهو قيصر ذلك الوقت واسمه هرقل يدعوه الى الله عز وجل فكان من مراجعته ومخاطبته لأبي سفيان صخر ابن حرب ما تقدم [illegible] ثم بعث [illegible] أمراءه الثلاثة زيد بن حارثة وجعفر بن أبي طالب [illegible] الروم جيشا كثيرا [illegible] والسلام على قتال [illegible] الروم [illegible]

وضعف الحال وضيقه على الناس ثم لما توفى صلى الله عليه وسلم بعث الصدّيق الجيوش قبل الشام والى العراق كما تقدم فى كتابنا هذا ولله الحمد والمنة ففتح الله على المسلمين الشام بكمالها ومن ذلك مدينة دمشق بأعمالها * كتب أمير الجيوش اذذاك وهو أبو عبيدة وقيل خالد بن الوليد لهم كتاب أمان وأقروا أيدى النصارى على أربع عشرة كنيسة كما ذكرنا وأخذوا منهم نصف هذه الكنيسة التى كانوا يسمونها كنيسة مرتحنا بحكم ان البلد فتحه خالد من الباب الشرقى بالسيف وأخذت النصارى الامان من أبو عبيدة وهو على باب الجابية بالصلح فاختلفوا ثم اتفقوا على أن جعلوا نصف المسجد صلحا ونصفه الآخر عنوة فأخذوا نصف هذه الكنيسة الشرقى فجعله أبو عبيدة مسجدا وكان قد صارت له امرة الشام فكان أول من صلى فى هذا المسجد أبو عبيدة رضى الله عنه ثم الصحابة بعده فى البقعة التى يقال لها محراب الصحابة ولكن لم يكن الجدار مفتوقا بمحراب محنى وانما كانوا يصلون عند هذه البقعة المباركة والظاهر ان الوليد هو الذى فتق المحاريب فى الجدار القبلى وكان المسلمون والنصارى يدخلون من باب واحد وهو باب المعبد الاصلى الذى كان من جهة القبلة مكان المحراب الكبير اليوم فتنصرف النصارى الى جهة المغرب الى كنيستهم ويأخذون المسلمون يمنة الى مسجدهم ولا يستطيع النصارى ان يجهروا بقراءة كتابهم ولا يضربوا بناقوسهم اجلالا للصحابة ومهابة وخوفا وقد بنى معاوية رضى الله عنه فى أيامه على الشام دارا للامارة قبلى المسجد الذى كان للصحابة وبنى فيها قبة خضراء فعرفت الدار بكمالها بها فسكنها معاوية أربعين سنة كما قدمنا ثم لم يزل الامر كما ذكرنا من سنة أربع عشرة الى سنة ست وثمانين فى ذى القعدة منها وقد صارت الخلافة الى الوليد بن عبد الملك فى شوال منها فعزم على أخذ بقية الكنيسة واضافتها الى ما بأيدى المسلمين منها وجعل الجميع مسجدا واحدا وذلك لتأذى بعض المسلمين بسماع قراءة النصارى الانجيل ورفع أصواتهم فى صلواتهم فأحب ان يبعدهم عن المسلمين وضيف ذلك المكان الى هذا المسجد الجامع فطلب النصارى وسأل منهم ان يخرجوا له عن هذا المكان ويعوضهم منه اقطاعات كثيرة عرضها عليهم وان يقرّ لهم أربع كنائس لم تدخل فى العهدة وهى كنيسة مريم وكنيسة المصلبة داخل باب شرقى وكنيسة تل الحجن وكنيسة

حميد بن درة التي بدرب الصيقل فأبوا ذلك أشد الاباء فقال ائتونا بعهدكم الذي بأيديكم فأتوا بعهدهم الذي بأيديهم في زمن الصحابة فقرئ بحضرة الوليد فاذا كنيسة توما التي خارج باب توما عند النهر لم تدخل في العهدة وكانت فيما يقال أكبر من كنيسة مريحنا فقال أنا أهدمها وأجعلها مسجدا فقالوا بل يتركها أمير المؤمنين وما ذكر من الكنائس ونحن نرضى بأخذ بقية هذه الكنيسة فأقرهم على تلك الكنائس وأخذ منهم بقية هذه الكنيسة ويقال غير ذلك والله أعلم ثم أمر أمير المؤمنين باحضار الآلات للهدم واجتمع اليه الامراء والكبراء من رؤس الناس وجاءت أساقفة النصارى وقساقسهم فقالوا ياأمير المؤمنين انا نجد في كتبنا أن من يهدم هذه الكنيسة يجن فقال أنا أحب أن أجن في الله والله لا يهدم فيها أحد قبلي ثم صعد المنارة الشرقية ذات الاضالع المعروفة بالساعات وكانت صومعة فاذا فيها راهب فأمره بالنزول منها فأكبر الراهب ذلك قال فأخذ الوليد بقفاه ولم يزل يدفعه حتى أحدره منها ثم صعد الوليد على أعلا مكان في الكنيسة فوق المذبح الاكبر منها الشاهد وأخذ أذيال قبائه وكان لونه أصفر سفرجليا فغرزها في المنطقة ثم أخذ فأسا في يده فضرب في أعلاه حجرا فألقاه وتبادر الامراء الى الهدم وكبر المسلمون ثلاث تكبيرات وصرخت النصارى بالعويل على درج جيرون وقد اجتمعوا هنالك فأمر الوليد أمير الشرطة وهو أبو نائل رباح الغساني أن يضربهم حتى يذهبوا من هنالك ففعل ذلك وأمر نائبه على الخراج يزيد بن تميم بن حجر السلمي باحضار اليهود ليساعدوا في هدم الكنيسة فجاؤا فكانوا كالفعلة ذكره الحافظ بن عساكر في ترجمة يزيد بن تميم هذا فهدم المسلمون واليهود والوليد جميع ما جددته النصارى في تربيع هذا المكان من المذابح والابنية والحنايا حتى بقي صرحة مربعة ثم شرع في بنائه بفكرة جيدة على الصفة الحسنة الانيقة التي لم يشتهر مثلها قبلها على مانذكره ونشير اليه وقد استعمل الوليد في بناء هذا المسجد خلقا كثيرا من الصناع والمهندسين والفعلة وكان المستحث على عمارته أخوه بعده وولي عهده من بعده سليمان بن عبد الملك ويقال ان الوليد بعث الى ملك الروم يطلب منه صناعا في الرخام وغير ذلك ليعمروا هذا المسجد على مايريد وأرسل يتوعده لئن لم يفعل ليغزون بلاده بالجيوش وليخربن كل كنيسة في بلاده حتى كنيسة

القدس وكنيسة الرها وسائر آثار الروم فبعث الملك صناعا كثيرة جـدا وكتب اليه يقول له ان كان أبوه فهم هـذا الذى تصنعه وتتركه فانه لوصمة عليك وان لم يكن فهـمه وفهمته أنت فانه لوصمة عليك فلما وصـل ذلك الى الوليـد أراد أن يجيب عن ذلك واجتمع الناس عنـده وكان فيهـم الفرزدق الشاعر فقال أنا أجيبه يا أمير المؤمنين من كتاب الله قال وماهو وبحك قال قوله تعالى ففهمناها سليمان وكلا آتينا حكما وعلما فأعجب ذلك الوليـد فأرسـل به جوابا لملك الروم ولما أراد الوليد بناء القبة التى فى وسط الرواقات عن يمينها وشمـالها كالاجنحة لها حفروا لاركانها حتى وصلوا الى الماء وشربوا منه عذبا زلالا ثم انهم وضعوا فيـه جوار الكرم وبنوا فوقـه بالحجارة فلما ارتفعت الاركان بنوا عليها القبـة فسقطت فقال الوليد لبعض المهندسين آمرك أن تبنى لى هذه القبة فقال على ان تعطينى عهد الله وميثاقه أن لا يبنيها أحد غيرى ففعل فبنى الاركان ثم غلفها بالبوارى وغاب سـنة كاملة لا يدرى الوليـد أين ذهب فلما كان بعد السـنة حضر فهم الوليد به فأخذه ومعه رؤس الناس فكشف البوارى عن الاركان فاذا هى قد هبطت بعـد ارتفاعها حتى ساوت الارض فقال له من هـذا أتيت ثم بناها فانعقدت وقال بعضهم أراد الوليـد ان يجعل بيضة القبـة من ذهب خالص ليعظم بذلك شأن المسجد فقال له المعمار انك لا تقدر على ذلك فضربه خمسـين صوتا وقال ويلك أنا أعجز عن ذلك قال نعم قال فبينا ذلك فأمر فأحضر من الذهب ماسـبك منـه لبنة فاذا هى قد دخلها ألوف من الذهب فقال يا أمير المؤمنين أنا أريد من هذا كذا وكذا ألف لبنـة فان كان عندك ما يكفى ذلك عملناه فلما تحقق الوليد صحة قوله أطلق له خمسين دينارا ولما سقف الوليد الجامع جعل لسقفه جلونات وباطنها مسطح مقرنص بالذهب فقال له بعض أهله أتعبت الناس بعدك فى تطيين هذا المسجد كل عام فأمر الوليد أن يجمع ما فى بلاده من الرصاص ليجعل عوض الطين ويكون أخف على السقف فجمع من كل ناحيـة من الشام وغيره من الاقاليم فعازوا فاذا عند امرأة منه قناطير مقنطرة فساوموها فيه فأبت ان تبيعه الا بوزنه فضة فكتبوا الى أمير المؤمنين بذلك فقال اشتروه منها ولو بزنته فلما بذلوا لها ذلك قالت أما اذ قلتم ذلك فهو صدقة لله تعالى يكون فى سقف هـذا المسجد فكتبوا على ألواحها بطابع لله ويقال انها كانت

اسرائيلية وانه كتب على الالواح التى أخذت منها الذى أعطتهم الاسرائيلية وقال محمد بن عائذ سمعت المشايخ يقولون ماتم المسجد بدمشق الا بأداء الامانة لقد كان يفضل عند الرجل من القرمة يعنون العملة الفلس ورأس المسمار فيجىء حتى يضعه فى الخزانة وقال بعض المشايخ بدمشق ليس بالجامع من الرخام شئ الا الرخامتان اللتان فى المقام من عرش بلقيس والباقى مرمر وقال بعضهم اشترى الوليد بن عبد الملك أمير المؤمنين العامودين الاخضرين اللذين تحت النسر من حرب بن خالد بن معاوية بألف وخمسمائة دينار وقال دحيم عن الوليد ابن مسلم حدثنا مروان بن جناح عن أبيه قال كان فى مسجد دمشق اثنا عشر ألف مرخم وقال أبو قصى عن دحيم عن الوليد بن مسلم عن عمرو بن مهاجر الانصارى أنهم حسبوا ما أنفق على الكرمة التى فى قبلة المسجد فاذا هو سبعون ألف دينار وقال أبو قصى أنفق فى مسجد دمشق أربعمائة صندوق فى كل صندوق أربعة عشر ألف دينار قلت وذلك خمسة آلاف ألف دينار وستمائة ألف دينار وفى رواية فى كل صندوق ثمانية وعشرون ألف دينار (قلت) فعلى هذا يكون المصروف فى عمارة الجامع الاموى أحد عشر ألف ألف دينار ومائتى ألف دينار والله أعلم قال أبو قصى وأتى الحرس الى الوليد بن عبد الملك فقالوا يا أمير المؤمنين ان الناس يقولون أنفق الوليد أموال بيت المال فى غير حقها فنودى فى الناس الصلاة جامعة فصعد المنبر وقال انه بلغنى عنكم كذا وكذا ثم قال يا عمرو بن مهاجر قم فأحضر أموال بيت المال فحملت على البغال وبسطت على الانطاع تحت القبة وفرغ عليها المال ذهبا وفضة حتى كان الرجل لا يرى الآخر من الجانب الآخر وجىء بالقبانيين وقبنت فاذا هى تكفى الناس ثلاث سنين مستقبلة وفى رواية ستة عشر سنة مستقبلة لو لم يدخل للناس فيه شئ بالكلية ففرح الناس وكبروا وحمدوا الله عز وجل على ذلك ثم قال الخليفة يا أهل دمشق انكم تفتخرون على الناس بأربع بهوائكم ومائكم وفاكهتكم وحماماتكم فأحببت ان أزيدكم خامسة وهى هذا الجامع فحمدوا الله وانصرفوا شاكرين وذكروا أن أرضه كانت مفصصة كلها والرخام فى جدرانه الى قامات وفوق ذلك كرمة عظيمة من ذهب وفوقها الفصوص المذهبة والخضر والحمر والزرق والبيض قد صوروا بها

منابر البلدان المشهورة الكعبة فوق المحراب وسائر الاقاليم يمنة ويسرة وماق البلدان من الاشجار الحسنة المثمرة والمزهرة وغير ذلك وسقفه مقرنص بالذهب والسلاسل المعلقة فيه من ذهب وفضة وأنوار الشمع في أماكنه متفرقة قالوا وكان في محراب الصحابة منه حجر من بلور ويقال حجر من جوهر وهي الدرة وكانت تسمى القليلة وكان اذا طفئت القناديل تضيء لمن هنالك بنورها فلما كان زمن الامين بن الرشيد وكان يحب البلور بعث الى سليمان والى شرطة دمشق ان يبعث بها اليه فسرقها وسيرها الى الامين فلما ولي المأمون أرسل بها الى دمشق ليشنع بذلك على الامين قال الحافظ بن عساكر ثم ذهبت بعد ذلك فجعل مكانها برنية من زجاج وقد رأيت تلك البرنية ثم انكسرت بعد ذلك فلم يجعل مكانها شيء وكانت الابواب الشارعة من الداخل الى الصحن ليس عليها أغلاق وانما عليها الستور مرخاة وكذلك الستور على سائر جدرانه الى حد الكرمة التي فوقها الفصوص المذهبة ورؤس الاعمدة مطلية بالذهب الكثير وعملوا له شرافات تحيط به وبنى الوليد المنارة الشمالية فيه التي يقال لها مأذنة العروس فأما الشرقية والغربية فكانتا قبل ذلك بدهور متطاولة وقد كان في كل ٢
زاوية من هذا المعبد صومعة شاهقة جدا بنتها اليونان للرصد فسقطت وبقيت القبليتان الى الآن وقد احترق بعض الشرقية بعد الاربعين وسبعمائة ونقضت وجددت بناؤها من أموال النصارى حيث اتهموا بحريقها فقامت على أحسن الاشكال بيضاء بذاتها والله أعلم الشرقية التي ينزل عليها عيسى بن مريم في آخر الزمان بعد خروج الدجال كما ثبت في صحيح مسلم عن النواس بن سمعان والمقصود أن الجامع الاموى لما كمل بناؤه لم يكن على وجه الارض أحسن بناء منه ولا أبهى ولا أجل منه بحيث اذا نظر الناظر في أي جهة منه او الى بقعة أو الى مكان منه تحير فيما ينظر اليه لحسنه جميعه وكانت فيه طلسمات من أيام اليونان فلا يدخل هذه البقعة شيء من الحشرات بالكلية لا من الحيات ولا من العقارب ولا الخنافس ولا العناكب ويقال ولا العصافير أيضا تعشش فيه ولا الحمام ولا شيء مما يأذى به الناس واكثر هذه الطلسمات أو كلها كانت مودعة في سقف الجامع مما يلي السبع فاحترقت لما وقع فيه الحريق وكان ذلك ليلة النصف من شعبان بعد العصر من سنة احدى وستين

وأربعمائة ومازال سليمان بن عبد الملك فى تكميله وزيادته مدة ولايته وجددت له فيه المقصورة رحمه الله فلما ولى عمر بن عبد العزيز عزم على أن يجرد مافيه من الذهب ويقلع السلاسل والرخام والسقوف ويرد ذلك كله الى بيت المال ويطين ذلك كله فشق ذلك على أهل البلد واجتمع أشرافهم اليه وقال خالد بن عبد الله القشيرى أنا أكلمه لكم فلما اجتمعوا قال خالد يا أمير المؤمنين بلغنا أنك تريد أنك تصنع كذا وكذا قال نعم قال خالد ليس ذلك لك يا أمير المؤمنين قال ولم يا ابن الكافرة وكانت أمه نصرانية رومية فقال يا أمير المؤمنين ان كانت كافرة فقد ولدت رجلا مؤمنا قال صدقت واستحيى عمر قال فلم قلت ذلك قال يا أمير المؤمنين لان غالب مافيه من الرخام انما حمله المسلمون من أموالهم من سائر الاقاليم وليس هو من بيت المال فأطرق عمر رحمه الله قالوا واتفق فى ذلك الزمان قدوم جماعة من الروم رسلا من عند ملكهم فلما دخلوا من باب البريد وانتهوا الى الباب الكبير الذى تحت النسر فلما رأوا ذلك النور الباهر والزخرفة التى لم يسمع بمثلها صعق كبيرهم مغشيا عليه فحملوه الى منزلهم فبقى أياما مدنفا فلما تماثل سألوه عما عرض له فقال ما كنت أظن ان تبنى المسلمون مثل هذا البناء وكنت أعتقد ان مدتهم تكون أقصر من هذا فلما بلغ ذلك عمر بن عبد العزيز قال وان هذا ليغيظ الكفار دعوه والمقصود أن الجامع الاموى كان حين تكامل بناؤه ليس له فى الدنيا نظير فى حسنه وبهجته قال الفرزدق أهل دمشق فى بلدهم قصر من قصور الجنة يعنى به الجامع الاموى وقال أحمد بن أبى الحوارى عن الوليد بن أبى مسلم عن أبى ثوبان ما ينبغى أن يكون أحد أشد تشوقا الى الجنة من أهل دمشق لما يرون من حسن مسجدها ولما دخل المهدى أمير المؤمنين العباسى دمشق يريد زيارة بيت المقدس فنظر الى جامع دمشق قال لكاتبه أبى عبد الله الاشعرى سبقنا بنو أمية بثلاثة بهذا المسجد لا أعلم على ظهر الارض مثله وبنبل الموالى وبعمر بن عبد العزيز لا يكون فينا والله مثله أبدا ثم لما أتى بيت المقدس فنظر الى الصخرة وكان الوليد بن عبد الملك بناها فقال لكاتبه وهذه أربعة أيضا ولما دخل المأمون دمشق نظر الى جامعها وكان معه أخوه المعتصم وقاضيه يحيى بن أكثم قال ما أعجب مافيه فقال أخوه هذه الادهان التى فيه وقال بن أكثم الرخام وهذه العقد فقال المأمون

انما أعجب من بنيانه على غير مثال متقدم وقال المأمون لقاسم التمار أخبرني اسما حسنا أسمي به جاريتي هذه فقال سمها مسجد دمشق فانه أحسن من كل شئ وقال عبد الرحمن بن الحكم عن الشافعي عجائب الدنيا خمسة أحدها منارتكم هذه يعني منارة ذي القرنين التي باسكندرية والثانية أصحاب الرقيم وهي بالروم اثنا عشر رجلا أو ثلاثة عشر رجلا والثالثة مرآة بباب الاندلس على باب مدينتها يجلس الرجل تحتها فينظر فيها صاحبه من مسافة مائة فرسخ والرابع مسجد دمشق وما يوصف من الاتقان عليه والخامس من الرخام والفسيفسا فانه لا يدرى له موضع ويقال ان الرخام معجون والدليل على ذلك أنه مذوب على النار قال الحافظ بن عساكر وذكر ابراهيم بن أبي الليث الكاتب وكان قدم دمشق سنة اثنين وثلاثين وأربعمائة في رسالة قال أمرنا بالانتقال الى البلد فانتقلت منه الى بلد تمت محاسنه ووافق ظاهره باطنه أزقته أرجه وشوارعه فرجه فحيثما مشيت شممت طيبا وأين سعيت رأيت منظرا عجيبا وأفضيت الى جامعه فشاهدت منه ما ليس في استطاعة الواصف أن يصفه ولا الرائي أن يعرفه وجملته انه بكر الدهر ونادرة الوقت وأعجوبة الزمان وغريب الاوقات ولقد أيقنت به ذكرا يدرس وجليت به أمرا لا يخفى ولا يدرس

(ومما قيل في الساعات) قال القاضي عبد الله بن أحمد بن زبر انما سمي باب الجامع القبلي باب الساعات لانه كان عمل هناك بلكار الساعات يعلم بها كل ساعة تمضي من النهار عليها عصافير من نحاس وحية من نحاس وغراب فاذا تمت الساعة خرجت الحية فصفرت العصافير وصاح الغراب وسقطت حصاة في الطست (قلت) هذا الكلام يدل على أحد شيئين أما ان الساعات كانت في الباب القبلي من الجامع وهو باب يسمى بباب الزيادة اليوم ولكن قد قيل انه محدث بعد الجامع وهو لا ينفي ان الساعات كانت عنده في زمن القاضي ابن زبر واما انه قد كان في الجانب الشرقي من الجامع في حائطه القبلي في باب آخر في محاذاة باب الزيادة وعنده الساعات ثم نقلت بعد هذا كله الى باب الوراقين اليوم وهو باب الجامع من الشرق والله اعلم ، وأما القبة التي في وسط الجامع التي فيها الماء الجاري ويقال لها قبة أبي نواس فكان بناؤها في سنة

تسع وستين وثلثمائة أرخه الحافظ بن عساكر عن خط بعض الدماشقة * وأما القبة الغربية التي في وسط الجامع التي يقال لها قبة عائشة فسمعت شيخنا أبا عبد الله الذهبي يقول انها بنيت في حدود سنة ستين ومائة في أيام المهدي بن المنصور العباسي وجعلوها لحواصل الجامع وكتب أوقافه * وأما القبة الشرقية التي على باب مشهد فقال بنيت على زمن الحاكم العبيدي في حدود سنة أربعمائة * وأما الفوارة التي تحت درج جيرون فعملها الشريف فخر الدولة أبو يعلى حمزة بن الحسين العباسي الحسيني وكأنه كان ناظرا الجامع وجر اليها قطعة من حجر كبير من قصر حجاج وأجرى فيها الماء ليلة الجمعة لسبع خلون من ربيع الاول سنة سبعة عشر وأربعمائة وعمل حولها قناطر وعقد عليها قبة ثم سقطت القبة بسبب جمال احتكت فيها وذلك في صفر من سنة سبع وخمسين وأربعمائة فأعيدت ثم سقطت عمدها وما عليها في حريق اللبادين ودار الحجارة في شوال سنة اثنين وستين وذكر ذلك كله الحافظ بن عساكر (قلت) وأما القصعة التي كانت في الفوارة فما زالت في وسطها وقد أدركتها كذلك ثم رفعت بعد ذلك وكان بطهارة جيرون قصعة أخرى مثلها فلم تزل بها ثم لما انهدمت اللبادين بسبب حريق النصارى في سنة احدى وأربعين وسبعمائة استوثق بناء الطهارة على أحسن مما كانت وذهبت تلك القصعة فلم يبق لها أثر وعمل الشاذروان الذي هو شرقي الفوارة بعد الخمسمائة أظنه سنة أربع عشرة وخمسمائة

(فصل) وكان ابتداء عمارته في أواخر عام سنة ست وثمانين وهدمت الكنيسة في ذي القعدة منها فلما فرغوا من الهدم شرعوا في البناء وتكامل في عشر سنين فكان في هذه السنة أعني سنة ست وتسعين ووضع العمودان اللذان في صحن الجامع لاجل التنوير في ليالي الجمع في شهر رمضان سنة احدى وأربعين وأربعمائة بأمر قاضي البلد أبي محمد فيما ذكره بنو عساكر في بعض تواريخهم نقلت هذه الترجمة في بناء جامع دمشق من تاريخ الحافظ عماد الدين بن كثير الذي سماه البداية والنهاية (ومن المستحسن مما قيل فيه) قول الشيخ جمال الدين بن نباتة رحمه الله تعالى

يا حسن ترخيم بجامع جلق * متناسب التركيب والتقسيم
بزيادة التحسين خالف قول من * قد قال ان النقص في الترخيم

(غيره)

أرى الحسن مجموعا بجامع جلق * وفي صدره معنى الملاحة مشروح
فان يتغالى في الزيادة معشر * فقل لهم باب الزيادة مفتوح

(وقال بعضهم)

دمشق لها منظر رائق * وكل الى حسنها تائق
وكيف يقاس بها بلدة * أبى الله والمسجد الفارق

(قلت) أحسن منه قول من قال

انى أدل على دمشق وطيبها * من حسن وصفى بالدليل القاطع
جمعت جميع محاسن فى غيرها * والفرق بينهما بنفس الجامع

(وما أحسن قول الشيخ برهان الدين القيراطى)

دمشق فى الحسن لها منصب * عال وقدر فى الورى شائع
قد من قاس بها غيرها * وقل له ذا الجامع المانع

(ذكر أبو الفرج الاصفهانى) قال حدثنى بذلك جماعة منهم أبو عثمان يحيى بن عمر قال قرأت فى بعض الدواوين ان المتوكل أنفق على أبنيته وقصوره والمسجد الجامع ومنتزهاته فى خلافته بسر من رأى وأعمالها من الاموال مالا يعلم أن أحدا أنفق على بناء مثله ومبلغ ذلك من العين مائة ألف وخمسين ألف دينار ومن الدراهم مائتى ألف ألف وثلاثة وتسعون ألف ألف وخمسين ألف درهم من ذلك القلايا مائة ألف وخمسون ألف دينار العروس ثلاثون ألف درهم الشاة عشرون ألف درهم البرج ثلاثون ألف ألف درهم البركة أربعة آلاف ألف درهم الجوسق الابراهيمى ألفا ألف المختار خمسة آلاف ألف الجعفرى ثلاثة وعشرون الف ألف البديع عشرة آلاف ألف المليح خمسة آلاف ألف الصبيح خمسة آلاف ألف التل خمسة آلاف ألف الجوسق فى الميدان خمسمائة ألف بركوارا عشرون ألف ألف المسجد الجامع خمسة عشر ألف ألف الغراء بدجلة ألف ألف القصر بالمتوكلية خمسة عشر ألف ألف اللؤلؤة خمسة آلاف ألف النهر بالمتوكلية خمسون ألف ألف وبنى المعتز بعد ذلك البيت المعروف بالكامل ولم أعرف مبلغ النفقة عليه وبنى المعتمد المعشوق والبيتين المعروفين بالغنج والبهج (كتب الشيخ جمال الدين

ابن نباتة) الى الجناب القطبي بن شيخ السلامية يصف ويقبل الارض ويسأل الله تعالى أن يديم أيام مولانا التي غفرت ذنوب الايام والليالي وجرت الوجود بما سمع عن أهل العصور الخوالي وينهي أنه سطر هذه الخدمة وقد ترادفت عليه معاني الشكر فلم يدر ما يذكره ولا ما يحصيه ويحصره الى أن ألقى السلاح وغض الجناح وأنشد

تعالى عن المداح قدرك رتبة * فاقصارهم عن مدحه غاية المدح

هذا على أنه الآن في نشو سكره وذهول فكره باستجلاء هذه المنازل كل شمال فيها شمول لا بل الرياح الاربع على أرجائها قبول فهي الجنة وثناء مولانا مسكها الارج والهالة وأوصافه بدرها المبتلج والدنيا الا أنها المحسوبة من العيش النضر ومحله موسى وكل غصن من أغصانها الخضر ما نشأت من صدحات مسجوعه وبيوت معموره وسقف مرفوعه وثمرات كثمرات الجنة غير مقطوعة ولا ممنوعه وعقود على أجياد القضب من الازاهير وسوق أشجار على نهر كأنه صرح ممرد من قوارير وكل دوحة تخفر كما تخفر العذراء ومربعة هي نفس اللذة بدليل أن النفس خضراء وجداول تتلوى في الروض تلوي الاراقم في الصعيد وأبكار وورد كما أشارت شفاه الملاح بالبقل من بعيد رواوين كأنما طارت الى الافق بأجنحتها وشبابيك كأنما أصابت القلوب من فتكات الهم بحديد أسلحتها وشرافات دلت على همة الامن بعبانيها وعلت حتى كأن الثريا عقدت على تراقيها وتجري ماء ترق بجهواتها القلوب الجافيه ولا عيب فيها الا النسيم الواشي والعين الصافيه قد مرج الله تعالى بهما البحرين يلتقيان وأخرج منهما في أعطاف الغصون اللؤلؤ والمرجان ولو أخذ الملوك في وصف المحاسن المبدعه والاصول المتفرعه لكابر غصونها بأقلامه وأزهارها بنثاره ونظامه ولا بلغ معشارها ولا حدث بأخبارها ولكن ليس فيها ما يقال له كملت لو أن ذا كملا جعلها الله أول منازل نعيم مولانا المستمر وعمر ببقائه أرجاءها التي ينعم الامل ويعمر بمنه وكرمه

(صلاح الدين الصفدي) مضمنا

تقول دمشق اذ تفاخر غيرها * بجامعها الزاهي البديع المشيد
جرى للتهاني حسنه كل جامع * وما قصبات السبق الا المعبد

ابن سناء الملك من قصيدة صلاحية

كل القلاع تروم السحب في صعد * الا العواصم تبغي السحب في صبب
لو رامها النجم لم يظفر ببغيته * ولو رماها بقوس الافق لم يصب
ملقى اذا عطشت والبرق أرسية * كواكب الدلو في بئر من السحب
جليسة النجم في أعلا مراتبه * وطالما غاب عنها وهي لم تغب

(شهاب الدين بن حجر)

أهوى الجلوس بمقعد الصدق الذي * فرشت به بسط الزهور وزخرفا
حفت به أيدي السعود وأبصرت * عيني به طير المسرة رفرفا

ذكر أبو عبد الله بكر بن عياش كاتب المنصور أبي يوسف يعقوب قال كان لابي بكر محمد بن مجبر وفادة على المنصور في كل سنة فصادف المنصور في احدى وفاداته فراغه من احداث المقصورة التي كان أحدثها بجامعه المتصل بقصره في حضرة مراكش وكانت قد وضعت على حركات هندسية ترفع لخروجه وتخفض لدخوله وكان جميع من بباب المنصور يومئذ من الشعراء والادباء قد نظموا أشعارا أنشدوها اياه في ذلك فلم يزيدوا على شكره وتجرئته الخير فيما جدده من معالم الدين وآثاره ولم يكن فيهم من تصدى الى وصف الحال حتى قام أبو بكر بن مجبر فأنشد قصيدته التي أولها

أعلمتني القى عصا السيار * في بلدة ليست بدار قرار

واستمر فيها حتى ألم بذكر المقصورة فقال يصفها

طورا تكون بمن حوته محيطة * فكأنها سور من الاسوار
وتكون طورا عنهم مخبية * فكأنها ستر من الاستار
وكأنما علمت مقادير الورى * فتصرفت لهم على مقدار
فاذا أحست بالامام يزورها * في قومه قامت الى الزوار
يبدو فتبدو ثم تخفى بعده * كتكون الهالات بالاقمار

فطرب المنصور لسماعها وارتاح لاختراعها والتفت الى الجراوي وكان يعلم قلة تسليمه لابي بكر وكثرة غضبه منه فقال سلم له الجرثم أنشده اذا لم تستطع شيئا فدعه قال أبو عبد الله بن عياش فخرج أبو بكر بن مجبر والشعراء يومئذ يلومونه ان لم تكن أول منشد حتى لا تخفى أشعارهم وتستر أعوارهم (السيد

الفاضل شمس الدين) ابن الصاحب موفق الدين علي الآمدي

وحصين قد أناف برأس هضب * منيف ذاهب في الجو سامي
تنفس في مرآة الافق حتى * كساه ولادها صدأ الغمام

(محي الدين بن عبد الظاهر) يصف الجامع الاموي في ليلة نصف شعبان وايقاده حيث لا تلمع الاعين مصباحا وتود أنها لا ترى لتلك الليالي صباحا اذ تمنطقت أركانه من اللهب بمناطق الذهب وبدت أشعتها في صفائه كما يبدو في الكأس وحاشاه الحبب لاسيما في ليلة النصف التي كم رفرف عليها النعيم وكم خدمها الامن النسيم

كم للناس فيها لاح بدر * يروق العين منظره الوسيم
بدا وبدا الوقود فقلت بدر * لخدمته ترجلت النجوم

كم أضاء بوجهه ديجور وكم انعكست أشعة تلك الاضواء على وجهه المنير فكانت نورا على نور

في خده للورى ربيع * ونصف شعبان في فؤادي

أو كما قال الآخر

وحلت مناطق خصره فكأنه * شعبان كل حلاوة في نصفه

من كلام الاخ الحبيب أبي بكر بن حجة وأوميت بعد ذلك الى الجامع الاموي فاذا هو لاشتات المحاسن جامع وأتيته طالبا لبديع حسنه فظفرت بالاستضاءة والاقتباس من ذلك النور الساطع وتمسكت باذيال حسنه لما نشقت تلك النفحات السحريه وتشوقت الى النظم والنثر لما نظرت تلك الشذور الذهبيه وآنست من جانب طوره نارا فرجع الى ضياء حسي واندهشت لذلك الملك السليماني وقد زهي بالبساط والكرسي وقلت هذا ملك فاز من وقف في خدمته خاشعا وشقي من لم يدس بساطه و يأتيه طائعا ومن الكلام الفاضلي قلعة تحسر العيون ان تنقضاها و يتوعر الامل أن يترقاها قد ضربت فوق الخيل جرانها والبست لقبة النجوم وعق فانها ما برحت جيرانها وتطلعت للناظرين سحابة الا أنها عزت أن تكون السماء عنانها

(الباب الثامن والاربعون في الحنين الى الاوطان وتذكر من بها من القطان)

روى أن النبي صلى الله عليه وسلم سمع صوتا فارتاع فقيل له في ذلك فقال ظننت انسانا أزعج من منزله وجاء أيضا حب الوطن من الايمان وقال ابن عباس رضى الله عنهما لو قنع الناس بأرزاقهم قناعتهم بأوطانهم ما اشتكى أحد الرزق وكانت العرب اذا سافرت أخذت معها من تربة بلدها تستنشق ريحها وتطرحه في الماء اذا شربته وهكذا كان المتفلسف من البرامكة اذا سافر أخذ معه من تربة مولده في جراب يتداوى به ولما غزا اسفنديار بلاد الخزر اعتل بها فقيل له ما تشتهى قال شربة من دجلة وشميما من تراب اصطخر فأتى بعد أيام بماء وقبضة من تراب وقيل له هذا من ماء دجلة ومن تربة أرضك فشرب واشتم بالوهم فنفعه من علته (القاضى الفاضل)

بالله قل للنيل عنى اننى * لم أشف من ماء الفرات غليلا
وسل الفؤاد فانه لى شاهد * ان كان طرفى بالبكاء بخيلا

(قال الاصمعى)

يا قلب كم خلفت ثم بثينة * وأظن صبرك أن تكون جميلا

دخلت البادية فنزلت على بعض الاعراب فقلت أفدنى فقال اذا شئت ان تعرف وفاء الرجل وحسن عهده وكرم أخلاقه وطهارة مولده فانظر الى حنينه الى أوطانه وتشوقه الى اخوانه وبكائه على ما مضى من زمانه (ولما أشرف الاسكندر على الموت) أوصى أن يحمل فى تابوت ذهب الى بلد الروم حبا فى وطنه ولما أدركت يوسف عليه السلام الوفاة أوصى أن يحمل الى مقابر آبائه فمنع أهل مصر أولياءه فلما بعث الله موسى عليه السلام وأهلك فرعون حمله الى مقابرهم فقبره عليه السلام بأرض المقدس وروى ان أبان قدم على رسول الله صلى الله عليه وسلم المدينة فقال له يا أبان كيف تركت مكة قال تركتهم وقد حيدوا وتركت الاذخر وقد أغدق وتركت الثمام وقد خاص فاغرورقت عينا رسول الله صلى الله عليه وسلم وقيل لاعرابى أتشتاق الى وطنك قال كيف لا أشتاق الى رملة كنت جنين ركامها ورضيع غمامها

وكنا ألفناها ولم تك مألفا * وقد يؤلف الشيء الذي ليس بالحسن
كما تؤلف الارض التي لم يطب بها * هواء ولاماء ولكنها وطن

(آخر)

طيب الهواء ببغداد يؤرقني * شوقا اليها وان عاقت مقادير
فكيف أصبر عنها اليوم اذ جمعت * طيب الهواء بين ممدود ومقصور

ذكرت بهذين البيتين ما أنشدنيه من لفظه لنفسه الوزير العلامة فخر الدين ابن مكانس وهو من مخترعاته

ان الهوائين يا معشوق قد عبثا * بالروح والجسم في سر وفي علن
فالروح تكفيك بالممدود قد تلفت * والجسم حوشيت بالمقصور فيك فني

(وقال الشيخ بدر الدين الدماميني)

أقول لمهجتي كم ذا ألاقي * من البلوى بظبي فيك قاسي
أذكره بأشجاني فينسى * فأفديه غزالا في كناس

(أعرابي)

وتشكو الى الدار فرقة أهلها * وبي مثل ما بالدار من فرقة الاهل

(سليمان المحاربي)

اذا لم تكن ليلى بنجد تغيرت * بشاشة دنيا أهل نجد وطيبها

(آخر)

فما أحسن الدنيا وفي الدار خالد * وأقبحها لما تجهز غازيا

(ذو الرمة)

وقفت على ربع لمية ناقتي * فما زلت أبكي عنده وأخاطبه
وأسقيه حتى كاد مما أبثه * تكلمني أحجاره وملاعبه

(بشار)

وقفت بها صحبي تطلب عراصها * بدمعي وأنفاسي براح وقطر

(آخر)

منازل لم تنظر بها العين نظرة * فتقلع الا عن دموع سواكب

(البحتري)

أرى بين ملتف الاراك منازلا * مواثل لو كانت مهاها مواثلا

فكن مسعدا فيمن ان كنت عاذرا * وسر مبعدا عنهن ان كنت عاذلا

(الوائلى وهو أحسن ما قيل فيه)

سقيت ربوع الظاعنين فانه * غنى لك عن ما العيون الهواطل

(والمؤلفه)

وقفنا بربع الحب والحب راحل * نحاول رجعاه لنا ونحاول
وألقت دموع العين فيه سائلا * لها من عبارات الغرام دلائل
اذا نفحة الاحباب منها تقسمت * تطيب بها أسحارنا والاصائل
تشير غصون ساجعات غصونها * فنها على الحالين هاجت بلابل
مراتع الا فى مرابع لذتى * مطالع اقمارى بها والمنازل

(قال ابن حمديس الصقلى)

ذكرت صقلية والاسى * يهيج للقلب تذكارها
فان كنت أخرجت من جنة * فانى أحدث أخبارها
ولولا ملوحة ماء البكا * حسبت دموعى أنهارها

(الكفيف) لما فارق بغداد

لهفى على بغداد من بلدة * كانت من الاسقام لى جنة
كأننى عند فراقى لها * آدم لما فارق الجنة

(القاضى عبد الوهاب المالكى)

سلام على بغداد منى تحية * وحق لها منى السلام المضاعف
لعمرك ما فارقتها قاليا لها * وانى بشط جانبيها العارف
ولكنها ضاقت على برحبها * ولم تكن الاقدار مما ساعف
فكانت كخل كنت أهوى دنوه * وتأبى به أخلاقه فخالف

(والعلامة) ذو الوزارتين لسان الدين بن الخطيب عند فراقه للاندلس فى واقعته المشهورة

أموطنى الذى أزعجت عنه * ولم أرزى به مالى ولا دم
لئن أزعجت عنك بغير قصد * فقبلى فارق الفردوس آدم

(وقال ابن الرومى)

بلد صحبت بها الشبيبة والصبى * ولبست ثوب العيش وهو جديد

فاذا تمثل فى الضمير رأيته * وعليه أغصان الشباب تميد

(قال على بن عبد الكريم الصيبى) تأتى ابن الرومى بقصيدته التى مدح بها سليمان بن عبد الله بن طاهر وقال انصفنى وقل الحق أيما أحسن قولى فى الوطن

ولى وطن آليت أن لا أبيعه * وان لا أرى غيرى له الدهر مالكا
عهدت به شرخ الشباب ونعمة * كنعمة قوم أصبحوا فى ظلالكا
وحبب أوطان الرجال اليهم * مآرب قضاها الشباب هنالكا
اذا ذكروا أوطانهم ذكرتهم * عهود الصبا فيها فحنوا لذالكا

(أم قول الاعرابى)

أحب بلاد الله ما بين منعج * الى وسلمى ان يصوب غمامها
بلاد بها عق الشباب تمائمى * وأول أرض مس جلدى ركامها

فقلت بل قولك لانه ذكر الوطن ومحبته وأنت ذكرت العلة فى ذلك (وللشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة) من رسالة كتبها الى السيد زين الدين عمر الجعفرى خطيب جامع التوبة بدمشق ويشكو بعده الذى أضرم به من شوقه الشهابى ناره وأخلى من زكاته لحليته مطاره وتركه ملقى فى الصهريج كأنه فى غيابة الجب يلتقطه بعض السياره فلا بد والحالة هذه من آه على دمشق التى هى جنة من تاه وباهى وجيران جيرونها التى اغار داء لسان الحب معناها

فما قلت ايه بعدها المسافر * من الناس الا قال قلبى آها

(غيره)

فيا وطنى ان فاتنى بك سالف * من الدهر فلينعم لسا كنك البال

أى والله طالما حن المملوك اليها وأنشد ودمعه كالمطر سلام الله يا مطر عليها

مطرمن العبرات خدى ارضه * حتى الصباح ومقلتى سماؤه

(وقال الشيخ جلال الدين بن خطيب داريا) فسح الله فى أجله ونقلتها من خطه

خليلى ان وافيتما الشام ضحوة * وعاينتما الشقراء والغوطة الخضرا
فقا واقرآ عنى سلاما كتبته * بدمعى على مقرى ولا تنسيا سطرا

يكتب أبياتى الرائية

يا صاحبي اذا الثنايا أشرقت * ولحتها منها ثغور أزاهر
استنشقا ذاك النسيم فانه * مما تحمل من شمائل هاجر

(وقال الشيخ شرف الدين بن عنين)

ألا ليت شعري هل أبيتن ليلة * وظلك يا مقرى على ظليل
وهل أرينى بعد ما شطت النوى * ولى فى ذرى روض هناك مقيل
دمشق فبي شوق اليها مبرح * وان لج واش أو ألح عذول
بلاد بها الحصباء در وتربها * عبير وأنفاس الشمال شمول
تسلسل فيها ماؤها وهو مطلق * وصح نسيم الروض وهو عليل

(ولما خرج الرشيد) الى أخذ أخته علية معه فلما صارت بالمرج عملت شعرا وصاغت فيه لحنا من الرمل وكتبت الابيات ليلا على بعض الفساطيط فى طريق الرشيد فلما دخل الى مضرب الحرم بصر به فقرأه فاذا هو

ومغترب بالمرج يشكو شجوه * وقد غاب عنه المسعدون على الحب
اذا ما أتاه الركب من نحو أرضه * تنشق تستشفي برائحة القرب

فلما قرأه علم انه من فعل علية وانها قد اشتاقت الى العراق والى أهلها فأمر بردها (الوليد بن زيدون) يتشوق الى مكان يدعى بالزهراء وكان اجتماعه وولادة محبوبته

انى ذكرتك بالزهراء مشتاقا * والافق طلق ومرأى الروض قد راقا
وللنسيم اعتلال فى أصائله * كأنه رق لى فاعتل اشفاقا
والروض عن مائه الفضى مبتسم * كما حللت عن اللبات أطواقا
لا أسكن الله قلبا عن تذكركم * فلم يطر بجناح الشوق خفاقا
لو شاء حملى نسيم الريح حين سرى * وافاكم بفتى أضناه ما لاقا
فالآن أحمد ما كنا بعدكم * سلوتم وبقينا نحن عشاقا

(وقال الشيخ مهذب الدين أبو الفرج عبد الله بن أسعد الموصلى الشافعى الدهان) رحمه الله يتشوق الى دمشق المحروسة

سقى دمشق وأياما مضت فيها * مواطر السحب ساريها وغاديها
من كل أدهم صهال له شية * صفراء يسترها طورا ويبديها
ولا يزال جنين النبت ترضعه * حوامل المزن فى أحشاء أرضيها

فما قضى حبه قلبي لسر بها * ولا قضى نحبه ودّي لواديها
ولا تسليت عن سلسال ربوتها * ولا نسيت بيتي جار جاريها
كأن أنهارها ماضي ظبا حسنيت * خناجرا من لجين في حواشيها
واها لها حين حلى الغيث عاطلها * مكللا وكسى الاوراق عاريها
وحاك في الارض صوب المزن مخمله * ينيرها بغواديه ويسديها
ديباجة لم تدع حسنا فوقها * الا أتاه وما أبقى مواشيها
ترنو اليك بعين النور ضاحكة * اذ بات عين من الوسمي يبكيها
والدوح ربا الهار ياقدا كملت * شبابها حين ماشابت نواصيها
نشوى تغني لها ورق الحمام على * أوراقها ويد الانواء تسقيها
صفا لها الشرب فاخضرت أسافلها * حتى صفا الظل فابيضت أعاليها
وصفق النهر والاغصان قد رقصت * فنقطته بدر من تراقيها
كأنما رقصها أوهى قلائدها * وخانها النظم فانثالت لآليها
وأعين الماء قد أجرت سواقيها * والاعين النجل قد جارت سواقيها
وقابل الغصن غصن مثله وشدت * أقمارها فأجابتها قماريها
فللحاظ وللاسماع ما اقترحت * من وجه شادنها أو صوت شاديها
اذا العزيمة عن فرط الغرام ثنت * قلبا تثنى له غصن فيثنيها
ريم اذا جليت حسنا لواحظه * للنفس حتى بخديه فيحييها
جناية طرفه المحمور جانيها * وآس عارضه المخضر آسيها
تقبل الكأس من خجل كما شربت * في ماء فيه فقاسته بما فيها
اشتاق عيشي بها قدما فتذكرني * أيامي السود بيضا في لياليها
ونحن في جنة لا ذاق ساكنها * بؤسا ولا عرفت بأساء مغانيها
سماء دوح ترد الشمس صاغرة * عنا وتبدي نجوما من نواحيها
ترى النجوم بها من كل ناحية * ممدودة كنجوم الزهر أيديها
اذا الغصون هززناها لنيل جنى * صارت كواكبها حصبا أراضيها
من كل صفراء مثل الماء يانعة * كأنها جمر نار في تلظيها
شهية الطعم حلوا عند آكلها * بهية اللون تحلى عند رائيها
ياليت شعري على بعد اذا كرتي * عصابة لست طول الدهر ناسيها

عندي أحاديث وجد بعد بعدهم * أظل أجحدها والعين ترويها
كم لي بها صاحب عندي له نعم * كثيرة وأياد لا أؤديها
فارقته غير مختار فصاحبني * صبابة منه تخفيني وأخفيها
رضيت بالكتب بعد القرب فانقطعت * حتى رضيت سلاما في حواشيها
ان يعلني غير ذي فضل فلا عجب * يسمو على سابقات الخيل هاديها
والماء يعلوه أقذاؤه وها زحل * أخفى الكواكب نورا وهو عاليها
لو كان جد بجد ما تقدمني * عصابة قصرت عني مساعيها
ما في خمولي من عار على أدبي * بل ذاك عار على الدنيا وما فيها

(الاديب الفاضل الكامل صفوان بن ادريس المرسي) يتشوق الى مرسية وطنه

لعل رسول البرق يغتنم الاجرا * فينثر عني ماء عبرته نثرا
معاملة أربو بها غير مذنب * فأقضيه دمع العين عن نقطة بحرا
ليسقي من تدمير قطرا محببا * يقر بعين القطر أن يشرب القطرا
ويقرضه دون اللجين وانما * توفيه عيني من مدامعها تبرا
وما ذاك تقصيرا به غير أنه * سجية ماء البحر أن يروي الزهرا
خليلي قوما فاحبسا طرق الصبا * مخافة أن يحمي بزفرتي الحرا
فان الصبا ريح علي كريمة * بآية ما تسري من الجنة الصغرى
خليلي أعني أرض مرسية المنى * ولولا توخي الصدق سميتها الكبرى
ووكري الذي منه درجت فليتني * فجعت بريش العزم كي ألزم الوكرا
وما روضة الخضراء قد مثلت بها * مجرتها نهرا وأنجمها زهرا
بأبهج منها والخليج مجرة * وقد فضحت أزهار ساحتها الزهرا
هنالك بين الغصن والقطر والصبا * وزهر الربى ولدت آدابي الغرا
اذا نظم الغصن الحيا قال خاطري * تعلم نظام النثر من ههنا شعرا
وان نثرت ريح الصبا زهر الربى * تعلمت حل الشعر أسبكه نثرا
فوائد أسحار هناك اقتبستها * ولم أر روضا غيره يقرئ السحرا
كأن هزيز الريح يمدح روضها * فتملأ فاها من أزاهره درا
أيا زهرات الحسن هل فيك نظرة * من الجرف الاعلى الى السكة الغرا

فانظر من هذى لتلك كأننى * أغير اذا غازلتها أختها الاخرى
هى الكاعب الحسناء تمم حسنها * وقد ثديها أوراقها حللا خضرا
اذا انعطفت أعطت دراهم زهرها * وما عادة الحسناء ان تنقد المهرا
وقامت بعرس الانس قينة أيكها * أغاريدها تسترقص الغصن النضرا
وقل فى خليج يلبس الحوت درعه * ولكنه لا يستطيع بها نصرا
اذا ما بدا فيها الهلال رأيته * كصفحة سيف وسمها قبعة صفرا
وان لاح فيها البدر شبهت متنه * بسطر لجين ضم من ذهب عشرا
وفى جرفى روض هنالك تجافيا * انهر تود الافق لو زاره فجرا
كأنهما خلان صفيامعا وقد * بكيا من رقة ذلك المرا
وكم بأبيات الحديد عشية * من الانس ما فيه سوى انه مرا
عيانا كأن الدهر عض بجينها * فاحات بساط البرق أفراسها الشقرا
عليهن أجرى خيل دمعى بوجنتى * اذا ركبت حمراء باديتها الصفرا
أعهدى بالفرش المنعم دوحه * سقتك دموعى انها مزنة شكرا
فكم فيك من يوم أغر محجل * نقضت أمانيه خلبتها ذكرا
على مذنب كالبحر من فرط حسنه * تود الثريا أن تكون لها نحرا
سقت أدمعى والقطر أيهما انبرى * بقا الرملة البيضاء فالنهر فالجسرا
واخوان صدق لو قصدت حقوقهم * لما فارقت عينى وجوههم الزهرا
ولو كنت أقضى حق نفسى ولم أكن * لما بت استحلى فراقهم المرا
وما اخترت هذا البعد الاضرورة * وهل تستجير العين أن تفقد الشفرا
قضى الله ان تنأى بى الدار عنهم * أراد بذاك الله ان أعتب الدهر
ووالله لونلت المنى ما حمدتها * وما عادة المشغوف أن يحمد الهجرا
أيأنس باللذات قلبى ودونهم * مرام يحد الركب فى طيها شهرا
فديتهم بانوا وضنوا بكتبهم * فلا خبرا منهم لقيت ولا خبرا
ولولا علاهما تهم لعنيتهم * ولكن عراب لخيل لا تحمل الزجرا
ضربت غبار البيد فى مهرق السرى * بحيث جعلت الليل فى ضربه حبرا
وحققت ذاك الضرب جمعا وعدة * وطرحا وتجميلا فأخرج لى صفرا
كأن زمانى حاسب متعسف * يطارحنى كسرا أما يحسن الجبرا

واست وان طاشت سهامى بائس * فانّ مع العسر الذى لم يبق يسرا

(ولمؤلفه عفا الله عنه)

تذكرت أوطانى ويا حبذا الذكرى * لتلك القصور البيض والربوة الخضرا
وأشجار واديها وبهجة جنكها * وقد نقرالشحرور فى دفه نقرا
وتجعيد ذاك الماء وميل غصونه * فهذا به كسر وهذا به سكرى
وما أحسن الميعاد عن صحبه * بجمعه الاسنى وليلته القمرا
اذ الناس فى هرج ومرج بلهوهم * وقلبى بين أهواه فى بلدة أخرى
ترى كل حزب لاهيا بسروره * وكل له شغل به قد غدا مغرى
اذا أصبحوا هزوا الشمائل بالندا * فينظر منه فوق أعطافهم درا
كرام اذا ولوا وطار نداهم * وللبائس المسكين يبقى به الاجرا
فآه على تلك العشايا وطيبها * وآه على حلو الزمان الذى مرّا
فيا عاشق المعشوق لا تبد سلوة * عن المزة الفيحاء والجبهة الغرّا
اذا زرع اللوان واخضر أرضه * فلا تذكروا مصر ولا تذكروا الاهرا
ويا من يجارى أو يضاهى بغيرها * تأمل فذا الميدان دونك والشقرا
خليلى أحيا من ذكرت ومنزلى * بعيشكما قولا قفا نبك من ذكرى

(ولمؤلفه أيضا) يرثى دمشق المظلومة ويصف ما حل بها من التيار فى سنة ثلاث وثمانمائة

أجريت جمر الدمع من أجفانى * حزنا على الشقراء والميدان
وتلاعبت أهدابها بعد الهوى * لعب الكماة بأرؤس الفرسان
وتوقدت نيران حزنى اذ رأت * تلك الربوع مواقد النيران
لهفى على تلك البروج وحسنها * حفت بهن طوارق الحدثان
لهفى على وادى دمشق ولطفه * وتبدل الغزلان بالثيران
نزلوا ظلال الدوح فلا تسل * ما حل بالاغصان والكثبان
سقطت غصون البان من قاماتها * لما سمعن نواعق الغربان
وشكا الحريق فؤادها المارأت * نور المنازل أبدلت بدخان
جناتها فى الماء منها أضرمت * فعجبت للجنات فى النيران
كانت معاصم نهرها فضية * والآن صرن كذائب العقيان

ماذاك الاتراكهم وجئت بها * فتخضبت منها بأحمر قان
كرهت جدا ولما حواقرنيلهم * فتسابقت هربا كخيل رهان
خافت خدودا الارض من أفعالهم * فتلثمت بعوارض الريحان
أذكيت نار الصدربا ورقاؤها * وتأثرت بلواعج الاشجان
تبكى على غصن وأندب قامة * فجميعنا نبكى على الاغصان
واحسرتاه على دمشق وقولها * سبحان من بالمغل قد أبلان
مادانى الدهر الخؤون بغدره * والعجم منه وقبلهم غازانى
فعساك تأخذ ثارها من مغلهم * بالمغل ثالث سبعة وثمان
لو عاينت عيناك جامع تنكز * والبركتين بحسنها الفتان
وتعطش المرجين من أورادها * وتهدم المحراب والايوان
لأتت جفونك بالدموع ملونا * دمعا حكى اللؤلؤ على المرجان
قطرات جفن ترجمت عن حرقتى * فكأنهن قلائد العقيان
أبنى أمية أين عين وليدكم * والمغل تقتل فى ذرى الاركان
شربوا الخمور بصحنه حتى انتشوا * ألقوا عرابدهم على النسوان
لم يرحموا طفلا بكى فقلوبهم * فى الفتك صخر لا أبو سفيان
قصوا جناح النسر بعد نهوضه * ياليته لوفاز بالطيران
ألواحه أجرت دموعى أسطرا * كتبت على اللوحين من أجفانى
ان أنكروا يوم الحساب فعالهم * فشهيدنا عثمان ذو القرآن
لهفى على كتب العلوم ودرسها * صارت معانيها بغير بيان
أعروس نالك أسوة بحماتنا * فى ذا المصاب فأنتما أختان
غابت بدور الحسن عن هالاتها * فاستبدلت من عزها بهوان
ناحت نواعير الرياض لفقدهم * فكأنها الافلاك فى الدوران
شتتهم أيدى سبا يا دهرنا * وتلوت آى الجمع بالفرقان
حزنى على الشهباء قبل مجاتنا * هو أول وهى المحل الثانى
لاتدع الاحزان يا شهباء نا * السبق للشهباء فى الاحزان
رتعت كلاب المغل فى غزلانها * وتحكمت فى الحور والولدان
لهفى على تلك الشعور وطولها * جرت بها الاعناق كالارسان

لهفى عليك محاسنا لهفى علي * ك مرابعا لهفى عليك مغانى
لهفى عليك منازلا ومنازها * ومقام فردوس وباب جنان
ان قال لحظى قال سيفى ضارب * أو قال طرفى قال حد سنان
أدمشق آهاتى عليك كثيرة * كالدمع فى جفن الكئيب العانى
حسراتها لا تنقضى من خاطرى * هى شغل أفكارى ونصب عيانى
لى أنة لى حرقة لى لهفة * لى حسرة لى لوعة وكفانى
أمنازل الاحباب كيف تبدلت * تلك الربى بمقاتل الفرسان
ان لم أسل ماء العيون مجاريا * ماء الغمام بها فما أجفانى
لاتنه جفن الصب فى جريانه * دعنى وشأنك يا غمام وشانى
العين والانسان قد فقدا معا * أبكيك يا عينى ويا انسانى
لم أدر من أبكى وأندب حسرة * للقصر للشرفين للميدان
للجبهة الغراء أم خلخالها * للمزة الفيحاء أم اللوان
لا يحجر المشتاق عن تذكارها * يا حاجرى بالظلم والعدوان
شوقى بها فأبى أقول لك منشدا * لك ان تشوقنى الى الاوطان
واذا أتيت بحاجرى فى ربعها * فعسى أن أبكى بدمع قانى
ما كان أهنى العيش فى ساحاتها * والدار دارى والزمان زمانى
أسفى على أيامها لا تنقضى * ما كان أهناها وما أهنانى
أيام لا ماء السرور مكدر * أرعى نضير العيش بل يرعانى
ولقد وقفت على ربوع حبائبى * فنسد بتهن نوادب الاحزان
واقد وقفت على الديار منادنا * بلسان مغترب وعبرة عانى
يادار أين حبائبى فأجابنى * عنها الحريق بألسن النيران
حكم القضا فيهم ونفذ حكمه * فتشتتوا فرقا بكل مكان
يارب لم شتاتهم بمحمد * سر الوجود وبهجة الاكوان
ان لم تلذ فى أمرنا بجنابه * فمن الملوذ ومستجير الجانى
أترى الاله مؤيدا سلطاننا * حتى أقول وعشت يا سلطان
يارب فعل الذنب أصل بلائنا * فاصفح وجد للذنب بالغفران
واغسل بماء الامن وجه وطاننا * واصرف بفضلك حاصر الطغيان

واجمع على جثماننا أرواحها * يا جامع الارواح بالجثمان

(تقي الدين السروجي يقول)

وافى رضيع النبت من ذاك الحمى * نجيا تدور على الربى كاساته
سفح سفحت عليه دمعي في ثرى * كالمسك ضاع من الفتاة فتاته

وفي المثل لولا حب الوطن لخرب بلد السوء الكريم يحن الى جنابه كما يحن الاسد الى غابه (وما أرق قول حزار بن هباش الطائي)

سقى الله أطلالا بالية الحمى * وان كن قد أبدين للناس ما بيا
منازل لو مرت بهن جنازتي * لقال صداها حاملا أنزلا بيا

(لسان الدين بن الخطيب)

يا جنة فارقت من غرفاتها * دار القرار بما اقتضته ذنوبي
أسفي على ماضاع من حظي بها * لا تنقضي زفراته ونحيبي
ان أشرقت شمس شرقت بعبرتي * وتفيض في وقت الغروب غروب
حتى لقد علمت ساجعة الضحى * شجوي وجانحة الاصيل شجوني
وشهادة الاخلاص توجب رجعتي * لنعيمها من غير مس لغوب

(وله)

سلام على تلك المعاهد انها * مراتع الاوفى وعهد صحابي
ويا أنسة العهد أنعمي فاطالما * سكبت على مثوالك ماء شبابي

(أنشدني صاحبنا الاعز الشيخ محمد الاندلسي الخياط) رحمه الله تعالى قال أنشدني الشيخ شمس الدين أبو عبد الله المشرقي رحمه الله

اشتاق للغرب وأصبو الى * معاهد فيها وعصر الصبا
يا صاحبي نجواي والليل قد * أرخى جلابيب الدجى وأختبا
لا تعجبا من ناظر ساهد * بات يراعي أنجما غيبا
القلب في آثارها طائر * لما رآها تقصد المغربا

(ورد على من سيدي وأخي الجناب الشهابي ابن حجر) أعزه الله تعالى كتاب من مكة المشرفة الى دمشق المحروسة وفي أثنائه من مجددانه

أسر غرامي من عذول وحاسد * فاعلان صبري لا يشابه أسراري
وليت بمن لم يدر مقدار صبوتي * فوا لهفي بعد الرحيل على الدار

(نقلت) من كتاب فوات الوفيات تأليف صلاح الدين الكتبي في ترجمة علاء الدين علي بن عبد العزيز أبي فراس السلمي الدمشقي الكاتب المعروف بالبديع مات متولي مصر سنة أربع وعشرين وخمسمائة

يا نسيما هب مسكا عبقا * هذه أنفاس ريا جلقا
كف عني والهوى مازادني * برد أنفاسك الا حرقا
ليت شعري نقضوا أحبابنا * يا حبيب النفس ذاك الموثقا
يا رياح الشوق سوق نحوهم * عارضا من سحب عيني غدقا
وانثري عقد دموعي طالما * كان منظوما بأيام اللقا

واشتهرت هذه الابيات وغنى بها المغنون (قال بعضهم) مررت يوما بشوارع القاهرة وقد ظهرت جمال كثيرة حولها تفاح من الشام فعبقت روائح تلك الحمول فاكثرت التلفت وكانت أمامي امرأة سائرة ففطنت لما داخلني من الاعجاب الى تلك الرائحة فأومأت الي وقالت هذه أنفاس ريا جلقا (ونقلت) من مجموع بخط العلامة المؤرخ قاضي القضاة شمس الدين بن خلكان تغمده الله برحمته قال النبي صلى الله عليه وسلم لاصيل الخزاعي يا أصيل كيف تركت مكة قال تركتها وقد أحجن ثمامها وأثمر سلمها وأغدق اذخرها فقال النبي صلى الله عليه وسلم دع القلوب في أماكنها (تفسير ما فيه من الالفاظ الغريبة) أحجن الثمام اذا خرجت جنته وهي خوصه والثمام نبت ضعيف له خوص وأثمر السلم اذا خرج والسلم شجر من العضا الواحدة سلمة وأغدق الاذخر اذا ظهرت ثمرته والاذخر نبت (ونقلت من خط الحافظ اليغموري) كانت الامتعة الثمينة والذخائر النفيسة تأتي الى مصر وتباع ولا ينظر اليها يوسف عليه السلام واذا جاءت أحمال صوف من كنعان لاتصل الا بين يديه (مرض عمار بن عباد) حين ولي الرقة فما كاد ينجع فيه دواء فقال له طبيبه سببه الهواء فبعث الى بغداد فحمل الهواء في جرب فكان يفتح كل يوم في وجهه جراب الى أن برئ

(الباب التاسع والاربعون في دار سكنتها كثيرة الحشرات قليلة الخير عديمة النبات)

(وأبلغ ما سمع فيها قول كمال الدين بن الاعمى)

دار سكنت بها أقل صفاتها * أن تكثر الحشرات من حشراتها
الخير عنها نازح متباعد * والشر دان من جميع جهاتها
من بعض ما فيها البعوض عدمته * كم أعدم الاجفان طيب سناتها
و بنات تسعدها براغيث متى * غنت لها رقصت على نغماتها
رقص بتنقيط ولكن فاقه * قد قدمت فيه على أخواتها
وبها ذباب كالضباب يسد عين الشمس ما طربي سوى غناتها
أين الصوارم والقنا من فتكها * فينا وأين الاسد من وثباتها
وبها من الخطاف ماهو معجز * أبصارنا عن حصر كيفياتها
تغشى العيون بجرّها ومجيئها * ويصم سمع الخلد من أصواتها
وبها خنافيس تطير نهارها * مع ليلها ليست على عاداتها
شبهتها بقنافذ مطبوخة * نزع الطهارة نحوها شوكاتها
شوكاتها فاقت على سمر القنا * في لونها وقوامها وثباتها
وبها من الجرذان ما قد قصرت * عنه العتاق الجرد في جملاتها
وترى أبا غزوان منها هاربا * وأبا الحصين يروغ عن طرقاتها
و بها خنافس كالطنافس أفرشت * في أرضها وعلت على شرفاتها
لو شم أهل الحرب منتن فسوها * أردى الكماة الصيد عن صهواتها
و بنات وردان واشكال لها * مما يفوت العين كنه ذواتها
متزاحم متراكب متضارب * متراكم في الارض مثل نباتها
و بها قراد لا اندمال لجرحها * لا يفعل المشراط مثل أداتها
أبدا تمص دماءنا فكأنها * حجامة لبدت على كاساتها
وبها من النمل السليماني ما * قد قل ذر الشمس عن ذراتها
لا يدخلون مساكنا بل يحطمو * ن جلودنا فالعفو من سطواتها
ماراعني شئ سوى وزغاتها * فنعوذ بالرحمن من نزغاتها
سجعت على أوكارها فظننتها * ورق الحمام سجعن في شجراتها
و بها زنابير تظن عقاربا * بالابر للمسموم من لدغاتها
و بها عقارب كالاقارب رتعا * فينا حمانا الله لدغ حماتها
فكأنما حيطانها كغرابل * أطلاعن أرؤسهن من طاقاتها

كيف السبيل الى النجاة ولا نجا * ة ولا حياة لمن رأى حياتها
السم فى نفثاتها والمكرفى * لفتاتها والموت فى لفتاتها
منسوجة بالعنكبوت سماؤها * والارض قد نسجت بزاقاتها
ولقد رأينا فى الشتاء سماءها * والصيف لا ينفك عن صعقاتها
فضجيجها كالرعد فى جناتها * وترابها كالوبل من خشياتها
واليوم عاكفة على أرجائها * والأسل يلع فى ثرى عرصاتها
والنار بزؤ من تلهب حرها * وجهنم تعزى الى لفحاتها
قدرممت من قبل ان يلقى لآدم أمنا حواء فى عرفاتها
شاهدت مكتوبا على أرجائها * ورأيت مسطورا على عتباتها
لا تقربوا منها وخافوها ولا * تلقوا بأيديكم الى هلكاتها
أبدا يقول الداخلون فناءها * يارب نج الناس من آفاتها
قالوا اذا ندب الغراب منازلا * تتفرق السكان من ساحاتها
وبدارنا ألفا غراب ناعق * كذب الرواة فأين صدق رواتها
صبرا لعل الله يعقب راحة * للنفس اذ غلبت على شهواتها
دار تبيت الجن تحرس نفسها * فيها وتنذر باختلاف لغاتها
كم بت فيها مفردا والعين شو * قا للصباح تسح من عبراتها
وأقول يارب السموات العلا * يارازقا للوحش فى فلواتها
أسكنتنى بجهنم الدنيا فنى * أخراى هب لى الخلد فى جناتها
واجمع بن أهواه شملى عاجلا * ياجامع الارواح بعد شتاتها

(حكى الزمخشرى) فى ربيع الابرار أن رجلا من أهل الشام اطلع على جرذ أخرج من جحره دنانير كثيرة فتركها وأخذ يلعب بها ثم أدخلها مكانها فقام الرجل وأخذ الدنانير فأقبل الجرذ يثب ويضرب بنفسه الارض حتى مات (وحكى الشريشى) فى شرح المقامات عن أبى محمد الحسن بن اسمعيل الضراب قال كنت قاعدا انسخ فى ضوء السراج وبين يدى قدح فيه ماء وظرف فيه كعك وزبيب ولوز فجاءت فأرة وأخذت لوزة ومضت ثم عادت أخرى فمدت الماء الذى فى القدح فعادت الفأرة فكببت القدح عليها واشتغلت بشغلى ساعة فاذا قد جاءت فأرة أخرى فدارت حول القدح فسفسفت وبقيت ساعة على ذلك

والفأرة الاخرى تخفف من داخل فلم تجد حيلة فى خلاصها فخفت وأتت بدينار فوضعته ووقفت فلم أرفع القدح ففعلت ذلك الى أن أتت بسبع دنانير ووقفت ساعة فلم أخل عن الفأرة فخفت وأتت بقرطاس فارغ فعلمت أنه لم يبق عندها شئ فخليت عنها (قال الغندجانى) رويت هذه الحكاية عن أشياخ ثقاة قيل ان الخصى من كل شئ أضعف من الفحل الا الجرذان فان الخصى يحدث فيه شجاعة وجراءة ولا بدع فى ذلك فان الجرذان الكبار لا تدع الفرشات فى ... الا قتلتها فينبغى لمن فى منزله شئ منه أنه يصطاد منه ذكرا ويخصيه ويتركه فى البيت فانه يأتى على بقية الجرذان بأسرها (وذكر الشيخ شهاب الدين بن أبى حجلة) قال أخبرنى الشيخ شمس الدين بن جعفر الدمشقى أحد كتاب المنسوب بدمشق سنة اثنين وخمسين وسبعمائة قال حللت مثقال ذهب لاجل الكتابة به فاتفق أنى نزلت من البيت وتركته فى الدواة بغير غطاء ثم رجعت الى البيت ونظرت فلم أر شيئا من الذهب فى الدواة فتعجبت غاية العجب فنظرت فاذا فار فى جانب البيت وعلى خرطومه أثر الذهب يلمع فعلمت أنه شربه فنصبت المصيدة وخرجت من البيت فما لبث أن وقع فيها فأخذت طاسة وجعلت فيها ماء وأمسكت بذنبه وجعلته يعوم فى الطاسة وكلما أراد الخروج رددته بذنبه الى أن شرب ماء كثيرا وكاد يموت فقبضت بذنبه ودليت رأسه الى أسفل فجعل يستقى من حلقه الذهب مختلطا بالماء الذى شربه الى أن لم يبق منه شئ فغسلت الذهب مرة ثانية ووزنته فلم ينقص غير قيراطين هكذا أخبرنى أو كما قال (وحكى الكواشى) فى تفسيره أن أن ابراهيم الخليل عليه السلام لما ألقى فى النار جعل كل حيوان يطفئ عنه النار الا الوزغ فانه كان ينفخ فى النار * وعن النبى صلى الله عليه وسلم أنه أمر بقتل الوزغ وقال كان ينفخ على ابراهيم (وذكر الزمخشرى) عن ابن عباس انه قال الوزغ يريد الشيطان يرسله ليفسد على الناس ملحهم ومن العجب ان الافعى لا ترد الماء ولا تريده واذا وجدت الخمر شربت منه حتى تسكر وكنية الافعوان أبو حيان وأبو يحيى لانه يعيش ألف سنة وأرض حمص لا تعيش فيها العقارب واذا طرحت فيها عقرب غريبة ماتت لساعتها سمع غلام رجلا يقول أنا مثل العقرب أضر ولا أنفع فقال ما أقل علمك بل لعمرى انها تنفع اذا شق بطنها ثم شدت على

موضع اللسعة وتجعل فى جوف اناء فخار ويسد رأسه ويطين جانبه ويوضع فى التنور فاذا صار رمادا يشفى به من به الحصاة مقدار نصف دانق فتفتت الحصاة وتلسع الافعى فتموت (حكى) أن عقربا لسعت مفلوجا فذهب عنه الفالج * وشتم رجل الارضة فقال له بكر بن عبد الله المزنى مه فهى التى أكلت الصحيفة التى تعاقد المشركون فيها على رسول الله صلى الله عليه وسلم وبها تيقنت الجن أن لو كانوا يعلمون الغيب ما لبثوا فى العذاب المهين وقيل لها الاى شئ تأكلين كتب المشتغلين فقالت ما آكل الا كتب الذين لا يشتغلون وقال لقمان لابنه لا تكن الذرة أكيس منك تجمع فى صيفها الشتائها النملة تفلق الحب أنصافا لئلا تنبت فتفسد والكزبرة تفلقها أرباعا لانها من بين الحب ينبت نصفها اذا قربت العقرب من الولادة أكلت أولادها جلدها وخرقوه حتى يخرج وقد ماتت الام وقال الشاعر فى ذلك

وحاملة لا يكمل الدهر حملها * تموت ويحيا حملها حين تعطب

لعاب الجراد سم لا يقع على شئ الا أحرقه خطب المأمون يوما فوقع الذباب على عينيه فطرده فعاد مرارا حتى قطع عليه الخطبة فلما صلى الظهر أحضر أبا الهذيل فقال له لم خلق الله الذباب فقال ليذل به الجبابرة فقال صدقت وأجازه بمال وقال الجاحظ فى منافع الذباب انه يحرق ويخلط بالكحل فاذا اكتحلت به المرأة كانت عينها أحسن ما يكون ولذا ترى المواشط تستعمله وتأمر به العرائس وما أحسن قول عنترة

وخلى الذباب بها فليس ببارح * غردا كفعل الشارب المترنم
هزجا يحك ذراعه بذراعها * قدح المكب على الزناد الاجذم

قيل هذا من التشبيهات العقم وقال الجاحظ وجدنا المعانى تقلد ويؤخذ بعضها من بعض الا قول عنترة وخلى الذباب البيتين وزعموا أن رجلا من ولد حاطب ظئر رسول الله صلى الله عليه وسلم كان أشد خلق الله وأحذقهم بالتدبير وبلغ من حذقه أنه رمى فيما اصطاد به الظباء والثعالب ويرى منه فيعرف اليه من الاذن ذراعا ومرى أشد الناس حتى صار أحيانا واصطاد به الحمر والبقر وعظام الوحش ثم مرى الى أن يرجى حتى اصطاد به الذباب قال الجاحظ من من علم المعوصة أن وراء جلد الجاموس ... وأن ... المغلفة قد ...

طعنت فى ذلك الجماد الغليظ الصلب نفذ خرطومها مع ضعفه على غير معاناة ولو أنك طعنت بمسلة شديدة المتن لانكسرت (وقال التيفاشى) ومما جربه الناس كافة لاجل البق الصابون فانه اذا طلى به المواضع التى بها البق أى موضع كان من جدار أو سرير قتله ولم يعد اليه مادام أثر الصابون فيه قال صاحب الفلاحة النبطية اعلم أن القطران من أعظم شئ يكرهه النمل فى أردت أن لا يقرب النمل شيئا فخط حول ذلك خطا من القطران مدورا فان النمل لا يقربه وان طليت به حول جحرة النمل هربن صدق الحلزون اذا أحرق حتى يصير كلسا أبيض وذر على بيوت النمل هربن فان أقن به متن جميعا وقال صاحب الفلاحة النبطية أيضا حجر المغناطيس الجاذب للحديد اذا وضع على باب أجحرة النمل لم يخرجن وهربن الى تخوم الارض قال وأهل بلادنا يجعلون فى وسط الكدس من الحنطة وغيرها من الحبوب من حجر المغناطيس وغيرها لئلا يدنو منه النمل قال واذا غطيت اناء فيه عسل أو غيره بصوف أبيض من كبش ولكن منفوشا لم يقربه النمل وكذلك اذا أدرت الصوف حول الاناء من أسفله لم يقربه النمل القمح المسوس اذا وضع فى بيت فيه بق فان السوس يأتى عليه بمجموعه ولا يدع منه بقة واحدة وهذا صحيح مجرب والبنفسج اذا قطع قطعا صغارا وجعل عليه قليل عجين فان الفأر يأكله ولا تستطيع معدته أن تهضمه فيموت عن آخره وهذا مما جرب وصح عند معاشر الناس كافة (قال الشيخ شهاب الدين بن فضل الله)

ونا موس له قرص أليم * نضوج له ومنه لنا نضوج
ومن عجب تراه العين أنا * مع الناموس يرتفع الضجيج

(وقال الشيخ ابراهيم المعمارى فى البراغيث)

ان البراغيث اللئام * قسوا على فقلت مالى
الا البخور لاخترت * وقرصوفى قلت أبالى

(ومن العجائب) ماذكره ابن بدرون فى شرح قصيدة ابن الافطس عند ذكر الواثق وجلالته وهيبته فانه يحكى من هيبتهم له انه لما ثقل فى علته التى مات فيها حصل اليهم فى بعض الاوقات وقد أغمى عليه انه قضى فدنا منه تركى يقال له ايتاخ ليعلم هل مات أم لا فلما دنا منه فتح عينيه ونظر الى ايتاخ فرجع القهقرى فانتشب طرف سيفه بالباب فاندق وسقط ايتاخ على قفاه لما نظره هيبة له

ورعاداخله من نظره اليه فمن العجائب انه لم تمر ساعة من نظره الى ابتاخ الا وقد مات فأخذ وجعل فى بيت فما أقام به الا يسيرا فوجد قد أخرجت الفارة عينيه فسبحان من لا يزول ملكه المنفرد بالبقاء لا اله الا هو العلى العظيم وعلى ذكر ابن بدرون فما أحسن قول الصاحب جمال الدين بن مطروح

لك يا بدرون وجه * صار عنوان السعاده

لا تخف نقصا ومحقا * أنت بدر وزياده

(وقريب) من هذه الواقعة ماذكره الثعالبي فى لطائف المعارف انه لما جيء برأس مروان بن محمد الى عبد الله بن على أمر بعزله فجاءت هرة فقلعت لسانه وجعلت تمضغه فقال عبد الله أوغيره لو لم يرنا الدهر من عجائبه الا لسان مروان فى هذه لكفانا وكان مروان قد عرض بظهر الحيرة سبعين ألف عربى على سبعين ألف عربى ثم قال اذا انقطعت المدة لم تنفع العدة (نقلت) من الطالع السعيد فى فضلاء الصعيد تأليف العلامة المحدث البارع كمال الدين جعفر الادفوى فى ترجمة تاج الدين الدشناوى محمد القوصى مولدا ودارا ووفاة محة الدهر وفريدة العصر فقيه عالم فاضل محدث أديب شاعر كريم الاخلاق طيب الاصول والاعراق فمن نظمه ملغزا فى نخلة

يامن اذا ماقاصد أمله * تم له منه الذى أمله

ومن حوى الفضلين فضل الندى * وفضل علم للهدى حصله

ما اسم رشيق القد حلو الجنى * ذو فطنة ممزوجة بالبله

ألمى دقيق الخصر قد زانه * ردف له يهتز ما أثقله

أوانثى يعزى لوادغدا * وارده مستعذبا منهله

حل به أسنى ملوك الورى * ومن غدا بالفضل والمعدله

ان قلت صف لى حسنه واقتصد * قلت محياك ما أجمله

أوقلت صف لى ملكه واقتصر * قلت أجل جل الذى كمله

أوقلت هل من مسترفد * قلت وللمسكين والارمله

تصحيف ما ألغزته مودع * فى النظم فافتح بالذ كامقفله

وعكسه أيضا بلغت المنى * مستودع فيه فما المسأله

(القول) فى طبائع الحيات وانما سميت حية لانها تحوت أى اجتمعت ويطلق على

الذكر والانثى يقال حية ذكر وحية أنثى وهى أصناف كثيرة لاتحصى كما لاتحصى أصناف السمك (ذكرت) بقوله حية وهو ما أنشدنى انفسه من لفظه المقر المجدى فضل الله بن مكانس عفا الله عنه

عاذلى بعد أن توفيت * فى النوم أبصرتها الشقيه
تلسعنى بالملام فيكم * كأنها فى الوجود حيه

(ربيع) وشرها الافاعى ومسكنها الرمال والجبال ويضرب المثل بها بأفاعى سجستان ومن التهويل فى أمرها ما حكاه ابن شرمة ان أفعى منها نهشت غلاما فى رجله فانصدعت جبهته ويحكى أن شبيب بن شبه دخل على المنصور فقال ياشبيب أدخلت سجستان فانه بلغنى أنها عوراء أى كثيرة الحيات قال نعم ياأمير المؤمنين قد دخلتها قال فصف لى أفاعيها فقال هى دقاق الاعناق صغار الاذناب مفلطحة الرؤس رقش برش كأنما كسين أعلام الحبرات كبارهن حتوف وصغارهن سيوف قال أرسطو وليست الافعى من الحيوان الذى يلد حيوانا مثله وان خرج من بطنها اولاد وانما ذلك لتكسر البيض فتلويها وتجمعها فى بطنها فيتوهم من رأى ذلك انها تلد وليس الامر كذلك ومن الافاعى ما يتسافد بأفواهها فاذا أعطى الذكر الانثى وقع كالمغشى عليه فتعمد الانثى الى موضع منه كبره فتقطعه انهشا فيموت من ساعته فاذا بلغ بعضها لم يكن له مخرج لضيق مكان الولادة فيبقى فى بطنها حتى يجرح فيشقه ويخرجن وتموت الام من ساعتها فيكون طلبها للولد هلاكها وذكرها يسمى الافعوان يأتيها أيام الصراف فيصوت بها فتأتيه وبعض الحيات مستطيل أكدر اللون واخضر واسود وابيض وأرقط وفى بعضها غش وتخرج كل بيضة ثعبانا على لونها ولم يعرف السبب فى اختلاف ذلك وأما داخله فشئ أسمج من الصديد واقذر وهو فى جوفها منضد طولا على خط واحد وليس للحيات سفاد معروف تنتهى الى علمه وليس عند الناس فى ذلك الا الذى يرون من ملاقات الحيات والتوا كل واحدة منهما على صاحبه حتى كأنهما لو وح خيزران مفلوذ والحية مشقوقة اللسان ولذلك يظن بعض الناس ان لها لسانين وهى واسعة النحر ولها خطم وكذلك يفعل نابها ولو كان لرأس الحية عظم لكان أشد لعضها ولكن جلدا نطبق على عظمين مستطيلين وتوصف بالنهم والشره لانها تبتلع الفراخ من غير مضغ

كما يفعل الاسد ومن شأنها انها متى ابتلعت شيأ فيه عظم أتت شجرة أو حجرا
شاخصا فتنطوي عليه انطواء شديدا فيحطم ذلك العظم حتى تصيره رفاتا ومن
عادتها اذا نهشت انقلبت فيتوهم انها فعلت ذلك لتفرغ سمها وليس الامر
كذلك وانما في نابها عضل فاذا عضت استغرق ادخال الناب كله وهو أحجن
يشبه بالبيض فاذا انقلبت كان أسهل لخروجه وأسلس لنزعه وفي طبعها انها اذا
لم تجد طعما تعيش بالنسيم وتقتات به الزمن الطويل وتبلغ الجهد من الجوع
ولا تأكل الاحم الشيء الحي وربما بقيت أربعة أشهر في الشتاء صابرة على
الجوع لا تغتذي بشيء ألبتة وهي اذا هرمت استقرت في بيتها وأقنعها النسيم ولم
تشته الطعام ومن عجيب أمرها انها لا تطلب الماء ولا تريده لغلبة الارضية عليها
ولهذا تصبر عن الغذاء المدة الطويلة لان حرارتها لا تسرع بتحليل مادتها لقلة
الحرارة وغلظ المادة وهي لا تضبط نفسها على الشراب اذا شمته لما في طبعها من
الشوق اليه فهي اذا وجدته شربت منه حتى تسكر وربما كان السكر سبب
حتفها لانها اذا سكرت خدرت والذكر من الحيات لا يقيم في الموضع الواحد
وربما تقيم الانثى على بيضها بقدر ما تخرج فراخها وتقوى على المكسب ثم
تخرج سائرة فتى وجدت جحرا دخلته واثقة بان ذلك الساكن فيه بين أمرين اما
ان يقيم فيه فيصير طعاما لها واما أن يهرب فيصير الجحر لها ولهذا يضرب المثل بها في
الظلم فيقال أظلم من الحية وعين الحية لا تدور في رأسها وكذلك عين الجراد كأنها
مسمار مضروب وعينها ما تنطبق وان قلعت عادت وكذلك نابها ان قلع عاد بعد
ثلاثة أيام وكذلك ذنبها ان قطع عاد وفي طبعها أنها تهرب من الرجل العريان
وتفرح بالنار وتطلبها وتعجب بها وباللبن ومتى ضربت بالقصب الفارسي ماتت
وان ضربت بسوط قد مسه عرق الخيل ماتت وهي طويلة الذماء والذماء بطؤ
خروج الروح بعد القتل وذلك انها تذبح حتى تفرى أوداجها تبقى أياما لا تموت
ويقال انها لا تموت حتف أنفها الا ان تقتل أو تصاد [illegible] في حين ثم [illegible]
تداولها الايدي وتكره على العمق في [illegible] أرضها الى ان [illegible] السموم
في الشتاء [illegible] تقوت اذا ضربت والحية تسلخ في كل عام [illegible] جلدها
في أول الربيع والخريف [illegible]
[illegible]

ضيق حتى ينسلخ ثم تأتى الى عين ماء فتنغمس فيه فيشتد بذلك لحمها ويعود الى قوته وشدته وليس فى الارض شئ مثل جسم الحية الا والحية أقوى منه بدنا اضعافا ومن قوتها انها اذا دخلت صدرها فى جحر أو صدع لم يستطع أقوى الناس وقد قبض على ذنبها بكلتى يديه ان يخرجها لشدة اعتمادها وتعاون أجزائها وليست بذات قوائم لها أظفار ومخالب أو اظلاف تتشبث بها وتعتمد عليها وربما انقطعت فى يد الجاذب لها وانما الشدة فى ظهرها فان لها ثلاثين ضلعا وذلك مشاهد فى صعودها وسعيها اخاف الرجل الشديد الحضر وعند هربها منه وهى برية وتعيش فى البر بعد ان يطول مكثها فى الماء وصارت مائية وأصنافها كثيرة جدا وهذا القدر كاف فى وصفها (القول على طبائع الفأر) يقولون جميع ما يقع عليه اسم الفأر فأر وهى أنواع فأر البيت والربات والخلد واليربوع وفأرة البيش وفأرة المسك فاما فأرة البيت فصنفان جرذان وفأر وهما كالجواميس والبقر والبخت والعراب والفأر من الحيوان الذى جمع حاستى الشم والبصر وليس فى الحيوان أفسد منه ليس يبقى على شئ جليل ولا حقير الا أهلكه وأتلفه ولا يقصر فعله عما فعلته ريح عاد ويكفيه ما يحكى عن سد مأرب ومن تدبيره فى الشئ يأكله ويحسوه وهو انه يأتى القارورة الضيقة الرأس فيحتال حتى يدخل طرف ذنبه فى عنقها وكلما ابتل بالدهن أخرجه وامتصه حتى لا يدع فى القارورة شيأ ولقد حكى ان رجلا كان عنده جرة زيت فغاب عنها مدة ثم افتقدها فوجدها مملوءة حجارة وليس فيها من الزيت شئ فأدار فكره فى ذلك الى أن الفيران كشفوها وشربوا منها الى ان لم يبق ان تصل أفواهها الى الشراب فدلت أذنابها حتى لم تصل الى الزيت فألقوا الحجارة شيأ بعد شئ فكان الحجر اذا وقع فى الحق طفا الزيت حتى فنى ولقد أرانى بعض الاصحاب ظرفا من زجاج كان فيه فستق مقشور قد نقبته وأكان ما فيه وكل البزور تأكل قلوبها وتترك قشورها وما أعجب من شئ كعجبى من نوى الخرنوب التى لا تقدر الاضراس على كسره وهى تنقبه وتأكل قلبه وكذلك تفعل بالقرطم مع ملاسته وفى طبعه النسيان فربما صيد مرات فيفلت ويعود وبه يضرب المثل فى السرقة والنسيان والحذر ويبلغ الفأر من تحرزه واحتياطه أن يسكن السقوف فربما فاجأه السنور وهو يريد أن يعبر الى بيته والسنور فى الارض وهو فى السقف ولو شاء أن يدخل بيته لم يكن

للسنور عليه سبيل ويشير اليه السنور فى الارض بيساره كالقائل له ارجع فاذا رجع أومى اليه بيمينه كالقائل له عد فيعود وانما يطلب بذلك أن يعي أو يزلق ولا يفعل به ذلك ثلاثة مرات الا ليسقط فيثب عليه (وحكى الجاحظ) ان ناسا أنكروا أن يخلق الفأر فى أرحام اناثها من أصلاب ذكورها ولكن من بعض الارض كطينة القاطول فان أهلها يزعمون أنهم رأوا الفأر لم يتم خلقه بعد وان عينيه فصان ثم ينشئان حتى يتم خلقها وتشتد حركتها ذكر الجاحظ ذلك على طريق الاستبعاد (قال صاحب المناهج) وانما رأيت ذلك عيانا اتفق أنى سافرت من الفيوم فمررت بقرية تسمى صفط واذا بفيران قد خرجوا من شقوق الارض كجراد منتشر كل واحد منها نصفه حيوان ونصفه الآخر طين لم تكمل خلقته وكذلك يتولد بمصر اذا انكشف ماء النيل عنها (القول فى طبائع العقرب) وهذا الحيوان أصناف منه الجرارة والطيارة وماله ذنب كالحربة وماله ذنب معقف وفيها السود والخضر والحمر والصفر والكمد وماله لون الرماد وما لونه لون اللهب وماله جناحان وأصحاب الكلام فى طبائع الحيوان يقولون العقرب مائية الطباع ومن ذوات الذرو كثرة الولد تشبه السمك والضب وعامة هذا النوع اذا حملت الانثى منه يكون حتفها فى ولادتها لان أولادها اذا استوى خلقها أكلت بطنها وخرجت فتموت والجاحظ لا يعجبه هذا القول ويقول أخبرنى من أثق به انه رأى العقرب تلد من فيها مرتين وتحمل أولادها على ظهرها وهى قدر القمل كثير العدد والعقرب شر ما يكون اذا كانت حبلى ولها ثمانية أرجل ولها أظلاف مثل أظلاف الثور عيناها فى ظهرها وهى من الحيوان الذى لا تسبح ومن عجيب أمرها انها لا تلسع الميت ولا المغشى عليه ولا النائم الا أن يتحرك شئ من بدنه فانها عند ذلك تضربه وضربها له انما هو خوفا فهى تدفع بنفسها بضربها وهى تأوى الى الخنافس وتسالمها وتصادق من الحيات كل اسود سالخ وربما لسعت الافعى فتموت وفيها من يلسع بعضه بعضا فيموت الملسوع ومن شأنها اذا لسعت الانسان فرت فرار مسئ يخاف العقاب (وقال الجاحظ) والعقارب تستخرج من موتها بالجراد لانها حريصة على أكله تمسك الجرادة فى عود ثم تدخل بها فى مكانها فاذا عاينتها العقرب تعلقت بها ومتى أدخل الكراث اليها وأخرج تبعته وما معها من جنسها ونوعها وهى اذا خرجت من عشها فى طلب الطعم يكون لها نشاط وعزم

تضرب كلما لقيته من حيوان أو نبات أو جماد وربما ضربت الطست والقمقم فتخرقه وتسيل مادة وربما نشبت فيه ابرتها وهذه الابرة منعوتة فيها السم والعقارب القاتلة تكون فى موضعين بشهرزور وعسكر مكرم وهى جرارات وهذه العقارب تلسع فتقتل وربما تناثر اللحم من لسعته أو تعفن لحمه واسترخى ولا يدنو منه أحد الا وهو يمسك أنفه مخافة أعدائه وهى فى غاية الصغر فان أكبر ما يوجد منها يكون قدر زنته دانقا واحدا والذى يوجد منها كبيرا يكون زنته ثلاث حبات وقد وزنت بشعيرة فرجحت الشعيرة عنها ذكر هذا صاحب كتاب النوادر ومن طرائف أمرها انها مع صغرها وقلتها ونزارتها تقتل الفيل والبعير بلسعها وبنصيبين عقارب قتالة يقال ان أصلها من شهرزور وان بعض الملوك حاصرها فأتى بالعقارب من شهرزور ورمى بها فى كيزان بالمجانيق الى البلد فأعطوا القوم بأيديهم وما أظرف قول من قال وقد واعد امرأة ليأتيها فلما خرج من عندها ضربته عقرب فى طريقه (فقال)

ولقد سريت مع الظلام لموعد * حصلته من غادر كذاب
فاذا على ظهر الطريق معدة * سوداء قد عرفت أوان ذهابى
لابارك الرحمن فيها عقربا * دبابة دبت الى دباب

وسمع خبره صاحب الدار فقال

ودار وأيام سكانها * تقيم الحدود بها العقرب
اذا غفل الناس عن ذنبهم * فان عقاربنا تضرب

(القول فى طبائع النمل) ذهب ابن أبى الاشعث انه لا يتزاوج ولا يتوالد ولا يتلاقح وانما يسقط منه شئ حقير فى الارض فينمو فيصير بيضا ثم يتكون فيه وهو من الحيوان المحتال يتفرق فى طلب المعاش فاذا وجد شيأ أنذر الباقين فيجتمعن ويحملن وكل واحد يجتهد فى اصلاح العامة غير مختلس لشئ من الرزق دون صحبه ويقال انما يفعل ذلك رؤساؤها ومن تحيله فى الرزق انه ربما وضع بينه وبين ما يخاف عليه منه ما يحجزه عنه من ماء أو شعر فيتسلق فى الحائط ويمشى على جذع من السقف مسامتا لما حفظ ثم يلقى نفسه عليه وفى طبعه انه يحتكر زمن الصيف لزمن الشتاء وله فى الاحتكار من الحيل ما انه ما اذا احتكر ما يخاف نباته قسمه نصفين ما خلا الكسفرة فانه يقسمها أرباعا لما ألهم ان كل نصف

منها نبت واذا خاف العفن على الحب أخرجه الى ظاهر الارض ونشره وأ كثر ما يفعل ذلك فى القمر و يقال ان حياته ليست من قبل ما كله ولا قوامه وذلك انه ليس له جوف ينفذ فيه الطعام ولكنه مقطوع نصفين وانما قوته اذا قطع الحب من استنشاق ريحه لا غير وذلك يغذوه و يكفيه وهو يشم ماليس له ريح مما لوضعه الانسان على أنفه لما وجدله ريحا والكلام عليها طويل وهذا القدر كاف (لبعض الشعراء) فى البراغيث والبق والبعوض

تومى على ظهر الفراش منغص * والليل فيه زيادة لاتنقص
من عاديات كالذئاب تداءبت * وسرت على عجل فلا تتربص
جعلت دمى خمرا تداوم شربها * مسترخصات منه مالا يرخص
فترى البعوض مغنيا بربابة * والبق يشرب والبراغيث ترقص

(أبو عامر بن شهيد) يصفه اسود زنجى وأهلى وحشى ليس بوان ولا زميل وكأنه جن لا يتعرى من ليل وشونيزه أو نبتها غرره نقطة مداد أوسويداء قلب فراد شربه عب ومشيه وثب يسرى ليله و يكمن نهاره ولا يمنعه ستر يدرك بطعن مؤلم و يستحل دم كل مسلم مشاور للاساوده يجرذيله على الجبابره يتكفن بأرفع الثياب و يهتك ستر كل حجاب ولا يحفل ببواب يرد مناهل العيش العذبه و يصل الاجراح الرطبه ولا يمنع منه أمير وهو أحقر من كل حقير سره مبثوث وعهده منكوث (نقلت من كتاب الامتاع والمؤانسه لابى حيان التوحيدى) ان بنات عرس انما تلقح من أفواهها وتلد من آذانها ومن عادة هذا الجنس انه يسرق ما وجد من حلى الذهب والفضة ويخبئه فى جحره وان وجد أيضا فى البيت حبوبا خلط بعضها ببعض (النمل) عمرك مواطب فاذا جمع الحب قطعه كيلا ينبت اذا أصابه الندى والبلل ويخرجه و يبسطه عند فم الجحر حتى اذا يبس أدخله فمن عجب طبائع النمل أدرك علم زمان المطر والصحو ومن أراد ان يهلك النمل فليدق الكبريت والحريق وليذره فى جحره ولا يولد من تزاوج لكنه يخرج منه شئ صغير فيقع فى الارض فيصير بيضا ثم تصور من البيض بالهيئة التى ترى (الخنافس) اذا شمت ريح الورد ماتت وأجنحتها مدمجة لا صقة بها (البق والبعوض) لا تتناكح لاهما وانما تستحيل من عين الماء وو سخه ونتنه ومن أخذ غصن العنب ووضعه تحت سريره لم يقربه بق ولا بعوض

ومن أراد أن لا يتأذى بالبراغيث فليحفر وسط البيت حفرة ويملأها بدم تيس فان البراغيث تجتمع هنالك وان وضع فى الحفرة ورق دفلى ماتت البراغيث ثم ماذكره أبو حيان فى الامتناع ومنه قبل لذويب أتزعم انك مفلس لا تقدر على قرص ولا جمع ولا حفالة ويبيت عامر بالفأر فقال على بن أبى عتيق الطلاق الثلاث ألبتة ان كان يمنعهم من التحول عنا الا انهم يرقون أطعمة الناس ويأكلونها فى بيتى لا آمنهم فيه لانه لا هرّ هناك (وعلى ذكر الفأر) فما أحسن قول الشيخ أحمد الموال الشهير بالفأر أنشدنيها المرحوم الفخرى بن مكانس

قلبى صبا نحو بطحى رأيتورق * لما رأى القاعد أخلاه وعليها دق

ومذ قطعها الصبى شقات قلت الحق * يافار نلت المنى اعبر لهذا الشق

يتأذى بمن ينبذه بهذا اللقب فاتفق حضورهما عند الامير قشتم نائب السلطنة الشريفة بسلطان عليه حين قدم من سفره فأحضراهما مشروباعلى العادة فسك فخر الدين الاناء وقال ذكروا أن شراب الليمون فى الاسفار يسكن الدم اذا فار فاحتد منه الفأر وقال كذبت عن من نقلت هذا فقال عن الفار أبى فكان الشاهد أنكى من الزائد (نقلت من تذكرة العلامة عز الدين الموصلى شيخنا) رحمه الله وفقا يوضع لفقد الذباب من البيت الذى يكون فيه وصورته ان يوضع يوم الخميس المعروف بخميس البيض قبل طلوع الشمس بعد صلاة الفجر ويكون واضعه قد صام أربعة أيام لا يفطر فيها على زفر ولا زهومة ثم يضعه على هذه الهيئة ويكون الوضع فى ورق لونه رصاصى تربيعا بالمسطرة محررا وهو هذا الوفق المبارك ان شاء الله تعالى

هلك	الذباب	باذن الملك	القاهر القدير
٨٧8	٦٧٢	8٦٢	8٧٣
٦٧٤	٨٧٣	٧٢٨	8٧
٨٣٧	8٨	٦٧	٨٧٣

(ناصر الدين بن النقيب)

ودار خراب بها قد نزلـــت ولكن نزلت الى السابعه
فلا فرق بين أنى أكو * ن بها أو أكون على القارعه
فوالله ما نمت فى أرضها * ولا طلعت لى بها طالعه
ومفردت بالصفات القبا * ح وما هى الا لها جامعه
تشاورها هفوات النســـيم فتصغى بلا أذن سامعه
اذا ما قرأت اذا زلزلت * بها خفت أن تقرى الواقعه
وأخشى بها ان أقيم الصلا * ة فتسجد حيطانها الراكعه

(قال الشيخ شمس الدين بن الصائغ) أنشدنى الشيخ تاج الدين عبد الباقى اليمانى قال حضرت منزل الشيخ جمال الدين بن نباتة فرأيت فيه نملا كثيرا فقلت

مالى أرى منزل المولى الاديب به * نمل تجمع فى أرجائه زمرا
فقال لا تعجبن من نمل منزله * فالنمل من شأنها أن تتبع الشعرا

(وعلى ذكر النمل) ذكرت ما نقلته من خط الوداعى ما صورته دب شخص شاهد عدل يقال له النميلة فعمل فيه عز الدين بن رواحة

عتبت على نميلة فى التعدى * وجرأته على مالا يحل
وقلت مقال انكار عليه * تدب على العدول وأنت عدل
فقال لقد عتبت على ظلما * وهل للنمل غير الدب شغل

(من المجربات) اذا ظهر النمل فى موضع أن يقرؤ عشر مرات فى نفس واحد هم الغداء والعشاء طويل فانه يرحل باذن الله (السيد الفاضل) شمس الدين بن الصاحب موفق الدين على الامدى فى الحية

وتخاله فى القيظ سوطا باليا * ملقى وفى كانون دملج معصم
وقد استدارت مقلتاه بجمرة * فيها تحاكى قطرتين من الدم

(وله فيه)

وهو حبل قل اذا ما امتد أو * مثل خيط النهر مهما اضطربا
سما للمــــوت وصالا به * وكذاك الحبل يدعى سببا

(من كتاب كتبه محيى الدين بن عبد الظاهر) الى القاضى كمال الدين بن العطار كاتب الدرج السعيد * من منزله خربه اللصوص من كل صاد تراجمت

به مدارج السيول وغصت به حلوق الوحول وغدا شجا فى صدور السهول قد جشت الاقطار وجوه صفاته وفتحت الايام والليالى مالعله من حسن صفاته وأصبح مغائرا فى طرق الزروع كم حصل منه لها أذى ومحاجر كم أطرفت عيون الارض منه على قذى كأن أسوده على الارض كلب يؤذى الابصار وكم خدّ به استدار منه له أوحش عذار كم تجمعت فلذة فكانت ظلمات بعضها فوق بعض وبثت فى الفضاء فأحسن بها من نهود تبدو فى صدور الارض تروع المراعى فى المراعى وتسمع بها قعاقع سهام المنايا فتغدو اترا كيش للحيات والافاعى من كل أفعى تفترس افتراس الضيغم وتملس املاس الجدول وتنكمش انكماش السهم تفزع رائيها فى المنام واذا انقبضت صارت عروة واذا انبسطت فهى حزام كم جنات الترائب فى أنيابها وكم لعبت بالارواح بلعابها ذات ألوان كالدنيا بيناتروق اذاهى تروع ولين معاطف كالايام وكأنما استدار بها اشراك المرقوع قدغدت للخيام أطنابا عوض الاطناب واذا شاهد الاطباء علاماتها وامتدادها قالوا هذا الذى يقال له الموت من العلامات والاسباب كم قد نضحت العيون منها بأسود سالخ وكم أحرق سهامها فى كوره لاهلجة نار الموت وهوله نافخ ومن عجب أنها تمشى على بطنها ولا تأكل ما تفترس وتوقد فى الليالى المدلهمة عيونها نارا لا يجد عليها اهدى طرق المقتبس (القاضى فتح الدين بن الشهيد)

أقول لنمل العذار التى * على الخد دبت فى تحملى
حث عسل الريق الحافظه * الى ابن نمل فلا تسلى

(بدر الدين يوسف الذهبى)

يا جمال الكتاب بل يا * جيد الذكر حقا ومن له العلياء
لى بيت صعب مجاريه الفكر وما ان تحمله البلغاء
ظاهر العيب لاعروض له * والضرب والقبض فى ذراه سواء
لا أراه من الخفيف فلم ذا * جاز فيه التشعيب والاقواء
للبراغيث فيه رقص وللبق * زمير وللذباب غناء
عامل لا أراك فيه وهذا * لك دليل ان ليس فيه بناء

(منقول من الموجز لابن نفيس) مما يطرد الهوام من البيت التبخير بأصل

الرمان وقضبانه وأصل السوس والقنة والقرون والاظلاف والحوافر والشعر والحلتيت وورق الغار وحبه ورماد الصنوبر وخصوصا صامغ القنة والشونيز والمركبات من هذه (الحيوانات التي تهرب منها الحشرات) اذا جعل في البيت لغلغ أوطاوس أوقنفد أوابن عرس فان الهوام تفزع منها وتهرب وان ظهرت قتلها وكذلك البيضابيات والايائل (طرد الحيات) الكبريت والنوشادر بالخل يهربها والخردل يقتلها واذا وضع على مسكنها هربت منه (طرد العقارب) الفجل المشدوخ وعصارته اذا مسكت وورقه والباذروج وثفل الصائم والتبخر بالعقرب يهرب العقارب وكذلك الزرنيخ اذا وضع والفجل المقطع اذا وضع على جحرها يعسر على الخروج منه (طرد البراغيث) اذارش البيت بطبيخ الحنظل أونقوعه تماوتت البراغيث وتهاربت وكذلك العلق والخرنوب ودم التيس اذا جعل في حفرة آوت اليها البراغيث وكذلك يجتمع على خشبة طليت بلحم القنفذ وسمح الكبريت والدفلي يهربها * وطرد البق والبعوض التدخين بنشارة خشب الصنوبر أوالقلقندس أوبالشونيز أو بمجموعهما وهو أجود أو بالآس اليابس أوبالكبريت أو باخثاء البقر أوبالحرمل أوبورق السرو أوجوزه ورش البيت بطبيخ هذه أو بطبيخ الترمس أو الدابب (طرد ابن عرس) يطردها ريح السداب (طرد الفار وقتلها) المرتك والحريق والبنج وأصل الفار وهي تتداوى بالسباحة في الماء فان لم تجدها ماتت والتراب الهالك وخبث الحديد واذا سلخت الفارة الذكر أوقطع ذنبها أوخصى وربط بخيط هرب الفار الباقي والسلخ أقوى (طرد النمل) دخان النمل نفسه يطرده و يهرب (طرد الذباب) يقتلها الزرنيخ وحده أوباللبن ودخانه ودخان الكندر وطبيخ الحريق الاسود (وطرد الزنابير) بخار الكبريت والثوم (طرد الخنافس) دخان الدلب وورقه (طرد الارضه) يطردها الهدهد اذا جعل في البيت والتدخين بأعضائه وريشه (طرد السوس) الافسنتين والفوتنج وقشور الاترج وماء الحنظل الرطب (طرد سام أبرص) الزعفران اذا جعل منه في البيت هرب

(الباب الخمسون في وصف الجنان وما فيها من حور وولدان)

عن أبي سعيد الخدري يرفعه ان الله جل ذكره لما حوط حائط الجنة لبنة من

ذهب ولبنة من فضة وغرس غرسها ثم قال لها تكلمي فقالت قد أفلح المؤمنون فقال تعالى طوبى لك منزل الملوك وقال زيد بن أرقم قال رجل لرسول الله صلى الله عليه وسلم تزعم أن أهل الجنة يأكلون ويشربون قال نعم والذي نفسي بيده ان أحدهم ليعطى قوة مائة رجل في الاكل والشرب قال فان الذي يأكل تكون له الحاجة والجنة طيب لا خبث فيها قال عرق يفيض من أحدهم كرشح المسك فيضمر بطنه (دخل داود عليه السلام) غارا من غيران بيت المقدس فوجد حزقيل يعبد ربه وقد يبس جلده على عظمه فسلم عليه فقال أسمع صوت شبعان ناعم فمن أنت فقال داود فقال الذي له كذا وكذا امرأة وكذا وكذا أمة قال نعم وأنت في هذه الشدة قال ما أنا في شدة ولا أنت في نعمة حتى ندخل الجنة (قال مالك بن دينار) جنات النعيم بين جنات الفردوس وفيها حور خلقن من ورد الجنة قيل ومن يسكنها قال الذين هموا بالمعاصي فلما ذكروا عظمة الله راقبوه (وقال بعض العلماء) في السدس الاخير من الليل تفتح أبواب الجنة ألا ترى أن أرواح الرياحين تفوح في ذلك الوقت * جاء الاسلام ودار الندوة بيد حكيم بن حزام فباعها من معاوية بمائة ألف درهم فقال له عبد الله بن الزبير بعت مكرمة قريش فقال ذهبت المكارم الا من التقوى يا ابن أخي اشتريت بها دارا في الجنة أشهدك أني جعلتها في سبيل الله (ولمؤلفه رحمه الله)

اذا رأيتم قبر خير الورى * والمنبر الزاهي واجلاله
بشراكم الجنة هنيتم * ومن يرى هذا فطوبى له

وأنا أبتهل بلسان التضرع والخضوع وأسأل لحظات الاعتراف والخشوع لمتصفحي كتابي هذا وأبوابه ومتأملي ألفاظه واعرابه الصفح عما يقفوا عليه من عثرات العبارات والمعاني والتجاوز عما وقع فيه من التقصير والتواني فالمعترف بذنبه كمن لا ذنب له ومن لا يقبل العذر فالذنب له

من رام أن يقبل الباري معاذره * فليقبلن مسرعا ممن له اعتذار

وليقتد بقوله تعالى وليعفوا وليصفحوا ألا تحبون أن يغفر الله لكم والله غفور رحيم لا سيما مع استغراق زمان أنا بنكده منوط وليل ونهار أنا فيهما بطلب القوت مربوط واغراقي بهموم ظاهرة في البيان وبحجة غالبة في الاسان تمنع عن ادراك حقائق المرادات والجمع بين دقائق المعاني وحسن العبارات

ولـكنني مكره فى ذلك لا بطل

فان لم يكن نظم القصائد شيمتى * وليس جدودى يعرب واياد
فقد تسجع الورقاء وهى حمامة * وقد تنطق الاوتار وهى جماد

ثم قـل أن يخلص مصنف كتاب من الهفوة بل الهفوات وهيهات ثم هيهات ان ينجو الناظر أو المؤلف من العـثرة بل العـثرات خصوصا مع المتعنـتين بل المتعنتين والحاسـدين المغتبين ولـكن قال رسول الله صلى الله عليه وسلم من طلب عثرة أخيه ليهتـكه طلب الله عثرته فهتـكه

لا تلتمس من مساوى الناس ما ستروا * فيهتـك الله سترا من مساويكا
واذكر محاسن ما فيهـم اذا ذكروا * ولا تعب أحـدا منهـم بما فيكا

وأنا أقسم على جماعة متصفـيه أن يتأملوه و ينظروا فيه بعين الرضا ويعبروا عنـه بلسان الصفا والوفا فان تجـد فيه بعيدا قربه أو خطأ أصلحه وصوّبه

فان زل طرفى أو كبا فهو حلبـة * يزل بها الطرف المطهـم جاريا
فعفوا جميـلا عن خطاى فاننى * أقول كما قد قال من كان شاكيا
وعين الرضا عن كل عيب كليلة * كما أن عين السخط تبدى المساويا

وبالله أسـتعين أوّلا وآخرا ظاهرا وباطنا والحمـد لله الذى هـدانا لهذا وما كنا لنهتدى لولا أن هدانا الله وهو حسبنا ونعم الوكيل ولا حول ولا قوة الا بالله العلىّ العظيم وصلى الله على سـيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم تسليما كثيرا الى يوم الدين

قد تم طبع كتاب الفاضل الاديب اللوذعى الاريب ابى على البهائى الشهير بالغزولى فى اليوم الرابع عشر من جمادى الثانية سـنة ألف وثلثمـائة من الهجرة النبويه على صاحبها أفضل الصلاة وأزكى التحيه وهو كتاب يشتمل على وصف دار الملك وما يحتاج اليـه من انشاء وشعر وطب ونعـيم وعلم هيئة ونديم ومجلس شراب وما يليق به من آنية الراح وما تفتقر اليه دار الملك من خزائن السلاح والآنية والملابس وما يليق بها من الشعار كالنمارق المصفوفه والزرابىّ المبثوثه ولما كان قـد تداولت عليـه الاعصار والقرون وعنّ لعرائسه أن تتردّى برداء المنون لما أنه لم يكن موجودا الا القليـل من نسخه ولم يسـبق أحد الى حوز فضله بطبعه بادرت مطبعـة الوطن الى اقتناص ريعه

لشارده ففازت بالرشف من أكواب رحيقه المسلسله وآن أن
تقول قد فاح مسك ختامه واستنار فى دجى الليل بدر
ظلامه ولاح فجره وأسفر وروضه بحسن الختام
أزهر بمطبعة الوطن البهيه الكائنة
بمصر المحميه مصححا بالدقة على
قدر الامكان والله
المستعان وعليه
التكلان
تم

(فهرست الجزء الثانى من كتاب مطالع البدور فى منازل السرور للشيخ الاديب والفاضل الاريب علاء الدين على بن عبد الله البهائى الغزولى)

صحيفة

٣ الباب السادس والعشرون فى الحمام وما غزى مغزاه

١٧ فصل فيما ورد فى ذمها

١٨ الباب السابع والعشرون فى النار والطباخ والقدور

٢٤ الباب الثامن والعشرون فى الاسماك واللحوم والجزور

٢٧ فصل فى اللحوم

٢٨ فصل كتب الوزير فخر الدين عبد الرحمن بن مكانس الخ

٣٠ الباب التاسع والعشرون فيما تحتاج اليه الاطعمة من البقول فى السفرة

٣٧ الباب الثلاثون فى الخوان والمائدة وما فيهما من كلام مقبول

٤٣ الباب الحادى والثلاثون فى الوكيرة والاطعمة المشتهاة

٥٣ فصل فى الاطعمة المشهورة ومضارها ومنافعها

٦٠ فصل فيما يشهى المآكل

٦٤ فصل فى الطست والابريق والخلال والطيب والاشنان والمنشفة وآداب غسل اليد وكيفية الاستعمال

٧٠ الباب الثانى والثلاثون فى الماء وماجرى مجراه

٧٤ فصل فى المحمود من المياه

٧٩ الباب الثالث والثلاثون فى المشروب والحلواء

٨٧ فصل فى الاشربة

٨٩ الباب الرابع والثلاثون فى بعض الخلاء المطرب

٩٣ الباب الخامس والثلاثون فى ندماء الاطباء

١١٠ الباب السادس والثلاثون فى الحساب والوزراء

١١١ فصل فيما ينبغى للوزير أن [illegible]

١١٣ فصل فى لطائف كلام الوزراء

صحيفة

١١٥ فصل فى لطائف هذا الباب
١١٧ الباب السابع والثلاثون فى كتاب الانشاء
١٣٤ الباب الثامن والثلاثون فى الهدايا والتحف النفيسة الاثمان
١٤٠ الباب التاسع والثلاثون فى خواص الاحجار وكيانها فى المعادن
١٥٩ الباب الاربعون فى خزائن السلاح والسكائن
١٧٢ الباب الحادى والاربعون فى الكتب وجمعها وفضل اتخاذها ونفعها
١٧٩ الباب الثانى والاربعون فى الخيل والدواب ونفعهما
١٨١ فصل فى العلامة الجامعة للنجابة فى الفرس
٢٠٨ الباب الثالث والاربعون فى مصائد الملوك ومافيها من نظم السلوك
٢٤٠ الباب الرابع والاربعون فى حظائر الوحوش الجليلة المقدار المتخذة لنزهة الابصار
٢٥١ الباب الخامس والاربعون فى الاسد النبل والزرافة والفيل
٢٦٠ الباب السادس والاربعون فى الحمام ومافى وصفها من بديع النظام
٢٦٤ الباب السابع والاربعون فى الحصون والقصور والآثار وماقيل فيها من رائق الاشعار
٢٩٢ الباب الثامن والاربعون فى الحنين الى الاوطان وتذكر من بها من القطان
٣٠٤ الباب التاسع والاربعون فى دار سكنت كثيرة الحشرات قليلة الخير عديمة النبات
٣٢٠ الباب الخمسون فى وصف الجنان ومافيها من حور وولدان

(تمت فهرست الجزء الثانى من مطالع البدور)